سلسلة الأجوبة السديدة
على الأسئلة الرشيدة

الأجوبة السديدة

على

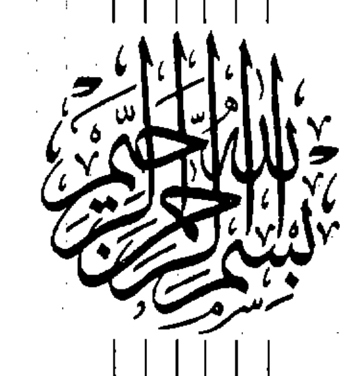
الأسئلة الرشيدة

تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
زيد بن محمد بن هادي المدخلي

قدم للجزء الثالث

فضيلة الشيخ العلامة
أحمد بن يحيى النجمي





١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

رقم الإيداع: ٢٠٣١٧ /٢٠٠٣م



٨١ شارع الهدي المحمدي - متفرع من أحمد عرابي - مساكن عين شمس - القاهرة
جمهورية مصر العربية محمول: ٠١٢٣٩٥٣٣١٧
E-Mail:DarAlmenhaj@HotMail.Com

سلسلة الأجوبة السديدة
على الأسئلة الرشيدة



الأجوبة السديدة

على الأسئلة الرشيدة

الجزء الأول

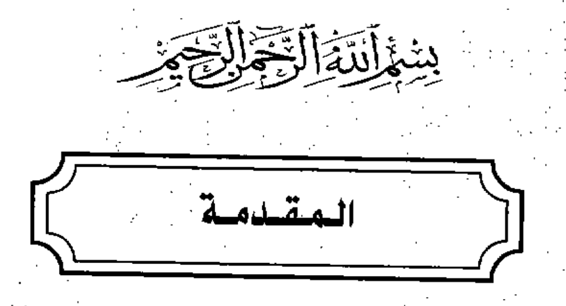
تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

زيد بن محمد بن هادي المدخلي




بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

الحمد لله الذي يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على رسول الله الموحى إليه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى:٥٢-٥٣].

أما بعد:

فإن الحرص على هداية الخلق لهو خلق عظيم خلق الأنبياء وهديهم، ودأب من تأسى بهم من أهل العلم النافع والعمل الصالح والمنهج الحق في العقيدة والعبادة والجهاد والدعوة والعكس بالعكس.

والحقيقة المسلَّم بها لدى العلماء والعقلاء وجود حق وباطل في معترك هذه الحياة عبر تأريخ امتدادها، ولكلٍ من الحق والباطل دعاته وأنصاره، فأما أنصار الحق فإنَّهم يسعون دائمًا بجد متواصل وخطى حكيمة وخطط سلفية سليمة مستقيمة من أجل هداية البشرية لئلا تضل عن سواء السبيل فتذل وتخزى.

وأما أنصار الباطل ودعاته ومروجوه فإنَّهم دائمًا يسعون في الأرض

فسادًا، فسادًا في القلوب، وفسادًا في الفطر، وفسادًا في الخلُق والسلوك والله لا يحب المفسدين، غير أن الله غالب على أمره، وناصر دينه وأهل طاعته ومتابعة رسله كما وعد -ووعده الحق- حيث قال: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر:٥١].

وإن أكمل المسلمين طاعة وأعظمهم أجرًا من كان نفعه متعديًا إلى الغير، ولقد اختار الله في كل زمان ومكان دعاة خير وبر وصلاح وهدى من العلماء الربانيين السائرين على منهج السلف الصالح، الذين ترسموا خطى الأنبياء والمرسلين في دعوتهم إلى الله ولَم يبدلوا تبديلاً، ليبصروا الناس بنور العلم ويفقهوهم فيه، ويحببوا إليهم صالح العمل ويحثوهم على ابتغاء وجه الله والدار الآخرة فهدى الله بدعوتهم الخيرة من شاء من خلقه فمنهم من انتقل من حسن إلى أحسن، ومنهم من انتقل من داء الغفلة إلى حوض الهدى والمعافاة، ومن حمأة المعصية إلى شرف الطاعة، فعاشوا حياة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، ألا وإن من جملة الوسائل الدعوية الشرعية الإجابات على الأسئلة الهادفة الرشيدة المحررة، لذا فقد كنت أُدعى لإلقاء محاضرات في مناسبات شتى فأجيب الدعوة كغيري من طلاب العلم فألقي ما كتب لي من توجيهات سديدة -هكذا أحسبها- ووصايا شرعية، وفي عقب المحاضرة أو الدرس أتلقى أسئلة من بعض الحاضرين مهمة واقتراحات نافعة فأجيب عليها بقدر الإمكان وفي حدود ما أعلم وأقدر، ولكي يعم النفع ويحفظ العلم وتبقى الفائدة فقد قيدت بقلمي هذه الرسائل الحوارية في أبواب من العلم شتى ومسائل من

الفقه الأكبر هامة ولأصوله ضامة وسميتها:

" الأجوبة السديدة على الأسئلة الرشيدة "

أسأل الله أن ينفع بِها كاتبها وكل قارئ لها وسامع.

المجيب على الأسئلة

س١- من ربك وبِمَ عرفته سبحانه، وما هو الأمر الذي خلقك لأجله؟

ج: ربي الله الذي خلقني من ماء مهين وأسبغ عليّ نعمه الظاهرة والباطنة فهو معبودي وحده، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، وأعرف ربي -تبارك وتعالى- بآياته ومخلوقاته، ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر وغيرها من الآيات الّتي لا تدخل تحت الحصر، ومن مخلوقاته سبحانه السموات السبع والأرضون السبع وما في ذلك من سحاب وأمطار، وأنهار وبحار، وزروع وأشجار، وثمار وغير ذلك من مخلوقات الله الواحد القهار، وأما الأمر الذي خلقني ربي له فهو عبادته وحده لا شريك له كما قال ﷻ: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾ [الذريات:٥٦-٥٨] .

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

س٢- ما هي العبادة ومن المكلف بأدائها ؟

العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال والأعمال الظاهرة والباطنة، والمكلف بأدائها على سبيل الوجوب أو الاستحباب بحسب الأمر الإلهي هو المكلف العاقل من عالم الإنس والجن، قال تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾ [البينة:٥].

س٣- ما هو التوحيد وكم أنواعه وما جزاء من حققه في الدنيا والآخرة؟

ج: **التوحيد**: هو إفراد الله بالعبادة والخلوص له من الشرك كبيره وصغيره قليله وكثيره والبراءة منه ومن أهله، كما قال ﷻ: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴿١٦٢﴾ **لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وقال سبحانه: ﴿**رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾ [مريم:٦٥].

وأما أنواع التوحيد فثلاثة:

أ- توحيد الألوهية.

ب- توحيد الربوبية.

ج- توحيد الأسماء والصفات.

فتوحيد الألوهية: هو إفراد الله بجميع أنواع العبادات.

وتوحيد الربوبية: هو الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لجميع الأمور والمتصرف في الكون كله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

وتوحيد الأسماء والصفات: هو الاعتقاد الجازم بأن لله الأسماء الحسنى والصفات العليا، وإثباتُها من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل بل نقول كما قال الله: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: من الآية١١].

وأما الجزاء على التوحيد في الدنيا فهو عصمة الدم والمال والعرض وحياة الأمن والطمأنينة.

وأما جزاء الموحِّد في الآخرة، فرضا الله والجنة والنجاة من سخطه والنار، وفوق ذلك التمتع بالنظر إلى وجه الله الكريم وذلك هو الفوز العظيم.

* * * * *

س٤- ما هو الشرك وكم أقسامه؟ وما حكم من مات مشركًا بالله تعالى؟

ج٤- الشرك: هو عبادة غير الله أو غيره معه من آدمي أو شجر أو حجر أو شمس أو قمر أو حي أو ميت أو غير ذلك من المخلوقات المسبوقة بالعدم والآتي عليها الفناء والهلاك، والتي لا تملك لنفسها ولا لعابديها ضرًّا ولانفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا.

والشرك نوعان:

١- **شرك أكبر:** وهو أن تصرف شيئًا من العبادة لغير الله، وصاحب هذا النوع من الشرك خالد في النار إن مات عليه كما في قوله ﷻ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا**﴾ [النساء:٤٨].

٢- **وشرك أصغر:** وهو يسير الرياء والتصنع بالعبادة من أجل مشاهدة الخلق وكذا الحلف بغير الله، كالحلف بالأمانة أو بالآباء أو

الأمهات أو الكعبة أو الجاه أو الشرف، وكقولهم ما شاء الله وشاء فلان، ولولا الله وفلان لوقع كذا وكذا، مع العلم أن هذه الأمور تكون شركًا أكبر بحسب قصد قائلها واعتقاده[1]، فنعوذ بالله من الشرك كبيره وصغيره، ونعوذ بالله من مصير أهله قال الله ﷻ: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف: من الآية ١١٠].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

س٥- كم أركان الإسلام، وما معنى كل ركن منها، وما ثمراته؟

ج - **أركان الإسلام خمسة**: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً.

أما معنى شهادة أن لا إله إلا الله: فهو نفي جميع ما يعبد من دون الله وإثبات العبادة كلها لله، وهذان المعنيان هما ركنا لا إله إلا الله النفي والإثبات[2].

وأما معنى شهادة[3] أن محمد رسول الله ﷺ: فهو طاعته فيما أمر

---

(١) فمثلاً إذا حلف بالله حالف بغير الله معظمًا لما حلف به كتعظيمه لله فهو شرك أكبر.

(٢) نظمها بعضهم فقال:

لكلمة الإخلاص ركنان هما ... النفي والإثبات فاحفظنهما

ولها سبعة شروط وهي العلم واليقين والقبول والانقياد والصدق والإخلاص والمحبة.

(٣) ولها شروط أربعة نظمتها في الأبيات التالية:

شروطها أربعة مفصلة ... وفي الكتاب قد أتت منزلة

وتصديقه في الأمور كلها وتنحصر في متابعة النَّبي الكريم ﷺ الَّتي أمرنا الله بها في قوله سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [التغابن:١٢].

كما أمرنا سبحانه بمتابعته في كل شأن من الشئون ورتب على ذلك الهداية والفلاح، فقال ﷻ : ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:من الآية ١٥٨].

ومن ثَمرات هذا الركن العظيم ما يأتي:

١- تحرير القلب والنفس من الرق للمخلوقين والاتباع لغير هدى المسلمين.

٢- سعادة الدارين.

وأما معنى الصلاة في اللغة: فهي الدعاء كما في قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: من الآية١٠٣]. أي: ادع لهم.

وفي الشرع: التعبد لله بفعلها على الكيفية الَّتي وضحها رسول الله ﷺ بفعله وقوله حيث قال: «صلوا كما رأيتموني أصلي»[1].

=

وفي الحديث هكذا قد وردت	فافهم هديت واعملن بما ثبت
طاعته في كل شيء قد أمر	من قوله أو فعله نص الخبر
تصديقه في خبر قد علما	عنه يقينًا وبنص قد سما
كذا اجتناب كل ما عنه زجر	ويعبد الباري بشرعه الأغر

(١) رواه البخاري في كتاب الآذان باب الآذان للمسافر (ج٢/ص١٠٧) عن مالك بن الحويرث.

ومن ثَمرات هذا الركن العظيم:

١- انشراح الصدر كما في قوله -عليه الصلاة والسلام- لبلال: «**أرحنا يا بلال بالصلاة**»[١].

٢- قرة العين كما في قوله ﷺ: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[٢].

٣- الانزجار عن الفحشاء والمنكر كما قال ﷻ: ﴿**إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾ [العنكبوت: من الآية٤٥].

وأما معنى الزكاة في اللغة: فهي النماء والتطهير.

وفي الشرع: هي التعبد لله بإخراج مال مخصوص من مال مخصوص لطائفة مخصوصة في وقت حدده الشارع الحكيم ﷺ.

ومن ثَمرات الإِيْمان بِهذا الركن ما يأتي:

١- تطهير النفس من رذيلة الشح والبخل إذ هما خلقان ذميمان في كل شريعة من شرائع الله.

٢- تدعيم الإسلام وسد حاجة المسلمين.

٣- تنمية للمال المزكى، فما نقص مال من صدقة بل يزيد، بل يزيد.

---

(١) رواه أحمد في المسند (ج٥/ص٣٦٤) عن ابن أبي الجعد عن رجل من أسلم.

(٢) رواه أحمد في المسند (ج٣/ص١٢٣) عن أنس، والنسائي في كتاب عشرة النساء (ج٧/ ص٦١) عن أنس.

وأما معنى الصوم في اللغة: فهو الإمساك عن شيء ما.

وفي الشرع: هو الإمساك عن المفطرات نَهار رمضان عبادة لله وامتثالاً لأمره وله ثمرة عظيمة وهي ترويض النفس على ترك المحبوبات والمألوفات طلبًا لمرضاة الله وطمعًا في نيل ثوابه يوم لقائه.

وأما الحج في اللغة: فهو القصد.

وفي لسان الشرع: هو قصد بيت الله الحرام للقيام بمناسك الحج وأداء جميع شعائره.

وله ثَمرات منها:

١- ترويض النفس على بذل المال في سبيل الله لأن الحج من سبيل الله.

٢- التضحية بالنفس في جميع طاعات الله.

وبعد؛ فإن التطبيق الفعلي لهذه الأصول العظيمة في واقع الحياة يجلب للأمة المحمدية كل صلاح وفلاح في أمور دينها ودنياها فليتق العبد ربه وليحققها فإنها أصول دينه وعاصمة لدمه وماله وعرضه، ومفتاح أصيل لدخول جنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله رسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

س٦- كم أركان الإيْمان، وما معنَى كل ركن منها وما دليله وما ثَمرته؟

ج: **أركان الإيْمان ستة**: هي أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله -تبارك وتعالى-.

أما معنى الإيْمان بالله ﷻ: فهو التصديق بوجوده والإقرار الصريح بربوبيته والاعتراف الظاهر والباطن بألوهيته وإفراده بكل عبادة مالية أو بدنية وحده دون سواه، والإيْمان على الوجه الحق بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وتطبيق ذلك تطبيقًا عمليًّا في واقع الحياة كما يريد الله وكما شرع رسول الله ﷺ.

قال -تبارك وتعالى-: ﴿**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾ [الأنعام:١٠٢].

وقال سبحانه: ﴿**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾ [البقرة:١٦٣].

وقال -تبارك وتعالى-: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: من الآية١١].

ومن ثَمرات الإيْمان بالله: تحرير النفس من الرق لغير الله وجعلها خالصة هي وأعمالها لخالقها سبحانه وكذا السعادة في الدنيا والبرزخ والآخرة.

وأما معنَى الإيْمان بالملائكة: فهو التصديق بوجودهم وأنَّهم من

مخلوقات الله العظيمة خلقهم وجبلهم على طاعته فلا سبيل لهم إلى مخالفة أمره، وقد أسند الله إليهم أعمالاً هامة لا يقوم بها سواهم، فمنهم من ينْزل بالوحي، ومنهم من يصرف القطر والنبات، ومنهم من يحفظ بني آدم من السوء المكروهات إلى غير ذلك مما نعلم ومما لا نعلم: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ**﴾ [المدثر: من الآية٣١]. ﴿**بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾ [الانبياء:٢٦-٢٧].

وللإيمان بهذا الركن ثمرات جليلة منها:

١- العلم بعظمة الخالق سبحانه وقوته ونفوذ سلطانه إذ خلق هذا الخلق الذي لا يحصي عدده بشر، ويميته ثم يبعثه: ﴿**مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ [لقمان: من الآية٢٨].

٢- شكر العبد ربه على ما أولاه من التربية العامة والخاصة والعناية البالغة فقد سخر له ما في السموات وما في الأرض ومن جملة ذلك الملائكة على اختلاف وظائفهم المهمة ومراتبهم العظيمة.

٣- محبة الملائكة لأنهم أنصح المخلوقات لعباد الله المؤمنين كما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ**

الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر:٩].

وأما **معنى الإيْمان بالكتب:** فهو الاعتقاد الجازم بأنَّها منَزلة من عند الله -تبارك وتعالى- تكلم بها قولاً وأنزلها على رسله وحيًا وصدَّق بها ذووا الإيْمان برسلهم حقًّا وصدقًا وقد أمر الله الأمة المحمدية كلها أن تعلن إيْمانها باطنًا وظاهرًا بما أنزله على الأنبياء السابقين حيث قال سبحانه: **﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾** [البقرة:١٣٦].

وأما **معنى الإيْمان بالرسل:** فهو الاعتقاد الذي لا شك فيه، أن الله بعث رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، أولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ، فمن اقتدى بهم واستجاب لدعوتهم فقد اهتدى ومن جحد رسالاتِهم وكذب بها فقد ضل وغوى، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾** [النساء:١٥٢].

وللإيْمان بالرسل فوائد عظيمة وثَمرات جليلة منها:

١- العلم القطعي برحمة الله العزيز الرحيم الذي لَم يَكِل الخلق إلى عقولهم بل أرسل إليهم رسلاً وأنزل عليهم كتبًا.

٢- اعتبار رسالاتِهم نعمة كبرى أنعم الله بِها على عباده في كل زمان ومكان.

٣- محبة أولئك الرسل الكرام أهل النصح والصدق والأمانة والإخلاص.

وأما معنى الإيمان باليوم الآخر: فهو التصديق المبني على العلم المستمد من كتاب ربنا وسنة نبينا محمد ﷺ بأن الله سيبعث الخلائق بعد موتهم ثم يجمعهم ليوم لا ريب فيه ويجازي كلا بعمله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٨].

ومن كذَّب بهذا اليوم أو بشيء مما سيكون فيه من الصراط والميزان والحوض والجنة والنار والجزاء على الأعمال وغيرها مما هو معلوم من الشرع بالضرورة فقد ضل سواء السبيل إذ أن ثبوت وقوع ذلك قد دل عليه الكتاب والسنة وإجماع المسلمين.

وللإيمان بهذا الركن فوائد منها:

١- الإقبال على فعل الخيرات والحرص على اكتساب الحسنات من أقوال وأفعال ومعتقدات وما ذلكم الإقبال إلا لأن فاعلها يرجو ثوابَها الذي وعد به في محكم التنْزيل الحكيم، وصحيح السنة المطهرة.

٢- الكف عن المعاصي أقوالها وأفعالها باطنها وظاهرها إذ أن اقترافها سبب في عقوبة الله الَّتي توعد بها العصاة الذين تعدوا حدوده وأضاعوا فرائضه وأعرضوا عما جاء به المرسلون الذي فيه صلاحهم وفلاحهم لو آمنوا به واستقاموا عليه.

وأما معنى الإيمان بالقدر: فهو الاعتقاد الجازم بأن جميع الكائنات علويها وسفليها، كلياتِها وجزئياتِها، ناطقها وصامتها، متحركها وساكنها

قد قدرها الله وأحاط بها في القِدم وستقع في أوقاتها وأماكنها المحدودة وعلى صفاتها المخصوصة حسب ما قُدِّر لها في الأزل وأدلة الإِيْمان بهذا الركن كثيرة في الكتاب والسنة لا ينكرها إلا كافر ولا يئولها بغير تأويلها الحق إلا جاهل أو متجاهل قال الله ﷻ: ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا**﴾ [الفرقان: من الآية٢].

وثبت في صحيح مسلم[1] عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»[2]، وغير ذلك كثير.

ومن هذه النصوص الصريحة يتضح للمؤمن الصادق في إيْمانه أن جميع تحركات المخلوقات الاختيارية وغير الاختيارية لا تخرج عن إرادة الله -تبارك وتعالى-، بل كل ما يقع في العالم العلوي والعالم السفلي من إحياء وإماتة، وصحة ومرض، وفقر وغنى، وطول عمر وقصره، ونزول الأجل ووقته ومكانه وسببه، وشقاوة وسعادة، ورخاء وشدة، وعسر ويسر، وكفر وإيْمان، وخير وشر، كل ذلك بتقدير الله الأزلي الذي سطَّره القلم الذي خلقه الله وأمره أن يكتب مقادير كل شيء إلى أن

---

(١) **مسلم**: هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري صاحب الصحيح وأحد الأئمة الحفاظ وأحد الأعلام المحدثين، ولد عام (٢٦٠هـ)، وتوفي عام (٣١٥هـ) وكان عمره خمس وخمسون سنة. تقريب التهذيب (ج٢/ص٢٥٤).

(٢) رواه مسلم في كتاب القدر باب حجاج موسى وآدم -عليهما السلام- (ج١٦/ ص٢٠٣) بشرح النووي عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما-.

تقوم الساعة، فما من أمر من الأمور أو حدث من الأحداث إلا وقد جرى به القلم في تلك الساعة إلى قيام الساعة كما مر بك قريبًا ولا يلزم من ذلك أن يتكل العباد على ما كتب ويتركوا العمل فذلك عجز وانحراف عن توجيهات القرآن الكريْم ووصية الرسول الصادق الأمين، فلابد إذن من الجد والاجتهاد في اكتساب الحسنات وترك السيئات فإن ذلك موجب لرضا رب الأرض والسموات وسبب متين لدخول الجنات وتبوء منازلها العاليات البهيات.

ولقد جاء في الحديث الذي رواه أحمد[1] وغيره عن عمر بن الخطاب ﷺ[2] أنه قال للنبي ﷺ: «أرأيت ما يعمل فيه قد فرغ منه أو أمر

---

(١) **هو أحمد بن حنبل:** إمام أهل السنة في عصره وسيد علماء الحديث أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ولد في شهر ربيع الأول سنة (١٦٤هـ) في بغداد مات أبوه وهو طفل فربته أمه أحسن تربية، أخذ العلم عن كثير من علماء الأمصار في العراق والشام والحجاز وثبت أيام المحنة ثبوت الجبال الرواسي رغم طول مدة الأذى التي لا تقل عن ستة عشر عامًا وتوفي -رحمه الله- سنة (٢٤١هـ) صفة الصفوة (ج٢/ص٢٣٦) وما بعدها، حلية الأولياء (ج٩/ص١٦١) وما بعدها.

(٢) **عمر بن الخطاب:** هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي أبو حفص، ولد بعد الفيل (ب١٣) سنة ولي الخلافة بعد الصديق وكان مُحدَّثًا ملهمًا وقد جعل الله الحق على لسانه وقلبه وافقه القرآن في مواضع عديدة، ولفضله وقوة إيْمانه كان الشيطان يفر منه، توفي شهيدًا على يد أبي لؤلؤة المجوسي يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة (٢٤هـ) وكانت خلافته عشر سنين وخمسة أشهر وواحد وعشرين يومًا، وعمره ثلاث وستون سنة على الصحيح.

مبتدأ؟ قال: **فيما قد فرغ منه**. فقال عمر ﷺ: أفلا نتكل؟ فقال: **اعمل يابن الخطاب، فكل ميسر، أما من كان من أهل السعادة يعمل للسعادة، ومن كان من أهل الشقاء يعمل للشقاء**(١).

وفي رواية: قال عمر: «الآن نجتهد يا رسول الله».

ومن ثَمرات الإيْمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره ما يأتي:

١- الاعتماد على الله وتفويض جميع الأمور إليه لأنه واهب الحياة وقاضي الحاجات ومفرج الكروب ومتصرف في مخلوقاته كلها بِما شاء وكيف يشاء.

٢- الابتعاد والحذر من الوقوع في داء العجب عندما يحصل الإنسان على مراده من حاجات الدين والدنيا، وليشعر نفسه أن حصول كل محبوب ودفع كل مكروه إنَّما هو نعمة ربانية مقدرة من لدن حكيم خبير فليحمد الله عليها.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

س٧: ما هو الإحسان وما هو دليله من الكتاب والسنة ؟

ج: الإحسان فسره النَّبِي ﷺ بقوله الصريح: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لَم تكن تراه فإنه يراك**». والمعنى: أن تعبد ربك وأنت مستحضر

---

(١) رواه الترمذي في كتاب القدر باب ما جاء في الشقاء والسعادة (ج٤/رقم ١٣٥/ص ١٤٥) عن عمر بن الخطاب.

عظمته وقربه منك ومراقبته لك في كل الأحوال وذلك يوجب الخشية والتعظيم لربك، وحينئذ لا تقصر في طاعة ولا ترتكب معصية إجلالاً لله وخوفًا منه -جل في علاه-.

ودليل الإحسان قوله ﷻ: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: من الآية١٩٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

وقولة النَّبي ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء»[1].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

س٨: ما هي الأصول الَّتي كلفت بِمعرفتها والعمل بِها في هذه الحياة والَّتي سوف تسأل عنها في قبرك ويوم حشرك ونشرك ؟

ج: **ثلاثة**: الله، والإسلام، والرسول.

فالله: هو المألوه، أي المعبود وحده.

والإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك والبراءة منه ومن أهله.

---

(١) رواه الدارمي في سننه (ج٢) باب في حسن الذبيحة (ص٨٢) ومسلم في باب الأمر بالإحسان في الذبح وتحديد الشفرة (ج١٢/ص١٠٦) عن شداد بن أوس، شرح النووي.

والرسول ﷺ: هو خاتم الأنبياء والرسل محمد بن عبد الله المبعوث إلى الناس كافة بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، أمرنا الله بطاعته واتباعه والعمل بما جاء به باطنًا وظاهرًا حتى يأتينا اليقين.

* * * * *

س٩- ما معنى الاستقامة الَّتي وصى الله بها عباده في كتابه وأرشد إليها النَّبي ﷺ في سنته؟ وما هي ثَمراتُها العاجلة والآجلة؟

ج: معنى الاستقامة هو الثبات على الحق والدوام على الالتزام به عقيدة وعبادة ومعاملة وآدابًا ودعوة وجهادًا، ولعظم شأنها فقد أمر الله عباده بِها وحثهم عليها بأساليب متنوعة فتارة بالأمر العام الشامل لجميع الأمة حيث قال ﷻ: ﴿**فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ**﴾ [فصلت:من الآية٦]. وتارة بالخطاب الموجه إلى النَّبي ﷺ -وأمته تبع له في ذلك- إذ هو قدوتُها وذلك في أكثر من موضع.

ففي سورة هود قال ﷻ: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ**﴾ [هود: من الآية١١٢].

وفي سورة الشورى: ﴿**فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ**﴾ [الشورى: من الآية١٥].

وتارة بذكر الثواب العاجل والآجل لأهلها حيث قال سبحانه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأحقاف:١٣-١٤].

كما أرشد إليها النَّبي ﷺ بقوله لمن قال له: «قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غيرك. قال: **قل آمنت بالله ثُمَّ استقم**»(١) ومجموع هذه النصوص تدل بوضوح أن الاستقامة على الحق والثبات عليه على الوجه الذي ذكرت آنفًا هو طريق النجاة ودرب السعادة في الدارين، وهو الوسيط الأقوم والسبب الأعظم والوسيلة الكبرى لنيل رضا الكريم المنان، وتبوء المنازل العالية في تلك الجنان الَّتي وصفت لأمة القرآن في صورة "الرحمن".

وكم ثمرات عاجلة وفوائد آجلة تكتسب وتحرز نتيجة الاستقامة على الحق والثبات عليها منها ما تقدم ذكره، ومنها الطمأنينة والسكينة والبشارات الَّتي تجيء بها الملائكة وتنْزل بها على قلب المستقيم على الحق والمعتز به والداعي إليه كما قال سبحانه في وعده الكريم لأهل الاستقامة على الصراط المستقيم: ﴿**تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ**﴾ [فصلت:٣٠-٣٢]. وما في معنى ذلك كثير.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب جامع أوصاف الإسلام (ج١/حديث رقم ٣٨/ص٦٥).

س١٠: ما معنى الانحراف عن الصراط المستقيم وما هي أسبابه ووسائله وما هي أخطاره ؟

ج: **معنى الانحراف عن الصراط المستقيم:** هو الميل والعدول عن طريق الحق الموصل إلى الله واتباع طرق الضلال.

وأما أسبابه في مجتمعات العالم الإسلامي وفي عصرنا الحاضر بالذات فهي كثيرة ومتنوعة أذكر منها ما يلي:

١- بُعد كثير من الخليقة عن فهم الاعتقاد الحق الذي هو أصل الدين وقاعدته.

٢- ما تمليه وتبثه وتنشره وسائل الإعلام المعاصرة على اختلاف أنواعها من أفلام مصورة خليعة وقصص تمثيلي ماجن، وصور فاتنة للذكر والأنثى على الشاشات وفي الصحف والمجلات الَّتِي غزت كل أسرة مسلمة في المدن والقرى إلا من رحم الله من عباده -وقليل ما هم- وكذا الأغاني المصحوبة بضرب الطبول والعزف على العود والرقصات المشتركة من الجنسين وغير المشتركة، وارتداء النساء الأزياء الباريسية الَّتِي تمثل العري الفاضح؛ لأن القائمين على تصميمها يهود وموقف اليهود الأشرار من المسلمين معروف.

٣- الترويج والدعايات للسهر في مسارح الرقص وأماكن العهر والفجور الَّتِي توجد في كثير من بلدان العالم -حمى الله المسلمين من شرها-.

٤- الفشل في مجال العمل والفراغ المفتعل الذي يجر أصحابه إلى حياة التسيب والسقوط في خطوط التيه وحمأة الشرور.

٥- استعمال المسكرات والإدمان على المخدرات على اختلاف مسمياتها.

٦- وجود دعاة سوء من البشر انضموا إلى معسكر الشيطان فأعدهم إعدادًا رهيبًا وسلطهم على البشرية فهم يأتونَهم من الجهة الَّتِي يمكن استمالتهم منها.

٧- عشق ألعاب العصر والإسراف فيها واستغراق الأوقات في التفكير فيها والتخطيط لها، وما يصحب تلك الألعاب من منكرات كقتل الأوقات وتضييع كثير من الواجبات وكشف العورات واختلاط الجنسين من المشجعين والمشجعات كما هو الحال في كثير من بلدان المسلمين الَّتِي أصيبت في دينها وخلقها بالانحرافات، لأَنَّهم أطلقوا لأنفسهم العنان في إشباع الرغبات.

٨- فشو الجهل بنصوص الكتاب والسنة في معظم العالم الإسلامي المعاصر.

٩- انتشار المبادئ الهدَّامة والطرق الصوفية المضلة في العالم الإسلامي والمناهج الوافدة إلى جزيرة العرب بِما فيها من أخطار يجب أن تحذر وتتجنب.

هذه بعض أسباب وجودية سببت الانحراف عن جادة الحق والصواب

في معظم بلدان المسلمين، وهناك أسباب عدمية سأذكر بعضها فيما يلي:

١- فَقْد العلم الشرعي والمنهج السلفي والحكمة في أداء الدعوة إلى الله ممن يقومون بها في كثير من بلدان العالم الإسلامي.

٢- عدم التفكير في الموت وما بعده من الأهوال في دار البرزخ ودار القرار.

٣- فَقْد نية الجهاد في سبيل الله متى توفرت شروطه وانتفت موانعه بما تحمل كلمة الجهاد من معنى واسع بسبب الوهن الذي أُلقي في القلوب وهو حب الحياة وكراهية الموت من كثير من المسلمين.

وأما أخطار الانحراف فقد تولى الله تبيانها بقوله الحق: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه:١٢٤-١٢٧].

لعل سائلاً يقول قد عرفنا مما كتبت معنى الانحراف وأسبابه وأخطاره فبأي شيء يكون علاجه ويتم القضاء عليه ؟

وأقول -وأعوذ بالله من اللغو في القول والزيغ في الاعتقاد والعمل-: إن القضاء على الانحراف يتم -إن شاء الله- بالأمور التالية:

١- وجود الحكام المسلمين الذين يحرصون على تطبيق تعاليم الإسلام بكاملها تطبيقًا عمليًا في العقيدة والعبادة والمعاملة والآداب

والسلوك والسياسة والحكم والحرب والسلم عن قناعة في صلاحية هذا الدين ورضا بجميع توجيهاته وأحكامه، والحمد لله الذي وفق ولاة أمورنا في هذه البلاد المملكة العربية السعودية لتحكيم شرع الله المطهر والرضا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً، زادهم الله هدى وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة.

٢- وجود دعاة إلى الله في مجتمعات الأمة المسلمة على مستوى طيب من العلم والعمل والحكمة والتضحية بالنفس والمال والجاه والوقت في سبيل الله يرجون رحمة الله، ويخافون عذابه، يبدءون في دعوتهم للخلق بتصحيح العقيدة الصحيحة الَّتِي هي الغاية من دعوة الرسل حتى يكون الناس كما كان عليهم نبيهم محمد ﷺ وأصحابه الكرام من توحيد وإخلاص العبادة -بمعناها العام- لله والانقياد التام باطنًا وظاهرًا لما جاء به رسول الله ﷺ ودعا الثقلين جميعًا للدخول فيه والعمل بأصوله وفروعه مع التقيد بالضوابط الدعوية الشرعية على منهاج النبوة والخلافة الراشدة: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: من الآية ٣٠].

٣- إرشاد المسلمين عمومًا إلى قراءة وسماع الكتب الشرعية والأشرطة الإسلامية الَّتِي تسجَّل لأهل الفقه في الدين والمنهج السلفي الواضح المبين والتي فيها غذاء لأرواح العباد وحياة لقلوبهم وتنوير لبصائرهم كي يعرفوا من أين جاءوا؟ ولماذا وجدوا؟ وما المرجع والمصير؟.

٤- تنظيف المجتمعات الإسلامية بإبعاد كل وسيلة من وسائل الزيغ

والفساد الَّتِي تصد عن الحق وتضل الخلق وتحول بينهم وبين حسن التعامل مع شرع الله الشريف الذي لا حياة لمكلف بدونه.

٥- اختيار رجال التربية والتعليم بحيث يكونون من أهل النصح للمسلمين ومن أهل المعرفة بالحق والعمل به والدعوة إليه والصبر على الأذى فيه بصدق وإخلاص.

٦- إسناد أمور المسلمين عمومًا إلى ذوي الكفاءات في العلم والحزم والتقى والإخلاص والحكمة إذ لا يجوز أن يسند الأمر إلى غير أهله.

٧- العناية الخاصة بمناهج التعليم وتوحيدها في جميع الأقطار الإسلامية بحيث يكون استمدادها من الشريعة الإسلامية الكفيلة بمصالح البشرية الدنيوية والأخروية ونبذ كل ما يخالف الشريعة المطهرة.

٨- تشجيع الدعاة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وتأييدهم ودعمهم ماديًّا ومعنويًّا ومنحهم الحرية الشرعية في توجيه الأمة الإسلامية، ومعالجة أمراضها وتصحيح أخطائها بِما آتاهم الله من علم وحكمة ورحمة بشرط أن يترسموا خطى الرسل الكرام والأنبياء العظام في دعوتِهم لأممهم.

٩- اختيار رجال الإعلام سواء في الإذاعة المرئية أو المسموعة أو الصحافة والنشر بحيث يكونون من ذوي الكفاءات الدينية والثقافات الإسلامية الواسعة والغيرة على دين الله وبذل النصح لعباده مع اجتناب

نشر كل ما يضر في الخليقة في دينهم أو دنياهم إذ لا ضرر ولا ضرار.

١٠- العناية بالمساجد بحيث تكون:

أولاً: مكتملة المرافق من سكن ومكتبة علمية ودورة مياه ومواقف واسعة حولها كي يتمكن المصلون من أداء صلواتهم في بيوت الله الَّتِي أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه.

وثانيًا: اختيار الأئمة والخطباء الذين لديهم قدرات علمية وملكة خطابية مؤثرة في الجماهير على منهج السلف إذ أن هذا الصنف من العلماء هم الذين يستطيعون معالجة مشكلات المجتمع من خلال خطبهم ومحاضراتهم ودروسهم الَّتِي يجب أن تكون مستمرة في المساجد طيلة الحياة، ويوم يطرد الخرافيون والحزبيون الحركيون من إمامة الناس يفرح السلفيون أتباع الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة بنصر الله على فرج يأتي به الله إنه له كل يوم في خليقته أمر.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

س١١: ما هي الأمور الَّتِي من تَمسك بِها نَجا من عذاب الله وسعد بثوابه؟

ج: الأمور الَّتِي من تَمسك بِها نجا من عذاب الله وسعد بثوابه كثيرة لا يستطاع حصرها في هذه العجالة، غير أنني سأذكر منها أصولاً عامة تندرج تحتها جميع أعمال البر والصلاح وهي:

١- توحيد رب العالمين إذ هو الأصل العظيم الذي خلق الله من

أجل تحقيقه والعمل به والدعوة إليه الإنس والجن كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذريات:٥٦]. أي: يوحدون.

٢- الابتعاد عن الشرك قليله وكثيره، صغيره وكبيره، والبراءة من أهله إذ أن الشرك أعظم ذنب عصي الخالق به كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

وجاء عن بن مسعود أنه قال: «سئل رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم؟ قال: **أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**»[1].

٣- إقام الصلاة كما أراد الله وكما شرع رسول الله ﷺ.

٤- إيتاء الزكاة طاعة لله وأداء لحق عباد الله.

٥- صوم رمضان على الوجه الصحيح كما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

---

(١) رواه أحمد (ج١ ص٣٨٠) عن عبد الله بن مسعود، والبخاري في التفسير (ج٦ ص١٦) عن عبد الله بن مسعود وتمامه: « قلت: إن ذلك لعظيم قلت: ثم أي؟ قال: **وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك**. قلت: ثم أي؟ قال: **أن تزاني حليلة جارك**». ومسلم في كتاب الإيمان باب كون الشرك أقبح الذنوب (ج١ رقم الحديث ٨٦ ص٩٠) عن عبد الله ابن مسعود، وأبو داود في كتاب الطلاق باب في تعظيم الزنا (ج٢) رقم الحديث (٢٣١٠ ص٣٩٤) عن عبد الله بن مسعود، والترمذي في كتاب تفسير القرآن باب (٢٦ رقم الحديث ٣١٨٣ ص٣٣٧) عن عبد الله بن مسعود.

٦- أداء الحج والعمرة إذا قدر عليهما.

وهذه الأركان لا يعذر أحد بجهالتها ولا يجوز التقصير بحال فيها، إذ بالإيْمان بِها والعمل بِمقتضاها بِها يكون العبد مسلمًا، وبجحدها وتركها يكون كافرًا.

٧- الإيْمان بكل ما يجب الإيْمان به من أصول هذا الدين وفروعه إجمالاً وتفصيلاً.

٨- القيام بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ أنه وظيفة أنبياء الله ورسله ومن نَهج نَهجهم وسلك سبيلهم من العلماء العاملين والصالحين المصلحين لا على مذهب الخوارج المارقين ولا على مذهب المرجئة الخاطئين، ولا على طريق الحزبيين المعاصرين ومنهم الانتحاريون.

٩- القيام بالدعوة إلى الله لتبصير الخلق بأمر الله وتفقيههم في دين الله الذي لا يقبل منهم سواه وذلك اقتداء بإمام الدعاة محمد رسول الله ﷺ وعلى من والاه وأحيا سنّته من بعده واتبع هداه.

١٠- التزام الصدق بقسميه:

الصدق مع الله: في المتاجرة معه بفعل الطاعات وترك المعاصي؛ لأنه سبحانه قد اشترى نفوس المؤمنين منهم وهم قد باعوها بجنة عرضها السموات والأرض فمن وفّى فله من الله الجزاء الأوفى وزيادة ومن نكث فإنَّما ينكث على نفسه ولن يضر الله شيئًا.

والصدق مع عباد الله: الذي يتجلى في أداء الحقوق على اختلاف

أنواعها الحسية والمعنوية وحسن المعاملة في جميع جهاتها وشتى أحوالها وكف الأذى عنهم من قول أو فعل.

١١- الدوام على ذكر الله على الطريقة الشرعية واعتباره غذاء روحيًّا وعقليًّا وبالأخص قراءة القرآن الذي قال فيه رسول الله ﷺ: **«اقرءوا القرآن فإنه شافع يوم القيامة، اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنَّهما يأتيان يوم القيامة كأنَّهما غمامتان أو غيايتان أو كأنَّهما فرقان من طير صواف يحاجان عن أهلهما يوم القيامة. ثم قال: اقرءوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة»**[1]. وغير ذلك في هذا المعنى كثير.

١٢- حسن الْخُلق اقتداءً برسول الله ﷺ فقد كان أكمل الناس خُلقًا وخلقًا كما وصفه ربه بقوله: **﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾** [القلم:٤]. وقال عليه السلام: **«البر حسن الخلق»**.

١٣- بر الوالدين في حال الحياة وبعد الممات امتثالاً لأمر الله القائل: **﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾** [الإسراء:٢٤].

وإن البر للوالدين بعد الممات الدعاء والاستغفار لهما وإنفاذ وصيتهما والصدقة عنهما وصلة صديقيهما، فالحفاظ على ذلك بر لهما بعد موتهما.

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (ج٥ ص٢٤٩) عن أبي أمامة ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها (ج٦ ص٩٠) عن أبي أمامة الباهلي، شرح النووي.

١٤- صلة الأرحام والإحسان إليهم سواء كانوا ذكورًا أو إناثًا فإن صلة الأرحام من أجلّ صفات المؤمنين كما قال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد:٢١].

وهي من أسباب البركة في العمر والسعة في الرزق كما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من أحب أن يبسط له في رزقه ويُمد له في أجله فليصل رحمه**»(١). وليكن معلومًا أن صلة الرحم تكون بالمال عند القدرة من الواصل والحاجة منهم كما تكون بالزيارات لهم والتفقد لأحوالهم وبذل النصح لهم وأمرهم بالمعروف ونَهيهم عن المنكر ودعوتُهم إلى الله وتفقيههم في دين الله لاسيما إذا كانوا من طبقة العوام، والله المستعان.

١٥- احترام دين الإسلام الذي ارتضاه الله للناس، وذلك بتحليل ما أحل الله ورسوله وتحريم ما حرم الله ورسوله، وتطبيق جميع أحكامه في العبادات والمعاملات والأخلاق والسلوك ثم بالدعوة إليه وشرح محاسنه وإيضاح فضائله وأهدافه والأخذ على أيدي السفهاء المستخفين الذي يقعون في سب هذا الدين يسخرون منه ومن أهله وذويه وإنزال

---

(١) رواه أحمد في المسند (ج٣ ص٢٤٧) عن أنس بن مالك، والبخاري في كتاب البيوع باب من أحب البسط في الرزق (ج٣ ص٤٩) عن أنس بن مالك، ومسلم في كتاب البر والصلة والأداب، باب صلة الرحم وتحريم قطعها (ج٤ رقم الحديث ٢٥٥٧ ص ١٩٨٢) عن أنس بن مالك، وأبو داود في كتاب الزكاة باب صلة الرحم رقم الحديث (١٦٩٣ ص١٣٢، ١٣٣).

العقوبة بهم، فإما أن يثوبوا إلى رشدهم ويتوبوا إلى ربِّهم، وإما أن يقتلوا مرتدين على أعقابهم قد اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار !!.

١٦- الصبر الجميل الذي يعتبر أجل صفة من صفات الكمال إذ به تنال المطالب العالية وتحل المشاكل المستعصية، فما نجح الرسل الكرام والأنبياء العظام في دعوة أممهم إلا بالصبر، وما نال الشهداء مرتبة الشهادة فضلها إلا بالصبر على منازلة الأقران في معارك القتال، وما ظفر العلماء بجمع العلوم وفهمها إلا بالصبر على سهر الليالي وشظف العيش، وما حصل ذووا الهمم العالية والمقاصد الشريفة على غاياتهم النبيلة ومطالبهم المرضية إلا بالصبر على كل ما يواجهونه في سبيل ذلك مستشعرين معية الله لهم كما قال سبحانه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [البقرة: من الآية١٥٣] و[الأنفال من الآية:: ٤٦].

١٧- أداء الأمانة التي أمر الله أن تؤدى إلى أهلها سواء ما كان منها حق لله وما كان حق لعباد الله وذلك امتثالاً لأمر الله القائل: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ**﴾ [النساء: من الآية٥٨]. وبجانب الأمر بأدائها فقد حذر سبحانه عباده من الخيانة فيها فقال: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [الأنفال:٢٧].

١٨- التواضع ولين الجانب إذ هما من أسباب الرفعة في الحال

والمال، فمن تواضع لله رفعه، ومن تكبر على الله وضعه الله.

١٩- بذل النصيحة لله بامتثال أمره واجتناب نَهيه، وبذل النصيحة لكتاب الله بتلاوته وفهم معناه والعمل على إحياء شرعه الذي جاء به من عند ربه، وبذل النصيحة لأئمة المسلمين بالدعوة الصالحة لهم وتذكيرهم إذا نسوا وتنبيههم إذا غفلوا والسمع والطاعة في كل حال ما لَم يأمروا بمعصية الله فإذا أمروا بمعصية فلا سمع ولا طاعة لحديث: «**إنَّما الطاعة في المعروف**»(١).

وبذل النصيحة لعامة المسلمين بأمرهم بالمعروف ونَهيهم عن المنكر ودعوتُهم إلى أعمال البر والصلاح والقيام بحقوقهم خروجًا من التبعة وبراءة للذمة ونصحًا للأمة.

٢٠- الإكثار من ذكر هاذم اللذات -الموت- فإنه لا يذكر في قليل إلا كثره ولا في كثير إلا قلله. امتثالاً لوصية رسول الله ﷺ إذ قال:

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (ج١/ص٨٢) وله سبب وذلك أن النَّبي ﷺ بعث سرية واستعمل عليها رجلاً من الأنصار فلما خرجوا وجد عليهم في شيء فقال لهم: أليس قد أمركم رسول الله ﷺ أن تطيعوني قالوا: بلى. فقال: اجمعوا حطبًا ثم دعا بنار فأضرمها فيه ثم قال: عزمت عليكم لتدخلنها فهمَّ القوم أن يدخلونَها. فقال لهم شاب منهم: إنَّما فررتم إلى رسول الله ﷺ من النار فلا تعجلوا حتى تلقوا النَّبي ﷺ فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوا فرجعوا إلى النَّبي ﷺ فأخبروه فقال لهم: «**لو دخلتموها ما خرجتم منها أبدًا، إنَّما الطاعة في المعروف**». عن علي بن أبي طالب، وهو حديث صحيح.

«أكثروا ذكر هاذم اللذات -الموت- فإنه لَم يذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه عليه، ولا ذكره في سعة إلا ضيقها عليه»[1].

٢١- الإخلاص لله في جميع الأعمال من أقوال وأفعال ومعتقدات بحيث يراد بها وجه الله ونيل رضاه مع الإتيان بها على وجه الصواب وغير هذه الأمور مما يندرج تحتها كثير، من أراد تفاصيلها فعليه بكتاب ربه الذي جعله تبيانًا لكل شيء وسنة نبيه ﷺ الَّتي قرنَها الله مع القرآن في سياق الامتنان على هذه الأمة في قوله سبحانه: **﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾** [آل عمران:من الآية١٦٤].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

س١٢: ما منْزلة الدعوة إلى الله من هذا الدين السموي الحنيف؟ وكيف يجب أن تؤدى وعلى من يجب أداؤها؟ أفيدونا أثابكم الله.

ج: الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، ونصلي ونسلم على نبينا محمد إمام الدعاة إلى الله وخاتم رسل الله وعلى آله وصحبه وإخوانه.

أما بعد: فإننا نشكر الله -تبارك وتعالى- الذي جعل أمة محمد خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله،كما جعلهم أمة وسطًا ليكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليهم

---

(١) قال عنه الألباني: حديث حسن عن أبي هريرة.

شهيدًا، وجعل قدوتَهم في نبيهم محمد ﷺ المبعوث رحمة للعالمين بشيرًا لأتباعه المؤمنين، ونذيرًا لأعدائه الكافرين المستكبرين، وداعيًا إلى الله بإذنه لينذر من كان حيًّا ويحق القول على الكافرين، فهو بحق الرحمة المهداة والنعمة المسداة أرسل إلى الثقلين جميعًا فدعاهم إلى الله امتثالاً لأمره له بقوله: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [النحل: من الآية١٢٥].

وبقوله ﷻ: ﴿**يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ**﴾ [المدثر: ١-٢].

وبقوله -جل وعلا-: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ**﴾ [الحجر: من الآية٩٤].

وبقوله -تبارك وتعالى-: ﴿**يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَم تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾ [المائدة: من الآية٦٧].

ويقول ﷻ: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [يوسف:١٠٨].

ويقول ﷻ: ﴿**قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلاَّ بَلاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ**﴾ [الجن: ٢٣-٢٢]. وما في معنى هذه الآيات كثير جدًّا.

ثُمَّ إنني لأشكر هذا السائل الغيور على دينه، الحريص على ميراثه، المهتم بشان أمته وهذا خلق المؤمنين.

ألا وأن سؤاله هذا ليدل على شعور طيب يستوجب الشكر والتقدير، فله منا جزيل الشكر وعظيم التقدير، ونرجو الله لنا وله الصدق في القول

والإخلاص في العمل فإنه نعم المولى ونعم النصير.

أيها السائل الكريم: أما منْزلة الدعوة إلى الله من فرائض هذا الدين السماوي الحنيف فهي من أهم فرائضه وأعظم واجباته، إذ من أجلها أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وشرع الجهاد في سبيله وجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، ليقوم الجميع بأداء هذه الفريضة العظيمة لإقامة حجة الله على الناس وانتشالهم من شقوة الدنيا وعذاب الآخرة. وهي من فروض الكفاية الَّتي إذا قام بها البعض سقط عن الآخرين.

وأئمة الدعوة والدعاة إلى الله هم أنبياؤه ورسله فلنستمع إلى ما قصه الله علينا من نبأ نوح عليه السلام الأب الثاني بعد آدم أبي البشر فنوح أول رسول إلى أهل الأرض أرسله الله حينما فشا الشرك في قومه فعبدوا الأصنام والأوثان وتركوا عبادة الواحد الديان فقال لهم: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ [الأعراف:٥٩].

فردوا عليه قائلين: ﴿**إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ [الأعراف: من الآية٦٠].

فأجابهم: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الأعراف:٦١-٦٣].

وهكذا لَم يأل جهدًا ولَم يدخر وسعًا في إبلاغ دعوته ونشرها بين

قومه في مدة طويلة لا تقل عن تسعمائة وخمسين عامًا وهو في هذه المدة كلها كان طويل الصبر، صادق البيان واللهجة قوي الحجة نادر الشجاعة عظيم التوكل على الله يقول لقومه: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح:٢-٤].

ثُمَّ وعدهم بالإضافة إلى مغفرة الذنوب وتنسئة الآجال إن هم استجابوا لدعوته وقبلوا نصيحته وصدّقوا رسالته أن يمنّ عليهم ربُّهم بالأموال والبنين، والعيش الرغيد كما في قوله سبحانه إخبارًا عن مواصلة تلك الدعوة الخيرة: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح:١٠-١٤].

ورغم هذه الدعوة الحكيمة في الزمن الطويل، ورغم هذه الوعود الصادقة والترغيب العظيم المشتمل على البشارة بخيري الدنيا والآخرة فقد جعل القوم أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابَهم مصرّين على ما هم عليه من الكفر بالله والاستكبار عن متابعة نبي الله، فلما تبين له حال القوم وأن قلوبَهم في أكنّة مما يدعوهم إليه وفي آذانهم وقر، وخاف على الطائفة المؤمنة به أن يفتنها أولئك الكفرة الفجرة، دعا عليهم إذ أنَّهم

ليسوا أهلاً للخير ولا محلاً للصلاح، دعا عليهم بناء على الوحي الإلهي كما قص الله علينا ذلك: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦-٢٧].

سبحان الله، لا أحد أغير من الله، إذا عُصي في الأرض وانتُهكت محارمهُ أنزل بأسه على أهل الشر والفساد ولا يُرد بأسه عن القوم المجرمين، ولقد استجاب الله دعاء نبيه الصادق الأمين فأنزل عذابه بالقوم المفسدين وأنجى نوحًا ومن معه من المؤمنين كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٤) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت:١٤-١٥].

وإن أردت أيها السائل المستفيد برهانًا واضحًا ودليلاً قاطعًا على أن الأنبياء والرسل هم أئمة الدعوة وقدوة الدعاة إلى الله فاستمع إلى ما قصه الله علينا عن إبراهيم الخليل، وموسى الكليم، وعيسى عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وخاتمهم صاحب اللواء المحمود والحوض المورود والشفاعة العظمى محمد -صلى الله عليهم أجمعين-.

أمَّا إبراهيم عليه السلام فقد اتخذه الله خليلاً لصبره على ابتلاءات لَم يبتل بها أحد من البشر مجتمعة، فقد أرسل وحده إلى أمة غارقة في حمأة الوثنية وفي مقدمتهم أبوه الضال الشقي ويرأسها ملك جبار عنيد غرّه

طولُ عمره واتساع ملكه فادعى الربوبية والحاكمية لنفسه، ذلك الجبار العنيد هو النمرود بن كنعان الذي حاول في مناظرته أن يقنع إبراهيم الخليل بأنه هو الرب الذي لا رب غيره والحاكم الذي لا حاكم سواه مدللاً على ذلك بأنه يحيي ويميت فتصدى له خليل الرحمن وقذف بنور الحق على باطله فإذا هو زاهق إذ قال له ما قصه الله علينا: ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ**﴾ [البقرة: من الآية٢٥٨].

فماذا حصل ؟

﴿**فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [البقرة:٢٥٨]. ولقد ابتُلي بذبح ولده، وابتُلي بإلقائه في النار، وبمفارقة الوطن الذي ألفه برهةً من الزمن والهجرة إلى الشام وبتركه لزوجته هاجر وابنه إسماعيل بواد غير ذي زرع، والصراع المرير بينه وبين قومه يدعوهم إلى النجاة ويدعونه إلى النار، يدعونه ليكفر بالله ويشرك به ما ليس له به علم، وهو يدعوهم إلى عبادة العزيز الغفار، لقد نصح لهم ولكن القوم لا يحبون الناصحين وأوضح لهم فساد ما هم عليه من عبادة الأوثان وزين لهم عبادة الواحد الديان كما في قوله سبحانه: ﴿**وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [العنكبوت:١٦-١٧].

وإليك نموذجًا من أسلوب دعوته وطريق مناظرته لتأخذ منها

القدوة وتقتبس منها النور فتبصر الطريق وتعرف كيف تدعو الناس على اختلاف مستوياتهم وتباين مفاهيمهم.

لقد بدأ إبراهيم بالدعوة لأبيه كما قص الله علينا في سور مريم حيث قال سبحانه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم:٤١-٤٥].

هذه دعوة الابن البار الناصح الأمين، فبماذا رد عليه ذلك الأب الضال عدو رب العالمين؟.

لنسمع إلى القرآن يحدثنا عن ذلك: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم:٤٦].

وفي بدء إبراهيم في دعوته لأبيه دلالة واضحة على كمال رشده وبالغ حكمته، وهكذا أمر نبينا محمد ﷺ.

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤]. دعا رسول الله ﷺ قريشًا فاجتمعوا فعم وخص قال: **يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة ابن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم**

من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئًا»(١).

وفي هذا الموضوع بالذات يقول الشاعر:

وابدأ بأهلك إن دعوت فإنَّهم   أولى الورى بالنصح منك وأقمن
والله يأمر بالعشيرة أولاً   والأمر من بعد العشيرة هين

كما اتجه إبراهيم عليه السلام بالدعوة إلى الله إلى قومه وفي مقدمتهم الوالد الشقي فلنأخذ ذلك من سورة الشعراء، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:٦٩-٧٧].

وهكذا أخبر الله عن تلك المواجهة في سورة الصافات: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٥-٩٦].

فأخذت القوم العزة بالإثم فقالوا: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٩٧].

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب قول الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾. (ج١ رقم الحديث ٣٤٨ ص ١٩٢) عن أبي هريرة.

فأدركه الله برحمته: ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات: ٩٨].

وكتب الله النجاة والنصر لنبيه الكريم وخليله الأوّاه الحكيم، وهذه سنته مع جميع رسله وأتباعهم كما قال -عز شأنه-: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر: ٥١-٥٢].

قال -جل وعلا-: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

أما طريقته عليه السلام في الجدال بالحق والمناظرة الهادفة فنختار لك منها موقفين كما قصهما علينا القرآن الكريم:

الأول في سورة البقرة: حصل له مع الجبار النمرود الذي ادعى الربوبية وأنه يحيي ويميت، قال تعالى في عرض هذا الموقف: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ثُمَّ قال -عز شأنه- في عرض الموقف الثاني: وهو موقف محاجته لذويه وقومه: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَكَيْفَ

أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٨٠-٨١].

بهذه الطريقة المثلى دارت المناظرة، بين فريق الإيْمان وهو إبراهيم خليل الرحمن، وبين فريق الكفر والفسوق والطغيان وهم قومه حزب الشيطان، وانتهت بانتصار الفريق الأول، وهزيمة الفريق الثاني، وهذه سنة الله الَّتِي لا تبدل والطريقة الَّتِي لا تتغير والعاقبة للمتقين وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم.

وأما موسى بن عمران كليم الرحمن فإن الله -تبارك وتعالى- قد اصطنعه لنفسه ورعاه طيلة حياته واصطفاه على الناس بكلامه ورسالاته ليكون من الشاكرين، وكم من محنة قد ابتلي بها قبل النبوة وبعدها فاجتازها بقلب ثابت وثقة في الله،كان مفطورًا عليها، فلقد دعا فرعون وقومه إلى الإيْمان بوجود الله والإقرار بربوبيته وألوهيته وذلك حينما قال الله له: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (١٩) فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ [النازعات:١٧-٢٤].

كما دعاه موسى إلى الإيْمان برسالته كما قص الله علينا ذلك بقوله سبحانه: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ

مَعِيَ بَنِي إِسْرائيلَ﴾ [الأعراف:١٠٤-١٠٥]. إلى آخر آيات الحوار بين النَّبي الداعية والمدعو الشقي الطاغية.

وقد كان فرعون كثير المكر شديد الخبث كثير التمويه على قومه ليطيعوه ويتابعوه على أعظم الكفر وغاية الجحود ومنتهى الإلحاد، قال -تبارك وتعالى- مخبرًا عن مكره وخبثه وتمويهه على قومه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر:٢٦].

وقال سبحانه: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر:٢٩].

وقال ﷻ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧].

وقال -عز من قائل-: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص:٣٨].

كما أخبر القرآن الكريم عن اعتزازه -عليه لعائن الله- بما هو فيه وتحقيره من شأن النَّبي الكليم والرسول النجي موسى عليه من ربه أزكى الصلاة والتسليم، قال تعالى:﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا

قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ﴾ [الزخرف:٥٢-٥٦].

حقًّا إنَّهم كانوا سلفًا ومثلاً للآخرين وعظة وعبرة للمعتبرين.

ومما هو جدير بالإشارة أن قصة موسى مع فرعون وقومه من أكثر القصص تكرارًا في القرآن وما ذلك إلا لأنَّها تمثل الصراع بين الحق والباطل فكم من معركة احتدمت بين موسى النَّبي الداعية وبين فرعون الشقي الطاغية كانت نهايتها النصر المؤزر لحزب الله الذي يمثله موسى عليه السلام، والهزيمة النكراء لحزب الشيطان الذي يمثله فرعون وقومه وهذه سنّة الله في خلقه: **﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾** [العنكبوت: من الآية٦٩]. **﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾** [غافر:من الآية ٤٥، والآية٤٦].

وأما عيسى بن مريم عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فقد جاء إلى بني إسرائيل مصدقًا لما بين يديه من التوراة ومبشرًا برسول يأتي من بعده اسمه أحمد –وأحمد اسم من أسماء خاتم الأنبياء والرسل نبينا محمد ﷺ– ولقد قال لقومه: **﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾** [الزخرف:٦٣-٦٤].

ولقد أيده الله بمعجزة من جنس ما نبغ فيه قومه وهو طب الأجسام فإذا كان من قومه من يعالج الأجسام المريضة فتشفى بإذن الله،

فإن عيسى يحيي الموتى بإذن الله ويبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله، ثم أكرمه الله بحواريين يأخذون بسنته ويبلغونها في حال حياته وبعد رفعه إلى الله قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف:١٤].

إنّ عيسى عليه السلام كان آخر أنبياء بني إسرائيل جعله الله هدى ليبين لهم أكثر الذي هم فيه مختلفون، كما قال سبحانه مخبرًا عن حقيقته بقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف:٥٩].

وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: من الآية٦١].

لقد عالج هذا النَّبي الكريم والداعية العظيم بني إسرائيل نحوًا من معالجة موسى لهم وأراهم الله على يديه ما على مثله يؤمن البشر، فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولقد حاول الأعداء قتله فكاد الله له وجعل شَبَهه على واحد منهم فقتلوه، وأما عيسى فنجاه الله مما أرادوا به من قتل وصلب كما قال سبحانه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: من الآية ١٥٧ ومن الآية١٥٨].

وما ذلك إلا لأنه من أنبياء الله المعصومين وجنده المنصورين، والدعاة الناصحين وسينْزل في آخر الزمان حكمًا عدلاً يحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ فيكسر الصليب ويقتل الخنْزير ويضع الجزية كما ثبت

ذلك في الحديث الصحيح الذي رواه الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ﷺ عن النَّبي ﷺ أنه قال: «**ليَنْزِلن عيسى بن مريم حكمًا عدلاً فليقتلن الدجال، وليقتلن الخنْزير، وليكسرن الصليب وحتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها**»[1].

فسلام الله على عيسى السيد النَّبي الصبور وعلى أمه مريم بنت عمران ذات العفاف والطهر والكرامات الَّتي كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب، ثم سلام الله عليهما أيام حياتهما وبعد مماتهما ويوم يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ويصدر الناس أشتاتًا ليروا أعمالهم فآخذ كتابه بيمينه إلى الجنة فنعم عقبى الدار، وآخذ كتابه بشماله إلى النار وبئس المصير والقرار.

وأما من ختمت به الرسالات وأكمل الله لنا به الدين وأتم علينا به النعمة وأرسل إلى الثقلين عامة ولَم يسع أحد الخروج عن رسالته بعد بعثته، أعني أشرف الخلق وإمام الدعاة الصالحين المصلحين ورسول رب العالمين سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله الصادق الأمين فضع عصا الترحال

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (ج٢ ص٤٩٤)، والبخاري في كتاب المظالم باب كسر الصليب وقتل الخنْزير (ص ١١٨، ١١٩) ومسلم في كتاب الإيمان باب نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة محمد ﷺ (جزء ١/رقم الحديث ٢٤٢/ص ١٣٥، ١٣٦) وابن ماجه في كتاب الفتن باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم (ج٢/رقم الحديث ٤٠٧٨/ص ١٣٦٣).

وتحدث عن دعوته إلى الله بما تشاء من صدق ونصح وإخلاص وحلم وصبر وحكمة وجد واجتهاد ورحمة.

لقد بُعث ﷺ والدنيا كلها ظلام فطلع فجر نبوّته وشع نور رسالته فأشرقت الأرض بنور ربِّها وتحول ذلك الظلام إلى أنوار ساطعة تنير الطريق لمن أراد الطريق، وتقيم الحجة على من تنكب الجادّة وزاغ عن المحجّة فقد بدأ ﷺ بالدعوة السرية الفردية حتى أنزل الله عليه فاصدع بما تؤمر فأعلنها صريحة مدوية في بطحاء مكة قائلاً لأولئك المشركين إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فردوا عليه أقبح رد وأنكروا عليه أيُّما إنكار وأخذوا يتربصون به ويترصدون له ويخططون ليل نَهار للتخلص منه وإراحة الناس من دعوته كما زعموا ، وفي هذا يقول المولى الكريم: **﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾** [الأنفال:٣٠].

ورغم ذلك الكيد وتلك التجمعات والتهديد والوعيد فقد ظل ﷺ ثابتًا كالجبل الأشم بل أشد رسوخًا وثباتًا وليس أدل على ذلك من قولته الّتي حفظها لنا التاريخ: **«والله يا عم لو وضعوا الشمس في يَميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه»**[1].

يا الله ما أروع هذا الموقف وما أرفعه قدرًا، وأعظمه منهجًا لمن أراد أن يكون من أئمة الدعوة إلى الله طاعة لله –عز شأنه– ومتابعة

(١) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم بهذا المعنى.

لرسول الله ﷺ.

ولا غرابة أن يكون موقف النَّبي ﷺ كذلك وأعظم من ذلك، فهو بحق أشجع خلق الله وأتقاهم لله وأغيرهم على محارم الله -فجزاه الله عنا خير ما جزى نبيًّا عن أمته وعادلاً في رعيته- لقد مكث النَّبي ﷺ في مكة بعد البعثة ثلاثة عشرة سنة والقرآن الكريم ينْزل عليه وهو يبلغ ما أنزل إليه من ربه صابرًا على ما يناله من أذى من هنا وهناك.

ولقد كان يعرض نفسه -عليه الصلاة والسلام- على الوفود في مواسم الحج يدعوهم إلى الإسلام فيعرضون عن دعوته الخيرة ويُلحقون به صنوفًا من الأذى.

ومرة ذهب إلى الطائف يدعوهم إلى نصرته حتى يبلغ رسالة ربه فأوعزوا إلى صبيانِهم وسفهائهم فوقفوا له على جنبيّ الطريق يرمونه بالحجارة حتى أدموا عقبيه وأعجزوه عن السير، فلم يقل إلا خيرًا، وإذا أراد الله أمرًا هيأ أسبابه وفتح أبوابه، فجاء بعد ذلك وفد المدينة وكانوا سبعين رجلاً قدموا عليه في الموسم فواعدوه عند العقبة، وبايعوه على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والفقه في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعلى أن لا يخافوا في الله لومة لائم، وعلى النصرة الحقة ولهم الجنة فقبلوا ذلك مغتبطين.

وأذن الله لنبيه ﷺ في الهجرة إلى طيبة الطيبة فخرج مهاجرًا إلى الله فلما وصل المدينة النبوية بنى مسجده وأسّس مدرسته الَّتي تخرج فيها

المهاجرون والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة والذين جاهدوا في سبيل إعلاء كلمة الله فما ضعفوا وما استكانوا وكانت المعارك متوالية والحرب سجالاً بين حزب الرحمن الذي يمثله محمد ﷺ والذين معه، وبين حزب الشيطان الذي يمثله صناديد الكفر وجحافل الشر والفساد والطغيان، وسنة الله الجارية أن للباطل صولة ثم يُقمع ويضمحل حيث يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

وفي السنة الثامنة من الهجرة جاء الفتح الأعظم والنصر المبين ودخل الناس في دين الله أفواجًا وانتشرت دعوة الإسلام الى الآفاق البعيدة.

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: من الآية١٢٥].

وبالجملة: فإن جميع الأنبياء والرسل دعوتُهم واحدة ذات هدف واحد هو رد البشرية جمعاء إلى ربِّها ردًّا جميلاً وهدايتها إلى طريق الحق وإلى صراط مستقيم لتصبح البشرية ذات عقيدة إلهية صحيحة وشريعة ربانية مستقيمة.

نعم، كانوا يدعون ليخرجوا الناس من عبادة المخلوق الضعيف أيًّا كان نوعه إلى عبادة الله الخالق الرازق القوي العزيز الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ودعا ويدعو بدعوة الرسل أتباعهم ووارثو علمهم والآخذون بسنتهم قولاً وعملاً ودعوة وجهادًا وأخلاقًا وسلوكًا ألا وهم طلاب

العلم النافع وأهل العمل الصالح وأصحاب الفقه في الدين ولا غرابة أن يكونوا دعاة إلى الله.

فطلاب العلم في كل زمان ومكان هم رُوّاد التبليغ لرسالات الله، وهم قادة الخلق إلى سبيل رضوان الله وهم المصابيح الَّتي تنير الطريق لأهل الأرض فتقوى صلتهم بالله ومن أجل ذلك وُصفوا في محكم التنْزيل بالخيرية المطلقة كما قال سبحانه: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ [آل عمران: من الآية١١٠].

كما وصفوا بالعدل المطلق في قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ [البقرة: من الآية١٤٣].

وقرن ﷻ شهادتَهم بشهادته وشهادة الملائكة الكرام على أجل مشهود به وعليه توحيده -تبارك وتعالى- وكفى بذلك تشريفًا وتكريْمًا فقال -عزَّ شأنه-:﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [آل عمران:١٨].

وقد أعلن النَّبي ﷺ بيان فضلهم على غيرهم بقوله: «**فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب**»[١].

وقد جاء في الأثر: «**يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثُمَّ العلماء، ثُمَّ**

(١) هذا جزء من حديث أخرجه الترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (ج٥/رقم الحديث ٢٦٨٢/ص ٤٨، ٤٩) عن أبي الدرداء.

الشهداء»[١].

قال القرطبي -رحمه الله- عقب إيراد هذا الأثر: "فأعظم بِمنْزلة هي واسطة بين النبوة والشهادة ".

قلت: وما علت رتبتهم وارتفعت درجاتُهم إلا بأخذهم ميراث النبوة الغالي الثمين: «**إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لَم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنَّما ورثوا العلم، فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر**».

ولقد أحسن في وصفهم الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي شاعر الدعوة الإسلامية إذ يقول:

هم ناصروا الدين والحامون حوزته	**من العدو بجيش غير منهزم**
هم البدور ولكن لا أُفول لهم	**بل الشموس وقد فاقوا بنورهم**

(١) رواه ابن ماجه في سننه كتاب الزهد (باب ٣٧ ج١ رقم الحديث ٤٣١٣ ص١٤٤٣) عن عثمان بن عفان ﷺ وقد ضعف هذا الأثر بعض العلماء بسبب أحد رجال سنده وهو عنبسة بن عبد الرحمن بن عنبسة سعيد بن العاص القرشي، قال البخاري عنه: إنه منكر الحديث. وقال أبو زرعة: إنه واهٍ. انظر الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (ج٥ ص ١٩٠٠) **قلت**: إنه ليكفي في فضل العلماء وميزتهم على غيرهم من أمم الأنبياء أن الله قرن شهادتَهم بشهادة ملائكته الكرام فقال: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [آل عمران:١٨]. وحصر سبحانه خشيته على وجه التمام فيهم فقال: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾. وقد أخبر النَّبي الكريم -عليه الصلاة والسلام- عنهم أنَّهم ورثة الأنبياء في تبليغ رسالات الله إلى خلقه فقال: «**إن العلماء ورثة الأنبياء**».

لَم يبق للشمس من نور إذا أفلت ... ونورهم مُشرق من بعد رمسهم
لهـم مقـام رفـيع ليس يدركه ... من العباد سوى الساعي كسعيهم
كفاهم شرفًا أن أصبحـوا خلفًا ... لسيـد الحنفـا فـي دينه القيم

أمّا كيف يجب أن تؤدي الدعوة إلى الله فأقول لك إن الجواب على هذه الفقرة تستطيع أن تأخذه مما تقدم بيانه وإيضاحه عن كيفية دعوة أولي العزم من الرسل محمد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى -عليهم من الرب الرحيم أفضل الصلاة وأزكى التسليم- وعند الرجوع إلى ذلك وإمعان النظر سيتضح لك الأمر غاية الوضوح أنه لابد أن يراعى في الدعوة أحوال المدعوين إذ أن أساليب الداعية تختلف باختلاف حال المدعوين فتارة تكون بالخطابة على منابر الجمع لتبليغ الجماهير، وتارة تكون بالمحاضرات والندوات، ومرة تكون بالتدريس في المؤسسات التعليمية إذ هي الحقول المعدة للتربية الإسلامية وإعداد الرجال الصالحين المصلحين، ومرة تكون بتلقين العوام في أماكن تجمعاتِهم أصول دينهم وفضائل إسلامهم وإيْمانِهم، وطورًا تكون بطريقة الأسئلة والأجوبة والمناقشات الهادفة الَّتِي تصحح فيها الأخطاء وتبين فيها الطريقة السلفية السليمة المفيدة لتبليغ الدعوة إلى الله بدون إفراط ولا تفريط ولا تقصير، وتارة تكون بالجهاد في سبيل الله ضد كل من صد الناس عن الاستجابة لله ورسوله وذلك عند توفر ضوابطه الشرعية وانتفاء موانعه، فإن الله قد يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن كما قال الخليفة عثمان ﷺ، وكما

تكون الدعوة إلى الله بالقول الحسن والكلمة الطيبة، تكون بالفعل الجميل والسلوك الحسن والأدب الرفيع بحيث يكون الداعية ترجمة واقعية لما يدعو إليه إذ بذلك يستجاب له ويقبل منه ويعظم في أعين الناس وقد سئل بعض قبائل العرب عن سبب إسلامه فقال: «إني وجدت محمدًا ﷺ ما دعا إلى خير إلا كان أول الفاعلين له، ولا نَهى عن شر إلا كان أول المجتنبين له». ولقد عاب الله قومًا خالفت أفعالهم أقوالهم بقوله -عز شأنه-: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَم تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٣،٢].

وقد تكون الدعوي فردية أو جماعية وذلك كأن تختار فردًا ما وتجعل له نصيبًا من عنايتك وتقتطع له جزءًا من وقتك الثمين فتصله وتزوره في الله وتطعمه من نصائحك وتزوده من وصاياك ما يجعله راغبًا في نصائحك مشتاقًا لسماع حديثك محبًّا لمجالستك ومذاكرتك. ثم بعد ذلك يمكن أن تدعوه إلى تحقيق أمرين اثنين:

أولهما: إصلاح نفسه، وتطهير قلبه وجوارحه من رجس الشهوات والشبهات وسائر الخطايا والذنوب ولن يتأتى لنفس إصلاح، ولا لقلب تطهير، ولا لجارحة نقاء إلا بالرجوع إلى كتاب الله المبين وحبله المتين وصراطه المستقيم الذي جعله الله شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين، وبالرجوع أيضًا إلى سنة المصطفى ﷺ الَّتي جعلها الله تبيانًا لهذا القرآن ومحجة بيضاء تنير درب الخير للسالكين وترشد إلى طريق

الحق الموصلة إلى رضا رب العالمين.

ثانيهما: السعي الجاد بصدق وإخلاص وحب لإيصال الخير إلى من يرد الله أن يهديه سواء السبيل مبتدئًا بالأقرب فالأقرب إلى أن تشمل دعوته من استطاع من البشر من عرف منهم ومن لَم يعرف مستعملاً في ذلك الحكمة والرفق واللين والعطف والرحمة والحنان عملاً بقول الله: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [النحل: من الآية١٢٥].

أمَّا حكمها ففرض كفاية إذا قام به البعض من المسلمين والمسلمات سقط عن الآخرين قال الله ﷻ: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [يوسف:١٠٨] .

ففي هذه الآية الكريمة أمر الله رسوله -عليه الصلاة والسلام- أن يعلن للبشرية جمعاء أن الدعوة إلى الله طريقه ومنهجه ومنهج كل من آمن برسالته واتبع ما جاء به من عند الله، وقد قال ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**»[1].

---

(١) هذه جملة من حديث ونصه كما في مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**». المسند (ج٢ ص١٥٩)، والدارمي في المقدمة باب البلاغ عن رسول الله ﷺ وتعلم السنن (ج ١١٣٦) عن عبد الله بن عمرو. والبخاري في كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل (ج٤ ص ١٣٦) والترمذي في كتاب القلم باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل (ج٥ رقم الحديث ٢٦٦٩ ص ٤٠).

غير أن وجوبَها على العلماء أكبر إذ إن الله -تبارك وتعالى- أخذ عليهم الميثاق كي يبلغوا ما آتاهم الله من كتاب وحكمة فقال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ**﴾ [آل عمران: من الآية١٨٧].

كما توعد من شأنه الكتمان بأشد الوعيد وهددهم أبلغ تَهديد فقال -عز شأنه-: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ (١٥٩) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠].

وورد التحذير الشديد لمن كتم العلم عن الناس في السنة المطهرة فقد جاء عن النَّبي ﷺ أنه قال: «**من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار**»[1].

وسؤال الناس للعلماء بلسان الحال أكثر من سؤالهم بلسان المقال.

لذا فالواجب على كل طالب علم أن يجعل للدعوة إلى الله من أغلى أوقاته وقتًا يؤدى فيه هذه الفريضة المقدسة مهما ضاقت عليه الأوقات وكثرت لديه الالتزامات كي ينجو من عذاب الله، ويندرج في عداد من قال الله فيهم: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا**

(١) أحمد في المسند (ج٢ ص٤٩٩ و٥٠٨) وابن ماجه في المقدمة باب من سئل عن علم فكتمه رقم الحديث (٢١٦ ص٩٦).

وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣].

ويندرج في قول النَّبي ﷺ: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**»[(١)].

وفي حديث آخر: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**»[(٢)] رواه مسلم.

وكلمة أخيرة في نهاية الجواب وهي: أن الداعية إلى الله -تبارك وتعالى- الذي ترسم خطى الأنبياء والمرسلين في دعوتهم للبشر لابد أن يواجه أصنافًا من الناس قد اختلفت اتجاهاتهم وتباينت مفاهيمهم، نعم سيواجه أقوامًا يقبلون منه نصائحه الغالية ووصاياه النافعة وتوجيهاته الهادفة، يقبلون عليه بقلوبهم وجوارحهم ويقتنعون بدعوته المستقيمة

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (ج٢ ص٣٩٧) عن أبي هريرة، ومسلم في كتاب العلم باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة (ج٤ رقم الحديث ٢٦٧٤ ص ٢٠٦٠) والترمذي في كتاب العلم باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى فاتبع أو ضلالة (ج٥ رقم الحديث ٢٦٧٤ ص ٤٣) وابن ماجه في المقدمة (ج١ باب ١٤ رقم الحديث ٢٠٦ ص٧٥) وأبو داود في كتاب السنة باب لزوم السنة (ج٤ رقم الحديث ٤٦٠٩ ص ٢٠١).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (ج٤ ص١٢٠) ومسلم في كتاب الإمارة باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله (ج٣ رقم الحديث ١٣٣ ص ١٥٠٦) عن أبي مسعود وأبو داود في كتاب الأدب باب في الدال عل الخير (ج٤ رقم الحديث ٥١٢٩) والترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في الدال على الخير كفاعله (ج٥ رقم الحديث ٢٦٧١ ص ٤١).

ظاهرًا وباطنًا، ويباركون له تلك الخطوات المخلصة في سبيل الله ومثل هؤلاء يجب على الداعية أن يتخولهم بالموعظة في الأوقات المناسبة والفرص المواتية لأنَّهم هم المنتفعون بها كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس:١١].

وبجانب ذلك سيواجه أقوامًا آخرين يسخرون منه ويلمزونه في دعوته الصادقة الخالصة بالإضافة إلى الإعراض الكلي عنها وكأنَّهم ليسوا بحاجة إلى سماع ما قال الله وقال رسول الله ﷺ ولكن مهما كانت الظروف ومهما كان واقع الناس فلابد من السير في طريق الدعوة إلى الله بدون تسويف ولا تأجيل وبدون ملل ولا تكاسل ولا تقصير بل بجد دائب وعمل متواصل وعزيمة صادقة ونية صالحة خالصة تأسيًّا بالبشير والنذير والسراج المنير، وإذا كان لأرباب الحِرف والصناعات وسائل يستخدمونَها في إتقان حرفهم وصناعاتِهم وجودتِها كي تكون مرغوبة ومقبولة لدى جماهير الناس، وإذا كان لأصحاب رءوس الأموال والمعاملات التجارية طرق وأساليب يقنعون به من يعاملونَهم بيعًا وشراء وأخذًا وعطاءً كي يتحصلوا على ما قسم لهم من ربح مادي زائل، فما أحوج صاحب الدعوة إلى الله إلى اتخاذ الوسائل واختيار الطرق الَّتِي تجعل دعوته ناجحة ومثمرة في كل وقت وحين.

ولا يعزب عن البال أن خير الوسائل الشرعية لنجاح هذه الدعوة الكريمة الَّتِي تجعلها ناجحة ومثمرة هي:

أولاً: الصبر الذي يعتبر في لسان الشرع زادًا للداعية وهو سائر في

طريق دعوته إلى الله إذ إن الطريق طويل المدى والسير فيه صعب وشاق لوجود العقبات الَّتي قد تعترض سبيل الدعاة إلى الله.

وقد قسم العلماء الصبر إلى ثلاثة أقسام:

أ- **صبر على طاعة الله:** ويندرج تحت هذا القسم الأساس الأعظم من أسس العقيدة الإسلامية، ألا وهو الإيْمان بالله المتضمن الإيْمان بوجوده، والإيْمان بربوبيته، والإيْمان بألوهيته، والإيْمان بأسمائه وصفاته على الوجه الصحيح الذي هدى الله إليه الفرقة الناجية الطائفة المنصورة أهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان، كما يندرج تحت هذا القسم أيضًا كل أمر دل عليه الكتاب والسنة سواء على سبيل الوجوب أو على سبيل الاستحباب.

ب- **القسم الثاني الصبر عن معصية الله:** حيث إن النفس الأمارة بالسوء والهوى والشيطان كلها تدفع العبد إلى اقتراف المعصية وتزين له فعل السوء وتحبب إليه الوقوع في الفحشاء والمنكر والبغي ليكون من أصحاب السعير.

فإذا قوّى العبد صلته بربه واستمسك بالعروة الوثقى والحبل المتين واعتصم بالصبر الجميل فإنه ينتصر على عدوه الداخلي والخارجي في المعركة الممتدة على مدى حياته في هذه الدنيا، وقد قال ﷻ: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [البقرة:١٥٣].

وقال أيضًا: ﴿**فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً**﴾ [المعارج:٥]. وغير ذلك من الآيات كثير.

ج- **أما القسم الثالث من أقسام الصبر:** فهو الصبر على الأقدار المؤلمة الَّتي توجه إلى الإنسان البشري على وفق ما قدره الله في الأزل وذلك كالأذى الذي يناله وأسباب الهم والغم والفقر والمرض وسائر المصائب الَّتي يصاب بها العبد في نفسه أو ماله أو ذويه فإنه بحاجة ماسة إلى شحنة كبيرة من مادة الصبر يستعين بها الإنسان على الحصول على المرغوب وينجو بها من كل مكروه ومرهوب.

وقصارى القول: فما أعظم أجر الصابرين الذين صبروا ابتغاء وجه ربِّهم، وما أجزل ثوابهم عند خالقهم كما قال تعالى: ﴿**وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾ [فصلت:٣٥].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [الزمر: من الآية١٠].

وقال الشاعر:

فيا أيها الداعي إذا كنت صادقًا ... تصبر فما للصابرين سوى الربح
وخذ أسوة من رُسْل ربك وخيرهم ... محمدًا الداعي إلى العفو والصفح

أمّا إذا كان الصبر تجملاً أو خوف المسبة والعار فلا أجر ولا ثواب وإذا انتفى الأجر والثواب فلم يبق إلا الذم وسوء العذاب.

ثانيًا: الوسيلة الثانية: هي حُسن الأسلوب إذ إنه عامل أساسي يعين الداعية إلى الله على تحقيق أهدافه وبلوغ مقاصده، ولأنه من الأمور المهمة الَّتي ينبغي أن تتوفر في الداعية في حال كتابته أو خطابته ومحاضراته أو جدله ومناقشاته، فإذا تمكن الداعية من حُسن الأسلوب

وتمتع به في دعوته في جميع مجالاتِها، وشتى جوانبها، وأمسى وأصبح كالطبيب الماهر الذي يضع الدواء على مكان الداء ويصرف العلاج للمريض على أساس من الخبرة بنوع المرض وأسباب مضاعفاته.

ألا وإن حسن الأسلوب له أثره البالغ في نفوس المدعوين وله دوره العظيم في فتح قلوبِهم للخير وشرح صدورهم للصلاح والفلاح وطمأنينة نفوسهم بِما يدعون إليه من تحقيق الغاية العظمى الَّتي لها خلقوا ومن أجلها أنزلت الكتب وبِها أرسلت الرسل وفي سبيلها جاهدوا مخلصين لربِّهم، تلكم الغاية هي أن يعبدوا الله وحده، وتُحكَّمُ شريعتُه في عباده وفي جميع أرضه.

وبحسن الأسلوب جاءت آيات القرآن وإن أردت تبيان ذلك فاسمع قول الله تعالى في دعوته لخلقه: ﴿**يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ**﴾ [العنكبوت:٥٦].

وقال ﷻ: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر:٥٣].

وبِهذا الأسلوب القرآني الفذ اقتدى النَّبِي ﷺ، فقد روى أبو أمامة رضي الله عنه[1]: «أن غلامًا شابًا أتى النَّبِي ﷺ فقال: يا نبي الله، أتأذن لي في الزنا، فصاح به الناس فقال النَّبِي ﷺ: **قربوه، أدن**، فدنا حتى جلس بين يديه.

---

(١) هو: صدى بن عجلان مشهور بكنيته روى عن ا لنبي ﷺ وعمر وعثمان وعلي ومعاذ وغيرهم سكن الشام ومات بِها (سنة ٨٦) هجرية. تقريب التهذيب (ج١ ص ٣٦٦).

فقال له النَّبي ﷺ: **أتحبه لأمك**. قال: لا. جعلني الله فداك، قال: **كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم، أتحبه لابنتك**. قال له: لا، جعلني الله فداك، قال: **كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم، أتحبه لأختك** -وزاد ابن عوف أنه ذكر العمة والخالة ويقول في كل واحدة: لا، جعلني الله فداك- فوضع رسول الله ﷺ يده على صدره، وقال: **اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه**. فلم يكن شيء أبغض إليه منه -أي: من الزنا-»[١].

فانظر يا أخي هذا الأسلوب الرحيم الذي جاء به القرآن العظيم والذي كان يستعمله في دعوته النَّبي الكريم ﷺ، وحقًّا إن لنا في ذلك للأسوة الحسنة والقدوة الصالحة الرشيدة الَّتي بِها يتحقق صلاح البشر في أخراهم ودنياهم.

أما الإخلاص لله في جميع الأعمال وفي مقدمتها الدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله فهو الركن الأعظم والأصل الأصيل والشرط الأساسي في قبول تلك الأعمال كما قال سبحانه: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف: من الآية١١٠].

وكما قال -عز شأنه-: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾ [البينة:٥].

وكما قال -عز من قائل-: ﴿**قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي**﴾ [الزمر:١٤].

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (ج٥ ص ٢٥٦) وقال الحافظ العراقي: رجاله ثقات رجال الصحيح.

وكما جاء في الحديث القدسي: «**يقول الله: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**»(١).

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

س١٣: ما تعريف الغيبة، وما دليل تحريْمها من الكتاب والسنة ؟

ج: **الغيبة**: عرّفها النَّبِي ﷺ بقوله: «**هي ذكرك أخاك بِما يكره**. ولَما قيل له: أرأيت إن كان في أخي ما أقول، قال: **إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لَم يكن فيه ما تقول فقد بَهتّه**»(٢).

والدليل على تحريمها قول الله ﷻ: ﴿**وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾ [الحجرات: من الآية١٢].

ومن السنة، قول النَّبِي ﷺ: «**يا معشر من آمن بلسانه ولَم يدخل الإيْمان قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته**»(٣)(٤).

---

(١) رواه مسلم في كتاب الزهد باب من أشرك في عمله غير الله (ج٤ رقم ٤٦، ٢٩٨٥ ص ٢٢٨٩) وابن ماجه في كتاب الزهد باب الرياء والسمعة (ج٢ رقم ٤٢٠٢ ص ١٤٠٥) عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد في المسند (ج٢ ص ٣٨٦) ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الغيبة (ج٤ ص ٢٠٠١ رقم الحديث ٢٥٨٩) وأبو داود في كتاب الآداب باب في الغيبة (ج٤ ص ٢٦٩٤ رقم الحديث ٤٨٧٤) والترمذي في كتاب البر والصلة باب ما جاء في الغيبة (ج٤ ص٣٢٩ رقم الحديث ١٩٣٤) عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد في المسند (ج٤ ص ٤٢١، ٤٢٤) والترمذي في كتاب البر والصلة باب ما جاء في تعظيم المؤمن (ص ٣٧٨ رقم الحديث ٢٠٣٢) عن أبي برزة الأسلمي.

(٤) ومِمَّا **ينبغي التنبيه عليه هنا**: هو أن الرد على أهل البدع والأهواء والمجاهرين بالمعاصي لا
=

وجاء في عظيم خطرها قوله -عليه الصلاة والسلام-: **«لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم»**(١).

ولقد اعتبرها الشارع الحكيم ﷺ مظلمة كبيرة تنسف الحسنات يوم القيامة فيصبح المغتاب مفلسًا من ثواب حسناته إن كانت له حسنات كما جاء عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون له دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لَم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فيحمل عليه»**(٢).

قلت: وجدير بنا يا معشر المسلمين والمسلمات أن نشتغل بعيوب

=

يعتبر من الغيبة المحذورة إذا روعيت فيه الحكمة ورؤيت فيه المصلحة، ولا يقال: إنه تتبع للزلات وتطلع إلى كشف لعيوب والعثرات. كما لا يعتبر التحذير من الدعاة إلى البدع بألسنتهم وأقلامهم غيبة محرمة بل هو نصيحة للمسلمين لئلا تصيبهم فتن بدع المبتدعين. وقد نظم بعض العلماء الأمور المستثناة من الغيبة المحذورة فقال:

الذم ليس بغـيبة في سـتة ... متظلم ومـعرف ومـحذر
ومجاهر فسقًا ومستفت ومن ... طلب الإعانة في إزالة منـكر

قلت: وقد وردت بذلك نصوص وآثار لا تخفى على ذوي العلم بقواعد الشرع الكلية ومقاصده الحسنة فاطلبها في مواضعها.

(١) رواه أبو داود في كتاب الآداب باب في الغيبة (ج٤ ص ٢٦٩ رقم الحديث ٤٨٧٨) أنس بن مالك.

(٢) رواه البخاري في كتاب المظالم (ج٣ ص ١١٣).

أنفسنا ونصلحها، ونكفّ عن عيوب الناس، ونبذل لهم النصح إن رأينا منهم انحرافًا عن طاعة الله أو مخالفات لما جاء به رسول الله ﷺ وأن نعمر مجالسنا بذكر الله وما والاه، وأن نجتنب القيل والقال فإن في ذلك الحسرة والندامة يوم القدوم على الكبير المتعال.

*****

س١٤: ما هي النميمة، وما دليل تحريْمها من الكتاب والسنة ؟

ج: **النميمة:** هي نقل الكلام من شخص إلى شخص آخر أو من جماعة إلى جماعة أخرى على سبيل الإفساد ودليل تحريْمها قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿**وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [القصص: من الآية٧٧]. وقوله ﷻ :﴿**هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ**﴾ [القلم:١١].

ومن السنة ما روي عن النَّبي ﷺ أنه قال: «**شرار عباد الله تعالى المشاؤون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبراء العيب**»[1].

قلت: فلا غرابة ولا استبعاد أن يقال أن النمام يفسد أكثر مما يفسد

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (ج٦ ص ٤٥٩)، ولفظه عند أحمد وعن أسماء بنت يزيد أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أخبركم بخياركم.** قالوا: بلى يا رسول الله قال: **الذين إذا رأوا ذكر الله** ﷻ . ثم قال: **ألا أخبركم بشراركم المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبراء العيب**». قال الهيثمي (ج٦ ص٩٦) بعد إيراده: فيه شهر بن حوشب وقد وثقه غير واحد، وبقية الرجال أحد أسانيده رجال الصحيح.

قلت: ولمعنى هذا الحديث شواهد من الكتاب والسنة كثيرة -وقانا الله شرور أنفسنا وشر كل ذي شر ربي آخذ بناصيته-.

الساحر بسحره، فالساحر قد يفسد فردًا أو أفراد غالبًا، ولا يتعدى ضرر السحر إلى غير المسحور، بينما الوشاة النمامون يفسدون أمر الأمة أفرادًا وجماعات على اختلاف طبقاتهم لاسيما المتعارفين منهم والمتحابين وذوي القرابات ولا حول ولا قوة إلا بالله.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

س١٥: ما حكم الكذب في شريعة الإسلام؟ وما خطره على الأمة؟ وما دليل تحريْمه من الكتاب والسنة ؟

ج: الكذب حرام في شريعة الإسلام بل وفي كل شريعة سماوية سابقة بدليل قول الله تعالى: ﴿**وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً**﴾ [الإسراء:٣٦].

وقول النَّبِي ﷺ: «**وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**»[١].

---

(١) رواه احمد في المسند (ج١ ص٨) والبخاري في كتاب الأدب (ج٨ باب ٦٩) ومسلم في كتاب البر والصلة (ج٤) باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله رقم الحديث (١٠٥ ص ٢٠١٣) وأبو داود في كتاب الآداب باب في التشديد في الكذب (ج٤ الحديث ٤٩٨٩ ص٢٩٧) والترمذي في كتاب البر والصلة باب ما جاء في الصدق والكذب (ج٤ رقم الحديث ١٩٧١ ص ٣٤٧) وابن ماجه في المقدمة (باب ٧ ج١ الحديث ٤٦ ص ١٨) عن عبد الله بن مسعود.

وليس أدل على خطره من قول جبريل للنبي ﷺ: «**والذي رأيته يشق شدقه فكذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به هكذا إلى يوم القيامة**»[١].

وهناك نوع من أنواع الكذب يسمونه مزحًا، وليس في الواقع بمزح ولا تورية إذ إنه غير مطابق للواقع لا ظاهرًا ولا باطنًا، مثاله: كأن يقال لشخص تعال أعطك كذا وكذا، فإذا جاءه لَم يعطه شيئًا معتذرًا أنه إنَّما قال ذلك مزحًا، أو يقول له قدم فلان أو تحصلت على كذا وليس كذلك فهذا كله وأمثاله كذب صريح يجب اجتنابه وإقناع من يعتبره مزحًا مباحًا.

فإذا قال قائل إن النَّبي ﷺ مزح مع أصحابه، نقول له: نعم ولكنه لَم يقل إلا حقًّا مطابقًا للواقع، أو ما كان من قبيل التورية المباحة، كما روي عنه أنه قال لعجوز طاعنة في السن: «**لن يدخل الجنة عجوز**»[٢]. فلما حزنت قال لها إن الله يقول: ﴿**عُرُبًا أَتْرَابًا**﴾ [الواقعة:٣٧].

قلت: وإذا كان الأمر كذلك فلنتق الله في أنفسنا ولنمتثل قول ربنا: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة:١١٩].

ولنكن صادقين في أقوالنا وفي أفعالنا وفي معاملاتنا مع ربنا ومع الناس أجمعين والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

---

(١) حديث الرجل الذي يشق شدقه يأتي في حديث سمرة في إجابة السؤال (رقم ٢٢).

(٢) حديث: «**لن يدخل الجنة عجوز**». رواه الترمذي في الشمائل عن عبد الله بن حميد.

س١٦: لقد كثر الكلام في موضوع سماع الأغاني وآلات الطرب قديْمًا وحديثًا، والباحثون في هذا الموضوع بين محرم ومحلل، فما هو القول الحق الذي ترجحه الأدلة وتطمئن به النفوس ؟

ج: ينبغي أن يعلم أولاً أن الغناء يطلق ويراد به إنشاد الأشعار الَّتِي ليس فيها خلاعة ولا مجون وليست مصحوبة بِمزامير ولا غيرها من آلات اللهو مما يسمى بالفن الغنائي في عصرنا الحاضر، وهذا النوع أعني إنشاد الشعر البريء من الغزل والحب والغرام ونحو ذلك يكون مباحًا في حدود معينة وفي مناسبات معلومة كالعرس وقدوم الغائب ويوم العيد ولو كانت مصحوبة بضرب الدف للعرس وللنساء فقط مما يدل على سماحة هذا الدين الإسلامي الحنيف.

ويطلق الغناء ويراد به التلحين والتمطيط والتطريب والتكسير على النغمات الموسيقية وبالأشعار الغزلية الغرامية تصحبها المزامير الصارخة والطبول المصممة الَّتِي تثير العواطف وتَهيّج النفوس وتقسي القلوب وتنبت فيها النفاق، وتسبب لها الغفلة عن ذكر الله، فهذا النوع حرام والتلذذ به كبيرة من كبائر الذنوب توجب السخط والمقت من الله، وتوجب الخسف والمسخ كما جاء ذلك صريْحًا عن رسول الله ﷺ.

ومتى اطمأنت به الأمة وعمرت نواديها به ونسيت قرآنها المجيد، فاعلم أنه قد نزل بقلوبِها مسخ معنوي فانعكست عليها الحقائق وتغيرت عليها الأحوال والأمور بعد أن أصيبت البصائر، واستؤسرت الجوارح

لكل شيطان مريد، وحينئذ تبصرها إذا جاء ذكر الله وما والاه اشمأزت القلوب، وتبرمت النفوس، وضاقت الصدور، وإذا جاءت مزامير الشياطين، تفتحت الآذان وتحركت القلوب ونشطت الجوارح وانكشف ضيق الصدر الذي غشيه وعلاه عند سماع ذكر الله وما والاه.

ولن نعدو الحقيقة ولن نقول جنفًا إذا قلنا: إن هذا الصنف من الناس عبر تاريخ الحياة ينالهم نصيب من قول الله الواحد القهار: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ**﴾ [البقرة:١٧٥].

ولقد وُجّه سؤال مماثل لهذا السؤال الذي أجبت عليه لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -غفر الله له ورحمه ونفعنا بعلمه- وفيما يلي نص السؤال وجوابه.

*****

س: هل يجوز للمسلم أن يستمع الغناء والموسيقى بحجة أنّها تذاع في الإذاعة والتلفزيون ؟

ج: **فأجاب قائلاً:** "لا يجوز استماع الأغاني وآلات الملاهي لما في ذلك من الصد عن ذكر الله وعن الصلاة، ولأن استماعها يُمرض القلوب ويقسيها، وقد دل كتاب الله المبين وسنة رسوله الأمين -عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم- على تحريم ذلك.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ**

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [لقمان: من الآية٦].

وقد فسر أكثر العلماء من المفسرين وغيرهم لهو الحديث: بأنه الغناء وآلات اللهو.

وروى البخاري -رحمه الله- في صحيحه عن النَّبي ﷺ أنه قال: «**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر، والحرير، والخمر، والمعازف**»(١).

والحر: هو الفرج الحرام.

والحرير: معروف وهو حرام على الذكور.

والخمر: معروف وهو كل مسكر وهو حرام على جميع المسلمين من الذكور والإناث والصغار والكبار، يصلح المعنى بل هو من كبائر الذنوب.

والمعازف: تشمل الغناء وآلات اللهو كالموسيقى والكمان والعود والرباب وأشباه ذلك.

وفي الباب آيات وأحاديث أخرى غير ما ذكرنا، ذكرها العلامة ابن القيم في كتابه "**إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان**"، ونسأل الله لجميع المسلمين الهداية والتوفيق والعافية من أسباب غضبه.اهـ. نقلاً عن مجلة الدعوة السعودية عدد (٨٤٢ بتاريخ ٣ شعبان ١٤٠٤ هـ).

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأشربة باب ما جاء فيمن يشرب الخمر ويسميه بغير اسمه (ج٦ ص ٩٢) وتَمامه: «**ولينْزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم** -يعني: الفقير- **لحاجة فيقولون: ارجع إلينا غدًا فيبيتهم الله ويضع العلم ويَمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة**». عن أبي مالك الأشعري ﷺ.

قلت: ومن أراد الحقائق الجلية في الموضوع والأدلة الصريحة وشرح مدلولاتها ووجه الدلالة منها، فليقرأ كتاب "**تنـزيه الشريعة عن إباحة الأغاني الخليعة**" لمؤلفه الشيخ / أحمد بن يحيى النجمي -غفر الله له وزاده علمًا وهدى وبصيرة وتقوى- والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

* * * * *

س١٧: ما أوثق عرى الإيمان؟ وما حكم من يواد المفسدين الأشرار بحكم القرابة أو الصحبة لطمع في مال أو جاه أو نحو ذلك؟

ج: أوثق عرى الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله، والموالاة في الله، والمعاداة فيه، وأما حكم مودة المفسدين الأشرار فهو حرام بنص القرآن الكريم والسنة المطهرة، قال تعالى: ﴿**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيْمان وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْه**﴾ [المجادلة: من الآية٢٢].

وجاء في الحديث: «**لعن الله من آوى محدثًا**»[١]. والمراد بالمحدث:

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (ج١ ص١٠٨، ١١٧، ١٥٢) عن علي، ومسلم في كتاب الأضاحي باب تحريم الذبح لغير الله (ج٣ رقم الحديث ٤٣،٤٥) عن علي ﷺ ونصه: عن أبي الطفيل قال سئل علي ﷺ خصكم رسول الله ﷺ بشيء. فقال: ما خصنا رسول الله ﷺ بشيء لَم يعم به الناس كافة إلا ما كان في قراب سيفي هذا. قال: فأخرج صحيفة مكتوب فيها: «**لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من سرق من منار الأرض**» وفي رواية من غير: «**لعن الله من لعن والد**». وفي رواية: «**والديه ولعن الله من آوى محدثًا**».

تارك الصلاة ومرتكب المآثم الَّتِي تغضب الله ورسوله وعباده الصالحين.

ومن هذا المنطلق الحق انطلق رسول الله ﷺ فكم من مال وفير وجاه عريض ومتعة مغرية قد عرضت على رسول الله ﷺ[1] ليتوقف عن دعوة الخلق إلى سبيل الحق وليسكت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لينال رضى صناديد قريش ذوي القربى والجاه والنسب، فرفض باطلهم وقطع دابرهم على نور من الله، وأبى إلا أن يكون الحب في الله، والبغض في الله، والجهاد في سبيل الله حتى تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين، والعاقبة للمتقين.

* * * * *

س١٨: ما خير المجالس وما شرها ؟

ج: مجالس الخير كثيرة ومتنوعة أذكر منها ما يلي:

١- الجلوس في المساجد إذ إنَّها خير البقاع في الأرض، ولأنَّها بيوت الله التي أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه وقد ألزمنا الله تعالى بالصلاة فيها جمعة وجماعة إلا من عذر شرعي كالمرض والمطر ونحو ذلك مما يعتبر عذرًا مقبولاً في شريعة الإسلام وفي هذا الإلزام دلالة قاطعة أنَّها خير البقاع والجلوس فيها لذكر الله وطاعته من خير المجالس ومما يؤكد

---

(١) وردت قصة هذا العرض في كتب كثيرة وبأسانيد وفيرة غير سليمة من الضعف، انظر السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء (ج١ ص ١٦٢).

خيرتُها أن الله مدح عُمَّارها وأثنى عليهم ووصفهم بالخشية والهداية والإيمان حيث قال ﷻ: **﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَم يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾** [التوبة:١٨].

وجاء في الحديث الصحيح عن النَّبي ﷺ: **«ما جلس قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»**(١).

قلت: وكفى بذلك شرفًا وفضلاً لعمار المساجد بذكر الله وطاعته وتلاوة كتابه الذي وصفه من أنزله بالحسن والجودة والكمال فقال: **﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾** [الزمر: من الآية٢٣].

نعم؛ كفى بذلك فضلاً ونعمة وإحسانًا إليهم حيث أن هذه

---

(١) هذا قطعة من حديث رواه مسلم وغيره ونصه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له به طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لَم يسرع به نسبه»**. رواه أحمد في المسند (ج٢ص٢٥٢) عن أبي هريرة بلفظه ومسلم في كتاب الذكر والدعاء باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر (ج٤ رقم الحديث ٢٦٩٩ ص ٢٠٧٤).

الخصال الَّتِي أكرموا بِها وهم في بيوت الله لا تُنال في غيرها من مجالس الدنيا الَّتِي تزاول فيها أعمال أخرى من متاع الحياة.

يا الله، ما أجمل مجالس الذكر وما أحرى المسلمين باعتيادها ليتعرضوا لنفحات ربِّهم فإن له في الليل والنهار نفحات ومن هذه النفحات السكينة الَّتِي تتنَزل على القلوب فتنيرها بالإيْمان وتصقلها من درن الخطايا والذنوب حتى تكون كالمرآة إضاءة وصفاء وحينئذ يتسرب النور منها إلى الجوارح كلها فتظل منقادة لأمر ربِّها تمشي سويًّا على صراط مستقيم، ومنها رحمة تتنَزل من غفور رحيم، وما أشد حاجة المخلوقين إلى رحمة الله الَّتِي وسعت كل شيء وعمت كل حي وبالأخص الرحمة الَّتِي كتبها سبحانه للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياته يؤمنون، الذين يتبعون الرسول النَّبِي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته ومنها ملائكة كرام سياحون في الأرض يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلسًا يذكر فيه الله سبحانه نادى بعضهم بعضًا هلموا إلى حاجتكم فيحفون ذلك المجلس من جميع جوانبه حتى يبلغوا عنان السماء ومنها ثناء الله الحسن وذكره الجميل لمن ذكره من خلقه فإنه يذكره في عالم طاهر لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون.

ولقد أدرك أصحاب رسول الله ﷺ ومن نَهج نَهجهم قدر هذه الفضائل والنفحات فكانوا يحرصون على مدارسة القرآن الكريم في المساجد وصنع الحلقات الَّتِي يتلقون فيها العلوم الشرعية في عباداتِهم

ومعاملاتهم وأخلاقهم وسلوكهم، حتى بلغوا في تلمس الذكر غاية تدل على مدى معرفتهم لشرفه وفضله فقد أُثر عنهم أنّهم كانوا يلتقون في الأسواق فيقول بعضهم لبعض: "تعال بنا نؤمن ساعة" ما هذا؟

إنه الحرص على حب الله وتقوية الصلة، به إنّها الرغبة في استثمار الوقت لئلا يذهب تقصيًا في جنب الله، إنّها اليقظة الّتي تحارب الهوى والشيطان وتَهزمها في معترك هذه الحياة، فاللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك إنك خير مسئول وأعظم معين.

٢- مجالس أهل العلم النافع والعمل الصالح، والزهد والتقوى الذين يعينونك إذا ذكرت ويذكرونك إذا نسيت ويبذلون لك النصح إذا استنصحت وتكتسب منهم الأخلاق الحسنة والآداب العالية الرفيعة: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِه**﴾ [الأنعام: من الآية٩٠].

٣- مجالسة قوم يحتاجون إلى علمك ويتفقهون في دين الله على يديك ويقبلون نصائحك الغالية ووصاياك النافعة وتوجيهاتك الهادفة الّتي تحقق لهم الغذاء الروحي وتذهب عنهم داء الجهل فتظفر بأجر تعليمهم ودلالتك لهم على الطريق السوي إذ إن: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**». كما صح بذلك الحديث عن النّبي ﷺ[(١)].

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (ج٤ ص ١٢٠، ج٥ ص ٢٧٢، ٢٧٣) ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة باب الغازي في سبيل الله (ج٣ رقم الحديث ١٨٩٣ ص ١٥٠٦) عن أبي سعيد الأنصاري.

٤- مجالسة كتاب تنهل مما دُوِّن فيه من علوم الشريعة الإسلامية في مختلف فنونها أو علوم التاريخ الصادق المجيد المشتمل على قصص أنبياء الله ورسله مع أقوامهم والمشتمل على ذكر أقوام نذروا أنفسهم لله فخاضوا معارك الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، ولتكون العزة والنصرة لله ولرسله وللصالحين من عباده، وبالأخص الكتب الَّتي دُوِّن فيها تاريخ الدعوة المحمدية وما تضمنت من غزوات موفقة عُقدت فيها ألوية الحق بأيدي أبطال هذه الأمة وأفذاذ مجاهديها من المهاجرين والأنصار الذين أثنى الله عليهم ورضي عنهم إذ قال سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال أيضًا: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِي وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِم رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١١٧].

وقال -جل وعلا-: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]. وما في معنى ذلك من الآيات الَّتي سجل فيها الثناء الجميل الحسن لأولئك الصفوة الذين اجتباهم ربُّهم وهداهم إلى صراط مستقيم.

فاللهم اجعلنا ممن أخبرت عنهم بقولك الفصل: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ

بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيْمان وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠].

أما شر المجالس فتتلخص فيما يلي:

١- مجالس الغفلة عن ذكر الله والاشتغال بالقيل والقال وانتهاك الأعراض والتلذذ بذكر مساوي الغير من الأحياء والأموات ممن لا يجوز اغتيابُهم ولا سوء الظن بهم فإن ذلك كله يوجب السخط من الله الذي يغار إذا انتهكت محارمه، ولقد جاء في التحذير من الغفلة قوله سبحانه خطابًا للنبي ﷺ وأمته تبع له في ذلك: ﴿**وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ**﴾ [الأعراف: من الآية٢٠٥].

وقد ثبت في الحديث عن النَّبِي ﷺ أنه قال: «**ما جلس قوم مجلسًا فتفرقوا عن غير ذكر إلا تفرقوا عن مثل جيفة حمار وكان ذلك المجلس عليهم حسرةً يوم القيامة**»(١). هذا لفظ أحمد وإسناده صحيح.

وثبت أيضًا قوله -عليه الصلاة والسلام-: «**كل المسلم على المسلم حرام دمه، وعرضه، وماله**»(٢).

---

(١) رواه الأمام أحمد في المسند (ج٢ ص٥١٥، ٥٢٧) وأبو داود في كتاب الأدب باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله (ج٤ رقم الحديث ٤٨٥٦،٤٨٥٥، ٢٦٤) رواه الترمذي في كتاب الدعاء باب في القوم يجلسون ولا يذكرون الله (ج٥ رقم الحديث ٣٣٨٠ ص ٤٦١) عن أبي هريرة مع اختلاف في بعض ألفاظه.

(٢) هذا جملة من حديث طويل حفظ عن النَّبِي ﷺ في حجة الوداع عن ابن عباس وغيره، رواه أحمد في المسند (ج١ ص ٢٣٠)، وفي مواضع أخر، ورواه الدارمي في كتاب =

وأما القيل والقال فقد كرهه الله لعباده كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا: يرضى لكم أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاّه الله أمركم، ويكره لكم ثلاثًا: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»[1].

٢- مجالس الأشرار الذين يحرضون على اقتراف المعصية ويثبطون عن الطاعة ولقد ضرب لهم النبي ﷺ أسوأ المثل تنفيرًا من مجالستهم فقال: «**ومثل جليس السوء كنافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه رائحة كريهة**»[2] أو كما قال ﷺ.

٣- مجالس العاكفين على آلات اللهو والطرب على اختلاف أنواعها

=

المناسك باب الخطبة يوم النحر (ج٢ ص ١٢٦٧)، والبخاري في كتاب العلم باب يبلغ العلم الشاهد منكم الغائبَ (ج١ ص٢٧)، ومسلم في كتاب الحج باب حجة النبي ﷺ (ج٢ رقم الحديث ٤٧ ص ٨٨٦) وما بعدها، والترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء في دمائكم وأموالكم عليكم حرام (ج٤ رقم الحديث ٢١٥٩ ص ٤٦٣)، ورواه ابن ماجه في كتاب المناسك باب الخطبة يوم النحر (ج٢ رقم الحديث ٣٠٥٥ ص ١٠١٥).

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (ج٢ ص٣٦٧) ومسلم في كتاب الأقضية باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة (رقم الحديث ١٧١٥ ص١٣٤٠).

(٢) رواه البخاري في كتاب الذبائح والصيد باب الإمارة، ومسلم في كتاب البر والصلة باب استحباب مجالسة الصالحين (رقم الحديث ٢٦٢٨/ ص ٢٠٢٦/ج ٤).

مما يسمى بالفن الغنائي في عصرنا الحاضر وكذا العكوف على لعب النرد والشطرنج وبلوت الورق ونحوها فإن ذلك كله من شيم أهل الجهل والفسق والضلال، أما من أيقن واقتنع بأن الأوقات نعمة من الله وهبت للعبد ليستثمرها في طاعة مولاه فلا يمر به وقت إلا وقد حرص أن يقدم لنفسه رصيدًا من الصالحات في صندوق العمل الذي يقربه إلى الله زلفى يوم يلقاه فيجزيه الجزاء الأوفى فيسعد بجنته ونيل رضاه.

ولعمر الله لو أننا معشر المسلمين جعلنا نُصب أعيننا وفي أحاسيسنا وقلوبنا قول نبينا الكريم -عليه من ربه أفضل الصلاة وأتم التسليم-: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن علمه ماذا عمل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه**»[1].

ولو تأملنا هذا الموقف الحق الرهيب تأمل العقلاء، تأمل الأتقياء، تأمل الخائفين الوجلين: ﴿**الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ**﴾ [المؤمنون:٥٧-٦٠]. لكان لنا مع أنفسنا شئون ترضي الله.

نعم؛ لو تأملنا تأمل أولئك الأخيار لاتقينا الله في مدخلنا ومخرجنا

(١) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة باب في القيامة (ج٤ رقم الحديث ٢٤١٧، ص ٦١٢) عن أبي برزة، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وفي أقوالنا وأفعالنا وجميع معاملاتنا وكل تصرفاتنا في هذه الحياة، ولكن غزا القلوب عدوها فتحجرت، وغزا النفوس فنعق بها فاستجابت له فلهت وغفلت ولسوف تعلم ما قدمت وأخرت، وغزا الجوارح كلها فجرى فيها مجرى الدماء في العروق فتقاعست عن أداء وظائفها وتثاقلت وكأنها لَم تسمع صيحة الناصح الأمين رسول رب العالمين وهو يقول محذرًا ومنذرًا: «**والله لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرًا، ولضحكتم قليلاً، ولما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى**»[1]. أو كما قال ﷺ.

وما أرى إلا العكس قد حصل فقد كثر الضحك ونفد البكاء واشتغل الناس بجميع أنواع الملاذ وآثروا الحياة الدنيا، وقلّ الخوف، وعمت الغفلة، وطال الأمل واتبع الهوى وكأنَّهم لَم يعلموا أن الآخرة عند الله خير وأبقى.

هذا حال الناس وواقعهم اليوم -إلا من رحم ربك منهم وقليل ما هم- فإلى الله لا إلى غيره المشتكى.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (ج٢ ص٢٥٧، ٤١٨) والترمذي في كتاب الزهد باب: قول النَّبي ﷺ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً (رقم الحديث ٢٣١٣ ص ٥٥٦، ٥٥٧) عن عائشة والدارمي في كتاب الرقائق باب لو تعلمون ما أعلم (ج٢ ص٣٠٦) عن أنس بن مالك، والبخاري كتاب الكسوف باب الصدقة (ج٢ ص ٣١) عن عائشة وابن ماجه في كتاب الزهد باب الحزن والبكاء (ج٢ رقم الحديث ٤١٩٠ ص ١٤٠٢) عن أبي ذر.

س١٩: ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة ذكر مشاهد يوم القيامة والمطلوب الحديث عنها كي يعلم الجاهل ويتنبه الغافل ويستيقظ النائم.

ج: مشاهد القيامة كثيرة ومتنوعة أذكر منها ما يلي:

المشهد الأول: وقوف الناس في عرصات القيامة في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر قد ألجمهم العرق على قدر أعمالهم وهم ينتظرون ربَّهم ليفصل بينهم، ولا يتأتى لهم ذلك حتى يشفع فيهم محمد خاتم الرسل وسيد ولد آدم وصاحب الحوض المورود والشفاعة العظمى واللواء المحمود ﷺ كما أتى ذلك مفصلاً في حديث استشفاع الخلائق بالأنبياء والرسل، فقد جاء في الصحاح والسنن عن أبي هريرة رضي الله عنه[1] قال: «أُتِيَ النَّبِي ﷺ يومًا بلحم قال: فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نَهسة ثم قال: أنا سيد الناس يوم القيامة، هل تدرون بِمَ ذاك؟! **يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم. فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم. فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من**

---

(١) أبو هريرة: عبد الرحمن بن صخر الدوسي على الأصح في اسمه قدم مع قومه في السنة السابعة من الهجرة لازم النَّبي ﷺ وكان يحفظ ما لا يحفظ غيره لذا كان أكثر الصحابة حديثًا مات في آخر خلافة معاوية (سنة ٥٨ أو ٥٩) الإصابة (٤/ ٢٠٠).

روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا. فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لَم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه كان نَهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبدًا شكورًا اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا. فيقول نوح: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لَم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله إنه كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم. فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا عند ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لَم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى فيقولون: يا موسى اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا فيقول لهم: موسى، إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لَم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قتلت نفسًا لَم أومر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى. فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله كلمت الناس في المهد وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه،اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا. فيقول لهم عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لَم يغضب قبله مثله ولَم يذكر له ذنبًا، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى

مُحمَّد. فيأتون فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا. فأنطلق حتى آتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي ﷻ، ثم يفتح الله عليّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لَم يفتحه لأحد من قبلي ثم يقول: ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي، ثلاث مرات، فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيْمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لَكَمَا بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى»[1].

قلت: ولحديث الشفاعة طرق متعددة بألفاظ متقاربة وفي بعضها زيادة عما في الحديث المذكور -والله أعلم-.

المشهد الثاني: نشر الدواوين ونصب الموازين فتوزن الحسنات والسيئات: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة:٦-١١].

ثُمَّ يأخذ كل واحد كتابه الذي سطر فيه عمله فآخذ بيمينه إلى

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير باب ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا، عن أبي هريرة (ج٦ ص٧٠)، ومسلم في كتاب الإيْمان باب: أدنى أهل الجنة منْزلة فيها (رقم ٣٢٧ ج١ ص ١٨٤) وما بعدها.

الجنة وهم السعداء وآخذ كتابه بشماله إلى النار وهم الأشقياء قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (١٤) بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ [الإنشقاق:٧-١٥].

المشهد الثالث: العبور على الصراط وهو الجسر الذي ينصب على متن جهنم فتعبره الخلائق على قدر أعمالها، وتقتسم أنوارها كذلك، قال ﷻ : ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم:٧١].

والورود: هو المرور على الصراط، وجاء في حديث أبي سعيد الخدري[١] الذي يقول فيه: «قلنا: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: **مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان، يَمر المؤمن عليها كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب فناج مُسَلَّم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم حتَّى يَمر آخرهم يسحب سحبًا**»[٢] الحديث.

---

(١) هو: سعيد بن مالك بن سنان كان من فضلاء الصحابة وكان يوم أحد صغيرًا فرده النَّبي -عليه الصلاة والسلام- لذلك، وشهد ما بعدها توفي سنة أربع وستين، وقيل: سنة خمس وستين، الإصابة (ج٢ ص ٣٦)، صفة الصفوة (ج١ ص ٧١٤).

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيْمان باب معرفة طريق الرؤية (ج١ رقم ٣٠٢ ص١٦٧) وما بعدها عن أبي سعيد الخدري، والترمذي في كتاب صفة الجنة (باب ٢٠ ج ٤ رقم ٢٧٥٧ ص٦٩١) عن أبي سعيد الخدري.

المشهد الرابع: مشهد الوقوف على القنطرة بين الجنة والنار ليتم القصاص في المظالم الّتي كانت بين الخلائق في الحياة الدنيا، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخلص المؤمنون من النار فيسحبون على قنطرة بين الجنة والنار فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذّبوا ونُقُّو أذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بِمنْزله في الجنة منه بِمنْزله كان في الدنيا**»[١].

ويزيد هذا المعنى تأكيدًا حديث عبد الله بن أنيس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الله الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بُهمًا**. قلت: وما بُهمًا؟ قال: **ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعُد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقضيه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وله عند رجل من أهل النار حق حتى أقضيه منه حتى اللطمة**. قال: قلنا كيف؟ وإنما نأتي الله يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بُهمًا. قال: **بالحسنات والسيئات**»[٢].

وثبت عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لتؤّدن الحقوق إلى أهلها حتَّى تقاد الشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»[٣]. وغير ذلك في هذا الباب كثير.

---

(١) رواه البخاري في كتاب المظالم باب (٢) عن أبي سعيد الخدري في المسند (ج٣ ص١٣، ٥٧)، ورواه ابن ماجه في المقدمة (باب ٩ ج١ ص٢٢).

(٢) رواه مسلم في المظالم باب تحريم الظلم (ص١٣٦) بشرح النووي.

(٣) رواه أحمد في المسند (ص٧٢) مقتصرًا على بعض ألفاظه عن أبي هريرة، ورواه مسلم في كتاب البر والصلة كتاب الآداب باب تحريم الظلم (ج٦ ص١٣٦) بشرح النووي.

قلت: وإنه لجدير بكل مسلم ومسلمة يؤمنون بالغيب الذي منه هذه المشاهد العظيمة والمواقف الرهيبة أن يعدوا لها العدة النافعة والزاد المفيد ليجتازوها بسلام وأمان وسكينة واطمئنان، ولن يتم ذلك لهم إلا إذا شمروا عن ساعد الجد وطرقوا أبواب الخير والعمل الذي يقربَهم إلى الله زلفى، وأن يستحضروا دائمًا في كل وقت وحين هذه المشاهد وغيرها مما أخبر الله به ورسُوله أنه سيكون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

حقًّا إنه لجدير بكل مسلم ومسلمة أن يتقوا الله ربَّهم فيؤدوا فرائضه ويجتنبوا حماه ويقوموا بحقه وحق عباده على الوجه الذي يريده منهم، كما ينبغي لهم أن يكثروا من الدعاء، فالدعاء هو العبادة وأن يعلنوا فعلاً الانكسار بين يديه فهو الذي يقيل العثرات ويغفر الذنوب ويستر العورات ويبدل سيئات التائبين إليه حسنات، وليعلم المسلم أن لربه ﷻ نفحات لاسيما في الأوقات المباركات وذلك كأدبار الصلوات وجوف الليل حين ينْزل الرب إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه سؤاله؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ حتى يبرق الفجر، وغير ذلك من الأوقات المباركات.

* * * * *

س٢٠: ما معنى قول الله ﷻ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]؟.

ج: **قال علماء التفسير -يرحمهم الله- في ذلك:** ما يتكلم ابن آدم من خير أو شر إلا لديه ملك يرقب قوله ويكتبه، وقد ثبت من حديث بلال ابن الحارث المزني ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه**». فكان علقمة الراوي عن الحارث يقول: "كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث"[1].

ومن هذا المنطلق الحق فإن الواجب على الإنسان أن يحسب لكل كلمة يتكلم بها حسابًا بالنظر فيها قبل الكلام وأن يزن جميع تصرفاته بميزان الشرع الشريف قولاً وفعلاً وعملاً جاعلاً هذه النصوص نُصب عينيه وفي جميع مشاعره وأحاسيسه طيلة حياته علها تكون حياة مباركة طيبة في هذه الحياة، وفي عيشة راضية في جنة عالية في جوار الله.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) رواه أحمد في المسند (ج٣ ص٤٦٩)، والترمذي في أبواب الزهد، باب ما جاء في قلة الكلام، (رقم ٢٤٢١) وقال حسن صحيح ولـه شاهد في الصحيح في كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان (١٢٥/٨)، بواسطة ابن كثير طبعة الشعب (ج٧ ص٣٧٧).

س٢١: ماذا تعرف عن حال الميت في قبره بعدما ينصرف عنه أهله ومشيعوه؟

ج: أما المؤمن فعندما يوضع في قبره وينصرف عنه أهله ومشيعوه، يعيد الله إليه روحه الطيبة ويحييه حياة حقيقية برزخية فيأتيه ملكان أحدهما منكر والآخر نكير فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: من هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان: وما عملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي منادٍ في السماء أن صدق عبدي فأفرشوه في الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد البصر ثم يأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد فيقول: من أنت فوجهك الذي يأتي بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي فيكون قبره روضة من رياض الجنة، وهذا معنى قول الله ﷻ : ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**﴾ [إبراهيم: من الآية٢٧].

وأما الكافر أو المنافق فإذا وضع في قبره وتفرق عنه مشيعوه أتاه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان: من

هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فينادي منادٍ من السماء أن كذب عبدي فأفرشوه من النار وافتحوا له بابًا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويُضيَّق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول له: أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة، ثم يقيض له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان ترابًا، فيضربه ضربة فيصير ترابًا ثم يعيده الله ﷻ كما كان فيضربه أخرى فيصيح صيحة يسمعه كلُّ شيء إلا الثقلين»[1] الحديث.

فنعوذ بالله من موجبات الغضب، وسوء المنقلب.

* * * * *

س٢٢: أين مستقر الأرواح بعد مفارقتها للأبدان وانتقالها للحياة البرزخية ؟

ج: الأرواح متفاوتة أعظم التفاوت في البرزخ:

١- **ومنها**: أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى وهي أرواح الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النَّبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (ج٤ ص٢٨٧، ٢٨٨) عن البراء بن عازب، وأبو داود في كتاب الجنائز باب الجلوس عند القبر (ج٤ ص٣٣٧).

٢- **ومنها:** أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت[١]، وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره، كما جاء في مسند الإمام أحمد عن محمد بن عبد الله بن جحش أن رجلاً جاء إلى النَّبي ﷺ فقال: «يا رسول الله، ما لي إن قتلت في سبيل الله؟ قال: **الجنة**. فلما ولى قال: **إلا الديْنَ سارَّني به جبريل آنفًا**»[٢].

٣- **ومنها:** أرواح محبوسة على باب الجنة كما جاء في الحديث الآخر: «**رأيت صاحبكم محبوسًا على باب الجنة**»[٣].

٤- **ومنها:** أرواح محبوسة في قبورها تعذب مع أجسادها كحديث صاحب الشملة الَّتِي غلها أي: سرقها من الغنيمة قبل أن تقسم ثم استشهد، فقال الناس هنيئًا له الجنة، فقال النَّبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده إن الشملة الَّتِي غلها لتشتعل عليه نارًا**»[٤].

---

(١) وهكذا أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت كما ثبت بذلك النص الصحيح عن النَّبي ﷺ رواه أحمد في المسند (ج٦ ص٣٨٦) عن ابن كعب بن مالك عن أبيه.

(٢) رواه أحمد في المسند (ج٤ ص١٤٠) عن عبد الله بن جحش عن أبيه، ومسلم في الإمارة (رقم ١٨٨٥).

(٣) رواه أحمد في المسند (ج٥ ص١١).

(٤) رواه الدارمي في كتاب الجهاد باب ما جاء في الغلو من الشدة (ج٢ ص٢٣٠)، والبخاري في المغازي باب غزوة خيبر (ج٥ ص١١٤)، ومسلم في كتاب الإيمان (ج١ رقم ١١٥).

٥- ومنها: أرواح يكون مقرها في باب الجنة كما في حديث ابن عباس رضي الله عنه: «**الشهداء على بارق نَهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية**»(١).

٦- ومنها: أرواح محبوسة في الأرض لَم تصل إلى الملأ الأعلى لأنَّها كانت أرواحًا سفلية أرضية وهي لا تجامع الأرواح العلوية السموية إذ إنَّها لا تساويها في الدنيا فكذلك في البرزخ والدار الآخرة.

٧- ومنها: أرواح تكون في تنور الزناة والزواني وأرواح في نَهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة كما في حديث سمرة بن جندب الطويل حيث قال: «كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقوله لأصحابه: **هل رأى أحد منكم من رؤيا؟** فيقص عليه ما شاء الله أن يقص، وإنه قال لنا ذات غداة: **إنه أتاني الليلة آتيان وإنَّهما قالا لي: انطلق، وإني انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه، فيثلغ رأسه، فيتدهده الحجر هاهنا، فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل في المرة الأولى قال: قلت لهما سبحان الله! ما هذا؟ قالا لي: انطلق فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق لقفاه وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد، وإذا هو يأتي أحد شقي وجه فيشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، ثم**

(١) رواه أحمد في مسنده عن ابن عباس (ج١ ص٢٦٦)، وهو حديث حسن، انظر صحيح الجامع (ج٣ ص٢٣٧).

يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل في المرة الأولى، قال: سبحان الله! ما هذان؟ قالا لي: انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على مثل التنور فأحسب أنه قال: فإذا فيه لغط وأصوات فاطلعنا فيه فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضئوا قلت: ما هؤلاء؟ قالا لي: انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على نَهر حسبت أنه كان يقول أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجل سابح يسبح وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة، فيفغر له فاه فيلقمه حجرًا فينطلق فيسبح ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجرًا قلت لهما: ما هذان؟ قال لي: انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة أو كأكره ما أنت راءٍ رجلاً مرأى فإذا هو عنده نار يحشمها ويسعى حولها، قلت لهما: ما هذا؟ قالا لي: انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على روضة معتمة فيها من كل نور الربيع، وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء وإذا حول الرجل من أكثر ولدان ما رأيتهم قبل قلت: ما هذا؟ وما هو؟ قال: انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا إلى دوحة عظيمة لَم أر دوحة قط أعظم منها ولا أحسن! قالا لي: ارق فيها فارتقينا فيها إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها، فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راءٍ! وشطر منهم كأقبح ما أنت راءٍ قالا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر وإذا هو نَهر معترض يجري كأن ماءه المحض البياض، فذهبوا فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب

ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صور قال: قالا لي: هذه جنة عدن وهذاك منْزلك فسما بصري صُعُدًا فإذا قصر مثل الربابة البيضاء قالا لي: هذاك منْزلك؟ قلت لهما: بارك الله فيكما، فذراني فأدخله قالا: أما الآن فلا وأنت داخله قلت لهما: فإني رأيت منذ الليلة عجبًا؟ فما هذا الذي رأيت قالا لي: أمّا إنا سنخبرك: أمّا الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة، وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق، وأما الرجال والنساء العراة الذين هم في مثل بناء التنور فإنّهم الزناة والزواني، وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجارة فإنه آكل الربا، وأما الرجل الكريه المرآه الذي عند النار يحشها ويسعى حولها فإنه مالك خازن جهنم، وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة -وفي رواية البرقاني: ولد على الفطرة-. فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: وأولاد المشركين، وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فإنّهم قوم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا تجاوز الله عنهم» رواه البخاري.

وفي رواية له: «رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني إلى أرض مقدسة». ثُمَّ ذكره وقال: «فانطلقنا إلى نقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع، يتوقد تحته نارًا فإذا ارتفعت ارتفعوا حتى كادوا أن يخرجوا فإذا خمدت رجعوا فيها وفيها رجال ونساء عراة. وفيها: حتى أتينا على نهر من دم -ولَم

يشك- فيه رجل قائم على وسط النهر وعلى شط النهر رجل وبين يديه حجارة فأقل الرجل الذي في النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه فردّه حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج جعل يرمي في فيه بحجر فيرجع كما كان. وفيها: فصعدا في الشجرة فأدخلاني دارًا لَم أر قط أحسن منها، فيها رجال شيوخ شباب. وفيها: لذي يشق شدقه فكذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة. وفيها: الذي رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولَم يعمل به في النهار فيفعل به إلى يوم القيامة، والدار الأولى الَّتِي دخلت دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء وأنا جبريل وهذا ميكائيل فارفع رأسك فرفعت رأسي فإذا فوقي مثل السحاب، قالا: ذاك منْزلك. قلت: دعاني أدخل. قالا: إنه بقي لك عمر لَم تستكمله فلو استكملته أتيت منْزلك»[1] رواه البخاري.

ومن هنا تعلم أنه ليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد، بل أرواح في أعلى عليين، وأرواح دون ذلك، وأرواح أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض بحال.

ومن تأمل النصوص في هذا المعنى وجدها يصدق بعضها بعضًا، وأن الأرواح علوية وسفلية لها بعد مفارقتها للأبدان صحة ومرض ولذة ونعيم وحسرة وراحة ولها اتصالها بالأبدان فتحصل لهما معًا لذة النعيم أو العذاب الأليم كما يشاء الله ومتى شاء وكيف شاء.

---

(١) في كتاب التعبير باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح (ج٩ ص٣٧).

وقصارى **القول**: فإن لهذه الأنفس أربع دور كل دار أعظم من الَّتِي قبلها:

الدار الأولى: في بطن الأم في ظلمات ثلاث كما قال تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ﴾ [الزمر: من الآية٦].

الدار الثانية: هي الدار الَّتِي نشأت فيها وألفتها واكتسبت فيها الخير والشر وأسباب السعادة والشقاء.

ومن المناسب أن أنقل كلام ابن القيم هنا في صفات النفس في هذه الدار، قال – رحمه الله –:

النفوس ثلاثةٌ:

١- نفس سَموية علوية فمحبتها منصرفة إلى المعارف واكتساب الفضائل والكمالات الممكنة للإنسان، واجتناب الرذائل، وهي شغوفة بِما يقربُها من الرفيق الأعلى وذلك قوتُها وغذاؤها ودواؤها فانشغالها بغيره هو داؤها.

٢- ونفس غضبية سُبعية فمحبتها منصرفة إلى القهر والبغي والعلو في الأرض والتكبر والرئاسة على الناس بالباطل فلذتُها في ذلك وشغفها به.

٣- ونفس حيوانية شهوانية فمحبتها منصرفة إلى المأكل والمشرب والمنكح، وربَّما جمعت الأمرين فانصرفت محبتها إلى العلو في الأرض والفساد.

وكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة يرون أن ما هم فيه أولى بالإيثار من غيره، فالنفس السموية بينها وبين الملائكة والرفيق الأعلى مناسبة طبيعية بها مالت إلى أوصافهم وأخلاقهم وأعمالهم، فالملائكة أولياء، هذا النوع في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ**﴾ [فصلت:٣٢].

فالملك يتولى من يناسبه بالنصح له والإرشاد، والتثبيت والتعليم، وإلقاء الصواب على لسانه ودفع عدوه عنه، والاستغفار له إذا زل، وتذكيره إذا نسي، وتسليته إذا حزن، وإلقاء السكينة في قلبه إذا خاف، وإيقاظه للصلاة إذا نام عنها، ووعد صاحبه بالخير، وحضه على التصديق بالوعد وتحذيره من الركون إلى الدنيا، وتقصير أمله، وترغيبه فيما عند الله، فهو أنيسه في الوحدة، ومرغّبه في الخير ومحذّره من الشر، يستغفر له إن أساء، ويدعو له بالثبات إن أحسن، وإن بات طاهرًا يذكر الله بات معه في شعاره، فإن قصده عدو له بسوء وهو نائم دفعه عنه.

وأما أصحاب النفوس السبُعية الغضبية فأولياؤهم الشياطين يخرجونَهم من النور إلى الظلمات كما قال ﷻ: ﴿**كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلاَّهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾ [الحج:٤].

فهؤلاء بين نفوسهم وبين الشياطين مناسبة طبيعية، بها مالت

أوصافهم وأخلاقهم وأعمالهم فالشياطين تتولاهم فتؤزُّهم إلى المعاصي أزًّا، وتزعجهم إليها إزعاجًا لا يستقرون معه، ويزينون لهم القبائح ويخففونَها على قلوبِهم، ويثقلون عليهم الطاعات ويثبطونَهم عنها، ويقبحونَها في أعينهم ويلقون على ألسنتهم القبيح من الكلام، وما لا يفيد، ويبيتون معهم حيث باتوا، ويقيلون معهم حيث قالوا، ويشاركونَهم في أموالهم وأولادهم ونسائهم، ويأكلون معهم ويشربون معهم، ويجامعون معهم وينامون معهم كما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا**﴾ [النساء: من الآية٣٨].

وأما أصحاب النفوس الحيوانية فهم أشباه الحيوان ونفوسهم أرضية سفلية، لا تبالي بغير شهواتِها، ولا تريد سواها. انتهى. من "روضة المحبين" بشيء من التصرف انظر (ص٢٦٧) وما بعدها.

قلت: إنه يلزم جميع العقلاء من بني آدم بل من عالم الإنس والجن، أن يختبروا ميول نفوسهم فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد سوى ذلك فليجتهد في إخراج نفسه من الاعوجاج إلى الاستقامة ومن موجبات سخط الله ومقته إلى موجبات رحمته ونيل رضاه «**كل الناس يغدوا فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها**»[1].

---

(١)هذه جملة من حديث رواه مسلم في الصحيح كتاب الطهارة الحديث (رقم١)، والترمذي في كتاب الدعوات الباب (٨٥)، وابن ماجه في كتاب الطهارة الباب (٥)، والإمام أحمد في المسند (المجلد ٣ صفحة ٣٢١، ٣٩٩) وكذلك (المجلد الخامس ص ٣٤٢، ٣٤٣).

الدار الثالثة: دار البرزخ وهي أوسع من هذه الدار وأعظم وهي الحاجز بين دار الدنيا والآخرة.

الدار الرابعة: دار القرار وهي الجنة أو النار فلا دار بعدها للروح والجسد في كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الدار الأخرى.

فتبارك الله أحسن الخالقين هو فاطرها ومنشئها ومميتها ومحييها ومسعدها ومشقيها الذي فاوت بين درجات سعادتِها وشقاوتِها كما فاوت بينها في مراتب علومها وأعمالها وقواها وأخلاقها، فلله الحمد كله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه. انتهى. بتصرف من كتاب "لوامع الأنوار البهية[1] شرح الدرة المضيئة" نقلاً عن الإمام ابن القيم -رحمه الله-.

قلت: إذا فهم هذا الجواب فينبغي للإنسان أن يقضي حياته الدنيوية في رحاب الله بالتقرب إليه بفعل الطاعة وترك المعصية كي تكون روحه علوية راضية مرضية فتظفر بالتمتع مع بدنِها بحياة النعيم في برزخها وآخرتِها، أما إذا أعرض الإنسان عن طاعة الرحمن وعبد الهوى والشيطان ولَم يفكر في مقر روحه وبدنه بعد الممات وما يجري عليهما فقد خسر خسرانًا مبينا وضل ضلالاً بعيدًا.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) انظر (ج٢ ص٥٤، ٥٦).

س٢٣: كيف يحشر الخلائق يوم القيامة ؟

ج: حشر الخلائق يوم القيامة على نوعين:

١- حشرهم بمعنى سوقهم إلى المحشر كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبِي ﷺ قال: «**يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين، وراهبين، واثنان على بعير وثلاثة على بعير، وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا وتُمسي معهم حيث أمسوا**»[١].

٢- حشرهم بمعنى وقوفهم في صعيد واحد ينتظرون فصل القضاء بينهم كما روى ابن عباس رضي الله عنه[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: «**تحشرون حفاة عراة غرلاً**. فقالت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-[٣]: يا رسول الله ينظر أو يرى بعضنا عورة بعض. قال: **لكل امرئ منهم يومئذٍ شأن يغنيه**»[٤].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب كيف الحشر (ج٨ ص٩٢) عن أبي هريرة، ومسلم في كتاب صفة الجنة باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة (ج٤ رقم ٦٠ ص٢١٩٥).

(٢) **هو**: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عم رسول الله ﷺ ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له النَّبِي ﷺ بالفقه في الدين وتأويل القرآن وكان يسمى البحر لغزارة علمه والحبر كذلك كف بصره، ومات بالطائف (سنة ٦٨هـ) -رحمه الله ورضي عنه-. التقريب (ج١ ص٤٢٥)، والإصابة (ج٢ ص٣٢٢).

(٣) **هي**: عائشة بنت أبي بكر الصديق أم المؤمنين، أفقه النساء مطلقًا وأفضل أزواج النَّبِي ﷺ إلا خديجة ففيها خلاف شهير ماتت عائشة سنة سبع وخمسين على الصحيح تقريب (ج٢ ص٦٠٦).

(٤) رواه البخاري عن ابن عباس وعائشة -رضي الله عنهم- بألفاظ متقاربة في كتاب

س٢٤: ما المراد بالبعث؟ وما حكم الإيمان به؟ وما حكم من أنكره؟

ج: المراد بالبعث خروج الناس من قبورهم أحياء حينما ينفخ إسرافيل في الصور بأمر ربه للقيام من القبور كما قال -تبارك وتعالى-: **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾** [الزمر:٦٨]. وقوله سبحانه: **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾** [يس:٥١].

وحكم الإيْمان به واجب، لأنه ركن من أركان الإيْمان ومن أنكره أو أنكر شيئًا مما سيكون فيه من الجنة والنار والجزاء على الأعمال والمرور على الصراط والميزان وتطاير الصحف في الأيدي والحوض والشفاعة وغيرها مما هو معلوم من الشرع بالضرورة فقد ضل سواء السبيل، قال الله ﷻ: **﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِما عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾** [التغابن:٧].

وبذلك تَمَّ الجواب على أربعة وعشرين سؤالاً، والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الرقاق باب كيف الحشر (ج٨ ص٩٣)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة (ج٤ ص٢١٩٤)، والترمذي في كتاب صفة القيامة باب ما جاء في شأن الحشر (ج٤ رقم ٢٤٢٣ ص١١٥) عن عائشة.

سلسلة الأجوبة السديدة
على الأسئلة الرشيدة



الأجوبة السديدة

على

الأسئلة الرشيدة

الجزء الثاني

تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
زيد بن محمد بن هادي المدخلي



المقدمة

اللهم لك الحمد كله، إذ بفضلك وإحسانك يتم كل عمل صالح مبرور، اللهم صل وسلم على رسولنا الكريم الذي جاء من عند ربه العلي العظيم بالعلم النافع وحثنا على العمل به والدعوة إليه ونشره والصبر على الأذى فيه، رجاء رحمة الله، وابتغاء نيل رضاه.

أما بعد: فهذا هو الجزء الثاني من سلسلة الأجوبة السديدة على الأسئلة الرشيدة أُقدِّمُه إلى القراء الكرام، مع رجاء قبول اعتذاري عن تأخره تلك المدة الطويلة التي امتدت بينه وبين الجزء الأول الذي تم طبعه عام (١٤٠٨هـ)، فإن لكل أجل كتابًا، وإنني لأرجو الله أن ينفع بما تم تدوينه في الجزأين من مسائل الفقه في الدين والدعوة إلى الاعتصام بما جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين من الأمر بالخير، والفضائل، والنهي عن الشر، وكافة الرذائل، كما أرجوه سبحانه أن يجعل القصد من كتابتي فيهما وفي غيرهما تبيان الحق ونصرته وتعزيز أهله، وتفنيد الباطل ودحضه وقمع أفكار ذويه، وسلام الله ورحمته وبركاته على كافة الإخوة في الإسلام والإيْمان.

المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إلى والدنا العزيز وشيخنا الفاضل/ زيد بن محمد بن هادي المدخلي وفقه الله لنيل رضاه:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد التحية الإسلامية المباركة: نحن شباب جامعيون تخرج بعضنا في كليات العلوم الشرعية وبعضنا في كلية علوم اللغة العربية وبعضنا في كليات أخرى، وبعد أن أنيطت بنا أعمال وظيفية أدركنا أننا في حاجة ماسَّة إلى مواصلة السير في طلب العلم الشرعي الشريف، كما أدركنا أيضًا مدى حاجة الناس إلى من يتصدى لتفقيههم في أصول دينهم كي يعيشوا فقهاء، ويموتوا بحول الله سعداء.

والسؤال الذي سنطرحه عليكم ونرغب الإجابة عليه مفصلة هو:

س١ :

١- ما هي الطرق الصحيحة لطلب العلم الشرعي الشريف ؟

٢- وما هي الطرق المفيدة لنشره في صفوف محتاجيه ؟

٣- وأخيرًا: ما هي الصفات الَّتي ينبغي أن يتحلى بها معلم العلم وطالبه ؟

أفيدونا أثابكم الله .....

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وصلى الله وسلم على رسوله الأمين محمد بن عبد الله الهادي بإذن ربه إلى الصراط المستقيم، صراط المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

ثُمَّ أما بعد: فإنني أشعر -كما يعلم الله- بثقل الأسئلة المتعلقة بأمور الدين والتي يتعين أن يقال في الجواب عليها: هذا حلال، وهذا حرام، وهذا صحيح، وذاك فاسد، وهذا واجب، وذاك مستحب... وهكذا، وما ذلك إلا لأن الجواب على هذا النمط توقيع عن الله رب العالمين، وعن رسوله المبعوث رحمة للعالمين.

غير أنني لا أستطيع ولا أستسيغ أن أرد السائل خائبًا وفي تصوري أني أملك الإجابة على سؤاله، هذا أمر، والأمر الثاني أني وجدت في توجيه الأسئلة الشرعية المحررة فتح باب عظيم للتوسع في طلب العلم الشرعي الشريف بالبحث الجاد عن مسائله والوصول السليم إلى فهم ما تيسر من أحكامه وقضاياه على اختلاف أشكالها ؛ لهذا وذاك ولأمور أخر وهي:

١- حب الثواب الذي يترتب على الدلالة على فعل الخير.

٢- وجوب بذل النصح للمسلمين المستنصحين.

٣- تأسيًا بمن بعثه الله بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا.

٤- ولكي أخرج من تبعة الكتمان الذي توعد الله عليه بأشد الوعيد في محكم كتابه(١) وعلى لسان رسوله ﷺ(٢).

فإنني -بحول الله وقوته- سأجيب على فقرات هذا السؤال القيم

---

(١) حيث قال الله -تبارك اسمه وتقدست أسماؤه وصفاته-: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [البقرة:١٥٩، ١٦٠].

قال ابن كثير في تفسير هاتين الآيتين: "هذا وعيد شديد لمن يكتم ما جاءت به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدي النافع للقلوب من بعد ما بينه الله لعباده في كتبه التي أنزلها على رسله، قال أبو العالية: نزلت في أهل الكتاب الذين كتموا صفة محمد ﷺ، ثم أخبر أنه يلعنهم كُلّ شيء على صنيعهم ذلك، فكما أن العالم يستغفر له كُلّ شيء حتى الحوت في الماء والطير في الهواء فهؤلاء بخلاف العلماء، فيلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون". (ج١ ص١٢٧ م) محمد نسيب.

وقال العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في تفسيرهما ما نصه: "هذه الآية وإن كانت نازلة في أهل الكتاب وما كتموا من شأن الرسول ﷺ وصفاته فإن حكمها عام لكل من اتصف بكتمان ما أنزل الله" اهـ.

(٢) فقد روى أبو هريرة ﷺ وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «**من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار**». وثبت عن أبي هريرة أنه قال: «لولا آية في كتاب الله ما حدثت أحدًا شيئًا: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**﴾ [البقرة:١٥٩]».

الذي يحتاج إلى تفاصيل الإجابة عليه كل طالب علم صادق صابر مخلص يريد أن يعد نفسه إعدادًا جيدًا نافعًا كي يقوم بأداء المهمة التي ورثها عمن بعثهم الله من أنبيائه ورسله ليدعو البرية إلى فعل الطاعة عمومًا وترك المعصية كذلك، نعم ليدعوهم إلى ذلك بوحيه المنَزل، وليدعوهم إلى عمل الخير والفضيلة، ورفض الشر وبغض الرذيلة، ولكن قبل الشروع في الإجابة على هذا السؤال الذي أكبرته وقدرته بحق، فإنني أحب أن أتحدث بإيجاز مفيد عن ثلاثة أمور تكون كمدخل إلى صلب الموضوع.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

الأمر الأول
بيان فضل العلم وأهله وما أعد الله لهم من جزيل الأجر والمثوبة في الدارين

فأقول -وأعوذ بالله من اللغو في القول والزيغ في العمل-: إن المتتبع لنصوص كتاب الله العظيم، وما صح من سنة نبيه الكريم وآثار سلفنا الصالح، يجد كثيرًا منها يحمل في مبناه ومعناه ثناءً جميلاً على العلم الشرعي الشريف، وأهله الذين حملوه فعقلوه وأحبوه، وعملوا به آناء الليل وأطراف النهار سرًّا وجهرًا ورغبًا ورهبًا وطوعًا واختيارًا وهأنا سأذكر ما تيسر لي ذكره وتدوينه على وجه السرعة؛ لكي أصل إلى صلب الموضوع قبل إملال القارئ بكلام طويل:

١- قال تعالى: **﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾** [البقرة:٣١-٣٣].

فقد دلت هذه الآيات الْمُحكمات على فضل العلم الشرعي وشرفه، وتكريْم الله لأهله، وإعلان فضلهم على من سواهم وإن كان

من سواهم ملائكة كرامًا.

٢- قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الالبَابِ﴾ [الرعد:١٩].

والمعنى كما قال ابن كثير: "لا يستوي من يعلم من الناس أن الذي أنزل إليك يا محمد من ربك هو الحق الذي لا شك فيه ولا اختلاف، بل كله حق يصدق بعضه بعضًا، وأوامره ونواهيه عدل، ومن هو أعمى لا يهتدي إلى خير ولا يفهمه، ولو فهمه ما انقاد إليه ولا اتبعه"(١) اهـ.

قلت: ومن أمعن النظر في الآية المذكورة عَلِم عِلْم اليقين أن العالم بالله وبأمره لا يستوي هو ومن عاش في دار العمل في جهله وضلاله، وأنّهما لا يلتقيان في خط بحال، لأن الضدين لا يجتمعان، والنقيضين لا يتفقان، وحقًّا ما قاله رسول رب العالمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»(٢) الحديث.

---

(١) تفسير ابن كثير مختصر محمد نسيب (ج٢ ص٥١٨).

(٢) رواه مالك في الموطأ في كتاب الجامع باب ما جاء في أهل القدر (ج١ رقم ١٦٢٤ ص ٦٤٩)، والبخاري في كتاب العلم، باب: العلم قبل القول والعمل (ج١ ص٢٥)، ورواه في كتاب الخمس (باب ٧ ج١٤ ص٤٩) بلفظ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، والله المعطي وأنا القاسم، ولا تزال هذه الأمة ظاهرين على من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون**». كما رواه في كتاب الاعتصام (باب ١٠ ج٨ ص١٤٩)، ومسلم في كتاب الإمارة (باب ١٧ ج١٣ ص٦٧) بشرح النووي (ص٦٤٩ رقم ١٦٢٤)، والترمذي في كتاب العلم (ج٥ ص٢٨ رقم ٢٦٤٥) عن ابن عباس، وابن ماجه في المقدمة (ج١ باب ١٧ ص٨).

٣- قال ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: من الآية٩].

أي: لا يستوي من كان عالمًا بربه وعالمًا بدينه الشرعي والجزائي وما له سبحانه في ذلك من الحكم والأسرار، ومن لا يعلم من ذلك شيئًا، لا يستوي هؤلاء وهؤلاء كما لا يستوي الليل والنهار، والظلام والضياء، والنار والماء وغيرهما من المتضادات.

إذن فالآية دليل صريح على فضل العلم ومقامه الرفيع، وعلى فضل العلماء الفضلاء وشرفهم الشرعي الأصيل، وأعني بهم الذين يعملون بعلمهم في غبطة وسرور، إذًا لا لذة لذوي الإيمان في حياة العلم إلا في العلم بشرع الله الطاهر النقي، والعمل به ابتغاء وجه الله ونيل رضاه، والفوز بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة.

٤- وقال -تبارك وتعالى-: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: من الآية١٨].

فإن في هذه الآية الكريمة بيان فضيلة العلم الشرعي والعلماء به؛ حيث خصهم الله بالذكر من دون سائر البشر، وقرن شهادتهم بشهادته الصادقة العادلة، وشهادة ملائكته البررة الكرام، وجعل شهادتهم تلك من أبرز الأدلة وأكبر البراهين على توحيده سبحانه وثبوت دينه وجزائه، وأوجب على جميع المكلفين قبول هذه الشهادة العادلة الناطقة بالحق وفي ضمنها تعديلهم، وأن الخلق تبع لهم، وأنهم هم أئمة الهدى، ومصابيح

الدجى، ودعاة الخير، وقادة الصلاح والفلاح والإصلاح لمن وفق للائتمام بهم والتطلع إلى الفضل الذي نالوه، والشرف الذي أحرزوه، والمكانة التي ظفروا بها والتي لا يحدد قدرها أحد من البرية، فهنيئًا لهم ما ذُكر: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ [الحديد: من الآية٢١]

٥- وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: من الآية١١].

وهذه الآية كسابقتها في فضيلة العلم، وأن زينته وثمرته هما التأدب بآدابه، والتحلي بفضائله، والعمل بما دل عليه واقتضاه.

٦- وقال -عز شأنه-: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: من الآية٧٩].

قال ابن عباس ﷺ فيها: «أي كونوا علماء فقهاء».

وقد ذكر العلماء في وجه هذه التسمية أقوالاً منها:

■ لأنَّهم يربون العلم -أي: يقومون به- كما يقال لكل من قام لإصلاح شيء وإتمامه: "ربَّه يربُّه فهو ربٌّ له".

■ **وقيل:** سموا بذلك لأنَّهم يربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كباره، وزيدت الألف والنون للمبالغة في النسبة.

■ **وقيل:** الربانيون هم العلماء بالحلال والحرام.

ومن ضمن ما قال ابن جرير في تفسيرها: "الربانيون هم عماد الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا، وكذا قال مجاهد: هم فوق الأحبار

لأن الأحبار هم العلماء، والرباني الجامع بين العلم والفقه، والبصير بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية، وما يصلحهم في دينهم ودنياهم".

٧- ولفضل العلماء بالله وبأمره فقد وصفهم بخشيته، بل حصرها فيهم حيث قال: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: من الآية٢٨].

وما ذلك إلا لأنَّهم يدلون على من خصهم بالعلم بقولهم السديد، وسَمْتِهم الطيب، وعملهم الصالح المجيد.

٨- كما وصفهم -جل وعلا- في آخر سورة الفرقان باثنتي عشرة صفة من صفات الكمال التي ارتضاها لعباده ودعاهم إلى التحلي بها حيث قال: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا**﴾ [الفرقان: من الآية٦٣] إلى نهاية قوله: ﴿**أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا**﴾ [الفرقان:٧٥].

٩- ويكفي العلم شرفًا وفضلاً وأهله سعادة ونبلاً أن الله قد جعله إمامًا للعمل، وشرطًا في صحته وقبوله؛ إذ قال وقوله الحق: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ**﴾ [محمد:١٩].

فبدأ بالعلم قبل القول والعمل وغير هذه الآيات في فضل العلم والعلماء كثير.

وأما ما صح من سنة النَّبي ﷺ فهو كذلك كثير جدًّا ومنه:

١- ما رواه أحمد وغيره وابن ماجه من حديث قيس بن كثير

حيث قال: قدم رجل من المدينة إلى أبي الدرداء وهو بدمشق فقال: «ما أقدمك أي أخي ؟ قال: حديث بلغني أنك تحدث به عن رسول الله ﷺ. قال: أما قدمت لتجارة ؟ قال: لا. قال: أما قدمت لحاجة ؟ قال: لا. قال: ما قدمت إلا في طلب هذا الحديث ؟ قال: نعم. قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإنه ليستغفر للعالم من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنَّما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر**»[1]. هذا لفظ أحمد.

٢- ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا وفي الآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله لـه**

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (ج٥ ص١٩٦)، والدارمي (ج١ ص٩٨)، وأبو داود في كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم (ج٣ رقم ٣٦٤١ ص٣١٧) عن كثير بن قيس، وابن ماجه في المقدمة (ج١ رقم ٢٢٣ ص٨١)، وصححه الحاكم وابن حبان وله شواهد يتقوى بها كما قال الحافظ بن حجر في الفتح (ج١ ص١٦٩) فهو حديث حسن.

به طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لَم يسرع به نسبه»(١).

ففي الحديث الأول بيان لثلاث مسائل مهمة:

المسألة الأولى: فضل العلم وشرف الرحلة فيه.

المسألة الثانية: تكريم الملائكة للعلم وطلابه، حيث تضع لهم أجنحتها تواضعًا وتوقيرًا.

المسألة الثالثة: تسخير الله للحيوانات في الاستغفار لطلاب العلم وما ذلك إلا لأنَّهم أهل المعرفة بالحلال والحرام وبالحقوق المتعلقة بما يجوز وما يمتنع وما يحل وما يحرم في كل جانب من جوانب الدين.

وفي الحديث الثاني ترغيب عظيم في أعمال جليلة وأخلاق كريمة تدل على حسن خلق المتخلق بِها ورحابة صدره وصفاء قلبه وجودة عقله وفكره ألا وهي:

أ- تنفيس كرب المكروبين من المسلمين في حدود ما يقدر عليه البشر.

ب- والتيسير على المعسرين منهم.

ج - وستر عوراتِهم والتغاضي عن زلاتِهم.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء باب فضل الاجتماع على قراءة القرآن (ج٤ رقم ٢٦٩٩).

د- ومد يد العون والمساعدة للإخوة المؤمنين.

هـ- وسلوك طريق طلب العلم الشريف ميراث الأنبياء والمرسلين.

و- ومدارسة كتاب الله الكريم الذي نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين ﷺ بلسان عربي مبين.

كما فيه أيضًا بيان جلي لما يترتب من الجزاء الكريم الحسن على تلك الأفعال الحميدة والأخلاق النبيلة التي ارتضى الله أن يكون الجزاء عليها من جنسها.

فتأمل يا طالب العلم فقرات هذا الحديث فإنك ستجد أعلى تلك الصفات هي طلب العلم، وستجد أكمل الجزاء وأجزله هو ما يترتب عليه من شرف الدنيا ولذة الحياة فيه، ونعيم الآخرة وأبدية المقام بها.

٣- وما رواه الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنَّما هي قيعان لا تُمسك ماءً ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولَم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»**[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب فضل من علم وعلم (ج١ ص٢٢)، ومسلم في كتاب الفضائل باب مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم (ج٤ رقم ٢٢٨٢ ص ١٧٨٧).

ففي هذا الحديث حث صريح على طلب العلم وتلقيه للعمل به وتبليغه ونشره، وقد اعتبر النبي ﷺ فيه قلوب الناس كمثل الأرض في قبول الماء وعدم قبوله، فشبه من تحمل العلم والحديث وتفقه فيه بالأرض الطيبة أصابَها المطر فأنبتت وانتفع بِها الناس، وشبه من تحمل العلم ولكنه لم يتفقه فيه كالأول بالأرض الصلبة لا تنبت، ولكنها تمسك الماء فيأخذه الناس، وينتفعون به، وشبه النوع الثالث بالأرض التي هي قيعان سبخة لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ؛ وذلك لأنَّهم لا خير فيهم إذ ليست لهم قلوب حافظة ولا أفهام واعية، فإذا سمعوا لَم يفهموا ولَم ينتفعوا، فتأمل يا أخي المسلم واحرص أن تكون فردًا من أفراد الطائفة الأولى الذين شرفهم الله بالعلم والفقه فيه وتبليغه ومحبته ونشره.

قال الإمام البغوي -رحمه الله-:

"**العلوم الشرعية قسمان:**

١- علم الأصول.

٢- وعلم الفروع.

أمَّا علم الأصول: فهو معرفة الله ﷻ بالوحدانية والصفات وتصديق الرسل، على كل مكلف معرفته، ولا يسع فيه التقليد لظهور آياته، ووضوح دلائله، قال الله تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ**﴾ [محمد: من الآية١٩].

وقال الله تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ**﴾ [فصلت: من الآية٥٣].

وأما علم الفروع: فهو علم الفقه ومعرفة أحكام الدين فينقسم إلى فرض عين وفرض كفاية.

أ- **أما فرض العين:** فمثل علم الطهارة والصلاة والصوم فعلى كل مكلف معرفته، قال النبي ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[(١)]. وكذلك كل عبادة أوجبها الشرع على كل واحد فعليه معرفة علمها مثل علم الزكاة إن كان لـــه مال، وعلم الحج إن وجب عليه.

ب- **وأما فرض الكفاية:** فهو أن يتعلم ما يبلغ به رتبة الاجتهاد، ودرجة الفتيا، فإذا قعد أهل بلد عن تعلمه عصوا جميعًا، وإذا قام واحد منهم بتعلمه فتعلمه سقط الفرض عن الآخرين، وعليهم تقليده فيما يَعنّ لهم من الحوادث، قال الله تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل: من الآية٤٣]"[(٢)] اهـ.

٤- وما رواه البخاري وغيره من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال

---

(١) أخرجه ابن ماجه في المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (ج١ رقم ٢٤) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

قال الألباني ما نصه: "واعلم أن السيوطي قد جمع هذه الطرق حتى أوصلها إلى الخمسين وحكم من أجلها على الحديث بالصحة وحكى العراقي صحته عن بعض الأئمة وحسنه غير واحد والله أعلم وأما زيادة: «**ومسلمة**» التي اشتهرت على الألسنة فلا أصل لها ألبتة، وأما الزيادة التي وقعت في أول بعض الطرق: «**اطلبوا العلم ولو بالصين**». فباطلة كما بينته في الأحاديث الضعيفة". انظر مشكاة المصابيح الجزء الأول (ص٧٦) علمًا أن الألباني قد حكم بصحته في صحيح ابن ماجه (ج١ رقم ١٨٣ ص٤٤).

(٢) انظر شرح السنة (ج١ ص٢٨٩، ٢٩٠).

رسول الله ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، والله المعطي وأنا القاسم، ولا تزال هذه الأمة ظاهرين على من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون**»[1].

ففي منطوق هذا الحديث الجليل شهادة كريمة من الصادق الأمين على فضل العلم وأهله الذين بذلوا الجهد الكبير في تعلّمه ليعملوا به مدة حياتِهم امتثالاً لأمر الله، وحرصًا على متابعة رسوله ﷺ، وحبًّا في نيل الرضا من الله، وكسب السعادة الدائمة في حياة العمل، وحياة الجزاء عليه في البرزخ ويوم يقوم الأشهاد.

كما أن في مفهومه أيضًا شهادة ظاهرة عادلة من المصطفى الكريم -عليه الصلاة والسلام- على ذم الجهل بالدين واختيار متاع الحياة الدنيا وزينتها والتلهي بِها عن الحكمة التي أوجد الله البرية من أجلها ألا وهي عبادته وحده بكل ما تحمل كلمة العبادة من معنًى، فضع يا أخي المسلم نفسك في المكان الذي ارتضاه لك ربك ورغبك فيه وحثك عليه نبيك، لتفوز بسعادة الدارين وتنجو من الشقاء فيهما، وإياك إياك أن توبق نفسك بإعراضك عن التفقه في دين الله وإهمالك العلم به، فتكون من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، وذلك هو الخسران المبين.

٥- وما رواه الشافعي والترمذي وابن ماجه وغيرهم من حديث

---

(١) تقدم تخريجه.

عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**نضر الله امرًا سمع مقالتي فبلغها فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه**». زاد فيه علي ابن مُحمَّد: «**ثلاث لا يغل**[١] **عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصح لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم**»[٢].

وفي هذا الحديث دعاء رحيم ممن أوتي جوامع الكلم وحُبِّب إلى قلبه العلم والعلماء، نبينا محمد ﷺ الذي دعا بالنضارة[٣] لحملة العلم

---

(١) رويت هذه الكلمة: «لا يُغِلُّ». من الإغلال وهو الخيانة، ورويت «يَغِلُّ». من الغل وهو الحقد والشحناء، ويحتمل أن يكون عليهن حالاً من القلب الفاعل فيكون المعنى قلب الرجل المسلم حال كونه متصفًا بهذه الخصال الثلاث لا يصدر عنه الخيانه والحقد والشحناء، ولا يدخله ما يزيله عن الحق، ويحتمل أن يكون قوله: «عليهن» متعلقًا بقوله: «يغل» أي: لا يخون في هذه الخصال، أي: من شأن قلب المسلم أن لا يخون ولا يحسد فيها بل يأتي بها بتمامها بغير نقصان في حق من حقوقها. انظر ابن ماجه (ج١ ص٨٤).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (ج٤ ص٨٠) عن جبير بن مطعم عن أبيه، وأبو داود في العلم باب فضل نشر العلم (ج٣ رقم ٣٦٦٠ ص ٣٢٢) عن زيد بن ثابت، والترمذي في باب العلم ما جاء في الحث على تبلغ السماع (ج٥ رقم ٢٦٥٨ ص ٣٤)، وابن ماجه في المقدمة باب من بلغ علمًا (ج١ رقم ٢٣٠ ص ٨٤).

(٣) **قال الخطابي:** دعا لهم بالنضارة وهي النعمة، يقال: نضر ونضر من النضارة وهي في الأصل حسن الوجه والبريق، وأراد حسن قدره، وقد روى مخففًا، وأكثر المحدثين يقول بالتثقيل والأول الصواب والمراد ألبسه الله النضرة، وهي الحسن وخلوص اللون أي جمله وزينه، وأوصله الله إلى نضرة الجنة أي نعيمها ونضارتُها.

قال ابن عيينة: ما من أحد يطلب الحديث إلا في وجهه نضرة لهذا الحديث. انظر شرح السنة (ج١ ص٢٨٩، ٢٩٠).

ورواة الحديث ومبلغيه إلى غيرهم من محتاجيه برعاية وأمانة وصدق وإخلاص ينشدون نشره وانتشاره في دنيا البشر؛ ليأخذوا منه زادهم وهم في طريقهم إلى الله مولاهم الحق، وليحشروا تحت لواء صاحب المقام المحمود والحوض المورود إمام العلماء العاملين وقائد المحدثين الأمناء الصادقين بل وجميع الغر المحجلين رسولنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، فأكرم بذلك شرفًا ومجدًا وسعادةً وملكًا كبيرًا وودًّا لأهل الفقه في دين الله الذين يعملون به ويبلغونه إلى عباد الله، ولأهل الحديث الذين تجشموا المصاعب والمتاعب في حفظه وروايته ليكون لهم لسان صدق في الآخرين وذخرًا دائمًا في جنات النعيم مع المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

٦- وجاء في الأوسط للطبراني بإسناد حسن أن أبا هريرة ﷺ مر بالسوق فقال: «يا أهل السوق، ما أعجزكم. قالوا: وما ذلك؟ قال: ميراث رسول الله ﷺ يقسم وأنتم هاهنا. قالوا: وأين؟ قال: في المسجد. فخرجوا سراعًا ثُمَّ رجعوا فقالوا: لَم نر فيه شيئًا يقسم، رأينا قومًا يصلون، وقومًا يقرءون القرآن، وقومًا يتذاكرون الحلال والحرام. فقال: ويحكم فذاك ميراث نبيكم»[1].

قلت: ومن أمعن النظر في هذا الأثر أدرك ما كان عليه أولئك

(١) أورده الهيثمي في كتاب العلم باب في فضل العالم والمتعلم (ج١ ص١٢٨)، وقال: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.

العلماء الأمجاد الذين تخرجوا من مدرسة رسول الله ﷺ كأبي هريرة ﷺ وزملائه من المهاجرين والأنصار من حب للعلم الذي ورثه نبي الرحمة والهدى ﷺ ولما له ولأهله من الفضل الكبير والقدر الجليل، وإنه هو الميراث الحقيقي الذي تنتفع به البشرية وتطيب به الحياة لا بشيء سواه حيث تحيا به القلوب بعد موتِها، وتصح به بعد سقمها، وتستيقظ به بعد غفلتها، وتنْزجر به النفوس عن جموحها وطغيانِها، وعن جريها وراء شهواتها، وعن تعديها لما لا يحل لها أن تتعداه إلى ما فيه حتفها وشقاؤها، وتنقاد لــه الجوارح الخاشعة طوعًا واختيارًا طمعًا في مرضات ربِّها، واستجابة لنداء الإيْمان الذي بذره العلم في داخلها.

فالعلم العلم يا أخا الإسلام، فإن مثل ذويه في الأرض كمثل النجوم في السماء يُهتدى بِها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تقل الهداة كما في الأثر المروي في هذا المعنى والله يتولاك ويرعاك في آخرتك ودنياك.

٧- وما رواه الشيخان وغيرهما من حديث أبي واقد الليثي قال: «بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ فوقفا عليه، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: **«ألا أخبركم عن النفر الثلاثة: أما أحدهم فآوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض**

الله عنه»[1].

قلت: وعند التأمل في هذا النص الكريم يستفيد المتأمل أشياء جديرة بالاهتمام بها:

الشيء الأول: أن الواجب على وارثي[2] علم النبي ﷺ أن يجلسوا للناس ليفقهوهم في الدين، ويهدوهم إلى الصراط المستقيم في بيوت الله الطاهرة المعظمة التي بنيت لتؤدى فيها فرائض العلم ونوافله، وفرائض الصلاة ونوافلها وعبادة الاعتكاف فريضة أو نافلة، واقتداء في كل ذلك بالنبي الكريم والمعلم العظيم رسول رب العالمين ﷺ، فلقد كان جل جلوسه في المسجد معلمًا ومفتيًا وموجهًا ومرشدًا، وآمرًا وناهيًا، وذاكرًا ومصلحًا.

الشيء الثاني: بيان فضل المشاركة في الجلوس في حلقات التفقه في الدين، ويا لله كم من فضل وعز وشرف وسؤدد في الجلوس في حلقات العلم قد ثبت نقله عن المعصوم ﷺ ومنه هذا الحديث.

ومنه ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: **«إن لله -تبارك وتعالى- ملائكة سيارة[3] فضلاً[4] يتبعون مجالس الذكر،**

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب من قعد حيث ينتهي به المجلس (ج١ ص١٩، ٢٠) ومسلم في السلام باب من أتى مجلسًا فوجد فرجة (ج٤ رقم ٢١٧٦ ص ١٧١٣).
(٢) أعني: الذين يتعين عليهم من هذا الصنف من الناس.
(٣) **سيارة:** أي سياحون في الأرض.
(٤) **فضلاً:** ضبط على أوجه أرجحها اثنان:
الأول: فُضُلاً. **والثاني:** فُضْلاً.

فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملئوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء قال: فيسألهم الله عَجَّلَ -وهو أعلم بِهم-: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك، ويكبرونك، ويهللونك، ويحمدونك ويسألونك. قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك. قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا أي رب. قال: فكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرونك. قال: وممَ يستجيرونني؟ قالوا: من نارك يا رب. قال: هل رأوا ناري؟ قالوا: لا. قال: فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك. قال: فيقول: قد غفرت لهم فأعطيتهم ما سألوا، وأجرتُهم مما استجاروا. قال: فيقولون: رب فيهم فلان عبد خطَّاء إنَّما مر فجلس معهم. قال: فيقول: وله غفرت هم القوم لا يشقى بِهم جليسهم»[(١)]!!

ومنه ما أورده الهيثمي في المجمع معزوًا إلى الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا. قالوا: يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: مَجَالس العلم»[(٢)] وغير ذلك في هذا المعنى كثير.

والمعنى أنَّهم ملائكة زائدون على الحفظة وغيرهم من المرتبين مع الخلائق فهؤلاء السيارة لا وظيفة لهم، وإنَّما مقصودهم حلق الذكر.

(١) أخرجه البخاري في الدعوات باب فضل ذكر الله عَجَّلَ (ج٨ ص٧٣)، ومسلم في الذكر والدعاء باب فضل مجالس الذكر (ج٤ رقم ٢٦٨٩ ص ٢٠٦٩).

(٢) انظر المجمع (ج١ ص١٣١)، وقال: فيه رجل لَم يسم.

الشيء الثالث: خطر الإعراض عن طلب علم أصول الدين التي سبق أن نقلنا عدم جواز التقليد فيها، وبيان أن الجهل بها سبب في العذاب المهين، وذلك أن من أعرض عن مجالس التفقه في دين الله فإنه سيعيش حتمًا في هذه الحياة أعمى، وسيحشر يوم القيامة على ما مات عليه أعمى، كما قال المولى الكريم سبحانه: **﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾** [طه:١٢٤-١٢٦].

وقال أيضًا: **﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾** [الإسراء:٧٢].

٨- وما رواه الإمام أحمد وغيره بإسناد جيد من حديث صفوان ابن عسال المرادي ﷺ قال: «أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد متكئ على برد له أحمر فقلت له: يا رسول الله جئت أطلب العلم. فقال: **مرحبًا بطالب العلم، إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها، ثُمَّ يركب بعضهم بعضًا، حتَّى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب**»[1].

فانظر يا طالب العلم مدى قدر العلم وقدر طالبه في ميزان النبوة

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (ج٤ ص٢٤١)، والترمذي في الدعوات باب في ذكر التوبة والاستغفار رقم (٣٥٣٦ ص٥٤٦)، والآجري في أخلاق العلماء (ص١٠٠) وإسناده حسن، والمنذري في الترغيب والترهيب (ج١ ص٧٤).

المستقيم، وخذ القدوة من هذا الخلق النبوي الكريم، وقل على سبيل الدوام: مرحبًا بطالب العلم قولاً وفعلاً، واعلم أن القول وحده لا يجدي إذا لَم يوافقه الفعل عن محبة واقتناع.

ورحم الله القائل في هذا المعنى:

ومرحبًا قل لمن يأتيك يطلبه   وفيهم احفظ وصايا المصطفى بِهم

٩- ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[1].

ففي هذا الحديث القصير بشرى كريمة لمن وفقه الله في حياة العمل، وأقدره على تقديْم تلك الثلاثة مجتمعة فقدم صدقة جارية كوقف يدر على طلاب العلم الشريف،، أو على الفقراء والمساكين من المسلمين وحبذا لو تكون على الأقارب فيحظى بأجر الصدقة وأجر الصلة، أو في مشروع من المشاريع النافعة للإسلام والمسلمين. فإن ثوابه يجري على من أجراه في حال الحياة وبعد الممات.

وقدم علمًا شرعيًّا تنتفع به الأمة في حياتِها بعد مماتِها بطريق تعليمه أو بطريق تأليفه أو بأي واسطة من وسائل النفع.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الوصية ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (ج٣ رقم ١٦٣١ ص ١٢٥٥).

وقدم ولدًا صالحًا من ذكر أو أنثى بحيث رباهم تربية صالحة، وطالت بهم الحياة بعد موته فإن كل ما عملوه من خير مطلقًا فإن للوالد الكافل المربي نصيبًا وافرًا من أجر ذلك الخير سواء كان واجبًا أو مستحبًّا ومن جملة ذلك الدعاء في صلاته وغيرها.

ومن لَم يستطع إلا على تقديْم البعض فله نصيب من الأجر، وربك الغفور ذو الرحمة لا يضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى وهو مؤمن وغير هذه الأحاديث في فضل العلم والعلماء كثير، وإنما ذكرت هذه التسعة منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر كما هو معلوم لدى القراء الكرام.

وأما ما ثبت من الآثار في فضل العلم وأهله عن سلفنا الصالح أصحاب القرون المفضلة ومن تأسى بِهم، فهي كثيرة تَحمل الترغيب في التحلي بالعلم والعمل به؛ لأنه ميراث النبوة، والمنقذ من داء الجهل.

منها:

١- قول ابن مسعود ﷺ: «وعليكم بالعلم، فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إلى ما عنده»[١].

٢- **ومنها:** قول معاذ ﷺ: «تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل أهل الجنة، وهو الأنيس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في

---

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (ج١ ص١٢٩).

الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلاء، يرفع الله به أقوامًا فيجعلهم في الخير قادة، وأئمة تُقتص آثارُهم، ويُقتدى بأفعالهم، وينتهى إلى رأيهم، وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم، ويستغفر لهم كل رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه، لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصابيح الأبصار من الظلم يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار، والدرجات العلى في الدنيا والآخرة، والتفكر فيه يعدل الصيام، ومدارسته تعدل القيام، به توصل الأرحام وبه يعرف الحلال من الحرام، إمام العمل والعمل تابعه، يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء»[1].

٣- **ومنها:** قول ابن عباس ﷺ: «تدارس العلم ساعة من الليل خير من إحيائها».

٤- **ومنها:** قول ابن مسعود أيضًا لأصحابه: «كونوا ينابيع العلم، مصابيح الهدى، أحلاس البيوت، سرج الليل جدد القلوب، تعرفون في السماء وتخفون على أهل الأرض»[2].

٥- **ومنها:** قول الحسن البصري -رحمه الله-: "من طلب العلم يريد به ما عند الله كان خيرًا له مما طلعت عليه الشمس"[3].

---

(١) انظر كتاب جامع بيان العلم وفضله (ج١ ص٥٥).

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر شرح السنة للبغوي (ج١ ص٢٧٩).

٦- **ومنها**: قول قتادة: "باب من العلم يحفظه الرجل لصلاح نفسه وصلاح من بعده أفضل من عبادة حول".

٧- **ومنها**: قول سفيان الثوري -رحمه الله-: "ليس عملٌ بعد الفرائض أفضل من طلب العلم".

٨- **ومنها**: قول ابن وهب -رحمه الله-: "كنت عند مالك بن أنس قاعدًا أسأله، فرآني أجمع كتبي لأقوم، قال مالك: أين تريد؟ قال: قلت: أبادر إلى الصلاة. قال: ليس هذا الذي أنت فيه دون ما تذهب إليه إذا صح فيه النية".

٩- **ومنها**: قول سفيان في تفسير الجماعة: "لو أن فقيهًا على رأس جبل لكان هو الجماعة"(١).

١٠- **ومنها**: قول الحسن بن صالح: "لأن الناس يحتاجون إلى هذا في دينهم كما يحتاجون إلى الطعام والشراب في دنياهم"(٢).

١١- **ومنها**: قول مطرف بن عبد الله بن الشخير: "حظٌّ من علم أحبُّ إليَّ من حظٍّ من عبادة"(٣).

١٢- **ومنها**: قول الشافعي: "طلب العلم أفضل من صلاة النافلة"(٤).

---

(١) المصدر السابق.

قلت: يريد الإمام مالك انتظار الصلاة في المسجد لا الصلاة نفسها، والله أعلم.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

قلت: ولقد ترنم الشعراء بفضل العلم والعلماء عبر تاريخ عصورهم وهذه مقتطفات من أشعارهم:

قال علي بن أبي طالب ﷺ في كلام الحكيم ويعني به طالب العلم:

كلام الحكيم حياة القلوب ... كوبل السماء غياث الأمم
فنطق الحكيم جلاء الظلم ... وصمت الحكيم وعاء الحكم
حياة الحكيم جلاء القلوب ... كضوء النهار يجلّي الظلم

وقال الوراق -رحمه الله-:

والعلم زين وتشريف لصاحبه ... أتت إلينا بذا الأنباء والكتب
والعلم يرفع أقوامًا بلا حسب ... فكيف من كان ذا علم له حسب
فاطلب بعلمك وجه الله مُحتسبًا ... فما سوى العلم فهو اللهو واللعب

وقال بعض الأدباء[1]:

يعد رفيع القوم من كان عالِمًا ... وإن لَم يكن في قومه بحسيب
وإن حل أرضًا عاش فيها بعلمه ... وما عالم في بلدة بغريب

وقال آخر[2]:

العلم زين وكنْز لا نفاد له ... نعم القرين إذا ما عاقلاً صحبا
قد يجمع المرء مالاً ثم يسلبه ... عما قليل فيلقى الذلّ والحرَبا

(١) انظر كتاب جامع بيان العلم وفضله (ج١ ص٥٧).

(٢) المصدر السابق (ص٥٨).

وجامع العلم مغبوط به أبدًا ... فلا يحاذر فوتًا لا ولا هربا
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه ... فلا تعدلن به درًّا ولا ذهبًا

وقال آخر[١]:

يطيب العيش إذ تلقى لبيبًا ... غذاه العلم والرأي المصيب
فيكشف عنك حيرة كل جهل ... ففضل العلم يعرفه الأديب
سقام الحرص ليس له دواء ... وداء الجهل ليس له طبيب

وقال الشيخ سليمان[٢] بن سحمان -رحمه الله- في الثناء على العلم والحث على طلبه:

يا تارك لمراضي الله أوطانًا ... وسالكًا في طريق العلم أحزانا
كن باذل الجد في علم الحديث تنل ... كل العلوم وكن بالأصل مشتانا
فالعلم أفضل مطلوب وطالبه ... من أكمل الناس ميزانًا ورجحانا
والعلم نور فكن بالعلم معتصما ... إن رمت فوزًا لدى الرحمن مولانا
وهو النجاة وفيه الخير أجمعه ... والجاهلون أخف الناس ميزانا
والعلم يرفع بيتًا كان منخفضًا ... والجهل يخفضه لو كان ما كانا

---

(١) المصدر السابق (ص ٥٨).

(٢) هو العالم السلفي سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمد بن مالك ابن عامر صاحب المصنفات العديدة والمؤلفات الكثيرة والرسائل المفيدة ولد عام (١٢٦٦هـ) في إحدى القرى التابعة لمنطقة أبْها توفي -رحمه الله- (١٣٤٩هـ). انظر كتاب مشاهير علماء نجد (ص٢٠٠).

وأرفع الناس أهل العلم منْزلة ... وأوضع الناس من قد كان حيرانا
لا يهتدي لطريق الحق من عمه ... بل كان بالجهل ممن نال خسرانا
وطالب العلم إن يظفر ببغيته ... ينال بالعلم غفرانًا ورضوانا
فاطلبه مجتهدًا ما دمت محتسبا ... لا تبتغي بدلاً إن كنت يقظانا
من ناله نال في الدارين منْزلةً ... أو فاته نال خسرانًا ونقصانا
وباذل الجد في تحصيله زمنا ... ولَم يكن نال بعد الجد عرفانا
فلن يضيع له سعي ولا عمل ... عند الإله ولا يوليه خسرانا
فطالب العلم إن أصفى سريرته ... ينال من ربنا عفوًا ورضوانا
فالعلم يرفعه في الخلد منْزلة ... والجهل يصليه يوم الْحَشر نيرانا

وقال آخر في فضل العلماء وفضل مجالستهم والاقتداء بِهم:

علم الحديث أجلُّ السؤْل والوطر ... فاقطع به العيش تعرف لذة العلم
فانقل رحالك فِي مغناك مرتَحلا ... لكي تفوز بنقل العلم والأثر
ولا تقل عاقني شغل فليس يرى ... في الترك للعلم من عذر لمعتذر
وأي شغل كمثل العلم تطلبه ... ونقل ما قد رووا عن سيد البشر
ألْهى عن العلم أقوامًا تطلبهم ... لذات دنيا غدوا منها على غرر
وخلفوا ما له حظ ومكرمة ... إلى التي هي دأب الهون والخطر
وأي فخر بدنياه لمن هدمت ... معايب الجهل منه كل مفتخر
فيه خَلل يفنى الرجال وعلمهم لَهم ... ذكرًا يجدد في الآصال والبكر
ويذهب الموت بالدنيا وصاحبها ... وليس يبقى له في الناس من أثر

تظـــن أنـــك بالدنـــيا أخـــو كبر وأنت بالجهل قد أصبحت ذا خطر

لـــيس الكبير عظيم القدر غير فتى مـــا زال بالعلم مشغولاً مدى العمر

قـــد زاحمت ركبتاه كل ذي شرف في العلم والحلم لا في الفخر والبطر

فجـــالس العـــلماء المقـــتدى بِهم تستجلب النفع أو تأمن من الضرر

هم سادة الناس حقًّا والجلوس لهم زيادة هكـــذا قـــد جاء في الخبر[(١)]

وقال الشيخ حافظ[(٢)] بن أحمد بن علي الحكمي في ميميته في بيان فضل العلم وشرف أهله:

العـــلم أعلى وأحلى ما له استمعت أذن وأعـــرب عـــنه نـــاطق بفـــم

العلم غايته القصوى ورتبته العلياء فاســـعوا إلـــيه يـــا ذوي الهمـــم

العـــلم أشـــرف مطلـــوب وطالبه لله أكـــرم مـــن يمشـــي على قدم

العـــلم نـــور مـــبين يستضيء به أهـــل الســـعادة والجهال في الظلم

العـــلم أعـــلى حـــياة للعباد كما أهـــل الجهالـــة أمـــوات بجهـــلهم

لا سمـــع لا عقـــل بل لا يبصرون وفي الســـعير معـــترف كل بذنبهم

فـــالجهل أصـــل ضلال الحق قاطبة وأصـــل شـــقوتهم طـــرًّا وظلمهم

---

(١) هذه أبيات من قصيدة أوردها محمد جمال الدين القاسمي في كتابه المشهور قواعد الحديث، كما أوردها حسن غانم في اقتطاف الثمر (ص٨٣ –٨٧)، ولَم ينسبها لأحد.
قلت: والمهم هو ما فيها من توجيه وعظة وترغيب وإن لَم يعرف قائلها.

(٢) انظر ترجمته في كل من: أعلام السنة المنشورة بقلم ابنه الدكتور أحمد بن حافظ من (ص١٥–٣٠)، وفي المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم ﷺ (ص٨٨)، وفي الأفنان الندية شرح منظومة السبل السوية لكاتب هذه السطور (ج١ من ص٥–٢٦).

والعلم أصل هداهم مع سعادتِهم ... فلا يضل ولا يشقى ذوو الحكم

والخوف بالجهل والحزن الطويل به ... وعن أولي العلم منفيان فاعتصم

العلم والله ميراث النبوة لا ... ميراث يشبهه طوبى لمقتسم

لأنه إرث حق دائم أبدًا ... وما سواه إلى الإفناء والعدم

ومنه إرث سليمان النبوة ... والفضل المبين فما أولاه بالنعم

كذا دعا زكريا ربه بولي ... الآل خوف الموالي من ورائهم

العلم ميزان شرع الله حيث به ... قوامه وبدون العلم لم يقم

وكلما ذكر السلطان في حجج ... فالعلم لا سلطة الأيدي لمحتكم

فسلطه اليد بالأبدان قاصرة ... تكون بالعدل أو بالظلم والغشم

وسلطة العلم تنقاد القلوب لها ... إلى الهدى وإلى مرضاة ربِّهم

ويذهب الدين والدنيا إذ ذهب ... العلم الذي فيه منجاة لمعتصم

العلم يا صاح يستغفر لصاحبه ... أهل السموات والأرضين من لمم

كذاك تستغفر الحيتان في لجج ... من البحار له في الضوء والظلم

وخارج في طلاب العلم محتسبا ... مجاهد في سبيل الله أي كمي

وإن أجنحة الأملاك تبسطها ... لطالبيه رضًا منهم بصنعهم

والسالكون طريق العلم يسلكهم ... إلى الجنان طريقًا باري النسم

والسامع العلم والواعي ليحفظه ... مؤديًا ناشرًا إياه في الأمم

فيا نضارته إذ كان متصفًا ... بذا بدعوة خير الخلق كلهم

كفاك في فضل أهل العلم أن رفعوا ... من أجله درجات فوق غيرهم

وكــان فضل أبينا في القديم على ... الأمــلاك بالعــلم من تعليم ربِّهم
كــذاك يوســف لم تظهر فضيلته ... للعــالمين بغــير العــلم والحكــم
ومــا اتــباع كلــيم الله للخضر ... المعــروف إلا لعــلم عــنه منبهم
مــع فضــله برسالات الإله لــه ... وموعــد وسمــاع مــنه للكــلم
وقُــدِّم المصــطفى بالعــلم حاملهُ ... أعظــم بذلــك تقديمًا لذي قدم
كفــاهم أن غــدوا للعــلم أوعية ... وأضــحت الآي منه في صدورهم
وأن غــدوا وكــلاء في القــيام به ... قــولاً وفعــلاً وتعلــيمًا لغيرهــم
وخصــهم ربــنا قصــرًا بخشــيته ... وعقــل أمــثاله في أصــدق الكلم
ومــع شــهادته جاءت شهادتُهم ... حيث استجابوا وأهل الجهل في صمم
ويشهدون على أهل الجهالة بالمولى ... إذا اجــتمعوا في يــوم حشــرهم
والعــاملون عــلى العباد فضلهم ... كالــبدر فضلاً على الدري فاغتنم
وعــالم من أولي التقوى أشد على ... الشــيطان مــن ألف عباد بجمعهم
ومــوت قوم كثيروا العد أيسر من ... حــبر يَمــوت مصاب واسع الألم
كمــا مــنافعه في العــالم اتسعت ... وللشــياطين أفــراح بموتِهــم
تــالله لــو عــلموا شيئًا لما فرحوا ... لأن ذلــك مــن أعــلام حــتفهم
هــم الــرجوم بحــق كل مسترق ... سمعًا كشهب السما أعظم بشهبهم
لأنّهــا لكــلا الجنســين صــائبة ... شــيطان إنــس وجن دون بعضهم
هــم الهــداة إلى أهــدى السبيل ... أهل الجهل عن هديهم ضلوا لجهلهم
وفضلهــم جــاء فــي نص الكتاب ... وفي الحديث أشهر من نار على علم

إلى أن قال:

نبذة في وصية طالب العلم

يا طالب العلم لا تبغي به بدلا ... فقد ظفرت ورب اللوح والقلم
وقدر العلم واعرف قدر حرمته ... في القول والفعل والآداب فالتزم
واجهد بعزم قوي لا انثناء له ... لو يعلم المرء قدر العلم لَم ينم
والنصح فابذله للطلاب محتسبا ... في السر والجهر والأستاذ فاحترم
ومرحبًا قل لمن يأتيك يطلبه ... وفيهم احفظ وصايا المصطفى بِهم
والنية اجعل لوجه الله خالصة ... إن البناء بدون الأصل لَم يقم
ومن يكن ليقول الناس يطلبه ... أخسر بصفقته في موقف الندم
ومن به يبتغي الدنيا فليس له ... يوم القيامة من حظ ولا قسم

إلى أن قال:

وبالمهم المهم ابدأ لتدركه ... وقدم النص والآراء فافتهم
قدم وجوبًا علوم الدين إن بِها ... يبين نَهج الهدى من موجب النقم
وكل كسر الفتى فالدين جابره ... والكسر في الدين صعب غير ملتئم
دع عنك ما قاله العصري منتحلا ... وبالعتيق تَمسك قط واعتصم
ما العلم إلا كتاب الله أو أثر ... يجلو بنور هداه كل منبهم
ما ثَم علم سوى الوحي المبين وما ... منه استمد ألا طوبى لمغتنم
والكتم للعلم فاحذر إن كاتمه ... في لعنة الله والأقوام كلهم

ومــن عقوبته أن في المعاد لــه ... مــن الجحــيم لجامًا ليس كاللجم
وصــائن العــلم عمن ليس يحمله ... مــا ذا بكــتمان بل صون فلا تلم
وإنمــا الكــتم مــنع العلم طالبه ... مــن مســتحق له فافهم ولا تَهم
وأتــبع العــلم بالأعمال وادع إلى ... ســبيل ربــك بالتبــيان والحكم
واصــبر على لاحق من فتنة وأذى ... فــيه وفي الرسل ذكرى فاقتده بِهم
لواحــد بــك يهديــه الإلــه لذا ... خــير غــدًا لك من حمر من النعم
واسلك سواء الصراط الْمستقيم ولا ... تعدل وقــل ربِّي الرحمــن واستقم

ولإبراهيم[1] بن مسعود الإلبيري من قصيدة طويلة قوله:

أبــا بكــر دعوتــك لــو أجبــتا ... إلى مــا فــيه حظــك لــو عقلتا
إلى عــلم تكــون بــه إمامــا ... مطاعًــا إن نَهيــت وإن أمــرتا
ويجلــو مــا بعيــنك مــن غشاها ... ويهديــك الطــريق إذا ضــللتا
وتحمــل مــنه في نــاديك تاجــا ... ويكســوك الجمــال إذا عريــتا
يــنالك نفعــه مــا دمــت حــيا ... ويــبقى ذكــره لــك إن ذهبــتا
هــو العضــب المهــند ليس ينبو ... تصــيب بــه مقــاتل مــن أردتا
وكــنز لا تخــاف علــيه لصًّــا ... خفــيف الحمــل يوجد حيث كنتا
يــزيد بكــثرة الإنفــاق مــنه ... ويــنقص إن بــه كفًّــا شــددتا

(١) هو الشاعر الزاهد إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي من أهل غرناطة يعرف بالإلبيري ويكنى أبا إسحاق اشتهر بمنظومته التائية التي يحث فيها ولده على طلب العلم والعمل والتخلق بالأخلاق الكريمة، توفي في نحو الستين والأربعمائة انظر نفح الطيب للمقري التلمساني (ج٣ ص٤٩١)، (ج٤ ص٨٦ و١١٢ و٣١٧ و٣٢٢).

فلـــو قـــد ذقــت من حلواه طعما ... لآثـــرت التعـــلم واجـــتهدتا
ولم يشـــغلك عـــنه هـــوى مطاع ... ولا دنـــيا بزخـــرفها فتنـــتا
ولا ألهـــاك عـــنه أنـــيق روض ... ولا خـــود بزينـــتها كلفـــتا
فقـــوت الـــروح أرواح المعـــاني ... ولـــيس بـــأن طعمـــت ولا شربتا
فواظـــبه وخـــذ بـــالجد فـــيه ... فـــإن أعطاكـــه الله انتفعـــتا
وإن أعطيـــت فـــيه طويـــل بـــاع ... وقـــال الـــناس إنـــك قـــد علمتا
فـــلا تـــأمن ســـؤال الله عـــنه ... بتوبـــيخ علمـــت فهـــل عملـــتا
فـــرأس العـــلم تقـــوى الله حقـــا ... ولـــيس لأن يقـــال لقـــد رأســـتا
وإن ألقـــاك فهمـــك فـــي مهاو ... فليتـــك ثُمَّ ليتـــك مـــا فهمتـــا

وقال آخر(١):

ســـلام يفوق المسك عرف شذائه ... ويفضـــح بـــون الصبح نور ضيائه
ويســـري إلى مـــن أمـــه نفح طيبه ... فيعقـــبه في صـــبحه ومســـائه
عـــلى حافظ الود المقيم على الإخا ... ومـــن قـــابل الحســـنى بحسن فنائه
فـــيا راكـــبًا أبلغـــه مـــني رسالة ... بهـــا فهمـــه يـــذك نـــار ذكائـــه
وصـــية حـــق بالإشـــارة أومأت ... إلى نصـــح مملـــيها وعُظـــم اعتنائه
ومـــن بعد إقراء السلام فقل لـــه ... على العلم فاحرص واجتهد في اقتنائه

---

(١) هو الشاعر المجود الأديب العالم المتقن أحمد بن علي بن حسين بن مشرف الوهيبي التميمي السلفي المالكي الأحسائي ولد بالأحساء في أوائل القرن الثاني عشر الهجري تتلمذ للشيخ الجليل مؤرخ العصر حسن بن غنام صاحب كتاب عنوان المجد، وتوفي بالأحساء سنة (١٢٨٥هـ)، انظر تاريخ الأحساء (ج٢ ص١٠٩-١١١).

وأنفق جميع العمر في غرس كرمه لعلك تحظى باجتناء جنائه
فما هو إلا العز إن رمت مفخرا وما هو إلا الكنز عند اجتنائه
وما أحسن العلم الذي يورث التقى به يرتقي في المجد أعلى سمائه
ومن لم يزده العلم تقوى لربه فلم يؤته إلا لأجل شقائه
وما العلم عند العالَمين بحده سوى خشية الباري وحسن اتقائه

ومن قصيدة للشيخ عبد العزيز[1] بن حمد بن ناصر في الدعوة إلى أسس الأخلاق ومنها العلم، قال -رحمه الله-:

وفي خلوة الإنسان بالعلم أنسه ويسلم دين المرء عند التوحد
وخير جليس المرء كتب تفيده علومًا وآدابًا وعقلاً مؤيد
وخالط إذا خالطت كل موفق من العلما أهل التقى والتسدد
يفيدك من علم وينهاك عن هوى فصاحبه تهدى من هداه وترشد

ونكتفي بهذا القدر الممتع من القصائد الجيدة التي جادت بها قرائح الأدباء والعلماء في فضل العلم الشرعي وطلابه العاملين به، ونسأل الله أن يجعلنا منهم، وأن يحشرنا في زمرتهم في دار كرامته بمنه وكرمه آمين.

* * * * *

(١) هو الشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن عثمان من آل معمر ولد في مدينة الدرعية يوم كانت عاصمة الجزيرة العربية، ونشأ في بيت والده العالم الكبير فشبَّ على حب العلم والرغبة في تحصيله توفي -رحمه الله- في البحرين سنة (١٢٤٤هـ)، انظر عنوان المجد (ج٢ ص٣٧، ٣٨).

الأمر الثاني
إيضاح الفرق بين العلم النافع والعلم الذي لا ينفع

وتفصيل القول في هذا الأمر هو أن العلم جاء ذكره في الكتاب والسنة تارة في مقام المدح، وتارة في مقام الذم.

فأما الأول: فقد دل عليه قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [الزمر: من الآية٩]. ونحوها من الآيات التي سبق إيرادها في الأمر الأول.

وأما الثاني: فعلى قسمين:

قسم شر محض هو وأهله كالسحر فإنه شر محض لقول الله تعالى: ﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ**﴾ [البقرة: من الآية١٠٢].

ومثل السحر ما افتخر به الكفار من العلم الذي زعموا أنه أقوم من العلم الذي جاء به الأنبياء إلى أممهم يدعونهم به إلى الرضا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وأن جميع الأنبياء والرسل أصحاب حق وصدق جاءوا به من عند الله وأن الآخرة وما سيكون فيها من نعيم مقيم وعذاب أليم حق،

بينما علم الكفار الذي اغتروا به يفيد أن لا بعث ولا نشور، وأن الخير بحذافيره فيما كان عليه آباؤهم الذين هم بهم مقتدون، وقد قال الله تعالى مبينًا فرحهم بما عندهم من العلم الباطل: ﴿**فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾ [غافر:٨٣].

هذا فيما يتعلق بالقسم الأول.

وقسم هو خير في ذاته ونافع في نفسه ولكنه شر على أهله؛ لأنَّهم لَم يعملوا به بل اشتروا به ثمنًا قليلاً فأصبح حجة عليهم لا شفيعًا لهم.

وقد أوضح الله هذا القسم في مواضع من كتابه منها في سورة الأعراف حيث قال -تبارك وتعالى-: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ**﴾ [الأعراف: الآية: ١٧٥ ومن الآية١٧٦] .

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله- في تفسيره لهذه الآية: "يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾. أي: علمناه علم كتاب الله، فصار العالم الكبير والحبر النحرير: ﴿**فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ**﴾. أي: انسلخ من الاتصاف الحقيقي بالعلم بآيات الله، فإن العلم بذلك يصير صاحبه متصفًا بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويرقى إلى أعلى الدرجات وأرفع المقامات، فترك هذا كتاب الله وراء ظهره ونبذ الأخلاق التي يأمر بِها الكتاب، وخلعها كما يخلع اللباس.

فلما انسلخ منها أتبعه الشيطان، أي: تسلط عليه حين خرج من الحصن الحصين، وصار إلى أسفل سافلين، فأزه إلى المعاصي أزًّا: ﴿**فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾. بعد أن كان من الراشدين المرشدين، وهذا لأن الله تعالى خذله ووكله إلى نفسه، فلهذا قال تعالى: ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا**﴾. بأن نوفقه للعمل بها، فيرتفع في الدنيا والآخرة، فيتحصن من أعدائه.

﴿**وَلَكِنَّهُ**﴾ فعل ما يقتضي الخذلان، فأخلد إلى الأرض، أي: إلى الشهوات السفلية، والمقاصد الدنيوية، ﴿**وَاتَّبَعَ هَوَاهُ**﴾ وترك طاعة مولاه ﴿**فَمَثَلُهُ**﴾ في شدة حرصه على الدنيا وانقطاع قلبه إليها ﴿**كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ**﴾ أي: لا يزال لاهثًا في كل حال، وهذا لا يزال حريصًا حرصًا قاطعًا قلبه، لا يسد فاقته شيء من الدنيا"[1].

وقال العلامة ابن القيم -رحمه الله- في تفسيره لهذه الآية: "فشبه سبحانه من أتاه كتابه، وعلمه العلم الذي منعه غيره، فترك العمل به واتبع هواه، وآثر سخط الله على رضاه، ودنياه على آخرته، والمخلوق على الخالق بالكلب الذي هو من أخس الحيوانات، وأوضعها قدرًا، وأخسها نفسًا، وهمته لا تتعدى بطنه، وأشدها شرهًا وحرصًا.

ومن حرصه: أنه لا يمشي إلا وخطمه في الأرض يتشمم، ويستروح حرصًا وشرها، ولا يزال يشم دبره دون سائر أجزاء جسمه، وإذا رميت

---

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة ابن ناصر السعدي. سورة الأعراف (الآية ١٧٥).

إليه بحجر رجع إليه ليعضه من فرط نَهمته، وهو من أمهن الحيوانات وأحملها للهوان، وأرضاها بالدنايا، والجيف القذرة المروحة أحب إليه من اللحم، والعذرة أحب إليه من الحلوى، وإذا ظفر بميتة تكفي مائة كلب لَم يدع كلبًا يتناول معه منها شيئًا إلا هَرَّ عليه وقهره، لحرصه وبخله وشرهه.

ومن عجيب أمره وحرصه: أنه إذا رأى ذا هيئة رثة وثياب دنية، وحال رزية نبحه، وحمل عليه، كأنه يتصور مشاركته له، ومنازعته في قوته، وإذا رأى ذا هيئة حسنة وثياب جميلة ورئاسة: وضع له خطمه في الأرض وخضع له ولَم يرفع إليه رأسه.

وفي تشبيه من آثر الدنيا وعاجلها على الله والدار الآخرة -مع وفور علمه- بالكلب في حال لهثه سر بديع، وهو أن هذا الذي حاله ما ذكره الله من انسلاخه من آياته واتباعه هواه: إنما كان لشدة لهفه على الدنيا، لانقطاع قلبه عن الله والدار الآخرة، فهو شديد اللهف عليها، ولهفه نظير لهف الكلب الدائم في حال إزعاجه وتركه، واللهف واللهث شقيقان وأخوان في اللفظ والمعنى".

قال ابن جرير: الكلب منقطع الفؤاد، لا فؤاد لــــه: إن تحمل عليه يلهث، أو تتركه يلهث، فهو مثل الذي يترك الهدى لا فؤاد له إنما فؤاده منقطع.

قلت -أي ابن القيم-: مراده بانقطاع فؤاده: أنه ليس له فؤاد يحمله

على الصبر وترك اللهث، وهكذا هذا الذي انسلخ من آيات الله، لم يبق معه فؤاد يحمله على الصبر عن الدنيا، وترك اللهف عليها، فهذا يلهث على الدنيا من قلة صبره عنها، وهذا يلهث من قلة صبره عن الماء، فالكلب من أقل الحيوانات صبرًا عن الماء، وإذا عطش أكل الثرى من العطش، وإن كان فيه صبر على الجوع، وعلى كل حال فهو أشد الحيوانات لهثًا: يلهث قائمًا، وقاعدًا، وماشيًا، وواقفًا، وذلك لشدة حرصه، فحرارة الحرص في كبده توجب له دوام اللهث.

فهكذا مشبهه: شدة الحرص وحرارة الشهوة في قلبه توجب له دوام اللهث، فإن حملت عليه بالموعظة والنصيحة فهو يلهث، وإن تركته ولَم تعظه فهو يلهث[1].

ومنها في سورة الجمعة حيث قال ﷻ عن اليهود: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ**﴾ [الجمعة: من الآية٥].

قال ابن كثير -رحمه الله-: "يقول تعالى ذامًّا اليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها، مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفارًا، أي إذا حمل كتبًا لا يدري ما فيها، يحملها حملاً حسيًّا، لا يدري ما عليه، وكذلك اليهود في حملهم التوراة التي أوتوها وحفظوها لفظًا ولَم يفهموها ولا عملوا بمقتضاها بل أوّلوها وحرفوها وبدلوها

---

(١) انظر بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية. سورة الأعراف الآية ١٧٥.

فهم أسوأ حالاً من الحمير؛ لأن الحمار لا فهم له، وهؤلاء لهم فهوم لَم يستعملوها"[١].

قلت: ويلحق بِهم في هذا المثل السيئ كل من آتاه الله علمًا مما جاء به نبينا محمد ﷺ، ثم يقابله بالنبذ له والإعراض عنه، أو عمد إلى تأويل نصوصه بالتأويلات الباطلة، ولوى أعناقها لتستجيب لهوى نفسه الظالمة ومراد قلبه المريض، ورحم الله سلفنا الصالحين الذين قالوا: "من فسد من علماء هذه الأمة ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادها ففيه شبه من النصارى".

ولقد استعاذ النبي ﷺ من علم لا ينفع صاحبه، فقد روى مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها**»[٢].

وفي رواية: «**ومن دعاء لا يسمع**»[٣].

وفي بعضها: «**أعوذ بك من هؤلاء الأربع**»[٤].

---

(١) انظر مختصر ابن كثير لمحمد نسيب الرفاعي (ج٤، ص٣٦٢).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (ج٤ ص٣٧١)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء (ج٤ رقم ٢٧٢٢ ص١٠٨٨).

(٣) أخرج هذه الرواية أحمد (ج٢ ص١٦٧)، والنسائي (ج٨ ص٢٤٥)، والحاكم (ج١ ص٥٣٤) من حديث عبد الله بن عمر وإسنادها صحيح.

(٤) عند الترمذي في كتاب الدعوات (باب ٦٩ ج٥ رقم ٣٤٨٢ ص٥١٩) وإسناده جيد.

وثبت عند النسائي وغيره بسند صحيح: «**اللهم إني أسألك علمًا نافعًا، وأعوذ بك من علم لا ينفع**». وعند ابن ماجه أن النبي ﷺ قال: «**سلوا الله علمًا نافعًا، وتعوذوا بالله من علم لا ينفع**»(١).

والخلاصة: أن العلم النافع هو ما استُمد من كتاب ربنا وسنة نبينا محمد ﷺ، وسبب لصاحبه خشية الله في السر والعلن، وأثمر في قلبه وجوارحه تقواه، وحال بينه وبين المعاصي كبائرها وصغائرها باطنها وظاهرها، فتراه دائمًا على استحياء من ربه لئلا يفقده حيث أمره، أو يراه حيث حرم عليه ونَهاه.

قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله-:

العلم النافع يدل على أمرين:

أحدهما: على معرفة الله وما يستحقه من الأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال الباهرة، وذلك يستلزم إجلاله وإعظامه وخشيته ومهابته ومحبته ورجاءه والتوكل عليه والرضا بقضائه والصبر على بلائه.

والأمر الثاني: المعرفة بما يحبه ويرضاه، وما يكرهه ويسخطه من الاعتقادات، والأعمال الظاهرة والباطنة والأقوال، فيوجب ذلك لمن علمه المسارعة لما فيه محبة الله ورضاه، والتباعد عما يكرهه ويُسخطه، فإذا أثمر العلم لصاحبه هذا فهو علم نافع.

---

(١) أخرجه أحمد (ج٣ ص٢٨٣)، والنسائي (ج٨ ص٢٦٣ و٢٦٤). والحاكم (ج١ ص١٠٤) وإسناده حسن.

فمتى كان العلم نافعًا ووقر في القلب فقد خشع القلب لله، وانكسر له، وذل هيبة وإجلالاً وخشية ومحبة وتعظيمًا، ومتى خشع القلب لله وذل وانكسر له قنعت النفس بيسير الحلال من الدنيا وشبعت منه فأوجب لها ذلك القناعة والزهد في الدنيا، وكل ما هو فان لا يبقى من المال والجاه، وفضول العيش الذي ينقص به حظ صاحبه عند الله من نعيم الآخرة وإن كان كريْمًا على الله.. وأوجب ذلك أن تكون بين العبد وبين ربه ﷻ معرفة خاصة فإن سأله أعطاه، وإن دعاه أجابه، كما جاء في الحديث الإلهي: «**ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه... إلى قوله: فلئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**»[1].

وفي وصيته ﷺ لابن عباس: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**»[2] الحديث.

فالشأن في أن العبد يكون بينه وبين ربه معرفة خاصة بقلبه بحيث يجده قريبًا منه، يستأنس به في خلوته، ويجد حلاوة ذكره ودعائه ومناجاته، ولا يجد ذلك إلا من أطاعه في سره وعلانيته.

ومتى وجد العبد هذا فقد عرف ربه، وصار بينه وبينه معرفة خاصة، فإذا سأله أعطاه، وإذا دعاه أجابه كما قيل للفضيل بن عياض:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب التواضع (ج٨ ص٨٩).

(٢) أخرجه أحمد (ج١ ص٣٠٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٧٥، ٨٦) وإسناده حسن وقد تكلم على إسناده العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٢٨٦/٤) بما لا مزيد عليه.

"أما بينك وبين ربك ما إذا دعوته أجابك فغُشي عليه".

والعبد لا يزال في الشدائد والكروب في الدنيا والبرزخ والآخرة، فإذا كان بينه وبين ربه معرفة خاصة كفاه الله ذلك كله، وهذا هو المشار إليه في وصية ابن عباس بقوله ﷺ: **«تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»**.

إلى أن قال -رحمه الله- ونفعنا بعلمه: "فالعلم النافع ما عَرف بين العبد وربه ودل عليه حتى عَرَف ربه ووحده وأَنِس به واستحيا من قربه وعبده كأنه يراه"(١).

وقال الحسن البصري: "العلم علمان: فعلم على اللسان فذاك حجة الله على ابن آدم، وعلم في القلب فذاك العلم النافع"(٢).

وذكر ابن عبد البر في الجامع عن سفيان بن عيينه قال: "كان يقال: العلماء ثلاثة: عالِم بالله عالِم بأمر الله، وعالِم بالله ليس بعالِم بأمره، وعالِم بأمر الله ليس بعالِم بالله"(٣).

قلت: ومن المقطوع به أن من فاته العلم النافع الذي سبقت أوصافه

---

(١) انظر رسالة "بيان فضل علم السلف على علم الخلف" للإمام ابن رجب، تحقيق وتعليق محمد بن ناصر العجمي (ص١٥٣).

(٢) أخرجه الدارمي (ج١ ص١٠٢) من طريق هشام بن حسان، وهشام هذا لم يسمع من الحسن البصري كما في التقريب.

(٣) (ج٢ ص٤٨).

ومنافعه، فإنه سيسقط في الأربع التي استعاذ منها النبي ﷺ كما في حديث زيد بن أرقم في صحيح مسلم وغيره، وكما في حديث جابر عند النسائي، وابن ماجه، وحينئذ يصبح علمه حجة عليه ينتفع به بحيث لَم يؤثر في قلبه، ولَم تنقد له جوارحه، فلا هو لأمر الله يمتثل ولا لنهيه يجتنب ولا لرضاه يرضى ولا لغضبه يغضب، بل آثار هذا العلم -النافع في نفسه- الذي لَم ينتفع به صاحبه هي قصد الشهرة، والرياء والفخر، وصرف وجوه الناس إليه وطلب الجاه والمناصب في هذه الحياة الدنيا.

كما أن من خصائص أهله الإصرار على الباطل، وغمط الناس، ورد الحق، وعدم الانقياد إليه وغير ذلك من الرزايا كثير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

والحقيقة: أن من سبر أحوال كثير ممن يطلق عليهم علماء أو طلاب علم اليوم وقبل اليوم وجدهم غير منتفعين بعلمهم كما يجب أن يكون بسبب ما يتقلبون فيه من ألوان الانحرافات التي فتنت بِها قلوبُهم وانقادت لها نفوسهم وجوارحهم، إما بسبب مرض الشبهة أو الشهوة أو هما معًا، إذ منهم:

١- من انحرف عن عقيدة التوحيد التي تتجلى في إفراد الله بكل عبادة مالية أو بدنية وعدم صرف شيء منها لغيره ولو مثقال ذرة من عبادة بالمال أو البدن.

نعم؛ لقد انحرف عن هذه العقيدة الغراء كثير من الخلق فعبدوا من

يسمونَهم بالأولياء من أصحاب القبور التي قد رفع بناؤها وكسي جدرانُها وطيبت بأنواع الطيب والبخور، وفتحت صناديقها لبذل النذور وأمَّها الناس من البوادي والمدن في كثير من البلدان من قريب ومن بعيد إلى وقت تقييد هذه السطور، وزيادة في الشر أن تلك الأضرحة بنيت في المساجد، أو بنيت المساجد عليها، ويكون عندها من الخشوع والخضوع والبكاء والإلحاح في المسألة والطلب ما لَم يكن في المساجد وبين يدي الله في محاريب الصلاة، غير أن علماء السوء الذين يُقتدى بِهم في هذا الصنيع الشنيع والشرك الفظيع يقولون: إننا لا ندَّعي في الأولياء المقبورين خلقًا ولا إيجادًا، وإنما ندعوهم ونناديهم توسلاً بِهم واستشفاعًا لفضلهم وعلو منْزلتهم وكمال حياتِهم البرزخية وقربِهم من ربِّهم الذي يعطيهم ما يشاءون من المصالح، ويدفع ما يطلبون دفعه من المضار.. إلخ ما هنالك.

فقل لي بربك أي شرك أعظم من هذا، وأي توحيد يبقى مع من يقدس المخلوقين ذلك التقديس الذي لا يليق إلا بالله الحق ﷻ عما يفعله المشركون، وإن سموا أنفسهم مسلمين.

٢- ومنهم من انحرف بموالاته وتأييده لمن يحكمون بغير ما أنزل الله، وقد انغمس في هذا النوع من الانحراف كثير ممن يطلق عليهم لقب "العلماء" وقلدهم عامة الناس لديهم -إلا من شاء الله- في الرضا بِهذا الانحراف، والمتابعة عليه باطنًا وظاهرًا، ولا شك أن هذا النوع من الانحراف يعتبر من باب صرف العبادة لغير الله عند استحلاله، ويعتبر

المستحل له والراضي به والمفضل له على أحكام الله أو المساوي به لها مشركًا كافرًا ولو صلى وصام وقرأ القرآن وحج بيت الله الحرام[1] ولي في هذا الموضوع كتابةٌ مفصلة في كتابي "**المنهج القويم**" أنصح بالرجوع إليها[2] للاستفادة منها، والله المستعان.

٣- ومنهم من انحرف عن القول الحق والطريقة المثلى في باب أسماء الله وصفاته وهم طوائف كثيرة:

❋ الطائفة الأولى: الجهمية:

وهم أتباع الجهم بن صفوان فقد نفوا بتأويلاتهم الباطلة شرعًا وعقلاً - كل ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من النصوص المحكمة الصريحة التي أثبتت لله ﷻ الأسماء الحسنى والصفات العلى التي تليق بعظمته وجلاله، وكان الجهم بن صفوان المتوفى مقتولاً[3] بسبب انحرافه عن قول الحق في هذا الباب قد أخذ مقالة التعطيل عن الجعد بن درهم المتوفى مقتولاً[4] بالسيف الذي قتل به الجهم وكان قد أخذ مقالة التعطيل عن أبان بن سمعان، وأخذ أبان عن طالوت عن خاله لبيد بن

(١) وذلك بعد قيام الحجة عليه، وتفاصيل المسألة تطلب من مظانّها.

(٢) (ص ٢٦٠، ٢٦١).

(٣) (سنة ١٢٨هـ).

(٤) قتله خالد القسري يوم عيد الأضحى حيث قال للناس: "أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضحٍّ بالجعد ابن درهم، فإنه زعم أن الله لَم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولَم يكلم موسى تكليمًا".

الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر رسول الله ﷺ، فهذه هي سلسلة إسناد المعطلة الذين أنكروا أسماء الله وصفاته التي أثبتها سبحانه لنفسه في كتابه، وأثبتها له رسوله الكريم في سنته، وأخذ بها أولو العلم والفضل والإيمان من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وذلك على الوجه الصحيح الذي أراده ربُّهم وعلموه من نبيهم -عليه الصلاة والسلام-، فتبًّا لأهل الإصرار على الانحراف المخالفين لمنهج الله ومنهج رسوله بتأويلات فاسدة قد نشأت عن زيغ في القلوب وفساد في العقل وجهل بأصل الدين العظيم ألا وهو توحيد رب العالمين.

❊ الطائفة الثانية: المشبهة:

وهم الذين اعتقدوا أن صفات الله مثل صفات خلقه، حيث قالوا: لله يد كأيدينا، وسمع كسمعنا، وبصر كبصرنا، وهكذا فهموا النصوص في هذا الباب فهمًا خاطئًا، فضلوا عن سواء السبيل.

❊ الطائفة الثالث: المعتزلة:

الذين عطلوا البارئ سبحانه من صفات كماله سفهًا وعنادًا، وصرحوا بأن كلام الله مخلوق رغم صراحة النصوص القرآنية بأن كلام الله منَزل غير مخلوق بل منه بدأ وإليه يعود، غير أن القوم شبهوا ولبَّسوا على أنفسهم وعلى الناس بالتأويلات الفاسدة التي تمت من قبلهم بضرب بعض نصوص الكتاب ببعض، وتأويله على غير وجه الحق من أجل فتنة الخلق التي استمرت عبر تأريخ الزمان.

ولقد تصدى لأهل التعطيل الجهمية والمعتزلة أئمةُ الهدى -السلف الصالح وأتباعهم- فردُّوا مقالاتهم المنكرة وحكم بعضهم عليهم بالكفر، فهذا سفيان بن سعيد الثوري أمير المؤمنين في الحديث وعلم الرجال قال: من قال إن: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص:١، ٢] مخلوق. فهو كافر"[١].

وقال مالك بن أنس إمام دار الهجرة: "من قال: القرآن مخلوق يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه"[٢].

وقال الإمام عبد الله بن المبارك: "الجهمية كفار"[٣].

وقال محمد بن أعين -وهو ثقة صدوق-: "سمعت النضر بن محمد يقول: من قال: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه:١٤] مخلوق. فهو كافر"[٤].

وقال يحيى بن معين إمام أهل الحديث: "من قال: القرآن مخلوق فهو كافر"[٥].

وقال الإمام أحمد -وقد سئل عمن قال: القرآن مخلوق أهو كافر؟

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة رقم (١٣) بسند جيد.

(٢) رواه ابن أبي حاتم، كما في السنة لابن الطبري رقم (٤٩٥) بسند صالح.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة رقم (١٥) بسند جيد.

(٤) المصدر السابق رقم (١٩).

(٥) عبد الله بن أحمد في السنة رقم (٦٨) بسند جيد.

فقال-: "أقول: هو كافر"[(١)].

وقال **محمد بن إسماعيل البخاري -صاحب الصحيح-**: "نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس فما رأيت أضل في كفرهم منهم -يعني: الجهمية- وإني لأستجهل من لا يكفرهم، إلا من لا يعرف كفرهم، وقال: ما أبالي صليت خلف الجهمي أو الرافضي، أم صليت خلف اليهود والنصارى، ولا يسلم عليهم، ولا يعادون، ولا يناكحون، ولا يشهدون، ولا تؤكل ذبائحهم"[(٢)].

وغير هؤلاء من الأئمة كثير ممن صرحوا بكفر هؤلاء الجهمية والمعتزلة الغلاة.

الطائفة الرابعة: الأشعرية:

ولا شك أن الأشاعرة أقرب الطوائف إلى أهل السنة لاتفاقهم معهم في أمور كإثبات بعض الصفات لله تعالى كالحياة والكلام والقدرة والمشيئة والإرادة والسمع والبصر، وهكذا يتفقون معهم فيما يتعلق بشأن أصحاب رسول الله ﷺ والخلفاء الأربعة وفي أمور تعرف بالتتبع والاستقراء غير أنَّهم يخالفون أهل السنة والجماعة -الفرقة الناجية- في أمور كثيرة ما كان لهم أن يخالفوا فيها، وإن مخالفتهم لتعتبر انحرافًا منهم عن جادة الحق والصواب بشهادة نصوص السنة والكتاب وأقوال سلفنا

---

(١) رواه أبو داود في المسائل (ص٢٦٢)، ومن طريقة الآجُرِّي في الشريعة (ص٨١).

(٢) انظر خلق أفعال العباد رقم (٣٥).

الصالحين ومن تبعهم بإحسان من أولي الألباب، وإليك بعض تلك الأمور التي خالف فيها الأشاعرة أهل السنة والجماعة كما ذكر ذلك أهل العلم -رحمهم الله-:

١- **في مصدر التلقي**: إذ هو عند الأشاعرة(١) العقل كما صرح بذلك أئمتهم كالجويني والرازي والغزالي(٢) وغيرهم، وعليه فمتى تعارض العقل والنقل عندهم قدم العقل لأنه قطعي الدلالة عندهم، وأما النصوص النقلية من كتاب وسنة فهي إما أن تكون غير صحيحة -في نظرهم- فتترك، وإما أن تكون صحيحة فتأول ببيان أن ظاهرها غير مراد(٣).

بينما أهل السنة والجماعة يعتبرون مصدر التلقي هو النقل الذي أوحاه الله إلى نبيه ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربِّهم إلى صراط العزيز الحميد، كما أن عندهم أن العقل الصحيح السليم لا يعارض النقل الصحيح.

---

(١) **الأشاعرة**: هم فرقة أسسها أبو الحسن الأشعري في أول أمره بعد اختلافه مع المعتزلة، غير أن أبا الحسن الأشعري رجع عن مذهبه السابق في الصفات، واقتنع بمذهب الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، وصرح بذلك في كتابه الإبانة وغيره، وبقي أهل التعصب والتقليد على المذهب المنحرف من الأشاعرة لاسيما المتأخرين منهم والمعاصرين.

(٢) لقد ذكر العلماء عن هؤلاء الشيوخ من الأشاعرة أن الله أكرمهم إذ وفقهم للتوبة عن علم الكلام في آخر أعمارهم فذكروا مذهب السلف بخير، وأرشدوا الأمة إلى الأخذ به ورفض ما سواه.

قلت: وهذا من فضل الله عليهم وإحسانه إليهم فله الحمد والمنة.

(٣) انظر الرد عليهم في شرح القصيدة النونية للدكتور محمد خليل هراس (ج٢ ص١٥٣).

والخلاصة: أن النقل هو الحاكم، والعقل هو المحكوم عليه.

٢- **في طريق إثبات وجود الله الحي القيوم:** فقد سلك الأشاعرة في هذه المسألة طريق المقدمات والنتائج فقالوا: إن الكون حادث، وكل حادث فلابد له من محدث قديْم، وأخص صفات هذا القديْم مخالفته للحوادث وعدم حلولها فيه، ومن مخالفته للحوادث إثبات أنه ليس جوهرًا ولا عرضًا ولا جسمًا ولا في جهة ولا مكان..إلخ ما هنالك من القضايا التي انطلقوا منها حتى وصلوا إلى أصول فاسدة بتأويلات باطلة لكثير من صفات الرب سبحانه كالرضا والغضب والمقت والسخط والاستواء والعلو، وكانت شبهتهم في ذلك ونحوه هي نفس حلول الحوادث في القديْم -على حد تعبيرهم- ونفي الجوهرية والعرضية والجهة والجسمية ونحو ذلك من المصطلحات البدعية التي فندها أمراء التوحيد الحق الذين انطلقوا في كل باب من أبواب العلم من نصوص كتاب ربِّهم وسنة نبيهم ﷺ ولَم يعارضوهما بأباطيل القواعد الفلسفية ولا بالأدلة العقلية السقيمة كما فعلت الطائفة الأشعرية قديْمًا وحديثًا[١].

نعم؛ إن أهل السنة والجماعة يثبتون وجود الله -تبارك وتعالى-:

بالأدلة السمعية: كقوله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص:١، ٢].

وكقوله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ

(١) انظر المصدر السابق (ص١٥٧).

فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٩٢].

وكقوله: ﴿**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾ [البقرة: ١٦٣]. وكقوله سبحانه: ﴿**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام:١٠٢، ١٠٣].

وكقوله -جل وعلا-: ﴿**الم (١) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ [آل عمران:١، ٢].

وكقول النبي ﷺ للجارية: «**أين الله**؟ قالت: في السماء»[(١)]. الحديث.

وغير هذه النصوص كثيرة لا تحصى من كثرتها.

وبالأدلة العقلية: إذ إن الناظر في الكون وما فيه من العالم العلوي والعالم السفلي يستدل بذلك على وجود الله الخالق العظيم الأول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، إذ يستحيل أن هذه المخلوقات من سماء وأرض وبحار وأنهار وليل ونهار ورياح وأمطار وأشجار وإنس وجن وطير ووحش وملائكة كرام وغير ذلك من مخلوقات الملك العلام أن توجد نفسها أو يوجد بعضها بعضًا أو توجد صدفة بدون موجد، بل

---

(١) أخرجه أحمد (ج٢ ص٢٩١)، ومسلم في المساجد باب تحريم الكلام في الصلاة (ج١ رقم ٥٣٧ ص٣٨٢).

الله موجدها من العدم وحده دون سواه من مخلوقات: ﴿سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مريم: من الآية٣٥].

وقال تعالى في تقرير الدليل العقلي: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ﴾ [الطور:٣٥، ٣٦].

وبالأدلة الفطرية: حيث إن الله أودع في الفطر الإنسانية السليمة أن للخليقة ربًّا رازقًا، وحيًّا قادرًا سميعًا بصيرًا عليمًا حكيمًا، وإلهًا عظيمًا لا يستحق العبادة أحد سواه، ولا يُلجأُ إلى غيره عند الشدائد والمحن والكروب، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥].

ولقد أشار الله إلى دليل الفطرة بقوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٣٠].

ولله درُّ القائل[1]:

فيا عجبا كيف يعصى الإله   أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية   تدل على أنه الواحد

٣- **في التوحيد:** إذ هو عندهم نفي التثنية أو التعدد، ونفي التبعيض والتركيب -كما يقولون- وخلصوا من هذا التعريف، ففسروا الإله بأنه

---

(١) هو ابن المعتز.

الخالق أو القادر على الاختراع، وجهلوا المعنى الحق لبعض صفات الباري سبحانه كالوجه واليدين والعينين ونحوها، قالوا: لأنَّها تدل على التركيب والأجزاء.

بينما أهل السنة والجماعة يفسرون التوحيد بأنه إفراد الله بكل عبادة مالية أو بدنية والخلوص له والبراءة من الشرك وأهله، ويعتبرون أقسامه ثلاثة:

١- توحيد الإلهية.

٢- توحيد الربوبية.

٣- توحيد الأسماء والصفات.

فأين تقسيم الأشاعرة الذي لَم يعتمدوا فيه على نص من كتاب الله ﷻ ولا من سنة رسوله ﷺ، من هذا التقسيم الذي اعتمد فيه السلف على نصوص في غاية الصراحة والوضوح كقوله سبحانه: ﴿**الحَمْدُ للَّه رَبِّ العَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [الفاتحة:٢ - ٤].

وكقوله ﷻ : ﴿**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُم**﴾ [الأنعام: من الآية١٠٢].

وكقوله: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ**﴾ [محمد: من الآية١٩].

وكقوله -تبارك وتعالى-: ﴿**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾ [الحشر:٢٢] إلى آخر السورة وغيرها كثير.

٤- **في الصفات:** فإن مذهبهم كما علمت التعطيل بالإنكار للمعنى الحق لبعض الصفات كما مر بك قريبًا، والتأويل لبعضها كالرضا

والغضب والنُّزول والمجيء والاستواء والعلو، كلا الصنيعين باطل، جرهم إليه اعتمادهم على العقل، وتركهم لأدلة النقل من الكتاب والسنة، وسوء ظنهم بالسلف الصالح الذين أثبتوا لله -تبارك وتعالى- كل ما أثبته لنفسه من الصفات الذاتية والخبرية والصفات الفعلية، وما أثبته له رسوله ﷺ، كذلك على الوجه اللائق بعظمته سبحانه بدون تشبيه ولا تمثيل، وبدون تحريف ولا تأويل ولا تعطيل، بل على الأساس الذي أثبتوا عليه ذات الباري -جل وعلا- أثبتوا عليه جميع الأسماء والصفات، ففازوا وسعدوا ونجو، وخسر كل ملحد ومعطل ومشبه ومؤوِّل في هذا الباب العظيم الذي يعتبر أصلاً من أصول الدين ونوعًا من أنواع التوحيد التي لا يتم توحيد عبد إلا بإثباته على الوجه الذي عرفه أصحاب رسول الله عن رسول الله ﷺ الذي بلغ البلاغ المبين، وأوضح لنا أصول الدين وفروعه، فلم يكن شيء منها ملتبسًا أو غامضًا يحتاج إلى الإيضاح والبيان من ذوي العقول القاصرة، والقواعد الفلسفية الباطلة.

هذا وكم يا طالب العلم للأشاعرة القدامى والمعاصرين من مخالفات لأهل السنة والجماعة السائرين على منهج السلف فقد خالفوهم بالإضافة إلى ما رأيت وسمعت في:

١- باب الإيمان.

٢- في القرآن الكريم.

٣- في القدر.

٤- في السببية وأفعال المخلوقات.

٥- في النبوَّات.

٦- في معنى التأويل.

٧- التكفير وإطلاقه على من لا يجوز إطلاقه عليه.

وأخيرًا أقول: من أراد التفاصيل عن منهج هذه الطائفة -المتقدمين منهم والمتأخرين- في هذه الأبواب المتقدم ذكرها وفي غيرها فعليه أن يرجع إلى الكتب التالية:

- فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية من الجزء الأول إلى السادس.
- كتاب درء تعارض العقل والنقل.
- كتاب التسعينية الذي صنفه -رحمه الله- في آخر حياته جوابًا عن محاكمة الأشاعرة له.
- كتاب النبوَّات: وهو نقض كلام الباقلاني من الأشاعرة.
- القاعدة المراكشية: وهي رسالة مستقلة، كما هي موجودة في المجلد الخامس من الفتاوى.
- كتاب الإيْمان: وهو نقد الأشاعرة في الإيْمان، غالبًا.
- الفتوى الحموية: وهي رسالة معروفة تدرس في المعاهد العلمية في المملكة العربية السعودية.
- كتاب الاستقامة في نقض كتاب القشيري الصوفي الأشعري.

هذه كلها للإمام ابن تيمية - رحمه الله -، ولتلميذه ابن القيم في الرد على أهل الإلحاد والتعطيل والتشبيه والتأويل كتب كثيرة فيها بحوث قلما يجدها القارئ في غيرها في هذا الباب وغيره، من تلكم الكتب:

- الصواعق المرسلة على الطائفة الجهمية والمعطلة.
- ومنها القصيدة النونية التي حظيت بشرح نافع مفيد للشيخ محمد خليل هراس -رحمه الله-.
- ومنها اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية وغيرها كثير.

الطائفة الخامسة: ابن حزم [١] وأتباعه من أهل الظاهر:

فقد صرح ابن حزم تحت عنوان: "إطلاق الصفات" حيث قال: "وأما إطلاق لفظ الصفات لله ﷻ فمحال لا يجوز لأن الله تعالى لم ينص قط في كلامه على لفظ الصفات، ولا على لفظ الصفة، ولا جاء قط عن النبي ﷺ بأن لله تعالى صفة أو صفات، نعم ولا جاء عن أحد من الصحابة ﷺ، ولا عن أحد من خيار التابعين... إلى أن قال: فلا يجوز القول بلفظ الصفات ولا اعتقاده، بل ذلك بدعة منكرة"[٢] اهـ.

قلت: قول ابن حزم هذا لا يتفق مع قول أهل السنة والجماعة، بل إنَّهم ليعتبرون هذا القول تعطيلاً لما يجب لله من إثبات الكمال.

---

(١) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري الأندلسي المتوفى (٤٥٦هـ).

(٢) انظر كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل (ج٢ ص٢٨٣).

قال ابن القيم -رحمه الله- في نونيته:

أسماؤه أوصاف مدح كلها مشتقة قد حملت لمعان
إياك والإلْحَاد فيها إنه كفر معاذ الله من كفران

وقال الشيخ محمد بن خليل هراس في شرحه لهذين البيتين وما بعدهما ما نصه: "يعني أن أسماء الله كلها حسنى دالة على أوصاف الكمال التي يمدح بها ويُثْنى عليه بِها، وليست أعلامًا جامدة خالية من المعاني كما يزعم ذلك ابن حزم فإنَّها لو كانت كذلك لَم تكن حُسنى، بل هي أعلام وأوصاف معًا، وإذا كان الاسم محتملاً للمدح وغيره كالمريد والصانع والفاعل ونحوها لَم يدخل بمطلقه في أسماء الله ﷻ، بل لابد أن يقيد بما يجعله مُتمَحِضًا للمدح والثناء إذ صفاته سبحانه كلها صفات كمال محض، فهو موصوف بأكمل الصفات وله من كل صفة كمال أحسن اسم وأكمله وأتمه"(١). اهـ.

٤- **ومنهم:** من انحرف عن الهدي النبوي الصحيح إلى الفكر الصوفي، وهم فيه طبقات بعضها أخطر من بعض، ومن يقرأ كتب الصوفية، ويقرأ ما كتب عنها في بيان مساوئها وأضرارها يتضح له ما عليه القوم وأتباعهم من انحراف خطير وشر مستطير عقيدة وعبادة وخلقًا وسلوكًا.

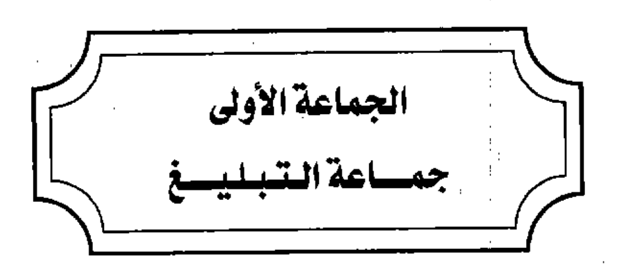
(١) انظر شرح القصيدة النونية (ج٢ ص١٢٥).

التحقيق: أنه ليس كل صفة يشتق منها اسم، فإن من صفات الله الذاتية: الوجه، واليد، والقدم ولا يؤخذ منها أسماء، ومن صفاته الفعلية: الاستهزاء، والكيد، والمكر، ولا يشتق منها أسماء، فلا يسمى بالماكر، والمستهزئ، والكائد.

٥- **ومنهم**: من انحرف في منهج الدعوة إلى الله بحيث اختُطَّ لها منهجًا تخالف جُلُّ بنوده وخططه بنود وخطط منهج أنبياء الله ورسله المرسوم في نصوص الكتاب العظيم، وسنة النبي الكريم ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وسأكتفي هنا بذكر جماعتين معاصرتين اشتهرتا بكثرة العدد في دنيا البشر، وبذل الجهد في تنفيذ بنود المنهج الدعوي الذي رسم لكل جماعة منهما.

* * * * *



الجماعة الأولى
جماعة التبليغ

وهي جماعة نشأت منذ أكثر من خمسين عامًا تقريبًا على يد أميرها المدعو محمد إلياس الكاندهلوي، وبعد وفاته تعاقب على كرسي الإمارة عدد من الهنود منهم ابنه يوسف الكاندهلوي وأما أميرها الحالي هو إنعام الحسن، وكم لها من أمراء وأتباع نحو المليون أو يزيدون وقد تم لهذه الجماعة الانتشار في معظم أقطار العالم دعاة إلى تحقيق أهداف معينة قد رسمت لهم من قبل القيادة العامة بحيث لا يتجاوزونها.

وهذه الأهداف هي:

١- **تحقيق الشهادتين:** غير أنَّهم يقصرون كلمة التوحيد على توحيد الربوبية الذي لا يدخل من أقر به في الإسلام حتى يضم إليه الإيمان بتوحيد الإلهية وتوحيد الأسماء والصفات كما هو معلوم من نصوص الكتاب والسنة؛ وذلك لأن معظم الأعاجم منهم ينطلقون مما دون في كتاب "**تبليغي نصاب**"(١)، وكتاب "**فضائل الحج**"، وفيهما من الشرك والبدع ما يغضب الله، ويوجب المقت لمن أرشد الجماعة إلى قراءتهما والالتزام بما فيهما، ومن أراد أن يطلع على أمثلة منهما فليقرأ في كتاب

---

(١) أي: منهج التبليغ، أو المقرر في منهج التبليغ.

"**وقفات مع جماعة التبليغ**" (ص٦٥) وما بعدها ورسالة "**القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ**" للعلامة الشيخ حمود التويجري.

وأما العرب فمن كان منهم قد منَّ الله عليه بتلقي علوم التوحيد، وما ينافيه من الشرك والبدع المنكرة فلا يظن به أنه سيتأثر بما تأثر به الأعاجم والجهال من الناس الآخرين، بل سيظل ثابتًا -إن شاء الله- على عقيدته الصحيحة، غير أنه أساء بالرضا بمنهج الجماعة الذي فرض عليهم من جهة جاهلة المنهج النبوي السليم، كما أنه أساء بتكثير سواد الجماعة المذكورة، واغترار الناس بوجوده معها وتحت ألوية قادتِها فيسرعون إلى الانضمام إليها زرافات ووحدانًا، اقتداءً به من غير أن يكون له أي تأثير على نظام الجماعة ومنهجهم المخالف لمنهج السلف في جل وسائله وغاياته.

٢- **الاهتمام بشأن الصلاة فريضة ونوافل**: غير أنه يغلب على كثير منهم الجهل بأركانِها وواجباتِها وكثير من أحكامها، فلقد زارني واحد من هذه الجماعة فأخبرني بأنه قد انضم إليها من وقت طويل -وكان كبير السن- فقلت له قل: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ. فقال: سِمَعَ الله وَمَنْ حِمدهُ. فقلت له: ألا يوجد عالم في بلدكم فتتعلم منه فقه طهارتك وصلاتك؟ قال: بلى ولكن الجماعة يدعوننا إلى الخروج والبيان، والمحافظة على فقرات المنهج!.

٣- **العلم بفضائل الأعمال**: وبأنظمة الجماعة وأوامرها وطرق مشائخها وعلم ضرب الأمثال التي يستعينون بِها في البيانات، ولكنهم قد

قلَّت بضاعتهم في العلوم الشرعية أصولاً وفروعًا، بسبب عدم أخذهم عن علماء الشريعة والرجوع إلى كتب التفسير وكتب الحديث ووسائلها التي لا يجوز للداعية أن يكون جاهلاً بها، بل لابد أن يكون له منها نصيب وافر يعلمه ويُعلمه ويفتي به.

٤- الحرص على تصحيح النية: بحيث تكون الأعمال خالصة من الرياء والسمعة.

قلت: وهو هدف طيب كيف لا والإخلاص أحد شروط قبول العمل، ولكن يبقى شرط مهم لقبول الأعمال ألا وهو الصواب في العمل الذي لا يتم إلا بالعلم، والعلم لا يحصل لأحد إلا ببذل الجهد في طلبه قبل الشروع في نشره[١].

٥- إكرام المسلم والتلطف له.

قلت: وهذا شيء جميل وخلق نبيل ما لَم يفض بصاحبه إلى ترك بذل النصح بدون تسويف، وما لَم يفض بصاحبه أيضًا إلى عدم إنكار

(١) أما في مفهوم أغلبية هذه الجماعة فإن العلم يعطاه من أخلص لله بدون بذل جهد في التعلم وملازمة لحلقات علماء التفسير والتوحيد والحديث والفقه، ولقد قال لي بعضهم -حينما كنت أحثه على طلب العلم بالطريق الصحيح-: قال أميرنا: من أخلص لله أربعين صباحًا تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه!! فقلت له: الحديث ضعيف وعلى فرض صحته فإنه لا يعفي أحدًا من طلب العلم، بل لابد من بذل الجهد في الطلب وملازمة أشياخ العلم وقتًا غير قصير. فانصرف وقد ظهرت عليه آثار القناعة بهذا المفهوم الصحيح.

المنكر بدعوى أن إنكار المنكر يتنافى مع تألف القلوب.

٦- الخروج في سبيل الله.

قلت: والخروج في سبيل الله للجهاد الحقيقي، ولطلب العلم ولنشره أمر محبوب لدى الله وأنبيائه ورسله والصالحين من عباده، ولكن أخشى أن يكون المراد به عند هؤلاء الجماعة الخروج معهم فحسب، فيقعون في أكثر من محظور لا يخفى على العقلاء العالمين.

هذه يا أخي المسلم هي الأصول التي تسعى هذه الجماعة في تحقيقها وتبليغها للناس، أما مراحل التبليغ في منهج الجماعة، والمنهل الذي تأخذ منه علمها والأمور المستحبة لديها والأمور المحظورة في مفهومها فقد تولى تفصيل القول فيها الشيخ الفاضل/ نزار بن إبراهيم الجربوع -وفقه الله- في كتابه الذي سبق ذكره قبل قليل فليرجع إليه، فإنه موثق بعزو المسائل إلى مصادرها، وضبط الحقائق من ينبوعها[1].

وأما المآخذ على هذه الجماعة فقد عقد لها الشيخ نزار فصلاً مستقلاً ذكر فيه بالتفصيل المخالفات الجوهرية التي خالفت فيها جماعة التبليغ "الطائفة المنصورة أهل السنة والجماعة" وهأنا سأعدل عن طريق التحويل إلى طريق الإثبات لهذه الأخطاء ولكن على سبيل الاختصار، فأقول:

(١) كما تولى تفصيلها أيضًا العلامة حمود التويجري في رسالته "القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ"، والشيخ عبد الرحمن بن سعد الحصين في رسالته التي سماها "حقيقة الدعوة إلى الله تعالى وما اختصت به جزيرة العرب وتقويم مناهج الدعوات الوافدة إليها".

الخطأ الأول: هو أن انتهاج جماعة التبليغ هو المنهج الصوفي في عقيدتِها ودعوتِها وعبادتِها وفي سلوك معظم أفرادها ومشائخها، حيث تكثر في كثير من أفراد الجماعة وخاصة الأعاجم البدع والشركيات وما يسمى بالحجب والتمائم التي تكثر فيها الطلاسم، إلى أن قال: وقد فتحت كثيرًا منها فرأيت فيها خطوطًا ورسومًا ومربعات ومثلثات ولفائف، وفي بعضها آيات من القرآن مع بعض الطلاسم والخطوط غير المعروفة، وفي كثير منها المناداة بأسامي غريبة مثل يا شداد، يا بدوح، وكثيرًا ما وجدت المناداة بِهذا الاسم "يا بدوح" وكذلك اعتقادهم بأصحاب المشاهد والقبور والاستعانة بِهم ودعائهم والتبرك بأضرحتهم.

قلت: وكفى بِهذا الخطأ جرمًا عظيمًا وإثمًا مبينًا، وكيف يصلح أن يكون داعية من هذا اعتقاده يا عقلاء ؟!!.

الخطأ الثاني: مبايعة أميرها وبعض مشائخها للعجم ولبعض العرب على أربع طرق صوفية هي:

١- الجشتية.

٢- النقشبندية.

٣- القادرية.

٤- السهروردية[1].

---

(١) انظر مع وقفات المهند على المفند (ص٢٩، ٣٠)، والموسوعة الميسرة (ص١١٥) وما بعدها، وكتاب الدعوة الإسلامية فريضة شرعية (ص٦٩) وما بعدها.

وإظهارهم للملتزمين بالسنة في الجزيرة العربية وغيرها خلاف ما يبطنونه، وعندما يتضح الأمر يعللون ذلك بأن هذه الطرق الصوفية رائجة ومنتشرة في شبه القارة الهندية، وأنَّهم إن لَم يبايعوا هؤلاء الناس فسيلجئونَهم إلى أهل الكذب والزندقة ليبايعونَهم.

الخطأ الثالث: تقريرهم واعتمادهم للأعاجم كتاب "**تبليغي نصاب**" لمحمد زكريا الكاندهلوي منهجًا ومنهلاً تستمد منه دعوتُهم علمها، وفيه، وفي كتاب "**فضائل الحج**" من البدع والشركيات والتصوف ما فيهما.

فمما جاء في كتاب فضائل الحج "قصة المرأة الهاشمية " وهي: "قال يوسف بن علي: كانت امرأة هاشمية تسكن في المدينة، وكان يؤذيها بعض الخدام فجاءت مستغيثة إلى رسول الله ﷺ، فخرج من الروضة الشريفة هذا الصوت، أما لك في أسوة ؟ فاصبري، تقول تلك المرأة بعد ما سمعت هذا الصوت: زال عنِّي هذا الحرج والمصيبة، وأولئك الخدام الثلاثة كلهم ماتوا ".

وأنت تعلم أيها المسلم أن الاستغاثة نوع من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها إلى غير الله، وأن كل استغاثة بحي أو ميت[1] فيما لا يقدر عليه إلا الله فهي شرك أكبر.

---

(١) أما الميت فلا يجوز أن يطلب منه شيء أصلاً، ولو كان مما يقدر عليه الحي مهما كانت منْزلته عالية عند الله فليعلم.

الخطأ الرابع: حصرهم الإسلام في بعض العبادات والأذكار، وإكرام المسلمين والتلطف لهم، والزهد في الدنيا والدعوة إلى ذلك، وأروا أنَّهم بذلك قد قاموا بالإسلام على أكمل وجه معرضين بذلك عن قوله تعالى: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّة**﴾ [البقرة: من الآية٢٠٨].

ومعرضين عن تربية المسلمين على عقيدة التوحيد، وعلى الجهاد في سبيل الله، متجاهلين واقع المسلمين المرير والحاجة الماسة إلى إصلاحه بمنهج شامل متكامل، فأغفلوا هذا فجاء منهجهم محرفًا منحرفًا مشوهًا.

الخطأ الخامس: إهمالهم العلم والبعد عن أهله، وتحذيرهم أفراد جماعتهم من الجلوس لطلب العلم ومجالسة العلماء إلا من يؤيدهم، فعم الجهل واندثر العلم بينهم وأصبح ميزان الأمور والقضايا عندهم الاستحسان والوجدان والمنامات والكرامات، والأحوال والموافقات فترتب على ذلك الخطأ الذي يلي هذا هو:

الخطأ السادس: دعوتُهم إلى دين الله بغير علم ولا بصيرة، وهذا من أكبر الأسباب التي أدت إلى هذا الانحراف، إذ كيف يدعو الإنسان إلى شيء لا يفقهه ولا يعرفه، ففاقد الشيء لا يعطيه، فهاهم يدعون إلى الإسلام وإلى اتباع أوامر الله، والاقتداء بسنة رسول الله ﷺ وهم لا يعرفونَها ولا يفقهونَها!.

الخطأ السابع: كثرة استدلالهم بالأحاديث الضعيفة وما لا أصل له مستندين في ذلك إلى ما ينقل عن بعض الأئمة من جواز العمل بالحديث

الضعيف، ضاربين بشروطهم عرض الحائط، هذا فيمن نحسن به الظن أنه يعلم هذه الشروط وهم أقل من القليل، وإلا فأغلبهم يجهلونَها بسبب أنّهم لم يتعلموها، فلم يميزوا صحيحًا من ضعيف من موضوع.

الخطأ الثامن: التحزب والتكتل والانفراد بجماعة مستقلة تخالف في منهجها منهج أهل السنة والجماعة، وتأخذ البيعة من أتباعها لأميرها، ويصبح الفرد منها منعزلاً عن إخوانه المسلمين متقوقعًا على جماعته تلك، فلا يدعو إلا من خلالها، وفيها يحب ويبغض، ويوالي ويعادي، لا حق عنده إلا ما تراه جماعته وتقرره يأتمر بأوامرها، ويرى أن لا سبيل للدعوة إلا من خلال ذلك كما هو حال جماعة التبليغ وغيرها من كل جماعة اختطت لدعوتِها منهجًا يختلف عن منهج أهل السنة والجماعة.

هذه يا أخي الكريم رءوس أقلام عن المآخذ على الجماعة المذكورة نقلتها لك من كتاب وقفات مع جماعة التبليغ، نسأل الله لنا ولهم الهداية إلى أقوم طريق، ولعلك تقول: أين المحاسن؟ فأقول لك: ارجع إلى الكتاب المذكور إذ هو المخصص للحديث عن محاسنها والمآخذ عليها، وأما موضوع حديثي هنا فإنما هو عن الانحراف في المنهج الدعوي وبيان خطره على الدعاة من خلاله والمدعوين كذلك.

قلت: ولا يعزب عن البال أن في الجماعة أفرادًا من ذوي العلم والمعتقد السلفي السليم(١)، وإنّما انضموا إليها بدافع المحبة في السير في

---

(١) لَم يحصلوه من أمراء التبليغيين بل من خارج عنهم: إذ إن منهجهم يحث على السياحة =

طريق الدعوة إلَى اللهِ، ولكن بحكم الممارسة لأمرائهم والتعرف على فقرات المنهج ظهر لهم ما في المنهج من انحراف عن منهج دعوة أنبياء الله ورسله ومن تأسى بِهم على وجه الحقيقة، فتركوهم وخرجوا عنهم محذرين ومنذرين من الانخراط في سلكهم.

الأصنام عند جماعة التبليغ خمسة:

الصنم الأول: التكسب وطلب الرزق ولو من طريق الحلال كالوظيفة والتجارة إلا إذا خرج فاعل ذلك مع جماعة التبليغ المدة المعتبرة لديهم، وهي ثلاثة أيام في الشهر، وأربعون يومًا في السنة، وأربعة أشهر في العمر، فمن فعل ذلك فلا صنم ولا إشراك.

الصنم الثاني: القربات والصدقات، أي: اتخاذ ذلك.

الصنم الثالث: النفس الأمارة بالسوء.

الصنم الرابع: الهوى لأنه يسبب الردة.

الصنم الخامس: الشيطان وهو أكبر مانع للخروج مع جماعة التبليغ[1].

* * * * *

=

في الدعوة ولَم نعرف لهم حرفًا واحدًا يحث على التحصيل العلمي وأخذه عن مشائخه المعتبرين.

(١) انظر كتاب "القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ" (ص١٧٨، ١٨٣، ١٨٨).

الجماعة الثانية
الإخوان المسلمون

قال في التعريف بهم صاحب الموسوعة الميسرة: الإخوان المسلمون كبرى الحركات المعاصرة[١]، ومؤسس هذه الدعوة الإخوانية حسن البنا حيث تَمَّ تأسيس النواة الأولى عام (١٣٢٧هـ) وتتابع على تنظيمها الزعماء الإخوانيون بعده.

وقال الشيخ **محمد بن سيف العجمي عنهم**: "إنَّهم جماعة عالمية كبرى ولها أثر بالغ على العالم الإسلامي"[٢]، ثم إن الشيخ محمد بن سيف قد تصدى لمناقشة كتاب "للدعاة فقط" الذي ألفه الشيخ جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين في الدفاع عن دعوة الإخوان في كتابه[٣] الذي سماه "وقفات مع كتاب للدعاة فقط" وقد كانت طريقته في جميع وقفاته كتابة الجمل التي كانت له عليها ملاحظات معزوة إلى كتب أصحابها من كبار قادة الإخوان ومنظريهم ولا مانع من أن أذكر بعض الأمثلة

---

(١) انظر الموسوعة المذكورة (ص٢٣).

قلت: ولكنها أسست على غير منهج السلف الصالح في دعوتهم إلى الله وجهادهم في سبيل الله، فكانت عواقبها أليمة.

(٢) انظر كتاب وقفات مع كتاب للدعاة فقط (ص٦).

(٣) أي كتاب العجمي.

على ما ذكرت من كتابه المذكور.

المثال الأول: ما قاله عمر التلمساني المرشد العام للإخوان المسلمين لمدة طويلة في كتابه "شهيد المحراب عمر بن الخطاب" (ص٢٢٥-٢٢٦) ما نصه: "قال البعض: إن رسول الله ﷺ يستغفر لهم إذا جاءوه حيًّا فقط، ولم أتبين سبب التقييد في الآية عند الاستغفار بحياة الرسول ﷺ وليس في الآية ما يدل على هذا التقييد".

قال العجمي معلقًا على هذا الفهم من المرشد المذكور: "وهنا يزعم أنه يجوز دعاء الرسول بعد موته وطلب الاستغفار منه".

ويقول التلمساني أيضًا في (ص٢٢٦): "ولذا أراني أميل إلى الأخذ بالرأي القائل: إن رسول الله ﷺ يستغفر حيًّا وميتًا لمن جاءه قاصدًا رحابه الكريم".

ويقول أيضًا في نفس الصفحة ما نصه: "فلا داعي إذن للتشدد في النكير على من يعتقد في كرامة الأولياء واللجوء إليهم في قبورهم الطاهرة والدعاء فيها عند الشدائد، وكرامات الأولياء من أدلة معجزة الأنبياء".

ويقول أيضًا في صفحة (٢٣١) **ما نصه:** "فما لنا وللحملة على أولياء الله وزوارهم والداعين عند قبورهم ؟".

فقال الشيخ محمد بن سيف معلقًا على عبارات (المرشد): "وهكذا لَم يبق شرك من شرك القبور إلا وقد أباحه في هذه العبارات "المرشد العام

للإخوان المسلمين" ومن أجل هذا الحب والهيام بما يصنع عند القبور من شرك وكفر فإن التلمساني يقول: فما لنا وللحملة على أولياء الله وزوارهم والداعين عند قبورهم ومقاماتهم؟" اهـ.

ثُمَّ قال الأخ الكريم الشيخ محمد بن سيف معلقًا على ما نقل عن التلمساني ما نصه: "فماذا بعد هذا التمييع لأمر التوحيد والعقيدة حتى أصبح دعاء الأموات عند قبورهم في الشدائد أمر تذوق، وليس فيه شرك ولا وثنية كما يزعم المرشد العام للإخوان المسلمين... إلى أن قال: هل المنهج الإخواني العقدي الذي يُخرِّج أمثال التلمساني منهج سلفي لا غبار عليه؟! وهل الجماعة التي تسمح أن يتصدر صفوفها ويكون مرشدها العام يقول هذا الكلام جماعة سلفية؟! تبًّا لهذه السلفية إن كان هذا هو نتاجها، وهؤلاء هم رجالها ومرشدوها وقادتُها[١]. اهـ.

المثال الثاني: ونقل الشيخ العجمي عن سعيد حوى قوله في كتابه "جولات في الفقهين الكبير والأكبر" (ص٦٦) ما نصه: "وسلمت الأمة في قضايا العقائد لاثنين: أبي الحسن الأشعري، وأبي منصور الماتريدي".

وعلق على هذه الجملة بقوله: "ومعلوم أن العقيدة الأشعرية والماتريدية عقيدة باطلة زائفة تقوم على تحريف كلام الله -تبارك تعالى- وكلام رسوله ﷺ، ونفي صفات الله ﷻ، وتجهيل السلف وعقائدهم"[٢] اهـ.

قلت: وإنني لأحث القراء الكرام أن يقرءوا باهتمام ما كتب حول

---

(١) انظر وقفات مع كتاب المصدر السابق نفسه (ص١٤، ١٥).

(٢) المصدر السابق نفسه (ص١٤، ١٥).

الفرق الإسلامية والأحزاب المختلفة مع وزنهم لما يقرءون بميزان الشرع الشريف، فما وافقه فهو المقبول، وما خالفه فهو المردود على صاحبه مهما كان مستواه العلمي أو شخصيته البارزة، وأما أنا فإنني -في بحثي هذا- لست بصدد وزن منهج جماعة "التبليغ"، ولا وزن جماعة "الإخوان المسلمين".

فقد كتب عن الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية جماعةٌ من أولي العلم والقيادة في الدعوة إلى الله ما فيه كفاية لطالب الحق، أذكر منهم على سبيل المثال: الشيخ ربيع بن هادي المدخلي رئيس قسم الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة[١] -سابقًا-، والشيخ محمد بن سيف العجمي[٢]، والشيخ نزار بن إبراهيم الجربوع[٣]، والشيخ حمود التويجري[٤]، والشيخ سعد الحصين[٥] وغيرهم.

وحيث إن من موضوعات حديثي في هذه المقدمة بيان خطر الانحراف سواء كان في العقيدة أو في منهج الدعوة إلى الله فإنني أنتقد على جماعَتَي التبليغ والإخوان ما يأتي:

---

(١) اقرأ كتابه "منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل".

(٢) اقرأ كتابه "وقفات مع كتاب للدعاة فقط".

(٣) اقرأ كتابه "وقفات مع جماعة التبليغ".

(٤) اقرأ رسالته "القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ".

(٥) اقرأ رسالته: "حقيقة الدعوة إلى الله تعالى وما اختصت به جزيرة العرب وتقويم مناهج الدعوات الإسلامية الوافدة إليها".

الملاحظة الأولى: الانتماء إلى غير الطائفة المنصورة -أهل السنة والجماعة في منهج دعوتِها- حيث إن كل جماعة انتمت إلى قادة معينين لا يتحرك أفرادها إلا في حدود المنهج الذي رسمه لهم قادتُهم والذي يشرف على تنفيذه نوابُهم في كل مكان مع العلم أن معظم قادة الجماعتين منهم الأشعري ومنهم الصوفي ومنهم الراضي بذلك بل المدافع عنه، ومنهم من لا يميز بين السنة التي يجب اتباعها وإحياؤها، وبين البدعة التي يجب إماتتها وقمع أهلها، ومن أراد أن يعرف تفاصيل هذه الملاحظة ومدى أحقيتها فليتكرم على نفسه بقراءة الكتب التي ذكرتُها قبل قليل منسوبة إلى مؤلفيها، رحم الله ميتهم ووفق الأحياء منهم لفعل طاعته وترك معصيته.

وأقول: إن العاقل العالم بالله وبأمره لينبذ الانتماء إلى أي حزب أو جماعة من الأحزاب أو الجماعات التي قد كثر عددها، وتنوعت مشاربُها، وتباينت مناهجها، ويلزم نفسه بالانتماء إلى حزب واحد هو حزب الله الذي جعل قائده كتاب ربه وسنة نبيه ﷺ حقيقة لا ادعاء، ولقد أدرك أتباع السلف في كل عصر وبادية ومصر وفي كل زمان ومكان أن الفرقة الناجية المنصورة هم أهل السنة والجماعة وأتباعهم، وأن ما عداها من الفرق ذات الاتجاهات المخالفة للحق في قليل أو كثير تعتبر شاذة بقدر بعدها عما عليه رسول الله -عليه الصلاة والسلام- وأصحابه الكرام ومن تبعهم من أهل الإحسان والإيمان والإسلام إلى يوم يدعى كل أناس بإمامهم، وتدعى كل أمة إلى كتابِها، فيا سعادة من كان

الحق إمامهم، ويا خسارة من لعبت بِهم البدع والأهواء حتى أفقدتْهم صوابَهم.

الملاحظة الثانية: على دعوة جماعة الإخوان إلى طاعة حاكم مجهول[١] وفرض وجوب طاعة الأمراء الذين يرشحون على الأسر حضرًا وسفرًا في بلد حاكمه مسلم يقيم شعائر الله كما أمر الله ورسوله، ويقيم الحدود على الشريف والوضيع، وقد أعطي بيعة شرعية من أهل الحل والعقد بل ومن كافة أفراد شعبه، وله نوابه في الحكم بشرع الله وتنفيذه في كل مكان من شعبه المسلم.

أقول: إن هذا الصنيع يَجر إلى الفوضى، وإلى التناقض بحيث يصبح في عنق الفرد الواحد المنتمي إلى إحدى الجماعتين المذكورتين بيعتان، ولا ندري بأي البيعتين يدين الله، وبأيهما سيفي، وتحت راية من سيكون عند تغير الأحوال ولزوم الأمر ونجوم الفتن أعاذنا الله منها.

الملاحظة الثالثة: الأفراد المنتظمين في جماعة الإخوان وهم تحت ولاية حاكم مسلم على ما وصفت قريبًا، ومع ذلك فهم يدعون جادين إلى وجود خليفة تقوم به الخلافة الراشدة، فإن هؤلاء لا يخلو

---

(١) ذكر ذلك أحد الإخوة الذين كانوا يعملون في صفوف الإخوان حيث قال: قلت يومًا لأميري: من الأمير الحقيقي للجماعة أهو المرشد العام أم غيره؟ فقال: بل غيره، وهذه سرية التنظيم، قال: فتركت جماعة الإخوان لهذا السبب، ولسبب آخر وهو أنه جرى نقاش حول ملاحظة الشيخ عبد العزيز بن باز وصالح بن فوزان على الصابوني في موضوع الصفات عند أمير الأسرة فقال أمير الأسرة: "الحق مع الصابوني".

صنيعهم من حالين:

الأول: أن تكون دعوتُهم للعالم الإسلامي الذي فقد شرعًا الحاكم المسلم، بل ولغير العالم الإسلامي لينضموا إليهم ويكونوا معهم تحت ولاية حاكمهم المسلم الذي قد أعطوه صفقة أيديهم وثمرة قلوبِهم، فهذا حق ونحن نضم أصواتنا إلى أصواتِهم في هذا الشأن ما لَم يترتب على ذلك فساد في الأرض من سفك دماء وقتل أبرياء أو فوضى مشينة تضر بالمسلمين.

ومتى رأت الرعية في حاكمها المسلم شيئًا من اعوجاج يتعلق بأمر الدين أو الدنيا فإن لها مراسلته بالطريقة الشرعية ليحقق لهم ما يطلبون من مصالح دينهم ودنياهم، ويدفع عنهم ما يشكونه من مضار كذلك، بقدر استطاعته، مع التزامهم بالوفاء له بالبيعة الشرعية ما لم يروا كفرًا بواحًا عندهم فيه من الله برهان، وبشرط ألا يعرضوا الأمة لسفك الدماء، وانتهاك الأعراض، ونَهب الأموال عندما يقومون بالإطاحة بالحاكم الكافر، ألا وإن من المنكر البغيض أن تقوم جماعة جاهلة تدعي الغيرة على الإسلام فتخرج وتؤلب على السلطان المسلم ليطيحوا به كما هو فعل الخوارج في كل زمان غالبًا.

الحال الثاني: أن يصمموا على الدعوة إلى إيجاد خليفة غير واليهم المسلم حتى إذا ما وجدوه، فإنَّهم سيرفضون بيعة الأول بحجة أنه ليس خليفة على دولة الإسلام كلها، أو أنه تصدر منه بعض المخالفات التي لا يكفر بِها شرعًا، فهذا هو الفكر المنحرف، والخطأ المركب لما ثبت عن

أبي حازم قال: قاعدت أبا هريرة ﷺ خمس سنين، فسمعته يحدث عن النبي ﷺ قال: «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء فتكثر.** قالوا: فما تأمرنا؟ قال: **فُوا ببيعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم**»[١].

ولما ثبت عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما**»[٢].

قلت: فيا من في عنقه بيعة شرعية لوالٍ مسلم ماذا تريد أن تصنع بالخليفة الذي تبحث عنه متى وجد بعد سماعك هذين النصين الصحيحين الصريحين في وجوب الوفاء بالبيعة الشرعية للأول فالأول ما لَم يظهر كفر بواح فيه من الله برهان.

الملاحظة الرابعة: على الجماعتين في منهج الدعوة إلى الله.

فأما جماعة الإخوان: فإن دعوتَهم تكاد تكون منحصرة في الحاكمية والتشريع، وكأنَّهم لا يرون الشرك والكفر إلا في الحكام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله ومن والاهم، أمَّا ما عليه الشيعة الرافضة وغلاة المتصوفة والوثنيون ممن ينتمون إلى الإسلام وهم يعبدون الأموات بدعائهم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل (ج٤ ص١٣٥)، ومسلم في الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول (ج٣ رقم ١٨٤٢ ص ١٤٧١).

(٢) مسلم في الإمارة باب إذا بويع لخليفتين (ج٣ رقم ١٨٥٣ ص١٤٨٠).

والاستغاثة بِهم والنذر لهم كما هو دأب هذا الصنف من الناس، ودأب الرافضة الغلاة وغلاة المتصوفة فإن هذا الشرك الصراح ينبغي أن تؤجل محاربته عند معظم قادة الإخوان حتى يصبح الحكم بأيديهم حيث قال قائلهم وهو يرد على السلفيين: "دعونا من شرك الأموات فقد انتهى وعلينا بشرك الأحياء" يعنِي: الحكام.

وهذا التصرف -كما يعلم القارئ الواعي المنصف الذي جعل رائده الحق لا التعصب ولا التحزب الباطل- عكس دعوة الرسل والأنبياء والوارثين لعلمهم ودعوتِهم بحق وبصيرة، ذلك أن النبي ﷺ عندما قام يدعو في مكة كانت الأرض كلها تسيطر عليها تشريعات جاهلية، وأغلبها محكومة بالقانون الروماني الذي لا تزال غالبية القوانين الوضعية اليوم تحكم به، وكان يسيطر آنذاك قوتان عظيمتان هما فارس والروم، تشبه أمريكا وروسيا اليوم، فلم يذهب النَّبِي ﷺ في البداية لقتالهم وهم طاغوت يحكمون بغير ما أنزل الله، ولكن بدأ ببني جلدته وعشيرته يزجرهم عن عبادة الجمادات التي هي أحط مرتبة ممن يسمون بالأولياء والأقطاب ومن الأموات حتى آمن معه جماعة أهل عقيدة صحيحة استطاعت برئاسة النبي الكريم والرسول العظيم ﷺ أن تؤدب جاهلية الأرض جلها.

وحقًّا من قرأ قصص القرآن تبين له أنه ما من رسول ولا نبي إلا كان مفتاح دعوته: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: من الآية٥٩].

ومن قرأ ما قصه الله عن دعوة الخليل إبراهيم الذي أمر نبينا الكريم -عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين أتم الصلاة والتسليم- باتباع ملته، تبين له وجوب البدء بالنهي عن عبادة الجمادات ونحوها من الأموات قبل المطالبة بقلب نظام الحكم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام:٧٤].

وقال ﷻ عنه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأنبياء:٥١-٥٤]، وغير ذلك في هذا المعنى كثير.

ولقد بادر كفار قريش بشكوى النبي ﷺ إلى عمه أبي طالب ليترك لهم الجمادات التي كانوا يعبدونها حول الكعبة وغيرها، فأبى إلا أن يحطم تلك المعبودات الّتي تعبد مع الله، فنجحت تلك الدعوة النبوية الكريمة الحكيمة وعليه فلا نجاح للدعوة إلى الله إلا بالتزام ذلكم المنهج الحق الذي رضيه الله لأنبيائه ورسله، إذا فهم ذلك فإن مخالفة منهج الأنبياء في دعوتهم يُعد انحرافًا عن مراد الله لأنّهم أسوة الأمة وقادة الهدى وأئمة الدعاة إلى الله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾ [الأنعام: من الآية٩٠]. ولا يفهم من هذه الملاحظة التهوين من شأن الشرك في الحاكمية والتشريع كلا، ولكن البدء بالأهم فالأهم هو المقصود فتنبه بارك الله في فهمك للعلم ونفعك به.

وأمَّا جماعة التبليغ -هدانا الله وإياهم-: فإنَّهم وإن كان الأول من مبادئ دعوتِهم: الدعوة إلى تحقيق الكلمة الطيبة -شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله- غير أنَّهم يشرحونَها للناس بأن القصد منها إخراج اليقين الفاسد من القلب على الأشياء، وإدخال اليقين الصحيح على ذات الله، بأن الله هو الخالق الرازق، النافع الضار، المعز المذل، المحيي المميت، المانع المعطي، فيقصرون كلمة التوحيد على معنى الربوبية الذي لَم يجادل فيه عُبَّادُ اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وأمثالهم.

أما دلالتها على معنى الألوهية فإنَّهم لا يتحدثون فيه لاسيما الأعاجم منهم، إما لأنَّهم لا يعلمونه، وإما لأن التعليمات التي تصدر من قادة الجماعة تمنع من الحديث فيه لأنه يغضب عليهم عُبَّادُ القبور -أهل الشرك الأكبر-.

وعليه فإن انطلاق هذه الجماعة في دعوتِهم من أصل التوحيد وقاعدته أمر محبوب وتصرف سليم، ولكن تفسيرهم لهذا الأصل بما رأيت هو عين الانحراف عن المعنى الحق بمدلول هذا الأصل العظيم.

قال الشيخ صالح بن فوزان -بارك الله في عمره- في حديثه عن منهج هاتين الجماعتين في الدعوة ما نصه: "وإن أيَّة دعوة لا يكون منهجها قائمًا على منهج الرسل فإنَّها ستبوء بالخيبة وتضمحل، وتكون تعبًا بلا فائدة، وخير دليل على ذلك، تلك الجماعات المعاصرة التي اختطت لنفسها منهجًا للدعوة يختلف عن منهج الرسل فقد أغفلت هذه الجماعات

لنفسها منهجًا للدعوة يختلف عن منهج الرسل فقد أغفلت هذه الجماعات -إلاَّ ما قلَّ منها- جانب العقيدة، وصارت تدعو إلى إصلاح أمور جانبية تدعو إلى إصلاح الحكم والسياسة، وتطالب بإقامة الحدود وتطبيق الشريعة في الحكم بين الناس، وهذا جانب مهم لكنه ليس الأهم، إذ كيف يطالب بتطبيق حكم الله على السارق والزاني، قبل أن يطالب بتطبيق حكم الله على المشرك؟ كيف يطالب بتطبيق حكم الله بين المتخاصمين في الشاة والبعير قبل أن يطالب بتطبيق حكم الله على عباد الأوثان والقبور، وعلى الذين يلحدون في أسماء الله وصفاته فيعطلونَها عن مدلولاتِها ويحرفون كلماتِها.

أهؤلاء أشد جرمًا أم الذين يزنون ويشربون الخمر ويسرقون ؟!!

إن هذه الجرائم إساءة في حق العباد، وأما الشرك ونفي الأسماء والصفات فإساءة في حق الخالق سبحانه، وحق الخالق مقدم على حقوق المخلوقين يقول شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله- في كتاب الاستقامة[1]: "فهذه الذنوب مع صحة التوحيد خير من فساد التوحيد مع عدم الذنوب" انتهى.

هذا وجماعة أخرى تنتمي إلى الدعوة -لكنها تسير على منهج آخر يختلف أيضًا عن منهج الرسل- فلا تعير العقيدة أهمية وإنَّما تَهتم بجانب التعبد وممارسة بعض الأذكار على نَهج الصوفية، ويركزون على الخروج

---

(١) (ج١ ص٤٤٦).

والسياحة، والذي يهمهم استقطاب الناس معهم دون نظر إلى عقائدهم، وهذه كلها طرق مبتدعة، تبدأ من حيث انتهت دعوة الرسل، وهي بمثابة من يعالج جسدًا مقطوع الرأس -لأن العقيدة من الدين بِمنْزلة الرأس من الجسد- والمطلوب من هذه الجماعات أن تصحح مفاهيمها بمراجعة الكتاب والسنة لمعرفة منهج الرسل في الدعوة إلى الله، فإن الله سبحانه أخبر أن الحاكمية والسلطة التي هي محور دعوة هذه الجماعة التي أشرنا إليها لا تحقق إلا بعد تصحيح العقيدة بعبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه قال تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ**﴾ [النور:٥٥].

وهؤلاء يريدون قيام دولة إسلامية قبل تطهير البلاد من العقائد الوثنية المتمثلة بعبادة الموتى والتعلق بالأضرحة بما لا يختلف عن عبادة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى بل تزيد عليها أنّهم يحاولون محالاً.

"من طلب العلا من غير كد فقد أضاع العمر في طلب المحال".

إن تحكيم الشريعة وإقامة الحدود، وقيام الدولة الإسلامية، واجتناب المحرمات، وفعل الواجبات كل هذه الأمور من حقوق التوحيد ومكملاته وهي تابعة له فكيف يُعنَى بالتابع ويُهمل الأصل؟ وإنني أرى أن ما وقع لتلك الجماعات من مخالفة لمنهج الرسل في طريقة الدعوة إلى الله إنما نشأ

من جَهْلِهِم بِهذا المنهج، والجاهل لا يصلح أن يكون داعية لأن من أهم شروط الدعوة العلم كما قال تعالى عن نبيه: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [يوسف:١٠٨].

فأهم مؤهلات الداعية العلم، ثم إننا نرى هذه الجماعات المنتسبة إلى الدعوة مختلفة فيما بينها، فكل جماعة تختط لنفسها خطة غير خطة الجماعة الأخرى وتنتهج غير منهجها وهذه نتيجة حتمية لمخالفة منهج الرسول ﷺ فإن منهج الرسول واحد لا انقسام فيه، ولا اختلاف عليه كما قال تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾.

فأتباع الرسول ﷺ على هذه السبيل الواحدة لا يختلفون، وإنما يختلف من خالف هذه السبيل، كما قال تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾ [الأنعام: من الآية١٥٣].

ولَمَّا كانت هذه الجماعات المخالفة والمختلفة تشكل خطرًا على الإسلام قد يصد عنه من أراد الدخول فيه كان لابد من بيانه وبيان أنه ليس من الإسلام في شيء، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ**﴾ [الأنعام: من الآية١٥٩].

والإسلام يدعو إلى الاجتماع على الحق، كما قال تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا**﴾ [آل عمران: من الآية١٠٣]"[١]. انتهى.

---

(١) انظر مقدمة "منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل" لفضيلة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي (ص٦) وما بعدها.

الملاحظة الخامسة: حرص جماعة الإخوان على أن تكون دعوتُهم سرية[1] وتنظيمهم سريًّا كذلك، وهذا حسن منهم إذا كانوا في دولة حاكمها غير مسلم، وروعيت في التنظيم الحكمة والانضباط، ورؤيت فيه المصلحة الشرعية بحيث يقيمون شعائر إسلامهم في سرية إذا خافوا على أنفسهم أذى لا يطاق، وقد فقدوا القدرة على الهجرة، أما في دولة حاكمها مسلم ونظامها الإسلام تنطلق منه في جميع شئونها فإن السرية صنيع باطل يَجرُّ إلى الفوضى وتشطير المجتمعات أحزابًا في تلك الدولة المسلمة، بل وربما يفضي بِهم إلى خلع يد من طاعة، ونقض للعهود والعقود، وإلا فما معنى استقطاب الشباب في كل مكان من الدولة المسلمة ونصب أمراء عليهم، والغالب أن يكونوا من الشباب، فلا يتحرك فرد من أفراد الأسر إلا بإذن أميرها مهما كانت الحاجات والمسوغات.

وإذا كان الأمر كذلك في صفوف هؤلاء الجماعة، ففي أي شأن من الشئون سيرجعون إلى أمراء ونواب الحاكم المسلم الذي يعيشون تحت ولايته يا تُرى ؟!.

إنني أقول بلطف لمنظري الإخوان عمومًا ولمن كان منهم في دولة مسلمة خصوصًا: أن يزنوا تصرفاتِهم بميزان الشرع الشريف، وأن يبحثوا مسائلهم وبالأخص خطة منهج الدعوة إلى الله مع العلماء الموثوق بِهم

---

(١) **قال الأستاذ خالص جبلي:** "أما العمل السري فهو جو مظلم لا يعرف الناس بعضهم بعضًا فيه، وعند الوصول إلى الحكم سوف يسرع إليك الانتهازيون المتسلقون كالفراش إلى النار وسوف تغرق بِهم" انظر كتاب في النقد الذاتي (ص٢٧٥-٢٧٧).

كي يكونوا على هدى وبصيرة من أمرهم كله، وبالأخص قيادة شباب الأمة قبل أن يلقوا الله وهم على منهج يخالف منهج رسول الله ﷺ فتكون قاصمة الظهر.

وأقول أيضًا للشباب في هذه البلاد وفي غيرها: خذوا علمكم من كتاب ربكم وسنة نبيكم، وخذوا عقيدتكم ومنهج دعوتكم منهما ومن كتب علماء السلف ففيها السلامة والنجاة، ودعوا كتب الأشاعرة الغلاة والمتصوفة وأحزابَهم من المنحرفين عن منهج الحق، ومن احتاج إلى شيء من كتب الأشاعرة فليأخذ النافع، وليكن على حذر مما يضر في العقيدة والعبادة.

الملاحظة السادسة: إسراف شباب جماعة الإخوان في الإنشاد فعلاً وسماعًا، وتلذذهم الخطير به بحجة أنه بديل عن سماع الأغاني المحرمة، وروَّجوه على اختلاف أشكاله وتنوع ألحانه، فقالوا: إنه نشيد إسلامي، فإن شئت أن تقل منه فأقلل، وإن شئت أن تكثر فأكثر فهو إسلام!!.

ولقد قال لي بعض المهرة بالإنشاد: إنني أنشد القوم حتى يبكوا. فقلت: سبحان الله أيكون عند سماع الأناشيد بالصوت الحزين، ولا يبكون عند سماع آيات القرآن بمثل ذلك الصوت الحزين؟! وعندها تذكرت -والشيء بنظيره يذكر- قول القائل:

تلي الكتاب فأطرقوا لا خيفة — لكنه إطراق ساه لاه
وأتى الغناء فكالذباب تساقطوا — والله ما رقصوا لأجل الله
دف ومزمار ونغمة شادن — فمتى رأيت عبادة بملاه

وإني لأنصح شباب المسلمين بأن يقرءوا ما كتبه الإمام ابن قيم الجوزية في إغاثة اللهفان[١] وما كتبه الإمام ابن الجوزي في موضوع الإنشاد والسماع[٢].

الملاحظة السابعة: إغراء منظري الإخوان الشباب بالمناصب، ومن ذلك جعل بعضهم أمراء على بعض يملك الإذن والمنع -ولو كان في دولة إسلامية- كما هو حاصل اليوم وقبل اليوم، وما أعظم رغبة الناس في الإمارة لاسيما الشباب منهم، وإن من أمعن النظر في تربية النبي الكريم ﷺ لأصحابه وجد أنه ما كان يغريهم بالمناصب، بل على العكس من ذلك إذ يقول: «**يا فلان لا تسأل الإمارة**». كما في قوله لعبد الرحمن بن سمرة وغيره من شبيبة الإسلام.

الملاحظة الثامنة: قصر هذه الجماعة الدعوة والتربية على الشباب المنتظمين معهم فقط في أماكن خاصة بِهم، لا حظَّ فيها لعوام الناس من أبناء الخمسين سنة والستين ونحوهم -علمًا أنه لا يوجد مانع لطالب العلم من تعميم التربية الصحيحة والتعليم النافع للأمة في البلاد التي رضي أهلها بالله ربًّا وبالإسلام دينًا، ومحمدًا ﷺ رسولاً- وإذا كان الأمر كذلك فما هو السر في قصر التعليم من هؤلاء الجماعة على الشباب فقط؟!! مع أن كبار السن في المدن والقرى والهجر أشد حاجة إلى

(١) إغاثة اللهفان (ج١ ص٢٢٤-٢٦٨).

(٢) تلبيس إبليس (ص٢٣٩) وما بعدها إلى (ص٢٨٢).

التعليم والفقه في أصول الدين كأركان الإسلام والإيمان والإحسان ونحوها، فلا يظفرون من منسوبي هذه الجماعة بشيء من التعليم والتوجيه، إلا من شاء الله منهم وقليل ما هم.

علمًا أن لهم شغفًا عظيمًا بالمخيمات والمعسكرات والرحلات ولو كانت تحت جنح الظلام!! وأنا لا أحكم لتلك المخيمات والمعسكرات والرحلات بحسن وفضيلة، ولا أحكم عليها بقبح ورذيلة لذاتها ولكن الحكم على ما يكون فيها ويقصد من ورائها، فمتى كانت مقرًّا للتعلم والتدريب على العبادة الشرعية ونشر العلم في صفوف محتاجيه من أهل البوادي والهجر وغيرها فنعمًا هي، ومتى كان القصد منها ترفيهًا على النفوس بالإنشاد المطرب لها والتمثيليات المضحكة، والنكات الفاسدة المفسدة للدين والخلق وتطبيق الأنظمة التي تختلف مع قواعد الشريعة الكريمة سواء تتعلق بالحراسة أو بنظام المأكل والمشرب والملبس ونحو ذلك فساءت مقامًا ومنطلقًا وحلاًّ وترحالاً.

الملاحظة التاسعة: هي أن هذه الجماعة -هدانا الله وإياهم- قد بلغ بكثير من أفرادها الحماس الدعوي ما يؤسف له حيث احتقروا كل من يخالفهم في اتجاههم ومنهجهم من طلاب العلم، وليتهم اقتصروا على ذلك بل إنَّهم ليلمزون من يخالفهم من العلماء بأنَّهم علماء ورق وعلماء سوء، وإذا سألتهم عن سبب هذه الشتائم قالوا: لأنَّهم يثبطون عن الجهاد، ويقولون: إنه فرض كفاية، وأنه لابد من إذن الوالدين فيه!!

وينفرون الشباب من دعوتنا الحية التي تَهدف إلى إقامة الخلافة الإسلامية الرشيدة.

وأقول: إن المسلم الواعي المنصف ليدرك خطر الحزبية التي يَخرج أهلها عن منهج الكتاب والسنة ولو في بعض الأمور، إذ إن كل من انتمى إلى حزب من الأحزاب التي خالفت حزب الحق فإنه قطعًا يوالي فيه ويعادي فيه، ويحب على أساسه ويبغض كذلك، وكفى بذلك انحرافًا عن سنن الحق، وقانون الأُخوَّة الإيْمانية.

الملاحظة العاشرة: على قاعدة من قواعد هذه الجماعة ألا وهي: "نجتمع فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه". وما إخال هذه القاعدة إلا حربًا على ركن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبذل النصح من بعض الخلق لبعض، إذ كيف يسوغ في الشرع ترك المخالف في أصول من أصول الدين كتعطيل صفات الباري بالتأويل الفاسد مثلاً وكاختيار منهج في الدعوة إلى الله يخالف منهج صفوة البشر -أنبياء الله ورسله- بلا أمر ونَهي.

نعم كيف نعذره وفي إمكانه أن يعرف الحق في المسألة لو ابتغاه، لاسيما إذا كان ممن يقتدي به؟! ومن غير شك أن هذا لِمن خالف في قواطع الأحكام في الإسلام.

الملاحظة الحادية عشرة: وهي تعقيب على ما انتقده[1] بعض كتاب

---

(١) الدكتور صادق أمين.

حزب الإخوان على السلفيين في موضوع عنايتهم بمدرسة الحديث حيث قال: "ويرى السلفيون أن أول خطوات العمل الإسلامي (التصفية) أي فصل الأحاديث الضعيفة عن الصحيحة ، وهذا عمل علمي مفيد إلا أننا نقول: إن السلف الصالح قد أغنانا عن كثير من هذا العناء، وترك لنا ثروة هائلة في علوم الحديث ومصطلحه، ويجب أن تنصب الجهود الآن على تربية الجيل وإنقاذه من الكفر الداهم ومن الأفكار المادية الجارفة"[١]. اهـ.

والتعقيب على هذا النقد بأمور:

الأمر الأول: أن يقال للأخ صادق أمين: ما دام أن السلف الصالح قد جعلوا من أهم نشاطاتهم العملية والدعوية العناية بسنة النبي ﷺ حيث بذلوا الجهود في تمييز الضعيف منها عن الصحيح، فإنه يكفي أتباعهم نبلاً وشرفًا أن يسلكوا مسلكهم في تلك العناية وبذل الجهود، إذ إن هذا الصنيع يعتبر بناء جليلاً لدعائم الدعوة إلى الله وتأسيسًا متينًا لقاعدتها التي يجب أن يكون الانطلاق منها في العمل التربوي وغيره، وقل لي بربك: متى سيكون الداعية الإسلامي ناجحًا في دعوته، وماهرًا في قيادته للأمة، وهو لا يميز بين ضعيف السنة وصحيحها ؟!.

الأمر الثاني: أن يقال أيضًا: وإذا كان السلف الصالح قد أثروا المكتبة الإسلامية بعلوم الحديث وتأسيس قواعده، فهل يسوغ لمن أتى بعدهم من طلاب العلم الشرعي الشريف أن يكونوا بمعزل عن هذا

(١) انظر كتاب الدعوة الإسلامية ضرورة شرعية (ص٧٣).

العلم؟ أم أنه ينبغي لهم أن يمارسوه بحثًا وتأليفًا وتجديدًا امتدادًا لتلك المدرسة الكريمة؟ (مدرسة الحفظ لدين الله، والصيانة لسنة رسول الله ﷺ) وكأن الأستاذ صادق يرى أنه لَم يبق الأول للآخر شيئًا ، ونقول له: أما أصحاب هذه المدرسة فإنَّهم يقولون: كم أبقى الأول للآخر حكمة من الله وفضلاً!.

الأمر الثالث: أقول: إنه لا يجوز لأحد كائنًا من كان أن يظن أن العناية بعلوم السنة حجر عثرة في طريق الدعوة إلى الله وتربية الأجيال، بل إن العناية بِها طريق موصل إلى فهم كتاب الله ﷻ ، وإلى تبيان الطريق الصحيح لنشر العلم، والانطلاق الحق في ميدان "الدعوة الإسلامية" الفسيح.

الأمر الرابع: أقول: إن القارئ لتلك الجمل الَّتِي دوَّنَها الكاتب –عفا الله عنا وعنه– ليدرك شيئًا واضحًا من تثبيط العزائم وصرف الهمم عن الاشتغال بعلوم السنة الَّتِي لا تفهم إلا بِها، وبالطبع إنه اتجاه غير صحيح وإن ادعى صاحبه أن الباعث عليه هو قصد الإقبال على تربية الأجيال وإنقاذهم من الكفر الداهم والأفكار المادية الجارفة، إذ كيف يمكن أن تحصل تربية قيمة وإنقاذ ناجح سليم ممن لا يميز بين ضعيف السنة وصحيحها، ولا يعلم كيف يجمع بين نصوص وعدها ووعيدها وعامها وخاصها ومطلقها ومقيدها... إلخ ما هناك من القواعد الحديثية التي تعتبر خير زاد لحامل لواء الدعوة إلى الله ومربي الأجيال بشرع الله.

الأمر الخامس: وأقول أخيرًا: إن القناعة بفكرة أن السلف قد أغنوا من بعدهم عن كثير من عناء الاشتغال بعلوم السنة -كما قال الكاتب- ما هي إلا دعوة إلى قفل باب هذه المدرسة المجيدة التي تنطلق منها الدعوة الصحيحة فتؤتي ثمارها يانعة سليمة على نور من الله عبر تاريخ القرون والأجيال، فلنتق الله ولنأت البيوت من أبوابها في كل ما نأتي ونذر كي نفوز بالسعادة من الله والتقى، ونظفر منه سبحانه بنور الهدى ونيل المحبة والرضا.

وأخيرًا: فما أكثر الملاحظات على جميع الفرق والأحزاب، والجماعات الإسلامية الَّتِي خرجت في بعض أصول مسائل الدين وفروعه عن طريقة أهل السنة والجماعة الذين اقتدوا بنبيهم الكريم ﷺ في كل شأن من شئونهم، واتبعوا سلفهم الصالح الذين هم أفضل هذه الأمة، أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا أولئك جماعة المسلمين وهم الفرقة الناجية فالزم -أيها المسلم- طريقهم، وبالأخص أنت يا طالب العلم وناشره، عليك أن تترسم خطاهم، وتعتزل من سواهم، والله يرعاك ويتولاك في دنياك وبرزخك وأخراك.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

الأمر الثالث

ذم الجهل وبيان ما يترتب عليه من شقوة الدنيا وخزي الآخرة

حقًّا لقد جاء ذم الجهل والجاهلين في نصوص كثيرة ذات أساليب متعددة، وما ذلك إلا لسوء عواقبه الوخيمة، وفداحة خطره العريض على الجماعات والأفراد ذكورًا وإناثًا، أحرارًا، وعبيدًا، قال الله -تبارك وتعالى- إخبارًا عن الكليم موسى ﷺ: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾. وقال سبحانه مخاطبًا خاتم رسله: ﴿فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾.

وقال ﷻ: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾.

وقال -جَلَّ وعلا-: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ﴾.

ففي هذه الآيات البينات ذم شديد للجهل والجاهلين، وبيان واضح أن الجهل سبب في شقاء أهله في الدنيا والآخرة، ورضي الله عن علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين حيث قال: «**اغد عالمًا أو متعلمًا أو**

مُسْتَمِعًا أو مُحبًّا، ولا تكن الخامس فتهلك»[١]. فقد اعتبر النفرة من العلم واختيار الجهل هلاكًا أيُّما هلاك، وقد ذكر علماء الأصول أن أصحاب الجهل على قسمين: أصحاب جهل بسيط[٢] وأصحاب جهل مركب[٣] وكلاهما شر على صاحبه، وظلمات في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وإذا كان الأمر كذلك فإن الواجب على المسلم والمسلمة أن يحرزوا من العلم ما كان فرض عين عليهم، كما أنه يستحب لهم أن يتوسعوا في علوم الشريعة، إذ التوسع فيها جهاد في سبيل الله وقربات مرضية لمن قام به، وأخلص في طلبه ونشره.

ولله در القائل:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله ... وأجسامهم قبل القبور قبور

وأرواحهم في وحشة من جسومهم ... وليس لهم حتَّى النشور نشور

وقال آخر:

قد مات قوم وما ماتت مكارمهم ... وعاش قوم وهم في الناس أموات

وقال شيخنا[٤] -رحمه الله-:

---

(١) أثر عن علي ﷺ.
(٢) **الجهل البسيط**: هو عدم الإدراك بالكلية.
(٣) **الجهل المركب**: هو إدراك الشيء على وجه يخالف ما هو عليه.
(٤) هو حافظ بن أحمد بن علي الحكمي.

العـلـم نـور مـبين يستضيء به أهـل السـعادة والجهال في الظلم

العلم أعلى حيـاة للعبـاد كمـا أهـل الجهـالة أمـوات بجهلهم

* * * * *

وبعد فهذا أوان الشروع في الإجابة على فقرات السؤال ومن الله أستمد العون والسداد والصدق والإخلاص في القول والفعل والعمل.

أ- الطرق الصحيحة لطلب العلم والتوسع في فنونه الشرعية كثيرة وإليكم أهمها:

١- إخلاص النية لله -تبارك وتعالى- في الطلب:

ذلك لأن الإخلاص هو أحد الشروط الثلاثة[1] الَّتي لا تقبل الأعمال من العاملين إلا بتوفرها، وقال تعالى: **﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾** [الكهف: من الآية١١٠].

وقال سبحانه: **﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾** [البينة:٥].

وفي حديث عمر رضي الله عنه المشهور: «**إنَّما الأعمال بالنيات**» الحديث. ومن غير شك أن طلب العلم من الأعمال الصالحة الجليلة، بل هو إمام العمل، كما قال عز وجل: **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾** [محمد: من الآية١٩].

لذا وجب الإخلاص فيه، حيث يبتغي به وجه الله ورضاه وجواره في دار كرامته.

---

(١) هي:

١- الصواب. ٢- الإخلاص. ٣- صحة المعتقد.

ومتى فقد العلم خلوص النية تغير مجرى الحق في طلبه، وتحول قطعًا من أفضل القربات وأعظم الطاعات إلى أسوأ المخالفات، ألا وإن أخوف ما يخاف على طالب العلم الرياء وقصد السمعة والرغبة في الثناء عليه من الخلق، والمماراة والمباهات للآخرين بما أحرزه من علم الشريعة ليعرف تفوقه على الأقران، وليقبل الناس عليه، وينصرفوا عن سواه، فمتى كان ذلك يا عقلاء فابكوا على طالب العلم بدل الدموع دمًا لذهاب بركة علمه، بسبب عدول النية عن المقاصد الشريفة المرضية إلى المقاصد الدنيئة المخزية، ثُمَّ لتعلموا إنَّما يطلب العلم للعمل، فلولا العمل لَم يطلب العلم، ولولا العلم لَم يطلب العمل، قال أبو الدرداء: "إنك لن تكون عالمًا حتَّى تكون متعلمًا، ولن تكون متعلمًا حتَّى تكون بِما علمت عاملاً"(١).

وقال الخطيب البغدادي في وصيته لطالب العلم ما نصه: "ثُمَّ إنِّي موصيك يا طالب العلم بإخلاص النية في طلبه، وإجهاد النفس على العمل بموجبه، فإنَّ العلم شجرة والعمل ثمرة، وليس يُعَدّ عالِمًا من لَم يكن بعلمه عاملاً"(٢).

٢- اختيار المعلم:

إن اختيار المعلم أمر مهم، وإن شئت أن تعرف أهميته فتأمل في

---

(١) اقتضاء العلم العمل: (ص٢٦).

(٢) المصدر السابق (ص١٤).

اختيار الله -جل وعلا- للرسل الكرام والأنبياء العظام الذين بعثهم الله إلى أمم الأرض مبشرين ومنذرين، وأمناء ناصحين ومعلمين يدلونَهم على الخيرات والفضائل، ويحذرونَهم من الشرور والرذائل، ويحببون إليهم موجبات رضا الرحمن الرحيم، ويبغضون إليهم طرائق أهل الجحيم، قال الله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ**﴾ [الحج: من الآية٧٥].

وحيث إن العلماء ورثة الأنبياء فعلى طالب العلم أن يختار منهم خير آخذ بهذا الميراث، فيأخذ عنه أصول دينه وفروعه وكباره وصغاره ألا وإن خير آخذ بميراث النبوة من منَّ الله عليه بـــ:

أ- **صحة العقيدة**: وذلك فيما يتعلق بذات الله المقدسة وأسمائه الحسنى وصفاته العلى، بل وفي كل ما يتعلق بما جاءت به رسل الله جملةً وتفصيلاً على مراد الله، ومراد رسله الذين بلغوا رسالاته، ونصحوا لبريته.

ب- **وغزارة العلم الشريف**: الذي لا يتمكن من التوسع فيه إلا من بذل نفسه في تحصيله، واستفرغ جهده، وضحى بجل وقته، وتطلعت نفسه الكبيرة إلى أن تحذو حذو صفوة الخلق الذين بعثهم الله دعاة للحق إلى رحاب الحق كي تحشر في زمرتِهم فتسعد بأنسهم ومقيلهم.

ج- **وخشية الله**: التي تتجلى بعمارة الباطن والظاهر بطاعة الله وترك معاصيه، والسعي حثيثًا في مراده سبحانه ومراضيه، قال الإمام أحمد -رحمه الله-: "أصل العلم خشية الله تعالى".

قلت: وكأنه تأول قول الحق سبحانه: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ**

الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: من الآية٢٨].

وإذن فمن أحب أن يكون من العلماء الربانيين فليبذل جهده في الطلب وهو مع ذلك ملازم خشية الله في السر والعلن، فإن خير الخليقة على وجه الأرض بعد الرسل والأنبياء هو العالم العامل بعلمه، المتحلي بخشية ربه، الملازم لها كملازمة الظل لصاحبه.

نعم، قلت: إن اختيار المعلم الموصوف بما ذكر من الصفات التي مرت قريبًا من الحكمة في الطلب، ومن أسباب النبوغ في العلم بل ومن أسباب سعادة الدنيا ونعيم الآخرة.

أما إذا تتلمذ الطالب على أساتيذ من ذوي الانحراف والبدع فإنه سيتلقى حتمًا ما تنضح به آنيتهم وهو خال الذهن غالبًا وبهذا السبب فإنه لَم ينقرض على مدى الزمان مذهب الجهمية والمعتزلة والقدرية والمرجئة والأشعرية والماتريدية والصوفية ونحوها من النحل التي علَّمها السابقُ اللاحقَ، وهكذا اللاحق يقوم بدوره جريًا على طريق أشياخه الذي رضع من لبانهم ذات الأذى والسموم.

٣- العناية بالقرآن الكريم تلاوة وفهمًا وخلقًا:

حقًّا: إن العناية بالقرآن العظيم والذكر الحكيم أمثل طريق موصل إلى كسب العلم الشرعي الشريف، وما ذلك إلا لأنه كتاب تربية لعالم الإنس والجن على اختلاف مستوياتهم، وتباين لغاتهم وأجناسهم، قال تعالى فيه: **﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾** [النحل: من الآية٨٩]،

وقال ﷻ : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: من الآية٩]

نعم إنه المصدر العظيم لكل علم نافع مفيد في باب الحلال والحرام، والأمر والنهي والحكم والجهاد والفرائض والحدود والأدب والسلوك وغيرها مما يحتاج إليه البشرية في إصلاح حياتها وبعد مماتها.

وإذن فكتاب هذا شأنه فإنه الواجب على أهله الاعتصام به، والعيش في ظله اقتداء برسولنا الكريم وأصحابه الغر الميامين الذين تأسوا به في الخلق العظيم والمنهج الصالح السليم.

فكم من آية كريمة قد جاءت تحث على العناية به كقوله تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: من الآية٢٧]. وكقوله: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [العنكبوت: من الآية٤٥].

وكقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ [فاطر:٢٩] وغير ذلك كثير.

وكم من حديث صحيح قد جاء في بيان فضله كذلك حيث قال ﷺ: **«اقرءوا القرآن فإنه شافع يوم القيامة، اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنَّهما يأتيان يوم القيامة كأنَّهما غمامتان –أو غيايتان أو كأنَّهما فرقان من طير صواف– يحاجان عن أهلهما يوم القيامة. ثُمَّ قال: اقرءوا البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة»**(١).

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب فضل قراءة سورة البقرة (ج١ رقم ٨٠٤ ص٥٥٣) عن أبي أمامة الباهلي ﷺ.

وقال ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[١].

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منْزلك عند آخر آية تقرأ بِها»[٢] وغير هذه النصوص كثير.

ولقد أحسن من قال في الوصية بِهذا القرآن:

وبالتدبير والترتيل فاتل كتاب الله ... لاسيما في حندس الظلم

حكم براهينه واعمل بِمحكمه ... حلاً وحظرًا وما قد حده أقم

واطلب معانيه بالنقل الصحيح ولا ... تَخض برأيك واحذر بطش منتقم

إلى أن قال في وصفه:

هو الصراط هو الحبل المتين هو ... الميزان والعروة الوثقى لمعتصم

هو البيان هو الذكر الحكيم هو ... التفصيل فاقنع به في كل منبهم

هو البصائر والذكرى لمدَّكرٍ ... هو المواعظ والبشرى لغير عمي

هو المنَزل نورًا بينًا وهدى ... وهو الشفاء لما في القلب من سقم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (ج٦ ص ١٥٨)، وأبو داود في الصلاة باب في ثواب قراءة القرآن (ج٢ رقم ١٤٥٢ ص٧٠)، والترمذي في فضائل القرآن باب ما جاء في تعليم القرآن (ج٥ رقم ٢٩٠٩ ص١٧٧) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة باب استحباب الترتيل في القراءة (ج١ رقم ١٤٦٤ ص٧٣) والترمذي في فضائل القرآن باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر (ج٥ رقم ٢٩١٤ ص١٧٧) عن عبد الله بن عمرو.

لكـــنه لأولي الإيْمان إذا عملوا | بِمـــا أتى فيه من علم ومن حكم
أما لِمـــن تولـــى عنه فهـــو عمى | لكونه عـــن هـــداه المستنير عَمي

إلى أن قال ونعمًّا ما قال:

أخـــباره عِظـــةٌ أمـــثاله عـــبر | وكلـــه عجب سحقًا لذي صمم
لَم تلبث الجن إذ أصغت لتسمعه | أن بـــادروا نـــذرًا منهم لقومهم
الله أكـــبر مـــا قد حاز من عبر | ومـــن بـــيان وإيجاز ومن حكم
والله أكـــبر إذ أعيـــت بلاغـــته | وحســـن تركيبه للعرب والعجم
كم ملحد رامَ أن يبدي معارضة | فعـــاد بالذل والخسران والرغم

قلت: ولقد عرف قدر هذا الذكر الحكيم والقرآن العظيم سلفنا الصالح فاعتبروه أوسع طريق لكسب العلم كما اعتبروه غذاءً تامًّا لقلوبِهم وأرواحهم وجوارحهم وتفاعلوا معه بتطبيقهم له في واقع الحياة العملية فمنه ينطلقون، ومن نميره يرتوون، وفي ميدانه الفسيح السوي يتحركون كما اعتبروا العناية به تعلمًا وتعليمًا وتفهمًا وتحكيمًا عملاً جليلاً يرتقي به صاحبه في سلم المجد الشرعي الأصيل حتى يصل إلى مراتب الملائكة السفرة الكرام بجوار الملك العلاَّم وإن لنا في سلفنا الصالحين للأسوة الحسنة والقدوة الصالحة فَلْنَحذُ حذوهم، ولنَجدَّ جِدَّهم كي نحشر في زمرتِهم في ظل القرآن يوم لا ظل إلا ظل الكريم المنان.

٤- العناية بالسنة الكريْمَة روايةً ودرايةً وتأييدًا لَهَا وذبًّا عنها:

نعم؛ إن من المسلم به لدى العقلاء العالمين هو أن منْزلة السنة

الكريمة من القرآن الكريم في أولى المراتب، إذ فيها تفسيره وإيضاح مشكله وتفصيل مجمله والشهادة له بالجودة والكمال والصدق والجلال، وهو كذلك يدعو إلى العمل بِها والأخذ بكل ما فيها من أمر ونَهي ووعد ووعيد وأدب وخلق وسلوك فهما صنوان لا يفترقان، وإن كان لكلام ربنا خصائصه التي يمتاز بِها عما سواه، وإذا كان هذا هو شأن السنة فلتعلموا معشر القراء الكرام أن العناية بِها طريق مستقيم يوصل إلى إحراز العلم النافع الذي يثمر العمل الصالح.

ولقد أدرك قدرها وجلالتها وسعة أفقها رجال صالحون ازدانت بِهم الدنيا لحسن صفاتِهم، وافتخرت بِهم الأرض إبان حياتِهم، وحزنت وبكت عليهم بعد مماتِهم عبر تاريخ زمانِهم ومكانِهم، نعم عرفوا قدرها وقدر من أوحاها ومن بلغها، فأقبلوا عليها رواية ودراية، وتصحيحًا للصحيح منها وتضعيفًا للضعيف كذلك، كما أقبلوا على رُواتِها تعديلاً وتجريحًا على وفق قواعد صحيحة لا تظلم ولا تُحابي.

وإليك أيها القارئ الكريم أنْموذجًا من أولئك الرجال الصالحين:

أ- **أصحاب الجوامع**[١]: كالجامع الصحيح[٢] للإمام البخاري،

---

(١) **الجوامع** : جمع جامع، والجامع في اصطلاح المحدثين: هو كل كتاب حديثي يوجد فيه من الحديث جميع الأنواع المحتاج إليها من العقائد، والأحكام، والرقاق، وآداب الأكل والشرب والسفر والمقام، وما يتعلق بالتفسير والتاريخ والسير والفن، والمناقب، والمثالب ونحو ذلك مما هو مدون فيها.

(٢) رتبه مؤلفه على الأبواب مبتدئًا بكتاب الوحي، ومُختتمًا بكتاب التوحيد، وقد بلغت أبوابه سبعة وتسعين بابًا.

وجامع[١] الترمذي، وهناك جوامع أخرى ذكرها علماء السنة، كجامع عبد الرازق -وهو غير المصنف- وجامع الإمام الثوري، وجامع ابن عيينة، وغيرها من الجوامع.

ب- **ومنهم أصحاب السنن**[٢]: كسنن أبي داود، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، وسنن الدارمي، وسنن الشافعي، وسنن البيهقي، وسنن الدارقطني.

ج- **ومنهم أصحاب المسانيد**[٣]: كمسند الإمام أحمد، ومسند أبي داود الطيالسي، ومسند زيد بن علي، ومسند الحميدي، ومسند مسدد بن مسرهد البصري، ومسند نعيم بن حماد، ومسند أبي خيثمة زهير بن حرب، ومسند عبد بن حميد، ومسند أبي يعلى وغيرها كثير.

د- **ومنهم أصحاب الصحاح**: كصحيح الإمام مسلم، وصحيح ابن

---

(١) رتبه مؤلفه على الأبواب مبتدئًا بكتاب الطهارة، ومُختتمًا بكتاب المناقب.

(٢) **السنن في اصطلاح المحدثين**: هي الكتب المرتبة على الأبواب الفقهية، وتشتمل على الأحاديث المرفوعة فقط وليس فيها شيء من الموقوف أو المقطوع لأنه لا يسمى سنة في اصطلاحهم ويسمى حديثًا، غير أنه قد يوجد في السنن غير الأحاديث المرفوعة لكنه قليل بالنسبة لغيرها من المصنفات.

(٣) **المسانيد**: هي الكتب الحديثية التي صنفها مؤلفوها على مسانيد أسماء الصحابة أي بمعنى أنّهم جمعوا أحاديث كل صحابي على حدة، وقد يطلق على الكتاب الحديثي مسند وهو مرتب على الأبواب أو على الحروف لا على الصحابة، وذلك لأن أحاديثه مسندة مرفوعة إلى النبي ﷺ مثل مسند بقي بن مخلد الأندلسي المتوفى سنة (٢٧٦هـ) فإنه مرتب على أبواب الفقه ذكر ذلك صاحب الرسالة المستطرفة (ص٧٤، ٧٥).

خزيمة، وصحيح ابن حبان، وصحيح الحاكم.

هـ- **ومنهم أصحاب المصنفات**[(١)]: كمصنف عبد الرزاق، ومصنف ابن أبي شيبة، ومصنف بقي بن مخلد القرطبي، ومصنف أبي سفيان وكيع بن الجراح الكوفي، ومصنف ابن أبي سلمة البصري.

و- **ومنهم أصحاب المستخرجات**[(٢)]: على الجوامع أي جامع البخاري وصحيح مسلم.

❊ **فعلى البخاري:**

١- مستخرج الإسماعيلي.

٢- مستخرج الغطريفي.

---

(١) **المصنفات**: من الكتب الحديثية التي جمعها أصحابُها ورتبوها على الأبواب الفقهية والمشتمل على الأحاديث المرفوعة والموقوفة والمقطوعة أي أن في المصنفات الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة وفتاوى التابعين.
والفرق بين المصنفات والسنن :هو أن السنن لا تشتمل إلا على الأحاديث المرفوعة، إذ لا يوجد فيها غيرها من الآثار إلا نادرًا، بينما المصنفات كما علمت فيها الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة الكرام وفتاوى التابعين الفضلاء العظام.

(٢) **المستخرجات**: جمع مستخرج والمستخرج عند علماء الحديث هو أن يأتي المصنف المستخرج إلى كتاب من كتب الحديث فيخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب فيجتمع معه في شيخه أو من فوقه ولو في الصحابي، وشرطه أن لا يصل إلى شيخ أبعد حتى يفقد سندًا يوصله إلى الأقرب إلا لعذر من علو أو زيادة مهمة، وربما أسقط المستخرج أحاديث لَم يجد له بها سندًا يرتضيه، وربما ذكرها من طريق صاحب الكتاب، انظر تدريب الراوي للسيوطي (ج١ ص١١٢).

٣- مستخرج أبي ذهل.

❊ **على مسلم:**

١- مستخرج أبي عوانة الإسفراييني.

٢- مستخرج الحيري.

٣- مستخرج أبي حامد الهروي.

❊ **وعليهما معًا:**

مستخرج أبي نعيم الأصبهاني، ومستخرج ابن الأخرم، ومستخرج أبي بكر البرقاني.

ز- **ومنهم أصحاب المستدركات**(١): على الجوامع كمستدرك الحاكم.

ح- **ومنهم أصحاب الموطآت**(٢): كموطأ الإمام مالك بن أنس المدني، وموطأ ابن أبي ذيب محمد بن عبد الرحمن المدني، وموطأ أبي محمد

---

(١) **المستدركات**: جمع مستدرك، والمستدرك هو كل كتاب جمع فيه مؤلفه الأحاديث التي استدركها على كتاب مؤلف آخر مما فاته على شرطه مثل المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم الذي رتبه على الأبواب متبعًا في ذلك ترتيب الشيخين في صحيحيهما وقد تتبعه الحافظ الذهبي فأقره على تصحيح بعضها وخالفه في البعض الآخر.

(٢) **الموطآت**: جمع موطأ والموطأ لغة المسهل المهيأ، قال في القاموس: والموطاه هيأه وسهله ورجل موطأ الأكناف كمعظم سهل دمث كريم مضياف، قاموس (ج١ ص٣٤)، والموطأ في اصطلاح المحدثين هو الكتاب المرتب على الأبواب الفقهية، ويشتمل على الأحاديث المرفوعة والموقوفة والمقطوعة فهو كالمصنف سواء بسواء.

عبد الله المروزي المعروف بعبدان.

ط- ومنهم أصحاب الجاميع[١]: والتي من أشهرها:

١- الجمع بين الصحيحين للحسن بن محمد بن الصاغاني وهو المسمى " مشارق الأنوار النبوية من صحيح الأخبار المصطفوية ".

٢- الجمع بين الصحيحين لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح الحميدي.

٣- الجمع بين الأصول الستة لأبي الحسن رزين بن معاوية الأندلسي.

٤- الجمع بين الأصول الستة وهو المسمى "جامع الأصول من أحاديث الرسول" لأبي السعادات ابن الأثير.

٥- جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد لمحمد بن محمد ابن سليمان المغربي، وقد اشتمل هذا الكتاب على أحاديث أربعة عشر مصنفاً وهي: الصحيحان، والموطأ، والسنن الأربع، ومسند الدارمي، ومسند أحمد، ومسند أبي يعلى، ومسند البزار، ومعاجم الطبراني الثلاثة.

ي- ومنهم أصحاب مصنفات الزوائد[٢]: الَّتِي من أشهرها:

١- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه لأبي العباس أحمد بن

---

(١) **الجاميع**: جمع مجمع والمقصود بالمجمع: كل كتاب جمع فيه مؤلفه أحاديث عدة مصنفات ويرتبه على ترتيبها.

(٢) **المقصود بالزوائد في هذا الفن**: هي المصنفات التي يجمع فيها مؤلفها الأحاديث الزائدة في بعض الكتب عن الأحاديث الموجودة في كتب أخرى.

محمد البوصيري، وهو كتاب يشتمل على زوائد سنن ابن ماجه على صحيح البخاري ومسلم وسنن الترمذي وأبي داود والنسائي.

٢- فوائد المنتقى لزوائد البيهقي الكبرى على السنن الستة.

٣- إتحاف السادة المهرة الخيرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري أيضًا، وهي زوائد: مسند أبي داود الطيالسي، ومسند الحميدي، ومسند مسدد بن مسرهد، ومسند محمد بن يحيى العدني، ومسند ابن أبي شيبة، ومسند إسحاق بن راهويه، ومسند أحمد بن منيع، ومسند عبد بن حميد، ومسند الحارث بن محمد بن أبي أسامة، ومسند أبي يعلى الموصلي على الكتب الستة المعروفة.

٤- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر العسقلاني، وهي زوائد المسانيد العشرة السابقة، ماعدا مسند أبي يعلى الموصلي، ومسند إسحاق بن راهويه على الكتب الستة، ومسند أحمد إلا أنه تتبع ما فات الهيثمي في مجمع الزوائد من زوائد أبي يعلى.

٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ ابن أبي بكر الهيثمي، وهي زوائد: مسند أحمد، ومسند أبي يعلى الموصلي، ومسند أبي بكر البزار ومعاجم الطبراني الثلاثة: الكبير والأوسط والصغير على الكتب الستة.

ك- **ومنهم أصحاب مصنفات المعاجم**(١): والذي نحب أن نشير إليه

---

(١) **المعاجم**: جمع معجم، والمعجم في اصطلاح المحدثين هو الكتاب الذي ترتب فيه الأحاديث على مسانيد الصحابة أو الشيوخ أو البلدان أو غير ذلك، والغالب أن يكون ترتيب الأسماء فيه على حروف المعجم.

هنا هي المعاجم المرتبة على مسانيد الصحابة.

والمعاجم أشهرها ما يلي:

١- **المعجم الكبير:** لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني وهو على مسانيد الصحابة مرتبين على حروف المعجم عدا مسند أبي هريرة، فإنه أفرده في مصنف، ويذكر أن في هذا المعجم ستين ألف حديث، ويقول ابن دحية: إنه أكبر معاجم الدنيا بحيث إنه إذا أطلق لا يتبادر الذهن إلى سواه.

٢- **المعجم الأوسط:** وهو للطبراني أيضًا وقد رتبه على أسماء شيوخه وهم قريب من ألفي شيخ، ويذكر أن فيه ثلاثين ألف حديث.

٣- **المعجم الصغير:** له أيضًا خرج فيه عن ألف شيخ من شيوخه.

٤- **معجم الصحبة:** لأبي يعلى أحمد بن علي الموصلي.

ل- **ومنهم أصحاب مصنفات كتب الأطراف**(١): وهي كثيرة وأشهرها ما يلي:

١- **أطراف الصحيحين:** لأبي مسعود إبراهيم بن محمد الدمشقي.

---

(١) **الأطراف:** هي نوع من المصنفات الحديثية اقتصر فيها مؤلفوها على طرف الحديث الذي يدل على بقيته، ثم ذكر أسانيده التي ورد من طريقها ذلك المتن، إما على سبيل الاستيعاب أو بالنسبة لكتب مخصوصة، وأما ترتيب كتب الأطراف فإن الغالب فيه هو الترتيب على مسانيد الصحابة مرتبين أسماءهم على حروف المعجم، أي: يبدءون بأحاديث الصحابي الذي أول اسمه ألف ثم باء وهكذا.

٢- **أطراف الصحيحين:** أيضًا لأبي محمد خلف بن محمد الواسطي.

٣- **الأشراف على معرفة الأطراف:** أي أطراف السنن الأربعة لابن عساكر الدمشقي.

٤- **تحفة الأشراف بِمعرفة الأطراف:** أي أطراف الكتب الستة للحافظ أبي الحجاج يوسف المزي.

٥- **إتحاف المهرة بأطراف العشرة:** وهي الموطأ، ومسند أحمد، ومسند الدارمي، وصحيح ابن خزيمة، ومنتقى ابن الجارود، وصحيح ابن حبان، ومستدرك الحاكم، ومستخرج أبي عوانة، وشرح معاني الآثار، وسنن الدارقطني.

٦- **أطراف المسانيد العشرة:** للبوصيري.

٧- **ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث:** لعبد الغني النابلسي.

وقد ذكر العلماء لكتب الأطراف فوائد جليلة منها:

❋ معرفة أسانيد الحديث المختلفة مجتمعة في مكان واحد وبالتالي معرفة ما إذا كان الحديث غريبًا أو عزيزًا أو مشهورًا.

❋ معرفة من أخرج الحديث من أصحاب المصنفات الأصول في الحديث والباب الذي أخرجوه فيه.

❋ معرفة عدد أحاديث كل صحابي في الكتب التي عمل عليها كتاب الأطراف.

والذي ينبغي التنبيه عليه أن كتب الأطراف المذكورة لا تعطيك

لفظ الحديث كاملاً، وإنَّما الذي يعطيك متن الحديث كاملاً هي المصادر التي أشارت إليها كتب الأطراف، وإذن فهي بمنْزلة الدليل على مكان وجود تلك الأحاديث بخلاف المسانيد ونحوها، فإنَّها تعطيك النص كاملاً بحيث لا تحتاج بعدها أن ترجع إلى مصدر آخر.

م- ومنهم أصحاب مصنفات أخرى: كالأجزاء[1]، وككتب الترغيب والترهيب التي تجمع الأحاديث الواردة في الترغيب في أمور والترهيب من أخرى، وككتب الزهد والفضائل والآداب والأخلاق مثل كتاب الزهد للإمام أحمد، وكتاب الزهد لابن المبارك، وفضائل القرآن للشافعي، ورياض الصالحين للنووي وغيرها كثير، وككتب الأحكام مثل كتاب عمدة الأحكام لابن دقيق العيد، والإلمام بأحاديث الأحكام لـــه أيضًا، والمنتقى في الأحكام لعبد السلام بن عبد الله بن تيمية، وبلوغ المرام للحافظ ابن حجر وغيرها كثير.

وهناك مصنفات أخرى تعنى أيضًا بفن الحديث ككتب التفسير على اختلاف مسمياتها، وكتب الفقه، وكتب التاريخ سواء منها ما يسوق صاحبه الإسناد أو يذكر الحديث بدون سند.

---

(١) **الأجزاء:** جمع جزء والمراد بالجزء هو الكتاب الذي يشتمل على أحد شيئين:
١- إما جمع الأحاديث المروية عن واحد من الصحابة أو من بعدهم كالجزء الذي رواه أبو حنيفة عن الصحابة لعبد الكريم بن عبد الصمد الطبري.
٢- وإما جمع الأحاديث المتعلقة بموضوع واحد على طريق الاستقصاء مثل جزء رفع اليدين في الصلاة، وجزء القراءة خلف الإمام.

كما هيأ الله لهذه السنة الكريمة رجالاً صنفوا تصانيف في التمييز بين صحيحها وضعيفها سندًا ومتنًا، وبينوا العدول من الرواة والضعفاء وذلك بوضع قواعد وضوابط مستنبطة من مقاصد الشرع وغاياته.

ومن هذه القواعد والضوابط ما يلي:

١- الفرق بين متن الحديث وإسناده.

٢- بيان الشروط الَّتِي تُشترط فيمن يُحتج بروايته وبأي شيء تثبت عدالته.

٣- كيفية الإجراءات في الجرح والتعديل.

٤- بيان ألفاظ الجرح والتعديل ومراتبهما كل على انفراده.

٥- الحكم في هذه المراتب من حيث التطبيق العملي، وغير ذلك من القواعد والفوائد كثير.

*** وأما الكتب المصنفة في الرجال فكثيرة مشهورة ومنها ما يلي:**

١- **الإصابة في تَمييز الصحابة**: للحافظ ابن حجر العسقلاني.

٢- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**: لابن عبد البر الأندلسي.

٣- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**: لأبي الحسن علي بن محمد بن الأثير الجزري.

٤- **تذكرة الحفاظ**: للإمام الذهبي.

٥- **التاريخ الكبير**: للإمام البخاري.

٦- **الجرح والتعديل:** لابن أبي حاتم.

٧- **تذهيب التهذيب:** للحافظ الذهبي.

٨- **تَهذيب التهذيب:** لابن حجر العسقلاني.

٩- **تقريب التهذيب:** له أيضًا.

١٠- **خلاصة تَهذيب:** الكمال للخزرجي.

١١- **الكمال في أسماء الرجال:** للحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي.

١٢- **تَهذيب الكمال:** وهو تكميلٌ وتَهذيبٌ وتحريرٌ لكتاب الكمال قام به الحافظ المزي.

❊ **ومن أشهر الكتب المصنفة في الثقات من الرواة خاصة:**

١- **كتاب الثقات:** لمحمد بن أحمد بن حبان البستي.

٢- **تاريخ أسماء الثقات:** ممن نقل عنهم العلم لعمر بن أحمد بن شاهين.

❊ **ومن أشهر الكتب المصنفة في الضعفاء ما يلي:**

١- **الضعفاء الكبير:** للبخاري.

٢- **الضعفاء الصغير:** له أيضًا وهو مرتب على حروف المعجم.

٣- **الضعفاء والمتروكين:** للنسائي وهو كتاب مرتب على حروف المعجم.

٤- **كتاب الضعفاء:** لمحمد بن عمرو العقيلي.

٥- **معرفة المجروحين من المحدثين**: لأبي حاتم محمد بن أحمد بن حبان البستي وهو مرتب على حروف المعجم.

٦- **الكامل في ضعفاء الرجال**: للجرجاني.

٧- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**: للذهبي.

٨- **لسان الميزان**: للحافظ ابن حجر.

وغيرها من المصنفات في هذا الشأن كثير.

❊ **وأما من اشتهر من العلماء بنقد الأسانيد فهم ذوو عدد كبير، ومنهم على سبيل المثال:**

١- **مالك بن أنس**
٢- **سفيان بن عيينة**
٣- **سفيان الثوري**
٤- **شعبة بن الحجاج**
٥- **حماد بن زيد**
٦- **أبو عمرو الأوزاعي**
٧- **يحيى بن سعيد القطان**
٨- **عبد الرحمن بن مهدي العنبري**
٩- **عبد الله بن المبارك**
١٠- **أبو مسهر الدمشقي**
١١- **أحمد بن حنبل**
١٢- **يحيى بن معين**
١٣- **علي بن المديني**
١٤- **محمد بن عبد الله الهمداني**
١٥- **أبو زرعة الرازي**
١٦- **أبو حاتم الرازي**
١٧- **الإمام النسائي**
١٨- **أبو عيسى الترمذي**

١٩- الإمام البخاري
٢٠- الإمام مسلم
٢١- الإمام الدارقطني
٢٢- الإمام ابن تيمية
٢٣- الإمام ابن القيم
٢٤- الحافظ الذهبي
٢٥- الحافظ بن حجر
٢٦- الحافظ المنذري
٢٧- الإمام ابن عبد الهادي
٢٨- الإمام ابن الجوزي
٢٩- الإمام ابن حبان

وغير هؤلاء من نقاد الأسانيد كثير، والذي أحب أن أنوه به أن هؤلاء النقاد لَم يحرزوا هذا العلم الجليل بالجهد اليسير، ولكن بالرحلات الشاقة في طلبه وطلب ما يعين عليه ومواصلة البحث ليل نَهار في علوم الشريعة الكريمة أصولها وفروعها ووسائلها حتى تمكنوا من إحراز هذا الشرف الذي قد عز طالبه، وقعد عنه من يمكن أن يمشي على الأثر القديْم فيسدد ويقارب ليعلم بعض العلم الذي سيكون سببًا في سلامته وعافيته من رواية الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة ومن نسبتها إلى الصادق المصدوق ﷺ قولاً أو فعلاً أو تقريرًا.

٥- العناية بالعلوم الَّتِي تعتبر وسيلة لفهم الأحكام من لغة عربية فصحى، وأصول تفسير، وأصول فقه، وقواعد المصطلح، ونحوها من الوسائل النافعة لمعرفة أحكام الكتاب والسنة:

إن هذه العلوم القيمة ليعتبر خير معين على إحراز علوم الشريعة وهي بدون ريب إحدى طرقها.

❊ **أمَّا اللغة العربية الفصحى**: فبها يستقيم اللسان، ويفهم المعنى، وقديْمًا قيل: "الإعراب فرع المعنى". ولأهميتها فقد جاء القرآن الكريم بِها، وبِها يظهر إعجازه والتحدي به.

فمتى نطق الكلام بِها ظهر معناه -غالبًا- ومتى نطق الكلام ملحونًا تعذر فهم معناه عند أرباب اللغة العربية، ومن هنا فإنه يتعين على طالب العلم أن يُعنى بدراسة قواعدها ولكن بالقدر الذي يحتاج إليه لتقويم لسانه، وصواب نطقه لا بإفناء العمر في معرفة تفاصيل أقاويل علماء النحو والصرف، وترك التوسع في الغاية التي هي علوم الشريعة من تفسير وحديث وتوحيد ونحوها من أصول دين الإسلام وفروعه.

❊ **وأمَّا مادة أصول التفسير**: فهي مادة ذات قواعد وضوابط ومميزات لا يستغني عنها طالب العلم الذي يريد أن يعد نفسه لفهم تفسير كلام الله -تبارك وتعالى- وكلام نبيه ﷺ كي ينتفع به، ثم ينشره بأي طريق من طرق النشر التي سيأتي الحديث عنها -إن شاء الله- في موضعه.

من تلك القواعد والضوابط والمميزات ما يأتي:

أ - معرفة أسباب النُّزول وضوابط القرآن المكي، وضوابط القرآن المدني وخواص كل منهما.

ب- وأنواع القراءات وبيان شروط المقبول فيها وحد المردود.

ج- وجمع القرآن وترتيبه.

د- وبيان أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل وغيرها من مباحث هذا الفن التي تعتبر طريقًا من الطرق المعينة على إحراز العلم والتي يتعين سلوكها لتحصيله.

※ **وأما مادة أصول الفقه:** فهي ذات أهمية كسابقتها لطالب العلم إذ إنَّها تبحث في بيان أقسام الأحكام الشرعية، والأحكام الوضعية والفرق بين الحكم العام والحكم الخاص وكيفية العمل فيهما، وكذا المطلق والمقيد، والمنطوق والمفهوم، والمجمل والمبين، والظاهر والمؤول، والناسخ والمنسوخ، والإجماع والقياس، وغيرها من أبحاث هذا الفن الذي لا سبيل إلى إحراز العلم والتوسع في مسائله والغوص لاستنباط حكمه وأحكامه إلا بتحقيقها، وإذن فهي من الطرق التي ينبغي أن يسلكها طالب العلم ليصل إلى غايته المنشودة.

※ **وأما مادة علم المصطلح:** فلها أهميتها في تأهيل طالب علم الحديث فهو لا يستغني عنها؛ لأنَّها ميزان لمعرفة الصحيح من السنة والضعيف منها.

وأهم أبحاث هذا الفن ما يأتي:

أ- أقسام الخبر باعتبار وصوله إلينا.

ب- الفرق بين المتواتر والآحاد وحكم كل منهما.

ج- بيان مراتب المقبول.

د- بيان مراتب المردود، وأسباب رد الحديث ومدى تفاوتِها.

و- صفة من تقبل روايته من الرواة وما يتعلق بذلك من الجرح والتعديل.

ز- معرفة مراتب الجرح والتعديل.

ح- بيان كيفية ضبط الرواية وآدابها.

ط- بيان معرفة الإسناد العالي والنازل وشيء من لطائفهما.

ظ- وهكذا معرفة الرواة على اختلاف طبقاتِهم ليحصل التمييز بين العدول والمجروحين.

وهناك أبحاث في هذا الفن غير هذه، وجميعها يعتبر طريقًا يتعين السير فيه على من أراد أن يتوسع في العلم الشرعي الشريف، ويكون خادمًا للسنة النبوية الكريمة.

٦- علو الهمة الباعث على الجد في التحصيل والمثابرة عليه:

ذلك أن من تحلى بخلق علو الهمة وكبرها فإنه سيظل متطلعًا دائمًا إلى درجات الكمال، ولن يبلغها أو يقارب حتى يتعب الجسم في تحقيق مراد النفس الطموح إلى أعالي الأمور، ومكارم الأخلاق، ومراتب المجد والعز والشرف.

ولقد أحسن القائل:

وإذا كانت النفوس كبارًا ... تعبت في مرادها الأجسام

وإنني لأرى أن أولى الناس بخلق علو الهمة طالب العلم الذي فتح

الله له باب ميراث صفوة خلقه الرسل الكرام والأنبياء العظام، ومن اقتدى بِهم من أهل الإحسان والإيْمان والإسلام، وسلك به طريق الجنة ليتبوأ منازلها في رحاب الملك العلام ذي الجلال والإكرام، فيا طالب العلم الشريف كن حريصًا على سبيل الدوام على إحراز الفضائل وكسب المعالي، والمقامات العلى المتجلية في العلم والعمل.

وكن ذا نَهم في الطلب باذلاً الوسع فيه، مدققًا في مسائل العلم، جادًّا في تحقيقها وفهمها وتدوينها، ولا تقل يا أخي الكريم كمن قال: "ما ترك الأول للآخر شيئًا". بل قل، واعتقد العكس وهو: "كم ترك الأول للآخر". وتمثل دائمًا بما قال الخليفة الرابع علي بن أبي طالب ﷺ:

ما الفضل إلا لأهل العلم إنَّهم على الهدى لمن استهدى أَدِلاَّءُ
وقدر كـــل امرئ ما كان يحسنه وللرجـــال على الأفعـــال أســـماء

٧- انتقاء كتب القراءة والتدرج في قراءتِها:

سواء كان ذلك في علم التفسير، أو فن الحديث، أو علم التوحيد، أو علم الفرائض، أو علم التاريخ والسير، أو غيرها من فنون علوم الشريعة فيبدأ الطالب في كل فن بقراءة متونه ومختصراته ثم ينتقل بعدها إلى مطولاته فمثلاً:

في علم التفسير: يبدأ بقراءة مختصر ابن كثير للشيخ محمد نسيب الرفاعي، وكتاب الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

وفي فن الحديث: يبدأ بحفظ الأربعين النووية، ثم بقراءة عمدة

الأحكام من كلام خير الأنام -عليه الصلاة والسلام- للحافظ تقي الدين عبد الغني المقدسي، ثم بقراءة رياض الصالحين فبلوغ المرام، ثم يرتقي إلى قراءة الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها من كتب السنة المحفوظة الشريفة.

وفي فن التوحيد: بجميع أنواعه يكون البدء بالأصول الثلاثة وأدلتها والقواعد الأربع، ثم كشف الشبهات، ثم كتاب التوحيد وجميعها لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-، وكذلك يعقب بقراءة العقيدة الواسطية، ثم الحموية، ثم التدمرية ثلاثتها لشيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله تعالى-، فالطحاوية للطحاوي، ثُمَّ النونية لابن القيم مع شرحها القيم لمحمد خليل هراس -رحمهما الله-.

وفي فن الفرائض: يبدأ بالرحبية، ثم الفوائد الجلية، ثم النور الفائض ونحوها من كتب هذا العلم.

وفي كتب التاريخ والسير: يبدأ بقراءة مختصر السيرة النبوية للشيخ محمد ابن عبد الوهاب، ثم بأصلها لابن هشام، وهكذا يقرأ ما كتبه ابن القيم في هذا الفن في زاد المعاد، ويقرأ بعدها كبار كتب التاريخ والسير وأشملها البداية والنهاية لابن كثير، والكامل لابن الأثير -رحمهما الله-.

وفي فن الفقه: يحسن البدء بآداب المشي إلى الصلاة للشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- ثم كتاب العدة شرح العمدة في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل، تأليف بَهاء الدين عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي، ثم

الإحكام شرح أصول الأحكام لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، ثم الروض بِحاشية المذكور، ثم يتدرج في كتب شروح هذا الفن كالمغني وغيره.

وفي **كتب أصول التفسير**: السفير في أصول التفسير لعبد الحكيم محمد سرور، ثم القواعد الحسان لتفسير القرآن للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، فالمقدمة لشيخ الإسلام بن تيمية.

وفي أصول الفقه: يبدأ بقراءة نظم الورقات للجويني ثم روضة الناظر لابن قدامة -رحمهما الله- ثم لب الأصول فإرشاد الفحول وغيرها.

وفي كتب النحو والصرف: يكون البدء بالآجرومية، ثم مُلْحَة الإعراب للحريري، ثم قطر الندى لابن هشام، ثم ألفية ابن مالك مع شرحها لابن عقيل وهكذا.

وفي كل ذلك يجب على السالك في طريق الطلب أن تكون علاقته بأشياخه قائمة واستشارته إياهم دائمة، وليحذر أن يكون كتابه هو شيخه، فتلك طريق الخطر والزلل، ومظنة فحش الخطأ والغلط وقديْمًا قيل: "من دخل في العلم وحده، خرج وحده"(١). والمعنى أن من دخل في طلب العلم بلا شيخ خرج منه بلا علم، وما ذلك إلا لأن الأصل في أخذ العلم هو تلقيه من أفواه ذويه، إذ العلم بِمنْزلة الصنعة، وحملته بِمنْزلة الصناع، ولابد للجاهل بصنعة ما عن عالم بِها يعلمه إياها، والله أعلم.

---

(١) الجواهر والدرر للسخاوي (١/٥٨).

٨- الرحلة في الطلب:

إن الرحلة في طلب العلم الشرعي الشريف طريق مألوف لسلفنا الصالح وكل من تأسى بهم في محبة العلم وإجلال العلماء، وعمل مجيد كثر التنافس فيه منهم طمعًا في الوعد الصادر ممن لا ينطق عن الهوى ﷺ حيث قال: «**من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة**». رواه البخاري وغيره عن أبي الدرداء.

وفي رواية: «**ما سلك عبد طريقًا يقتبس فيه علمًا إلا سلك الله به طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا عنه، وإنه ليستغفر للعالِم من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر**»(١).

وتقدم حديث صفوان بن عسّال الذي قال فيه: أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله، إني جئت أطلب العلم. فقال: «**مرحبًا يا طالب العلم، إن طالب العلم لتحفُّه الملائكة، وتظله بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضًا حتَّى يلمسوا سماء الدنيا من حبهم لما يطلب**»(٢).

ففي هذه النصوص الكريمة وما في معناها ترغيب عظيم في الرحلة في طلب العلم، وتشويق كريم باعث على الصبر على تجشم المصاعب في سبيل نيله، إذ به تحيا القلوب والأرواح فتعرف إلهها العظيم، وفاطرها رب السموات والأرض ورب العرش الكريم، فتفرده بالعبادة وحده دون

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

سواه مخلصة له الدين، وترجو ثوابه، وتخشى عقابه: ﴿أَلا لَهُ الحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: من الآية٦٢].

ولقد عرف سلفنا الأوائل وأتباعهم من أولياء الله، قدر الرحلة في طلب العلم، فرحلوا رجالاً وركبانًا في طلبه، غير مبالين ببعد المكان، ومشقة السفر، وذلك دليل على مدى فهمهم لعظم شأن العلم، وأن أمم الأرض لا يطيب عيشها، ولا تصفو حياتُها، ولا تبصر طريق مرضاة خالقها ومولاها إلا بالعلم الشرعي الشريف، وبدونه لا طيب للعيش، ولا صفاء للحياة، ولا معرفة لطريق الحق الموصلة إلى الله.

فهذا أبو أيوب الأنصاري رحل من المدينة إلى مصر ليسمع حديثًا واحدًا من عقبة بن عامر، فلما وصل مصر خرج إليه عقبة، فقال له أبو أيوب: حدثنا ما سمعته من رسول الله ﷺ في ستر المسلم. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من ستر مسلمًا على خزيه ستره الله يوم القيامة**»(١). فأتى أبو أيوب راحلته فركبها وانصرف إلى المدينة ولَم يُحِلَّ رحْلَه.

ورحل جابر بن عبد الله من المدينة إلى الشام ليسمع حديثًا واحدًا من أخيه عبد الله بن أنيس قال جابر: «بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله ﷺ فاشتريت بعيرًا ثم شددت عليه رحلي، فسرت إليه شهرًا حتى قدمت عليه الشام، فإذا عبد الله بن أنيس، فقلت للبوَّاب: قل له جابر على الباب. فقال: ابن عبد الله؟ قلت: نعم، فخرج يطأ ثوبه

---

(١) أورده ابن عبد البر في كتاب جامع بيان العلم وفضله (ج١ ص٩٤).

فاعتنقني واعتنقته، فقلت حديثًا بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصاص فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة** -أو قال: **العباد**- **عراة غرلاً بُهمًا**. قال: قلنا: وما بُهما؟ قال: **ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه حتى اللطمة**. قال: قلنا: كيف وإنَّما نأتي الله ﷻ عُرَاة غُرْلاً بُهْمًا؟! قال: **بالحسنات والسيئات**»[١].

هذا يا أخي وكم للعلماء الأجلاء من رحلات في الأقطار من أجل طلب العلم والتوسع في فنونه والتدوين لكتبه، والبحث عن أوعيته في مشارق الأرض ومغاربِها تحدثت عن ذلك كتب التاريخ والتراجم بما لا يزاد عليه، وامتدت الرحلات من عصر الصحابة الكرام كما رأيت إلى عصرنا هذا، وقد كثرت الرحلات في طلب العلم في عصرنا أيضًا إلى مؤسسات العلم الممثلة في الجامعات التي تعنى بتعليم الشريعة الإسلامية ووسائلها وما أكثرها في مملكتنا هذه -ولله الحمد-.

ومنها ما يلي:

أ- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ومقرها الرياض ولها

(١) رواه أحمد في المسند (ج٣ ص٤٩٥).

فروع وروافد داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

ب- الجامعة الإسلامية ومقرها المدينة المنورة وكم لها من جهود علمية ودعوية مباركة في معظم بلدان العالم.

ج- جامعة أم القرى ومقرها مكة المكرمة -حماها الله من كل سوء ومكروه-.

د- جامعة الملك سعود، ومقرها الرياض.

ح- جامعة الملك عبد العزيز ومقرها جدة.

وهذه الجامعات كلها قد فتحت أبوابَها لأصحاب الرحلة في طلب العلم سواءً من داخل البلاد أو من خارجها من دول العالم على اختلاف أجناسهم، وقدمت لمن يؤمها راغبًا في طلب العلم الشرعي الشريف كل عون معنوي ومادي ابتغاء مرضاة الله، ورجاء انتشار الإسلام في أرجاء المعمورة؛ لأنه هو دين هذه الأمة عربِها وعجمها قاصيها ودانيها.

قال ﷻ : **﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾** [آل عمران:٨٥].

وهل تعلم أيها القارئ الكريم من الذي وضع بذرة تلك الجامعات وفروعها وروافدها التي تصب فيها بلا انقطاع ولا توقف ؟ إنه ذلكم الرجل المجاهد رجل الدعوة إلى التمسك بالعقيدة السلفية -عقيدة أهل السنة والجماعة- ورجل الدعوة إلى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في شعبه وغيره الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، وعمل على تطوير

تلك الجامعات وغيرها من مؤسسات العلم أنجاله الذين نشئوا على محبة الدين ومحبة العلم والعلماء العاملين، مؤمنين بأن ذلك مفتاح كل خير وسعادة ومصدر كل عز، وسبب كل تمكين في الأرض سيادة وقيادة، ولا أدعي لهم الكمال، فالكمال لله وحده، ثم لمن منحه من أنبيائه ورسله، ومن شاء من خلقه، ولكنني أشكر الله كثيرًا ثم أشكر أولي الأمر في هذه البلاد من حكام وعلماء على ما بذلوه ويبذلونه من عناية بنشر عقيدة التوحيد، وتطبيق أحكام الشريعة في الشعائر والأحكام والفرائض وغيرها، وأرجو الله أن يأخذ بأيدينا جميعًا لنكون متعاونين على نصرة هذا الدين الذي ارتضاه لنا أرحم الراحمين لنحيا سعداء، ونموت أتقياء، ونحشر في زمرة المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وحيث إننا في زمن قد تجلت فيه غربة الدين، وتداعت على أهله الأمم لِتُزَحْزِحهم عنه، وتسلبهم عزهم الرفيع، وحياتَهم السعيدة في الدنيا والبرزخ والآخرة، فإنني بعد وصيتي لنفسي أن أكون صادقًا ومخلصًا أوصي ولاة الأمر من علماء وحكام في هذا البلد الحبيب أن يحرصوا كل الحرص على إقامة هذا الدين العظيم كاملاً غير منقوص، وأن لا يسمحوا لأنفسهم بالتقصير في شيء من واجباته، ولا بالتقصير في شيء من فرائضه وحدوده وسائر أحكامه وحلاله وحرامه، ولا بالتقصير في شيء من سننه وآدابه وفضائله، لأنه دين متكامل متماسك لا يقبل التجزئة.

ولقد عاب الله على قوم ارتكبوها حيث قال: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ

الكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ العَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: من الآية٨٥]. إنه لوعيد شديد، سيصلاه من يعمل ببعض هذا الدين الذي نزل به هذا الكتاب المبين، ويرفض العمل ببعضه لأنه يتعارض مع نفسه الأمارة بالسوء وهواه المتعدي الفضائل إلى الرذائل، ثم أيضًا لا ينبغي أن يكون نفعنا مقصورًا على أنفسنا وشعبنا، بل يجب أن يكون متعديًا بحسب طاقتنا وقدراتنا إلى غيرنا من أمم الأرض الذين هم في أمس الحاجة إلى معرفة هذا الدين، ومن ثم العمل به كاملاً غير منقوص ليخرجوا من ظلمات المعصية وشؤمها إلى نور الطاعة وعزها، فيكون لنا أجر الدعاة إلى الله الذين ورثوا علم رسول الله ﷺ وبلغوه الناس رجاء ثواب الله الذي قال في تنْزيله: **﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾** [فصلت:٣٣].

أعود إلى موضوع الرحلة في طلب العلم فأقول: هناك رحلات علمية مباركة يقوم بها أصحاب التخصصات العليا في العلوم الشرعية ووسائلها حيث إنَّهم يذهبون من قُطر إلى قُطر ابتغاء العثور على المخطوطات النافعة في مختلف الفنون، ثم يقومون بتحقيقها وإخراجها إلى حيز الوجود على منهج علمي صحيح، نسأل الله أن يثيبهم على القيام بهذا العمل المجيد، ولقد شهدت المملكة العربية السعودية في هذا العصر -لاسيما في الآونة الأخيرة منه- إنجازًا عظيمًا في هذا المضمار بسبب ما

أتيح للدارسين من فرص، وما هيئت لهم من أسباب مادية ومعنوية، فلله الحمد والمنة ونسأله المزيد من فضله.

٩- المذاكرة[١] مع ذوي الكفاءات العلمية:

إن المذاكرة مع ذوي الكفاءات العلمية وأصحاب السمت الحسن والخلق العظيم طريق جيد من طرق التحصيل العلمي؛ إذ فيها تقوية للذاكرة وشحذ للذهن وتعويد على المناظرة الهادفة إلى إبراز الحق في ثوبه النقي وصورته المضيئة، ورد الباطل بأوضح عبارة وأقوم دليل.

غير أن المذاكرة إذا تحولت إلى جدل مذموم، وصلف علمي، ومشادة بين أصحابها بحيث يحرص كل فرد منهم أن يكون هو الغالب فإنَّها ستفضي بهم -والحالة هذه- إلى ضار غير نافع ومغرم بدون مغنم: **﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾** [الإسراء:٥٣].

١٠- تنظيم المكتبة الْمَنْزلية وإن قلت كميتها :

وذلك أن تنظيم المكتبة المنْزلية باختيار الكتب أولاً، وتنويعها ثانيًا، وترتيبها المكاني بأسهل طريقة اصطلاحية ثالثًا كل ذلك يهيئ لطالب العلم طريق التحصيل، ويبعث في نفسه الرغبة في القراءة الدائمة المرتبة، فيصبح

---

(١) ولقد عرف أصحاب النبي ﷺ فضلها، فحرصوا عليها، وأرشدوا إليها، فهذا معاذ ﵁ يقول في فضل العلم: «ومدارسته تسبيح». ويقول آخر لصاحبه: «تعال بنا نؤمن ساعة».

كأنه متتلمذ على عدد من الأشياخ غير قليل، وهذه الطريقة -أعني التتلمذ على الكتب- مع الرجوع فيما يشكل من مسائل العلم إلى أشياخه قد سلكها كثير من العلماء، أذكر منهم على سبيل المثال الشيخ حافظ ابن أحمد بن علي الحكمي، فإنه ليس له إلا شيخ واحد هو عبد الله بن محمد القرعاوي -رحمهما الله-، علمًا أن الوقت الذي جلس فيه للتدريس كان قصيرًا، ولكن الشيخ حافظ عمد إلى تنظيم مكتبته تنظيمًا محكمًا وتتلمذ على كتب التوحيد وكتب التفسير والحديث والفقه والأصول والتاريخ والأدب والنحو وغيرها من كتب الشريعة ووسائلها حتى اكتمل لديه رصيد عظيم من مقومات التأليف، فأثرى بمؤلفاته كثيرًا من العلوم والمعارف نظمًا ونثرًا على الرغم من قصر عمره حيث فقده العالم الإسلامي وهو في ريعان شبابه عام (١٣٧٧هـ) فقد وافاه الأجل عقب أداء مناسك الحج كلها، وصلي عليه في حرم الله الآمن، وشارك في تشييع جنازته الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله-.

١١- التعود على الكتابة الإنشائية في بحوث نافعة معينة :

يضع طالب العلم لها الخطة، ويشرع في الكتابة فيها بعد مراجعة الكتب التي تعني بأبحاث الموضوع، إذ إن أي بحث يقوم به صاحبه بدون الرجوع إلى مصادره فإنه لا يتحقق له المطلوب، ولا يأتي فيه بما يشفي الغليل، بينما إذا رجع الباحث إلى مصادر بحثه وقلب صفحاتها واطلع على مسائلها، وارتوى من نميرها العذب فإنه يكون بهذا الصنيع قد فتح

لنفسه بابًا عظيمًا من أبواب الطلب، واختط طريقًا واسعًا من طرق التحصيل.

وقد تكون الكتابة تحقيقًا لكتاب ما سواءً كان مخطوطًا أو مطبوعًا، وهي لا تقل أهمية في شق طريق نافع مفيد لطلب العلم عن الكتابة في موضوع خاص؛ لأن المحقق لا يستطيع أن يُقدِّم خطوةً أو يؤخر أخرى إلا بعد الرجوع المطمئن إلى المصادر المعتبرة التي لها علاقة بالكتاب المراد تخريج نصوصه وتحقيقها.

وإنني لا أكتم على القراء الكرام شيئًا يحسن بيانه، ذلك أنني عندما أنْهيتُ الدراسة الجامعية، ومارست عملية التدريس برهة من الزمن كنت لا أعرف كيفية تخريج النصوص الحديثية من مصادرها، ولا الحكم لها أو عليها، وعند ذلك شعرت بأن الجهل بذلك نقص كبير في حق طالب العلم، فتتلمذت على كتب علماء هذا الفن الذين لهم باع طويل فيه، فاتضحت لي الطريق نوعًا ما، وبدأت أكتب في مواضيع معينة فأورد النصوص الكثيرة التي تستدعي التخريج والتحقيق، فبدأت أطبق ما درسته نظريًّا تطبيقًا عمليًّا فاتضحت لي الرؤية؛ واتسعت الطريق بقدر ما.

١٢- السماع لدروس العلماء وفتاواهم :

نعم إن السماع لفتاوى العلماء ودروسهم وخطبهم وندواتِهم ومحاضراتِهم سواءً كان ذلك على الطبيعة المعروفة، أو بواسطة الأجهزة الحديثة فإنه يعتبر طريقًا نافعًا في طلب العلم لاسيما ممن لا يقدرون على

الاستفادة من كتب العلم، ولا على الرجوع إلى مصادر الفتوى وكتب الثقافة الإسلامية العامة، وذلك بسبب ضعف مستواهم العلمي أو دنياهم الصارفة لهم عن التفرغ لطلب العلم الشريف.

هذه أهم الطرق الصحيحة لطلب العلم في حدود معرفتي والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا مُحمَّد وآله وصحبه وأتباعهم إلى يوم الدين.

* * * * *

وإليكم معشر الأحباب الجواب على الفقرة الثانية المتضمنة طلب الإجابة على بيان الطرق الصحيحة لنشر العلم في صفوف محتاجيه.

فأقـول -وبالله التوفيق-:

إن الطرق لنشر العلم كثيرة وإليكم أهمها:

* الطريقة الأولى: صنع الحلقات:

سواء كانت في المساجد التي هي أشرف البقاع وأحبها عند الله، أو في غيرها من المؤسسات التعليمية كالمدارس على اختلاف مستوياتها، وكذا المخيمات والمعسكرات وغيرها من الأماكن التي يمكن أن ينشر العالم فيها علمه بأسلوبه النافع وطريقته المثلى.

والمعلوم أن أهم المواد الَّتِي يجب أن يركز على تدريسها في الحلقات هي:

١- القرآن الكريم وقواعد تجويده.

٢- تفسير القرآن وعلومه.

٣- علم التوحيد، وبيان ما يناقِضه أو ينفي كماله.

٤- علم الحديث ومنه يؤخذ الفقه المفصل لأركان الإسلام والإيمان والإحسان وبيان الحلال والحرام وتفصيل سائر الأحكام الَّتِي كلف بِها الأنام.

٥- علم الفرائض، وما أشد حاجة الخلق إليها إذ بفهمها تصل الحقوق إلى ذويها.

٦- علم السيرة النبوية وما فيها من العبر، وهكذا يضاف إلى هذه العلوم الأهم فالمهم، وذلك بحسب الحاجة وبحسب المستوى الذي يتلقى أصحابه العلم، بحيث لا يعطى مستوى فوق ما يناسبه.

❋ الطريقة الثانية التي ينشر بها العلم: الخطابة:

إن مما لا شك فيه أن الخطابة بشتى مناسباتها[1] لها دور كبير في نشر العلم وتبليغه إلى محتاجيه، وكلما كان الخطيب ذا قدرة على الخطابة وصاحب حكمة فيها فإن تأثيره في السامعين أقوى وأبلغ، وقيامه فيهم أجدى وأنفع، وكان عظيم الخطباء وأفصحهم وأقدرهم نبينا محمد ﷺ يعطي كل وقت ما يناسبه، فقد جاء وصفه ﷺ حينما يقوم خطيبًا في أصحابه فيما رواه مسلم وغيره من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش، يقول صبحكم ومساكم، ويقول: **بعثت أنا والساعة كهاتين** -ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى- يقول: **أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتُها وكل بدعة ضلالة**». زاد النسائي: «**وكل ضلالة في النار**».

قال العلامة النووي في تعليقه على هذا الحديث: "يستحب كون الخطبة

---

(١) سواء كانت خطبة جمعة أو عيد أو استسقاء أو محاضرة يدعى لها جمهور الناس أو ندوة توجه من خلالها درر النصائح التي يحيا بها القلوب، وتصقل بسناها العقول، وتعالج بها مشكلات المجتمعات التي لا يحلها إلا الراسخون في العلم نجوم الأرض، وأولياء من في السماء.

فصيحة بليغة مرتبة مبينة من غير تمطيط، ولا تقعير، ولا تكون ألفاظًا مبتذلة ملفّقة، فإنَّها لا تقع في النفوس موقعًا كاملاً، ولا تكون وحشية فيفوت مقصودها، بل يختار الخطيب ألفاظًا جزلة مفهمة ".

قال ابن القيم: "وكذلك كانت خطبته ﷺ إنما هي تقرير لأصول الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه، وذكر الجنة والنار، وما أعد الله لأوليائه أهل طاعته، وما أعد لأعدائه أهل معصيته، فيملأ القلوب من خطبته إيْمانًا وتوحيدًا، ومعرفةً بالله وأيامه، لا كخطب غيره الَّتِي إنَّما تفيد أمورًا مشتركة بين الخلائق وهي النوح على الحياة والتخويف بالموت، فإن هذا أمر لا يُحَصِّلُ في القلب إيْمانًا بالله، ولا توحيدًا له، ولا معرفة خاصة، ولا تذكيرًا بأيامه، وبعثًا للنفوس على محبته، والشوق إلى لقائه، فيخرج السامعون ولَم يستفيدوا فائدة غير أنَّهم يموتون وتقسم أموالهم، ويبلي التراب أجسامهم فيا ليت شعري أي إيمان حصل بِهذا، وأي توحيد وعلم نافع يحصل به....

إلى أن قال: "ومن تأمل خطب النبي ﷺ وخطب أصحابه وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد، وذكر صفات الرب جَلَّ جَلَالُهُ، وأصول الإيْمان الكبيرة، والدعوة إلى الله وذكر آلائه تعالى التي تحببه إلى خلقه، وأيامه التي تخوفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره الذي يحببهم إليه، فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم، ثم طال العهد وخفي نور النبوة، وصارت الشرائع والأوامر رسومًا تقام من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها، فأعطوها

صورها، وزينوها بما زينوها به، فجعلوا الرسوم والأوضاع سننًا لا ينبغي الإخلال بِها، وأخلوا بالمقاصد التي لا ينبغي الإخلال بِها، فرصعوا الخطب بالتسجيع، والفقر وعلم البديع فنقص بل عدم حظ القلوب منها، وفات المقصود بِها"[١] اهـ.

قلت: وإنه ليجب أن يُختار لإمامة الناس في صلاتِهم علماءهم الربانيون وخطباؤُهم البلغاءُ الناجحون، الذين يستطيعون أن يعدوا لكل زمان ومكان ما يجب أن يقال فيه، ويناسب أهله، ويصلح شأنه وذويه، وعندما تسند الخطابة إلى هذا الصنف من العلماء في المدن والقرى فإن الناس حينئذ سيفقهون دين الله الذي ارتضاه لهم، ويرغبون فيما عنده من خيري الدنيا والآخرة بواسطة أولئك الخطباء الناجحين الموقعين عن الله، والمبلغين وظيفة رسل الله -صلى الله عليهم أجمعين-.

نعم، أكرر القول بأنه ينبغي للخطيب أن يحرص على كمال الموعظة وحسن عرضها، ولن يتأَتّى لــه ذلك تمامًا إلا إذا أكثر في خطبته من الاستشهاد بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية التي تأخذ بمجامع القلوب، وتنير درب الْهُدى والنور إلى طريق الحق وإلى صراط مستقيم، ولا يحسن أن يفرط في الاستشهاد بالآيات والأحاديث، إذ كل موعظة لا تستمد من آيات القرآن وصحيح السنة فهي قليلة النفع ضعيفة التأثير في قلوب السامعين.

---

(١) انظر زاد المعاد (ج١ ص٤٢٣، ٤٢٤).

❊ **الطريقة الثالثة من طرق نشر العلم الشرعي: التأليف والنشر:**

حقًّا إن تأليف الكتب الدينية ووسائلها ليعد من أنفع طرق النشر للعلم؛ إذ إن الكتاب المطبوع الذي يمتاز بالجودة في موضوعه والجمال في أسلوبه والحكمة في إخراجه لتتطاول الأعناق إلى رؤيته، ويحرص العقلاء من الناس على اقتنائه وقراءته فيكونوا على بصيرة من أمرهم، ويزدادوا علمًا إلى علمهم.

فلولا الله ثم مؤلفات العلماء الأجلاَّء في شتى فنون العلم لما استطاع الناس من بعدهم أن يُبصروا الطريق الحق، ولما استطاعوا أن يفهموا مدلولات نصوص الكتاب والسنة الفهم السليم، ولما استطاعوا أيضًا أن يردوا على أهل المفاهيم الخاطئة مفاهيمهم أو يصححوا لهم عقيدتَهم واتجاههم وأفكارهم.

إن كثيرًا من العلماء الأجلاء وإن كان لهم أشياخ تلقوا عنهم مبادئ العلوم إلا أنَّهم لَم يبرزوا ويُنتجوا مؤلفات جيدة نافعة إلا بعد عكوفهم على قراءة مؤلفات من كان قبلهم، وكثير ممن كان قبلهم كذلك من يوم بدأت الأقلام تخط في القراطيس إلى عصرنا هذا، ولهذا تجد: قال فلان في كتاب كذا، كذا، ورجح فلان في كتابه كذا، وأورد فلان هذا النص بلفظه في كتابه وهكذا مما يدل على أن اللاحق تتلمذ على كتب السابق، واعتمد على أصولها، وقطف من ثمارها، واستضاء في طريق التحصيل والنشر بنورها.

ولقد بلغ نشر العلم بطريقة الإخراج والتأليف في هذا العصر مبلغًا واسعًا إذ كل يوم تصدر دور العلم ومطابع العالم الإسلامي كتبًا جديدة في شتى فنون العلم مما جعل المكتبة الإسلامية العامة تملك ثروة عظيمة من كتب العلوم الشرعية ووسائلها في كل مكان من دنيا البشر، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

أما الذين يكتبون بنية إضلال البشرية وإفساد عقيدتهم ظلمًا وعدوانًا، أو يكتبون بغير علم فيضروا الخليقة بخطئهم الناتج عن جهلهم بالعلم النافع فإن الله يهيئ للرد عليهم من يفند باطلهم، ويزهق ضلالهم، ويصحح خطأهم، فتنجلي ظلمة الباطل، ويسطع نور الحق الذي يجب أن يُحبَّ ويتَّبعَ.

❁ الطريقة الرابعة: بذل النصيحة :

إن بذل النصيحة للخلق على اختلاف طبقاتهم حكامًا ومحكومين علماء وأميين جماعات وفرادى طريق مهم من طرق نشر العلم، ولأهميتها جاء الأمر بها في محكم القرآن الكريم وصحيح السنة الشريفة، قال الله تعالى عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿**وَأَنْصَحُ لَكُمْ**﴾ [الأعراف: من الآية٦٢]. وعن هود عليه السلام: ﴿**وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ**﴾ [الأعراف: من الآية٦٨].

وقال النبي ﷺ: «**الدين النصيحة. قلنا لمن ؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[1] رواه مسلم وغيره.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة (ج١، رقم ٥٥، ص٧٤)، =

ولقد بايع الصحابة ﷺ نبيهم ﷺ على بذلها مقرونة بالصلاة والزكاة كما في الصحيحين من حديث جرير بن عبد الله البجلي ﷺ قال: «بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»(١).

نعم إن اعتبار النصيحة الشرعية طريقًا من طرق نشر العلم اعتبار صحيح؛ لأنَّها دعوة من الناصح للمنصوح له ليعيش في ظل الحق الظليل، أو ليهجر الباطل وأهله المنحرفين عن سواء السبيل، وإذا كان هذا شأنَها فأكرم بِها طريقًا هادية إلى نشر العلم، ومسلكًا فذًّا في إهدائه وبذله.

❊ **الطريقة الخامسة: الفتوى :**

الفتوى بجميع طرقها عمل ضروري يحتاج إليها كل مجتمع من المجتمعات الإسلامية في شتى بقاع الأرض سواء كانت الفتوى في العبادات، أو في المعاملات، أو في أي شأن من الشئون التي لا يجوز للمسلم أن يقدم فيها أو يؤخر إلا بإذن شرعي يرجع فيه أهل الفتوى الذين يعتد بفتياهم شرعًا، وللفتوى طرق: فتارة تكون محررة، وتارة تكون مشافهة، وتارة تكون خاصة، وأخرى تكون عامة، وذلك بحسب

=

والترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في النصيحة (ج٤ رقم ١٩٢٦ ص٣٢٤) والنسائي (ج٧ ص١٥٦).

(١) البخاري في كتاب الإيمان باب قول النبي ﷺ: «**الدين النصيحة**» (ج١ ص١٧)، ومسلم المصدر السابق رقم (٥٦).

الأسئلة الموجهة من المستفتين، وبحسب القضايا التي تكون في مجتمع ما، ويطلب لها الحلول بإصدار الفتوى فيها ممن تتوفر فيهم شروطها ومقوماتُها.

ولقد أكرم الله الأمة الإسلامية في عصرنا الحديث ببرنامج النور "نور على الدرب" الذي يذاع مساء كل يوم[1] من إذاعة القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية حيث تعرض فيه مسائل متعددة، ومشكلات منوعة تَرِدُ من أقطار العالم الإسلامي، فيتولى الإجابة عليها نخبة من هيئة كبار العلماء في مملكتنا برئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد سابقًا، ثم الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ حاليًا.

وإذن فالفتوى طريق مهم من طرق نشر العلم الذي يترتب على نشره الثواب، ويترتب على كتمانه الذم والعقاب.

هذا وقد ذكر العلماء الأجلاء آدابًا تتعلق بالمفتي والمستفتي.

فمن أهم آداب المفتي ما يأتي:

١- **الشعور بثقل الفتوى**: ومن ثم التوقف عن سرعة الإقدام عليها؛ لأنَّها توقيع عن الله ﷻ وعن رسوله ﷺ، والمفتي لا يدري أيوافق حكم الله وحكم رسوله فيها أم لا فيظل خائفًا مشفقًا من مجانبة الصواب، وهذا كان شأن السلف ومن تأسى بِهم ممن جاء بعدهم.

---

(١) بل في اليوم مرتين: مرة من إذاعة القرآن الكريم، ومرة من إذاعة نداء الإسلام وفق الله القائمين به والمعينين على إخراجه لكل خير.

قال عبد الرحمن بن أبي ليلى: "أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ يسأل أحدهم المسألة فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول".

قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما: "من أفتى عن كل ما يسأل فهو مجنون".

وقال عطاء بن السائب التابعي: "أدركت أقوامًا يسأل أحدهم عن الشيء فيتكلم وهو يرعد".

وقال الهيثم بن جميل: "شهدت الإمام مالك وقد سئل عن ثمان وأربعين مسألة، فقال في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري".

قلت: هذا الذي ينبغي أن يكون عليه المفتي من الخوف والوجل من الجرأة على الفتوى، ولكن إذا كان ممن يملك مؤهلات الإفتاء، ولم يقم بالفتوى أحدٌ غيره، أو أنه يرى عدم كفاءة غيره فليستعن بالله وليفت، فإن في ذلك قضاء لحاجة المسلمين، ونشرًا للعلم، وفرارًا من الكتمان الذي يترتب علية الوعيد الشديد.

٢- كما يشترط في المفتي أن يكون:

أ- مكلفًا. ب- مسلمًا.

ج- ثقة. د- مأمونًا.

ح- متنزهًا عن أسباب الفسق وخوارم المروءة[1].

---

(١) إذ إن الكافر والفاسق لا تصح منهما الفتوى، وقد صرح العلماء بعدم جواز فتوى أهل

و- صحيح التصرف والاستنباط.

ط- ذا علم ودين وزهد وورع.

٣- كما يلزم المفتي أن يبين الجواب بيانًا شافيًا يزيل الإشكال، وإذا كتب الفتوى فيجب عليه أن يكتبها بخط واضح وعبارات واضحة صحيحة يفهم القارئ معناها ومقتضاها.

وهناك آداب كثيرة تتعلق بالمفتي الموقع عن الله -تبارك وتعالى-، وعن رسوله ﷺ يراجع لاستيفائها كتاب "المجموع" شرح المهذب (ج١ ص٤٠) وما بعدها.

وأما ما يتعلق بالمستفتي[١] فإنه:

أ- يجب عليه الاستفتاء إذا نزلت به حادثة يجب عليه علم حكمها، فإن لَم يجد ببلده من يفتيه وجب عليه السفر إلى من يفتيه ولو بعدت داره[٢]. اهـ.

قلت: وأما في عصرنا الحاضر فإن المستفتي لا يحتاج إلى شد الرحال إلى أهل الفتوى مهما بعدت ديارهم، وإنما يمكنه أن يتصل بالمفتي بواسطة الهاتف، أو إرسال رسالة في البريد، وسيأتيه الجواب بدون أن ينشئ سفرًا

=

البدع والانحراف، ومن جملتهم الرافضة والنواصب الذين يسبون ويبغضون أصحاب رسول الله ﷺ.

(١) **المستفتي:** هو الذي لَم يبلغ درجة المفتي في معرفة الأحكام الشرعية.

(٢) انظر المصدر السابق (ص٥٤).

أو تلحقه أدنى مشقة، وهذا من فضل الله على الأمة ورحمته بهم.

ب. كما يجب عليه البحث عن أهلية من يستفتيه ولا يجوز له ترك ذوي الكفاءات واستفتاء غيرهم من أجل قضاء مصالحه الدنيوية، وشهواته النفسية والجسدية.

ج. ثم يجب عليه أن يستفتي بنفسه، فإن لم يكن فبواسطة ثقة يعتمد على خبره، أما إذا جاءته الفتوى مكتوبة فإنه يكتفي بالكتابة إذا أمن عليها من التزوير بالزيادة أو النقص، والله أعلم.

هذه هي أهم طرق نشر العلم في حدود ما أعلمه فلنتأملها جميعًا، ولنسلكها كل بحسب قدرته؛ لكي نظفر بحسن المثوبة، وننجو من سوء العقوبة.

وحيث إننا قد عرفنا مما سبق تدوينه في هذا البحث أن ثمرة العلم العمل الذي يترتب عليه الجزاء الحسن من الله في الدارين، فإننا أيضًا نحب أن نعرف شيئًا عن ثمرات نشر العلم، قبل أن ننتقل إلى الجواب على الفقرة الثالثة من السؤال.

فأقول -وبالله التوفيق-: إن لنشر العلم وتبليغه إلى محتاجيه ثمرات جليلة لا يجوز أن ينام عن طلبها طلاب العلم عمومًا والعلماء منهم خصوصًا.

من هذه الثمرات ما يأتي:

١ - كثرة الأجر ومضاعفته: لقول النبي ﷺ: «**فوالله لأن يهدي الله بك**

رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم»[١].

ولقوله -عليه الصلاة والسلام-: **«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا»**[٢].

ففي هذين النصين بشرى كريمة تثلج الصدور، وتؤنس النفوس، وتستثير همم العلماء إلى التشمير عن ساعد الجد في نشر العلم وتبليغه إلى محتاجيه بحسب القدرة والإمكان؛ ذلك لأن ناشر العلم ومبلغه والداعي إلى ما فيه من هدى ونور سيعطى يوم القيامة من الأجر بعدد كل من اهتدى بدعوته وتبليغه من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا، وذلك سوى ما لــــه من أجر عمله المختص به، فضلاً من الله ورحمة، والله ذو الفضل العظيم، وكفى مُبلغِ العلم شرفًا وفضلاً أنه سعى في عمل يحبه الله ورسوله ليحشر بجوار من أحب.

قال ابن القيم -رحمه الله-: "وعلامة المحب الصادق أن يسعى في حصول محبوب محبوبه، ويبذل جهده وطاقته فيها".

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ باب مناقب علي رضي الله عنه (ج٦ ص١٦)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل علي رضي الله عنه (ج٤ رقم ٢٤٠٦ ص ١٨٧٢) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) مسلم في العلم باب من سن سنة حسنة أو سيئة (ج٤ رقم ٢٦٧٤ ص٢٠٥٨)، والترمذي في العلم باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى (ج٥ رقم ٢٦٧٤ ص٤٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومعلوم أنه لا شيء أحب إلى رسول الله ﷺ من إيصال الهدى إلى جميع الأمة فالمبلغ عنه ساع في حصول مَحابه، فهو أقرب الناس منه وأحبهم إليه، وهو نائبه وخليفته في أمته، وكفى بِهذا فضلاً وشرفًا للعلم وأهله.

٢- الفوز بصلاة[1] الله وصلاة ملائكته وصلاة أهل السموات والأرض حتَّى النملة في جحرها والحيتان في البحر، بدليل ما رواه الترمذي في جامعه من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: ذُكر للنبي ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**». ثم قال النبي ﷺ: «**إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها والحيتان في البحر ليصلون على معلم الناس الخير**»[2].

أقول: إن في هذا الحديث لأعظم باعث على المنافسة في تعليم الخلق

---

(١) صلاة الله تعالى على عباده ثناؤه عليهم عند الملائكة، وصلاة الملائكة على المؤمنين دعاؤهم لهم، ومثلها صلاة أهل الأرض، انظر ابن كثير مختصر محمد نسيب الرفاعي (ج ٣ ص١١٥).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب العلم: باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (ج٥ رقم ٢٦٨٥) وقال: هذا الحديث غريب.

قلت: وقد أخرجه الدارمي في موضعين:

الموضع الأول: (ج١ ص٨٨) من طريق يزيد بن هارون وهو ثقة ثبت عن مكحول مرسلاً وإسناده حسن.

والموضع الثاني: (ج١ ص٩٨) عن الحسن مرفوعًا وسنده إليه صحيح.

وانظر خلاصة الكلام على سند هذا الحديث في شرح السنة للبغوي (ج١ ص٢٧٨).

لاسيما الذين يسكنون البوادي والهجر، فإنَّهم يجهلون كل شيء من أصول الدين وفضائله لبعدهم عن أماكن أهل العلم؛ ولعدم من يوجد بين أظهرهم كي يتخولهم بالتعليم والموعظة بين آونة وأخرى، فانحسرت هممهم في الاشتغال بمتطلبات الجسد من مأكل ومشرب وملبس ومنكح ومسكن ومركب إلا من شاء ربك: ﴿**وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [الزخرف: من الآية٣٥].

وحقًّا أن: «**من بدا فقد جفا**» كما قال ﷺ.

٣- التأسي بأنبياء الله ورسله: وما يترتب عليه من حسن المثوبة والجزاء، ذلك أن الله -تبارك وتعالى- بعث رسله مبشرين ومنذرين يعلمون الناس ما يجب عليهم أن يعلموه من حقوق الله وحقوق عباده ويبلغونَهم ما أوحاه الله إليهم ليخرجوهم من الظلمات إلى النور، وهكذا عمل معلمي البشرية من ورثة الأنبياء والرسل، فحصل لهم فضل التأسي حيث إنَّهم يحشرون مع من تأسوا بِهم من أنبياء الله ورسله في دعوة الخلق إلى دين الحق وتبليغ عباد الله رسالات الله رجاء مغفرته ومرضاته وثوابه وخشية عقوبته وأليم عذابه: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ**﴾ [الممتحنة:الآية٦].

﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب:٢١].

٤- الخروج من تبعة الكتمان: حقًّا لقد توعد الله من طبيعتهم كتمان العلم عن محتاجيه حيث قال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران:١٨٧].

وقال -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٥٩، ١٦٠].

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار**»[1].

قال شراح الحديث: "كما ألجم لسانه عن قول الحق وإظهار العلم فإنه يعاقب في الآخرة بلجام من نار".

وأقول: إنه ليحسن أن أسطر هنا ما قلته في تعليقي على هذا الحديث في كتابي "**المنهج القويم**".

قلت هناك: "ونظرًا لحال الناس في هذا الزمان الذي تكاثرت فيه الشرور، وتتابعت فيه الفتن، وتحققت فيه غربة الدين، وانتشرت فيه

(١) أخرجه أحمد في المسند (ج٢ ص٤٩٩). والترمذي في العلم باب ما جاء في كتمان العلم (ج٥ رقم ٢٦٤٩ ص٢٩) وقال: هذا حديث حسن. وأبو داود باب كراهية منع العلم (ج٣ رقم ٣٦٥٨ ص٣٢١)، عن أبي هريرة.

وسائل الزيغ والانحراف عن طريق الحق المبين، وهدى رب العالمين، فإنه يجب على كل طالب علم أن يجند نفسه ويبذل جهده في سبيل إيصال الخير والهدى والنور إلى البشرية كلها لتحيا حياة طيبة مباركة ويستيقظ الغافل من غفلته وسباته، ويرشد الجاهل بعد جهله وضلاله.

وأن يستعمل الداعي إلى الله في ذلك أنجح الطرق وخير الوسائل وأسهل الأساليب التي تكون عونًا له على انتشال أهل الجهل والغواية مما هم عليه من ذلك الجهل والضلال والغواية إلى نور العلم والفقه في الدين والهداية، فإنْ نحن فعلنا ذلك رجاء ثواب الله، وخشية عقابه، وخروجًا من التبعة، وبراءة للذمة، ونصحًا للأمة، فقد سلكنا طريق الهداية والرشد والبلاغ، وإنَّ هذا الصنع ليسير على من يسره الله عليه من أهل العلم النافع والعمل الصالح والفقه في الدين الذين يحبون إيصال الخير إلى الناس أجمعين.

أما من اتخذ العلم حرفة كغيرها من الحرف التي يتخذها أهلها وسيلة لكسب المال، وإحراز الجاه، ووصولاً إلى كراسي الرئاسة والسلطان، فإنه لن يهتم بنشر العلم بين محتاجيه، ولن يفكر أبدًا أن عليه لله واجبًا فيه، وسيتحمل مسئوليةً عظمى، ويندم ندامةً كبرى يوم يسأل كل ذي علم عما عمل فيه"[1] اهـ.

٥- **الظفر بالعون والمدد من الله:** لأن ناشر العلم يسعى في قضاء

---

(١) انظر المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم ﷺ (ص٢٣٠، ص٢٣١).

أعظم حاجة وأمسها ألا وهي حاجة الخلق إلى الفقه في الدين، والإخلاص في العبادة وهما ركنا قبول العمل، وقد جاء في الحديث: **«ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»**. وفي لفظ: **«والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»**.

٦- ازدياد العلم لدى من ينشره في الخلق: لأن العلم يزداد وينمو لدى صاحبه إذا هو نشره في الناس، وقد أدرك هذه الفضيلة أصحاب النَّبي ﷺ ومن تأسى بِهم فكتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء فقال: «إن العلم كالينابيع يغشى الناس، فيحتاجه هذا وهذا فينفع الله به غير واحد، وإن حكمة لا يُتكلَّمُ بِها كجسد لا روح فيه، وإن علمًا لا يخرج ككنْز لا ينفق، وإنما مثل المعلم كمثل رجل حمل سراجًا في طريق مظلم يستضيء به من مرَّ به، وكل يدعو إلى الخير»[١].

٧- الحصول على شهادة رسول الله ﷺ بالخيرية المحبوبة: بدليل ما رواه البخاري وأبو داود والترمذي من حديث عثمان بن عفان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»**[٢].

قلت: ولا شك أن تعليم القرآن الذي جعله الله تبيانًا لكل شيء

---

(١) انظر رسالة "أخلاق العلماء للآجري" (ص٩٥، ٩٦).

(٢) البخاري في كتاب فضائل القرآن (ج٦ ص١٥٧). أبو داود في الصلاة، باب قراءة القرآن (رقم ١٤٥٢ ص٧٠). والترمذي في أبواب ثواب القرآن، باب ما جاء في تعليم القرآن (ج٥ رقم ٢٩٠٩ ص١٧٥).

وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين من أشرف أنواع النشر للعلم، وأن صاحبه داخل في جملة من قال الله فيهم: **﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾** [فصلت:٣٣].

٨- الفوز بغنيمة قيمة ألا وهي دعاء النبي ﷺ لناشر العلم بالنضارة: النعمة والبهجة في الدنيا والآخرة، جاء ذلك في مسند الإمام أحمد وصحيح مسلم وغيرهما من حديث ابن مسعود، وأبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال: «**نضر الله عبدًا سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأدَّاها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه**». وفي لفظ: «**فرب مُبلَّغ أوعى من سامع**».

هذا أيها القارئ الكريم أهم ثَمرات نشر العلم وتبليغه محتاجيه من الخلق، وهي كما رأيت قد دلت عليها نصوص كريمة من الكتاب والسنة الصحيحة، وإذا كان الأمر كذلك فهنيئًا ثم هنيئًا من صميم القلب لطالب العلم ومحبه وناشره بعلم وحكمة رجاء ما عند الله من الذخر الكبير والجزاء الحسن من اللطيف الخبير الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لَم يعلم.

* * * * *

وأما الآن فإلى الجواب على الفقرة الثالثة من السؤال، فأقول:

إن هناك صفات مشتركة بين المعلم والمتعلم، وصفات خاصة بالمعلم وصفات خاصة بالمتعلم.

وهأنا سأقيد ما اشتهر منها جميعًا لدى الراسخين في العلم فيما يلي:

أولاً: الصفات المشتركة منها ما يأتي:

١- إخلاص النية: لله تعالى في تعلم العلم وتعليمه؛ إذ إن تعلم العلم وتعليمه من أجلِّ العبادات وأفضل القربات فلابد من الإخلاص فيه عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

وبقول النبي ﷺ: «إنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكل امرئ ما نوى». الحديث، ألا وإن أعظم شيء يخشى منه على معلمي العلم وطلابه سوء القصد وفساد النية، وذلك كأن يقصدوا بالعلم المباهاة أو الشهرة أو اختيار المجالس وكثرة الأتباع ونحو ذلك من المقاصد السيئة، فينحدروا من قمة العز والطاعة إلى حضيض الذل وخزي المعصية بما شاب نياتهم من تلك الأمور السيئة، وإذا كان الأمر كذلك فإنه يجب على حملة العلم وطلابه أن يكونوا مع بذل الجهد في تحصيله ونشره شديدي الخوف من نواقصه، وكثيري الالتجاء والافتقار إلى الله ﷻ في قبوله ونمائه وزيادته وبركته.

ولقد أثر عن سفيان الثوري -رحمه الله- أنه قال: "ما عالجت شيئًا أشد عليَّ من نيتي".

وقال عمر بن ذر لوالده: "يا أبت ما لك إذا وعظت الناس أخذهم البكاء، وإذا وعظهم غيرك لا يبكون؟ فقال: يا بني ليست النائحة الثكلى كالمستأجرة"[(١)].

٢- العمل بالعلم:

قال الحسن البصري: "إن كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك في تخشعه وبصره ولسانه ويده وزهده، وإن كان الرجل ليطلب الباب من أبواب العلم فيعمل به فيكون خيرًا له من الدنيا وما فيها لو كانت له فيجعلها في الآخرة"[(٢)].

وقال الخطيب البغدادي -رحمه الله-: "وكما لا تنفع الأموال إلا بإنفاقها، كذلك لا تنفع العلوم إلا من عمل بِها، وراعى واجباتِها، فلينظر امرؤ لنفسه، وليغتنم وقته، فإن الثواء قليل، والرحيل قريب، والطريق مخوف، والاغترار غالب، والخطر عظيم، والناقد بصير، والله تعالى بالمرصاد، وإليه المرجع والمعاد.

---

(١) انظر تذكرة السامع والمتكلم (ص١٩).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (رقم ١٧٠٥٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (ج١ ص١٠٣)، والآجري في أخلاق العلماء (ص١٣١، ١٣٢) بتحقيق وتعليق محمود النقراشي.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧، ٨].

وقبل هذين الأثرين ما أخرجه الدارمي والترمذي من حديث أبي برزة الأسلمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ماذا عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه**»(١).

ففي هذا الحديث الصحيح وفي الأثرين اللذين قبله دليل على وجوب العمل بالعلم بدون تساهل أو تسويف، فإنما يطلب العلم من أجل العمل به ودعوة الخلق إليه ابتغاء مرضاة الله، وطلبًا للآخرة من لدنه، وأما إذا علم العبد وربما انتفع الناس بعلمه، وشقي هو به فقد انطبق عليه ما رواه الطبراني في المعجم الكبير من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول ﷺ: «**مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه مثل الفتيلة تضيء للناس وتحرق نفسها**»(٢).

وتحقق فيه ما رواه جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**اطلع قوم من أهل**

---

(١) أخرجه الترمذي في صفة القيامة، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد معزوًّا إلى الطبراني في الكبير وقال: فيه محمد بن جابر السحيمي وهو ضعيف لسوء حفظه، ولكن يشهد له ما أورده أيضًا من حديث جندب عن رسول الله ﷺ: «**مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه**». قال الهيثمي فيه: رواه الطبراني في الكبير وله طريق ورجاله موثقون فيكون الحديث حسنًا.

الجنة على قوم من أهل النار، فقالوا: بِمَ دخلتم النار، وإنّما دخلنا الجنة بتعليمكم؟ قالوا: إنا كنا نأمركم ولا نفعل».

ولله در القائل في هذا المعنى:

إذا العلم لَم تعمل به كان حجة   عليك ولَم تعذر بِما أنت حامل
فإن كنت قــد أبصرت هذا فإنّما   يصدق قــول الْمَرء ما هو فاعل

٣. **الصبر على التبليغ والتلقي:** إن مما لا شك فيه أن كل إنسان في حاجة ماسة إلى توطين النفس على الصبر وبالأخص حامل العلم وطالبه، لما يتطلبه منهم العلم نشرًا وكسبًا من التضحية بالمال والجاه والوقت وراحة الجسم، ولا يمكن أن يتأتى لعبد مسلم -ذكرًا كان أو أنثى- علم إلا إذا حصلت منه التضحية المذكورة آنفًا، فما أعظم أجر الصابرين الذين صبروا ابتغاء وجه ربِّهم، قال الله ﷻ: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [الزمر: من الآية١٠].

وقال -تبارك وتعالى-: ﴿**وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ**﴾ [الرعد: من الآية٢٢].

وكم من بشارة قد زفت إليهم قال -تبارك وتعالى-: ﴿**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**﴾ [البقرة: من الآية١٥٥]. أي: بخيري الدنيا والآخرة.

وقصارى القول: فلا سبيل إلى الوصول إلى العلم تعلمًا وتعليمًا إلا بالصبر الجميل الذي اعتبره الله في كتابه خير معين للعبد حيث قال سبحانه: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾.

٤، **٥- خشية الله وتقواه**: إذ بهما ينال العلم ويرتفع به صاحبه درجات في الدين والدنيا، فإذا لَم توجد هاتان الصفتان في العالِم والمتعلم فلا بركة في علمهما، بل -قطعًا- سيكون حجة عليهما فليحذرا من مصيبة الغفلة عن الله وعدم المبالاة بأوامره ونواهيه، وليعلما أنَّهما -في الأصل- أولى الناس بتقوى الله وخشيته، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: من الآية٢٨].

٦- نشر العلم: وقد تقدم قريبًا ذكر أشياء من ثمرات نشر العلم في محتاجيه ولا شك أن نشر العلم عمل مشترك يلزم العالم المتبحر والطالب المبتدئ كل واحد في حدود قدرته وعلمه، عملاً بقول رسول الله ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**»[1]. فإن هذا النص يدل على أن من يملك شيئًا من العلم ولو يسيرًا وجب عليه أن يبلغه من يحتاج إليه ولا يجوز له كتمانه، كما لا يجوز له الاعتذار بأن غيره أولى منه وأقدر، وما شابه ذلك من الأعذار الَّتي لا ينبغي انتحالها أو التعويل عليها، ما دامت حاجة الخلق قائمة، ولَم يمنع مانع شرعي من النفقة من العلم ولو كان يسيرًا، ولكن في حدود ما تعلم: ﴿**لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ**﴾ [الطلاق: من الآية٧].

٧- ومن الصفات الَّتي يجب أن يشترك فيها العالِم والمتعلم "الصدق"[2]:

---

(١) البخاري في كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (ج٤ ص١٣٦).

(٢) **الصدق**: هو إلقاء الكلام على أساس مطابقته للواقع والاعتقاد وضده الكذب، سواءً كان نفاقًا، أو تملقًا، أو جهلاً وغباءً بواقع الأمور.

والصدق خُلق المؤمنين الذين استجابوا لنداء ربِّهم حيث قال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩].

وامتثلوا أمر نبيهم ﷺ إذ قال: «**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة**»[١] الحديث.

ومما لا جدال فيه أن الصدق من فروض العين على المكلفين عمومًا، وأن في التخلق به شرفًا عظيمًا للنفوس، وصفاء منيرًا للسرائر، وجلبًا ملموسًا لمحبة الناس، وتفريجًا محققًا للكروب في العاجلة والآجلة، وفيه غير ذلك من المصالح التي لا يستطاع حصرها هنا، وإذا كان هذا هو شأن الصدق، فإن أولى الناس بالتحلي به العالم والمتعلم في كل شأن من شئونهما، لاسيما في تحمل العلم والعمل به وتبليغه محتاجيه على الوجه الشرعي، كما أن العالم والمتعلم من أجدر الناس بالابتعاد عن نقيض [٢] الصدق، وبالأخص فيما ينسبان إلى الله وإلى رسوله من قول وفعل وعمل، فإنَّ كَذِبًا على الله وعلى رسوله ليس كالكذب على غيرهما، وإن كان الكذب مشئومًا في كل حال سواء فيما يتعلق بحقوق الله، أو فيما يتعلق بحقوق الآدميين بعضهم على بعض.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]. (ج٨ ص٢١). ومسلم في كتاب البر، باب تحريم النميمة (ج٤ رقم ٢٦٠٦ و ٢٦٠٧).

(٢) وهو الكذب وإن سمي بغير اسمه.

ولقد جاء الوعيد الشديد لمن تعمد الكذب على رسول الله ﷺ فيما رواه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**»[١]. وفيما رواه البخاري ومسلم من حديث المغيرة بن شعبة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن كذبًا علي ليس ككذب على أحد، فمن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**»[٢]. ولمسلم قال: «**من حدث عنِّي بِحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين**»[٣].

فيا أخي طالب العلم وناشره إنه يجب علي وعليك بعد أن علمنا ما تحمله هذه النصوص وما في معناها من الخطر العظيم الذي يهدد من يوقع عن رسول الله كاذبًا أو على أساس من الظن، سواءً في مجال الفتوى أو في مجال التدريس، أو في مجال الخطابة أو في ميدان الكتابة أو في جلسة المذاكرة، وأن نتأكد قبل كل ذلك من صحة ما نضيفة إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، وذلك بالرجوع إلى المصادر المعتبرة من كتب السنة الصحيحة التي هيأ الله لحفظها رجالاً في كل عصر من العصور،

---

(١) مسلم في المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ (ج١ رقم ٢ ص١٠). والترمذي فِي كتاب العلم، باب ما جاء فِي تعظيم الكذب على رسول الله ﷺ رقم (٢٦٦٣).

(٢) البخاري في الجنائز باب ما يكره من النائحة (ج٢ ص٧٢). مسلم في المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ (ج١ رقم ٤ ص١٠).

(٣) هذه رواية مسلم المصدر السابق (ص٩).

ويحفظونَها وينشرونَها، ويذبون عنها بالرد على الذين يريدون النيل منها ومن أهلها.

٨- **استثمار ساعات العمر**: اعلم يا أخي -بارك الله لي ولك في ساعات العمر- أن استثمار الوقت في كسب الطاعة خلق العقلاء العارفين، ودأْبُ أهل الزهد والورع من عباد الله الصالحين، وإذا كان الأمر كذلك، فما أولى طالب العلم وناشره بالمحافظة على هذه الصفة التي يصدق عليها التعبير برأس المال، وإن العاقل لا يبدد رأس ماله، ولا يفرط فيه فيضيع.

وإذن فلابد من ملازمة الطلب والنشر بكل طريق ممكن من طرقهما، ولا يكون لذلك منتهى حتى يأتيك من ربك اليقين، أو يحول بينك وبين ذلك حائل لا خيرة لك فيه، وإياك والتسويف فإنه مصدر الفلس، وباب الحرمان، به تحرم مراتب الفضل الباسقة، ودرجات العلم الرفيعة العالية، ألا وإن أرجى أوقات التحصيل والنشر هي أوقات الصحة والفراغ، قبل هجوم الشواغل ذات الألوان المختلفة ككثرة العيال، وولاية الأعمال، وبسط الدنيا بالجاه والمال الداعيين إلى المنافسة المحذورة، وطلب الراحة والسكون، وردد دائمًا بتأمل الوصية التالية الكريمة: «**اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**»[1].

---

(١) أخرجه الحاكم موصولاً من طريق عبد الله بن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما

ولقد أحسن القائل:

إذا كنت أعلم علمًا يقينًا ... بأن جميع حياتي كساعة
فلم لا أكون بِها ضنينًا ... وأجعلها في صلاح وطاعة

هذه الصفات إنَّما هي قليل من كثير مِمَّا ينبغي أن يتحلى به العالِم والْمُتعلم.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

=

وصححه ووافقه الذهبي (ج٤ ص٣٠٦).
كما جاء في طريق أخرى مرسلاً عند أبي نعيم في الحلية (ج٤ ص١٤٨).
وعند الخطيب البغدادي في رسالة اقتضاء العلم والعمل (ص١٠١).

وأما الصفات الَّتي ينبغي أن تتوفر في المعلم فهي:

١- صفات له مع خالقه المنعم عليه بنعم لا تحصى ومن أجلها نعمة العلم النافع

٢- صفاته مع نفسه أي ماذا ينبغي أن يكون عليه.

٣- صفاته مع الخلق على اختلاف مستوياتِهم.

* * * * *

أولاً: فأما أوصافه فيما بينه وبين ربه ﷻ :

فقد أوجزها الإمام الآجري في رسالته "أخلاق العلماء" حيث قال: "من صفة العالِم أن يكون لله شاكرًا، وله ذاكرًا دائم الذكر بحلاوة حب المذكور، مفعم قلبه بمناجاة الرحمن، يعد نفسه مع اجتهاده خاطئًا مذنبًا، ومع الدأب على حسن العمل مقصرًا، لجأ إلى الله ﷻ فقوى ظهره، ووثق بالله فلم يخف غيره، مستعين بالله على كل شيء، ومفتقر إلى الله في كل شيء، أُنْسُه بالله وحده ووحشته، ممن يشغله عن ربه، إن ازداد علمًا خاف توكيد الحجة، ومشفق على ما مضى من صالح عمله أن لا يقبل منه، همه في تلاوة كلام الله، الفهم عن مولاه، وفي سنن الرسول ؛ الفقه لئلا يضيع ما أمر به، متأدب بالقرآن والسنة، لا ينافس أهل الدنيا في عزها، ولا يجزع من ذلها، يمشي على الأرض هونًا بالسكينة والوقار، وقلبه مشتغل بالفهم والاعتبار، إن فرغ قلبه عن ذكر الله فمصيبته عنده عظيمة، وإنْ أطاع الله ﷻ بغير حضور فَهم فخسرانٌ عنده مبين، يذكر

الله مع الذاكرين، ويعتبر بلسان الغافلين، عالم بداء نفسه، ومهتم لها في كل حال، اتسع في العلوم، فتراكمت على قلبه الهموم، فاستحيا من الحي القيوم، وشُغْله بالله في جميع سعيه متصل وعن غيره منفصل"(١).

قلت: يا لها من صفات كريمة تكاد نفوس الصالحين تطير شوقًا إليها، وتتمناها قلوبُهم وجوارحهم لتكون لباسًا لها حرصًا عليها.

ولعل قائلاً يقول: على أي شيء اعتمد الشيخ في سرد هذه الأوصاف، وإلى أي شيء استند؟.

فأقول له: إنه اعتمد على آيات محكمات كريمة، واستند إلى أحاديث نبوية عظيمة، قد أورَدتُ كثيرًا منها في مقدمة هذا البحث النافع المبارك، فليراجعها من شاء ليزداد علمًا إلى علمه وثقة وطمأنينة تكسبانه قوة في الحق ومحبة في مصادر الهدى.

ثانيًا: وأما صفاته مع نفسه فمنها:

أ- ابتغاء الأجر من ربه في نشره للعلم بحيث لا يكون الباعث عليه التوصل إلى غرض دنيوي.

ب- أن يكون متخلقًا بالأخلاق الحسنة باطنًا وظاهرًا في كل حال من أحواله.

ج- أن يكون ذا زهد وورع، لا يفرح بما أوتي من دنياه ولا يأسى على ما فات من حظوظ النفس.

---

(١) انظر رسالة أخلاق العلماء (ص١٢٨) بتحقيق د. محمود النقراشي.

د- أن يكون ذا جود وسخاء بالعلم والمال والجاه حبًّا في ثواب الله وحسن جزائه.

هـ- أن يكون محافظًا على الآداب الشرعية الظاهرة والخفية التي تتجلى في إصلاح الباطن والظاهر.

و- أن يكون متواضعًا تواضعًا شرعيًّا يظهر في مشيته وغض بصره وكف أذاه عن الغير، وحسن تعامله مع القريب والبعيد.

ز- أن يكون مُحبًّا للعلم، دائم التحصيل بدون فتور ولا ملل، ودائم النشر كذلك.

ح- أن يبدأ درسه بالحمد لله والصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ ثُمَّ يثني على من سبقه من أهل العلم، ويترحم عليهم إزاء ما بذلوا من جهود موفقة في تدوين مسائل العلم التي استضأنا بنورها فأبصرنا الطريق، وما وجد من خطأ يمكن الاحتمال الصحيح لقائله بينه واعتذر له، وما كان من خطأ لا مسوغ له يجب أن يبينه بأسلوب العلماء النظيف، ولا يجوز له أن يتركه لاسيما إذا كان يتعلق بالعقيدة ونحوها من قواطع الأحكام وبيان الحلال والحرام.

ثالثًا: وأما صفات العالم مع الخلق: فهي تختلف باختلاف أحوالهم.

❋ فله صفات مع طلابه من أشهرها ما يأتي:

أ- العناية التامة بتعليمهم متبعًا في ذلك طريق الحكمة في التعليم بحيث يعطي كل مستوى ما يناسبه من العلم.

ب- أن يكون ذا رفق بهم وصبر وحلم عليهم، إذ بذلك يكون قدوة صالحة لهم، فكم للمعلم من تأثير بالغ على طلابه في الخير والشر.

ج- أن يحثهم في كل مناسبة على التوسع في العلم الشريف مبينًا لهم رُتَبَ أهله العالية، ومقامهم الرفيع في الدنيا والآخرة، معلنًا لهم أن علم الشريعة ميراث الأنبياء، وضاربًا لهم الأمثال بأشخاص مضوا تلألأت أنوارهم في الكون لم يكونوا من ذوي الحسب والنسب، ولكنهم كانوا من ذوي الغزارة في العلم والإحسان في العمل.

د- أن يشرح لهم الغرض الصحيح الذي من أجله يطلب العلم وتبذل الجهود فيه، وبجانب ذلك يبين لهم الأغراض البغيضة الممقوتة التي يكمن فيها الحرمان من الأجر، والفلس من التكريم والفضل، بل يترتب عليها سوء العذاب يوم الجزاء على الأعمال، يوم لا يوضع في كفة الحسنات من الأعمال إلاَّ ما كان خالصًا لله صوابًا على مراده ومراد رسله الذين أرسلهم الله مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعدهم.

هـ- أن يربطهم دائمًا في معارفهم بالكتاب والسنة، وعقيدة السلف الصالح في كل باب من أبواب العلم.

و- أن يوضح لهم الأحكام مقرونة بأدلتها الشرعية لئلا ينشئوا مقلدين غيرهم من الناس.

ز- وإذا كان في مسألة ما من مسائل العلم خلاف ذكر لهم الأقوال

مع بيان القول الراجح بدليله، وبين لهم السبب الذي كانت به بقية الأقوال مرجوحة لتحصل لديهم القناعة في الراجح والمرجوح.

ح- أن يطرح عليهم بعض المسائل العلمية ليختبر معلوماتِهم، ويطلع على مدى استفادتِهم من ملازمتهم لدروسه.

ط- أن يكلفهم ببحوث في مواضيع شتى ليتدربوا على القيام بعمل التأليف عند النضوج العلمي، فتصبح مؤلفاتُهم وفتاواهم صائبة ونافعة.

ي- أن يسلك مع طلابه مسلك المنافسة الشريفة في التحصيل العلمي فيكرم المتفوق منهم تكريْمًا حسيًّا ومعنويًّا، ويهمس في أذنه أن يحذر داء العجب فإنه سلاح قتَّال، وداء عضال، ويعاتب المقصر بدون تعنيف ولا تنفير، وإنما بما يلهب في قلبه العزم القوي والهمة الحية ليستأنف وقته كله تحصيلاً واستثمارًا.

❋ وله صفات مع أقرانه العلماء أو من هم أطول منه باعًا في العلم.

أما صفات العالم مع أقرانه فأهمها -في نظري- ما يلي:

١- أن يكن لهم المحبة والتقدير باطنًا وظاهرًا، وأن يعتز بوجودهم وكثرتِهم؛ لأنَّهم يحملون مشعل الهداية في دنيا البشر.

٢- أن يحرص على اللقاء بِهم، فيذاكرهم في مسائل العلم لاسيما ما قد يشكل عليه كي يعرف وجهة نظرهم، فيأخذ من أقوالهم ما يؤيده الدليل، وإن خالف ما عنده لأن الحق غايته.

٣- أن يطلب -بأسلوب الالتماس- منهم التعاون على البر والتقوى،

والحرص على قانون التناصح الشرعي، كما يطلب منهم الإخلاص في تربية الأمة لاسيما شبابَها الذين يستحقون عظيم العناية بِهم والاهتمام بشأنِهم، ابتغاء وجه الله وطلبًا لمرضاته.

٤- أن يكون على صلة بِهم دائمة بأي وسيلة تحقق الغرض؛ لأنَّهم أخص إخوانه.

٥- أن يناظر المخطئ منهم مناظرة أخوية صريحة يقصد من ورائها إظهار الحق وإيضاحه للناس، وإقناع أخيه بوجه الصواب في المسألة المؤيد بدليل الكتاب، أو صحيح السنة، أو الإجماع، أو القياس الجلي إذ بذلك تتحقق الحكمة النبوية الرائعة: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**»[1].

❊ **وأما صفاته مع من هم أطول منه باعًا في العلم:** فإنه ينَزل نفسه منهم منْزلة التلميذ المحتاج إلى علمهم، فيسلك سبيل الاستفادة من علومهم وتجارِبهم، وسبحان الله الكريم القائل: ﴿**وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف: من الآية٧٦].

❊ **وله صفات موقَّرة مع عامة الناس قاصيهم ودانيهم من أشهرها:**

١- صلة القريب منهم وبذل المعروف لجميعهم بحسب الجهد المستطاع طمعًا في رضاء الله وثواب الصلة، وأجر بذل المعروف الذي

(١) أخرجه البخاري في الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا (ج٨ ص١١). مسلم في كتاب البر والصلة باب (١٧) تراحم المؤمنين (ج٤ رقم ٢٥٨٥ ص١٩٩٩).

يقصد به وجه الله.

٢- بذل النصح لَهم امتثالاً لقول النَّبي الكريْم ﷺ: «**الدين النصيحة**»[1] الحديث.

٣- بذل الجهد في التخطيط لتعليمهم أمر دينهم لاسيما الأصول منه، وهذا واجب عظيم على كل طالب في أي مكان، وفي أي زمان، وعلى كل حال.

٤- التصدي للقيام فيهم بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يعتبر ركنًا عظيمًا من أركان الدين.

٥- تَخولهم بالموعظة ذات الترغيب والترهيب، والشرح المفصل لأصل العقيدة وأحكام الحلال والحرام كي تكتمل معرفتهم بأركان الإسلام والإيْمان والإحسان، وبجميع أحكام الحلال والحرام.

٦- السعي الخاص في كل ما من شأنه أن يكون فيه صلاح لأمر دينهم ودنياهم.

٧- بذل الجهد المستطاع بذله في رفع الضرر عنهم، وكف الأذى خوفًا من التبعة.

٨- حسن التعامل معهم في ظل شرع الله الشريف الواسع المنيف.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيْمان، باب بيان أن الدين النصيحة (ج١ رقم ٥٥ ص٧٤).

وقال الخطابي: النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له.

ومعنى الحديث: عماد الدين وقوامه النصيحة، كقوله: «**الحج عرفة**» أي: عماده.

٩- حسن القيام بحقوقهم في ضوء آيات الوصايا العشر من سورة الأنعام[1]، وآية الحقوق العشرة من سورة النساء[2] الكبرى وغيرها من الحقوق الخاصة والعامة.

وبعد هذا العرض المفصل عن صفات العالم مع خالقه سبحانه، وصفاته مع نفسه أي ماذا ينبغي أن يكون عليه، وصفاته مع الخلق على اختلاف مستوياتهم فإنه يجدر بي أن أدون ما سجله الإمام أبو بكر الآجري في صفات العالم حيث قال:

قال محمد بن الحسين: لهذا العالم صفات وأحوال شتى، ومقامات لابد له من استعمالها فهو مستعمل في كل حال ما يجب عليه، فله صفة في طلبه للعلم كيف يطلبه، وله صفة في كثرة العلم إذا كثر عنده ما الذي يجب عليه فيه فيلزمه نفسه، وله صفة إذا جالس العلماء كيف يجالسهم، وله صفة إذا تعلم من العلماء، كيف يتعلم، وله صفة كيف يعلم غيره، وله صفة إذا ناظر في العلم كيف يناظر، وله صفة إذا أفتى الناس كيف يفتي، وله صفة كيف يجالس الأمراء إذا ابتُليَ بمجالستهم

---

(١) المبدوءة بقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: من الآية١٥١] والمختومة بقوله: ﴿وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: من الآية١٥٣].

(٢) هي قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: من الآية٣٦].

ومن يستحق أن يجالسه، ومن لا يستحق، وله صفة عند معاشرته لسائر الناس مما لا علم معه، وله صفة كيف يعبد الله ﷻ فيما بينه وبينه، قد أعد لكل حق يلزمه ما يقويه على القيام به، وقد أعد لكل نازلة ما يسلم به من شرها في دينه، عالم بما يجتلب به الطاعات، عالم بما يدفع به البليَّات، قد اعتقد الأخلاق السَنيَّة واعتزال الدَنيَّة"[١]. اهـ.

❊ **وأما الصفات الخاصة بالتعلم[٢] فسأقيد أهمها فيما يلي:**

١- **وجوب تطهير القلب من دنس المعاصي:** ليصلح لقبول العلم وحفظه واستثماره، فإن القلب ملك الجوارح إذا صلح صلحت، وإذا فسد فسدت كما ثبت في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير ﵄ وفيه: «.. **ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»[٣].

وإذا كان الأمر كذلك فليحذر المسلمون جميعًا الذنوب فإنَّها تميت القلوب، وليحذر طالب العلم خصوصًا منها فإنَّها تحول بينه وبين نور العلم، وتظل حاجزًا منيعًا دون وصوله إلى القلب الذي لا غذاء له إلا العلم، ولا حياة له إلا به.

---

(١) انظر رسالة أخلاق العلماء (ص١٠٨) بتحقيق د. محمود النقراشي.

(٢) هذه بالإضافة إلى صفات المعلم والمتعلم كما سبق معنا في الصفات المشتركة.

(٣) هذه قطعة من حديث النعمان بن بشير في الصحيحين في البخاري في كتاب البيوع، باب الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات (ج٣ ص٤٦).

ورحم الله الإمام الشافعي الذي قال في هذا المعنى:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي   فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور   ونور الله لا يهدى لعاصي

٢- التواضع للعلم ومعلمه: إذ بالتواضع يُحرَ العلمُ ويشرف به،وإن كان التواضع يجب أن يكون صفة كل مسلم ومسلمة غير أنه يجب أن يكون في طالب العلم أوفر.

قال العلماء: "العلم حرب للمتعالي، كالسيل حرب للمكان العالي".

ولقد أثنى الله على المؤمنين بهذه الصفة في سورة الفرقان حيث قال تعالى: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً**[1] **وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا**﴾ [الفرقان:٦٣].

وفي الحديث: «**من تواضع لله رفعه**».

ولقد أحسن الذي قال:

تواضع تكن كالبدر لاح لناظر   على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه   إلى طبقات الجو وهو وضيع

ومن آثار التواضع على طالب العلم طاعته لمعلمه فيما يدعوه إليه ليصلح شأنه ومشاورته في أموره الخاصة والعامة، وامتثال أمره في حدود الشرع.

---

(١) خاضعين متواضعين غاضين للبصر غير مُختالين ولا مستكبرين.

٣- **الاحترام لمَنْ يأخذ منهم العلم:** وذلك يكون بتحري رضاهم، وعدم العبث بين أيديهم، وأن لا يروا منه إلا حسنًا من القول والفعل والعمل، فإن ذلك أرجى لرضا ربه، وأدعى لمحبة ونصح معلميه له.

٤- **الحرص على التعلم:** وذلك بالمواظبة على التحصيل في كافة أوقات الليل والنهار حضرًا وسفرًا، وعلى كل حال إلا ما كان يحتاجه من وقت في أداء حقوق النفس أو الغير أو المعيشة، فهذا من الضروريات.

قال النووي: "ليس بعاقل من أمكنه درجة ورثة الأنبياء ثم فَوَّتها"[(١)].

وقال الشافعي: "حق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علم شيخه، والصبر على كل عارض دون طلبه، وإخلاص النية لله تعالى في إدراك علمه نصًّا واستنباطًا، والرغبة إلى الله تعالى في العون عليه".

٥- **تقييد الفوائد العلمية:** على اختلاف أنواعها متى سمعها، أو عثر عليها أثناء قراءته الحرة، ثم العناية بعد ذلك بتصنيف ما جمع ووضع كل مسألة في مكانها المناسب وفنِّها المعروف، ولأهمية كتابة العلم فإن أهله اعتبروها قيدًا له كما نرى من الكتب المصنفة في فنون العلم المختلفة.

ولله در القائل:

العلم صيد والكتابة قيده ... قَيِّد صيودك بالحبال الواثقة
فمن الحماقة أن تصيد غزالة ... فتفكُّها بين الخلائق طالقة

---

(١) الْمَجموع شرح المهذب: (ج١ ص٣٧).

٦- اختيار الأوقات المناسبة للقراءة: وسواءً قراءة حفظ أو فهم.

قال الإمام النووي نقلاً عن الخطيب البغدادي: "أجود أوقات الحفظ الأسحار ثم نصف النهار، ثم الغداة، وحفظ الليل أنفع من حفظ النهار، ووقت الجوع أنفع من وقت الشبع، قال: وأجود أماكن الحفظ الغرف، وكل موضع بَعُدَ عن الملهيات، قال: وليس بمحمود الحفظ بحضرة النبات والخضرة والأنْهار وقوارع الطرق لأنَّها تمنع غالبًا خُلُوَّ القلب"[١]. اهـ.

٧- الصبر على ما يبدو من أشياخه: من جفاء سواء بمسوغ أو بدون مسوغ في نظره، أو من تأديب كذلك، وما ذلك إلا لأنه صاحب حاجة يريد قضاءها فلا يصده صاد، ولا يمنعه مانع، ولا يحول بينه وبين قضاء حاجته حائل.

وقد أنشد الشاعر:

تصبر على مر الجفاء من معلم ... فإن رسوب العلم[٢] في نفراته[٣]
ومن لَم يذق مر التعلم ساعة ... تجرع ذل الجهل طول حياته
ومن فاته التعليم وقت شبابه ... فكبِّر عليه أربعًا لو فاته
وذات الفتي -والله- بالعلم والتقى ... إذا لَم يكونا لا اعتبار لذاته

٨- الزهد في الدنيا: والتقلل منها والرضا باليسير الذي يشبه زاد

(١) المصدر السابق نفس الصفحة.
(٢) **رسوب العلم:** حفظه وبقاؤه.
(٣) **نفراته:** أي تلقينه وشروحه ممن هو كامن فيه.

المسافر، وكذا قطع العلائق الشاغلة عن الانقطاع للطلب، فإن طلب الأموال والجاه والسلطان. لا يبقي معها وقت أو محل لطلب العلم وحفظه وفهمه.

قال الإمام الشافعي -رحمه الله-: "لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعزِّ النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذل النفس، وضيق العيش وخدمة العلماء أفلح".

وقال أيضًا: "لا يصلح طلب العلم إلا لمفلس. فقيل: ولا الغني المكفي؟ قال: ولا الغني المكفي".

وقال الإمام مالك بن أنس -رحمه الله-: "لا يبلغ أحد من هذا العلم ما يريد، حتى يضر به الفقر، ويؤثره على كل شيء"(١).

٩- العلم: لشرفه وفضله، ومحبة حملته لما يحملون من ميراث النبوة الثمين إذ إن ذلك من أسباب السعادة في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فلأنه يحيا حياتِهم الطيبة المباركة، وأما في الآخرة فإنه سوف يحشر في زمرة المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وفي الحديث الصحيح: «**المرء مع من أحب**»(٢).

---

(١) انظر هذه الآثار المروية عن هذين الإمامين في المجموع (ج١ ص٥٣).

(٢) أخرجه أحمد (ص٣٩٢). ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب المرء مع من أحب رقم (٢٦٤٠) ولفظه عند مسلم: عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف ترى في رجل أحب قومًا ولما يلحق بِهم؟ قال رسول الله ﷺ: «**المرء مع من أحب**».

١٠- حسن السؤال وحسن القصد منه: وذلك بأنه ينبغي للطالب أن يكون كثير السؤال من أجل الاستفادة بإحراز ما كان يجهله من العلم، والحذر من أسئلة التعنت والتعجيز، فإنَّها لا تليق بطالب العلم، بل إنَّها تتنافى مع الصدق في الطلب، كما تتنافى مع حسن الأدب الذي يجب أن يكون عليه الطالب مع أشياخه الذين لهم الفضل عليه، وإذا كان حسن السؤال أمر مطلوب فإن حسن الاستماع والإنصات أمر مطلوب كذلك، ولا يليق بالطالب أن يسأل العالم ثم يتشاغل بشيء آخر عن سماع الإجابة، فإن الإعراض أو الاشتغال بشيء آخر يعتبر من سوء الأدب مع الشيخ، ومن العبث الذي يجب أن يترفع عنه طالب العلم.

١١- الحرص على تطييب الكسب بحيث يكون حلالاً طيبًا: وذلك أن الحرص على طيب المأكل والمشرب والملبس والمركب والمسكن والمنكح واجب على كل مسلم ومسلمة، ولكنه على طالب العلم أوجب، والتزامه به متعين طول حياته، فإن في الالتزام به أعظم عون على حفظ العلم وفهمه والانتفاع به، والنفع به كذلك كما أن في الالتزام به أيضًا أقوى سبب في إجابة الدعاء حينما يدعو العبد ربه، ويسأله من خيري الدنيا والآخرة.

١٢- توظيف السنن القولية والفعلية على نفسه: لما في ذلك من كمال التأسي برسول الله ﷺ، إذ إن من ألزم نفسه بالقيام بالمسنون، فإنَّ إلزامه لها بالفرائض والواجبات سيكون أتم وأكمل.

١٣- اختيار الزملاء الصالحين والقرناء المفلحين: فإن مصاحبة هذا الصنف من الناس هداية وفضيلة، ومخالطتهم غنيمة جليلة، ومذاكرتهم في فنون العلم لها فوائد جزيلة، منهم يؤخذ حسن الأدب، ومن سلوكهم تظفر بخير المنقلب، ومن خلال ملازمتهم تحكم طريق الطلب، قوم إن أحسنت أكرموك وقدروك، وإن أسأت نصحوك ووجهوك، وإن غفلت ذكروك وأعانوك، وإن افتقرت رحموك وواسوك، وإن غبت أو مرضت تذكروك فزاروك، وإن مت أخلصوا لك الدعاء في كل وقت وحين، وفيمن وراءك بخير خلفوك، فأكرم بصحبة قوم هذه طباعهم وتلك سجاياهم:

أولـئك آبـائي فجـئني بِمثلهم ... إذا جمعتـنا يـا جريـر المجامع

ورحم الله القائل في الحث على اختيار صحبة الأخيار ومذاكرتهم العلم:

مع العلم فاسلك حيث ما سلك العلم ... وعنه فكاشف كل من عنده فهم

وخالط رواة العلم واصحب خيارهم ... فصـحبتهم زين وخلطتهم غُنْم

ولا تعـدون عيناك عنهـم فإنّهـم ... نجـوم إذا ما غـاب نجم بدا نجم

١٤- حسن السمت وحسن الهدي: إن حسن السمت وحسن الهدي[1] من الصفات العالية المهمة في حق طالب العلم منظرًا ومخبرًا، إذ

---

(١) قد أخرج أحمد والترمذي من حديث ابن عباس ﷺ عن نبي الله ﷺ قال: «**إن الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة**». هذا

إنه حينما يرى لله ذاكرًا، وله خاشعًا، وإليه داعيًا، وفي سبيله مجاهدًا، وعن اللغو معرضًا، ولجميع الفرائض والواجبات مؤديًا، وبجميع السنن آتيًا، وعن المحرمات والمكروهات نائيًا أصبح ذا قدوة حسنة في مجتمعه، يتطلع إلى حياته الكريمة المباركة كل ذي عقل سليم وطبع مستقيم لينافسه فيها ويسبقه إليها: ﴿**وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾ [المطففين: من الآية٢٦].

ولقد أثر عن علي بن أبي طالب ﷺ في هذه الحلية قوله: "إذا تعلمتم العلم فاكظموا عليه، ولا تخلطوه بضحك وباطل فتمجه القلوب". إنه يجب على طالب الحديث أن يتجنب اللعب والعبث والتبذل في المجالس بالسخف والضحك والقهقهة وكثرة التندر وإدمان المزاح والإكثار منه، فإنَّما يستجاز من المزاح يسيره ونادره وطريفه الذي لا يخرج عن حد الأدب وطريق العلم.

فأما متصله وفاحشه وسخيفه، وما أوغر الصدر منه وجلب الشر فإنه مذموم، وكثرة المزاح والضحك يضع من القدر، ويزيل المروءة"[1] اهـ.

=

لفظ أحمد. ورواه الترمذي بسنده رقم (٢٠١٠) عن عبد الله بن سرجس أن النبي ﷺ قال: «**السمت الحسن** -والمراد بالسمت هو الطريق وهو هيئة أهل الخير والصلاح- **والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءًا من النبوة**». وقال: حديث حسن غريب.

(١) انظر الجامع لأخلاق الراوي والسامع للخطيب البغدادي (ج١ ص٨٩).

ولقد خطر على البال -وأنا أسجل هاتين الصفتين: حسن السمت وحسن الهدي- موقف كثير من طلاب علوم الشريعة منها، حيث اختاروا لأنفسهم عكسهما، فقد تشبهوا بأعداء دينهم فحلقوا لحاهم، وأسبلوا شواربَهم، وأسبلوا ثيابَهم[1]، وأضاعوا صلواتهم، وأعلنوا بملء أفواههم أنَّهم لا يطلبون العلم من أجل العلم والعمل والبلاغ، ولكن لتأمين المستقبل المعيشي ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهناك قسم آخر حاربوا هذا النوع من الانحراف، ولكن الشيطان غرهم وفتنهم ببدعة الحزبية التي يبذلون في تنظيمها النفس والنفيس والغالي والرخيص، فترى أصحاب كل حزب بنظام حزبهم معجبون، ولمن ينتمون إليه محبون، ولمن خالفهم مبغضون، ولو أنَّهم أمعنوا النظر في نصوص الشرع الكريمة لوجدوا أنه ليس لتعدد الأحزاب ذات المناهج المتباينة مكان في شريعة الإسلام، وإنما الأمة المسلمة حزب واحد كما قال الله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [المجادلة: من الآية٢٢].

وله طريق واحد: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾ [الأنعام: من الآية١٥٣].

---

(١) أما كشف الرءوس، بعد التفنن في موضاتها الأجنبية ولبس اللباس الأفرنجي، فقد أصبح عند كثير من طلاب العلم هو الزي المفضل محاكاة منهم لمن يوصفون -ظلمًا- بالحضارة والرقي والتقدم!!.

ومنهج واحد هو ما كان عليه النَّبِي الكريم ﷺ وأصحابه الغر الميامين، والهداة المهديين.

وإذن فكل حزب له طريق ومنهج غير الطريق والمنهج المذكورين فإنه حزب منحرف عن سنن الحق بقدر بعده عنهما.

ألا وإن الميزان الحق لذلك هو كتاب ربنا ﷻ وسنة نبينا ﷺ بشرط فهمهما فهمًا صحيحًا كما فهمهما سلفنا الصالح -رضوان الله عليهم ورحمته-.

١٥- الاستئذان الشرعي على المعلم: إن من حسن أدب الطلب الاستئذان على المعلم سواءً كان في منْزله أو كان في حلقة تدريسه لما في الاستئذان من التماس طيب نفس المعلم والقيام بواجب التقدير والاحترام له، ولما يحمله من علم الشريعة، وربما يكون المعلم على حال لا يحب أن يدخل عليه فيها أحد، فيعتذر له عند الاستئذان، فقد ثبت عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «لما قُبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هَلُمَّ فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنَّهم اليوم كثير. قال: واعجبًا لك يابن عباس أترى الناس يفتقرون إليك، وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم. قال: فتركتُه وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن الحديث فإن كان ليبلغني الحديث، عن الرجل فآتي بابه وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابه تسفي الريح عليَّ من التراب، فيخرج فيقول: يابن عم رسول الله ما جاء بك ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟

فأقول: أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث. فقال: فعاش ذلك الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني، فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني».

نعم هذا أدب حبر الأمة وترجمان القرآن في طلب العلم وتتبع أهله وحسن السؤال والاستماع والتحمل، فينبغي لطالب العلم أن يأخذ منه درسًا مفيدًا، وخلقًا حسنًا، وإقبالاً جادًّا على الطلب حتى يحقق الله له علمًا نافعًا وعملاً به حسنًا متقبلاً.

هذه رءوس أقلام عن أهم الصفات الَّتي ينبغي أن يتحلى بِها حملة العلم وطلابه في كل زمان ومكان.

وهناك صفات أخر غير ما قيدت تطلب من الكتب التالية:

١- كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع.

٢- تذكرة السامع والمتكلم.

٣- أخلاق العلماء.

٤- ورثة الأنبياء شرح حديث أبي الدرداء.

٥- مقدمة المجموع شرح المهذب.

٦- جامع بيان العلم وفضله.

٧- اقتضاء العلم العمل.

٨- حلية طالب العلم.

وغيرها من الكتب الَّتِي استوفى مؤلفوها سرد الصفات الكريمة التي يجب أن يتحلى بِها كل طالب علم ومعلمه.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

خاتمة الجواب

وبجانب الترغيب في التحلي بتلك الصفات الكريمة التي رأيت، فإنه يحسن أن نَختم هذا الجواب بذكر صفات ذميمة يجب أن يعلمها طالب العلم ومعلمه فيترفع عنها:

الصفة الأولى: سوء القصد في تعلم العلم وتعليمه، وذلك بأن يقصد بهما المباهاة والمماراة، أو يريد المدح والثناء والشهرة.

الصفة الثانية: الحسد فإنه من صفات اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: من الآية٥٤]

الصفة الثالثة والرابعة: الأحقاد والإحن وذلك لما فيهما من المنافاة لما يجب أن يكون عليه طالب العلم ومعلمه من صفاء القلب وحسن السريرة وسلامة الصدر نحو إخوانه المؤمنين.

الصفة الخامسة: كثرة الجدل في مسائل العلم بدون حاجة ولا مسوغ شرعي، فإن الجدل داء عضال إلا ما كان بيانًا لحق أو دحضًا لشبهة باطل.

الصفة السادسة: كثرة المزاح الذي يتجاوز صاحبه بلفظه ومعناه الحدود الشرعية، فإنه رسول الشر، وتذهب معه هيبة العالم فيخف وزنه.

الصفة السابعة: الفرح بوهم العالم وخطئه والاتخاذ منهما سبيلاً إلى

الوقوع في عرضه، ولا مانع[١] من جلاء الوهم وتصحيح الخطأ فإن ذلك من الإحسان والنصح.

الصفة الثامنة: التكلف وهو ادعاء علم ما لَم يعلم، والقول فيه بغير علم، وفي ذلك من الخطر ما أشار الله إليه في قوله: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف:٣٣].

الصفة التاسعة: الانتماء إلى حزب من الأحزاب المنحرفة في معتقدها، أو في منهج دعوتِها عن منهج الفرقة الناجية المنصورة أهل السنة والجماعة الَّتي قال النَّبي ﷺ في وصفها: «**هي مثل ما أنا عليه وأصحابي**»[٢].

الصفة العاشرة: غمط حق الغير من العلماء لاسيما من هم أكبر منك سنًّا وأغزر علمًا، فإن غمط حقهم ضرب من ضروب الكبر الذي يعد في شريعة الإسلام جريمة منكرة يجب الابتعاد عنها.

الصفة الحادية عشر: وضع العلم في غير مواضعه ونشره عند غير أهله؛ إذ في ذلك هضم لحقه وعدم تقديره حق قدره.

الصفة الثانية عشر: كتم العلم عن محتاجيه لما فيه من الإثم الكبير والشر المستطير.

---

(١) بل قد يتعين ذلك جلبًا للمصلحة ودفعًا للضرر.

(٢) ورحم الله علي بن أبي طالب ﷺ حيث قال: "ما أبردها على الكبد أن يقول الرجل للشيء لا يعلمه: الله أعلم".

الصفة الثالثة عشر: الغضب في غير محله، والضجر عند الطلب أو عند النشر فإنَّهما يسببان الحرمان من الازدياد من العلم في حال الطلب، والحرمان من القيام بواجب عند تعين نشر العلم لمحتاجيه، ورب كلمة نابية من المعلم صرفت أمة من الناس يحتاجون إلى ذلك المعلم وعلمه.

الصفة الرابعة عشر: التوقف عن السير في التحصيل استجابة لرغبة النفس أو اشتغالاً بالعرض الأدنى عن ذلك الشرف الأسمى، وفي الحديث: «**منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب مال**»[1].

إذن فالتوقف عن مذاكرة العلم ونشره غزو شيطاني ما لَم تكن له مسوغات شرعية.

هذه بعض الصفات الذميمة التي يجب على طالب العلم ومعلمه الابتعاد عنها لما فيها وما في حكمها من الأثر السيئ عليهما وعلى ثواب عملهما، والله ولي التوفيق.

﴿**رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة: من الآية ٢٨٦].

تَمَّ بحمد الله

---

(١) أورده الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته معزوًّا إلى ابن عدي من حديث أنس، وإلى البزار من حديث ابن عباس وهو صحيح.

سلسلة الأجوبة السديدة
على الأسئلة الرشيدة
(٣)

الأجوبة السديدة

على

الأسئلة الرشيدة

الجزء الثالث

تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
زيد بن محمد بن هادي المدخلي

تقديم
فضيلة الشيخ العلامة
أحمد بن يحيى النجمي



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله الذي يسر في كل زمن رجالاً من أهل العلم يجددون للناس السنن، ويحذرونَهم من البدع والمعاصي الَّتِي تغضب الله، وتوجب تنَزل العقوبات والمحن ليتبين الحق للمتقين ولتقوم الحجة على المعاندين.

والصلاة والسلام على نبينا محمد القائل: «**تركتكم على بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**». والقائل: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**. قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: **هم الذين على مثل ما أنا عليه وأصحابي**» وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فإن الله أرسل محمدًا ﷺ إلى الناس وهم متفرقون في الملل ومتشعبون في النحل، ومختلفون في المذاهب، إلا أنَّهم متفقون على شيء واحد هو الكفر بالله والشرك به واتخاذ الآلهة دونه فصرخ برسالته فيهم مدوية وأعلنها فيهم واضحة أن يدين الناس جميعًا بكلمة واحدة لإله واحد هو الله، متبعين إمامًا واحدًا هو رسول الله ﷺ ، وأن يكونوا جميعًا أمة واحدة على هذه العقيدة الواضحة والصراط المستقيم، قال تعالى:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤].

فأطاعه قوم وآمنوا بما جاء به فأحرزوا الفوز والفلاح والنصر والنجاح في الدنيا والآخرة، وكذبه قوم وحاربوه فكان عاقبتهم في الدنيا الدمار والبوار وفي الآخرة عذاب النار.

ولَم يزل مجاهدًا لنشر هذه العقيدة حتى لقي ربه وقد دانت بها العرب جميعًا وسار أصحابه من بعده على نفس النهج ونفس العقيدة فدانت لهم الدنيا وأخضعوا أعظم الإمبراطوريات في ذلك الزمن ولَم ينته عهد الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين حتى استولى المسلمون على فارس وحسروا مملكة الروم في الجزء الشمالي منها بعد أن كبدوها أعظم الخسائر ولقنوها أعظم الدروس.

فما كان إلا قليلاً حتى انفصلت من جسم الأمة الإسلامية فرقة الخوارج متخذة للغلو الذي نَهى الله عنه عقيدةً ومذهبًا فكفروا أصحاب رسول الله ﷺ ما عدا أبي بكر وعمر ﷺ وحاربوهم واستباحوا دماءهم بالتأويلات الخاطئة.

وتبعتهم الشيعة في نفس الوقت فكفروا أصحاب رسول الله ﷺ إلا نفرًا قليلاً منهم مبتدئين بأبي بكر وعمر ﷺ زاعمين أنّهم خانوا عهد نبيهم وأخذوا حق علي ﷺ في الخلافة وغلو فيه وفي بنيه فادعوا لهم

العصمة وزاد بعضهم حتى ادعى فيه الألوهية متأثرين بدعوة ابن السوداء ذلكم اليهودي الخبيث الذي دخل في الإسلام خدعة ليفسده ويشكك فيه فتم له ما أراد في عدد من الناس غير قليل وبعد ذلك بقليل.

انفصلت فرقة القدرية الذين يقولون: لا قدر، وأن الأمر أنف. فتبرأ منهم عبد الله بن عمر الصحابي الجليل ﷺ.

ثم فرقة المعتزلة الذين حكموا العقل في السنة فأخذوا منها ما لَم يتعارض معه وردوا ما سوى ذلك وزعموا أن القرآن مخلوق وأن الله لا يُرى في الآخرة وأنه يقدر الخير دون الشر.

ثم فرقة الجهمية الذين عطلوا الله عن صفاته العليا وأسمائه الحسنى وجعلوه عدمًا أو مفروضًا في الأذهان ومنَزهًا -بزعمهم- عن الأعيان.

ثم فرقة الأشعرية والماتريدية الّتِي لبست ثوب التجهم وزعمت أنَّها من أهل السنة والجماعة فأولت النصوص تأويلاً يئول إلى التعطيل.

ثم فرقة الصوفية الّتِي بدأت ببدع من الأذكار والأوراد وانتهت بالزندقة والحلول والاتحاد.

هذا وأهل السنة وهم السواد الأعظم من الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن سار على نَهجهم واقتفى أثرهم وهم الفرقة الناجية المنصورة ما زالوا ولن يزالوا على الحق قائمين ينبذون كل بدعة ويرفضون كل مخالفة ويردون على كل مبتدع بدعته وعلى كل مخطئ خطأه وهذه مؤلفاتُهم شاهدة وكتبهم موجودة ينهل منها أتباعهم في كل زمن

ويرجعون إليها في كل مناسبة.

وقد ظهرت في زماننا فرق تزعم أنَّها تدعو إلى الإسلام وقد تركت أصوله وخالفت أهم القواعد فيه، فتساهلوا في الشرك الأكبر وسكتوا عمن يتعاطاه وزعموا أنَّهم من إخوانِهم بل وفعله دعاتُهم ومرشدوهم والمنظرون في مذهبهم ونسوا أن الرسل جميعًا لَم يبدءوا إلا بهذا الأصل قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء:٢٥].

ومع ذلك فإن مؤسس أعظم الجماعات رواجًا في هذا الزمن، حاضر في بعض أوكار الشرك الأكبر وهو مشهد السيدة زينب ولم يذكر عن الشرك حرفًا واحدًا انظر الجزء الأول من قافلة الإخوان للسيسي وانظر ما نقله صاحب الوقفات عن مرشد الإخوان المسلمين في مصر الشيخ عمر التلمساني وما نقله عن مرشد الإخوان في سوريا، وما نقله عن سعيد حوى في كتاب "تربيتنا الروحية".

١- وهدموا الأصل الثاني وهو حصر المتابعة في الرسول الكريم ﷺ بأنَّهم جعلوا ما أوجبه عليهم الإمام البنا في الأصول العشرين أو غيرها واجبًا وإن لَم يوجبه الله ولا رسوله بل واعتنوا به أشد من عنايتهم بغيره من الواجبات الَّتِي لَم يذكرها وإن كانت واجبة بأصل الشرع بل وأساسًا فيه.

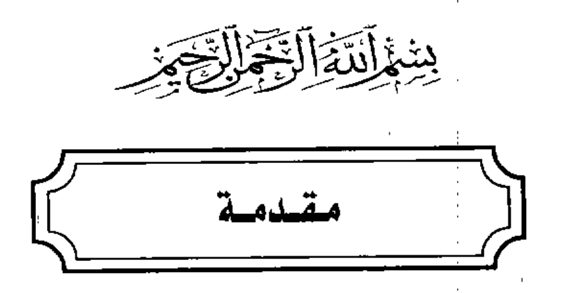
٢- وهدموا الأصل الثالث وهو كون الأمة واحدة بما وقعوا فيه

من الحزبية الممقوتة الَّتِي تفرق الأمة وتجعلها شيعًا وأحزابًا.

٣- وكذلك يقال في جماعة التبليغ وغيرها من الجماعات الَّتِي تساهلت في الشرك الأكبر بل ولَم يخطر لهم التوحيد على بال لأن الصوفية الممقوتة قد امتزج حبها بلحومهم ودمائهم فظنوها حقًّا وهي باطل، وَحسبوها ماء وهي سراب، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد عرض علي أخي في الله الشيخ/ **زيد بن محمد بن هادي المدخلي** كتابًا من تأليفه وجوابًا من تصنيفه وهو الجزء الثالث والرابع من سلسلة كتاب الأجوبة السديدة على الأسئلة الرشيدة والَّتِي تضمنت الرد على أصحاب الحزبية المبتدعة فقرأته من أوله إلى آخره فوجدته كتابًا نافعًا ومفيدًا بِما حشد فيه مؤلفه -جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا- من الأدلة الصحيحة والصريحة والنقول عن العلماء بما يثبت المدعي أو يرد عليه وإني لألفت نظر طلاب العلم إلى قراءة هذا الكتاب وغيره من كتب الشيخ المفيدة والتي بذل فيها جهدًا ليس باليسير في جمعها وتأليفها، وبالله تعالى التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أحمد بن يحيى النجمي



مقدمة

الحمد لله رب العالمين ذي الفضل والإحسان، والشكر لله المنعم على مخلوقاته في عالم السماء والأرض وما بينهما وكل يوم هو في شأن، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نرجو من الله الذي وفقنا لمحبتها وأعاننا على النطق بِها أن يسهل علينا وعلى جميع المسلمين فهم معناها والعمل ظاهرًا وباطنًا بمقتضاها، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله وخيرته من خلقه إمام الموحدين وقائد الغر المحجلين المبعوث بالوحي المبين إلى الخلق أجمعين، يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، ما من خير وبر وفضيلة إلا دل المكلفين عليه وما من شر وبلاء ورذيلة إلا حذرهم منه لأنه الرحمة المهداة والنعمة المسداة من الله أحكم الحاكمين وخير الراحمين، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، يوم يقوم الناس لرب العالمين.

أما بعد: فإنني لما فرغت من إتمام الجزء الثاني من كتابي المسمى بـــ"**الأجوبة السديدة على الأسئلة الرشيدة**" وتم طبعه في ثلاث وأربعين ومائة صفحة من القطع الوسط وقد كان جوابًا عن سؤال واحد مكون

من ثلاث فقرات فقط عزمت على ترك الكتابة في أي موضوع كان لا رغبة عنها ولا لعدم جدواها كلا ولكن لشدة حاجتي إلى أن أنفض الغبار عن كتب قد اقتنيتها وأودعتها رفوف مكتبتي وانطبق عليَّ حقيقة قول القائل -تغمدنا الله وإياه برحمته-:

ببيـت الشيـخ كتب قد شراها ... وجَمَّعها ولكـن مـا قـراها

وطابـت نفسـه منها بسلوى ... إذا فـتح المكـان بـأن يـراها

ويـنظر في قطائعهـا ويَمضـي ... وهـل تـدري القطائع ما وراها

فوأسـفى عـلى الأيام ضاعت ... سدى وقضى على نفسي كراها

وقـد قنعـت مـن العليا بدون ... وباعـتها ببخس فـي شـراها

وعـن أدنى المعـالي قـد توانت ... فهـل يـرجى تـتوق إلى ذراها

نعم نرجـو الإلـه يَمـن لطفـا ... فيمنحهـا الشفـا مِمَّا اعتـراها

غير أن الله -تبارك وتعالى- إذا أراد شيئًا سهل أسبابه وفتح أبوابه وذلل صعابه: ﴿**لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾ [الأنفال: من الآية٤٢].

وبينما أنا مصمم على عدم الكتابة في أي موضوع ما فإذا بأخ كريم قد قدم عليَّ من أبْها -زادها الله نضرة وبَهاء- يحمل من أخ داعية إلى الله ورقة ضمنها سبعة وعشرين سؤالاً في أبواب من علوم الشريعة شتى فوضعتها في مكان ما مدة شهر تقريبًا فخشيت من مأثم الكتمان فاستعنت بالله ووضعت ريشة قلمي على قرطاسي، والذهن غير مستوعب

لما تم تدوينه مما ستراه -إن شاء الله- في الصفحات التالية المشرقة بنور الحق الذي بدد ظلمات الباطل على اختلاف أنواعها.

كما قال الله ﷻ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: من الآية١٨].

وقال: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١].

وقال سبحانه: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: من الآية١٧].

فأجبت على تسعة أسئلة منها فقط وهي:

س١: لو متُّ على غير دين الإسلام هل يكون مثواي الجنة أم النار؟

س٢: هل يفرض الإسلام على المرء فرضًا أم أنه بمحض إرادته؟

س٣: هل يتوارث الناس دين الإسلام اللاحق عن السابق؟

س٤: متى يعد المرء طاهرًا في نظر الإسلام؟

س٥: كيف يكون للمرء أن يؤمن بدين من الأديان ولَم يحدث قط أن بعث أي من الأموات ليخبر عما حدث له، كما أنه لَم يسبق لأحدٍ من الأحياء أن رأى الله ربه ﷻ؟

س٦: أيُمكن لنظام هذا الكون وبنيته أن يكون مردها للمصادفة؟

س٧: ما الواجب على الناس اتباعه؟

س٨: ما الأسباب الرئيسة لدخول الجنة والنجاة من النار؟

س٩:

١- ما حقيقة الروح وهل هي والنفس شيء واحد ؟

٢- وهل الروح قديْمة أم محدثة؟

٣- وما علاقتها بالبدن ؟

٤- وهل للشخص من بَني آدم نفس واحدة أم ثلاث؟

٥- وهل تعود الروح يوم القيامة إلى بدنِها الذي كانت تعمره في الحياة الدنيا أم أنَّها تصير إلى بدن آخر من حيوان أو غيره ؟

ألا وإن أهم الموضوعات الَّتِي اعتبرتُها موضع اهتمامي في هذا البحث من خلال إجابتِي على الأسئلة المذكورة أربعة.

❊ **الموضوع الأول:** تفصيل القول في بيان حقيقة التوحيد، وشرح أنواعه ومدى التلازم بينها من حيث الدلالة على المعنى، مع بيان وسطية أهل السنة والجماعة بين أهل الغلو والتفريط في باب العقيدة وأبواب الشريعة.

❊ **الموضوع الثاني:** مميزات منهج السلف الصالح في كل باب من أبواب العلم النافع الذي يثمر العمل الصالح.

❊ **الموضوع الثالث:** بيان جملة من المآخذ على بعض الجماعات الإسلامية المعاصرة، تتعلق بالعقيدة ومنهج الجهاد والدعوة والأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر، وكذا موضوع الولاء والبراء ووجوب الوفاء بالبيعة للوالي المسلم ولو لَم يستطع أن يبسط سلطانه على العالم الإسلامي كله.

❊ **الموضوع الرابع:** مناقشة كتاب وكتّاب من أجل إيضاح الحق إيضاحًا جليًّا مرضيًّا، ونصرته ابتغاء مرضاة الله الذي ترجى رحمته، وتخشى عقوبته، فما كان من خير وهدى وصواب فذلك من الله العزيز الوهاب، وما كان سوى ذلك فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان: ﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾ [هود: من الآية٨٨].

المجيب على الأسئلة

زيد بن محمد بن هادي المدخلي

بسم الله الرحمن الرحيم

س١: لو متُّ على غير دين الإسلام هل يكون مثواي الجنة أم النار ؟

ج١: إن مما لا شك فيه أن من مات على غير دين الإسلام بعد سماعه به وعلمه بمن جاء به وهو نبينا محمد ﷺ أنه من أهل النار ولا نصيب له في رضا الله ورحمته وجنته وذلك لأدلة كثيرة منها: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: من الآية١٩].

وقول النَّبي ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد في هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»[1].

وقوله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو كان موسى عليه السلام حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني**»[2].

ففي هذه النصوص الكريمة دليل واضح على أن من مات على غير دين الإسلام الذي أتى به نبي الإسلام محمد -عليه الصلاة والسلام- فإنه

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته (ج١ رقم ١٥٣ ص٢٣٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (ج٣ ص٣٨٧).

من أهل النار خالدًا فيها أبد الآبدين، وهكذا القول في كل من مات من الأمم الغابرة الذين بعث الله إليهم رسلاً وأنبياء فكذبوهم وماتوا على عدم الإيْمان برسالاتِهم ودعوتِهم إذ ما من رسول ولا نبي وقد أتى قومه بدين الإسلام الذي يتجلى في الاستسلام والانقياد ظاهرًا وباطنًا لله رب العالمين لا شريك له في عبادته كما لا شريك له في ملكه وسلطانه.

وأقول: هنيئًا ثم هنيئًا سعادة الدارين وحياة الحسنيين لمن مات وهو راضٍ بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً ثم طوبى لهم وحسن مآب.. وتعسًا ثم تعسًا لمن تولى عن ما جاءت به الرسل واتبع غير سبيل المؤمنين وكان أمره فرطًا، وصلاة الله وسلامه على الصادق المصدوق القائل: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى.** قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: **من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»[1].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

س٢: هل يفرض الإسلام على المرء فرضًا أم أنه بِمحض إرادته؟

ج٢: الكفار:

١- إما أن يكونوا يهودًا أو نصارى ونحوهم كالمجوس مثلاً.

٢- وإما أن يكونوا مشركين وثنيين قد استحلوا عبادة غير الله أو غيره معه كما استحلوا الحكم بغير ما أنزل الله.

٣- وإمَّا أن يكونوا منافقين نفاقًا اعتقاديًّا يعيشون بين أظهر المسلمين.

(١) أخرجه البخاري في الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (ج٩ ص٧٦).

فأما الأولون فيدعون إلى الدخول في الإسلام فإن أبوا فتؤخذ منهم الجزية عن يد وهم صاغرون لقوله الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩].

وحينئذ لا يجبرون على اعتناق عقيدة الإسلام(١) ولكن يجب على علماء المسلمين البيان لهم بأن من مات منهم على غير عقيدة الإسلام فإنه من أهل النار وبئس القرار بدليل ما سبق إيراده من نصوص الكتاب والسنة في جواب السؤال الأول.

وأما المشركون الوثنيون الذين يعبدون غير الله ويحكمون بغير شرعه الشريف فليس لهم إلا الدخول في الإسلام فإن تولوا فحدج الحسام عند القدرة عليهم من دولة الإسلام لقول الله ﷻ : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:١٩٣]. **والفتنة**: الشرك.

وأما المنافقون فإنَّهم يُدعون إلى تحقيق الإيْمان بالله ظاهرًا وباطنًا ويوعظون بأسلوب الترغيب والترهيب الشرعيين ليخلصوا دينهم لله سرًّا وجهرًا قولاً وعملاً ويعاملون في الأحكام الظاهرة معاملة المسلمين فلا يقاتلون ولا يقتلون إلا بما يحل به دم المسلم وتفوض سرائرهم إلى الله ، غير أنه يجب على المسلمين أن يكون موقفهم منهم يُرضي الله عنهم

(١) فإن أبوا من دفع الجزية على الوصف المذكور فإنَّهم يقاتلون ولا كرامة.

بحيث لا يحبونَهم ولا يناكحونَهم ولا يصلون وراءهم ولا على أحد منهم مات أبدًا ولا يأكلون ذبائحهم ونحو ذلك مما يجب أن يعاملوا به بعدما تبين نفاقهم.. ومن هذا الصنف اليوم الشيعة الرافضة الذين من أصول دينهم: "التقية" -وهي النفاق بعينه- وقى الله المسلمين شرهم ومكرهم وجعل كيدهم في نحورهم.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

س٣: هل يتوارث الناس دين الإسلام عن آبائهم؟

ج٣: دين الإسلام لا يكفي فيه تقليد الآباء المسلمين أو المجتمعات المسلمة بدون فهم لتعاليمه من مصدرها الأصيل: كتاب الله العظيم، وسنة محمد المصطفى الأمين -عليه من ربه أزكى الصلاة وأتم التسليم- إذ هما ميراث الأمة الحقيقي الذي قال الله فيه: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ**﴾ [فاطر:٣٢].

وقال -عز من قائل-: ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الأنعام:١٥٥].

وقال سبحانه: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [سورة ص:٢٩].

وقال -تبارك اسمه وتقدست صفاته-: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ [الحشر: من الآية٧]. وغير هذه الآيات المحكمات

في هذا المعنى كثير.

وقال النَّبي الكريم ﷺ: «**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي**».

وقال وهو الناصح الأمين: «...**إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لَم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»[(١)].

وصح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه مر يومًا بالسوق فقال: «يا أهل السوق ما أعجزكم. فقالوا: ما ذاك؟ قال: ميراث رسول الله ﷺ يقسم وأنتم هاهنا. قالوا: وأين؟ قال: في المسجد. فخرجوا سراعًا ثم رجعوا، فقالوا: لَم نر فيه شيئًا يقسم، رأينا قومًا يصلون، وقومًا يقرءون القرآن، وقومًا يتذاكرون الحلال والحرام. فقال: ويحكم فذاك ميراث نبيكم»[(٢)].

فمن هذه النصوص يتضح لك أيها السائل المستفيد أن دين الإسلام ليس موروثًا عن الآباء والأمهات وإنما هو موروث عمن أوحى إليه ربه كتابه الخالد العظيم وسنته الكريمة البيضاء ليكون ميراثًا ثَمينًا يجب أن تحرص عليه الأمة كلها أعظم من حرصهم على الميراث المادي ميراث

---

(١) رواه أحمد في المسند (ج٥ ص١٩٦)، والدارمي (ج١ ص٩٨)، وأبو داود في كتاب العلم باب الحث على طلب العلم (ج٣ رقم ٣٦٤١ ص٣١٧)، وابن ماجه في المقدمة (ج١ رقم ٢٢٣ ص٨١)، وصححه الحاكم وابن حبان وله شواهد يتقوى بها، كما قال الحافظ بن حجر في الفتح (ج١ ص١٦٩): فهو حديث حسن.

(٢) أورده الهيثمي في كتاب العلم باب في فضل العالم والمتعلم (ج١ ص١٢٨)، وقال رواه الطبراني في الأوسط: وإسناده حسن.

الدرهم والدينار والمتاع والعقار غير أنه لا يحرص عليه إلا من قدره حق قدره وعاش في ظله الوارف الظليل وأقبل عليه بعزيمة صادقة ورغبة فائقة ليعمل بما فيه من الأوامر والنواهي وسائر الأحكام بالتفصيل، فافهم رعاك الله وسدد في درب الحق خطاك.

*****

س٤: متَى يعد المرء طاهرًا في نظر الإسلام؟

ج٤: يحتاج المرء -ذكرًا كان أو أنثى- إلى تحقيق طهارتين:

١- **طهارة معنوية**: والمقصود بها طهارة القلب والجوارح من نجاسة الكفر والشرك بجميع أنواعهما المدونة في كتب علوم الشريعة ولقد أمر الله نبيه محمدًا ﷺ بهذه الطهارة وأمته تبع له في ذلك حيث قال ﷻ: ﴿**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾ [المدثر:٤]. قال ابن عباس وسعيد بن جبير: "أي وقلبك فطهر". يعني: من المآثم والمعاصي.

وبدون الطهارة من الشرك يظل المرء نجسًا نجاسة معنوية كما قال الله تعالى: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا**﴾ [التوبة: من الآية٢٨].

قال ابن عباس وغيره: "الشرك هو الذي نجسه".

ولا تزال تلك النجاسة عن المشركين إلا بالدخول في الإسلام بمعناه الصحيح ومفهومه الحق الصريح والعمل به ظاهرًا وباطنًا رجاء رحمة الله ونيل رضاه وخشية عقوبته العاجلة والآجلة جل في علاه.

٢- **وطهارة حسية**: تتعلق بالبدن لرفع الحدث والخبث كما تتعلق باللباس والمتاع والبقعة وهذه الطهارة تكون بالماء وكل ما يقوم مقامه ويغني غناه من كل طاهر مباح وذلك كالتيمم لرفع الحدثين الأصغر والأكبر واستعمال المباحات في إزالة النجاسات سواء كانت في الأبدان أو اللباس أو المتاع أو البقعة.

هذا وكم من نص كريم من كتاب الله العلي العظيم وسنة المصطفى -عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- قد جاءت في فضل الطهارتين المعنوية والحسية.

من ذلك قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى**﴾ [الأعلى:١٤] أي: تطهر من الشرك والمعاصي.

وقوله ﷻ: ﴿**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾ [المدثر:٤] أي: طهرها من الكفر والمعاصي، وأصلحها بصالح الأعمال وغير ذلك كثير.

والمراد هنا كما رأيت الطهارة المعنوية.

وأما الطهارة الحسية فنصوصها كثيرة جدًّا منها:

قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ**

نعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة:٦].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: من الآية٤٨].

وقول الرسول ﷺ: «**الطهور شطر الإيْمان والحمد لله تَملأ الميزان**»(١).

وقوله في شأن الصلاة: «**مفتاح الصلاة الطهور**»(٢) الحديث.

وقوله -عليه الصلاة والسلام-: «**لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ**»(٣).

وقوله أيضًا: «**لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول**»(٤).

*****

س٥: كيف يكون للمرء أن يؤمن بدين من الأديان ولَم يحدث قط أن بعث أي من الأموات ليخبر عما حدث له، كما أنه لَم يسبق لأي من الأحياء أن رأى الله ﷻ؟

ج٥: أما أهل الإيْمان بكتب الله المنَزلة وبرسله الكرام فهم لا

(١) رواه أحمد في مسنده (ج٥ ص٣٤٢) عن أبي مالك الأشعري والدارمي في كتاب الوضوء باب ما جاء في الطهور (ج٦ ص١٦٧)، ومسلم في كتاب الطهارة باب فضل الوضوء (ج١ رقم ٢٢٣ ص٢٠٣).

(٢) الترمذي في الطهارة (ج١ رقم ٣ ص٨).

(٣) البخاري في كتاب الوضوء باب لا تقبل صلاة بغير وضوء (ج١ ص٤٣)، ومسلم في كتاب الطهارة باب وجوب الطهارة للصلاة (ج٣) شرح النووي (ص١٠٤).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة باب وجوب الطهارة للصلاة (ج١ رقم ٢٢٤ ص ٢٠٤) وأخرجه غيره.

يتوقف إيْمانُهم على الشهادة أو ما يخبرهم به البشر أنَّهم شاهدوه أو لمسوه بل يؤمنون بكل ما جاءت به الكتب السماوية وحدثت به الرسل والأنبياء ومن دعا بدعوتهم من ورثتهم من أهل العلم النافع والعمل الصالح وإن لَم يشاهدوه سواء فيما يتعلق بذات الله وأسمائه الحسنى وصفاته العلى أو فيما يتعلق بما قد مضى في غابر الأزمان من قصص قرآني مجيد أو قصص نبوي سديد أو فيما يتعلق بالشعائر التعبدية والأحكام الشرعية والآداب المرعية الَّتي كلف العباد بها رب البرية على سنة من هم خير البرية أو فيما يتعلق بما بعد الموت من الحياة البرزخية والحياة الأخروية وما يكون في الحياتين من النعيم المقيم للمؤمنين ومن العذاب الأليم للكافرين والملحدين.

قال الله -تبارك وتعالى- في وصف المؤمنين: ﴿آلم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:١-٥].

وقال -جل وعلا-: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].

وقال لنبيه الكريم -وأمته تبع له في ذلك-: ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ

اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى: من الآية١٥]

وكم لهذه النصوص الكريمة من نظائر.

وأما أهل الإلحاد الشيوعيون الماركسيون ومن اعتقد معتقدهم فإنَّهم لا يؤمنون بشيء من الغيب فقد أنكروا وجود الله وأنكروا البعث والنشور والجزاء على الأعمال والجنة والنار، وكفى بذلك إثْمًا عظيمًا وضلالاً مبينًا، قال الله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:٧].

وقال -تبارك وتعالى-: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور:٣٥].

والمهم أيها السائل المستفيد لتعلم -أرشدك الله للفرق بين الهدى والضلال- أن الشيوعية الحاقدة الماكرة لا تحقد على شيء كحقدها على دين الإسلام وأهله فكم لها من مواقف حيال الإسلام المجيد وأهله تدميرًا وقتلاً وصدًّا لخلق الله عن الدخول في دين الله عبر تاريخ أجيالهم فتبًّا للشيوعيين ما أشقاهم، إذ قدموا طاعة الشيطان على طاعة خالقهم ومولاهم الرحيم الرحمن.

* * * * *

س٦: أيمكن لنظام هذا الكون البديع، وبنيته العظيمة أن يكون مردها للمصادفة؟

ج٦: لا يصح أن يكون هذا الكون قد وجد عن طريق المصادفة

ونتيجة الطبيعة كما يقوله من تظاهروا بإنكار وجود الرب ﷻ -وهم قلة شاذة من البشر- طهر الله الأرض طولها والعرض منهم ومن أشكالهم من كل كافر ومشرك وملحد.

قلت: تظاهروا بإنكار وجود الرب لأنَّهم يعترفون بوجود الله الإله الحق في باطن أنفسهم وفي قرارة قلوبهم وما إنكارهم الظاهري إلا عنادًا ومكابرة وتمويهًا على أتباعهم من شياطين الإنس، ولقد ذكر الله بعضًا من ذلك، حيث قال عن فرعون لعنه الله: ﴿**يَاأَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾ [القصص: من الآية٣٨].

وقال ﷻ عن خبر الحوار الذي جرى بين موسى عليه السلام النَّبي الكريم الداعية إلى الله والمبلغ رسالته، وفرعون الظالم الطاغية الذي طغى في البلاد فأكثر فيها الفساد: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرائيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا (١٠١) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا**﴾ [الإسراء:١٠١، ١٠٢].

والذي يجب أن يعلم أن الإيْمان بوجود الله وخلقه -وحده- للكون علوه وسفليه أتت به أدلة عقلية وشرعية.

(أ) أما الأدلة العقلية الَّتِي لا حصر لها في حدود علم البشر فمنها:

إن هذه المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي لابد لها من

خالق أوجدها وتكفل بحياتها وحفظها وأرزاقها بعد أن لَم تكن إذ لَم يمكن أن توجد نفسها أو يوجد بعضها بعضًا أو توجد صدفة بدون موجد -كما زعم أولئك الشذاذ من البشر- بل إن وجودها على اختلاف أنواعها على هذا النظام البديع والتنسيق المحكم والتدبير العظيم لدلالة واضحة على وجود خالق عظيم هو الله -جل في علاه-، ولقد أخبرنا الله بهذا الدليل العقلي والبرهان الساطع النقلي حيث قال: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ﴾ [الطور:٣٥، ٣٦].

والمعنى: أنَّهم لَم يخلقوا من غير خالق ولا خلقوا أنفسهم ولا وجدوا صدفة بل الله هو خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم والمتصرف فيهم كما يشاء ويريد لا إله غيره ولا رب سواه.

هذا ولقد أودع الله في الفطر السليمة بالإضافة إلى الأدلة الشرعية الثابتة القويْمة ما يدرك به الإنسان المكلف إدراكًا جازمًا أن له ربًّا موجودًا خالقًا ورازقًا وإلهًا عظيمًا قويًّا قادرًا يُفزع إليه وحده عند الشدائد والكروب والمحن وجميع النوائب والكروب ويلجأ إليه إذا ادلهمت الخطوب، ولقد أشار الله إلى هذه الفطرة بقوله الحق: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٣٠].

(ب) **وأما الأدلة النقلية على وجود الله**: الأول الذي ليس قبله شيء

والآخر الذي ليس بعده شيء والظاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه شيء فكثيرة جدًّا منها:

قول الله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣].

وقوله -عز شأنه-: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: من الآية١٦٤].

وقوله -جل وعلا-: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه:٤٩-٥٠].

وقول النَّبي ﷺ للجارية: «أين الله؟ قالت في السماء. قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: اعتقها فإنَّها مؤمنة»[1].

والأدلة على وجود الله الناطقة بذلك أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر لا ينكرها أو يشك فيها أو في معانيها إلا من سفه نفسه وقل علمه وعمت بصيرته وغفل قلبه وكان أمره فرطًا.

هذا ويجب أن يعلم أن مجرد الإقرار والاعتراف بوجود الله ﷻ لا يكون به المكلف مسلمًا ولا مؤمنًا حتى يقر بأن الله هو رب كل شيء ومليكه وخالقه ورازقه ومحييه ومميته والمدبر لأمره والمتصرف في جميع

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته (ج١ رقم ٥٣٧ ص٣٨٢)، وأخرجه غيره.

شئونه بما شاء كيف شاء ومتى شاء إذ ما شاء الله كان وما لَم يشأ لَم يكن فهو رب العالمين حقًّا ومالك يوم الدين يقينًا وصدقًا خلق كل شيء فقدره تقديرًا وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

كما يجب أن يعلم أن هذا النوع من التوحيد الذي هو توحيد الربوبية لَم ينكره أحد من أمم الأرض إلا من شذ من الملحدين الزنادقة -كما أسلفت قريبًا- غير أن الإقرار به والاعتراف به لَم يدخل أحدًا في الإسلام حتى يقر بوحدانية الله: بأن يفرد ربه بكل عبادة مالية وبدنية من صلاة وصوم وزكاة وحج ودعاء واستعاذة واستغاثة وذبح ونذر وخوف ورجاء ورغبة ورهبة وتوكل وإنابة وغير ذلك من أصناف العبادة الظاهرة والباطنة الَّتي من صرفها لله وحده صار مسلمًا مؤمنًا، ومن صرفها لغير الله أو صرف شيئًا منها صار مشركًا شركًا مخرجًا من ملة الإسلام بعد إقامة الحجة عليه ولو أقر بوجود الله وصدق بربوبيته وهذا لَم يكن فيه نزاع بين الأمم في الجملة كما قال الله في أحسن القصص عن اعتراف المشركين بربوبية الله وانفراده بالخلق والرزق والإحياء والإماتة ونحوها: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: من الآية٨٧].

وقال ﷻ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٩].

وقال -تبارك وتعالى-: ﴿قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [المؤمنون:٨٤-٨٥].

ولقد نعى الله على قوم اعترفوا بوجوده وأقروا بربوبيته ولكن تعلقت قلوبُهم بغيره من المخلوقات الضعيفة الَّتي لا تملك لأنفسها ولا لغيرها نفعًا ولا ضرًّا ، فصرفوا إليها من العبادات ما ليس لها من الدعاء والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر والرغبة والرهبة والخوف والخشية والإنابة والرجاء والتوكل وغير ذلك من العبادات الظاهرة والباطنة مما كانوا بصرفه لغير الله مشركين شركًا حلت به لدولة الإسلام دماؤهم وأموالهم واسترقاقهم هم ونساؤهم وذراريهم.

قال الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (١٩٢) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ (١٩٣) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٩٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنْظِرُونِ﴾ [الأعراف: ١٩١- ١٩٥].

وقال ﷻ ضاربًا المثل الواضح الجلي لضعف الآلهة المعبودة بغير حق: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج:٧٣].

قال ابن كثير في تفسير آيات الأعراف المذكورة ما نصه: "هذا إنكار

من الله على المشركين الذين عبدوا معه غيره من الأنداد والأصنام والأوثان وهي مخلوقة لله مربوبة مصنوعة لا تملك شيئًا من الأمر ولا تضر ولا تنفع ولا تنتصر لعابديها بل هي جماد لا تتحرك ولا تسمع ولا تبصر، وعابدوها أكمل منها بسمعهم وبصرهم وبطشهم"(١) اهـ.

وقال رحمه الله في تفسير آيتي الحج ما نصه: "يقول تعالى منبهًا على حقارة الأصنام وسخافة عقول عابديها:

﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ**﴾ أي: لما يعبده الجاهلون بالله المشركون.

﴿**فَاسْتَمِعُوا لَهُ**﴾ أي أنصتوا وتفهموا.

﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ**﴾ أي: لو اجتمع جميع ما تعبدون من الأصنام والأنداد على أن يقدروا على خلق ذباب واحد ما قدروا على ذلك...

إلى أن قال: ﴿**وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ**﴾ أي: هم عاجزون عن مقاومته والانتصار منه لو سلبها -أي الأصنام والأوثان والآلهة- شيئًا من الذي عليها من الطيب، ثم أرادت أن تستنقذه منه لما قدرت على ذلك، هذا والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها، ولهذا قال: ﴿**الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنه: "الطالب: الصنم، والمطلوب: الذباب" وعزى ابن كثير اختياره لابن جرير.

---

(١) انظر تفسير سورة الأعراف (ج٣ ص٥٣٢) طبعة الشعب.

وقال ابن كثير: وهو ظاهر السياق، وقال السدي: الطالب العابد والمطلوب الصنم.

إلى أن قال ابن كثير:

﴿**مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ [الحج: من الآية٧٤] أي: ما عرفوا قدر الله وعظمته حين عبدوا معه غيره من هذه الَّتِي لا تقاوم الذباب لضعفها وعجزها: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [الحج: من الآية٧٤]. أي: هو الذي بقدرته وقوته خلق كل شيء.

﴿**وَهُوَ الَّذِي يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ**﴾ [الروم: ٢٧][(١)] اهـ.

وقال **الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي** -غفر الله له ورحمه- في تفسير آيات الأعراف ما نصه: فأشركوا بالله: ﴿**مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ**﴾ [الأعراف:١٩١] أي: لعابديها.

﴿**نَصْرًا وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ**﴾ [الأعراف: من الآية١٩٢].

فإذا كانت لا تخلق ولا مثقال ذرة بل هي مخلوقة، ولا تستطيع أن تدفع المكروه عن من يعبدها ولا عن أنفسها فكيف تتخذ مع الله آلهة إن هذا إلا أظلم الظلم وأسفه السفه.

﴿**وَإِنْ تَدْعُوهُمْ**﴾ [الأعراف: من الآية١٩٣]. أي: وإن تدعو أيها المشركون هذه الأصنام الَّتِي عبدتم من دون الله: ﴿**إِلَى الْهُدَى لا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ**

---

(١) انظر تفسير ابن كثير سورة الحج (ج٥ ص٤٤٩-٤٥٠) طبعة الشعب.

عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ [الأعراف: من الآية١٩٣].

فصار الإنسان أحسن حالة منها لأنَّها لا تسمع ولا تبصر ولا تَهدي ولا تُهدى وكل هذا إذا تصوره اللبيب العاقل تصورًا مجردًا جزم ببطلان إلهيتها وسفاهة من عبدها...

إلى أن قال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأعراف: من الآية١٩٤]. إلى آخر الآيات: وهذا من نوع التحدي للمشركين العابدين للأوثان بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف: من الآية١٩٤]. أي: لا فرق بينكم وبينهم فكلكم عبيد لله مملوكون فإن كنتم كما تزعمون صادقين في أنَّها تستحق من العبادة شيئًا: ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ [الأعراف: من الآية١٩٤].

فإن استجابوا لكم وحصلوا مطلوبكم وإلا تبين أنكم كاذبون في هذه الدعوى مفترون على الله أعظم الفرية، وهذا لا يحتاج إلى تبين فيه فإنكم إذا نظرتم إليها وجدتم صورتَها دالة على أنه ليس لديها من النفس شيء فليس لها أرجل تمشي بِها، ولا يد تبطش بِها ولا أعين تبصر بِها ولا آذان تسمع بِها فهي عادمة لجميع الآلات والقوى الموجودة في الإنسان فإذا كانت لا تجيبكم إذا دعوتموها فهي عباد أمثالكم بل أنتم أكمل منها وأقوى على كثير من الأشياء فلأي شيء عبدتموها.

﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنْظِرُونِ﴾ [الأعراف: من الآية١٩٥]. أي: اجتمعوا أنتم وشركاؤكم على إيقاع السوء والمكروه بي من غير

إمهال ولا إنظار فإنكم غير بالغين لشيء من المكروه بي" انتهى[١].

كما قال -رحمه الله- في تفسير آيتي سورة الحج ما نصه أيضًا: "هذا مثل ضربه الله لقبح عبادة الأوثان وبيان نقصان عقول من عبدها وضعف الجميع فقال: ﴿يَأَيُّهَا النَّاس﴾ [الحج: من الآية٧٣]. هذا خطاب للمؤمنين والكفار، فالمؤمنون يزدادون علمًا وبصيرة، والكافرون تقوم عليهم الحجة.

﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ [الحج: من الآية٧٣].

أي: ألقوا إليه أسماعكم وافهموا ما احتوى عليه ولا يصادف منكم قلوبًا لاهية وأسماعًا معرضة بل ألقوا إليه القلوب والأسماع وهو هذا[٢].

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ شمل كل ما يدعى من دون الله.

﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ الذي هو من أحقر المخلوقات وأخسها فليس في قدرتهم خلق هذا المخلوق الضعيف فما فوقه من باب أولى.

﴿وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ بل أبلغ من ذلك:

﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾. وهذا غاية ما يصير من العجز.

﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ﴾. الذي هو المعبود من دون الله.

﴿وَالْمَطْلُوب﴾. الذي هو الذباب فكل منهما ضعيف وأضعف

---

(١) انظر تفسير سورة الأعراف (ج٣ ص٦٣، ٦٤) طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٢) أي: المثل المضروب.

منهما من يتعلقون بهذا الضعيف وينزلونه منزلة رب العالمين، فهؤلاء: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

حيث سووا الفقير العاجز من جميع الوجوه بالغني القوي من جميع الوجوه سووا من لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا بمن هو النافع الضار المعطي المانع مالك الملك والمتصرف فيه بجميع أنواع التصرف"[١] انتهى.

قلت: وما أشبه الليلة بالبارحة فإن عباد القبور في هذه العصور من أهل النطق بالشهادتين اللتين ما عرفوا معناهما ومقتضاهما ومن أهل الصلاة والصوم والحج وغيرها، يتقربون بأنواع العبادة إلى من أودعوا في تلك القبور وأصبحوا مرتهنين بأعمالهم لا يسمعون نداء من يناديهم أو استغاثة من يستغيث بهم على حد قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: من الآية ١٣- والآية ١٤].

وربّما ظهرت شياطين الجن -أصحاب العلاقات مع شياطين الإنس- وكلمت أولئك المشركين عند الأضرحة ووعدتهم بقضاء الحاجات ودفع الكربات فظنوا أن الذين يكلمونهم هم الأولياء المدعوون من دون الله فازدادوا فتنة إلى فتنتهم فإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) انظر تفسير سورة الحج (ج٥ ص٣٢٥-٣٢٧) طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

والغريب من هؤلاء القبوريين أنه إذا قيل لهم: هذا شرك بالله فاحذروه وفعل قبيح مبتدع فاتركوه. **قالوا:** إننا لا نعتقد فيهم خلقًا ولا إيجادًا ولا إحياءً ولا إماتة ولكن ليشفعوا لنا ويرفعوا طلب قضاء حوائجنا إلى خالقنا ومولانا إذ لا طريق لنا إليه إلا بواسطتهم لطهارتهم وقداستهم وقربهم من ربِّهم وكمال حياتهم بالإضافة إلى كثرة ذنوبنا وعظيم تفريطنا في جنب الله وقد قال الله عن الأولياء: ﴿**لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾ [الزمر: من الآية٣٤].

وأقول لهؤلاء الذين أطاعوا سادتَهم وكبراءهم بل وأقول لسادتَهم وكبرائهم أيضًا:

دعواكم تلك باطلة وحجتكم عليها ضعيفة واهية تذكرنا بمقولة مشركي الجاهلية الأولى الذين قص الله خبرهم بقوله: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ**﴾ [الزمر: من الآية٣].

وبقوله الحق: ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [يونس:١٨].

وقال ابن كثير في معنى قوله ﷻ: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾ [الزمر:من الآية ٣]. ما نصه:

"ثم أخبر تعالى عن عباد الأصنام من المشركين أنَّهم يقولون:

﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾. أي: إنَّما يحملهم على عبادتهم لهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين -في زعمهم- فعبدوا تلك الصور تنْزيلاً لذلك منْزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبُهم من أمر الدنيا، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به.

قال قتادة والسدي ومالك عن زيد بن أسلم: ﴿**إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾ [الزمر: من الآية٣]. أي: ليشفعوا لنا ويقربونا عنده منْزلة. وهذه الشبهة هي الَّتي اعتمدها المشركون في قديْم الدهر وحديثه، وجاءتْهم الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- بردها والنهي عنها، والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لَم يأذن الله فيه ولا رضي به، بل أبغضه ونَهى عنه: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل: من الآية٣٦]. ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء:٢٥].

كما قال في معنى آية يونس: ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُم وَلا يَنْفَعُهُم**﴾[1] [يونس: من الآية١٨]:

ينكر تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ظانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتها عند الله فأخبر أنَّها لا تنفع ولا تضر ولا تملك شيئًا

---

(١) انظر ابن كثير (ج٧ ص٧٥) طبعة الشعب.

ولا ينفع شيء مما يزعمون فيها ولا يكون هذا أبدًا.

وهذا قال تعالى: ﴿**قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ**﴾ [يونس: من الآية١٨].

قال ابن جرير ما معناه: أتخبرون الله بما لا يكون في السموات ولا في الأرض ثُمَّ نزه نفسه عن شركهم وكفرهم فقال: ﴿**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[1] [يونس: من الآية١٨].

ورحم الله الإمام ابن تيمية فقد سئل عن رجلين تنازعا فقال أحدهما: لابد لنا من واسطة بيننا وبين الله فإنا لا نقدر أن نصل إليه إلا بذلك.

فأجاب الشيخ -رحمه الله- بقوله: "إن أراد أنه لابد لنا من واسطة تبلغنا أمر الله فهذا حق فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه، ويأمر به وينهى عنه إلا بواسطة الرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده، وهذا ما أجمع عليه أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى، فإنّهم يثبتون الوسائط بين الله وبين عباده وهم الرسل الذين بلغوا عن الله أوامره ونواهيه، قال تعالى: ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ**﴾ [الحج: من الآية٧٥]. ومن أنكر هذه الوسائط فهو كافر بإجماع أهل الملل.

وإن أرادوا بالواسطة أنه لابد لنا من واسطة يتخذها العباد بينهم وبين الله في جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يكونوا واسطة في رزق

(١) انظر تفسير ابن كثير (ج٤ ص١٩٣).

العباد، ونصرهم وهداهم يسألون ذلك، ويرجون إليه فيه فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بِهم المنافع ويدفعون بِهم المضار...

إلى أن قال: فمن جعل الأنبياء والملائكة وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب وتفريج الكربات وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين...

إلى أن قال: فمن أثبت وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، وأن الله إنَّما يهدي عباده وينصرهم ويرزقهم بتوسطهم، بمعنى أن الخلق يسألونَهم وهم يسألون الله كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربِهم منهم والناس يسألونَهم أدبًا منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونِهم أقرب إلى الملك من الطالب، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل.

وهؤلاء مشبهون، شبهو الخالق بالمخلوق وجعلوا لله أندادًا، وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لا تتسع له هذه الفتوى فإن هذا دين المشركين عباد الأوثان كانوا يقولون: إنَّها تَماثيل الأنبياء والصالحين وإنَّها وسائل يتقربون بِها إلى الله وهو من الشرك الذي أنكره الله على

النصارى حيث قال: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: من الآية٣١]"(١). انتهى.

قلت: فإذا تبين لك ما رقمته في هذا الموضوع المهم -وهو قليل من كثير قد سطره غيري من حملة الأقلام وفرسان هذا الشأن- فإنه يجب عليك يا أخي المسلم أن تعتني بالفقه في دين الله عمومًا وفي تحقيق عقيدة التوحيد خصوصًا الَّتي تتجلى في الأمور التالية:

١- **تحقيق الألوهية:** والمراد به توحيد القصد والطلب ومعناه إفراد الله بجميع أنواع العبادة الَّتي عرفها شيخ الإسلام بن تيمية بأنَّها: "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة". وهي بهذا المعنى متضمنة معنى الذل ومعنى الحب.

ولَهَا ثلاثة أركان :

أ- المحبة.

ب- الرجاء.

ج- الخوف.

ولابد من اجتماعها لدى المسلم إذ من تعلق ببعضها دون بعض لَم يكن عابدًا لله حق العبادة، ذلك أن عبادة الله بالحب وحده هي طريقة الصوفية، وعبادته بالرجاء وحده طريقة المرجئة، وعبادته بالخوف وحده طريقة الخوارج، وعبادة الله بهذه الأركان جميعها هي طريقة أهل السنة والجماعة.

---

(١) بواسطة كتاب "عقيدة الموحدين".

كما يجب أن يعلم أن المحبة المجردة عن الخضوع لا تكون عبادة إذ أن من أحب شيئًا ولَم يخضع له لَم يكن له عابدًا وذلك كحب الإنسان لقريبه وصديقه.

وأن الخضوع المجرد من المحبة لا يكون عبادة كمن يخضع لمن يرجو إحسانه أو يخشى غضبته وانتقامه من البشر وعليه فلابد إذن من اجتماع المحبة لله والخضوع له في قلوب عباده فوق كل شيء وأعظم من كل شيء.

وفي الحديث: «**ثلاث من كن فيه وجد بِهن حلاوة الإيْمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مِمَّا سواهما**»(١).

هذا وللعبادة أنواع متعددة قد سبق البيان لكثير منها فالدين بجميع مراتبه كله داخل فيها.

١- توحيد الربوبية.

٢- توحيد الأسماء والصفات والمراد بِهما توحيد المعرفة والإثبات.

فأما توحيد الربوبية: فإنه الإقرار بأن الله وحده هو الخالق لعالم السماء وعالم الأرض والمدبر لذلك كله والمتصرف في كلياته وجزئياته وجميع ذراته كما تقدم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيْمان باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيْمان (رقم ٢١)، ومسلم في كتاب الإيْمان باب بيان خصال من اتصف بِهن وجد حلاوة الإيْمان (ج١ رقم ٦٧).

وأما توحيد الأسماء والصفات: فمعناه الإيْمان ظاهرًا وباطنًا بأن الله -جل في علاه- الأسماء الحسنى والصفات العلى الَّتِي سمى ووصف بها نفسه وسماه ووصفه بِها رسوله ﷺ نثبت ذلك لا نتجاوز القرآن والحديث إثباتًا بلا تمثيل وتنْزيهًا من غير تحريف ولا تأويل ولا تعطيل، بل نقول كما علمنا ربنا: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: من الآية١١].

هذا ومن أمعن النظر في أنواع التوحيد وجدها متلازمة من حيث الدلالة على المعنى ووجوب العمل.

وذلك أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الإلهية بمعنى أن الإقرار والاعتراف بتوحيد الربوبية يوجب الإقرار بتوحيد الإلهية والعمل به إذ إن من أقر بتوحيد الربوبية على الوجه السابق وجب عليه ولزمه أن يفرد الله بالعبادة.

كما أن توحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية بمعنى أنه يدخل فيه ضمنًا وذلك أن من حقق توحيد الإلهية فلابد أن يكون مقرًّا بأن الله الذي أفرده بالعبادة هو خالقه ورازقه والمتصرف فيه وفي الكون بأسره في الدنيا والبرزخ والآخرة وقبل ذلك وبعد ذلك.

كما أن توحيد الربوبية والإلهية يستلزمان توحيد الأسماء والصفات إذ إن الرب المعبود لابد أن يكون له الكمال المطلق ذاتًا وأفعالاً وأسماءً وصفات، قال الله تعالى: ﴿**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾ [البقرة:١٦٣].

وقال ﷻ: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام:١٠٢].

وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: من الآية١١].

٤- والإيمان بما أنزل الله من كتاب امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦].

ولقوله ﷻ: ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ [الشورى: من الآية١٥].

وهذا إيمان عام، أما الإيمان المفصل فبالفرقان الذي أنزل على نبينا محمد ﷺ وفرض الله علينا الإيمان به والعمل بما فيه من فاتحته إلى خاتمته إذ هو المهيمن على الكتب السماوية كلها والناسخ لها والمغني عنها كما قال تعالى لنبيه الكريم: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: من الآية٤٨]

وما كان لأحد بعد بعثة محمد ﷺ الذي أنزل إليه هذا القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان أن يدعي أن له كتابًا غيره كالتوراة والإنجيل لأنَّهما قد حرفا وبدلا من قبل أعداء الله اليهود والنصارى، وعلى فرض أن شيئًا منها لَم يحرف فإن الفرقان -قرآن أمة محمد جمعاء- مهيمن عليه وناسخ له.

واسمع قول النَّبِي الكريم ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما أتاه بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه النَّبي ﷺ فغضب فقال: «**أمتهوكون فيها يابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بِها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو أن موسى عليه السلام كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني**»[1].

٥. التصديق بكل رسول أرسله الله، وكل نبي بعثه، واعتبارهم صفوة البشر وأنصح الخلق للخلق فيهم الأسوة الحسنة والقدوة الرشيدة وبواسطتهم الحلال والحرام والفضائل والرذائل وتبين طريق الحق من طرق الضلال وطريق الجنة من طرق النار فالإيْمان بِهم جميعًا سبيل المؤمنين والكفر بِهم أو ببعضهم سبيل الكافرين والملحدين قال الله في وصفهم -عليهم الصلاة والسلام-: ﴿**رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾ [النساء: من الآية١٦٥].

وقال في الثناء على المصدقين لهم: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ [النساء:١٥٢].

كما قال سبحانه في ذم من كفر بِهم أو ببعضهم: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (ج٣ ص٣٨٧)، وأبو يعلى بأسانيد لا يخلو واحد منها من مقال وقد حسنه شعيب الأرناؤط -هداه الله- بشواهد انظر شرح السنة (ج١ ص٢٧٠).

وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

وعند التأمل والتدبر في هذه الآيات ونظائرها في كتاب الله تتضح الأمور التالية:

١- بيان وظيفة الرسل الكرام والأنبياء العظام ألا وهي البشارة للمؤمنين والنذارة للكافرين.

٢- بهم تتضح المحجة وتقوم الحجة.

٣- وجوب الإيمان برسالاتهم بدون تفريق بينهم.

٤- بيان ما لهم من الفضل العظيم والأجر الكريم.

٥- كفر من جحد رسالاتهم أو قدح فيها أو كفر ببعض منهم وآمن ببعض .

٦- وبهذا تعلم أن أهل الكتابين ومن استن بسنتهم ممن كفروا برسالة محمد ﷺ أنَّهم كفار ولا تنفعهم دعواهم أنَّهم أهل كتاب بدليل قول الحق سبحانه: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: من الآية١٥٨].

* * * * *

س٧: ما الواجب على الناس اتباعه؟

ج٧: الواجب على الناس اتباعه هو كتاب ربِّهم وسنة نبيهم محمد ﷺ فقد أمرهم ربُّهم بذلك في نصوص من كتابه الذي سماه نورًا وهدى

ورحمة، وشفاءً وموعظة وذكرى وبرهانًا وفرقانًا.

من تلكم النصوص القرآنية الَّتي نادت الناس ليتبعوا ما أنزل إليهم من ربِّهم قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣].

وقوله ﷻ: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ [الشورى:٤٧].

وقوله -تبارك وتعالى-: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال:٢٠].

وقال سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١].

وقال أيضًا: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

وغير هذه الآيات في هذا المعنى كثير، كما أمرهم نبيهم ﷺ بذلك في سنته في نصوص كثيرة منها قوله -عليه الصلاة والسلام-: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تَمسكوا بِها وعضوا عليها بالنواجذ**»[1].

---

(١) أحمد (ج٤ ص١٢٦، ١٢٧)، وأبو داود في كتاب السنة باب في لزوم السنة (ج٤ ص٢٠١)، والترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (ج٥ =

وقوله: «**إني تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»[1].

وقوله -عليه الصلاة والسلام-: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير، فقد أطاعني، ومن يعصي الأمير، فقد عصاني**»[2] الحديث، وغير ذلك كثير.

وحيث إن كتاب الله الكريم وسنة رسوله الرءوف الرحيم هما الصراط المستقيم فقد أتى الأمر من الله لجميع أمة محمد ﷺ أن يتبعوهما وذلك بامتثال أوامرهما واجتناب نواهيهما وتصديق أخبارهما والحكم بهما والتحاكم إليهما والرجوع عند النِّزاع إليهما والتحلي بما فيهما من فضائل وكلاهما دعوة إلى التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، حيث قال -تبارك وتعالى-: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [الأنعام:١٥٣].

وقد أتى تفسير هذه الآية من مشكاة النبوة ففي مسند الإمام أحمد

=

ص٤٤ رقم ٢٦٧٦)، وابن ماجه في المقدمة (ص١٥، ١٦)، والحديث صحيح بمجموع طرقه. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (ج٢ ص٦٤٧).

(١) أحمد في المسند (ج٤ ص٤٦)، وابن ماجه في المقدمة (ج١ ص١٦)، وسنده صحيح انظر صحيح ابن ماجه للألباني (ج١ ص٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد باب من قاتل وراء الإمام ويتقي به (ج٤ ص٤٠)، ومسلم في كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (ج٣ رقم ١٨٣٥ ص١٤٦٦).

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «خط رسول الله ﷺ خطًّا بيده ثم قال: هذا سبيل الله مستقيمًا. وخط عن يمينه وشماله ثم قال: هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعوا إليه. ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾»(١).

وبجانب الأمر باتباع ما أنزل الله على رسوله أتى النهي الشديد عن الإعراض عنه والتفرق فيه شيعًا وأحزابًا، وذلك في مواضع كثيرة من الوحي الرباني الكريم، حيث قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (١٠٠) خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً﴾ [طه:٩٩- ١٠١].

وقال سبحانه: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [طه:١٢٣- ١٢٦].

وقال -عز من قائل كريم-: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف:٣٦].

كما قال ﷻ في ذم التفرق والتحزب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ

(١) المسند.

وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩].

وقال -تبارك اسمه- بعد أن أمر الأمة جميعًا بالاعتصام بحبله نَهاهم عن التفرق بقوله: ﴿**وَلا تَفَرَّقُوا**﴾ [آل عمران: من الآية١٠٣].

وفي موضع آخر أمرهم بإقامة الدين كله ونَهاهم عن التفرق فيه حيث قال: ﴿**أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾ [الشورى: من الآية١٣].

وما ذلك إلا لأن الاختلاف في الحق بعدما تبين ضرب من ضروب الإعراض عنه، وصفة ذميمة سجلت على اليهود في آيات بينات منها قول الله تعالى: ﴿**وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾ [الجاثية:١٧].

ومثل ما سمعت من التحذير الشديد عن الإعراض عن الوحي المنَزل على رسول الله ﷺ والنهي الصريح عن الاختلاف فيه والتفرق.

فاسمع قليلاً من كثير من النهي عن ذلك والتحذير منه في سنة رسول الله ﷺ:

١- ما رواه الطبراني في الأوسط بسند رجاله رجال الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى أو شرد على الله شراد البعير**. قيل: يا رسول الله ومن يأبى أن يدخل الجنة؟ فقال: **من أطاعني دخل الجنة ومن**

عصاني دخل النار»(١).

٢- وما رواه أحمد وغيره بسند رجاله رجال الصحيح أن أبا أمامة الباهلي مر على خالد بن يزيد بن معاوية فسأله عن ألين كلمة سمعها من رسول الله ﷺ يقول: «**كلكم في الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير على أهله**»(٢).

٣- وما رواه الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «**مثل ما بعثني الله به عز وجل من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بِها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة أخرى إنَّما هي قيعان لا تُمسك ماءً ولا تنبت كلأً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لَم يرفع بذلك رأسًا ولَم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**»(٣).

---

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد معزوًّا إلى الطبراني في الأوسط وقال: رجاله رجال الصحيح (ج١٠ ص٧٣).

(٢) أورده الهيثمي من عدة طرق عن أبي أمامة وأبي سعيد رضي الله عنه انظر مجمع الزوائد (ج١٠ ص ٧٣، ٧٤)، وأورده الألباني في صحيح الجامع الصغير معزوًّا إلىالطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرك عن أبي أمامة وحكم له بالصحة انظر صحيح الجامع (ج٤ رقم ٤٤٤٦ ص١٨٤).

(٣) البخاري في كتاب العلم باب فضل من علم وعلم (ج١ ص٢٢)، ومسلم في كتاب الفضائل باب بيان مثل ما بعث به النَّبي ﷺ من الهدى والعلم (ج٤ رقم ٢٢٨٢٩ ص١٧٨٧).

٤- وما رواه أبو داود والترمذي بأسانيد صحيحة عن النَّبي ﷺ أنه قال: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة.** قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: **من كان مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[١]. وفي رواية أخرى قال: «**هي الجماعة**»[٢].

وعند أبي داود من رواية معاوية ﷺ أنه قام فقال: «ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: **ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وهي الجماعة**»[٣].

٥- وما رواه مسلم وغيره في حديث عبد الله بن رباح الأنصاري

---

(١) رواه أبو داود والترمذي بألفاظ متقاربة من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة ﷺ انظر سنن ابن داود في كتاب السنة باب شرح السنة (ج٤ رقم ٤٥٩٦ ص١٩٧، ١٩٨) وسنن الترمذي كتاب الإيمان باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (ج٥ رقم ٢٦٤١) وقد حسنه الترمذي وفيه عبد الرحمن الأفريقي وقد ضعفه كثير من أهل العلم.

(٢) هذه الرواية عند أبي داود في كتاب السنة باب شرح السنة (ج٤ رقم ٤٥٩٨ ص١٩٨) وإسنادها حسن.

(٣) أبو داود في كتاب السنة باب شرح السنة (ج٤ رقم ٤٥٩٧ ص١٩٨)، كما أخرجه الدارمي وأحمد والحاكم وغيرهم. وقال الحاكم: هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث. ووافقه الذهبي.

وقال الألباني: حديث صحيح لما قبله وما بعده. انظر كتاب السنة (ج١ ص٣٣) لابن أبي عاصم.

أن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: هجرت إلى رسول الله ﷺ يومًا فسمعت أصوات رجلين اختلفا في آية فخرج علينا رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الغضب فقال: «**إنما هلك من كان قبلكم من الأمم باختلافهم في الكتاب**»[1].

٦- وما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»[2].

وغير هذه النصوص كثير مما يدل على التحذير والترهيب من داء الإعراض عن وحي الله الكريم المنَزل على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين، ومما يدل أيضًا على الإنذار من عواقب الاختلاف في دين الله والتفرق فيه وثلاثتها قاصمة الظهور فلتحذر أمة الكتاب العظيم وسنة الهادي الأمين -عليه من ربه أزكى الصلاة والتسليم- مما قد يكون سببًا في هلاكها وشقائها في الدنيا ويوم يقوم الحساب.

ألا وإنَّ خير من وعى ما أنزل على نبينا محمد ﷺ وتفاعل معه بعدل وحكمة علمًا وعملاً ودعوة وجهادًا ونصحًا وقيادة هم الرعيل الأول، المهاجرون والأنصار، وأتباعهم من أهل القرون المفضلة، وكل

(١) أخرجه مسلم في كتاب العلم باب النهي عن اتباع متشابه القرآن (ج٤ رقم ٢٦٦٦ ص٢٠٥٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (ج٩ ص٧٧)، ومسلم في الحج باب فرض الحج مرة في العمر (ج٢ رقم ١٣٣٧ ص٩٧٥).

من اتبع أثرهم وأحيا مآثرهم، وحقًّا وصدقًا ما قاله ربنا في وصفه لهم وثنائه عليهم ووعده لهم بالخلود الدائم الكريم في جنات النعيم، المحفوفة برضا الرحمن الرحيم، حيث قال: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة:١٠٠].

إن هؤلاء السادة الأخيار والأولياء الأتقياء الأبرار وأتباعهم في كل عصر وفي كل بادية ومصر لَم يكونوا في يوم من أيام حياتهم غلاة مفرطين، أو جفاة مفرطين، بل هم وسط بين الغالي والجافي في كل باب من أبواب العلم والعمل فهم وسط في باب أسماء الله الحسنى وصفاته العلى بين أهل التمثيل الذين غلو في جانب الإثبات وقصروا في جانب النفي، وبين أهل التعطيل الذين غلو في جانب النفي وقصروا في جانب الإثبات في باب الأسماء والصفات، وذلك أن الممثلة شبهوا الله -تبارك وتعالى- بخلقه وجعلوا صفاته الكريمة الكاملة من جنس صفات المخلوقين الَّتي تخصهم وتليق بحالهم ومن أجل ذلك سموا ممثلة ومشبهة[1] حيث

(١) **المشبهة في الأصل صنفان:**

❊ صنف شبهوا ذات الباري بذات غيره ومن هؤلاء السبئية الذين سموا عليًّا إلَهًا وشبهوه بذات الإله وقد أحرق قومًا منهم بالنار، فقالوا له: الآن علمنا أنك إله لأن النار لا يعذب بها إلا الله، ومن هذا الصنف "البيانية" أتباع بيان بين سمعان الذي زعم أن معبوده على صورة الإنسان في أعضائه وأنه يفنى كله إلا وجهه، ومنه "الخطابية" القائلين بإلهية الأئمة وبإلهية أبي الخطاب الأسدي ومنهم غير من ذكرت ممن هو مثلهم

قالوا -وبئس ما قالوا-: لله سمع كسمعنا وبصر كبصرنا وحياة كحياتنا ويدان كأيدينا واستواء كاستوائنا، واطردوا ذلك في جميع صفات الله، وهذا غلو منهم وإفراط فيها تجاوزوا به الحدود حيث أدخلوا في صفات الله الجليلة ما نفاه عن نفسه في كتابه مما لا يليق به وأخذ به رسوله الكريم وأتباعه حقًّا إلى يوم الدين، قال الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: من الآية١١].

وقال -تبارك وتعالى-: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: من الآية٦٥].

وقال سبحانه: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:٣، ٤].

وغيرها في هذا المعنى كثير لذا قال علماء السلف: إن المشبه يعبد وثنًا تصوره بخياله ونحته له فكره المنحرف.

قال العلامة ابن القيم في نونيته:

لسنا نشبه وصفه بصفاتنا ... إن المشبه عابد الأوثان

كما أن المشبه قد شابه النصارى في عقيدتهم الشركية الَّتِي

=

خارج عن دين الإسلام بالكلية.

❊ وصنف آخرون من المشبهة وهم الذين شبهوا صفات الله بصفات غيره وهؤلاء وإن كانوا أخف من الصنف الأول بسبب موافقتهم للمسلمين في الصلاة والصوم والزكاة ونحوها من الشعائر إلا أنَّهم خالفوهم في أعظم أصول الدين كما علمت لذا فقد حكم عليهم كثير من أئمة الإسلام بالكفر. انظر رسالة "الفرق بين الفرق للبغدادي".

أوصلهم إليها الغلو في المسيح فعبدوه.

قال ابن القيم:

من مثل الله العظيم بخلقه فهو النسيب لمشرك نصراني

لذا فقد حكم الأئمة الأعلام على هذه الطائفة بالكفر لسوء ما اعتقدوا وقبح ما ورثوا وورَّثوا، فقال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري -رحمهما الله-: "من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن نفى ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيه".

شبهتهم وبيان بطلانها عقلاً ونقلاً

قالوا: إن الله تعالى خاطبنا في القرآن بما نفهم ونعقل، ونحن لا نفهم ولا نعقل إلا ما كان مشاهدًا، فإذا خاطبنا عن الغائب بشيء وجب حمله على المعلوم المشاهد.

وهي شبهة باطلة مردودة بما يلي:

أ- إنَّهم لا يملكون على حجتهم هذه برهانًا من كتاب ولا سنة فيصدق عليهم قول الحق سبحانه: ﴿**حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ**﴾ [الشورى: من الآية١٦].

ب- بل الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح ترد عليهم حيث قال الله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: من الآية١١]، وقال ﷻ: ﴿**فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ**﴾ [النحل: من الآية٧٤].

فإنه يؤخذ من الآية الأولى نفي المماثلة لله مع إثبات السمع والبصر، ويؤخذ من الآية الثانية عدم جواز ضرب الأمثال لله فحصل الجمع بين النفي والإثبات في الآيتين الكريْمتين.

وأما دلالة العقل على بطلان تلك الشبهة فمن وجوه أشهرها ثلاثة:

١- ثبوت التباين بين الخالق والمخلوق في الذات والوجود، وهذا يستلزم التباين في الصفات لأن صفة كل موصوف تليق به إذ المعاني والأوصاف تتقيد وتتميز بحسب ما تضاف إليه.

٢- أن القول بالمماثلة بين الخالق والمخلوق يستلزم نقص الخالق سبحانه لأن تمثيل الكامل بالناقص يجعله ناقصًا.

٣- أن القول بمماثلة الخالق للمخلوق يقتضي بطلان العبودية الحقة لأنه لا يخضع عاقل لأحد إلا أن يكون أعلى منه.

ثُمَّ إن قولهم إن الله خاطبنا بما نعقل ونفهم.

فصحيح لقول الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف:٣].

فلولا أن الله أراد من عباده عقل وفهم ما جاءت به الرسل لكان لسان قومه ولسان غيرهم سواء ولما حصل البيان الذي تقوم به الحجة على الخلق.

وأما قولهم: إذا خاطبنا عن الغائب بشيء وجب حمله على المعلوم المشاهد.

فجوابه من وجهين:

أحدهما: أن ما أخبر الله به عن نفسه إنما أخبر به مضافًا إلى نفسه المقدسة فيكون لائقًا به لا مماثلاً لمخلوقاته، ولا يمكن لأحد أن يفهم منه المماثلة إلا من لَم يعرف الله تعالى ولَم يقدره حق قدره ولَم يعرف مدلول الخطاب الذي يقتضيه السياق.

الثاني: أنه لا يمكن أن تكون المماثلة مرادة لله تعالى لأنَّها تستلزم نقص الخالق -جل وعلا-، واعتقاد نقص الخالق كفر وضلال، ولا يمكن أن يكون مراد الله تعالى بكلامه الكفر والضلال، كيف وقد قال: ﴿**يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا**﴾ [النساء: من الآية١٧٦]، وقال: ﴿**وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ**﴾[1] [الزمر: من الآية٧].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) انظر للتوسع في البحث رسالة التدمرية لشيخ الإسلام بن تيمية وتقريبها للعلامة الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين.

أهل التعطيل الذين غلو في جانب النفي وقصروا في جانب الإثبات في باب الأسماء والصفات

والمعطلة هم قوم أنكروا ما سمى الله ووصف به نفسه إنكارًا كليًّا أو جزئيًّا، ومن أجل هذا المعتقد الفاسد عمدوا إلى تحريف النصوص من الكتاب والسنة في هذا الباب -باب الأسماء والصفات- وليست المعطلة طائفة واحدة وإنَّما هم عدة طوائف أشهرها ما يلي: **غلاة الجهمية والباطنية**[١] **والقرامطة**[٢].

---

(١) **الباطنية**: هم قوم زنادقة لا يؤمنون بالبعث والجزاء على الأعمال وقديْما قيل فيهم:

لَم يؤمنوا بالحشر والقيامة   أقبح لهم بالويل والندامة

وسموا بهذا الاسم لأنَّهم جعلوا للدين ظاهرًا وباطنًا وأولوا نصوصه وشعائره بتأويلات ما سبقهم إليها أحد من أجل هدم الدين وإسقاط الفرائض الشرعية فقد أولوا الوضوء بمتابعتهم إمامهم الأعظم أو المنتظر، وأولوا الغسل بتجديد العهد، وأولوا الصوم بكف النفس عما يترتب عليه مفسدة، كما أولوا الصلاة بالنبي ﷺ، وقد أثبتت وثائق التاريخ عنهم بأنَّهم أباحوا لأنفسهم نكاح البنات والأخوات وشرب الخمور وجميع الملذات وقد ظهر منهم غلام بعد سليمان بن الحسن القرمطي بالبحرين والأحساء سن لأتباعه اللواط وأوجب قتل الغلام الذي يمتنع على من يريد الفجور به ولا غرابة أن تصدر عنهم هذه البدع الكفرية الجهنمية فالقوم من غلاة الشيعة الرافضة الأبالسة كفى الله المسلمين شرهم.

(٢) **القرامطة**: هم أتباع حمدان بن قرمط رجل من دعاتهم وهم متفرعون من الباطنية ولهم

وطريقتهم: هي إنكار أسماء الله الحسنى وصفاته العلى ونفيها نفيًا مجردًا عن الإثبات إذ لا يثبتون إلا ذات الله مجردة عن كل اسم كريم وصفة كمال ضاربين بنصوص الكتاب والسنة عرض الحائط محكمين عقولهم الفاسدة وشياطينهم المضلة الَّتي أملت عليهم أن إثبات الأسماء الحسنى والصفات العلى للرب الكريم رب السموات السبع ورب العرش العظيم تستلزم تشبيهه بمخلوقاته كما تستلزم تعدد الذات بتعدد الأسماء والصفات.

وهذا زعم باطل وجهل بالله عظيم جعلهم لا يفرقون بين صفات الخالق العظيم وبين صفات المخلوق الضعيف، إذ القوم لا يعلمون من صفات الخالق إلا ما فهموه من صفات المخلوق، ولو أنَّهم علموا أن التشابه بين صفات الخالق وصفات المخلوق إنما هو في اللفظ فقط أما الكنه والحقيقة فإن صفات الخالق تخصه وتليق بجلاله وصفات المخلوق تخصه وتليق بحاله.

وبذلك يسقط باطل أولئك الغلاة، أعني: الذين غلو في الإثبات والذين غلو في النفي في باب أسماء الله الحسنى وصفاته العلى: ﴿**وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ**﴾ [فاطر: من الآية٤٣].

قال شيخنا حافظ بن أحمد الحكمي -رحمه الله-: فصفات الباري -تبارك

=

ألقاب متعددة كالزمية والبابكية والمحمرة والسبعية والتعليمية وهم زنادقة ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض انظر رسالة "القرامطة" لابن الجوزي، "والفرق بين الفرق" للبغدادي وغيرهما من كتب الملل والنحل.

وتعالى- قائمة به أزلية بأزليته باقية ببقائه لَم يزل متصفًا بِها ولا يزال كذلك لَم تجدد له صفة لَم يكن متصفًا بِها، أو لا تنفد صفة كان متصفًا بِها بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

المعتزلة

ليست المعتزلة فرقة واحدة بل هي فرق متعددة أوصلها بعض العلماء بالتتبع والاستقراء إلى عشرين فرقة[(١)] كل فرقة منها تكفر سائرها غير أنَّها تجمعهم أصول خمسة من لَم يقل بِها جميعًا فليس معتزليًّا بالمعنى الصحيح عندهم وهي:

١- **التوحيد**: وهو عندهم يتضمن التعطيل ونفي الصفات عن الله ﷻ.

٢- **العدل**: وهو يتضمن التكذيب بالقدر.

٣- **الْمَنْزلة بين الْمَنْزلتين**: وهي عندهم أن الفاسق الملي لا يسمى مؤمنًا بوجه من الوجوه ، كما لا يسمى كافرًا فنَزلوه منْزلة بين منْزلتين هذا في الدنيا، أما في الآخرة إذا مات الموحد وهو مرتكب كبيرة من كبائر الذنوب ولَم يتب منها فهو خالد مخلد في النار ولا حظ له في الشفاعة ولا نصيب له في الجنة ولو كان من أهل التوحيد.

٤- **إنفاذ الوعيد**: وهو عندهم أن فساق الملة الإسلامية مخلدون في النار ولا يخرجون منها بشفاعة ولا غير ذلك كما تقوله الخوارج أيضًا.

٥- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: ومعناه عندهم الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف بدون التزام لوصية النَّبي ﷺ بالسمع والطاعة لولي

(١) انظر الفرق بين الفرق (ص١١٤).

الأمر ما لَم يظهر كفرًا بواحًا فيه من الله برهان.

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية بعد أن ذكر أركان الإيْمان المنصوص عليها في حديث جبريل المشهور[١] وسؤاله للنبي ﷺ ما نصه: "وقد أبدلتها المعتزلة بأصولهم الخمسة الَّتِي هدموا بِها كثيرًا من الدين فإنَّهم بنوا أصل دينهم على الجسم والعرض الذي هو الموصوف والصفة عندهم، واحتجوا بالصفات الَّتِي هي الأعراض على حدوث الموصوف الذي هو الجسم وتكلموا في التوحيد على هذا الأصل فنفوا عن الله كل صفة تشبيهًا بالصفات الموجودة في الموصوفات الَّتِي هي الأجسام.

ثم تكلموا بعد ذلك في أفعاله الَّتِي هي القدر وسموا ذلك: "العدل".

ثم تكلموا في النبوة والشرائع والأمر والنهي والوعد والوعيد، وهي مسائل الأسماء والأحكام الَّتِي هي المنْزلة بين المنْزلتين ومسألة إنفاذ الوعيد.

ثم تكلموا في إلزام الغير بذلك الذي هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وضمنوه جواز الخروج على الأئمة بالقتال.

فهذه أصولهم الخمسة الَّتِي وضعوها بإزاء أصول الدين الخمسة الَّتِي بعث بِها الرسول"[٢]. انتهى.

---

(١) قال: «**أخبرني عن الإيْمان؟ فقال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**». وهو متفق عليه.

(٢) شرح الطحاوية (ص٣١٦).

شبهتهم في نفي الصفات والرد عليها عقلاً ونقلاً

أما شبهتهم في ذلك: فإنَّهم اعتقدوا أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه لأنه لا يوجد شيء في نظرهم متصف بالصفات إلاَّ جسم، والأجسام متماثلة فإثبات الصفات يستلزم التشبيه.

والرد على هذه الشبهة بأدلة عقلية ونقلية منها:

١- **أن يقال لهم:** إن الله -تبارك وتعالى- سمى نفسه بأسماء ووصفها بصفات، فإن كان إثبات الصفات يستلزم التشبيه في زعمكم، فإثبات الأسماء الَّتِي أثبتموها مجردة عن المعاني يستلزم التشبيه، وعليه فقد وقعتم فيما منه فررتم.

٢- إن كل موجود لابد له من صفة ولا يمكن وجود ذات مجردة عن الصفات، وعليه فلابد أن يكون الخالق الواجب الوجود الواهب الكمال متصفًا بصفات الجلال والكمال.

ومنها أن يقال لهم: إن قولكم بأن الله عليم بلا علم وسميع بلا سمع وبصير بلا بصر وقدير بلا قدرة وهلم جرًّا.

قول باطل مخالف للسان العربي بل وغير العربي فإن من المسلَّم به في جميع اللغات أن المشتق دال على المعنى المشتق منه، وعليه فلا يتصور أن

يقال: عليم.. لمن لا علم له، ولا بصير لمن لا بصر له، ولا سميع لمن لا سمع له، ولا قدير لمن لا قدرة له. وإذا كان الأمر كذلك فإنه يلزم قطعًا أن تكون أسماء الله دالة على ما تقتضيه من الصفات الذاتية والفعلية.

كما يرد على دعواهم الباطلة حيث قالوا: لا يوجد شيء متصف بصفات إلا جسم.

فيقال لهم: إن ذلك منقوض بأمور:

منها: أنه يوجد في الأشياء ما يصح أن يوصف بصفات وليس بجسم فقد ورد في اللغة الَّتِي نزل بِها القرآن ما يثبت ذلك حيث قالوا: ليل طويل ونَهار قصير وحر شديد وفي القرآن: ﴿**وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً**﴾ [الإنسان: من الآية٢٦] .

ومنها: أن إضافة لفظ الجسم إلى الله تعالى إثباتًا أو نفيًا من الطرق البدعية الَّتِي يتوصل بِها أهل التعطيل إلى نفي صفات الباري سبحانه الَّتِي أثبتها لنفسه.

وأما الأدلة النقلية فهي كثيرة جدًّا منها:

قول الله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِها**﴾ [الأعراف: من الآية ١٨٠]. فالآية ترشد إلى أن هذه الأسماء الحسنى دالة على معاني عظيمة تكون وسيلة للأمة في دعائهم ويستحيل خلوها عن تلك المعاني الَّتِي فهمها علماء السلف وأهل الأثر.

ومنها: قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى:١١].

وهذه الآية فيها رد صريح على الممثلة الضالة وعلى المعطلة الزائغة، حيث إن الله جمع فيها بين نفي النقائص والعيوب عن ذاته المقدسة وأسمائه الحسنى وصفاته العلى وبين إثبات تلك الأسماء والصفات على الوجه اللائق بعظمته وجلاله.

ومنها: قول الله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:٥].

وقوله: ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾ [الفجر:٢٢].

وقول النَّبي الكريم ﷺ: «**ينْزل ربنا -تبارك وتعالى- كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**»(١). متفق عليه.

وكل هذه النصوص ونظائرها من النصوص المحكمات في الكتاب والسنة تدل على ثبوت الصفات الكريمة على الوجه اللائق بالموصوف بها -جل وعلا-.

* * * * *

(١) أخرجه البخاري في كتاب التهجد باب الدعاء والصلاة من آخر الليل (ج٢ ص٤٧)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل (ج١ رقم ٧٥٨ ص٥٢١).

موقف أئمة السلف من الجهمية والمعتزلة الغلاتية

لقد وفق الله -بمنه وكرمه- الفرقة الناجية الطائفة المنصورة أهل السنة والجماعة للعناية الخالصة والفهم الصحيح لكتاب ربِّهم وسنة نبيهم ﷺ فهدوا إلى الحق في كل باب من أبواب العلم الشرعي الشريف، وهدوا إلى صراط مستقيم في العمل بِهذا العلم ونشره والدعوة إليه والصبر على الأذى في تبليغه، ولقد ردوا على هاتين الطائفتين الزائغتين عن منارات الهدى وجاهدوهم بنصوص الكتاب والسنة جهادًا كبيرًا فأوضحوا الحق للخلق في باب الأسماء والصفات وغيره من أبواب العلم ومراتب الدين وفروع المسائل والأحكام، وردوا على أهل الشبهات والأهواء وحكموا بالكفر على من أكفرته نصوص الكتاب والسنة بعد أن بينوا لهم الحق بدليله.

ومن جملة من حكم عليهم بالكفر أئمة السلف هاتان الطائفتان:

١- الجهمية الغلاة.

٢- والمعتزلة الغلاة.

أما الأولى: فقد نفت عن الله كل اسم كريم سمى به نفسه في كتابه أو في سنة رسوله وكل صفة كمال تليق بعظمته وجلاله ثبتت في وحي الله المَنزل على رسوله ﷺ.

وأما الثانية: فقد أثبتت لله أسماء مجردة عن المعاني واتفقوا جميعًا على القول بخلق القرآن، وعلى نفي كثير من أصول الاعتقاد الثابتة بنصوص الكتاب والسنة عرف ثبوت نفيها منهم بالتتبع والاستقراء كما اتفقوا على عدم الانقياد للحق وعلى السعي بالفساد ونشره بين العباد لذا فلا غرابة أن يصرح كثير من أئمة السلف بكفرهم.

فقد ثبت عن سفيان بن سعيد الثوري أمير المؤمنين في الحديث أنه قال: "من قال: إن ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۝ اللهُ الصَّمَدُ**﴾ مخلوق فهو كافر"[1].

وقال الإمام مالك: "من قال: القرآن مخلوق يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه[2].

وقال عبد الله بن المبارك: "الجهمية كفار"[3].

وقال محمد بن أعين -ثقة صدوق-: "سمعت النضر بن محمد يقول: من قال: ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي**﴾ مخلوق فهو كافر"[4].

وقال عبد الله بن إدريس الأودي ويحيى بن يوسف الزمي: "كنا عند عبد الله بن إدريس فجاءه رجل فقال: يا أبا محمد ما تقول: في قوم

(١) رواه عبد الله بن أحمد رقم (١٣) بسند جيد.

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في السنة لابن الطبري رقم (٤٩٥) بسند صالح.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد رقم (١٥) بسند صحيح.

(٤) رواه عبد الله بن أحمد رقم (١٩) بسند جيد.

يقولون: القرآن مخلوق؟ فقال: أمن اليهود؟ قال: لا. قال: فمن النصارى؟ قال: لا. قال: فمن المجوس؟ قال: لا. قال:فممن؟ قال: من أهل التوحيد. قال: ليس هؤلاء من أهل التوحيد، هؤلاء زنادقة، من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن الله مخلوق، يقول الله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فالله لا يكون مخلوقًا والرحمن لا يكون مخلوقًا وهذا أصل الزنادقة، من قال هذا فعليه لعنة الله لا تجالسوهم ولا تناكحوهم"[(١)].

وقال سفيان بن عيينة: "القرآن كلام الله عَجَلَّ من قال: مخلوق فهو كافر ومن شك في كفره فهو كافر"[(٢)].

وقال حمزة بن سعيد المروزي: "سألت أبا بكر بن عياش قلت: يا أبا بكر قد بلغك ما كان من أمر ابن علية في القرآن فما تقول؟ فقال: اسمع إِلَيَّ ويلك من زعم لك أن القرآن مخلوق فهو عندنا كافر زنديق عدو الله لا تجالسه ولا تكلمه".

وقال عبد الرحمن بن مهدي لما قيل له: "إن الجهمية يقولون: إن القرآن مخلوق. فقال: إن الجهمية لَم يريدوا ذا، وإنما أرادوا أن ينفوا أن يكون الرحمن على العرش استوى، وأرادوا أن ينفوا أن يكون الله تعالى كلم موسى، وقال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: من الآية١٦٤].

---

(١) البخاري في خلق أفعال العباد رقم (٥) وعبد الله بن أحمد في السنة رقم (٢٩) والآجري في كتاب الشريعة (ص٧٨).

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة بسند صحيح.

وأرادوا أن ينفوا أن يكون القرآن كلام الله تعالى، أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم".

وقال القاضي **أحمد بن كامل** -وكان ثقة فاضلاً-: "سمعت أبا جعفر محمد بن جرير الطبري ما لا أحصي يقول: من قال: القرآن مخلوق معتقدًا له فهو كافر حلال الدم والمال لا يرثه ورثته من المسلمين، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه. فقلت له: عمن لا يرثه ورثته من المسلمين؟ قال: عن يحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي. قيل للقاضي ابن كامل: فلمن يكون ماله؟ قال: فيئًا للمسلمين"[١].

وهؤلاء قليل من عدد كثير ممن حكموا على أولئك الطائفتين المنحرفتين بالكفر.

وأخيرًا: وبعد أن علمت أيها القارئ الكريم بعضًا من انحرافاتهم وحكم أئمة السلف عليهم فعليك أن تحذر أصحاب البدع والأهواء عمومًا وبالأخص من كانت بدعته تتعلق بالعقيدة أو الشعائر التعبدية أو منهج الجهاد في سبيل الله والدعوة إليه والله المستعان.

٣- **الكلابية**[٢].

٤- **الأشاعرة**[٣].

---

(١) رواه الطبري في السنة (٥١٤) بسند صحيح.

(٢) **الكلابية**: هم أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب المتوفى سنة (٢٤٠).

(٣) **الأشاعرة**: اسم للمذهب المنسوب إلى أبي الحسن الأشعري، والذي يجب أن يعرف عن

٥- والماتريدية[١].

وهؤلاء لهم مخالفات شهيرة لأهل السنة والجماعة في باب أسماء الله

أبي الحسن الأشعري هو ما قاله الشيخ محب الدين الخطيب أنه مرت به ثلاثة أدوار:
الأول: أنه كان من المعتزلة في البصرة.
الثاني: يقظته لفساد مذهبهم لكنه دخل معهم في جدل طويل بأساليبهم وأقيستهم وقد استمر على ذلك نحو عشرين سنة ألف فيها أكثر كتبه ومن هذا الجدل مع المعتزلة ومن هذه الكتب نشأ المذهب المنسوب إليه وهو الذي اضطر شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم على إدحاضه والتنبيه على ما يخالف منه مذهب السلف.
أما الدور الثالث من حياة الأشعري: فهو الذي ختم الله به حياته بالحسنى بعد انتقاله من البصرة إلى بغداد، واتصاله بأهل الحديث وأتباع الإمام أحمد، وفي هذه الحقبة ألف كتاب "مقالات الإسلاميين" وكتاب "الإبانة"، ولا شك أن الإبانة من آخر مصنفاته إن لَم تكن آخرها كما نص عليه مترجموه، ففي هذين الكتابين مذهبه الذي أراد أن يلقى الله عليه، والذي كان عليه في البصرة هو الذي اشتهر عنه وبقي منسوبًا إليه، وهو بريء منه كبراءته من الاعتزال الذي كان من رجاله في صدر حياته.

(١) **الماتريدية:** هم طائفة وافقت الأشاعرة في أمور وخالفتها في أخرى وهم أتباع أبي منصور محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي المعدود من فقهاء الحنفية وما كان له أتباع في أول أمره وإنَّما أحيا مذهبه بعض أتباعه بعد مدة طويلة من وفاته وبعد ذلك ظهرت هذه الطائفة "الماتريدية" الَّتي ظهر معتقدها وصار له أتباع وانتشر المذهب الأشعري والماتريدي في أقطار العالم وغالبًا تجد أن هذا المذهب هو المسلم به في المؤسسات التعليمية في كثير من دول العالم الإسلامي، وقد حمى الله هذه الديار السعودية من النحل المبتدعة والمذاهب الهدامة وهداها لمذهب الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة وكم -ولله الحمد والمنة- من أفراد وجماعات في دنيا البشر قد أنكروا على أهل النحل الباطلة ونصروا مذهب أهل السنة والجماعة.

وصفاته وفي غيرها من أبواب العلم كما أن لهم موافقات لأهل السنة والجماعة في مسائل كثيرة من مسائل العلم، كذلك كما هو معلوم بالتتبع والاستقراء لكتب العلوم الشرعية.

فأما في باب الأسماء والصفات فهم معطلة تعطيلاً جزئيًا حيث إنَّهم لَم يثبتوا لله ﷻ من صفات كماله إلا سبع صفات بحجة أن العقل يقضي بإثباتها وهي: الحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر، قالوا: لأن إيجاد المخلوقات يدل على القدرة، وتخصيص بعض المخلوقات بما يختص به يدل على الإرادة، وإحكام وبديع صنعها يدل على العلم وثلاثتها تدل على الحياة لأنَّها لا تقوم إلا بحي، والحي أيضًا إما أن يتصف بالكلام والسمع والبصر وهي صفات كمال كما علمت، وإما أن يتصف بضدها وهو الخرس والصمم والعمى، قالوا: وهذه صفة ممتنعة على الله وعليه فلا محيص من إثبات السمع والبصر والكلام للباري، أما ما عدا هذه الصفات السبع فإنَّهم يؤولونَها تأويلاً باطلاً يخرجها عن المعاني الصحيحة الشرعية الَّتِي فهمها السلف الصالحون وأتباعهم إلى يوم الدين.

فقد أولوا الاستواء في قول الله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:٥]. في جميع مواضعها بالاستيلاء والقهر.

وأولوا نزول الباري سبحانه في قول النَّبِي ﷺ: «**ينْزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر**»[1] الحديث. بنُزول أمره أو

---

(١) سبق تخريجه.

نزول ملائكته.

وأولوا الرضا في جميع مواضعه بلازمه أو إرادة لازمه وهو العطاء أو الإنعام أو الثواب الجزيل.

وأولوا نصوص صفة السخط والمقت في جميع مواضعها بالانتقام أو بإرادة الانتقام، وفعلوا مثل ذلك في سائر الصفات الخبرية وغيرها من بقية الصفات الثابتة للباري سبحانه ما عدا الصفات السبع الَّتِي سبق ذكرها وبيان ما اعتمدوا عليه في إثباتها.

أما بالنسبة لقول هؤلاء في المراد بكلام الله فقد أتوا فيه بما لا تشتهي السفن وسلكوا فيها مسلكًا خطيرًا كغيرهم من طوائف الانحراف في باب أسماء الله وصفاته الَّتِي هي من جملتها كلامه سبحانه حيث قال الكلابية والأشاعرة في تعريفه: هو معنى واحد قائم بذات الله.. هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار إن عبر عنه بالعربية كان قرآنًا، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً، وإن هذه الألفاظ عبارة عنه عند الأشعرية وحكاية عند الكلابية.

أما الماتريدية فهو يقول: إن كلام الله يتضمن معنى قائمًا بذاته وهو ما خلقه في غيره وعلى كل حال فجميعهم متفقون في أصل المقالة ومشتركون في مخالفة أهل السنة والجماعة ولقد ذكر ابن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية أن الناس افترقوا في صفة كلام الله على تسعة أقوال:

أحدها: أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من المعاني: إما من

العقل الفعال عند بعضهم، أو من غيره وهذا قول الصابئة والمتفلسفة.

وثانيها: أنه مخلوق خلقه الله منفصلاً عنه وهذا قول المعتزلة.

وثالثها: أنه معنى قائم بذات الله هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار إن عبر عنه بالعربية كان قرآنًا، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة، وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه كالأشعري وغيره.

ورابعًا: أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل وهذا قول طائفة من أهل الكلام وأهل الحديث.

وخامسها: أنه حروف وأصوات لكن تكلم الله بِها بعد أن لَم يكن متكلمًا وهذا قول الكرامية وغيرهم.

وسادسها: إن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته وهذا يقوله صاحب المعتبر ويميل إليه الرازي في المطالب العالية.

وسابعها: إن كلامه يتضمن معنى قائمًا بذاته وهو ما خلقه في غيره وهذا قول أبي منصور الماتريدي -رحمه الله-.

و ثامنها: أنه مشترك بين المعنى القديْم والقائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات وهذا قول أبي المعالي ومن تبعه.

وتاسعها: أنه تعالى لَم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وهو يتكلم بصوت يسمع وأن نوع الكلام قديْم وإن لَم يكن الصوت المعين قديْما وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة.

قلت: وطرق الرد على الأشاعرة ومن ضاهاهم ممن علمت عقلية ونقلية.

أما النقلية: فهي أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر وقد سبقت أمثلة منها مع بيان ما دلت عليه من المعاني الصحيحة الَّتي يحرم على المكلف تحريفها أو تعطيلها كما يحرم تأويلها بالمعاني الباطلة كما صنع هؤلاء الأشاعرة ومن وافقهم في طريق التأويل المذموم.

وأما الطرق العقلية: فسأكتفي بعقد مناظرة سريعة بين سُنِّي وأشعري.

حيث قال السني للأشعري: الذي لا يثبت لله على الوجه الصحيح إلا سبع صفات، ويؤول سائر نصوص الصفات بالتأويل المذموم ، على أي أساس تثبت هذه السبع الصفات وتؤول غيرها.

قال الأشعري: أثبت هذه السبع فقط لأن العقل أثبتها وأول غيرها من نصوص الصفات لأنَّها تستلزم تشبيه الخالق بالمخلوق والتجسيم.

فقال له السني: إن الرجوع إلى العقل في باب الأسماء والصفات وغيرها من المغيبات مخالفة ظاهرة لما عليه السلف الصالح، ومخالفة السلف مجانبة للخير ووقوع في الشر.

كما قيل:

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

كما قال له أيضًا: إنه يلزمك أن تثبت سائر الصفات على الوجه الصحيح الذي أثبت عليه تلك السبع لأن الباب واحد، إذ القول في الصفات فرع عن الكلام في الذات والقول الحق في صفة واحدة يجب أن

يكون في جميع الصفات وعليه فالتفريق بين الصفات من حيث إثبات البعض وتعطيل البعض الآخر أو تأويل نصوصها تأويلاً مذمومًا يعتبر تحكمًا غير مقبول، كيف لا والقول فيها توقيفي لا مجال للاجتهاد فيه.

وانتهت المناظرة السريعة بانتصار السني وانقطاع الأشعري في هذا الموضوع وانقطاع غيره كالمعتزلي والجهمي ونحوهم من باب أولى. والله المستعان.

وبعد هذا الحديث المختصر المفصل عن طائفتي التشبيه والتعطيل وبيان مواقفهم الخاطئة في باب أسماء الله الحسنى وصفاته العلى فإن أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا هم -كما أسلفت- وسط بين هاتين الطائفتين في هذا الباب وذلك أنَّهم يثبتون لله -تبارك وتعالى- أسماءه الحسنى وصفاته الكريمة العليا الَّتي وردت في نصوص الكتاب العزيز والسنة الثابتة الصحيحة إثباتًا من غير تشبيه لها بصفات المخلوقين، ومن غير تعطيل لها بأي نوع من أنواع التعطيل بل على أساس الفهم الحق الذي فهموه من قول الحق ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: من الآية ١١].

وعليه فهم بريئون من فكر أصناف المشبهة وأنواع المعطلة في هذا الباب العظيم، كما أنَّهم بريئون من قول الواقفة الذين قالوا: "لا نقول القرآن مخلوق ولا غير مخلوق". وقد سئل عنهم الإمام أحمد وقال: هم شر من الجهمية. وبريئون من المفوضة الذين يفوضون علم معاني الصفات

ويدعون أن هذا هو مذهب السلف.

والحق أنَّهم ضلوا فيما ذهبوا إليه وكذبوا على السلف فيما نسبوه إليهم فإن السلف لَم يفوضوا علم المعنى وإنما يفوضون علم الكيفية فقط فقد تواترت النقول عن السلف بإثبات معاني نصوص الصفات إجمالاً وتفصيلاً.

فمن الإجمال قولهم: "أمروا كما جاءت بلا كيف".

ومن التفصيل: ما ثبت عن الإمام مالك وشيخه ربيعة في الاستواء: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول والإيْمان به واجب والسؤال عنه بدعة"[(١)].

وقد رد الإمام ابن تيمية على انحراف المفوضة بقوله: "وأما التفويض فمن المعلوم أن الله أمرنا بتدبر القرآن وحضنا على عقله وفهمه فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله...

إلى أن قال: فعلى قول هؤلاء " المفوضة " يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص، ولا الملائكة ولا السابقون الأولون، وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه بل يقولون كلامًا لا يعقلون معناه...

إلى أن قال -رحمه الله-: ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء، إذ

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة رقم (٢٢٥).

كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدى وبيانًا للناس، وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين، وأن يبين للناس ما نزل إليهم، وأمر بتدبر القرآن وعقله ومع هذا فأشرف ما فيه هو ما أخبر به الرب عن صفاته أو عن كونه خالقًا لكل شيء وهو بكل شيء عليم أو عن كون أمر ونَهي ووعد وتوعد أو عما أخبر به عن اليوم الآخر لا يعلم أحد معناه فلا يعقل ولا يتدبر، ولا يكون الرسول بين للناس ما نزل إليهم ولا بلغ البلاغ المبين.

وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع: الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي ؛ وليس في النصوص ما يناقض ذلك لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة ولا يعلم أحد معناها، وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يستدل به. فيبقى هذا الكلام سدًّا لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء وفتحًا لباب من يعارضهم ويقول: إن الهدى والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء لأنا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية، والأنبياء لَم يعلموا ما يقولون فضلاً عن أن يبينوا مرادهم فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنَّهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد"[1]. انتهى كلامه -رحمه الله-.

وإذا كنت قد عرفت فيما تقدم تدوينه براءة أهل السنة والجماعة

(١) انظر كتابه القيم "درء تعارض العقل والنقل" المعروف باسم "العقل والنقل" (١/١٦) المطبوع على هامش منهاج السنة (١/٢٠١)، تحقيق رشاد سالم -رحمه الله-.

من انحراف واتجاه تلك الطوائف الآنفة الذكر بما يتعلق من الحديث عن ذات الله وأسمائه وصفاته، فلتعلم يا أخي المسلم أنَّهم أشد براءة من كل كافر ومشرك وملحد وزنديق من الذين ألحدوا في آيات الله واتخذوا سبيل الغي سبيلاً وأخص بالذكر منهم:

أ- **الطائفة الحلولية:** الذين يزعمون أن معبودهم في كل مكان بذاته وينَزهونه عن استوائه على عرشه وعلوه على خلقه ولم يصونوه عن أقبح الأماكن وأقذرها وهؤلاء قدماء الجهمية الذين تصدى للرد عليهم أئمة الحديث كالإمام أحمد وغيره.

ب- **الطائفة الثانية الاتحادية:** وهم الذين يقولون: إن الوجود بأسره هو الحق وأن الكثرة وهم وأن جميع الأشياء شيء واحد هو معبودهم في زعمهم، وهؤلاء هم طائفة ابن عربي الطائي صاحب الفتوحات المكية وفصوص الحكم وغيرهما من مؤلفات الكفر والإلحاد.

ج- **الطائفة الثالثة الفلاسفة:** وهم الذين قالوا: إن كلام الله فيض فاض من العقل الفعال وهم أتباع أرسطو، وأنت ترى أن مقالات هذه الطوائف مقالات كفر وإلحاد على أصحابها ما يستحقون من الله في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد [1].

وأهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية.

---

(١) انظر معارج القبول (ج١ ص٢٤٥) وما بعدها.

حيث قالت الجبرية: إن العبد مجبور على فعله لا اختيار له فيه بل مثله كمثل الهاوي من أعلى إلى أسفل وكالسعفة تحركها الرياح، وعليه فإن الطاعات والمعاصي من أقوال العباد وأعمالهم هي عندهم عين فعل الله ﷻ وبهذا المعتقد الباطل رفعوا اللوم عن كل كافر وفاسق وعاص وأن الله يعذبُهم على نفس فعله لا على أعمالهم القبيحة وهذه نزعة إبليسية جهمية وكفر واضح صريح لأن معتقدهم هذا مبني على زعمهم أن الحجة على الله ثابتة لكل كافر وفاسق وعاص[١].

وأما القدرية نفاة القدر فقد ذكر الشيخ/ حافظ الحكمي أنَّهم فرقتان:

فرقة نفت تقدير الخير والشر بالكلية وجعلت العباد هم الخالقين لأفعالهم خيرها وشرها وهذا عين معتقد الطبائعية الدهرية الذين لَم يثبتوا خالقًا أصلاً.

وفرقة نفت عن الله تقدير الشر دون الخير فاعتبروا الخير من الله والشر من العباد وعليه فقد أثبتوا مع الله تعالى خالقًا، بل جعلوا العباد كلهم خالقين، ونفوا أن يكون الله هو المتصرف وحده في ملكوته، وهذا عين معتقد الثانوية الذين أثبتوا خالقين: خالقًا للخير، وخالقًا للشر -قبحهم الله-[٢].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر المصدر السابق (ص٢٤٦).

وأما أهل السنة والجماعة فإنَّهم وسط في هذا الباب بين هاتين الطائفتين ذلك لأنَّهم يؤمنون حق الإيْمان أن القدر هو النظام الوحيد.

ويؤمنون بأن الله -تبارك اسمه- هو المقدر لجميع الكائنات علويها وسفليها كلياتِها وجزئياتِها ناطقها وصامتها متحركها وساكنها قد سبق بذلك علمه المحيط بكل شيء ووافقته حكمته الكاملة ومشيئته النافذة.

قال الإمام النووي -رحمه الله -: "إن الله -تبارك وتعالى- قدر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه أنَّها ستقع في أوقات معلومة عنده وعلى صفات مخصوصة فهي تقع حسب ما قدرها".

قلت: ومستند سلفنا -رحمهم الله- على معتقدهم الحق في هذا الباب آيات محكمات وأحاديث صريحة مسندة منها:

قول الله تعالى: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر:٤٩].

وقوله -تبارك وتعالى-: ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا**﴾ [الفرقان: من الآية٢].

وقوله ﷻ: ﴿**وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ**﴾ [الرعد: من الآية٨].

ومن السنة ما ثبت في الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»[1].

---

(١) أحمد في المسند (ج٢ ص١٦٩)، ومسلم في القدر باب حجاج آدم وموسى -عليهما السلام- (ج٤ رقم ٢٦٥٣ ص٢٠٤٤).

ومنها: ما رواه البخاري ومسلم من حديث علي بن أبي طالب ﷺ أن النَّبِي ﷺ قال: «... **وما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار أو من الجنة.** فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: **لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له.** ثُمَّ قرأ: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى**﴾»[1].

وعليه فإن كل أعمال المخلوقات وتحركاتها الاختيارية وغير الاختيارية ليست خارجة عن إرادة الله الكونية ومشيئته النافذة بل كل ما يقع في العالم العلوي والعالم السفلي من خير وشر على اختلاف كلياتهما وتنوع جزئياتهما إلى أن تقوم الساعة وتستقر الخلائق في منازلها، وتنال ما كتب لها أو عليها، وما كان قبل ذلك وما يكون بعد ذلك إلا وقد جرى به القلم بأمر من علَّم بالقلم علم الإنسان ما لَم يعلم.

ويؤمنون بِما ثبت بالاستقراء والتتبع لنصوص الشرع الشريف أن للقدر أربع مراتب:

المرتبة الأولى: الإيْمان بعلم الله المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات فقد علم ما كان وما يكون، وما لَم يكن لو كان كيف يكون، وأنه سبحانه عالم ما الخلق عاملون قبل أن

---

(١) البخاري في كتاب التفسير باب قوله: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى**﴾ (ج٦ ص١٤١)، ومسلم في كتاب القدر باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (ج٤ رقم ٢٦٤٧ ص٢٠٣٩).

يخلقهم وعلم أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم وأعمالهم وجميع حركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار قبل أن يخلقهم ومن قبل أن يخلق الجنة والنار، علم قليل ذلك وكثيره، ظاهره وباطنه، وسره وعلانيته، ومبدأه ومنتهاه، كما قال ﷻ: **﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾** [الحشر:٢٢].

المرتبة الثانية: الإيمان بالكتاب الذي لَم يفرط الله فيه من شيء، كما قال ﷻ: **﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾** [الأنعام: من الآية٣٨].

وقال أيضًا: **﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾** [يس: من الآية١٢].

وثبت في مسند الإمام أحمد من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان فقال: **أتدرون ما هذان الكتابان؟** قال: قلنا: إلا أن تخبرنا يا رسول الله. فقال للذي في يده اليمنى: **هذا كتاب من رب العالمين -تبارك وتعالى- بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدًا.** ثم قال للذي في يساره: **هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم.** فقال أصحاب رسول الله ﷺ: فلأي شيء إذن نعمل إذا كان هذا أمر مفروغ منه؟ قال رسول الله ﷺ: **سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم بعمل أهل الجنة، وإن صاحب النار يختم بعمل أهل النار، وإن عمل أي عمل.** ثم قال بيديه فقبضهما ثم

قال: **قد فرغ ربكم ﷻ من العباد**. ثم قال باليمنى فنبذها، فقال: **فريق في الجنة**. ونبذ باليسرى فقال: **فريق في السعير**»[(١)][(٢)].

المرتبة الثالثة: الإيْمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، فما شاء الله تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [يس:٨٢]. وما لَم يشأ لَم يكن لعدم مشيئته له لا لعدم قدرته عليه: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا**﴾ [فاطر: من الآية٤٤].

المرتبة الرابعة: مرتبة الخلق وهو الإيْمان بأن الله خالق كل شيء فهو خالق كل عامل وكل متحرك وحركته وكل ساكن وسكونه، وما من ذرة في السموات والأرض إلا والله خالقها وخالق حركتها وسكونها لا خالق غيره ولا رب سواه.

ويؤمنون بأن للعابد قدرة ومشيئة وإرادة وكلها تابعة لقدرة العلي القدير ومشيئته وإرادته، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [التكوير:٢٩].

---

(١) أحمد في المسند (ج٢ ص١٦٧)، بإسناد حسن، كما أخرجه الترمذي في كتاب القدر، باب ما جاء أن الله كتب كتابًا لأهل الجنة وأهل النار وقال: حديث حسن صحيح غريب.

(٢) انظر معارج القبول (ج٢ ص٢٢٥) الطبعة السلفية، والحياة في ظل العقيدة الإسلامية (ص٦٣) وما بعدها لراقم هذه الأحرف، وأعلام السنة المنشورة (ص١٤١) بتحقيق مصطفى أبو النصر الشلبي.

وقال ﷻ: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ [آل عمران: من الآية١٥٢].

ويؤمنون بأن الله لَم يكلف الخليقة المكلفة إلا بما يطيقون وقد جعل الله لهم من الوسائل ما به يتمكنون من العمل وأمرهم بفعل الخير ابتغاء مرضاته وثوابه ونَهاهم عن فعل الشر اتقاء سخطه وخشية عقابه وبين لهم سبحانه مراده منهم في محكم الكتب المنَزلة وعلى ألسنة الرسل المرسلة وليسوا بمجبورين على أعمالهم وليسوا بمسلوبي القدرة عليها كما ادعت الجبرية الظالمة، وليسوا بمستقلين بمشيئتهم وخالقين لأفعالهم مشاركين لله في خلقه وتقديره كما تدعي القدرية النفاة: ﴿فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: من الآية٤٤].

قال الشيخ حافظ في أعلام السنة المنشورة ما نصه:

"**س١٥٤: ما منْزلة الإيْمان بالقدر من الدين ؟.**

ج: الإيْمان بالقدر نظام التوحيد كما أن الإيْمان بالأسباب الَّتِي توصل إلى خيره وتحجز عن شره هي نظام الشرع ولا ينتظم أمر الدين ويستقيم إلا لمن آمن بالقدر وامتثل الشرع كما قرر النَّبِي ﷺ الإيْمان بالقدر، ثم قال لمن قال له: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»[1]. فمن نفى القدر زاعمًا منافاته للشرع فقد عطل الله تعالى عن علمه وقدرته وجعل العبد مستقلاً بأفعاله خالقًا

(١) سبق تخريجه.

لها فأثبت مع الله تعالى خالقًا بل أثبت جميع المخلوقين خالقون.

ومن أثبته -القدر- محتجًّا به على الشرع محاربًا له به نافيًا عن العبد قدرته واختياره الَّتي منحه الله إياها وكلفه بحسبها زاعمًا أن الله كلف عباده ما لا يطاق كتكليف الأعمى بنقط المصحف فقد نسب الله تعالى إلى الظلم وكان إمامه في ذلك إبليس -لعنه الله تعالى- إذ قال: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف:١٦].

وأما المؤمنون حقًّا فيؤمنون بالقدر خيره وشره وأن الله خالق ذلك كله وينقادون للشرع أمره ونهيه، ويحكمونه في أنفسهم سرًّا وجهرًا وأن الهداية والإضلال بيد الله يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله وهو أعلم بمواقع فضله وعدله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ [النجم: من الآية٣٠].

وله في ذلك الحكمة البالغة والحجة الدامغة، وأن الثواب والعقاب مترتب على الشرع فعلاً وتركًا لا على القدر، وإنما يعزون أنفسهم بالقدر عند المصائب.

فإذا وفقوا لحسنة عرفوا الحق لأهله فقالوا: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: من الآية٤٣].

ولَم يقولوا كما قال الفاجر: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: من الآية٧٨]

وإذا اقترفوا سيئة قالوا كما قال الأبوان: ﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا

وَإِنْ لَم تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣].

ولَم يقولوا كقول الشيطان الرجيم: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: من الآية٣٩].

وإذا أصابتهم مصيبة قالوا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: من الآية ١٥٦].

ولَم يقولوا كما قال الذين كفروا: ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: من الآية١٥٦]". انتهى كلامه -رحمه الله-.

قلت: وعندما يمعن القارئ الكريم النظر في هذا السؤال وجوابه يتضح له تقرير هذه المسألة بأقصر عبارة وأوضح أسلوب وأكمل جواب ذلك أنه رد على القدرية نفاة القدر المشابهين في معتقدهم لعباد الأصنام والأوثان، ويتضح له الرد الحاسم المؤيد بالأدلة على الجبرية الغلاة الذين احتجوا على خالقهم ومعبودهم بأنه سلب العباد قدراتهم وكلفهم بما لا يطاق، واتّهموه بالظلم الذي نزه نفسه منه في قوله الحق: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: من الآية٤٦].

بل نزه نفسه عن إرادته حيث قال ﷻ: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: من الآية١٠٨].

وتحسب الطائفتان أنّهم على شيء ألا إنّهم هم الكاذبون استحوذ

عليهم الشيطان وأعماهم الجهل وفتنتهم البدع والهوى وأولئك هم الخاسرون.

كما يتبين للقارئ المستفيد من الجواب وسطية أهل السنة والجماعة الذين هدوا إلى الحق وإلى صراط مستقيم في هذا الباب وفي غيره من أبواب العلم والعمل.

فهم -أهل السنة والجماعة- وسط في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم.

والذي ينبغي أن يعلم أن المرجئة أصناف متعددة:

الصنف الأول: الجهمية عرفوا الإيْمان بأنه هو المعرفة بالقلب فقط.

الصنف الثاني: الكرامية وقد عرفوه بأنه النطق باللسان فقط.

الصنف الثالث: المعتزلة والخوارج عرفوه بأنه قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح ولكن لا يزيد ولا ينقص وافترقوا، **فقالت المعتزلة:** صاحب الكبيرة في الدنيا في منْزلة بين المنْزلتين.

وقالت الخوارج: يكفر صاحب الكبيرة. واتفقوا جميعًا على خلوده في النار في الآخرة إذا مات ولَم يتب.

الصنف الرابع: بعض الفقهاء كأبي حنيفة وغيره قالوا: إن الإيْمان اعتقاد بالقلب وقول باللسان، وأخروا الركن الثالث وهو العمل عن مسمى الإيْمان مع اتفاقهم مع أهل السنة والجماعة على أن أهل الكبائر متوعدون بالنار.

الصنف الخامس: الأشاعرة والماتريدية قالوا: إن الإيْمان هو الاعتقاد بالقلب واختلفوا في الإقرار باللسان هل هو ركن زائد أو أصلي، وقد أشار إلى هذا صاحب الجوهرة منهم بقوله: وفسروا الإيْمان بالتصديق والنطق فيه الخلف بالتحقيق.

الصنف السادس: أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا عرفوا الإيْمان بما فهموه من نصوص الكتاب والسنة فقالوا: الإيْمان اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان ولهم على ذلك أدلتهم الصحيحة الصريحة من كتاب ربِّهم وسنة نبيهم ﷺ كما سبق، وكما سيأتي -إن شاء الله-، والذين قالوا: حقيقة الإيْمان قول وعمل يزيد وينقص يريدون بالعمل عمل القلب وعمل الجوارح، وإذ قد علمت أن قول أهل السنة والجماعة هو القول الحق فما عداه من الأقوال السالفة الذكر قبله ظاهرها وباطنها البطلان وبعضها أشد خبثًا من بعض في رأي علماء السلف.

قال الشيخ بكر أبو زيد -وفقه الله- نقلاً عن ابن جرير في نقد المرجئة ما نصه: "وبعد أن بين ابن جرير الطبري -رحمه الله تعالى-، معنى الإرجاء وأنه التأخير ساق بسنده عن ابن عيينة أنه سئل عن الإرجاء فقال: الإرجاء على وجهين قوم أرجئوا أمر علي وعثمان -رضي الله عنهما- فقد مضى أولئك، فأما المرجئة اليوم فهم يقولون: الإيْمان قول بلا عمل فلا تجالسوهم ولا تواكلوهم ولا تشاربوهم ولا تصلوا معهم

ولا تصلوا عليهم.

ثم قال الطبري بعد نقل آثار عنهم: والصواب من القول: في المعنى الذي من أجله سميت مرجئة أن يقال: إن الإرجاء معناه ما بينا قبل من تأخير الشيء، فمؤخر أمر علي وعثمان ﷺ وتارك ولايتهما والبراءة منهما مرجئًا أمرهما فهو مرجئ، ومؤخر العلم والطاعة عن الإيْمان مرجئهما عنه فهو مرجئ غير أن الأغلب من استعمال أهل المعرفة بمذاهب المختلفين في الديانات في دهرنا هذا الاسم فيمن كان من قوله: الإيْمان قول بلا عمل.

وفيمن كان مذهبه: أن الشرائع ليست من الإيْمان، وإنما الإيْمان هو التصديق بالقول دون العلم المصدق بوجوبه". انتهى.

وقال البخاري -ناقدًا المرجئة الذين يؤخرون العمل عن حقيقة الإيْمان-: "باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر".

وذكر آثارًا في الرد على المرجئة منها ما يأتي:

أ- **قال إبراهيم التيمي**: "ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذبًا".

ب- **ومنها قول ابن مليكة**: "أدركت ثلاثين من أصحاب النَّبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إنه على إيْمان جبريل وميكائيل"[1].

---

(١) البخاري في كتاب الإيْمان باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر (ج١ ص١٥).

ج- **ومنها ما رواه محمد بن عرعرة قال**: حدثنا شعبة عن زبيد قال: سألت أبا وائل عن المرجئة فقال: حدثني عبد الله أن النَّبي ﷺ قال: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»[١].

قال صاحب الفتح[٢]: هذا الباب معقود للرد على المرجئة خاصة". اهـ.

قلت: ووجه الدلالة من هذه الآثار وأمثالها مما هو في معناها من نصوص الكتاب والسنة هو أن الأعمال داخلة في مسمى الإيْمان وأنه يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي وأن أهله متفاضلون فيه تفاضلاً كثيرًا، وأن مرتكب الكبيرة إن لَم يتب منها يكون فاسقًا، لا كما يقول المرجئة من أنه مؤمن كامل الإيْمان.

وأما الوعيدية من الخوارج والمعتزلة القائلين بإنفاذ الوعيد على العصاة فإنَّهم غلو وتشددوا في ذلك فقالوا: إن مرتكب الكبيرة إذا مات ولَم يتب منها فهو خالد مخلد في النار ولو لَم يستحلها وهذا الحكم مبني على نفيهم للشفاعة في عصاة الموحدين وأن من دخل النار لا يخرج منها أبدًا.

أما في الحكم الدنيوي على صاحب الكبيرة فهو عند المعتزلة في

---

(١) البخاري في كتاب الإيْمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر (ج١ ص١٥)، ومسلم في كتاب الإيْمان باب بيان قول النَّبي ﷺ فسوق وقتاله كفر (ج١ رقم ٦٤ ص٨١).

(٢) انظر الفتح، كتاب الإيْمان (ج١ ص١٠٩-١١٠).

منْزلة بين المنْزلتين أي لا كافر ولا مسلم، وأما عند الخوارج فهو كافر حلال الدم والمال إذ ليس عندهم إلا كفر أو إسلام.

وهدى الله أهل السنة والجماعة لأنَّهم يطلبون الهداية من الله صادقين مخلصين، فتوسطوا بين الطرفين فعرفوا حقيقة الإيْمان من نصوص الكتاب والسنة وعرفوه بمعناه الحق وهو الاعتقاد بالقلب والنطق باللسان والعمل بالأركان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وعليه فمرتكب الكبيرة عندهم غير المستحل لها إن لَم يتب فهو آثم[1] ومعرض للوعيد وناقص الإيْمان بقدر ما اكتسب من الإثم وليس الأمر كما قالته المرجئة الغالية إنه كامل الإيْمان وغير معرض للوعيد.

وليس الأمر كما قالته الوعيدية من الخوارج والمعتزلة كما سبق قريبًا بل إنه لا يخرج من مطلق الإيْمان بكبيرته ولا يخلد في النار إن دخلها وهو تحت المشيئة إن شاء الله عفا عنه فلا يدخل النار أبدًا وإن شاء عذبه بقدر ما جنى ثم يئول إلى الجنة الَّتِي هي دار الموحدين وإن كانوا أصحاب كبائر.

ومن خلال هذا العرض يظهر لك معنى وسطية أهل السنة والجماعة في هذا الباب وهو أنَّهم جمعوا بين نصوص الوعد والوعيد بخلاف المرجئة فإنَّهم اقتصروا على نصوص الوعد، وبخلاف الوعيدية الذين اقتصروا على نصوص الوعيد.

---

(١) ما لَم تكن الكبيرة شركًا مخرجًا من الملة.

هذا ويتحفنا الآن ابن أبي العز من كلامه بشذرة فائقة تنشرح لها الصدور وتطمئن عند سماعها النفوس ويقوى الرجاء الشرعي في عظيم فضل الله وسعة رحمته وفي نفس الوقت تكون شجى في حلوق أولئك المتحجرين من الوعيدية فضل الواسع الكريم والمضيقين سعة رحمته الشاملة لعباده الموحدين حيث قال: "وأيضًا فإنه قد يعفى لصاحب الإحسان العظيم ما لا يعفى لغيره فإن فاعل السيئات يسقط عنه عقوبة جهنم بنحو عشرة أسباب عرفت بالاستقراء من الكتاب والسنة.

السبب الأول: التوبة: قال تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ تَابَ﴾ [مريم: من الآية٦٠] ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا﴾ [البقرة: من الآية١٦٠] وغيرها.

والتوبة النصوح -وهي الخالصة- لا يختص بِها ذنب دون ذنب لكن هل تتوقف صحتها على أن تكون عامة حتى لو تاب من ذنب وأصر على آخر لا تقبل، والصحيح أنَّها تقبل، وهل يجب الإسلام ما قبله من الشرك وغيره من الذنوب وإن لَم يتب منها أم لابد مع الإسلام من التوبة من غير الشرك حتى لو أسلم وهو مصر على الزنا وشرب الخمر مثلاً.

هل يؤاخذ بما كان منه في كفره من الزنا وشرب الخمر أم لابد أن يتوب من أولئك الذنب مع إسلامه، أو يتوب توبة عامة من كل ذنب وهذا هو الأصح، أنه لابد من التوبة مع الإسلام، وكون التوبة سببًا لغفران الذنوب وعدم المؤاخذة بِها مما لا خلاف فيه بين الأمة، وليس

شيء يكون سببًا لغفران جميع الذنوب إلا التوبة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

وهذا لمن تاب ولهذا قال: ﴿لا تَقْنَطُوا﴾ وقال بعدها: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: من الآية٥٤].

السبب الثاني: الاستغفار: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣].

لكن الاستغفار تارة يذكر وحده وتارة يقرن بالتوبة، فإن ذكر وحده دخلت معه التوبة كما إذا ذكرت التوبة وحدها شملت الاستغفار، فالتوبة تتضمن الاستغفار، والاستغفار يتضمن التوبة، وكل واحد منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق، وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى فالاستغفار طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله.

السبب الثالث: الحسنات فإن الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها فالويل لمن غلبت آحاده عشراته، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: من الآية١١٤].

وقال ﷺ: **«وأتبع السيئة الحسنة تمحها»**(١).

---

(١) هذه قطعة من حديث رواه أحمد (ج٥ ص١٥٣-١٥٨)، والدارمي في الرقاق باب في حسن الخلق من حديث أبي ذر ﷺ، ورواه أحمد أيضًا من حديث معاذ بن جبل (ج٥

السبب الرابع: المصائب الدنيوية قال ﷺ: **«ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا هم ولا غم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا كفر بها من خطاياه»**[(١)].

وجاء في المسند من حديث أبي هريرة ﷺ أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿**مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ**﴾ [النساء: من الآية١٢٣]. شقت على المسلمين وبلغت منهم ما شاء الله أن تبلغ فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال لهم: **«قاربوا وسددوا فكل ما يصاب به مسلم كفارة حتى النكبة ينكبها»**[(٢)]، ورواه مسلم بزيادة: **«والشوكة يشاكها»**.

فالمصائب نفسها مكفرة وبالصبر عليها يثاب العبد وبالسخط يأثم، فالصبر والتسخط أمر آخر غير المصيبة، فالمصيبة من فعل الله لا من فعل العبد وهي جزاء من الله للعبد على ذنبه، ويكفر ذنبه بها، وإنما يثاب المرء ويأثم على فعله، والصبر والسخط من فعله، وإن كان الأجر قد يحصل بغير عمل من العبد بل هدية من الغير أو فضل من الله من غير سبب، قال تعالى: ﴿**وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: من الآية٤٠].

ص٢٢٨، ٢٣٦)، والترمذي في كتاب البر باب ما جاء في معاشرة الناس رقم (١٩٨٨).

(١) البخاري في كتاب المرضى باب ما جاء في كفارة المرض (ج٧ ص٩٩)، ومسلم في البر والصلة باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك (ج٤ رقم ٢٥٧٣ ص١٩٩٢) عن أبي سعيد وأبي هريرة.

(٢) أحمد في المسند (ج٢ ص٢٤٨)، ومسلم في كتاب البر والصلة باب ثواب المؤمن. فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها برقم (٢٥٧٥).

فنفس المرض جزاء وكفارة لما تقدم وكثيرًا ما يفهم من الأجر غفران الذنوب وليس ذلك مدلوله، وإنما من لازمه.

السبب الخامس: عذاب القبر.

السبب السادس: دعاء المؤمنين واستغفارهم في الحياة وبعد الممات.

السبب السابع: ما يهدى إليه بعد الموت من ثواب صدقة أو قراءة قرآن(١) أو حج ونحو ذلك.

السبب الثامن: أهوال يوم القيامة وشدائده.

السبب التاسع: ما ثبت في الصحيحين أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة.

السبب العاشر: شفاعة الشافعين الَّتِي أشار إليها الشارح في بحث الشفاعة حيث قال: النوع الثامن شفاعته في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار فيخرجون منها، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث، وقد خفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة فخالفوا في ذلك جهلاً منهم بصحة الأحاديث وعنادًا ممن علم ذلك واستمر على بدعته، وهذه الشفاعة يشارك النَّبِي ﷺ فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضًا ومن أحاديث هذا النوع ما رواه الإمام أحمد وغيره من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال

---

(١) مسألة قراءة القرآن وإهداء ثوابها إلى الموتى فيها خلاف بين العلماء والذي يترجح لي عدم مشروعيتها لقول الله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ [النجم:٣٩].

رسول الله ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»[١].

السبب الحادي عشر: عفو أرحم الراحمين من غير شفاعة كما قال تعالى: ﴿**وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ [النساء: من الآية٤٨].

فإن كان ممن لَم يشاء الله أن يغفر له لعظم جرمه فلابد من دخوله إلى الكير ليخلص طيب إيْمانه من خبث معاصيه فلا يبقى في النار من في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيْمان، بل ممن قال: لا إله إلا الله. كما في حديث أنس الطويل، وفيه: «**فأقول: يا رب ائذن فيمن قال: لا إله إلا الله. فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله**»[٢] رواه مسلم". انتهى كلامه -رحمه الله- بشيء من التصرف[٣].

وهم -أهل السنة والجماعة- وسط في أصحاب رسول الله ﷺ بين الشيعة وبين الخوارج.

والشيعة الذين أقصدهم هنا هم الذين لا يعتبرون في ميزان الشرع من المسلمين بل هم مخالفون لهم في الأصول والفروع وهم صنفان:

الصنف الأول: الشيعة الغالية في كل زمان ومكان ابتداءً من زمن

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (ج٣ ص٢١٣)، وأبو داود في كتاب السنة باب في الشفاعة (ج ٤ رقم ٤٧٣٩ ص٢٣٦)، والترمذي في صفة القيامة باب ما جاء في الشفاعة (ج٤ رقم ٢٤٣٥ ص٦٢٥)، وابن ماجه في الزهد باب ذكر الشفاعة (ج٢ رقم ٤٣١ ص ١٤٤١)، وهو حديث صحيح.

(٢) مسلم في كتاب الإيْمان باب أدنى أهل الجنة منْزلة (ج١ رقم ١٨٣،١٨٢،١٩٣).

(٣) انظر شرح الطحاوية (ص٣٥٣) وما بعدها و(ص٢٣٠) أيضًا.

علي ﷺ والمراد بِهم من غلوا في علي ﷺ، فقالوا له: "أنت الإله". فأحرق قومًا منهم ونفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن وقد ذكر العلماء المتخصصون في بيان الملل والنحل أن عدد فرق هذا الصنف من الشيعة خمس عشرة فرقة كل فرقة لها زعماؤها الذين يقودونَها إلى سواء الجحيم.

الصنف الثاني: هم الإمامية الاثنا عشرية الجعفرية الرافضة[١] الذين رفضوا أبا بكر وعمر[٢] وأطلقوا عليهما الجبت والطاغوت في دعائهم الذي يسمونه دعاء صنمي قريش كما في كتابِهم مفتاح الجنان (ص١١٤) ونص الدعاء: "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد والعن صنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وابنتيهما".. ويريدون بابنتيهما أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين حفصه رضي الله عن الجميع.

يضاف إلى هذا القول الإجرامي الأثيم عقائد فاسدة لا تصدر إلا عن أمة خالفت أمة الإسلام في القول والفعل والمعتقد منها ما يلي:

١- الشرك بالله الممثل في عبادة الأحياء والأموات ممن يطلقون عليهم آية الله، وأئمتهم المعصومين في زعمهم وما يسمى بمقدساتِهم من

---

(١) وهم يشكلون الغالبية العظمى من الشيعة اليوم.

(٢) وأول ما أطلق هذا اللقب على مبغضي أبي بكر وعمر ﷺ عندما قال جماعة من الشيعة لزيد بن علي بن الحسين: لا نقاتل معك حتى تتبرأ من أبي بكر وعمر. قال: معاذ الله أن أبغضهما. فتخلوا عنه، فقال لهم زيد: رفضتموني أي تركتموني، فسموا رافضة.

الأضرحة المعبودة في ديارهم وهذه السوءة تكفي في الحكم على فاعليها بالكفر، وثبوتُها لا يحتاج إلى تكلف بإيراد أدلة في هذا المكان فإن الأمر من الوضوح والاستفاضة عند العالم الإسلامي وغيره بحيث لا يحتاج إلى ذلك.

٢- القول بالبداء[١] على الله المستلزم نسبه الجهل إلى الله الذي له كمال العلم كما قال ﷻ -وقوله الحق-: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: من الآية٦٤]

﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤].

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

٣- القول بعصمة علي بن أبي طالب ﷺ وكفر مخالفيه واعتبارهم كاتمين للحق مبدلين لشريعة الله ظلمًا وعدوانًا إلا قليلاً منهم كأبي ذر والمقداد بن الأسود وسلمان الفارسي.

٤- القول بعصمة الأئمة الاثني عشر المبدوئين بعلي ﷺ والمختومين بالمهدي الغائب المنتظر -في زعمهم- كما ادعوا لهم أنَّهم يعلمون الغيب

---

(١) **المراد بالبداء**: أي الظهور بعد الخفاء وهو أمر متحقق عند الشيعة الرافضة ومن نصوصهم المكذوبة: "ما عبد الله بشيء مثل البداء". انظر رسالة بطلان عقائد الشيعة (ص٤٠).

ومن جملة ما يعلمونه متى يموتون، ولا يموتون إلا باختيارهم.

٥- القول بأن إمامة الاثني عشر ركن الإسلام الأعظم وأنَّها منصب إلهي كالنبوة وأن الإمام يؤيد بالمعجزات لما له من العصمة المطلقة.

٦- تكذيبهم لرسول الله ﷺ في أخباره عن الأمور الغيبية كخلق السموات والأرض والحور العين وما في الجنة من نعيم ونحو ذلك فإنه لا يجب التدين به بعد العلم بصحة صدوره عن الرسول -عليه الصلاة والسلام- بخلاف ما أخبر به عن الأحكام الشرعية كالطهارة ونحوها فإنَّهم يدعون تصديقه فيها.

٧- ادعاء أن القرآن الكريم محرف قد زيد فيه ونقص منه وما ذلك إلا لتصريحهم بخيانة من نقلوه عن رسول الله كما سمعوه كأبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الأصحاب الكرام كما صرحوا في كتبهم ككتاب " فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب " وكتاب "الكافي" الذي هو بمثابة صحيح البخاري عند المسلمين فقد ساق مؤلفه سندًا هكذا: "عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله... إلى أن قال أبو عبد الله -أي: جعفر الصادق-: وإن عندنا لمصحف فاطمة -عليها السلام- قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد"(١). وإذا كان الأمر كذلك

---

(١) انظر رسالة الرد على الرافضة تأليف أبو حامد المقدسي (ص٩٧) نقلاً عن الكافي في الأصول (ج١ ص٢٢٨)، وانظر أيضًا الخطوط العريضة نقلاً عن بخاري الشيعة (ص١٨).

ففي أي شيء يلتقي هذا الصنف من الشيعة مع أمة الإسلام يا ترى ؟!!.

٨- إهانتهم الدائمة المستمرة عبر تاريخ وجودهم لخيرة أصحاب رسول الله ﷺ ذكورًا وإناثًا وذلك بالسب والشتم زورًا وبُهتانًا كلعنهم في دعائهم أبا بكر وعمر وابنتيهما عائشة وحفصة وقولهم: إنه إذا ظهر المهدي فإنه سيحيي عائشة ويقيم عليها الحد انتقامًا لفاطمة، وقولهم في حق الفاروق عمر: "إنه كان مبتلى بداء لا يشفيه منه إلا ماء الرجال"[(١)].

٩- وصفهم لأصحاب رسول الله -الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه- بالردة والنفاق بعد وفاته إلا بضعة نفر منهم كما سبق.

قلت: وإنه لينطبق عليهم قول القائل: "رمتني بدائها وانسلت". ذلك لأنَّهم هم الذين مردوا على النفاق الذي يسمونه بالتقية زورًا وبُهتانًا.

١٠- اعتبارهم المشاهد المتخذة على القبور أفضل من البيت العتيق، والسموات السبع الشداد واسمع لشاعرهم وهو يقول واصفًا أرض كربلاء الَّتي يدعون أن بها قبر الحسين:

هي الطفوف فطف سبعًا بِمغناها ... فمــا لمكـــة معـــنى مثل معناها

أرض ولكنما السبع الشـــداد لها ... دانت وطأطأ أعـــلاها لأدناهـــا

قال الشيخ محب الدين الخطيب في تعليقه على المنتقى من منهاج

(١) أورد ذلك صاحب الخطوط العريضة (ص٧) نقلاً عن كتاب شيعي رافضي اسمه الزهراء، نشر علماء النجف -طهر الله الأرض منهم- ورضي الله عن الفاروق حيًّا وميتًا.

الاعتدال مبينًا قصد هذا الشاعر الزنديق ما نصه: "هذا الشاعر يأمر سامعه وقارئ وثنيته وكفره بأن يطوف سبعًا بهذا القبر الموهوم، ويؤكد له أن مكة الَّتي يطوف المسلمون ببيت الله القائم فيها ليس لها مثل المعنى الذي لكربلاء من أجل هذا القبر الموهوم الذي أقاموه بأيديهم، ثم صدقوا أنفسهم بأن أدنى غائط في أرضه يطأطئ له أعلى مكان في السموات السبع، ولعله يشير إلى عرش الله الأعظم"[1]. اهـ.

١١- القول بالرجعة ومعناها: أن النَّبي ﷺ وعليًّا رضي الله عنه والأئمة الاثني عشر يحيون في آخر الزمان ويحشرون بعد خروج المهدي الذي يطلقون عليه: "قائم آل مُحمَّد" والمسمى محمد بن الحسن بن علي، وبعد قتله للدجال يحيا كل من الخلفاء الثلاثة وقتلة الأئمة، فيقتل النَّبي ﷺ الخلفاء حدًّا والقتلة قصاصًا ويصلبون الظالمين ويبدءون بصلب أبي بكر وعمر على الشجرة، فمن قائل يقول: إن تلك الشجرة رطبة فتجف بعد أن صلبًا عليها فيضل بذلك خلق كثير من أهل الحق ويقولون: ظلمناهم، ومن قائل يقول: الشجرة تكون يابسة فتخضر بعد الصلب عليها، ويهتدي به جم غفير من محبيهما.. وللرجعة المزعومة روايات متعددة في كيفيتها وما يحصل على إثرها في زعم معتقديها، وفي اسم الشجرة الَّتي يتم صلب الشيخين عليها، ومقدار طولها، ومدة بقاء الدنيا بعد هذا الحدث الموهوم الذي افتراه زعماء الشيعة الرافضة السابة بلا دليل مقبول

---

(١) انظر هامش المنتقى (ص٥٥).

ولا معقول بل هو كذب محض وكفر صراح بواح وقصص فاسد مرذول.

١٢- استباحة نكاح المتعة بل إنَّها عند الشيعة الرافضة خير من سبعين نكاحًا دائمًا وأنَّها لا تحد بعدد !!.

قلت: أما النَّبي ﷺ فقد نَهى عن نكاح المتعة وذلك فيما ثبت من حديث علي بن أبي طالب ﷺ: «أن رسول الله ﷺ نَهي عن نكاح المتعة»[1] رواه البخاري ومسلم.

وفيما ثبت أيضًا من حديث سلمة بن الأكوع ﷺ: «أن رسول الله ﷺ أباح نكاح المتعة ثم حرمها»[2].

وغير هذين النصين نصوص في هذا المعنى، غير أن الشيعة الرافضة لا يؤمنون بنصوص الشرع المنظمة لشئون الأمة على وفق مراد الله ومراد رسوله -عليه الصلاة والسلام- ولا تستغرب ذلك أخي المسلم ولا تستبعده فالقوم قد حبب إليهم الكفر والفسوق والعصيان وأشربوا في قلوبهم الباطل والهوى والشيطان وزين لهم سوء أعمالهم فهم لا يهتدون إلى شيء من أسباب رضا الكريم الرحمن.

---

(١) البخاري في كتاب النكاح باب نَهى رسول الله ﷺ عن نكاح المتعة آخر (ج٧ ص١٢) ومسلم في كتاب النكاح باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نسخ ثم أبيح ثم نسخ واستقر تحريمه إلى يوم القيامة (ج٢ رقم ١٤٠٧ ص١٠٢٧).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب النكاح باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نسخ ثم أبيح ثم نسخ واستقر تحريمه إلى يوم القيامة (ج٢ رقم ١٤٠٥ ص١٠٢٣).

وأقول: الحمد لله ثم الحمد لله على توفيقه ﷻ لأهل العقيدة السلفية أهل السنة والجماعة لسبيل الحق والهدى وللفهم الصحيح لنصوص القرآن الكريم وصحيح السنة الغراء وللتأسي بالرسول الكريم وأصحابه فيما كانوا عليه من العلم النافع والاعتقاد الحق وصالح العمل الذي يقرب صاحبه زلفى في جوار الله رب العالمين.

١٣- **الرافضة:** هم أكثر الناس تركًا لما أمر الله وإتيانًا لما حرم الله كما رأيت في المخالفات الآنفة الذكر، ولمخالفات أخر يصعب حصرها وتدوينها في مثل هذه العجالة منها:

أ- تجويزهم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها.

ومعلوم أن النبي ﷺ قد صرح بتحريم ذلك في سنته الكريمة حيث ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها**»[١]. وقد ذكر ابن عبد البر الإجماع على ذلك وأبت الرافضة لخبثهم اعتقادًا وعملاً وخلقًا وسلوكًا إلا القول بجواز ذلك: ﴿**قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ [المنافقون: من الآية٤]

ب- ومنها جواز إتيان النساء في أدبارهن واستدلوا بما رووه عن علي بن الحكم قال: سمعت صفوان يقول: قلت للرضا عليه السلام: إن رجلاً

---

(١) البخاري في كتاب النكاح باب لا تنكح المرأة على عمتها (ج٧ ص١١)، ومسلم في كتاب النكاح باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح (ج٢ رقم ١٤٠٨ ص١٠٢٨).

من مواليك أمرني أن أسألك عن مسألة فهابك واستحيا منك أن يسألك، قال: ما هي؟ قال: للرجل أن يأتي امرأته في دبرها؟ قال: نعم ذلك له.

قلت: هذا هو الفقه الرافضي اللئيم، فما هو الفقه النبوي الكريم؟ أما الفقه النبوي الكريم فهو ما رواه أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول أو أتى امرأته حائضًا أو أتى امرأته في دبرها فقد برئ مما أنزل على محمد ﷺ**»[1].

وما رواه الترمذي من حديث ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلاً أو امرأة في الدبر**»[2].

وما رواه أحمد وأبو داود وغيرهما من حديث أبي هريرة ﷺ أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**ملعون من أتى امرأة في دبرها**»[3].

وسئل أبو الدرداء عن ذلك فقال: «وهل يفعل ذلك إلا كافر»[4].

---

(١) أبو داود في كتاب الطب باب في الكاهن (ج٤ رقم ٣٩٠٤ ص١٥)، والترمذي في الطهارة باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض (ج١ رقم ١٣٥ ص٢٤٣)، وابن ماجه في الطهارة باب النهي عن إتيان الحائض (ج١ رقم ٦٣٩ ص٢٠٩)، وإسناده قوي انظر شرح السنة (ج١٢ ص١٨٢).

(٢) الترمذي في كتاب الرضاع باب ما جاء في كراهية إتيان النساء في أدبارهن (ج٣ رقم ١١٦٥)، وإسناده حسن، انظر صحيح سنن الترمذي للألباني (ج١ ص٣٤١).

(٣) أحمد في المسند (ج٢ ص٤٤٤)، وأبو داود في كتاب النكاح باب في جامع النكاح (ج ٢ رقم ٢١٦٢ ص٢٤٩) وهو حديث حسن.

(٤) **قلت**: يحمل ذلك على المستحل أو على كفر دون كفر، والله أعلم.

وعليه فانظر أي الفقهين أولى بالاتباع، وأي الفريقين أحق بالأمن من الرذيلة والابتداع، أهم أهل السنة والجماعة الذين يعتمدون في كل شأن من شئونهم وفي كل تصرف من تصرفاتهم على النصوص الثابتة سندًا ومتنًا أم الشيعة الرافضة الذين إذا أرادوا قبيحًا من قول أو فعل أو اعتقاد اختلقوا له متنًا من تلقاء أنفسهم الشريرة المريضة، وركبوا له إسنادًا مظلمًا من سلسلة أسانيدهم الكاذبة المقيتة، وتوصلوا حينئذ إلى قضاء شهواتهم الدنيئة وسوءاتهم القبيحة.

ج- عدم اعتبارهم وقوع الطلاق بالثلاث في لفظ واحد، وفي ذلك مخالفة للنصوص الكريمة وإجماع من يعتد بإجماعهم من علماء المسلمين لكن أما بالنسبة لأنكحة هؤلاء الشيعة الاثني عشرية الروافض فإنَّها باطلة من أساسها فلم يعد للطلاق من أثر أو اعتبار في سلب أو إيجاب.

د- **ومنها:** اعتبار الكذب المحض والنفاق البين -المسمى عند الرافضة بالتقية الَّتِي هي عندهم- تسعة أعشار الدين، ولا دين لمن لا تقية له، وقد رووا بأسانيدهم الكاذبة المظلمة عن أبي جعفر أنه قال: "التقية ديني ودين آبائي ولا إيْمان لمن لا تقية له".

كما فسر أساطينهم من أهل علمهم قوله تعالى: ﴿**وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ**﴾ [فصلت: من الآية٣٤]. حيث قال: الحسنة (التقية)، والسيئة (الإذاعة).

وهكذا فسروا: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [فصلت: من الآية٣٤]. أن المراد

بالتي هي أحسن (التقية)، وعليه فإن للتقية عند القوم مرتبة عالية ومقامًا رفيعًا ولو علم المغفلون نتيجتها لما اعتبروها كذلك، إذ إنه يجب أن تسقط جميع رواياتهم الموجودة في كتبهم وجميع أقوالهم وأفعالهم لاحتمال أن تكون كلها تقية.

قلت: وكفى بالقوم جهلاً وكذبًا وتناقضًا أن اعتبروا النفاق البين والكذب المحض -المسمى بالتقية- تسعة أعشار دينهم !!

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الفرقان:٤٤].

أما المسلمون الذين يدينون دين الحق فإنَّهم يعتبرون الصدق مع الله الذي يتجلى في امتثالهم أوامره واجتنابهم نواهيه والتسليم التام لشرعه والمتابعة لهدي رسوله -عليه الصلاة والسلام- على علم وبصيرة وخوف ورجاء سبيل الفوز والفلاح والنجاة من عذاب الله، كما يعتبرون الصدع بكلمة الحق والبلاغ لدين الله وظيفة الأنبياء والمرسلين ووظيفة ورثتهم إلى يوم الدين.

وأن الكذب والنفاق وكتمان العلم سبيل المغضوب عليهم والضالين وطريق أشباههم من الرافضة وغيرهم من المنحرفين عن هدي سيد المرسلين وقائد المنعم عليهم من النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين.

و- ومنها: زيادتُهم في الأذان والإقامة وفي التشهد بعد الشهادتين "وأن عليًّا ولي الله" ونحن نشهد بأن عليًّا ولي من أولياء الله وتقي نقي قد

أحب الله ورسوله وأحبه الله ورسوله ولكن هذه الجملة الَّتي زادتْها الرافضة في هذه المواضع بدعة منكرة لَم ترد في شيء من نصوص الكتاب ولا السنة المطهرة ولم يقل بها أحد ممن يعتد بقوله، وما كان كذلك فسبيله الرد والرفض لقول الله: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ [الحشر: من الآية٧].

ولقول النَّبي ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[1].

ومن هذه البدعة وأشكالها ومما هو أعظم منها تعلم أن للرافضة الضالة المضلة مصادر شيطانية يأخذون منها شعائر عباداتِهم غير المصدرين الكريمين كتاب الله ﷻ وما صح من سنة نبيه -عليه الصلاة والسلام- اللذين يأخذ منهما جميع المسلمين شعائر دينهم بل وجميع تعاليمه اعتقادًا وعبادةً وخلقًا وسلوكًا.

ح- **ومنها**: تعمدهم تأخير الصلاة عن أوقاتِها؛ بل وفعلها على غير كيفياتِها المفروضة شرعًا، أما فعلها على غير كيفيتها فلكونِهم لَم يتفقهوا في دين الله الحق فهم جهلة بجميع أحكامة كالأنعام بل هم أضل: ﴿**وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾ [الأنفال:٢٣].

وأما كونُهم يؤخرون الصلوات عن أوقاتِها الشرعية ذات البداية

---

(١) البخاري في كتاب البيوع باب النجش ووصله في الصلح (ج٣ ص٦١)، ومسلم في كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة (ج٣ رقم ١٧١٨ ص١٣٤٣) عن عائشة -رضي الله عنها-.

والنهاية بحيث يجمعون بين الظهرين والمغربين طول الدهر فسببه أنَّهم ينتظرون القائم المختفي في السرداب ليقتدوا به في زعمهم، فيؤخرن الظهر إلى العصر إلى قريب غروب الشمس فإذا يئسوا من الإمام واصفرت الشمس، وصارت بين قرني الشيطان نقروا الصلاة عند ذلك كنقر الديك فصلوا الصلاتين من غير طمأنينة ولا خشوع ولا جماعة بل فرادى ورجعوا إلى أماكنهم خائبين، وصاروا بذلك بوقوفهم بالجبل على ذلك السرداب وصياحهم بأن يخرج إليهم المختفي ضحكة لأولي الألباب.

ولقد أحسن القائل وهو يخاطبهم:

ما آن للسرداب أن يلد الذي … كلمتموه بجهلكم ما آنا

فعلى عقولكم العفاء فإنكم … ثلثتم العنقاء والغيلانا

علمًا أن صلاتَهم غير مقبولة منهم ولو صلوها في أوقاتِها لفساد معتقدهم ولبطلان طهارتِهم حيث إنَّهم يقتصرون على المسح للرجلين فقط بدون غسل بل وإلى العظم الذي في ظهر القدم.

ط- ومنها: إباحتهم النكاح بدون مراعاة لشيء من شروط صحته، بخلاف ما عليه المسلمون من اشتراطهم لصحة عقود أنكحتهم الشرعية ما يلي:

١- تعيين الزوجين لأنه مقصود في النكاح.

٢- رضاهما فلا يصح الإكراه بغير مسوغ شرعي إلا من لا يعتبر إذنه.

٣- الولي الشرعي.

٤- الشهادة.

٥- خلو الزوجين من الموانع الشرعية.

إن هذه الشروط يخضع المسلمون لها بل ولجميع أحكام دينه في كل باب من أبواب العلم والعمل والتي من جملتها عقود الأنكحة الَّتي تستحل بها الفروج ويتميز بِها النكاح الشرعي الصحيح من نكاح السفاح الجاهلي القبيح، أما أولئك الرافضة الإمامية الاثنا عشرية الجعفرية فإنَّهم لا يخضعون إلا لما تمليه عليهم شياطينهم من سيئ الأعمال وقبيح الأفعال وعقيدة الكفر والضلال وبين يدي الله تعالى الملتقى، وعنده تجتمع الخصوم.

ث- ومنها: خروجهم من صلاتِهم بالفعل وتركهم السلام عمدًا حيث يخرجون من الصلاة بدون سلام بل يرفعون أيديهم ويضربون بِها على ركبهم كأذناب الخيل الشمس.

وأذكر أني سألت بعض الإخوة الثقات العارفين بمصطلحات الرافضة عن معنى الضربات الثلاث على الركب فقال: يقولون: خان الأمين، خان الأمين، خان الأمين[1]. ثم ينصرفون بدون تسليم، وإذا سلموا فإنما يصنعون ذلك تقية، أما المسلمون فإنَّهم لا يخرجون من صلاتِهم المفروضة إلا بتسليمتين عن اليمين وعن الشمال تأسيًا بنبيهم ﷺ حيث

(١) وذكر بعضهم: "تاه الأمين بدلاً من خان" وكلاهما افتراء وكذب.

كان لا يخرج من الصلاة المفروضة إلا بتسليمتين قائلاً: السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله، يفعل ذلك حتى يرى بياض خديه.

وقد ثبت في المسند والسنن من حديث علي ﷺ عن النَّبي ﷺ قال: «**مفتاح الصلاة الطهور، وتحريْمها التكبير، وتحليلها التسليم**»[1]. قال الترمذي عقب إيراد هذا الحديث: "هذا أصح شيء في هذا الباب وأحسن".

غير أن الرافضة الاثني عشرية الجعفرية أهل الشقاق والنفاق لا تطمئن نفوسهم إلا أن يخالفوا المسلمين وعلماءهم في كل شيء زيادة في الجناية على أنفسهم وتكبرًا عن الحق وتضليلاً للسذج من الخلق الذين قل علمهم بحالهم وخفي عليهم خبثهم وسوء أعمالهم.

ت– ومنها: مشابَهتهم لليهود، والنصارى، والمجوس:

أما مشابَهتهم لليهود: فإن اليهود –كما أخبر الله عنهم–: ﴿**يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً**﴾ [البقرة: من الآية٧٩]. والرافضة تشبهوا بِهم فهم يكتبون متون الكذب ويجعلون لها أسانيد مظلمة وينسبون ذلك إلى الله ورسوله –عليه الصلاة والسلام– وإلى أهل بيته.

وأما مشابَهتهم للنصارى: فإن النصارى غلو في المسيح حتى جعلوه

---

(١) أحمد في المسند (ج٣ ص٣٤٠)، وأبو داود في الطهارة باب فرض الوضوء (ج١ رقم ٦١ ص١٦)، والترمذي في الطهارة باب ما جاء أن مفتاح الصلاة الطهور (ج١ رقم ٣ ص٩).

إلَهًا يعبد من دون الله والشيعة غلو في علي وأهل بيته حتى ادعوا لهم ما لا يجوز أن يكون إلا لله فصار الغلو سببًا في هلاك النصارى والشيعة المؤلهة الرافضة الاثني عشرية الإمامية.

وأما مشابَهتهم للمجوس فإن المعلوم من عقيدة المجوس القول بإلهين النور والظلمة، فالنور خالق الخير والظلمة خالقة الشر، والرافضة قالوا بأكثر من خالقين إذ هم قدرية في أفعال العباد، جهمية في الصفات.

ومنها: قولهم في حق معاوية ﷺ:"إنه شر من إبليس". وهذا جهل وضلال، فإن معاوية كان من أصحاب الرسول ﷺ الذين كانوا أمناء على كتابة الوحي ومن الذين فازوا بشرف الصحبة النبوية الكريْمة فهنيئًا له ولإخوانه من المهاجرين والأنصار الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وتبًّا وسحقًّا لكل رافضي زنديق حمله حقده الدفين وطبعه اللئيم على سب بل وتكفير من قال الله في الثناء عليهم في كتبه المنَزلة: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [الفتح:٢٩].

قال الإمام القرطبي –رحمه الله –:

"**المسألة الخامسة:** روى أبو عروة الزبيري من ولد الزبير قال: كنا

عند مالك بن أنس فذكروا رجلاً ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ فقرأ مالك هذه الآية: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ حتى بلغ: ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾. فقال مالك: "من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية ذكره الخطيب أبو بكر".

ثم قال القرطبي: "**قلت:** لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله فمن نقص واحدًا منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين، وأبطل شرائع المسلمين...

إلى أن قال -رحمه الله -: روى عويم بن ساعدة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عَجَّلَ اختارني واختار لي أصحابي فجعل لي منهم وزراء وأختانًا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا**[١] **ولا عدلاً** [٢]»[٣]...

إلى أن قال -رحمه الله-: قلت: فالصحابة كلهم عدول أولياء الله تعالى وأصفياؤه، وخيرته من خلقه بعد أنبياء الله ورسله، هذا مذهب أهل السنة والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة". اهـ.

قلت: ولا يعلم إلا الله -جل في علاه- كم لعنة قد أنزلت على

---

(١) **الصرف:** هو التوبة، وقيل: النافلة.

(٢) **والعدل:** قيل الفدية، وقيل: الفريضة.

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن (ج١٦ ص٢٩٦) وما بعدها.

الشيعة الاثني عشرية الروافض الذين قالوا في أبي بكر وعمر وعثمان وسائر أصحاب النَّبي ﷺ ما عدا بضعة نفر ما قد علمت، وقالوا في معاوية: "إنه شر من إبليس". نسأل الله العافية.

ز- **ومنها**: أن من أصول مذهبهم أن جميع الحكومات الإسلامية من وفاة النَّبي ﷺ إلى هذه الساعة -عدا سنوات حكم علي بن أبي طالب- حكومات غير شرعية ولا يجوز لشيعي أن يدين لهم بالولاء والإخلاص من صميم قلبه بل يداجيهم مداجاة ويتقيهم تقاه لأن هذه الحكومات ما مضى منها وما هو قائم الآن وما سيقوم منها فيما بعد حكومات مغتصبة، لأن الحكام الشرعيين في دين الشيعة الروافض وصميم عقيدتهم هم الأئمة الاثنا عشر وحدهم ومن عداهم يعتبر مغتصبًا من الماضين ومن اللاحقين.

قلت: والدارس لعقائدهم والسابر لأحوالهم وأعمالهم والناظر في أفكارهم المدونة في كتبهم لا يستكثر هذا منهم فإنَّهم حريصون على مخالفة المسلمين في كل باب من أبواب العلم والعمل، وهم بذلك لن يضروا الله شيئًا ولن يضروا المؤمنين إلا أذى وإن يقاتلوهم يولوهم الأدبار ثم لا ينصرون.

س- **ومنها**: أنَّهم أهل التقليد الأعمى لشيوخهم فهم يأخذون كل ما يقولونه لهم بدون مطالبة بدليل أو تعليل، وما ذلك إلا لفرط غلوهم في كبرائهم وعظيم جهلهم بدين الحق فهم كما قال عنهم ابن تيمية -رحمه الله-: "أجهل الناس بالعقليات وأكذبُهم في النقليات".

ص- جمعهم للضلالات فهم معطلة في باب الأسماء والصفات وهم في الوقت نفسه مشبهة في هذا الباب.

وهذا قليل من كثير من مخالفات الرافضة من الشيعة الذين لا يوجد لهم عدو حقيقي في نظرهم إلا أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا فالله يحكم بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين.

أما الزيدية -وهم الصنف الثالث من أصناف الشيعة-: فهم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الذي خرج على والي العراق يوسف بن عمر الثقفي في خلافة هشام بن عبد الملك، وكان قد بايع زيدًا من أهل الكوفة خمسة عشر ألف رجل فلما استمر القتال قالوا له: "إنا ننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظلما جدك علي بن أبي طالب. فقال زيد: إني لا أقول فيهما إلا خيرًا، وما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيرًا وإنما خرجت على بني أمية لأنَّهم قتلوا جدي الحسين، وأغاروا على المدينة يوم الحرة، ورموا بيت الله بحجر المنجنيق. فلما سمعوا مقالته فارقوه عند ذلك حتى قال لهم: رفضتموني ومن يومئذ سموا رافضة وبقي معه جماعة على الوفاء والقتال حتى قتلوا، فهؤلاء الذين ثبتوا مع زيد سموا زيدية، وهم أقرب الفرق الشيعية إلى أهل السنة والجماعة ما عدا فرقة منهم تسمى الجارودية فإنَّها فرقة من فرق الصنف الثاني الذي سبق الحديث عنه وقد ألحق بعض أهل العلم بِهذه الفرقة في الاتجاه السليمانية والنعيمية.

هذا وللزيدية مخالفات لأهل السنة والجماعة كثيرة منها:

١- تفضيلهم علي بن أبي طالب على أبي بكر وعمر ﷺ غير أنَّهم لا يسبونَهما ولا يتبرءون منهما، بخلاف الجارودية الغالية فإنَّهم روافض.

٢- ومنها انحراف كثير منهم في باب صفات الله حيث قالوا فيها بقول المعتزلة: إن الله عالم بغير علم وسميع بغير سمع وهلم جرًّا من إثبات الأسماء مجردة عن الصفات.

٣- كما انحرف كثير منهم أيضًا فيما يتعلق بالإيْمان والكفر وارتكاب المعاصي حيث حذوا فيه حذو المعتزلة والخوارج غالبًا[1]، بيد أنَّهم ليسوا كالصنفين السابقين بل هم من جملة الفرق الَّتِي لَم يخرجها أهل السنة والجماعة من الإسلام.

وبعد أن منَّ الله علينا في هذا البحث المبارك بمعرفة كثير من الأمور الَّتِي خالفت فيها الشيعة -الرافضة- أمة الإسلام فصاروا بتلك المخالفات

---

(١) انظر تفاصيل هذا البحث المتعلق بالشيعة الرافضة في الكتب التالية أسماؤها:

أ- المنتقى من منهاج الاعتدال.

ب- الفرق بين الفرق لعبد القاهر بن طاهر البغدادي.

ت- الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب.

ث- الرافضة للإمام محمد بن عبد الوهاب.

ج- وجاء دور المجوس للدكتور عبد الله بن محمد الغريب.

ح- بطلان عقائد الشيعة، لمحمد عبد الستار التونسوي، فارجع إلى جميعها تجد التفاصيل واضحة بل من كتب أخرى سيأتي بيانُها فانتظره.

في الأصول كفارًا كما رأيت فإنه ليجب علينا أن نرفض فكرة التقريب بين أهل السنة والجماعة والشيعة الاثني عشرية الجعفرية الرافضة تلكم الفكرة الَّتي نادى بها كثير من قادة جماعة الإخوان المسلمين وغيرهم زعمًا منهم أن الرافضة إخوة لنا في الدين، وما الخلاف الذي بيننا وبينهم إلا في يسير من مسائل الفروع يشبه إلى حد ما الخلاف بين أئمة المذاهب الأربعة وهذا غفلة من زعماء هذه الجماعة أوقعهم فيها عدم فهمهم للعقيدة السلفية الصحيحة الَّتي يجب الولاء لأهلها والبراء من أعدائها ومنهم الرافضة من الشيعة.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

فكرة التقريب بين أهل السنة وبين الشيعة الإمامية الاثني عشرية الرافضة

ولنستمع الآن إلى مقتطفات من كلام دعاة التقريب المذكور الذي تجلى فيه الحب من أولئك الدعاة لشيعة زماننا، كما تجلت فيه الشهادة منهم للشيعة بالاتفاق معنا في أصول الدين، وقد شهدوا وكتبت شهادتُهم وسوف يسألون عنها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا ويوم يدعى كل أناس بإمامهم ويحشر كل إنسان مع من أحب.

وهذه المقتطفات الَّتِي سأوردها هي بواسطة كتاب مطبوع عنوانه "**موقف علماء المسلمين من الشيعة والثورة الإسلامية**" قام بتأليفه الدكتور: عز الدين إبراهيم، ونشرته معاونة العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي الجمهورية الإسلامية في إيران طهران (ص. ب. ١٣١٣/ ١٤١٥٥).

١- **قال مؤلف الكتاب المذكور ما نصه**: "وفي العصر الحديث كانت جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية الَّتِي شارك فيها الإمام الشهيد حسن البنا وشيخ الأزهر والمرجع الأعلى للإفتاء وقتها الإمام الأكبر عبد المجيد سليم والإمام مصطفى عبد الرزاق والشيخ محمود شلتوت.

يقول الأستاذ سالم البهناوي -أحد مفكري الإخوان المسلمين- في كتابه "السنة المفترى عليها" (ص٥٧): "منذ أن تكونت جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية، والتي ساهم فيها الإمام البنا والإمام القمي والتعاون قائم بين الإخوان المسلمين والشيعة، وقد أدى ذلك إلى زيارة الإمام نواب صفوي (سنة ١٩٥٤م) القاهرة".

ويقول في نفس الصفحة: "ولا غرو في ذلك فمناهج الجماعتين تؤدي إلى هذا التعاون".

وفي كتابه "الملهم الموهوب حسن البنا" يقول الأستاذ عمر التلمساني المرشد العام (ص٧٨): "وبلغ من حرصه -حسن البنا- على توحيد كلمة المسلمين أنه كان يرمي إلى مؤتمر يجمع الفرق الإسلامية لعل الله يهديهم إلى الإجماع على أمر يحول بينهم وبين تكفير بعضهم البعض خاصة وأن قرآننا واحد وديننا واحد ورسولنا ﷺ واحد وإلهنا واحد، ولقد استضاف لهذا الغرض فضيلة الشيخ محمد القمي أحد كبار علماء الشيعة وزعمائهم فترة ليست بالقصيرة"...

إلى أن قال المؤلف: وفي كتابه[1] الأخير -أي: كتاب أحد تلامذة البنا هو الأستاذ عبد المتعال الجبري- يقول التلمساني (ص٢٤٩-٢٥٠): "وفي الأربعينات -على ما أذكر- كان السيد القمي وهو شيعي المذهب ينْزل ضيفًا على الإخوان في المركز العام ووقتها كان الإمام الشهيد جادًّا

---

(١) اسم الكتاب ذكريات لا مذكرات (ص١)، دار الاعتصام (١٩٨٥م).

على التقريب بين المذاهب حتى لا يتخذ أعداء الإسلام الفرقة بين المذاهب منفذًا يعملون من خلاله على تمزيق الوحدة الإسلامية، وسألناه يومًا عن مدى الخلاف بين أهل السنة والشيعة فنهانا عن الدخول في مثل هذه المسائل الشائكة الَّتِي لا يليق بالمسلمين أن يشغلوا أنفسهم بِها، والمسلمون على ما نرى من تنابذ يعمل أعداء الإسلام على إشعال ناره، قلنا لفضيلته: نحن لا نسأل عن هذا للتعصب أو توسعة لهوة الخلاف بين المسلمين ولكن نسأل للعلم لأن ما بين السنة والشيعة مذكور في مؤلفات لا حصر لها وليس لدينا من سعة الوقت ما يمكننا من البحث في تلك المراجع. فقال: -رضوان الله عليه-: اعلموا أن أهل السنة والشيعة مسلمون تجمعهم كلمة لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وهذا أصل العقيدة والسنة والشيعة فيه سواء وعلى التقاء أما الخلاف بينهما فهو في أمور من الممكن التقريب فيها بينهما".

٢- وقال المؤلف: "وفي الموسوعة الحركية يتحدث الأستاذ فتحي يكن عن زيارة نواب صفوي للقاهرة والحماس الشديد الذي قابله به الإخوان المسلمون ثم يتكلم عن صدور حكم الإعدام عليه من قبل الشاه قائلاً: "كان لهذا الحكم الجائر صدى عنيف في البلاد الإسلامية وقد اهتزت الجماهير المسلمة الَّتِي تقدر بطولة نواب صفوي وجهاده وثارت على هذا الحكم وطيرت آلاف البرقيات أنحاء العالم الإسلامي تستنكر الحكم على المجاهد المؤمن البطل الذي يعتبر القضاء عليه خسارة كبرى في العصر الحديث".

وهكذا يصبح مسلم شيعي في نظر الأستاذ فتحي يكن كأحد أعظم شهداء الإخوان إذ يعتبر أن نواب وصحبه باستشهادهم قد انضموا إلى قافلة الشهداء الخالدين الذين سيكون دمهم الزكي طريق الحرية والفداء وهذا الذي كان، فما أن دار الزمان دورته حتى قامت الثورة الإسلامية في إيران ودكت عرش الطاغية الشاه الذي تشرد في الآفاق وصدق الله حيث يقول: ﴿**وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ [الصافات:١٧١- ١٧٣].

٣- كما أورد المؤلف كلامًا كثيرًا لمحمد الغزالي منه قوله ردًّا على سؤال حول دوره في جماعة التقريب: "نعم أنا كنت من المعنيين بالتقريب بين المذاهب الإسلامية وكان لي عمل دءوب ومتصل في دار التقريب في القاهرة، وصادقت الشيخ محمد تقي القمي كما صادقت الشيخ محمد جواد مغنية -رحمه الله- ولي أصدقاء من العلماء والأكابر من علماء الشيعة، وأنا أريد فعلاً أن تذهب الجفوة أو الشقاق المر الذي شاع بين المسلمين خصوصًا في أيام اضمحلالهم الفعلي".

٤- وأورد المؤلف عن الدكتور صبحي الصالح والدكتور عبد الكريم زيدان أحد رجال الإخوان المسلمين في العراق ما نصه: "أما الدكتور صبحي الصالح فيقول في كتابه " معالم الشريعة الإسلامية " (ص٥٢): وفي أحاديث أئمة الشيعة أيضًا أنَّهم لَم يرووا إلا ما يوافق السنة النبوية ثم يقول: وإن للسنة لديهم مكانةً عظمى تلي كتاب الله بين مصادر التشريع.

ويقول الدكتور زيدان في كتابه "المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية" (ص١٧٦): أدلة الفقه في المذهب الجعفري هي الكتاب والسنة والعقل.
ويقول في (ص ١٧٨): ويوجد المذهب الجعفري في إيران والعراق والهند وباكستان وفي لبنان وله أتباع في الشام أيضًا وغيرها من البلاد وليس بين الفقه الجعفري والمذاهب الأخرى من الاختلافات أكثر من الاختلاف بين أي مذهب وآخر إلا أن الفقه الجعفري انفرد عن المذاهب الَّتِي تكلمنا عنها بمسائل قليلة جدًّا لعل من أشهرها جواز نكاح المتعة -أي: النكاح المؤقت- في المذهب الجعفري وعدم جوازه في المذاهب الخمسة الَّتِي مر ذكرها".

٥- كما أورد المؤلف المذكور ما قاله الدكتور مصطفى الشكعة فقال: "وفي كتاب (إسلام بلا مذاهب) يقول الباحث الإسلامي الدكتور مصطفي الشكعة (ص١٨٣): الإمامية الاثنا عشرية هم جمهور الشيعة الذين يعيشون بيننا هذه الأيام، وتربطهم بنا نحن أهل السنة روابط التسامح والسعي إلى تقريب المذاهب لأن جوهر الدين واحد ولبه أصيل ولا يسمح بالتباعد.

وقال مؤلف الكتاب: وكان أبو الحسن الندوي يتمنى أحداث تقارب بين الشيعة والسنة وهو يقول لمجلة الاعتصام الإسلامية في القاهرة محرم (١٣٩٨هـ): "وإذا تم هذا العمل -التقريب- فسوف يحدث انقلابًا لا يوجد له نظير في تاريخ تجديد الفكر الإسلامي ".

٦- ويواصل مؤلف الكتاب المذكور النقل عن القادة فقال: "وفي كتاب "تحديات أمام العروبة والإسلام" يتحدث الأستاذ صابر طعيمة (ص٢٠٨) قائلاً: ومن الحق أن يقال: إنه ليس بين الشيعة والسنة من خلاف في الأصول العامة فهم جميعًا على التوحيد، وإنما الخلاف في الفروع وهو خلاف يشبه ما بين مذاهب السنة نفسها -الشافعية والحنفية- فهم يدينون بأصول الدين كما وردت في القرآن الكريم والسنة المطهرة كما يؤمنون بكل ما يجب الإيمان به، ويبطل الإسلام بالخروج منه في الأحكام المعلومة من الدين بالضرورة، ومن الحق أن السنة والشيعة هما مذهبان من مذاهب الإسلام يستمدان من كتاب الله وسنة رسوله".

٧- إلى أن قال مؤلف الكتاب: "والآن مع الإجابة الواضحة للسيدة المجاهدة زينب الغزالي في حديثها لمجلة العالم -لندن- (عدد ٥٨ مارس ١٩٨٥م) كان السؤال: **إذن ما رأيك في مشكلة التفريق بين المذاهب الإسلامية؟**

أجابت: لا شك أن هذه مؤامرة صهيونية، إنني أرى أن الشيعة الجعفرية والزيدية مذاهب إسلامية مثل المذاهب الأربعة لدى السنة وعلى عقلاء السنة والشيعة وعلى قيادات السنة والشيعة أن يجتمعوا في صعيد واحد وأن يتفاهموا وأن يتعاونوا على ربط المذاهب الأربعة والمذهب الشيعي بعضهم ببعض وكذلك مذهب الظاهرية لابن حزم وأدعو إلى اجتماع علماء الإسلام من كل المذاهب للتصدي لتلك المؤامرة الصهيونية، ولي أنا شخصيًّا تجربة في هذه المسألة فقبل عام (١٩٥٢م) كانت هناك

جماعة التقريب بين المذاهب والتي كان يشرف عليها الشيخ محمود شلتوت والشيخ القمي وقد شاركت في عمل تلك الجماعة، وبمباركة الإمام الشهيد حسن البنا الذي كان يرى أن المسلمين سنة وشيعة أمة واحدة وأن الخلاف المذهبي لا يفرق وحدة الأمة، وكان كل الإخوان المسلمين متعاونين مع هذه الجماعة على أساس أن الإسلام يد واحدة، إله واحد، كتاب واحد، رسول واحد، حلال واحد، حرام واحد، نظام سياسي واحد، نظام اقتصادي واحد، نظام اجتماعي واحد، دولة واحدة من أجل تطهير العالم من الظلم والزور والخديعة الَّتي تمارسها القوتان الكبريان ويجب أن يكون الشيعة والسنة على قلب واحد".

وبعد: فهذه الأمثلة المقتطفة من الكتاب المذكور هي في الواقع قليل من كثير أراد الكاتب من جمعها الاستدلال بها بأنه لا خلاف بين الإمامية الاثني عشرية الجعفرية الرافضة من الشيعة وبين أهل السنة في شيء من أصول الدين وإن وجد خلاف ففي الفروع فقط وأن الجميع إخوة تجمعهم عقيدة واحدة وقبلة واحدة ورسول واحد...إلخ ما ذكره المؤلف/ عز الدين إبراهيم وسطره مما دونته هنا وهو القليل ومما لَم أدونه -خشية الإطالة- وهو كثير.

وعليه فإنني أحب أن أوجه سؤالاً إلى دعاة التقريب بين السنة والشيعة الإمامية الجعفرية الاثنى عشرية فأقول: ما صفة هذا التقريب الذي تدعون إليه؟

فإن قالوا: المراد بالتقريب هو أن يتنازل أهل السنة عن شيء من دينهم الحق مقابل أن يتنازل الشيعة الجعفرية الإمامية الاثنا عشرية عن شيء من دينهم الباطل.

فهذه الدعوة إلى هذا النوع من التقريب مرفوض شرعًا.

وإن قالوا: المراد بالتقريب بين أهل السنة وبين الشيعة المذكورين هو أن يتنازل أهل السنة عن شيء من الحق ويسكتوا عن الباطل ليرضوا الشيعة وليحافظوا على إخوتهم وعلى وحدة الصف الذي يدندن حوله الكثير من الإخوان المسلمين.

فإن ذلك أيضًا مرفوض من السلف وأتباع السلف أهل السنة والجماعة الذين يدينون بحكم الولاء والبراء، والولاء لله ولرسوله ولعباد الله الصالحين والبراء من الشرك وسائر الكفرة والمنافقين المشركين.

وإن قالوا: المراد بدعوة التقريب هي دعوة الشيعة الإمامية الجعفرية الرافضة ليدخلوا في دين الله ويدعوا ما هم عليه من الشرك الأكبر والكفر البواح كما رأيت في ذكر مخالفاتهم.

فإننا معشر السلفيين نضم أصواتنا إلى صوت الحق وندعوهم وندعو كل كافر بدين الإسلام سواءً كان يهوديًّا أو نصرانيًّا أو وثنيًّا أو رافضيًّا أو ملحدًا أو علمانيًّا يفضل قوانين البشر على أحكام من في السماء إلى الدخول في دين الله الحق الذي جاء به عبده ورسوله محمد ﷺ ظاهرًا وباطنًا.

كما أحب أن أدون هنا وتقرأ ما كتبه محب الدين الخطيب في الخطوط العريضة للأسس الَّتي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثنا عشرية واستحالة التقريب بينها وبين أصول الإسلام في جميع مذاهبه وفرقه حيث قال -رحمه الله-: "التقريب بين المسلمين في تفكيرهم وقناعاتِهم واتجاهاتِهم وأهدافهم من أعظم مقاصد الإسلام، ومن أهم وسائل القوة والنهوض والإصلاح وهو من الخير لشعوبِهم وجماعتهم في كل زمان ومكان.

والدعوة إلى هذا التقريب إذا كانت بريئة من الغرض، ولا يترتب عليها في تفاصيلها ضرر يطغى على ما يرجى من نفعها فإن على كل مسلم أن يستجيب لها وأن يتعاون مع المسلمين على إنجاحها وقد كثر الحديث في السنوات الأخيرة عن هذه الدعوة ثم تطور التأثر به وبِها حتى بلغ الأزهر وهو أشهر وأضخم معهد ديني لأهل السنة المنتسبين إلى المذاهب الفقهية الأربعة فتبنى الأزهر فكرة التقريب هذه بأوسع من نطاقه الذي التزمه بلا انقطاع من أيام صلاح الدين الأيوبي إلى الآن، فخرج الأزهر من ذلك النطاق إلى رغبته في التعرف إلى المذاهب الأخرى، وفي طليعتها مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية...

إلى أن قال: "وأول ما نلاحظه في هذا الأمر وفي كل أمر له علاقة بأكثر من طرف أن من أقوى أسباب نجاحه أن يكون هناك تجاوب بين الطرفين أو الأطراف ذات العلاقة به".

ونضرب لذلك مثلاً بمسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة فقد

لوحظ أنه أنشئت لدعوة التقريب بينهما دار في مصر ينفق عليها من الميزانية الرسمية لدولة شيعية، وهذه الدولة الشيعية الكريمة آثرتنا بهذه المكرمة فاختصتنا بهذا السخاء الرسمي وضنت بمثلها على نفسها وعلى أبناء مذهبها، فلم تسخ مثل هذا السخاء لإنشاء دار تقريب في طهران أو قم أو النجف أو جبل عامل أو غيرها من مراكز الدعاية والنشر للمذهب الشيعي، وهذا الإيثار تكرر منهم في مختلف العضور والدعاة الذين يرسلونَهم لمثل هذه الأغراض هم الذين تحولت بِهم العراق من بلاد سنية فيها أقلية شيعية إلى بلاد شيعية فيها أقلية سنية وإن مراكز النشر لهذه الدعاية الشيعية صدر عنها في السنين الأخيرة من الكتب الَّتِي تَهدم فكرة التفاهم والتقريب ما تقشعر منه الأبدان ومن ذلك كتاب اسمه "الزهراء" في ثلاثة أجزاء نشره علماء النجف وقالوا فيه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: "إنه كان مبتلى بداء لا يشفيه منه إلا ماء الرجال"... وقد رأى ذلك الأستاذ البشير الإبراهيمي شيخ علماء الجزائر عند زيارته الأولى للعراق.

فالروح النجسة الَّتِي يصدر عنها مثل هذا الفجور المذهبي هي أحوج إلى دعوة التقريب من حاجتنا نحن أهل السنة إلى مثل ذلك وإذا كان الافتراق الأساسي بيننا قائمًا على دعواهم أَنَّهم أكثر منا ولاء لأهل البيت وعلى دعواهم أَنَّهم يبطنون -بل يظهرون- الحقد والضغينة لأصحاب رسول الله ﷺ الذين قام الإسلام على أكتافهم إلى درجة أن يقولوا مثل هذا الكلام القذر عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقد كان

الإنصاف يقتضي أن يدعوا هم بتخفيف إحنتهم وظغينتهم عن أئمة الإسلام الأولين، وأن يشكروا لأهل السنة موقفهم النبيل من آل البيت وعدم تقصيرهم بشيء من واجبات الإجلال والتكريم إلا أن يكون تقصيرنا نحو آل البيت في أننا لَم نتخذهم آلهة نعبدهم مع الله، كما هو المشاهد في مشاهدهم القائمة في الناحية الأخرى الَّتِي يراد التقريب بيننا وبينها"[١]. اهـ.

قلت: ولقد اهتم بالدعوة المذكورة كبار قادة الإخوان المسلمين ابتداءً من مؤسس دعوتِهم إلى وقتنا الحاضر، ولا غرابة في ذلك فإن القوم يحرصون على التجميع ورص الصفوف ووحدة الكلمة بغض النظر عن اختلاف العقائد والمخالفات لدين الإسلام ولو في أصوله ولا شك أن أتباع السلف الصالح حقًّا ينكرون على جماعة الإخوان هذا الصنيع ويخطئونَهم فيه ويعتبرونه غفلة منهم يا لها من غفلة أصابت القلوب والعقول قبل أن تنطق بِها الألسن وتجري بتحريرها الأقلام.

ولقد شهد بمنكر الدعوة إلى التقريب المذكور آنفًا دكتور أفغاني إخواني اسمه أحمد الأفغاني حيث ألف رسالة بعنوان "سراب في إيران" هاجم في رسالته معتقدات الشيعة كما هاجم فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة فقال في (ص١١) ما نصه: "لأن التقارب بيننا وبين الشيعة الإمامية يشبه إلى حد كبير التقارب اليهودي المصري، وأن التقارب

(١) الخطوط العريضة (ص٥-٨).

معهم أبينا أم رضينا معناه أننا نشك في ديننا ونجعله قابلاً للتفاوض، ولكن علينا أن نطلب منهم التخلي كليًّا عن دينهم، واتباع الحق الكامل، ومن جهة أخرى فإننا إذا اعترفنا أن بعض ما عندهم صحيح فقد صححنا مذهبهم ودينهم فنصبح بذلك مثلهم والعياذ بالله".

قلت: ومن المصائب ذات العجائب أن الدكتور المذكور لما ذكر ذلك بعض أفراد جماعة الإخوان بأن حسن البنا كان يسعى للتقريب نقض غزله من بعد ما استحكم ذكر الأخ الكريم/ عثمان بن عبد السلام نوح حيث قال: مباركًا كلمة الحق الَّتِي هاجم بِها الدكتور أحمد الأفغاني معتقدات الشيعة وفكرة التقريب.

قلت: إلى هذا الحد كلام الرجل حق لا غبار عليه ولكن ثار في وجهه المدافعون عن الشيعة من جماعة الإخوان، واحتجوا عليه بأن الإمام البنا كان يسعى للتقارب معهم وأنشأ لجنة باسم التقريب بين السنة والشيعة، فاضطر الرجل أن يتراجع عن أقواله دون أن يدري، ويثني على فكرة التقريب، بعد أن قال فيها كلامه السابق فقال في (ص٥٨): "الشبهة الرابعة: علاقة الإمام حسن البنا بالشيعة". ثم رد على هذه الشبهة قائلاً: "إن الناظر في سيرة الإمام حسن يجد أن الله عَجَّلَ قد فتح على الرجل بما أعطاه من بيان فجمع بين مختلفي المذاهب الأربعة المتطاحنين والسلفيين والصوفيين في بوتقة الإسلام الخالص فإنه كان يتوقع من لقائه بالشيعة أن يصهرهم في بوتقة الإسلام كما صهر غيرهم".

وأضاف الشيخ عثمان قائلاً ما نصه: "**قلت**: ومن المعلوم أن البنا لَم يكن يدعوهم إلى ترك مذهبهم وإذن لكان عملاً من أفضل الأعمال ولكن كان يدعو للتقريب وسميت الفكرة بالتقريب وهي بعينها الَّتي هاجمها هذا الدكتور في (ص١١) من كتابه المذكور، ولكن ماذا يفعل للانتماء البدعي لابد أن يتناقض في أقواله حتى لا يقع في الإحراج، وقد قال التلمساني (المرشد العام للإخوان): إننا لَم نفعل ذلك لحملهم على ترك مذهبهم، ولكن للتقريب بين المذاهب الإسلامية إلى أقرب حد"[(١)]. اهـ.

وكلمة قصيرة أرى تدوينها إثر هذه النقول وهي: "لو أن دعاة التقريب المذكور والمصرحين بأخوة الشيعة الإسلامية الإمامية الاثني عشرية الرافضة، عرفوا الإسلام على حقيقته وعرفوا ما ينقضه ويبطله ما اتخذوهم أولياء ولا أخلاء، بل لاتخذوهم خصماء ألداء وسفهاء أعداء حتى يدخلوا في دين الله الحق المبين، ويتركوا ما هم عليه من الشرك والكفر والضلال المبين ولكن هكذا يفعل التقليد الأعمى بأهله وهكذا يصنع الغلو بذويه وحقًّا: ﴿**فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ [الحج: من الآية٤٦].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) انظر ذلك في كتاب " الطريق إلى الجماعة الأم " (ص١٦٨، ١٦٩).

موقف جماعة الإخوان المسلمين من الثورة الشيعية الإيرانية وزعامة الخميني

وبعد أن قرأنا تلك المقتطفات الَّتِي تم تدوينها من كلام دعاة الإخاء والتقريب بين الشيعة الإمامية الرافضة وبين أهل السنة والجماعة فإنه يجدر بنا أن نعلم بعضًا من المواقف الَّتِي سجلها التاريخ لجماعة من قادة الإخوان المسلمين من الثورة الشيعية في إيران، وذلك بواسطة كتاب "**موقف علماء المسلمين من الشيعة والثورة الإسلامية**" حيث قال ما نصه:

"بعد ذلك ننتقل إلى الموقف من الثورة الإسلامية الَّتِي اشتعلت مع مطلع عام (١٩٧٨م) وانتصرت مع مطلع عام (١٩٧٩م) فأيقظت روح الأمة المسلمة على طول المحور الممتد من طنجة إلى جاكرتا، ومع تقدم الثورة كان استقطابُها للجماهير يزداد، الجماهير الَّتِي كانت تعبر عن بَهجتها وفرحتها في شوارع قاهرة المعز ودمشق الشام... وفي كراتشي والخرطوم وفي استامبول ومن حول بيت المقدس وفي كل مكان يوجد فيه المسلمون وفي ألمانيا الغربية كان الأستاذ عصام العطار أحد الزعماء التاريخيين لحركة الإخوان المسلمين يكتب كتابًا كاملاً يتناول تاريخ الثورة وجذورها ويقف بجانبها مؤيدًا، ويبرق أكثر من مرة للإمام الخميني مهنئًا ومباركًا وانتشرت أحاديثه المسجلة على أشرطة الكاست

المؤيدة للثورة بين الشباب المسلم كذلك قامت مجلة الرائد لسان حال الطلائع الإسلامية بدور مهم في تأييد الثورة وشرح مواقفها.

وفي السودان كان موقف الإخوان المسلمين، وموقف شباب جامعة الخرطوم الإسلاميين من أروع المواقف الَّتِي شهدتْها العواصم الإسلامية حيث خرجوا بمظاهرات التأييد، وسافر الدكتور الترابي زعيم الإخوان إلى إيران حيث قابل الإمام معلنًا تأييده، ومن الجدير بالذكر أن هذا الموقف مستمر حتى الآن، وفي تونس كانت مجلة الحركة الإسلامية (المعرفة) تقف بجانب الثورة تباركها وتدعو المسلمين إلى مناصرتها، ووصل الأمر أن كتب زعيم الحركة والذي هو عضو التنظيم الدولي للإخوان المسلمين كتب مرشحًا الإمام الخميني لإمامة المسلمين".

قلت: وهكذا استمر الكاتب عز الدين إبراهيم يشيد بمواقف قادة الإخوان الفريدة من الثورة الشيعية بزعامة الخميني الشيعي الإمامي الجعفري الرافضي المتعصب لما كان عليه أسلافه الروافض الأوائل، نعم استمر الكاتب في إشادته حيث أشاد بموقف فتحي يكن ويوسف العظم والقصيدة العصماء الَّتِي أيد بِها الثورة ودعا فيها الأمة جمعاء إلى مبايعة الخميني حيث قال وبئسما ما قال:

باالخمـــــيني زعـــيمًا وإمـــــام ... هد صرح الظلم لا يخشى الحمام

قـــد منحـــناه وشـــاحًا ووسام ... مـــن دمانـــا ومضـــينا للأمـــام

ندمــــر الشـــرك ونجتاح الظـــلام ... ليعــود الكــون نــورًا وســـلام

وكذا أشاد بما كتبه الأستاذ جابر رزق أبرز كاتب وناطق بلسان الإخوان من التأييد المطلق لتلك الثورة الَّتي اعتبرها قادة الإخوان المسلمين نورًا سطع من أرض المجوس وتمنوا أن يعم جميع المعمورة لتصبح -بزعمهم نورًا بعد ظلم-.

كما أشاد الكاتب بموقف الجماعة الإسلامية في باكستان المتمثل في فتوى زعيمها أبي الأعلى المودودي الَّتي نشرت في مجلة الدعوة، القاهرة عدد ٣٩ أغسطس (آب) ١٩٧٩م ردًّا على سؤال وجهته إليه المجلة حول الثورة الإسلامية في إيران حيث أجاب بقوله: "لا وثورة الخميني ثورة إسلامية والقائمون عليها هم جماعة إسلامية وشباب تلقوا التربية في الحركات الإسلامية، وعلى جميع المسلمين عامة والحركات الإسلامية خاصة أن تؤيد هذه الثورة وتتعاون معها في جميع المجالات".

وعلى إثر تدوين هذه الفتوى الظالمة الجائرة عقب الكاتب بقوله: "إذن هذا هو الموقف الشرعي من الثورة الإسلامية كما طرحه المودودي وليس ما يطرحه وعاظ السلاطين السعوديين وغيرهم ممن أراد مخالفة لفتوى المجتهد الكبير فأيهم أولى بالاتباع أيها المسلمون، مجاهدو رائد إسلامي عظيم كالمودودي أم من يقدمون البيعة والولاء لفهد بن عبد العزيز "إمام المسلمين وخادم الحرمين الشريفين" !!.

وختم الكاتب بحثه بالثناء على ثورة جهيمان وأتباعه، تلكم الثورة الَّتي لَم يجد لها جهيمان وأتباعه مكانًا إلا حرم الله الآمن ولَم يجد لقذائفه

نحورًا إلا نحور المسلمين الأبرياء الآمنين ولكن كيف كان مصيرهم؟ كانت عقوبتهم في الدنيا القتل وعند الله تجتمع الخصوم[(١)].

تعقيب مختصر على تلك المواقف

أقول: إن كان لي من تعقيب على تلك المواقف الَّتي نسبت إلى أولئك القادة المرموقين من الإخوان المسلمين الموصوفين بالحركيين والتي اعتبرها الكاتب عز الدين مواقف مشرفة في طريق الدعوة إلى الله وفي باب الولاء والبراء غير أنَّها في نظري بل وفي نظر كل مسلم سلفي العقيدة ذي علم شرعي أصيل مواقف مخزية وظالمة ضالة لما فيها من شهادة الزور الَّتي تقضي بأن الخميني وأتباعه دعاة خير وهدى للإسلام والأنام وأنَّهم دمروا الشرك واجتاحوا الظلام هذه أولاً.

وثانيًا: يظهر لي ولكل ذي علم وبصيرة أن أولئك القادة الذين حصر الكاتب أسماءهم ومن على شاكلتهم من زملائهم وأتباعهم لَم يستطيعوا التمييز بين المسلمين والمشركين ولا بين المؤمنين والمنافقين وذلك لضعف مؤهلاتِهم العلمية الشرعية حيث خفي عليهم ما عليه الشيعة الإمامية الرافضة ومنهم الخميني الذي حظي بالترشيح من أولئك القادة لإمامة العالم الإسلامي ذلكم الرجل الرافضي المتعصب الذي حفظ عنه:

(١) راجع للمقاطع الَّتي أوردتُها من كتاب "موقف علماء المسلمين من الثورة الإسلامية" الصفحات التالية: (١٣، ١٤، ١٧، ٢٣، ٢٥، ٢٨، ٣٣، ٣٤، ٤١، ٤٢، ٤٤، ٤٥) وصفحات أخرى من الكتاب البالغ عدد صفحاته (٦٤) صفحة.

أ- أنه قال: "وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل"(١).

هكذا يقول ذلك صراحة بدون تحفظ أو لجوء إلى ركن التقية عندهم، ومن هذا التصريح الكاذب يظهر للعقلاء الذين سلمت قلوبُهم من الزيغ وأبصارهم من الغشاوة غمط حق الخلفاء الثلاثة: أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين ﷺ الذين أجمعت الأمة على شرعية خلافتهم وأنَّها على منهاج النبوة وأنَّها على حق ونور أعز الله بِها الإسلام وأهله بينما هي عند الشيعة الاثني عشرية الجعفرية الرافضة اغتصاب وظلم وباطلة وأصحابُها مطرودون من رحمة الله مستحقون لعقوبته وغضبه.

ب- ويقول في كتاب جهاد النفس أو الجهاد الأكبر (ص١٨) عن معاوية ﷺ: "معاوية ترأس قومه أربعين عامًا ولكنه لَم يكسب لنفسه سوى لعنة الدنيا وعذاب الآخرة".

وله كلام سيئ غير هذا تراجع له الكتب الَّتِي سأدون أسماءها

(١) كتاب الحكومة الإسلامية (ص٥٢)، تحت عنوان "الولاية التكوينية" وقد نقل أبو الحسن الندوي المقطع بكامله في كتابه صورتان متضادتان، عند أهل السنة والشيعة الإمامية حيث قال: "قال الخميني ما نصه: فإن للأئمة مقامًا محمودًا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتِها جميع ذرات هذا الكون وإن في ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث فإن الرسول الأعظم ﷺ والأئمة -عليهم السلام- كانوا قبل هذا العلم أنوارًا فجعلهم الله لعرشه محدقين وجعل لهم من المنْزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله". اهـ.

للاستفادة منها في محلها المناسب إن شاء الله.

تلك عقيدة الخميني في أئمة الشيعة وهذا رأيه ومعتقده في معاوية ﷺ صاحب رسول الله ﷺ وكاتب الوحي بين يديه جره إليه الحقد الغائر الدفين والكفر البواح الذي جعله يستحل حرامًا معلومًا تحريمه من الدين بالضرورة ألا وهو لعن معاوية والحكم عليه بعذاب الآخرة بدون مسوغ شرعي أو عقلي ونحن لا نملك إلا أن نقول: جازى الله الخميني وأمثاله وكتَّاب تزكيته جميعًا بما يستحقون في الدنيا ويوم يبعثون.

ورحم الله ابن المبارك لقد سئل عن معاوية بن أبي سفيان وعمر بن عبد العزيز أيهما أفضل؟ فقال: والله إن الغبار الذي دخل في أنف معاوية من جهاده في سبيل الله أفضل ألف مرة من عمر بن عبد العزيز". وعمر ابن عبد العزيز صاحب الزهد والورع والعدل والتقوى وخامس الخلفاء، ومع ذلك فقد سمعت ما قاله الإمام ابن المبارك من تفضيل معاوية الذي ظفر بصحبة رسول الله ﷺ والجهاد تحت لوائه عليه، وحقًّا أن كل إناء ينضح بما فيه، فالأرواح الطيبة والقلوب المؤمنة لا يصدر عنها إلا كل كلم طيب وكل قول صادق صائب، والعكس بالعكس فإن الأرواح الخبيثة والقلوب النجسة لا يصدر عنها إلا الفحش والفجور ونسأل الله العافية(١).

---

(١) ورحم الله شيخ الإسلام بن تيمية حيث قال: "ومن أعظم خبث القلوب أن يكون في قلب العبد غل لخيار المؤمنين وسادات أولياء الله بعد النبيين، ولهذا لَم يجعل الله في الفيء =

نعم أعود فأقول: إنه خفي عليكم معشر القادة الحركيين خبث الخميني ونفاقه لضعف مؤهلاتكم العلمية الشرعية لاسيما في فن العقائد، وهذا خير ما تحملون عليه، أما إذا قلتم بل نحن العلماء المجاهدون وأنتم معشر السلفيين العلماء القاعدون، فإننا سنقول لكم ومن حقنا أن نقول: إنكم إذن دعاة سوء وضلالة لا دعاة حق وهداية، وإن لكم وراء هذه الحركات والتحركات من المقاصد ما ستجزون عليه من الله الذي يعلم سركم ونجواكم إن عاجلاً أو آجلاً.

وثالثًا: أقول لقادة الإخوان المسلمين الذين تورطوا في الدعوة التقريبية الَّتي سبق الحديث عنها وبيان المراد منها، والذين تورطوا في الحكم للشيعة الإمامية الجعفرية الرافضة بأنَّهم إخوة لأهل السنة والجماعة وأن الخلاف بيننا وبينهم لا يتجاوز فروع المسائل والذين تورطوا في الإشادة بالثورة الإيرانية الشيعية وبزعامة قائدها الرافضي الخميني المتعصب وحزبه وأنصاره أقول لهؤلاء جميعًا:

اتقوا الله في أنفسكم وفيمن تحت قيادتكم -وما أكثرهم- وتوبوا

نصيبًا لمن بعدهم إلا الذين يقولون: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيْمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: من الآية١٠]. اهـ. منهاج السنة (ج١ ص٢٢) طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وعليه فمن يا ترى أعظم خبثًا وأشد غلاً من الخميني الذي قال في حق معاوية ﷺ ما رأيت وسمعت في الصفحات الَّتي بين يديك.

إلى الله توبة نصوحًا واعدلوا عن الفكر المنحرف وزنوا منهج دعوتكم وحبكم وولاءكم بميزان الكتاب والسنة على أساس من الفهم الصحيح والنية الخالصة، واطلبوا الهداية إلى الحق من الله صادقين مخلصين، واحذروا فتنة التعصب لأولئك الشيعة الرافضة حكامًا ومحكومين وتبرءوا منهم ومن المحبة والولاء لهم لأنَّهم أعداء الله ورسوله وأعداء الصالحين من عباده السابقين واللاحقين إلى يومنا هذا وإلى يوم الدين.

ورابعًا: أنصح المنتظمين في جماعة الإخوان والمتعاونين والمتعاطفين معهم سواءً كانوا داخل بلاد المملكة العربية السعودية أو خارجها أن يتخلصوا من بدعة الحزبية الضيقة الممزقة المفرقة لجماعة المسلمين، وأن يكونوا جماعة واحدة هي جماعة المسلمين السائرين على منهاج نبيهم الكريم -عليه الصلاة والسلام-.

وأخص شباب المسلمين المتعلمين بالتحذير من الجري وراء دعاة الحزبية الممثلة في التجمع حول شخص ما قد لقب بلقب من الألقاب القيادية كإمام أو قائد رائد، أو زعيم أو نحوها من الألقاب الَّتي تكون سببًا في الغلو في ذلك الشخص فلا يتحرك الشباب إلا في الإطار المخصوص الذي يرتضيه ذلك الشخص ولو كان فيه مخالفة واضحة لمنهاج النبوة العظيم وهذا واقع في الجماعات المعاصرة ذات الألقاب المتعددة والاتجاهات المتباينة المختلفة عن الاتجاه الحق المورث عن أئمة الدعوة وعلماء السلف المستمد من الكتاب والسنة.

فإن اقتنع جماعة بدعوة الحق ومنهجها القويم ولكن تأثموا من نكث البيعة الَّتِي قد أعطوها قيادتَهم المعينة.

قلنا لهم: لا تثريب عليكم في نكث تلك البيعة فإنَّها بيعة محدثة لا أصل لها في الشرع الذي تعبدكم الله به وإنما الإثم والحرج في نكث البيعة الشرعية الَّتِي تكون للوالي المسلم الذي أعطيتموه صفقة أيديكم وثمرة قلوبكم ولو استولى على الحكم بالغلبة واستقر له الأمر فأقام الشعائر التعبدية والفرائض الشرعية والحدود الإلهية فيمن ولاه الله أمرهم وجعله مسئولاً عنهم، وهم مسئولون عنه ولو كان فيه جور وفسق ما لَم يرتكب كفرًا بواحًا فيه من الله برهان.

وخامسًا: أنصح جماعة الإخوان -أتباعًا ومتبوعين ذكورًا وإناثًا- بالتوسع في تحصيل العلم الشرعي الشريف عمومًا وأخص بالذكر القرآن الكريم وعلومه والسنة المطهرة وعلومها والعقيدة السلفية وعلومها، ولا يمكن أن يتحقق هذا المطلب الغالي لأحد إلا إذا سلك طرقه الصحيحة ودخله من أبوابه المشروعة وما دمت نوهت بذكر طرق تحصيل العلم الشريف الصحيحة وأبوابه المشروعة إجمالاً فإلى القارئ الكريم أهمها تفصيلاً:

١- **إخلاص النية لله -تبارك وتعالى- في الطلب:** ذلك لأن الإخلاص هو أحد الشروط الثلاثة[1] الَّتِي لا تقبل الأعمال من العاملين إلا بتوفرها،

---

(١) هي: الصواب، والإخلاص، وصحة الاعتقاد.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: من الآية١١٠].

وقال ﷻ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

وجاء في حديث عمر المشهور قوله ﷺ: «**إنَّما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**»[1].

ومن غير شك أن طلب العلم بنوعيه -فرض العين وفرض الكفاية- من الأعمال الصالحة الجليلة بل هو إمام العمل كما قال ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: من الآية١٩].

لذا وجب الإخلاص فيه حيث يبتغي به وجه الله ورضاه، وجواره في دار كرامته ومتى فقد طالب العلم خلوص النية تغير مجرى الحق في طلبه، وتحول قطعًا من أفضل القربات وأعظم الطاعات إلى أسوأ المخافات.

ألا وإن أخوف ما يخف على طالب العلم الرياء وقصد السمعة والرغبة في الرياسة والقيادة والجاه، وحب المدحة والثناء من الخلق، وكذا حب المباهاة والمماراة للآخرين بما أحرزه من علم الشريعة ووسائله ليعرف بتفوقه على الأقران وليقبل الناس عليه وينصرفوا عن سواه، إلى

---

(١) البخاري في كتاب الأيْمان والنذور (ص١٤) باب النية في الأيْمان (ج٨ ص١١٨)، ومسلم في كتاب الإمارة باب قوله ﷺ: «**إنَّما الأعمال بالنيات**.. » (ج٣ رقم ١٩٠٧ ص١٥١٥).

غير ذلك من المقاصد السيئة المهلكة.

فمتى كان ذلك يا عقلاء فابكوا على طالب العلم بدل الدموع دمًا لذهاب بركة علمه بسبب عدول النية عن المقاصد الشريفة المرضية إلى المقاصد الدنيئة المخزية ثم ليكن معلومًا علم اليقين أنما يطلب العلم من أجل الإحسان في العمل، فلولا العمل لَم يطلب العلم ولولا العلم لَم يطلب العمل.

قال أبو الدرداء ﷺ: "إنك لن تكون عالمًا حتى تكون متعلمًا، ولن تكون متعلمًا حتى تكون بما علمت عاملاً"[١].

وقال الخطيب البغدادي في وصيته لطالب العلم ما نصه: "ثم إني موصيك يا طالب العلم بإخلاص النية في طلبه، وإجهاد النفس على العمل بموجبه، فإن العلم شجرة والعمل ثمرة، وليس يعد عالمًا من لَم يكن بعلمه عاملاً"[٢].

٢- **اختيار المعلم:** إن اختيار المعلم من أهم الطرق وأجل أبواب التحصيل العلمي الشريف وإن شئت أن تعرف أهميته فتأمل في اختيار الله ﷻ للرسل الكرام والأنبياء العظام الذين اصطفاهم الله فبعثهم إلى أمم الأرض مبشرين ومنذرين وأمناء ناصحين ومعلمين حكماء مخلصين يدلون أممهم على الفضائل ويحذرونَهم من الشرور والرذائل، ويحببون

---

(١) اقتضاء العلم العمل (ص٢٦).

(٢) المصدر السابق.

إليهم رضا الرحمن الرحيم، ويبغضون إليهم طرائق أهل الجحيم، قال الله ﷻ : ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: من الآية٧٥].

وحيث إن العلماء ورثة الأنبياء فعلى طالب العلم أن يختار منهم خير آخذ بهذا الميراث فيأخذ عنه دينه أصولاً وفروعًا وكبارًا وصغارًا، ألا وإن خير آخذ بميراث النبوة هو من منَّ الله عليه:

أ- **بصحة العقيدة**: وذلك فيما يتعلق بذات الله المقدسة وأسمائه الحسنى وصفاته العلى بل وفي كل ما يتعلق بما جاءت به رسل الله جملة وتفصيلاً على مراد الله ﷻ وعلى مراد رسله الذين بلغوا رسالات ربّهم، ونصحوا لبريته.

ب- **وغزارة العلم الشريف**: الذي لا يتمكن من التوسع فيه إلا من بذل نفسه في تحصيله، واستفرغ جهده في العناية به، وضحى بجل أوقاته في استقطاب مسائله وتطلعت نفسه الكبيرة إلى أن تحذو حذو صفوة الخلق الذين بعثهم الله دعاة للخلق إلى رحاب الحق كي تحشر في زمرتهم فتسعد بأنسهم ومقيلهم.

ج- **وخشية الله**: الّتي تتجلى بعمارة الباطن والظاهر بطاعة الله وترك معاصيه والسعي حثيثًا في موافقة مراده ﷻ وجميع مراضيه.

قال الإمام أحمد -رحمه الله-: "العلم خشية الله تعالى".

قلت: وكأنه تأول قول الحق ﷻ : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: من الآية٢٨].

وإذن فمن أراد من أمة محمد ﷺ أن يكون من العلماء الربانيين فليبذل جهده في الطلب وليحسن اختيار المعلم وهو مع ذلك ملازم خشية الله في السر والعلن فإن خير الخليقة على وجه الأرض بعد الرسل والأنبياء هو العالم العامل بعلمه المتحلى بخشية ربه الملازم لها ملازمة الظل لصاحبه.

نعم قلت: إن اختيار المعلم الموصوف بما ذكر آنفًا يعتبر من الحكمة في الطلب ومن أسباب البركة في العلم والنبوغ فيه بل ومن أساليب سعادة الدنيا ونعيم الآخرة.

أما إذا تتلمذ الطالب على أساتيذ من ذوي الانحراف والبدع فإنه سيتلقى حتمًا ما تنضح به آنيتهم وهو خال الذهن غالبًا فيكون لهم عليه الأثر السيئ إما في معتقده وإما في أعماله السلوكية وإما في خلقه ومنهج جهاده ودعوته وبهذا السبب فإنه لَم ينقرض على مدى الزمان مذهب الجهمية والمعتزلة والقدرية والمرجئة والأشعرية والماتريدية والمفوضة والصوفية ونحوها وغيرها من النحل المفارقة لعقيدة ومنهج أهل الحديث أهل السنة والجماعة إذ ما من نحلة من تلك النحل إلا ولها مورث ووارث فيعلم السابق اللاحق وهكذا اللاحق يقوم بدوره جريًا على طريقة أشياخه الذين رضع من لبانهم واحتلت قلبه وجوارحه عقائدهم وسلوكهم وأخلاقهم.

٣- **العناية بالقرآن الكريم تلاوة وفهمًا وخلقًا**: حقًا إن العناية بالقرآن الكريم والذكر الحكيم أمثل طريق موصل إلى إحراز العلم الشرعي

الشريف وما ذلك إلا لأنه كتاب تربية لعالم الإنس والجن على اختلاف مستوياتهم وتباين لغاتهم وأجناسهم قال تعالى في وصفه له: ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: من الآية٨٩].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: من الآية٩].

نعم إنه المصدر الكريم والأساس المتين لكل علم نافع مفيد في باب الاعتقاد وفي باب الأدب والسلوك وغيرها مما تحتاج إليه البشرية في إصلاح حياتها وبعد مماتها، وإذن فكتاب هذا شأنه وتلك مزاياه وأوصافه لحقيق بالاعتصام به والحياة في ظله والاعتزاز بما أتى فيه من حكم وأحكام وحلال وحرام وآداب وخلق وقصص ومثل اقتداء برسولنا الكريم وأصحابه الغر الميامين الذين تأسوا به -عليه الصلاة والسلام- في الخلق العظيم والمنهج الصالح السليم، فكم من آية كريمة قد جاءت تحث على العناية بهذا القرآن العظيم كقوله تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف:٢٧].

وكقوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ [فاطر:٢٩]. وغيرهما كثير.

وكم من حديث صحيح قد جاء في بيان فضله كذلك كقوله ﷺ: «اقرءوا القرآن فإنه شافع يوم القيامة، اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران

فإنَّهما يأتيان يوم القيامة كأنَّهما غمامتان، أو غيابتان، أو كأنَّهما فرقان من طير صواف يحاجان عن أهلهما يوم القيامة».

ثُمَّ قال: «**اقرءوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة**»[١].

وكقوله -عليه الصلاة والسلام-: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[٢].

وكقوله أيضًا: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منْزلك عند آخر آية تقرأ بِها**»[٣].

وغير هذه النصوص في هذا المعنى كثير وكلها كما رأيت تحث على العناية بكتاب ربنا علمًا وعملاً وخلقًا.

ولقد أحسن من قال[٤] في الوصية بِهذا القرآن:

وبالتدبر والترتيل فاتل كتاب الله ... لاسيما في حندس الظلم

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (ج١ رقم ٨٠٤ ص٥٥٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (ج٦ ص١٥٧).

(٣) رواه أبو داود في كتاب الوتر باب كيف يستحب الترتيل (ج٢ ص١٣٦ رقم ١٤١٤)، والترمذي في كتاب ثواب القرآن باب (١٨ ج٥ ص١٧٧ رقم ٢٩١٥) وقال: حديث حسن صحيح. ورواه ابن ماجه في كتاب الأدب باب (٥٢ ص١٢٤٥، ٣٧٨).

(٤) حافظ بن أحمد بن علي الحكمي المولود عام (١٣٤٢هـ)، والمتوفى عام (١٣٧٧هـ) -رحمه الله-.

حكــم براهينه واعمل بِمحكمه حـــلاً وحظــرًا وما قد حده أقم
واطلب معانيه بالعقل الصحيح ولا تخض برأيك واحـــذر بطش منتقم

إلى أن قال في وصفه:

هـــو الصراط هو الحبل المتين هو المـــيزان والعروة الوثقى لمعتصم
هـــو البيان هو الذكر الحكيم هو التفصـــيل فاقنع به في كل منبهم
هـــو البصـــائر والذكرى لمدكر هـــو المواعظ والبشرى لغير عمي
هـــو المــنَزل نـــورًا بينًا وهدى وهو الشفاء لما في القلب من سقم
لكـــنه لأولي الإيْمـــان إذ عملوا بِمـــا أتى فيه من علم ومن حكم
أما لمن تولـــى عنـــه فهـــو عمـــى لكونه عـــن هـــداه الْمُستنير عمي

إلى أن قال -ونعما ما قال-:

أخـــباره عظـــة أمـــثاله عـــبر وكلـــه عجب سحقًا لذي صمم
لَم تلبث الجن إذ أصغت لتسمعه أن بـــادروا نـــذرًا منهم لقومهم
الله أكـــبر مـــا قـــد حاز من عبر ومـــن بـــيان وإيجـــاز ومن حكم
والله أكـــبر إذ أعيـــت بلاغـــته وحســـن تركيبه للعرب والعجم
كم ملحـــد رام أن يبدي معارضة فعـــاد بالذل والْخســـران والرغم

قلت: ولقد عرف قدر هذا الذكر الحكيم والقرآن العظيم سلفنا الصالح فاعتبروه أوسع طريق لكسب العلم الشريف المنقذ من ظلمات الجهل وتيه الضلال كما اعتبروه غذاءً تامًّا لقلوبِهم وأرواحهم وعقولهم

وجوارحهم وجنة منيعة تقيهم شر نفوسهم وشر كل ذي شر في الحياة وبعد الممات، وتفاعلوا معه بتطبيقهم له في واقع الحياة العلمية فمنه ينطلقون ومن نميره الصافي يرتوون وفي ميدانه الفسيح يتقلبون، فهم لأوامره ممتثلون وعن نواهيه منتهون ولأحكامه مقيمون ولحدوده حافظون وعن توجيهاته السديدة وإرشاداته القويمة لا يتخلفون.

كما اعتبروا العناية به تعلمًا وتعليمًا وتفهمًا وتحكيمًا عملاً جليلاً يرتقي به صاحبه في سلم المجد الشرعي الأصيل حتى يصل إلى مراتب الملائكة السفرة الكرام بجوار الملك العلام.

وإن لنا في سلفنا الصالحين للأسوة الحسنة والقدوة الصالحة فلنحذ حذوهم ولنجد جدهم كي نحشر في زمرتهم في ظل القرآن يوم لا ظل إلا ظل الكريم المنان.

٤- **العناية بالسنة الكريْمة**: رواية ودراية وتأييدًا لها وذبًّا عنها إذ هي المصدر العظيم مع كتاب الله الكريم فكم من آية كريمة قد جاء فيها ذكر السنة مقترنة بالكتاب بلفظ الحكمة من ذلك قول الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ [الجمعة:٢].

وقوله ﷻ: ﴿**كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:١٥١].

نعم إذ المسلم به لدى العقلاء العالمين هو أن منْزلة السنة الكريمة من

القرآن العظيم في أولى المراتب إذ فيها الكثير من تفسيره وإيضاح مشكله وتفصيل مجمله وفيها الشهادة له بالجودة والكمال والصدق والجلال، وهو كذلك يدعو إلى العمل بِها، والأخذ بكل ما صح فيها[١] من أمر ونَهي ووعد ووعيد وأدب وخلق وسلوك فهما صنوان لا يفترقان وإن كان لكلام ربنا خصائصه الَّتِي يمتاز بِها عن كلام من سواه وإذا كان هذا هو شأن السنة فلتعلموا معشر القراء الكرام أن العناية بِها طريق مستقيم وباب واسع عظيم يوصلان سالكهما إلى إحراز العلم النافع الذي يثمر العمل الصالح.

ولقد أدرك قدرها -السنة- وجلالتها وسعة أفقها ومدى حاجة الأمة إليها رجال صالحون ازدانت بِهم الدنيا لحسن صفاتِهم وافتخرت بِهم الأرض إبان حياتِهم وحزنت وبكت عليهم بعد مماتهم عبر تاريخ زمانِهم ومكانِهم، نعم عرفوا قدرها وقدر من أوحاها ومن بلغها فأقبلوا عليها دراية ورواية وتصحيحًا للصحيح منها وتضعيفًا للضعيف كذلك كما أقبلوا على رواتِها تعديلاً وتجريحًا على وفق قواعد صحيحة لا تظلم ولا تحابي، تراجع لها كتب فن الاصطلاح وكتب تراجم الرجال والله المستعان.

٥- **العناية بالعلوم الَّتِي تعتبر وسيلة لفهم أحكام الشريعة:** من لغة عربية فصحى وأصول تفسير وأصول فقه وقواعد المصطلح ونحوها من

(١) بشرط صحته.

الوسائل النافعة في معرفة أحكام الكتاب والسنة.

٦- **علو الهمة**: الباعث على الجد في التحصيل والمثابرة عليه، ذلك أن من تحلى بخلق علو الهمة وكبرها فإنه سيظل متطلعًا دائمًا إلى درجات الكمال في رحاب العلم ولن يبلغ درجات الكمال النسبي أو يقاربَها إلا إذا أتعب الجسم في مراد تلك النفس المطمئنة الطموح إلى أعالي الأمور ومكارم الأخلاق ومراتب المجد والعز والشرف.

ولقد أحسن القائل:

وإذا كانت النفوس كبارًا ... تعبت في مرادها الأجسام

وإنني لأقترح أن يكون أولى الناس بخلق علو الهمة هم طلاب العلم من الذكور والإناث وما ذلك إلا لعلو شأنه كيف لا وهو ميراث صفوة خلق الله من الرسل الكرام والأنبياء العظام ومن اقتدى بِهم من أهل الإحسان والإيْمان والإسلام.

وعليه فكن يا طالب العلم الشريف حريصًا على سبيل الدوام على إحراز الفضائل وكسب المعالي والمقامات العلى المتجلية في العلم النافع والعمل الصالح، وكن ذا نَهَمٍ في الطلب باذلاً الوسع فيه مدققًا في مسائل العلم جادًّا في تحقيقها وفهمها وتدوينها والنشر لها وقت الحاجة الَّتي هي أشد من حاجة الناس إلى الطعام والشراب والنفس، وإن جهل هذا الأمر معظم الناس وإن شعرت بفتور في العزيمة وانصراف عن التحصيل فتذكر نصوص فضل العلم وبيان شرف أهله من كتاب وسنة وحكمة منظومة

ومنثورة، وتمثل بقول الخليفة الرابع علي بن أبي طالب ﷺ:

ما الفضل إلا لأهل العلم إنَّهمو ... على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ... وللرجال على الأفعال أسماء

٧- **انتقاء كتب القراءة والتدرج في قراءتِها:** سواء كان ذلك في علم التفسير أو فن الحديث أو علم التوحيد أو علم الفرائض أو علم التاريخ والسير أو غيرها من فنون الشريعة فيبدأ الطالب في كل فن بقراءة متونه ومختصراته ثم ينتقل بعدها إلى مطولاته.

٨- **الرحلة في طلب العلم الشرعي الشريف:** إذ الرحلة في طلب العلم الشرعي الشريف طريق مألوف لسلفنا الصالح وكل من تأسى بهم في محبة العلم وإجلال العلماء، وعمل مجيد كثر فيه التنافس منهم طمعًا في الوعد الكريم ممن لا ينطق عن الهوى ﷺ حيث قال: «**من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة**».

وفي رواية: «**ما سلك عبدٌ طريقًا يقتبس فيه علمًا إلا سلك الله به طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا عنه، وإنه ليستغفر للعالم من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر**»[١].

---

(١) أحمد في المسند (ج٥ ص١٦٩)، والدارمي (ج١ ص٩٨)، وأبو داود في كتاب العلم باب الحث على طلب العلم (ج٣ رقم ٣٦٤١ ص٣١٧)، والترمذي في كتاب باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (ج٥ رقم ٢٦٨٢ ص٤٨، ٤٩)، وابن ماجه في المقدمة

ونحوه ما رواه الإمام أحمد وغيره بإسناد جيد من حديث صفوان ابن عسال المرادي ﷺ قال: أتيت النَّبي ﷺ وهو في المسجد متكئ على برد له أحمر، فقلت له: «يا رسول الله جئت أطلب العلم فقال: **مرحبًا بطالب العلم، إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها ثم يركب بعضهم بعضًا حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب**»[1].

ففي هذه النصوص الكريمة وما في معناها ترغيب عظيم في الرحلة في طلب العلم وتشويق كريم باعث على الصبر على تجشم المصاعب في سبيل نيله إذ به تحيا القلوب والأرواح فتعرف إلهها الرحمن الرحيم وفاطرها رب السموات السبع ورب العرش العظيم فتفرده بالعبادة وحده دون سواه مخلصة له الدين ترجو ثوابه وتخشى عقابه، ﴿**أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ**﴾ [الأنعام: من الآية٦٢].

ولقد عرف سلفنا الأوائل وأتباعهم عبر تاريخ زمانهم قدر الرحلة في طلب العلم فرحلوا رجالاً وركبانًا برًّا وبحرًا في طلبه غير مبالين ببعد المكان ومشقة السفر وذلك دليل على مدى فهمهم لعظم شأن العلم، وأن أمم الأرض لا يطيب عيشها حقيقة ولا تصفو حياتها، بل ولا تبصر

(ج١ رقم ٢٢٣ ص٨١) وصححه الحاكم وابن حبان وله شواهد يتقوى بها كما قال الحافظ بن حجر في الفتح (ج١ ص١٦٩): فهو حديث حسن.

(١) أحمد في المسند (ج [illegible] ٢٤١)، والترمذي في الدعوات باب في ذكر التوبة والاستغفار (ج٥ رقم ٣٥٣٦ ص٥٤٦)، والآجري في أخلاق العلماء (ص١٠٠) وإسناده حسن.

طريق مرضاة خالقها ومولاها إلا بالعلم الشرعي الشريف، وبدونه لا طيب للعيش ولا صفاء للحياة ولا معرفة لطريق الحق الموصلة إلى الله هذا وإن كتب التراجم والسير لمملوءة بذكر هذه الرحلة الجهادية وأصحابها الغرباء الفضلاء في كل زمان ومكان كثر الله أمثالهم وأدخلهم الجنة الَّتِي عرفها لهم.

٩- **تنظيم المكتبة المنْزلية**: وإن قلت كميتها وذلك أن تنظيم المكتبة المنْزلية باختيار الكتب أولاً وتنويعها ثانيًا وترتيبها المكاني بأسهل طريق اصطلاحي ثالثًا، كل ذلك يهيئ لطالب العلم طريق التحصيل ويبعث في نفسه الرغبة في القراءة الدائمة المرتبة فيصبح كأنه متتلمذ على عدد من الأشياخ غير قليل وهذه الطريقة -أعني: التتلمذ على الكتب المعتبرة مع الرجوع إلى أولي العلم فيما قد يشكل في مسائل العلم- قد سلكها بعض العلماء في غابر الأزمان ومع ذلك فقد خلفوا رصيدًا عظيمًا من كتب العلم في شتى الفنون: ﴿**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ [الحديد: من الآية٢١].

١٠- التعود على الكتابة الإنشائية العلمية في بحوث نافعة يضع الطالب المتدرب لها الخطة ويعين لها الموضوع ويشرع في الكتابة بعد مراجعة دقيقة ومتقنة في الكتب الَّتِي تعنى بأبحاث الموضوع ؛ إذ إن أي بحث يقوم به صاحبه بدون الرجوع إلى مصادره فإنه لا يتحقق له المطلوب ولا يأتي فيه بما يروي الغليل، بينما إذا رجع الباحث إلى مصادر

بحثه وقلب صفحاتِها واطلع على أبوابِها وفصولها ومسائلها وارتوى من نميرها العذب فإنه يكون بِهذا الصنيع قد فتح لنفسه بابًا عظيمًا من أبواب الطلب واختط طريقًا واسعًا مستقيمًا من طرق التحصيل المعتبرة.

وقد تكون الكتابة العلمية تحقيقًا لكتاب سواء كان مخطوطًا -وهو الغالب- أو مطبوعًا يحتاج إلى إعادة نظر في محتواه، وهي لا تقل حينئذ أهمية من شق طريق نافع مفيد لطلب العلم عن الكتابة في موضوع معين لأن المحقق الناصح لا يستطيع أن يقدم رجلاً أو يؤخر أخرى في عمل التحقيق إلا بعد الرجوع المطمئن إلى المصادر المعتبرة الَّتِي لها علاقة وثيقة بالكتاب المراد تحقيقه والتعليق عليه.

١١- **السماع لفتاوي العلماء ودروسهم**: نعم إن السماع لفتاوى العلماء الموثوق بِهم والتثبت من صحة فهمها وسماع دروسهم وخطبهم ومحاضراتِهم وندواتِهم سواءً كان ذلك على الطبيعة المعروفة أو بواسطة الأجهزة الحديثة فإنه يعتبر طريقًا نافعًا في طلب العلم لاسيما ممن لا يقدرون على الاستفادة من كتب العلم ولا على الرجوع إلى مصادر الفتوى وكتب الثقافة الإسلامية العامة وذلك بسبب ضعف مستواهم العلمي أو دنياهم الصارفة لهم عن التفرغ لطلب العلم الشريف غير أنه ينبغي أن يعلم أن هذه الطريق الأخيرة لا تؤهل صاحبها لنشر العلم بشكل واسع ولا تؤهله للفتوى في الأمور الَّتِي لا يستطيع حلها إلا الذين أعطوا العلم النصيب الوافر من أوقاتِهم وحياتِهم.

وبعد: فهذه أهم الطرق الصحيحة لطلب العلم في حدود معرفتي وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه[1].

أعود بعد هذا المشوار الطويل الذي أكبرت موضوعه وأحببت تدوينه للاستفادة منه فأقول:

وسادسًا: أنصح نفسي وطلاب العلم عمومًا والمنتمين إلى جماعة الإخوان المسلمين خصوصًا بالاتجاه إلى قراءة ما كتب عن الشيعة في بيان ما هم عليه قديْما وحديثًا من مخالفات لأصول دين الإسلام وفروعه وأن يكون التركيز على ما عليه الشيعة الروافض المعاصرون الذين اعتبرهم كثير من قادة الإخوان إخوة لأهل السنة والجماعة كما سبق بيانه وهم يخالفون أهل السنة والجماعة في كل شيء من دينهم، ولكن معظم المصائب الَّتِي يقع فيها بعض المسلمين تكون بسبب الجهل البسيط أو المركب،

---

(١) ولا يفوتني أن أرشد القراء الكرام إلى التوسع في هذا الموضوع إلى الكتب التالية أسماؤها:

١- كتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر.

٢- كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للحافظ الخطيب البغدادي

٣- مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية.

٤- أخلاق العلماء للمحدث الثقة الكبير محمد بن الحسين أبو بكر الآجري.

٥- اقتضاء العلم العمل للبغدادي.

٦- حليه طالب العلم للشيخ بكر أبو زيد وكيل وزارة العدل بالمملكة العربية السعودية.

٧- الميمية في الوصايا والآداب العلمية للشيخ حافظ الحكمي.

٨- الأجوبة السديدة على الأسئلة الرشيدة لراقم هذه الرسالة الجزء الثاني.

غير أنه لا يجوز أن يستسلم الإنسان لداء الجهل بل عليه أن يسأل فإنما شفاء العي السؤال، وما دمت قد اقترحت هذا الاقتراح فلا مانع من تدوين أسماء بعض الكتب الَّتي تم لي الاطلاع عليها من أجل أن يحرص طالب العلم على جمعها ومن ثم يبذل الجهد في قراءتها وتلخيص ما يمكنه تلخيصه من الحقائق الأساسية الَّتي ينبغي أن تحظى بضبط الصدر وهذه الكتب هي:

١- رسالة في الرد على الرافضة تأليف أبو حامد محمد المقدسي.

٢- نقد ولاية الفقيه تأليف محمد مال الله.

٣- سلسلة مؤلفات إحسان إلهي ظهير عن الشيعة ورده على من قال: إن الخلاف بينهم وبين أهل السنة لا يخرج في أهم أوضاعه عن حيز الاجتهاد المسموح به.

٤- الوشيعة في نقد عقائد الشيعة تأليف موسى جار الله.

٥- كشف الأسرار تأليف روح الله خميني على حد تعبيرهم الغالي قدم له/ د. محمد بن أحمد الخطيب.

٦- الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب. وعلى الكتاب مآخذ ينبغي أن تعلم فتحذر.

٧- الرافضة للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

٨- الفرق بين الفرق تأليف عبد القاهر البغدادي.

٩- بطلان عقائد الشيعة تأليف محمد عبد الستار التونسوي.

١٠- الشيعة والمتعة تأليف محمد مال الله.

ومن قبل ذلك كله ١١، ١٢. المنتقى من منهاج الاعتدال للإمام "الذهبي" وأصله منهاج السنة للإمام "ابن تيمية".

١٣- موقف الشيعة من أهل السنة لمحمد مال الله.

سابعًا: لي الحق بل ولكل طالب علم بل ولكل مسلم الحق في رد فتوى أبو الأعلى المودودي الَّتِي قال فيها: "وثورة الخميني ثورة إسلامية والقائمون عليها هم جماعة إسلامية وشباب تلقوا التربية في الحركات الإسلامية ، وعلى جميع المسلمين عامة، والحركات الإسلامية خاصة أن تؤيد هذه الثورة وتتعاون معها في جميع المجالات"(١). انتهى نص الفتوى.

وأنا العبد الفقير إلى الله وقليل البضاعة في العلم أقول: إنه يجب على المسلمين عامة وعلى طلاب العلم الشرعي الشريف خاصة أن يرفضوا تلك الفتوى المودودية الخاطئة الَّتِي حملت في معناها ومبناها ظلمًا ظاهرًا قاهرًا وخطأ فاحشًا يحزن قلوب المؤمنين الصادقين في إيمانهم ويثلج صدور الرافضة الضالين المنافقين، كما حملت دعوة صريحة إلى التعاون على الإثم والعدوان الذي نص الله على تحريمه في محكم القرآن حيث قال -وقوله الحق-: **﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الأِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** [المائدة: من الآية٢].

---

(١) انظر رسالة "موقف علماء المسلمين من الشيعة والثورة الإسلامية " (ص٤٨).

إنَّها فتوى من زعيم جماعة إسلامية كبرى -كما يقال عنها- جرت الويلات على كثير من ضعفاء طلاب العلم الذين ديدنُهم تقليد كبرائهم والحرص على الوفاء لهم بالبيعة والطاعة على تنفيذ ما قالوه وقرروه والالتزام بما قعدوه وأسسوه بدون مطالبة بدليل نقلي ولا استفسار عن مسوغ أو سبب عقلي ولا غرابة فهذا هو نظام التجمع الحزبي الذي قرأناه نظريًّا وعايشناه واقعًا عمليًّا ونقدنا ما في منهجه من خطأ قعده الزعماء واعتصم به الأتباع فأطلقوا علينا بعض مصطلحاتهم الَّتِي يطلقونَها على من لَم ينتم إليهم أو ينقد خطأ موروثًا عن القادة الذين تعاقبوا على لقب "المرشد العام" ونحوه ومن تلكم المصطلحات ما ذكره الشيخ العلامة بكر أبو زيد بقوله: (ليس واعيًا) أو غير واعٍ بالواقع وغير فاهم بالواقع (وإلصاق التهم بالعلماء والتنفير منهم والنظر إليهم بعين السخط والاستصغار)[١].

أعود إلى حديث تلك الفتوى المؤسفة فأقول: حقًّا إن كل عاقل حليم حكيم مجالس لأهل الفقه في الدين ليشتد عجبه فغضبه من تلك الفتوى الَّتِي أعلنها المودودي الرجل الذي ملأت كتبه الشرق والغرب وبلاد العرب والعجم، وملأ صيته الدنيا جلها ومع ذلك كله فهو يجهل موقف الشيعة الرافضة القدامى والمعاصرين من أهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان مما جعله ينادي كافة المسلمين إلى تأييد ثورة الخميني

(١) حكم الانتماء (ص١٤٨، ١٤٩).

والتعاون معها في جميع المجالات ولو كلف ذلك ذهاب النفس والنفيس والغالي والرخيص!.

رغم البغض الخفي والمعلن من الخميني وممن قبله وممن معه وممن بعده من الشيعة المؤلهة والإمامية الاثني عشرية الجعفرية للمسلمين عامة وللسلف الصالح وأتباعهم خاصة، أقول: إن كان خفي ذلك على المودودي وزملائه من قادة الجماعات الإسلامية وأتباعهم الذين تلقوا التربية في الحركات المذكورة فإن بغض أولئك الشيعة للمسلمين معلوم للسلف الصالح أهل السنة والجماعة عبر تاريخ عصورهم ابتداء من عصر الخلافة الراشدة والقرون المفضلة إلى يومنا هذا إلى يوم الدين كما لا يخفى على أهل السنة والجماعة مخالفة الشيعة المذكورين للمسلمين في كل شيء وبغضهم لما يحبه المسلمون وحبهم لما يبغضه المسلمون.

ورحم الله الشيخ الجليل إحسان إلهي ظهير الخبير بعقائد الشيعة وأوضاعهم وسلوكهم لقد قال في هذا المعنى ما نصه: "إن الشيعة قادة وشعبًا عامة وزعامة جهالاً وعلماء لا يخفون بعضهم لهؤلاء الطيبين -يعني بالطيبين: دعاة التقريب بين أهل السنة والشيعة- كلما سنحت لهم الفرصة أو أتيح لهم المجال لأن مذهبهم ليس مبنيًّا إلا على مخالفة أهل السنة نعم إلا على مخالفة أهل السنة وعقائدهم وآرائهم، ومخالفة الأسس الَّتي عليها يقوم مذهبهم وشريعتهم الَّتي جاء بها محمد -صلوات الله وسلامه عليه- ومن أجل هذا فالقرآن أنكروه لأن أهل السنة يعتقدونه

ويؤمنون به وسنة النَّبي الكريم أنكروها لأن أهل السنة يتمسكون بِها، وأصحاب محمد ﷺ يكفرونَهم لأن أهل السنة يحبونَهم.

وأزواج النَّبي ﷺ يشتمونَهن لأن أهل السنة يعظمونَهن ويجلونَهن ويفضلونَهن على أمهاتِهن لأنَّهن أمهات المؤمنين بنص القرآن.

ومكة والمدينة يكرهونَهما، لأن أهل السنة يعتبرونَهما أقدس بقاع الأرض وأطهرها في الكون.

والكذب يقدسونه لأن أهل السنة يكرهونه ويهجرونه.

والمتعة يحلونَها لأن أهل السنة يحرمونَها.

والرجعة يقرونَها لأن أهل السنة ينكرونَها.

والبداء لله -بمعنى الجهل- يثبتونه لأن أهل السنة يبرءون منه جنابه وجلاله.

والأوهام والخرافات والبدع والوثنيات والشرك بالله كالاستغاثة بالقبور والطواف حولها والسجود عليها، وإقامة الأضرحة والقباب عليها وإقامة المآتم والمجالس... كل تلك الأفعال الشركية يتشبثون بِها لأن أهل السنة يتبرءون منها ويتنَزهون عنها ويجحدونَها"[1]. اهـ.

أقول: وعلى كل حال فإن الشيخ المودودي يعتبر من كبار القادة

---

(١) انظر الرد الكافي على مغالطات الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه بين الشيعة وأهل السنة (ص١٩).

للجماعات الإسلامية وله -رحمه الله- مساهماته وخدماته في نشر الإسلام في حدود فهمه لأصول الإسلام وفروعه ومنهج دعوته.

وللقائمين على المدرسة السلفية الثابتة الجليلة ملحوظات ومآخذ على الأستاذ المودودي لا يجوز أن تترك بدون إيضاح وبيان فيقع فيها من يأتي بعده وربما تتلمذ على كتبه فيقع في تلك الأخطاء الَّتي لو كانت في فروع المسائل لما سمحت لقلمي أن يسطر شيئًا منها ولكنها في العقيدة وفي منهج الدعوة الغالي الثمين منها:

أ- ثناؤه على أئمة الكفر الرافضة من الشيعة، ويتجلى هذا الثناء فيما يلي:

١- تلك الفتوى الَّتي رأيت والتي تضمنت النداء الحار العاجل لأمة الإسلام كلها علماء وعوام ذكورًا وإناثًا أحرارًا وعبيدًا أن يتعاونوا مع ثورة الخميني الشيعية في جميع المجالات وهذا خدش في العقيدة واضح لأن الله يقول وقوله الحق: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الممتحنة: من الآية١].

ومن غير شك عند أهل السنة والجماعة أن الخميني ومن على معتقده ومنهجه من أشد الناس عداوة للذين آمنوا وإنما الولاية الحق هي الَّتي أرشد الله أهل الإيمان بقوله -عز من قائل كريم-: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

ولأهمية الأمر فقد أكد الله هذا الحكم بقوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٥٧].

وأي كفر يا ترى أعظم من كفر من يخالف المسلمين في كل شيء من دينهم الحق ويلعن خيارهم ويشتم نساء نبيهم إلى غير ذلك مما تقدم ذكره.

ب- وبالرغم من كثرة مؤلفات أبو الأعلى المودودي فإنه لَم يوجد له كتاب واحد ولو صغير الحجم -حسب علمي- رد فيه على الشيعة الإمامية الاثني عشرية الروافض الذين ما نالت أمة من أمم الكفر من الإسلام وأمته مثل نيلهم منه ومن أهله بالرغم من اطلاع المودودي الواسع واطلاع تلامذته على مؤلفاتهم القديْمة والحديثة وعلمهم اليقين بتصريحاتهم والتي منها قول الخميني: "إن كل نبي جاء لنشر العدل في العالم ولكن جميع الأنبياء لَم ينجحوا في أهدافهم حتى أن خاتم المرسلين الذي أرسل لإصلاح البشرية وتنفيذ العدل وتربية الناس لَم ينجح في عصره وسينجح الإمام المهدي في كل ذلك"[1]!!.

ومنها قوله: "إن العالم الإسلامي وغير الإسلامي لا يعترف بقوتنا ما لَم نسيطر على مكة والمدينة وإني حينما أدخل مكة والمدينة فاتحًا

---

(١) "اتحاد" يل جهني من مطبوعات خان فرهنك غيران ملتان، باكستان (ص١٥)، وكذا في مجلة طهران تايمز الصادرة بتاريخ (٢٩ يونيو ١٩٨٠م) بواسطة الشقيقان.

فواجبي الأول أن أخرج الصنمين -أبا بكر وعمر- من قبريهما"[١].

ومنها قوله في غلوه في المشاهد وأهلها: "التربة الحسينية أفضل -يعني لمواضع السجود- الَّتِي تخرق الحجب السبع وترتفع على الأرضين السبعة"[٢].

ويضيف قائلاً: "ويستثنى من الطين -المحرم أكله- طين قبر سيدنا أبي عبد الله الحسين عليه السلام للاستشفاء به، ولا يجوز أكله بغيره، ولا أكل ما زاد على قدر الحمصة المتوسط، ولا يلحق به طين غير قبره، حتى قبر النَّبِي ﷺ والأئمة -عليهم السلام-"[٣]. اهـ.

أضف إلى ذلك وإلى ما لا يحصى من الجرائم المتعلقة بحق الخالق وحقوق الخلق الصادرة من الخميني وأتباعه استحلاله الدم الحرام في الشهر الحرام في البلد الحرام حيث أمر أتباعه في حج عام (١٤٠٧هـ) بإثارة فتنة عظيمة في الحرم المكي نتج عنها قتل كثير من الحجاج وغيرهم من المسلمين من عسكريين ومدنيين ومن الذكور والإناث بدون مسوغ من شرع أو عقل وقد استنكر هذه الجريمة البشعة المسلمون وغيرهم.

والذي أريد أن أقول للمحبين للخميني والمزكين له ولأتباعه من الشيعة: أيجوز لكم بعد ذلك كله أن تشهدوا لهم بالإسلام ولثورتهم

---

(١) الحكومة الإسلامية تأليف الخميني (ص٥٢).

(٢) تحرير الوسيلة (ج١ ص١٤٩).

(٣) المصدر السابق (ج٢ ص١٦٤) بواسطة كتاب وجاء دور المجوس.

بذلك، أم أنه يجب عليكم أن تبغضوهم جميعًا بغض المنافقين والكافرين الذين لَم يرقبوا في مؤمن ولا مؤمنة إلاًّ ولا ذمة وأولئك هم المعتدون.

٢- ومن المآخذ على الأستاذ المودودي -رحمه الله- خطؤه في منهج الدعوة إلى الله حيث إنه لَم يترسم فيه خطى الرسل الكرام والأنبياء العظام والسلف الصالح من أهل الإحسان والإيْمان والإسلام وذلك بالبدء بما بدءوا به من الدعوة إلى تحقيق توحيد الألوهية الخالص، ومحاربة الشرك الأكبر الممثل في عبادة غير الله كما هو موجود بكثرة في تلك البلاد وما جاورها الَّتِي نشأ فيها المودودي وكثرت فيها زياراته لذويها وتعددت رحلاته في مناكبها طولاً وعرضًا.

وإنَّما ركز -رحمه الله- على الجانب السياسي كما هو مقرر في بعض كتبه المطبوعة المنشورة حيث قال في كتابه الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية (ص١٦) ما نصه: "لعله قد تبين لكم من كتاباتنا ورسائلنا أن غايتنا النهائية الَّتِي نقصدها من وراء ما نحن بصدده الآن من الكفاح إنما هو إحداث الانقلاب في القيادة، وأعني بذلك أن ما نبتغي الوصول إليه، والظفر به في هذه الدنيا أن نطهر الأرض من أدناس قيادة الفسقة الفجرة وسيادتِهم، ونقيم فيها نظام الإمامة الصالحة الراشدة، فهذا السعي والكفاح المتواصل نراه أكبر وأنجح وسيلة موصلة إلى نيل رضا الرب تعالى وابتغاء وجهه الأعلى في الدنيا والآخرة"[١]. اهـ.

---

(١) الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية (ص١٦).

وأضاف قائلاً: "ومن دواعي الأسف أننا نشاهد الناس اليوم جميعًا المسلمين منهم وغير المسلمين غافلين عن هذا الذي جعلناه غايتنا ومطمح أبصارنا.

أما المسلمون فلأنَّهم يعدونه غاية سياسية بحتة، ولا يكادون يفطنون لمكانته وأهميته في الدين.

وأما غير المسلمين فما نشئوا من التعصب على الإسلام، ولجهلهم وقلة معرفتهم بتعاليمه لا يعلمون أصلاً أن قيادة الفجار والفساق إنَّما هي منشأ جميع الكوارث والنكبات الَّتِي مني بِها الجنس البشري، وأن سعادة البشر وغبطتهم إنما تتوقف على أن يكون زمام أمور الدنيا بأيدي الصالحين العادلين"[١].

وعليه فأقول للقراء الكرام: من أراد الاطلاع على الرد المفصل المدعم بالأدلة النقلية والعقلية على هذه الجمل الَّتِي تضمنت جانبًا من فقه[٢] الأستاذ المودودي لمنهج الدعوة إلى الله فعليه أن يرجع إلى كتاب "منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل" من (ص١٠٤) وما بعدها للشيخ المحدث والداعية الناصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ربيع بن هادي عمير المدخلي -حفظه الله ورعاه-، وحقًّا إن

---

(١) المصدر السابق (ص١٦، ١٧).

(٢) وليس هذا الفقه مقصورًا على المودودي وجماعته، وإنَّما هو فقه معظم قادة الإخوان المسلمين الذين يسمون دعوتَهم بالحركة الإسلامية ودعاتِهم بالحركيين.

من طلب الحق صادقًا باطنًا وظاهرًا فإن الله يمن عليه بالهداية إليه لأنه القائل في كتابه: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: من الآية٤].

ويقول في الحديث القدسي: «**يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم**»[١]. غير أنني وقد قمت بتدوين جمل هذين المقطعين على اعتبار أنَّها تضمنت خطأً ليس بالهين في منهج الدعوة إلى الله فلابد من مناقشتها باختصار في عدة أرقام فأقول:

أ- إن هذا الصنيع الذي دعا إليه المودودي في ميدان العمل في الدعوة إلى الله يعتبر عكس دعوة الرسل الكرام والأنبياء العظام والوارثين لعلمهم ودعوتِهم من السلف الصالح أهل السنة والجماعة الذين منحهم الله في دعوتِهم حكمة نافعة وبصيرة نافذة ذلك أن من ذكر من الرسل والأنبياء وأتباعهم عبر تاريخ زمانِهم لَم يكن مفتتح دعوتِهم والغاية منها منافسة الحكام ومصاولتهم للإطاحة بِهم وتسلم السلطة من أيديهم بل كان مفتتح دعوتِهم أساسها: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾. في عدد غير قليل من آي القرآن الكريم.

وحقًّا إنه كم من رسول أرسل وكم من نبي بعث وكم من عالم سلفي العقيدة ظهر وعلى وجه الأرض حكام علمانيون وجبارون مستكبرون وطواغيت ظالمون وبحكم الجاهلية يحكمون وللحق كارهون ومع ذلك فإنه لَم يقفز أحد من أولئك المصطفين الأخيار، والصالحين

---

(١) اللهم اهدنا وجميع المسلمين فيمن هديت.

الأبرار إلى منافسة أولئك الحكام ومصاولتهم لتسلم السلطة كاملة منهم، وإنما كانت دعوتُهم عامة لأممهم ليصححوا الاعتقاد من رجس الوثنية الممثلة بعبادة الموتى والتعلق بالأضرحة، بل وبالأشجار والأحجار وغيرها مما يعبد من دون الله أو معه ﷻ هو الله الواحد القهار.

فإذا ما صح المعتقد استمرت الدعوة إلى بقية الفرائض وإقامة الحدود وغيرها من جوانب الدين القويم ومكملاته حتى يكون الدين كله لله.

وخذ خير مثال وأقربه ليستبين لك أنه ليست الغاية من دعوة الداعي إلى الله هو تسلم السلطة من الكفرة والفسقة والظلمة كما يقول الأستاذ المودودي ومن نَهج نَهجه ممن سبقه أو عاصره أو اتبعه، وليست البداية بالدعوة إلى ذلك هو المنهج الصحيح بل إن البدء في الدعوة إلى الله بما بدأ به الرسل وأتباعهم كما مر بك قريبًا من الدعوة إلى تحقيق توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات هو المنهج الحق.

وإن كان الدعوة إلى إقامة الحدود وتطبيق الشريعة بين الناس أمر مهم ولكن ليس الأهم، ذلك أن النَّبِي ﷺ عندما بعثه الله في مكة يدعو الخليقة إلى الله كانت الأرض كلها تسيطر عليها تشريعات جاهلية، وأغلبها -كما قال المؤرخون- محكومة بالقانون الروماني الذي لا تزال غالبية القوانين الوضعية اليوم تحكم به وكان يسيطر آنذاك قوتان عظيمتان هما فارس والروم -الذين أذلهم الله على أيدي المجاهدين الأخيار فيما بعد- ولَم يذهب النَّبِي ﷺ في البداية لقتالهم وهم كفرة فجرة طواغيت

يحكمون بغير ما أنزل الله، وإنما بدأ ببني جلدته وعشيرته يزجرهم عن عبادة الجمادات الَّتِي هي أحط مرتبةً ممن يسمون بالأولياء -الأحياء منهم والأموات- حتى آمن معه جماعة أهل عقيدة صحيحة وذوي عدد وعدة بقيادة النَّبِي الكريم ﷺ استطاعوا بفضل الله ثم بفضل قوتهم المعنوية والحسية أن يؤدبوا جاهلية الأرض جلها.

وحقًّا إن من قرأ قصص القرآن الكريم تبين له أنه ما من رسول ولا نبي إلا كان مفتاح دعوته: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: من الآية٥٩].

وبالأخص ما قصه الله من أسلوب دعوة الخليل إبراهيم الذي أمر نبينا محمد ﷺ باتباع ملته، تبين له وجوب البدء بالأمر بتوحيد الله والنهي عن عبادة الجمادات ونحوها من الأموات قبل إحداث الانقلاب في القيادة، وقبل إقامة نظام الإمامة الراشدة على حد تعبير الأستاذ المودودي -رحمه الله وغفر لنا وله- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام:٧٤].

وقال ﷻ : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأنبياء: ٥١- ٥٤].

أرأيت يا أخي كيف كانت البداية في الدعوة إلى الله ممن جعلهم

الله أسوة حسنة لنا، وقدوة صالحة رشيدة نقتدي بهم في أسلوب دعوتنا: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: من الآية ٩٠].

وإياك -بارك الله لك وعليك في حياتك وبعد مماتك- ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، وقانا الله وإياك وجميع المسلمين الوقوع في محدثات الأمور ووقانا شر ما يترتب عليها من تبدل الأحوال وتغير الأمور.

هذا ولقد حاول صناديد كفار قريش بعرض مغريات على النَّبي ﷺ ليقرهم على عبادة تلك الجمادات الَّتي كانوا يعبدونَها ويقدسونَها ليلاً ونَهارًا حضرًا وسفرًا أو ليكف عن عيبها وذكر بطلانَها فأبى إلى أن يحطمها لشدة خطرها وعظم جرم عبادتِها فسلك سبيل الحكمة حتى مكنه الله منها وطهر الأرض من رجسها من كل بقاعها وبزوالها زال الشر الأعظم والخطر الأكبر ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وبعد ذلك نزلت آيات الفرائض والحدود والواجبات والحلال والحرام وغير ذلك حكمة من الله وعدلاً ورحمة منه وفضلاً وعليه فلا نجاح للدعوة إلى الله إلا بالتزام ذلكم المنهج الحق الذي رضيه الله لأنبيائه ورسله ومن تأسى بِهم واقتفى أثرهم ولَم يبدل تبديلاً.

ولا ينبغي أن يفهم من هذا الإيضاح التهوين من شأن الشرك في الحاكمية والتشريع[1] كلا ولكن البدء في الدعوة إلى الله بالأهم قبل المهم

---

(١) نعم نبرأ إلى الله من التهوين من شأن الشرك في الحاكمية والتشريع ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لله

وهو عين الحكمة والبصيرة فافهم بارك الله لي ولك في العلم والعمل في الحياة وبعد الممات.

ب- وقوله -رحمه الله-: "إن أنجح وسيلة موصلة إلى رضا الله هو السعي والكفاح المتواصل من أجل إقامة نظام الإمامة الصالحة الراشدة -أي: لتكون أزمة الأمور والسلطة التنفيذية بيد العلماء والصالحين-".

فأقول للقراء الكرام: إن المفهوم من هذا التعبير هو رسم منهج جديد وغريب في نفس الوقت لمخالفته للمنهج الأصيل الذي أتى في محكم القرآن وصحيح السنة والمتضمن تحديد الغاية من بعثة الرسل ودعوة الدعاة الوارثين لهم.

أما القرآن الكريم فقد قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقال ﷻ: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل: من الآية٣٦].

وقال ﷻ: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**﴾ [سبأ: من الآية ٢٨]. ونظائرها كثيرة جدًّا.

وهي كما يرى القارئ حددت الغاية وهي الدعوة بادئ ذي بدء

أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾. ولي كتابة مفصلة فيه في كتابي الأجوبة السديدة (ج٢ ص٥٩) فانظر ليثبت في قلبك حسن الظن وينصرف عنه سوءه.

إلى التوحيد في العبادة ونبذ الشرك بجميع أنواعه ووسائله، ورسمت الطريق والمنهج في البشارة للمؤمنين والنذارة للكافرين الصادين عن سبيل الله، ولَم تذكر الدعوة إلى الإمامة الراشدة ولَم تعتبرها من الغايات الَّتي كان سعي الرسل وكفاحهم من أجل الوصول إليها، وإنَّما كان غايتهم من اتباعهم من سعيهم وكفاحهم قبل كل شيء هو إقامة التوحيد وترسيخ العقيدة في قلوب الخلق، وتحذيرهم من الظلم الأعظم وهو الشرك بالله في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته.

وفي السنة الكثير مما يبين هذا المنهج الأصيل من ذلك قول النَّبي ﷺ لمعاذ لما بعثه إلى اليمن: «**إنك تأتي قومًا أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم**»[1]. الحديث.

وحقًّا إنَّها بعثة ميمونة سباركة ووصية راقية غالية ثمينة كيف لا وهي ممن زكاه ربه بقوله: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [النجم:٣-٤].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الزكاة باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة (ج٢ ص ١٠١)، ومسلم في كتاب الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (ج١ رقم ١٩ ص٥٠).

إنَّها وصية رسم النَّبي الكريم -عليه الصلاة والسلام- لأصحاب الدعوة إلى الله الطريق ما بقي دعاة ومدعوون بدءًا بالأهم فالمهم على سبيل التدرج الحكيم والمرحلية الدقيقة في ميدان الدعوة الفسيح وفي طريقها الصحيح وبعد النظر في النصوص الآنفة الذكر المتضمنة التوجيه السليم الحكيم إلى منهج الدعوة إلى الله يتبين لك الخطأ الواضح الذي وقع فيه المودودي بسبب الظروف والملابسات الَّتي أحاطت به أيام دعوته[1] ولقد أورد في بعض كتبه[2]: أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها. حيث قال ذلك وهو يتحدث في نصيحة عامة للدعاة إلى الله، كما حذرهم من التكتلات والتجمعات السرية ومن استخدام العنف والسلاح لتغيير الأوضاع، شارحًا لهم النتائج الوخيمة لكل ذلك.

ج- ولقد رأيت ردًّا حصيفًا أورده الشيخ ربيع بن هادي المدخلي بين فيه بطلان دعوى أن الغاية من الدعوة إلى الله هو إقامة نظام الإمامة الصالحة الرشيدة كما هو رأي المودودي وأتباعه وزملائه -هدانا الله وإياهم- حيث قال ما نصه: "وهنا شيء آخر هو لو كان موسى يسعى لإحداث انقلاب سياسي، ويسعى جادًّا لإحراز مقاليد السلطة ولإقامة الدولة الإلهية.... لكر راجعًا إلى مصر لأن الفرصة الآن مواتية جدًّا فقد

---

(١) وفي مقدمتها الجهل بمنهج السلف الصالح في الدعوة إلى الله، وحكم الولاء والبراء وغير ذلك من الأساسيات كما رأيت.

(٢) واجب الشباب المسلم (ص٢٦).

أهلك الله فرعون وجنوده، ولَم يبق إلا النساء والصبيان والخدم فلماذا إذن لَم ينتهز موسى هذه الفرصة العظيمة ويقيم الدولة الإلهية في بلد وصفه الله بقوله: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ [الدخان:٢٥- ٢٧]. ويقيم في صحراء سيناء بلا دولة ولا سلطان ولا حكومة إلهية" اهـ.

أقول: حقًّا إنه فهم عظيم واستنباط جد قويْم من رجل له خبرة طويلة بمنهج الدعوة الصحيح وله اطلاع واسع بأسس ذلكم المنهج ومقومات أهله بالإضافة إلى اطلاعه الجم على المناهج الوافدة على المنهج الأصيل سواءً ما كان منها قديْما أو حديثًا هكذا أحسبه والله حسبه وكافيه.

٣- ومن المآخذ والملحوظات -على الشيخ المودودي- الَّتِي يجب التنبيه عليها لتجتنب ما ذكره صاحب رسالة "الشقيقان" نقلاً عن كتاب المودودي "تفهيمات (ص١٢٢)" فيما يتعلق بحق النَّبِي الكريم يوسف عليه السلام حيث قال: "إن هذه -يعني طلب يوسف من ملك مصر آنذاك أن يجعله على خزائن الأرض- لَم تكن مطالبة لمنصب وزير المالية فقط بل إنَّها كانت مطالبة للدكتاتورية، ونتيجة لذلك كان وضع سيدنا يوسف عليه السلام يشبه جدًّا وضع مسوليني في إيطاليا الآن".

ومناقشة هذا الخطأ من وجوه: الأول: إن إطلاق وصف "دكتاتور" على الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن

إبراهيم صاحب منصب النبوة الشريف، وأرجو من الله أن يكون غير مقصود لقائله وكان الواجب على المودودي أن يعبر بما جاء في أحسن القصص: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٥٥].

الوجه الثاني: إن تشبيه المودودي للنبي يوسف الكريم الذي ملأ الله قلبه رحمة وعلمًا وصبرًا بجبار من جبابرة الأرض في الدكتاتورية يعد تصرفًا خاطئًا ؛ لو أن فاعله جاهل من عوام المسلمين لاستحق اللوم عليه فما بالك بصدوره ممن هو من المعدودين من ورثة الأنبياء في العلم والدعوة والجهاد باللسان والقلم كالمودودي ؟!!

٤- ومن المآخذ الَّتِي يجب التنبيه عليها -لئلا يغتر بِها غافل أو جاهل فيرتكس في المآثم- وهو التنقص والحط من قدر حرم الله الآمن ومشاعره المقدسة، وسوء الظن بساكني مكة بل وبالحكومة السعودية الَّتِي ولاها الله أمر هذه البلاد وفي مقدمتها مكة مهوى الأفئدة ومهبط الرسالة، وكانوا أحق بِها وأهلها وذلك بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء.

بيان ذلك أن المودودي نشر في ترجمان القرآن (ج٢٨ ص١٧٣ طبع ١٣٦٥هـ) بالأردية ما ترجمته بالعربية: "البقعة الَّتِي كانت استنارت بأنوارها الدنيا وصلت اليوم[1] إلى عهد الجاهلية الَّتِي كانت قبل الإسلام

---

(١) يعني في عهد الملك عبد العزيز -رحمه الله- ذلكم الرجل الذي طهر الله هذه البلاد بطولها والعرض على يديه من رجس الوثنية بل ومن كل رذيلة فلله الحمد والشكر ثم للملك عبد العزيز منا صالح الدعاء ما دامت الحياة وقد قدم على ما قدم من خير وعدل وبر وإحسان سيجد جزاءه عند الملك الديان.

فلا ترى هناك علمًا ولا خلقًا ولا حياة إسلامية يفد إليها الناس من بلاد بعيدة آخذين في قلوبهم عقيدة إسلامية ولكن إذا ما وصلوا، وشاهدوا هناك جهلاً وطمعًا ووقاحة وتقذرًا وخلقًا سيئًا وسوء نظام الإدارة وحب الدنيا وانحطاط عامة الساكنين في المروءة الإنسانية، فكل ما حسبوه وظنوا أصبح هباءً منثورًا فطاح ما زعموا ورجعوا إلى بلادهم بدل أن يزدادوا إيْمانا وقد أضاعوا ما عندهم" !!.

ويقول: "صراحة إن السدانة والحجابة الَّتِي كانت من عهد سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل -عليهما السلام- وبعده من عهد الجاهلية كانت بقيت وتسلطت، وجاء سيدنا الرسول فقضى عليها في عهده ولكن تجددت اليوم فأصبحت السدانة والحجابة والحج كله وسيلة لتجارتهم وكسبهم....

إلى أن قال: فالمطوف ووكيله والسادنون كلهم حتى حكومة الحجاز كلهم لهم حظ من هذه التجارة والكسب، فأصبحت الكعبة وفريضة الحج مثل ما بقوم له الوثنيون في (هردوار) بالهند من اجتماعاتهم القومية الوثنية"[(١)].

وعليه أقول: للقراء الكرام وأخص بالذكر تلاميذ المودودي -وكم له من تلاميذ-: على أي شيء يمكن أن نحمل هذا الكلام، وما هي

---

(١) انظر لهذا ولكثير من المآخذ والمحظورات رسالة "الشقيقان المودودي والخميني" نشر المجلس العالي لصيانة الإسلام -كراتشي- الباكستان.

الأبعاد الَّتِي يرمي إليها الشيخ المودودي وما الغايات الَّتِي كان يريد أن يحققها، أدع الإجابات لفهم القراء من نص كلامه.

غير أني أقول لمن يجهل التاريخ أو كان ممن يسلم للزعماء في كل قضية ورأي بدون مطالبة بالدليل، أقول: لا تصدقوه فيما قال آنفًا، وإن أردتم أن تحسنوا به الظن وتلتمسوا له العذر فقولوا: لعله أراد أن يتحدث عن أهل مكة وحكومتها في العصر الجاهلي فخانته الذاكرة فجعل هذا الحديث عن العهد الذي كان ولي الأمر في هذه البلاد هو أمير علماء السلف وملك البلاد الإمام المبجل عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود -رحمه الله- الذي دام ملكه وإصلاحاته خمسين عامًا كانت الحياة العلمية والعملية والدعوية والجهادية فيها على خير حال وبأصدق بيان ومقال، ووثائق التاريخ شاهدة ورواتُها ثقات والله خير الشاهدين.

حقًّا إن عصره عصر فريد في الحياة حيث تحولت شبه الجزيرة العربية فيه من ظلام إلى نور، ومن قلق واضطراب إلى أمن واستقرار وفرح مشروع وسرور، وهذا أمر معلوم في غاية الظهور ينبغي أن نتمثل لشأنه بقول الشاعر:

وكيف يصح في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل

وإن شئتم أن تقولوا: إن المودودي لَم يشاهد مكة آنذاك بل لعله أخبره شخص من حجاج الشيعة الإمامية الجعفرية الاثني عشرية الرافضة بحكم الصلة بينه وبينهم كما علمنا مما سبق والمعلوم عن الشيعة المذكورين

أنَّهم أكذب الناس في النقليات وأجهلهم في العقليات.

وأخيرًا: فإن المودودي الذي صدرت منه تلك الإساءة إلى مكة وأهلها وحكومتها يوم كتب ما سبق نقله قد مات نسأل الله لنا وله المغفرة والرحمة، ولكننا أمة وجبت علينا النصيحة لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم الأحياء منهم والميتين.

ألا وإن من جملة النصيحة للميتين الدعاء لهم وبيان الأخطاء الَّتِي وقعوا فيها سواءً بقصد أو بغير قصد لاسيما المقتدى بِهم في الدين ليحذرها الناس الذين ديدنُهم التعصب للأشخاص والتقليد لهم فلا يعملوا بِها لأن في العمل بالخطأ الموروث إثْمًا عظيمًا يحمله عامله وقد لا يسلم من الإثم من سنه ومضى قبل التوفيق للرجوع عنه وبيان الزلل فيه.

وأما الأحياء فهم أحسن حظًّا عند بذل النصيحة لهم لأنَّهم على قيد الحياة الَّتِي يمكن فيها التوبة من عمل كل سوء بجهالة، ويمكن فيها التقرب إلى الله والمسارعة إلى كل عمل صالح يتم بفضل الله ثم به تبديل السيئات حسنات.

إذن فنصيحة الناصحين للأحياء والميتين نافعة ومثمرة في الدنيا والبرزخ والآخرة، ولكن أكثر الناس لا يحبون الناصحين.

وبعد: فإنَّما ذكرت تلك الأمثلة القليلة من الأخطاء الشنيعة الَّتِي نشرها المودودي في كتبه لا محبة في التشهير به ولا قصدًا للتزهيد في جهوده، ولا حسدًا مني له على ذيوع صيته وشهرته -معاذ الله- فهذه

مقاصد اللؤماء، ولكن ذكرتُها لأهداف أرجو من الله أن تكون نبيلة ونافعة لمن يأتي بعد المودودي ومعاصريه ومنها:

١- لئلا يقع فيها ويعتقد أحقيتها من يجهل الأمور ولم يستطع التفريق بين الغث والسمين وإنما ديدنه التقليد الأعمى والتعصب المقيت.

٢- براءة الذمة الَّتِي لا تحصل إلا بالقيام بواجب النصيحة على الوجه الوارد في حديث أبي رقية تميم بن أوس الداري ﷺ وفيه: «.... **ولأئمة المسلمين وعامتهم**». وقد بينت ذلك قريبًا[1].

٣- التحذير لطلاب العلم من التتلمذ على غير كتب السلف الصالح أهل السنة والجماعة السابقين منهم والمعاصرين واللاحقين، وأخص بالتحذير كل من لَم يحمل مؤهلاً علميًّا في الشريعة الإسلامية يستطيع بواسطته التمييز بين الحق والباطل والمقبول والمردود من أقوال أهل العلم مقرونًا بالدليل.

وأما من احتاج من الراسخين في العلم إلى شيء من العلوم من كتب من كثرت عليهم المآخذ فيما دونه للناس سواء في العقيدة أو غيرها فلا تثريب عليه لأنه سينتفع بالحق الذي فيها ويرد على الباطل كذلك صيانة للدين ونصحًا للأمة وعليه فإن من خير الأسباب لمعرفة

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة (ج١ رقم ٥٥ ص٧٤) ولفظة: إن النَّبي ﷺ قال: «**الدين النصيحة**. قلنا: لمن ؟ قال: **لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**».

الحق والاستقامة عليه علمًا وعملاً بعد توفيق الله اختيار المعلم واختيار الكتب الَّتِي يتتلمذ عليها طالب العلم، وقد ذكرت ذلك على سبيل التفصيل فيما تقدم فارجع إليه والزم نفسك به تكن عالِمًا ربانيًا، والله يتولاك، ويحفظك بحفظه في دنياك وبرزخك وأخراك.

وأما الأستاذ/ يوسف العظم الذي غمرته أنوار الثورة الخمينية الشيعية الَّتِي شعت من أرض المجوس فأضاءت أرض الشام وعلى إثر هذا الحدث قام يوسف فجدد فكره وجمع قلبه وجوارحه وأرسل يراعه فنظم قصيدة أشاد فيها بتلك الثورة الخمينية الَّتِي ظاهرها على الشاه وباطنها على الإسلام والمسلمين وبالأخص أهل السنة والجماعة منهم، ولئن قلت: بل إن ظاهرها وباطنها على الإسلام والمسلمين وبالأخص أهل السنة والجماعة منهم لما كنت مجانبًا للحقيقة ولا قائلاً شططًا كما دعا فيها الأمة جمعاء إلى مبايعة "روح الله خميني" -على حد تعبيرهم الظالم-.

ومن غير أسف أنه لَم يبلغني من تلك القصيدة الخاطئة إلا قول يوسف العظم:

بالخميني زعيمًا وإمام ... هد صرح الظلم لا يخشى الحمام

قد منحناه شاحًا ووسام ... من دمانا ومضينا للأمام

ندمر الشرك ونجتاح الظلام ... ليعود الكون نورًا وسلام

وفي أثناء تدويني في هذا الموضوع بالذات وقعت هذه الأبيات الثلاثة في يد أحد شعراء المنطقة في الجنوب فقال في الحال أبياتًا فيها

عتاب للأستاذ يوسف العظم، كما فيها نصر للحق ونصح للخلق حيث قال -وفقه الله-:

أيها العظم وكم فيكم عظام ... كلهم مثلك من جند القتام
ليس ذا لوم فما يجدي ملام ... بعد أن صرت خميني الذمام
شاعر الأقصى وأغضي أسفا ... إذ غدا الأقصى شعارات ترام
كم قرأناك وقلنا شاعر ... شاعر حقا له وقع الحسام
هو ذا منهجكم في أصله ... لا اعتقاد جامع غير النظام(١)
ما اخترتموه منهجًا فهو لكم ... منهج ملتزم منذ الإمام(٢)
ذاك شيعي وهذا صوفة ... ذاك بعثي كصدام الهمام(٣)
مرحبًا لا ضير كل عامل ... كثروا الصف بِهم قوم كرام
واجعلوهم قادة الجيل فهم ... قادة حقًّا ولكن للظلام
وارفعوا كل خرافي علا ... خبثه فوق أفاويق الغمام
واجعلوها قبة شيعية ... كلما مر بِها الشرك استقام

أقول: وعلى كل حال فقد حصل ذلك ولكن ما دام يوسف العظم على قيد الحياة يمشي في مناكب الأرض ويأكل من رزق الله، وقد ظهر

(١) قال الشاعر المذكور: يعني التنظيم العالمي للإخوان المسلمين.
(٢) الإمام حسن البنا المرشد العام والمؤسس لجماعة الإخوان المسلمين.
(٣) في حديث أجرته إذاعة لندن مع يوسف العظم أثناء أزمة الخليج دافع فيه دفاعًا شديدًا عن قرمط العراق صدام حسين وسوغ غزوه لدولة الكويت وادعى أن صدامًا قد تاب وثبت للإخوان سلامة نَهجه وصدق توبته.

له ولأمثاله ولجميع الخلق خبث الخميني ومكره وفساد معتقده ومقصده وذلك بواسطة مؤلفاته المعادية للإسلام والمسلمين وتصريحاته وتصريحات أتباعه الَّتي جرت بِها أقلامهم في مدة حياته وبعد مماته وإلى يومنا هذا، فلا يسعه هو ومن على شاكلته ممن غرتْهم زعامة الآيات على حد تعبيرهم إلا أن يعلنوا براءتَهم من ذلك الزنديق المهين ومن جميع أتباعه كما أعلنوا ولاءهم لهم يوم خفي عليهم أمرهم، وما ذلك إلا لأن الرجوع إلى الحق فيه لأهله شرف عظيم ومقام رفيع، ولا يجوز التسويف والتمادي في الاغترار بأتباع الخميني الذين يدعون -تطبيقًا لمبدأ التقية- بأنَّهم ليسوا كالشيعة القدامى، بل إنَّهم مثلهم في الأصول والفروع بشهادة واقعهم إذ إنَّهم لَم يغيروا فتيلاً ولا قطميرًا مما كان عليه أسلافهم الأوائل، بل كلما قويت شوكتهم عظم خبثهم واشتد كيدهم ومكرهم ألا فهل من مدكر.

وأما ما ذكره عز الدين إبراهيم[1] عن علماء المملكة العربية السعودية من أنَّهم "وعاظ السلاطين" السعوديين -على حد تعبيره-، فهذه تُهمة أساء بِهم الظن فيها وسيحاسبه الله عليها يوم يجمع الخلائق كلها في دار الجزاء على الأعمال: ﴿**لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾ [النحل: من الآية ١٢٤].

وأقول: إن الخليقة لتعلم وتشهد بأن علماء المملكة العربية السعودية

---

(١) هو مؤلف كتاب "موقف علماء المسلمين من الشيعة والثورة الإسلامية".

من خير علماء العالم الإسلامي، عقيدة وعبادة وعلمًا وعملاً ودعوة وجهادًا وأمرًا بالمعروف ونَهيًا عن المنكر وبذلاً للنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم سائرين على منهج السلف الصالح أهل السنة والجماعة بدون غلو ولا تقصير[1] وعلى رأسهم الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب وجميع طلابه الذين ازدانت بهم الدنيا وأقيمت الشريعة المطهرة بجميع جوانبها وأميتت الضلالات والخرافات والبدع تسندهم الحكومة السعودية بكل ما تملك من توجيه للأمة وقوة في الحق.

واستمر الحال على هذه الحياة المباركة في هذه البلاد إلى زمننا هذا الذي يوجد فيه جمع كثير من أجلة العلماء الربانيين السلفيين برئاسة صاحب السماحة الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الرئيس العام لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، وتوجد فيه دور العلم الشرعي الشريف وعلى رأسها جامعات المملكة العربية السعودية وأخص بالذكر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية والجامعة الإسلامية في المدينة النبوية وجامعة أم القرى لما لها من الآيادي البيضاء في التوسع في فنون العلم ونشره في داخل البلاد وخارجها فجزى الله مؤسسيها والقائمين عليها خير الجزاء وبارك الله لهم في حياتهم وبعد مماتهم ويوم لقاء ربِّهم.

---

(١) إلا من شذ عن منهج السلف في باب الولاء والبراء ومنهج الدعوة الأصيل وشرعية البيعة لولي الأمر المسلم.

ولا شك أن الحامل على التفوه بتلك المقالة[١] وأمثالها عدة أمور منها:

١- داء الحسد الذي يعتبر من شر الرزايا الَّتِي تصاب بها بعض البشرية فتكون سببًا في شقائهم في هذه الحياة وبعد الممات إن لَم تكن منهم توبة تجب الذنب وترضي الرب.

٢- **ومنها:** الكبر الذي فسره النَّبِي ﷺ بقوله: «**الكبر: بطر الحق، وغمط الناس**»[٢].

٣- **ومنها:** داء الانتماء والحزبية وهو داء تنتج عنه فرقة بين طلاب العلم حتى في البلد الواحد بل في المؤسسة التعليمية الواحدة وذلك لاختلافهم في منهج الدعوة وفي الغايات منها والوسائل وكم للانتماء والحزبية الضيقة المعروفة اليوم والموجودة على الساحة من مضار وكم عليها من مآخذ لدى علماء السلف الذين ترسموا خطى الأنبياء في عقيدتِهم وعبادتِهم وجهادهم ومنهج دعوتِهم إلى الله، مما جعل تلك الجماعات المتحزبة يبغضون السلفيين ويعتبرونَهم من شر خصومهم.

٤- **ومنها:** الصلف الدعوي الذي لَم يكن صاحبه منضبطًا بضوابط الدعوة الشرعية الصحيحة وربما كان غير ملتزم بحكم الولاء والبراء في

---

(١) أعني قول عز الدين إبراهيم عن علماء المملكة العربية السعودية بأنَّهم وعاظ السلاطين السعوديين.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيْمان باب تحريم الكبر وبيانه (ج١ رقم ٩١٩ ص٩٣) عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

الإسلام كما هو حال كثير من تلك الجماعات والمنظمات والأحزاب.

٥- **ومنها**: النقص في الإيْمان إذ إن فحش القول وبذاءة اللسان لاسيما في حق أهل العلم والإيْمان -علامة على النقص المذكور في الإيْمان بدليل قول النَّبِي ﷺ: «**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء**»[1]. ولا ريب أن تلك المقولة هي من فحش القول وبذاءة اللسان.

٦- **ومنها**: ضعف الخوف والخشية من الله إذ إن الخائف من الله الملازم لخشيته يحسب لكل كلمة تصدر منه حسابًا فلا يتكلم إلا حيث يجب الكلام أو يستحب أو يباح، وما عدا ذلك فإنه يكف عنه لسانه، ويمسك عنه قلمه وبنانه.

٧- **ومنها**: الجهل المركب الذي هو إدراك الشيء على وجه يخالف ما هو عليه وليس له علاج إلا السعي الحثيث في طلب العلم على أساس الالتزام بالطرق الَّتِي تقدم الحديث عنها إذ لا يزول الجهل بنوعيه -البسيط والمركب- إلا بذلك.

وأما قوله [2] بعد إيراده فتوى المودودي المتضمنة دعوة الخليقة عامة والحركات الإسلامية خاصة إلى تأييد الثورة الإيرانية، والتعاون معها في

---

(١) رواه أحمد في المسند (ج١ ص٤٠٥)، والترمذي في كتاب البر باب ما جاء في اللعنة (ج٤ رقم ١٩٧٧ ص٣٥٠) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهو حديث صحيح.

(٢) أي قول مؤلف كتاب "موقف علماء المسلمين من الشيعة والثورة الإسلامية".

جميع المجالات: "فأيهم أولى بالاتباع أيها المسلمين مجاهد ورائد عظيم كالمودودي أم من يقدمون البيعة والولاء لفهد بن عبد العزيز إمام المسلمين[١] وخادم الحرمين الشريفين".

فجوابنا على هذا السؤال بسؤال نوجهه إلى الكاتب وإلى كافة زملائه وأتباعه وهو: هل الحق أحق أن يتبع أم الباطل؟

فإن قالوا: بل الحق أحق أن يتبع، ولابد أن يقولوا ذلك.

قلنا لهم: إذن إن مبايعة الملك المسلم المؤمن فهد بن عبد العزيز هي حق لأنَّها بيعة شرعية على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وأما الدعوة إلى مبايعة الخميني الرافضي الزنديق ومن كان على شاكلته فهي دعوة شيطانية باطلة لا تستند إلى دليل من نقل أو عقل، وإنما مصدرها الهوى.

ذلك لأن الملك فهد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية وخادم الحرمين الشريفين وصاحب الدعوة إلى العقيدة السلفية وتطبيق الشريعة الإسلامية يقيم الحدود في بلاده بحكم الله ورسوله لا بحكم القانون الجاهلي ويحافظ على إقامة الشعائر الإسلامية ويأمر بها ويعاقب على ترك شيء منها، ويضع الوسائل اللازمة لتأمين السبل وحفظ الدماء والأعراض والأموال ويسعى جادًّا لتحقيق مصالح شعبه الدينية والدنيوية، بل ولتحقيق مصالح العالم الإسلامي والأقليات المسلمة في الدول الكافرة

---

(١) وصفه للملك فهد بإمام المسلمين وخادم الحرمين الشريفين قاله تهكمًا به وبالعلماء في الديار السعودية الذين أطلق عليهم الكاتب: "وعاظ السلاطين السعوديين".

ما استطاع إلى ذلك سبيلاً وهو في ذلك مترسم خطا المصلحين ممن قبله وهم أبوه الكريم المجاهد العظيم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، وإخوانه الأمجاد سعود وفيصل وخالد -رحمهم الله جميعًا-[(١)].

حقًّا إن ما للدولة السعودية في دورها الثالث من الإصلاحات والجهود الإسلامية في داخل البلاد وخارجها لا يحتاج مني إلى تدوين البراهين عليه هنا لأن العالم كله يعلم ذلك ويشهد به، ولم ينكر ذلك ويجحده إلا من أصيب بمرض الحسد في قلبه، وداء الغشاوة في بصره، فأصبح وأمسى لا يبصر شيئًا من الجهود والإصلاحات الدينية والدنيوية وإن كان في وضوحه كالشمس في وسط النهار بسبب ما أَلَمَّ به من ذلك الداء والمرض.

نعم إنني حينما أسجل هنا ذكر الفضل لأهل الفضل من الحكام السعوديين والعلماء الربانيين السلفيين في القطر السعودي من عهد الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب إلى حال تدوين هذه السطور، لا أدعي لهم العصمة من الوقوع في الخطأ والزلل إذ كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون، فهم وسائر المسلمين يصيبون ويخطئون، ويذنبون فيستغفرون، وإنما يدعي العصمة من الوقوع في الخطأ الشيعة الرافضة لأئمتهم كما هو معلوم من عقائدهم الوثنية وسلوكياتِهم الجهنمية، ورغم صنيعهم هذا

---

(١) وهم ترسموا خطا أئمة الصلاح والإصلاح ممن كان قبلهم في نشر عقيدة التوحيد وقمع الشرك والبدع وإحياء الشريعة الإسلامية بالعمل قولاً وعملاً.

فإن كثيرًا من الحركات والمنظمات الإسلامية شهدت بأخوتهم لأهل السنة ودعت إلى التقارب، ويا ليته التقارب الذي يحصل من الطرفين على وجه صحيح، ولكنه التقارب الذي تريده الشيعة الإمامية وهو التنازل من قبل أهل السنة عن أعظم الأسس من دينهم وعقيدتهم الَّتِي من جملتها الولاء والبراء الذي لا يجوز إلا أن يكون لله وفي الله تلك الإصلاحات العامة والجهود الخيرة الَّتِي اقتضى الإنصاف ذكرها لأولي العلم والأمر في الدولة السعودية في إيجاز.

أريد أن أقول: من ورائها؟ فأين جهود الخميني الذي رحب بزعامته من علمت واستبشرت بإمامته من سبق ذكر بعض منهم في هذا البحث؟! نعم إن للخميني وأتباعه جهودًا ولكنها لتدمير المسلمين والقضاء على عقيدتهم وأخلاقهم وإن أردت أيها القارئ الكريم أدلة تثبت ما ادعيت فارجع إلَى تدوين ما نسب إلى الشيعة الإمامية الاثني عشرية الرافضة عمومًا وإلى تدوين ما ثبت بالنقل الصحيح عن الخميني نفسه خصوصًا تجد ما يوجب عليه سخط الله الشديد ومقته المديد والله على ما نقول وكيل، وكفى به شهيدًا.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊



فصل

وحيث قد علمت بجلاء ووضوح ما تميز به السلفيون أهل السنة والجماعة من الاعتقاد الصحيح ومواقف الحق بالنسبة للفرق المنحرفة عن سنن الحق، المتناقضة في أقوالها وأعمالها والمتدافعة ببدعها وضلالاتِها في الأبواب السالف ذكرها فإنني أحبُّ أن أذكرك أيها القارئ الكريم بما تميز به السلف وأتباعهم حقًّا وحقيقةً من صحة المنهج في باب الدعوة إلى الله، وصحة المنهج كذلك في باب الولاء والبراء في دين الله فأقول:

إن السلفيين هم القوم الذين حاز شأن الدعوة إلى الله الجانب الكبير من أوقات حياتِهم لمعرفتهم بما يترتب على القيام بِها من الأجر العظيم بيد أنَّهم يسيرون في أدائها سير الرسل والأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- على المنهج الذي جاء تبيانه في كتاب ربِّهم وسنة نبيهم ﷺ وسيرته العطرة ودرج عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

ولَم يغتر السلفيون بالمناهج الوافدة من هنا وهنالك والتي اجتهد في وضعها أشخاص أحاطت بِهم ظروف وملابسات غير أنَّها لا تسوغ لهم ما فعلوا ويفعلون، فكانت لهم أهداف وغايات يسعون لتحقيقها بواسطة تلك المناهج المختلفة فيما بينها، علمًا أن كل أصحاب منهج يعتبرون

منهجهم هو المنهج الحق الذي لا يمكن أن يكون للدعوة انتصار إلا به ولا يمكن أن يتحقق القضاء على الشر والفساد في الأرض إلا بواسطته هكذا زعموا[1]، ولقد ظهر لكل ذي عقل وبصيرة وإنصاف خطأ تلك المناهج وأحقية المنهج السلفي الأصيل الذي شهد الثقات لأهله بالغزارة في العلم والسلامة في المنهج والحكمة في التبليغ، فاظفر به تربت يداك.

حقًّا إن لمنهج السلف في الدعوة إلى الله مقومات وإن على المناهج المخالفة له مآخذ.

فأما مقومات منهج السلف فهي كثيرة وجليلة وفيما يلي أشهرها:

١- اعتمادهم على نصوص الكتاب والسنة وعلوم سلف هذه الأمة الذين آتاهم الله فهمًا صحيحًا لنصوص كتابه الكريم وسنة نبيه الهادي الأمين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، وتفاعلوا معها في حياتهم العملية تحليلاً وتحريمًا ودعوة وجهادًا وأمرًا ونهيًا وأدبًا وسلوكًا على حد قول الله ﷻ: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ [الحشر: من الآية٧].

٢- سلامة النية وحسن القصد في كل ما يأتون ويذرون، مع التحلي بالصبر والحكمة والموعظة الحسنة الَّتي تعتبر من أجل الأسس الَّتي تقوم عليها دعوة الإسلام.

---

(١) وهم ترسموا خطا أئمة الصلاح والإصلاح ممن كان قبلهم في نشر عقيدة التوحيد وقمع الشرك والبدع وإحياء الشريعة الإسلامية بالعمل قولاً وعملاً.

٣- الالتزام بمنهج الرسل والأنبياء في دعوتهم المرضية والتخلق بأخلاقهم الزكية المنطلقة من القواعد الشرعية.

٤- وضوح الانطلاق والسير في العمل فلا سرية ولا تكتلات مخفية ولا تجمعات خاصة في غياهب الظلام في فلواة الأرض أو تحت كهوف الجبال، بل جهر بالتعليم وبذل للنصيحة وأمر بالمعروف ونَهي عن المنكر ودعوة للخلق إلى رحاب الحق وكل ذلك في حدود الاستطاعة الشرعية والتزام الآداب الإسلامية المرعية: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ [الكهف: من الآية٢٩].

٥- محبة التوسع في العلوم الشرعية ووسائلها لأن الله ورسوله يحبان ذلك فقد أتى المدح والثناء على هذا الصنف من الناس في غير ما آية وحديث كما أتى في منظوم كلام العقلاء ومنثوره، وعليه فلا يهمنا قول من عابَهم بأنَّهم حفظة متون وحواش[1]: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة: من الآية١١].

وقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: من الآية٢٨]

«**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين وإنَّما العلم بالتعلم**»[2]. الحديث.

---

(١) القائل هو الدكتور / عبد الله عزام -رحمه الله وغفر لنا وله- في مجلة الجهاد رقم (٥٣) تحت عنوان "جاء الحق وزهق الباطل" عام (١٩٨٩م).

(٢) البخاري في باب القول والعمل (ج١ ص٢٥)، ومسلم في الإمارة باب قوله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق...**». (ج٣ رقم ١٠٣٧ ص١٥٣٤).

٦- التواضع في الطلب والنشر وحسن الأدب مع الخلق وبالأخص مع العلماء وما ذلك إلا لعلمهم بالفضائل العظمى والشرف النبيل لخلق التواضع الذي يجب أن يتحلى به كل مسلم ومسلمة غير أنه في طلاب العلم يجب أن يكون أوفر لشدة حاجتهم إليه وهم يطلبون ميراث النبوة الغالي ويحملون رسالة الرسل إلى أمم الأرض الذين قضى الله فيهم بحكمه الأزلي -وهو الحكيم العليم- أن يكونوا على صفات متباينة وأخلاق مختلفة واتجاهات متعددة، وعليه فما أعظم التواضع وما أشد حاجة الخليقة إليه وبالأخص العلماء دعاة الهدى ورواد الفضائل، قال الله تعالى: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا**﴾ [الفرقان:٦٣].

وفي الحديث الصحيح: «**وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**»(١).

ولقد أحسن القائل:

تواضع تكن كالبدر لاح لناظر ... على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه ... إلى طبقات الجو وهو وضيع

بخلاف خلق الفظاظة والصلف العلمي والتعالي فإنَّها صفات تزوي بطالب العلم وناشره فالبدار البدار إلى المكارم والفضائل والحذر الحذر من السوءات والرذائل، وفي الحكمة: "العلم حرب للمتعالي، كالسيل حرب للمكان العالي".

---

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة باب استحباب العفو والتواضع (ج٤ رقم ٢٥٨٨ ص٢٠٠١).

٧- العناية بصنع حلقات العلم في دوره الأولى -المساجد- الَّتي هي أشرف البقاع عند الله وأحبها إليه، وفي غيرها من المؤسسات التعليمية كالمدارس على اختلاف مستوياتها بل وفي كل مكان يمكن نشر العلم فيه بأسلوبه السليم وطريقته المثلى، والتركيز عند السلف على العلوم التالية:

أ- القرآن الكريم وقواعد تجويده: ليستقيم اللسان ويصح النطق والأداء.

ب- تفسير القرآن وعلومه: مع اختيار التفاسير السلفية كابن جرير وابن كثير وأمثالها.

ت- علم العقيدة في جميع أبوابها: مع تحقيق كل ما ينافي التوحيد أو يخدش في كمال الاعتقاد، ومراجعهم فيها هي الكتب المعتبرة في هذا الفن ككتاب التوحيد لابن خزيمة وكتاب التوحيد لابن منده. وكتاب السنة لعبد الله بن أحمد، وكتاب السنة للخلال، وأصول الاعتقاد اللالكائي والإبانة لابن بطة العكبري ومكتبة الإمام ابن تيمية ومكتبة ابن القيم وغير ذلك من كتب هذا الفن الجليل بالإضافة إلى كتب التوحيد المدونة في الصحاح والسنن من كتب الحديث.

كما أن بين أيدينا اليوم مؤلفات في العقيدة معاصرة كمؤلفات وفتاوى الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، ومؤلفات كثير من أبنائه وأحفاده وتلاميذه من علماء نجد الربانيين وغيرهم وأخص بالذكر

صاحب معارج القبول وأعلام السنة المنشورة في اعتقاد الطائفة المنصورة علامة زمانه حافظ بن أحمد بن علي الحكمي -رحم الله الجميع رحمة الأتقياء الأبرار- وكمؤلفات مشائخنا وزملائنا الذين هم على قيد الحياة وعلى رأسهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز والشيخ الجليل محمد بن صالح بن عثيمين، والشيخ الفاضل حمود التويجري، والشيخ الفاضل محمد أمان بن علي الجامي، والشيخ الفاضل عبد العزيز المحمد السلمان -رحمهم الله جميعًا- والشيخ الفاضل صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، والشيخ الفاضل ربيع بن هادي المدخلي، والشيخ الفاضل صالح بن سعد السحيمي -حفظهم الله-[1] وغير هؤلاء الأخيار من علماء السلف المعاصرين كثير كثَّرَ الله سوادهم ونفع بهم وبعلومهم العباد.

ث- علم الحديث: ويؤخذ منه ومن القرآن الفقه المفصل لأركان الإسلام والإيْمان والإحسان، وبيان الحلال والحرام وتفصيل سائر الأحكام الَّتي كلف الله بِها سائر الأنام.

ج- علم الفرائض: وما أشد حاجة الخلق إليه إذ بفهم هذا العلم تصل الحقوق إلى ذويها.

---

(١) كل واحد من هؤلاء العلماء الأفاضل الذين ذكرت أسماءهم على سبيل المثال لهم كتب وكتابات مطبوعة وأشرطة مسجلة في فن العقيدة وإيضاح منهج السلف في كل باب من أبواب العلم الشرعي الشريف أرى لزامًا علي أن أرشد إليها للاستفادة والانتفاع بِها لصفائها والحذر الحذر مما فيه كدر أو فيه صفاء وكدر إذ ما كل قاري يميز بين المنهج السليم والمناهج الأخرى الَّتي قد تنحرف بمن يأخذ بِها عن الصراط المستقيم.

ح- **علم السيرة النبوية**: وما فيها من العبر وهكذا يضاف إلى هذه الفنون الشرعية الأهم فالمهم وذلك بحسب المستوى الذي يتلقى أصحابه العلم.

٨- الرفق بالخلق والحلم والأناة في حدود الشرع، وما ذلك إلا لأن هذه الصفات الطيبة من صفات الدعاة إلى الله والمحسنين من عباده جاء الترغيب في التحلي بها والاستضاءة بنورها آيات كريمات محكمات وأحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ [الأعراف:١٩٩].

وقوله ﷻ: ﴿**وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾ [فصلت:٣٤، ٣٥].

وقول النبي ﷺ لاشج عبد القيس: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله، الحلم والأناة**»[1].

وقوله -عليه الصلاة والسلام-: «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**». من حديث طويل عن عائشة.

وقوله ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه**»[2].

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان (باب ١٧ ج١ ص٤٨)، والترمذي في البر باب ما جاء في التأني والعجلة (ج٤ رقم ٢٠١١ ص٣٦٦).

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة باب فضل الرفق (ج٤ رقم ٢٥٩٣ ص٢٠٠٤).

ولقد أتى الثناء على هذه الصفات في آثار ووصايا وحكم نثرًا ونظمًا فمن ذلك ما أثر عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ أنه قسم قطفًا فأعطى شيخًا من أهل دمشق قطيفة فلم تعجبه، فحلف أن يضرب بها رأس معاوية فأتاه خبره، فقال له معاوية: "أوف بنذرك وليرفق الشيخ بالشيخ ".

وجاء في بعض الآثار أن ضمضم ﷺ كان إذا خرج من منْزله قال: اللهم إني تصدقت بعرضي على عبادك.

وقال بعض الشعراء:

أحــب مكــارم الأخلاق جهدي وأكــره أن أعيــب وأن أعابــا
وأصــفح عن سباب الناس حلمًا وشــر الــناس من يهوى السبابا
ومــن هــاب الرجــال تهيبــوه ومــن حقــر الرجال فلــن يهابا

وقال آخر فأحسن القول:

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب وإن كــثرت مــنه إلي الجــرائم
فمــا الــناس إلا واحد من ثلاثة شــريف ومشــروف ومثل مقام
فأمــا الــذي فوقي فأعرف قدره وأتــبع فــيه الحــق والحق لازم
وأمــا الــذي دوني فأحــلم دائبا وأصــون بــه عرض وإن لام لائم
وأمــا الذي مثلي فإن زل أو هفا تفضلت إن الفضل بالفخر حاكم

وانطلاقًا مما دلت عليه هذه النصوص والآثار والوصايا والحكم اعتبر السلفيون تلك الصفات الفاضلة -الرفق والحلم والأناة- من

مقومات منهج دعوتهم إلى الله فكتب الله لها النجاح على أيديهم في كل زمان ومكان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

٩- الفهم الصحيح والتطبيق الشرعي لحكم الولاء والبراء لأهل السنة والجماعة، حقًّا إن لأهل السنة والجماعة منهجهم الحق في هذا الباب إذ هو عندهم من الدعائم الَّتي يقوم عليها بناء الإيْمان انطلاقًا من معنى قول النَّبِي ﷺ: «**أوثق عرى الإيْمان الحب في الله والبغض في الله**»(١).

وفي لفظ آخر: «**أوثق عرى الإيْمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله**»(٢).

وجاء في معنى هذين النصين قول حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس ﭬ: «من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك ولن يجد عبد طعم الإيْمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئًا»(٣).

وقال **ابن تيمية** -وهو إمام من أئمة السلف-: "على المؤمن أن

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (ج٤ ص٢٨٦) قال الشيخ الألباني: وسنده حسن.

(٢) أورده السيوطي في الجامع الصغير وقال الألباني في صحيحه: إسناده حسن، وعزاه إلى مسند الطيالسي ومستدرك الحاكم والطبراني في الكبير والأوسط، انظر الصحيحة للألباني رقم (١٧٢٨).

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (ص٣٠)، وقال في آخره: أخرجه ابن جرير الطبري ومحمد بن نصر المروزي".

يعادي في الله ويوالي في الله فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه -وإن ظلمه- فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيْمانية"[١].

وعلى ذلك درج السلف الصالح واستقام عليه أتباعهم بحيث يوالون أهل الإيْمان والاستقامة ولاءً على حسب مراتبهم في الإيْمان بكل ما يجب الإيْمان به والاستقامة على الحق رجاء ثواب الله وخشية من عقابه ويقومون بلوازم هذا الولاء من المحبة الشرعية والنصرة على الحق لأهل الاستقامة والإيْمان وبجانب ذلك هم يعادون الكفرة والملحدين والمشركين والمنافقين وأصحاب الأهواء والبدع، وذلك بحسب الضرر الصادر منهم على الإسلام والمسلمين.

وإذا كان الأمر كما علمت فكن يا أخي المسلم مُحبًّا لله وفيه ولكافة مراضيه، ومبغضًا فيه كل ما يبغضه ويسخطه ويؤذيه فإنك إن فعلت ذلك نلت ولايته، وورثت جنته وسعدت برحمته ورضاه في دار كرامته.

وأخيرًا: وبعد أن عرفت منهج سلفك الصالح في هذا الباب المهم وتبين لك أنه الحق فلا إخالك تتوقف أو تتردد في الحكم بالخطأ على بعض منظري جماعة الإخوان المسلمين حينما قال: "بل دعوة الإخوان ترفض أن يكون في صفوفها أي شخص يرفض التقيد بخططهم ونظامهم، ولو كان أروع الدعاة فهمًا للإسلام وأخشعهم في الصلاة"[٢]!!

---

(١) مجموع الفتاوي (ج٢٨ ص٢٠٨، ٢٠٩).

(٢) سبق إيرادها معزوة إلى مصدرها.

أما راقم هذه الأسطر فإنه لا يزيد هنا في التعليق على هذه القضية على قول: "فأين تحقيق حكم الولاء والبراء الشرعيين يا جاسم المهلهل"؟.

ويمكن أن يجيب جاسم المهلهل ومن يوافقه: بأنه لا يلزم من طردنا الشخص الذي ذاك وصفه من صفوف الجماعة بغضه ولا معادته ولكن خشية أن لا يتقيد بنظام دعوتنا الَّتِي تحتاج إليها سائر الدعوات، فهي الَّتِي توجه ولا تتوجه وتؤثر ولا تتأثر[1]، كما لا يلزم من ضمنا إلى صفوف الجماعة شيعيًّا أو خرافيًّا محبته ولا موالاته ولكن لالتزامه بخطط الجماعة ونظامها ولتكثير سواد أهلها، ويقال لهم حينئذ: هذا جواب يضحك منه عوام المسلمين قبل علمائهم وعقلائهم.

١٠- البحث عن الحق بدليله، لا شك أن البحث عن الحق بدليله من مصادره من مميزات علماء السلف ومقومات منهجهم وما ذلك إلا ليصلوا إلى الغاية المنشودة والحقيقة المقصودة من خير الطرق وأزكاها وليس من منهجهم التقليد في أحكام دينهم ولا في منهج دعوتهم وأمرهم ونَهيهم ثم إنَّهم متى اتضح لهم الحق بدليله الواضح الصريح اتبعوه واعتصموا به في أي باب من أبواب العلم وفي أي مسألة من مسائله.

مع العلم أن مصادر[2] بحثهم المنوه عنها في الهامش كفيلة بالإيضاح

---

(١) مجموعة رسائل البنا (ج٢ ص٢٩).

(٢) **مصادر البحث العلمي**: الكتاب والسنة والإجماع والقياس الجلي ويضاف إليها الاستعانة بما تم تدوينه ممن كان قبلهم من العلوم النافعة المستمدة من هذه المصادر ووسائلها.

والبيان لكل مسألة من مسائل العلم وكل حكم من أحكامه الَّتِي من جملتها طريق الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله وحق الولاء والبراء المبني على قاعدة: "الحب في الله والبغض فيه، والموالاة فيه والمعاداة فيه".

١١- شمولية منهجهم السلفي على وجه الحق، إن المتتبع المنصف آثار علماء السلف وأتباعهم يجد أنَّهم أغزر الناس علمًا وأزكاهم عملاً وأعظمهم نصحًا وأوضحهم طريقة في منهج دعوة الخلق إلى رحاب الحق، والأدلة على ذلك أشهر من أن تذكر.

نعم إن كل طالب علم ليشهد بما لعلماء السلف وأتباعهم من الباع الطويل في علم العقائد خصوصًا وعلم الشريعة عمومًا لما بينهما من التلازم القوي، فهم أئمة الفتوى في قضايا الأمة في كل زمان ومكان، وهم رجال القضاء في الأعراض والدماء والأموال وهم أصحاب المؤلفات الَّتِي تزدهر بِها المكتبات وتشفي العليل وتروى الغليل، وهم رجال التربية الشرعية والتعليم المثمر الأصيل، وهم أهل الجهاد بكل ما تحمل كلمة الجهاد من معنى في حدود الشرع الشريف، وهم أهل الحكمة والإحسان في منهج الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حدود مراتبه.

وعليه فليسوا كغيرهم من الجماعات الأخرى الَّتِي تَهتم بجانب من جوانب الإسلام ويفوت عليها جانب أو جوانب كما هو الحال في الجماعات المعاصرة اليوم، بل إن السلف وأتباعهم منهجهم -كما أسلفت- شامل

وعلومهم في كل فن غزيرة وتوجيهاتُهم هادفة صائبة، ودعوتُهم تبدأ من أصل الدين الحق وقاعدته المتينة، وتشمل كل باب من أبواب العلم في كبار المسائل وصغارها ولا غرابة أن يكونوا كذلك فهم معدن لذلك، هم العلماء الربانيون والمجاهدون الصابرون والدعاة الحكماء المخلصون.

فعلينا أن نقتفي آثارهم في العلم والعمل، ونسلك نَهجهم في الدعوة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحكم الولاء والبراء وحسن المعاملة الشرعية مع الله ومع الخلق أجمعين.

١٢- وجوب السمع والطاعة لولي الأمر المسلم في المعروف ، إن من ميزات منهج السلف ومقوماته موقفهم الصحيح من الحكام المسلمين المتمثل في القيام بالحقوق الشرعية تجاههم، وعدم الخروج عليهم وإن فسقوا أو جاروا ما لَم يرتكبوا كفرًا بواحًا فيه من الله برهان.

من هذه الحقوق:

أ- الطاعة في كل شيء طوعًا واختيارًا لا رغبة ولا رهبة وذلك لأن الله تعالى أمر بطاعة ولي الأمر من المسلمين سواءً كان صاحب ولاية عامة أو خاصة حيث قال: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ [النساء: من الآية٥٩].

غير أن طاعة ولي الأمر مقيدة بالمعروف، فإذا أمر بمعصية فلا سمع له ولا طاعة لما ثبت في الصحيحين من حديث علي بن أبي طالب ﷺ: «أن رسول الله ﷺ بعث جيشًا وأمر عليهم رجلاً، فأوقد نارًا وقال:

ادخلوها. فأراد أناس أن يدخلوها، وقال الآخرون: إنا قد فررنا منها. فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال للذين أرادوا أن يدخلوها: **لو دخلتموها لَم تزالوا فيها إلى يوم القيامة**. وقال للآخرين قولاً حسنًا، أو قال: **لا طاعة في معصية الله إنّما الطاعة في المعروف**».

ومثله ما ثبت عن عبد الله بن عمر ﷺ عن النَّبي ﷺ أنه قال: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»[1].

ب-والصبر على ولاة الأمر وإن جاروا على رعاياهم -كما أسلفت- ما داموا يقيمون فيهم شرع الله ويؤمنون لهم السبل ويسعون في سبيل صلاحهم وإصلاحهم في الدارين امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ الذي رواه مسلم من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ قال: «قلت: يا رسول الله إنا كنا بِشَرٍّ فجاء الله بخير فنحن فيه فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: **نعم**. قلت: هل وراء ذلك الشر خير؟ قال: **نعم**. قلت: فهل وراء ذلك الخير شر؟ قال: **نعم**. قلت: كيف؟ قال: **يكون بعدي أئمة لا يهتدون بِهديي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبُهم قلوب الشياطين في جثمان إنس**. قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟

---

(١) البخاري في كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للإمام ما لَم تكن معصية (ج٩ ص ٥٢)، ومسلم في كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية الله (ج٣ رقم ١٨٤٠ ص١٤٦٩).

قال: **تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع**»[(١)]!!

ففي هذا دليل لمذهب السلف على وجوب الصبر على ولاة الأمر من المسلمين وإن جاروا على الرعية فضربوا الظهر وأخذوا المال وما ذلك إلا لأهمية لزوم جماعة المسلمين وإمامهم.

ج- بذل النصح لهم لما فيه من المصالح الدينية والدنيوية، كما قال تعالى: ﴿**إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ**﴾ [التوبة: من الآية ٩١].

وكما قال النَّبي ﷺ: «**الدين النصيحة**. ثلاثًا، قلنا: لمن هي يا رسول الله؟ قال: **لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[(٢)]. غير أنه يجب أن تكون نصيحة ولاة الأمر بطريقة خاصة فيها ستر عليهم وإذا كانت كذلك فهي جديرة بالقبول، وأما إذا كانت على رءوس الأشهاد وعلى سبيل العلن فإنَّها تبعث على الاستنكاف عنها غالبًا بل ربما وصل الأمر بالبطش بالناصح وإن كان أمينًا.

د- نَهيهم عن المنكر إذا ارتكبوه عندًا أو جهلاً، وسواءً فيما بينهم وبين ربِّهم أو فيما بينهم وبين رعاياهم والنهي عن المنكر فريضة على

---

(١) رواه البخاري في كتاب الفتن باب كيف الأمر إذا لَم تكن جماعة (ج٩ ص٤٣، ٤٤)، ومسلم في كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين (ج٣ رقم ١٨٤٧ ص ١٤٧٦).

(٢) تقدم تخريجه.

المسلم بحسب قدرته وفي حدود استطاعته، وإن أولى الناس بنصح ولاة الأمور وأمرهم بالمعروف ونَهيهم عن المنكر هم العلماء الذين يعرفون حدود المعروف وحدود المنكر ومدى فضيلة الأول، ومدى خطر الثاني، ولسلفنا الصالح مواقف مع ولاة الأمر غير خافية.

و- الدعاء لهم بالتوفيق والهداية إلى أقوم طريق لاسيما من أهل العلم والتقوى الذين يهمهم شأن المسلمين ويحرصون على مصالحهم الدينية والدنيوية، ويعلمون أن بصلاح الراعي تصلح الرعية غالبًا لأنه قائدها وآمرها وناهيها وهي المأمورة بالسمع والطاعة له في المعروف ألا وإن دعاء الرعية المسلمين لإمامهم دليل على صلاحه كما في حديث عوف بن مالك الأشجعي وفيه: «... **خيار أئمتكم الذين تحبونَهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم**»(١) الحديث.

ز- عدم الخروج عليهم بسبب عمل معصية أو بدعة لَم تخرج صاحبها من الإسلام ما داموا يقيمون الحدود والشعائر ويؤمنون السبل، فإذا جاء الوالي المسلم بمعصية يكفر بِها شرعًا وجب نصحه إن أمكن فإن أصر وجب خلعه عند القدرة على ذلك لأنه لا سلطان لكافر على مؤمن، كما قال الله ﷻ: ﴿**وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**﴾ [النساء: من الآية١٤١].

ولما روى مسلم في صحيحه عن جنادة بن أبي أمية قال: دخلنا

(١) مسلم في الإمارة باب خيار الأئمة وشرارهم (ج٣ رقم ١٨٥٥ ص١٤٨٠).

على عبادة بن الصامت وهو مريض فقلنا: حدثنا -أصلحك الله- بحديث ينفع الله به سمعته من رسول الله ﷺ. فقال: دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: «**إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان**»(١).

ففي هذا الحديث نَهي صريح عن الخروج على ولاة الأمور بدون حجة من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ ولو كانوا فسقة ظالمين غير كافرين، ولا يجوز نزع اليد من طاعتهم فإن في ذلك خطرًا عظيمًا وجهلاً شنيعًا ما داموا مسلمين ويقيمون في الرعية أمر الدين، هذا وكم من حديث صحيح جاء فيه التحذير من خلع اليد من طاعة من قد أعطاه صفقتها.

فقد روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**»(٢).

ط- وجوب الوفاء ببيعة الأول فالأول فيما إذا بويع لأكثر من

---

(١) مسلم في الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية (ج٣ رقم ١٧٠٩ ص١٤٧٠).

(٢) مسلم في الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال تحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة (ج٣ رقم ١٨٥١ ص١٤٧٨).

خليفة أو أمير أو فيما إذا بويع لخليفة وجاء آخر ينازعه ليطيح به ويغلب على أمره فإنه يتعين على من بايعوا الأول أن يثبتوا على الوفاء له وأن يدفعوا الآخر ولو بضرب عنقه كائنًا من كان إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً لأنه يعتبر معتديًا وطالبًا ما ليس له فقد جاء عن عرفجة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنه ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنًا من كان**».

وفي أخرى: «**من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه**»[1].

وعند مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما**»[2].

قلت: ففي هذه النصوص وجوب الوفاء بالبيعة للأول فالأول فإذا جاء آخر ينازعه وجب على أهل الحل والعقد دفعه فإن لَم يندفع وينْزجر فإنه يجب أن يقتل لتبقى الجماعة آمنة غير متنازعة ولا متقاتلة، اللهم إلا إذا تغلب الآخر على الأول واستتب له الأمر واجتمع عليه الناس ولا سبيل إلى نصرة الأول فتتعين مبايعته لئلا تسفك الدماء وتسود الفوضى.

وللشيخ/ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ -وهو من أئمة

---

(١) مسلم في الإمارة باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع (ج٣ رقم ١٨٥٢ ص ١٤٧٩، ١٤٨٠).

(٢) مسلم في الإمارة باب إذا بويع لخليفتين (ج٣ رقم ١٨٥٣ ص١٤٨٠).

السلف في العصر الحديث- رسالة في وجوب طاعة أولي الأمر وإن ظلموا، جاء فيها ما نصه: "وقد بلغني عن بعض من غره الغرور الطعن في العلماء ورميهم بالمداهنة، وأشباه هذه الأقاويل الَّتي صدت أكثر الخلق عن دين الله وزين لهم الشيطان بسبب ذلك الطعن في الولاية بأمور حقيقتها البهتان والطعن الباطل وقد علمتم ما جاء به ﷺ وفرضه من السمع والطاعة، قال تعالى: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ [النساء: من الآية٥٩].

ولَم يستثن سبحانه برًا من فاجر، ونَهى ﷺ عن إنكار المنكر إذا أفضى إلى الخروج عن طاعة ولي الأمر ونَهى عن قتالهم لما فيه من الفساد، فعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: «دعانا رسول الله ﷺ فبايعنا فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في مكرهنا ومنشطنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان»(١) أخرجاه في الصحيحين.

فقوله: «**وأن لا ننازع الأمر أهله**». دليل على المنع من قتال الأئمة إلا أن يروا كفرًا بواحًا، وهو الظاهر الذي قد أباح به صاحبه فطاعة ولي الأمر وترك منازعته هي فصل النِّزاع بين أهل السنة وبين الخوارج والرافضة وعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: أن رسول الله ﷺ قال: «**اسمع وأطع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك**»(٢).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) مسلم في الإمارة باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين... (ج٣ رقم ١٨٤٧ ص ١٤٧٦).

وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبرًا فمات إلا مات ميتة جاهلية**»[١].

وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**»[٢]. فذكر في هذا الحديث البيعة والطاعة، فالخروج عليهم نقض للعهد والبيعة، وترك طاعتهم ترك للطاعة.

وبهذه الأحاديث وأمثالها عمل أصحاب رسول الله ﷺ وعرفوا أنَّها من الأصول الَّتي لا يقوم الإسلام إلا بها، وشاهدوا من يزيد بن معاوية والحجاج ومن بعدهم خلا الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز أمورًا ظاهرة ليست خفية ونَهوا عن الخروج عليهم والطعن فيهم ورأوا أن الخارج عليهم خارج عن دعوة المسلمين إلى طريق الخوارج، ولهذا لما حج ابن عمر ﷺ مع الحجاج وطعن في رجله قيل له: أنبايعك على الخروج على الحجاج وعزله وهو أمير من أمراء عبد الملك بن مروان. غلظ الإنكار عليهم وقال: لا أنزع يدًا من طاعة. واحتج عليهم بالحديث الذي تقدم ذكره إلى أن قال: "إذا فهمتم فاشكروا نعمة الله عليكم بما منَّ به من إمامة إسلام تدعوهم إليهم ظاهرًا وباطنًا مما سمعتم

(١) مسلم في الإمارة الباب السابق (ج٣ رقم ١٨٤٩ ص١٤٧٧).

(٢) تقدم تخريجه.

وصدقه الفعل من بذل المال والسلاح والقوة وإعانة المهاجرين من أجل دينه لا لقصد سوى ذلك يعرف ذلك من عرفه ولا يجحده إلا منافق مفارق بقلبه ونيته ما اعتقده المسلمون وقاموا به.

وأما الطعن على العلماء فالخطأ ما يعصم منه أحد، والحق ضالة المؤمن فمن كان عنده علم يقتضي الطعن فليبينه جهارًا ولا يخف في الله لومة لائم حتى يعرفوا حقيقة الطعن وموجبه، واحذروا التمادي في الضلالة والخروج عن الجماعة فالحق عيوف، والباطل شنوف، والشيطان متكئ على شماله يدب بين الأمة بالعداوة والشحناء عياذًا بالله من فتنة جاهل مغرور أو خديعة فاجر ذي دهاء وفجور يميل به الهوى ويزين له الشيطان طرق الغواية والردى.

والله أسأل أن يثبتنا وإياكم على دينه وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا وأن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين"[1]، انتهى.

وقال الشيخ/ سعد بن حمد بن عتيق كلامًا في هذا الموضوع -وهو إمام من أئمة السلف في العصر الحديث- قال: "ومما انتحله بعض هؤلاء الجهلة المغرورين الاستخفاف بولاية المسلمين والتساهل بمخالفة إمام المسلمين والخروج عن طاعته والافتيات عليه وهذا من الجهل والسعي في الأرض بالفساد بمكان، يعرف ذلك كل ذي عقل وإيْمان، وقد علم

(١) مجموعة رسائل وفتاوى في مسائل مهمة تمس إليها حاجة العصر (ص٧ - ٩).

بالضرورة الإسلامية أنه لا دين إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمامة ولا إمامة إلا بسمع وطاعة، وإن الخروج عن طاعة أولي أمر المسلمين والافتيات عليه من أعظم أسباب الفساد في البلاد والعباد والعدول عن سبيل الهدى والرشاد.

وقد قيل:

تَهدي الأمور بأهل الرأي إن رشدت ... وإن تولت فبالأشرار تنقاد

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا صلاح إذا جهالهم سادوا

وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «**وأنا آمركم بخمس: السمع، والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**»(١).

وفي الحديث أيضًا: «**ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم**»(٢).

إلى أن قال: ومن ذلك ما وقع من غلاة هؤلاء من اتِّهام أهل العلم والدين، ونسبتهم إلى التقصير، وترك القيام بما وجب عليهم من أمر الله سبحانه، وكتمان ما يعلمون من الحق.

---

(١) رواه أحمد في المسند (ج٤ ص١٣٠) وهو حديث حسن.

(٢) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (ج١ ص٢٣) من حديث أبي سعيد ثم قال: رواه البزار بإسناد حسن، وأخرجه أحمد في المسند (ج٥ ص١٨٣) وغيره من حديث زيد ابن ثابت وإسناده صحيح.

ولَم يدر هؤلاء الجهلة أن اغتياب أهل العلم والدين والتفكه بأعراض المؤمنين سم قاتل وداء دفين وإثم واضح مبين، قال الله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾** [الأحزاب:٥٨].

وقال الشاعر:

أقلـــو علـــيهم لا أبًـــا لأبـــيكمو   من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا[١]

ومما قاله الإمامان الجليلان/ محمد بن عبد اللطيف وعبد الله بن عبد العزيز آل الشيخ في هذا الموضوع ما نصه: "ومما أدخل الشيطان على بعض المتدينين إساءة الظن بولي الأمر وعدم الطاعة له فإن هذا من أعظم المعاصي وهو من دين الجاهلية الذين لا يرون السمع والطاعة دينًا بل كل منهم يستبد برأيه، وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة في وجوب السمع والطاعة لولي الأمر في العسر واليسر والمنشط والمكره حتى قال ﷺ: «**اسمع وأطع وإن أخذ مالك وضرب ظهرك**». فتحرم معصيته والاعتراض عليه في ولايته وفي معاملته وفي معاقدته ومعاهدته لأنه نائب المسلمين والناظر في مصالحهم، ونظره لهم خير من نظرهم لأنفسهم، لأن بولايته يستقيم نظام الدين وتتفق كلمة المسلمين لاسيما وقد منَّ الله عليكم بإمام ولايته ولاية دينية وقد بذل النصح لعامة رعيته من المسلمين

---

(١) المصدر السابق (ص١٨ – ٢٠).

-خصوصًا المتدينين- بالإحسان إليهم ونفعهم وبناء مساجدهم وبث الدعاة فيهم، والإغضاء عن زلاتِهم وجهالاتِهم، ووجود هذا في آخر الزمان من أعظم ما أنعم الله به على أهل هذه الجزيرة فيجب عليهم شكر هذه النعمة ومراعاتِها والقيام بنصرته والنصح له باطنًا وظاهرًا فلا يجوز لأحد افتيات عليه ولا مضي في شيء من الأمور إلا بإذنه[1] ومن افتات عليه فقد سعى في شق عصا المسلمين وفارق جماعتهم وقد قال النَّبي ﷺ: «**من عصى الأمير فقد عصاني، ومن عصاني فقد عصى الله**».

والمراد بالأمير في هذا الحديث: من ولاه الله أمر المسلمين وهو الإمام الأعظم"[2].

قال ابن رجب -رحمه الله تعالى- في شرح الأربعين له: "وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ففيها سعادة الدنيا وبها تنتظم مصالح العباد في معاشهم وبِها يتسعينون على إظهار دينهم وطاعة ربِّهم كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إن الناس لا يصلحهم إلا إمام برٌّ أو فاجر إن كان فاجرًا عبد المؤمن فيه ربه وحمل الفاجر فيها إلى أجله».

---

(١) يعني الأمور العامة المنوطة بالإمام وعماله من سياسية وقضائية وقصاص كإقامة الحدود وسائر العقوبات التعزيرية فليس لأحد من أفراد الناس أن يعاقب احدًا على ذنب ارتكبه بضرب ولا بسب بل العقاب حق الإمام أو نائبه.

(٢) ومثله نوابه وعماله.. انتهى من هامش مجموعة رسائل وفتاوى مهمة تمس ... العصر (ص٣٧).

وقال الحسن في الأمراء: يلون من أمورنا خمسًا: الجمعة، والجماعة، والعيد، والثغور، والحدود، والله ما يستقيم الدين إلا بهم وإن جاروا وظلموا، والله لما يصلح بهم أكثر مما يفسدون مع أن طاعتهم والله لغيظ وإن فرقتهم لكفر.

وقال الخلال في الإمارة: من حديث أبي أمامة قال: «أمر رسول الله ﷺ أصحابه حين صلوا العشاء أن احشدوا فإن لي إليكم حاجة، فلما فرغوا من صلاة الصبح قال: **هل حشدتم كما أمرتكم**. قالوا: نعم. قال: **اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، هل عقلتم هذه** ثلاثًا. قلنا: نعم. قال: **أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، هل عقلتم هذه** ثلاثًا. قلنا: نعم. قال: **اسمعوا وأطيعوا، هل عقلتم هذه**؟ قلنا: نعم. قال: فكنّا نرى أن رسول الله ﷺ سيتكلم كلامًا طويلاً ثم نظر في كلامه فإذا هو قد جمع الأمر كله». انتهى.

وقد كتب الإمام ابن تيمية والإمام ابن القيم في هذا الموضوع المهم حيث قال ابن تيمية في كتابه السياسة الشرعية: "يجب أن يعرف أن ولاية أمور الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين والدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم، إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولابد لهم عند الاجتماع من رأس...

إلى أن قال: فإن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة، وكذلك سائر ما أوجب الله تعالى من الجهاد والعمل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم وإقامة الحدود

لا يتم إلا بالقوة والإمارة، ولهذا روي: «أن السلطان ظل الله في الأرض». ويقال: ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان.

والتجربة تبين ذلك ولهذا كان السلف كالفضيل بن عياض وأحمد ابن حنبل وغيرهم يقولون: "لو كان لنا دعوة مستجابة لدعونا بها للسلطان"...

إلى أن قال: فالواجب اتخاذ الإمارة دينًا وقربة يتقرب بها إلى الله فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات، وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرياسة والمال"[١] انتهى.

وقال ابن القيم -رحمه الله تعالى- في إعلام الموقعين: "والمثال الأول أن النبي ﷺ شرع لأمته إيجابًا إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار منكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله، فإنه لا يسوغ إنكاره وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، وقد استأذن الصحابة رضي الله عنهم رسول الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها وقالوا: «أفلا نقاتلهم. فقال: **لا ما أقاموا الصلاة**». وقال: «**من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر ولا ينزعن يدًا من طاعة**». ومن تأمل ما جرى على الإسلام في

---

(١) السياسة الشرعية (ضمن الفتاوي) (٢٨/٣٩٠، ٣٩١).

الفتن الكبار والصغار، رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر طلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر من"[١] اهـ.

وأختتم هذا النقول القيمة عن أئمة السلف بقصة أوردها ابن مفلح في الآداب الشرعية حيث قال: "قال حنبل: اجتمع فقهاء بغداد في ولاية الواثق إلى أبي عبد الله -يعني: الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى- وقالوا له: إن الأمر قد تفاقم وفشا -يعنون إظهار القول بخلق القرآن وغير ذلك- ولا نرضى بإمارته ولا سلطانه. فناظرهم في ذلك وقال: عليكم بالإنكار في قلوبكم ولا تخلعوا يدًا من طاعة ولا تشقوا عصا المسلمين ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم وانظروا في عاقبة أمركم واصبروا حتى يستريح بر ويستراح من فاجر. وقال: ليس هذا -يعني نزع أيديهم من طاعته- صوابًا هذا خلاف الآثار"[٢] اهـ.

ولعل سائلاً يسأل فيقول: ما سر التوسع في إيراد تلك الأدلة والنقول في هذه الميزة من مميزات منهج السلف حيال موقفهم من حكام المسلمين؟

فأقول له: سر ذلك هو ليتبين لي وللقراء الكرام طلاب الحق ومُحبِّي الهدى والفضيلة أن الخروج عن طاعة ولي الأمر المسلم -ولو كان جائرًا- يعتبر معصية عظمى تجر الأمة إلى الفوضى والدمار من سفك دماء وافتراق كلمة ورمي الناس بعضهم بعضًا بالانحراف والضلال بدون حق.

---

(١) أعلام الموقعين (٣/٤/ط) الكليات الأزهرية.

(٢) الآداب الشرعية (١/١٩٥، ١٩٦)، وأخرج القصة الخلال في السنة (ص١٣٣).

وليتبين أيضًا للجميع أن محاولة الخروج عليهم والتخطيط له يعتبر مشاقة لله ورسوله ومخالفة لما عليه السلف الصالح أهل السنة والجماعة.

ثم ليتبين أن ما يقع من ولي الأمر المسلم من معاص ومخالفات لا توجب الكفر والخروج من الإسلام لا تسوغ الخروج عليه ولا محاولته ولا التجمع ضده، كما لا تسوغ التشهير به في مجالس العامة ولا التشنيع عليه، ولا الإعلان عن خطاياه في وسائل الإعلام بل كل ذلك من الغلط الفاحش والجهل الظاهر اللذين يترتب عليهما مفاسد عظام وأضرار جسام تحيط بالناس في أمر دينه ودنياهم كما عرف ذلك وحققه من نور الله بصيرته وهدى قلبه من السلف الصالح أئمة الشرع والفقه في الدين.

وإننا لنحمد الله -تبارك وتعالى- أن أتباع السلف في زمننا هذا في هذه البلاد وفي غيرها من بلدان المسلمين ليعلمون ذلك جيدًا ويتقيدون به ويبينونه للناس نصحًا للأمة وخشية من عقوبة الكتمان، وأما من شذ عن طريقتهم ومنهجهم ممن أصيب بداء التحزب والتكتل والتنظيم الَّتِي في ظاهرها نصرة الدعوة إلى الله وفي حقيقة أمرها دعوة إلى الفرقة ولابد لأنه لا يجوز لعلماء المسلمين وأتباعهم أن يوحدوا كلمتهم على أمر مبتدع ولا يجمعوا أمرهم على ما فيه مخالفة ظاهرة لسبيل سلفهم الصالحين.

ولا يفهم من هذا أن ولي الأمر لا يؤمر ولا ينهى من قبل الراسخين في العلم معاذ الله أن يكون ذلك بل يجب أمرهم ونَهيهم في حدود الاستطاعة الشرعية امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ الوارد في حديث تميم الداري

وبالأسلوب الذي أرشد إليه النَّبي ﷺ أمته حيث قال: «**من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية ولكن يأخذ بيده فيخلو به فإن قبل من ذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه**»[1].

وتنفيذًا لهذا التوجيه الحكيم فقد ثبت في الصحيحين حديث أسامة بن زيد أنه قيل له: «ألا تدخل على عثمان فتكلمه فقال: أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم، والله لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتتح أمرًا لا أحب أن أكون أول من فتحه».

وهذا سياق مسلم ويعني بالأمر: التهييج على الفتنة.

أكرر فأقول: هذا هو منهج سلفنا الصالحين، فعلى الدعاة والمربين أن يعتصموا به ليرضوا ربَّهم وليحترموا دعوتَهم ويرحموا أمتهم الذين لا موجه لهم إلى الخير سواهم.

ولنعلم جميعًا أن أسلوب المظاهرات بصفتها المعروفة اليوم ضد الحكام وإن كان فيهم ظلم وجور وتدبير الاغتيالات لهم أو لرجال حكوماتِهم والتخطيط للانقلابات للإطاحة بِهم وأخذ الحكم منهم والتفجير في المنشآت والاعتداء بالقتل على شرطهم وغير ذلك مما هو معلوم لا يلتقي مع منهج السلف لا في الوسائل ولا في الغايات، وإن كان بدافع الغيرة على الإسلام، فكم قد رأينا وسمعنا من المآسي

---

(١) أورده صاحب كتاب السنة الحافظ أبو بكر عمرو بن أبي عاصم (ج٢ ص٥٢١) وهو حديث حسن.

والويلات الَّتِي حقت بمن سلكوا هذه المسالك بل تجاوزته إلى سواهم من المسلمين ممن لَم يكن مشاركًا في تلك التصرفات والله المستعان.

١٢- **هجر أهل البدع ديانة:** كما أن من مميزات المنهج السلفي ومقوماته هجر أهل الأهواء والبدع ديانة على أساس ما سبق تدوينه في شأن الولاء والبراء وأن العبد لا يكون على سبيل نجاة ولا وليًّا لله إلا إذا كان حبه في الله وبغضه في الله وموالاته في الله ومعاداته في الله.

وعليه فإن السلف -رحمهم الله- يتقربون بهجر أهل البدع تطبيقًا لحق الولاء والبراء سواءً كانت البدعة حقيقة أو إضافية[١]، ثم إن هجرهم للمبتدعين والفساق لغرض سام ومصلحة شرعية منها ما تقدم ذكره من الحرص على تطبيق حكم الولاء والبراء، ومنها لينْزجر المبتدعون عندما يشعرون بالجفاء لهم والإعراض عنهم والتحذير من أفعالهم، ومنها ليعرف الناس عنهم فلا يغتروا بهم فيسقطوا في حمأة البدعة البغيضة وغير ذلك من المقاصد الشرعية المرضية، ولا شك أن السلف ينطلقون في هجر المبتدعين من نصوص الكتاب والسنة وفعل أصحاب رسول الله ﷺ والوارثين لعلمهم وغيرهم فمن الآيات البينات الَّتِي فهم منها سلفنا الصالح وأتباعهم وجوب هجر أهل البدع من أجل تحقيق المصالح الشرعية المرضية:

---

(١) **البدعة الحقيقة:** هي البدعة التعبدية المحدثة استقلالاً كبدع الموالد، والأعياد غير عيدي الفطر والأضحى الشرعيين، والاحتفال بالذكريات على اختلاف أنواعها وغيرها من كل بدعة ضلالة اخترعت استقلالاً.

١- منها قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

قال القرطبي في معنى قوله تعالى: ﴿فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾. ما نصه: "فدل بهذا على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر لأن من لَم يجتنبهم فقد رضي فعلهم، والرضا بالكفر كفر، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾.

فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها، فإن لَم يقدر على النكير عليهم فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية"(١). اهـ.

قلت: وإذ قد أتى التحذير من مجالسة أهل المعاصي فإنه من أهل البدع من باب أولى وما ذلك إلا لأن صاحب البدعة أعظم جرمًا وأشد خطرًا من صاحب المعصية بيان ذلك أن صاحب المعصية يلم بها تارة ويقلع عنها أخرى غالبًا بينما صاحب البدعة يظل ثابتًا عليها لتمكنها من قلبه واستحواذها على عقله وجوارحه.

ومن جملة ما قال القاسمي في تفسيره لهذه الآية: "وروى ابن جرير

---

(١) انظر القرطبي (ج٥ ص٤١٨).

عن الضحاك أنه قال: دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع إلى يوم القيامة... إلى أن قال: وفي الإكليل قال ابن الفرس: استدل بعض العلماء بهذه الآية على وجوب اجتناب أهل المعاصي والأهواء"[١]. اهـ.

٢- ومنها قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨].

قال القرطبي -رحمه الله تعالى -: "في هذه الآية رد من كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ على من زعم أن الأئمة الذين هم حجج وأتباعهم لهم أن يخالطوا الفاسقين ويصوبوا آراءهم تقية، وذكر الطبري عن أبي جعفر محمد بن علي رضي الله عنه أنه قال: لا تجالسوا أهل الخصومات فإنَّهم الذين يخوضون في آيات الله. قال ابن العربي: هذا دليل على أن مجالسة أهل الكبائر لا تحل. قال ابن خويز منداد: من خاض في آيات الله تركت مجالسته وهجر مؤمنًا كان أو كافرًا، وكذلك منع أصحابنا الدخول إلى أرض العدو وكنائسهم والبيع ومجالسة الكفار وأهل البدع وألا تعتقد مودتَهم ولا يسمع كلامهم ولا مناظرتُهم"[٢]. اهـ.

ثم ذكر -رحمه الله- آثارًا دالة على وجوب هجر المبتدعين عن

(١) انظر محاسن التأويل (ج٥ ص٦٢٦، ٥٢٧).

(٢) القرطبي (ج٧ ص١٢، ١٣).

جملة من السلف منهم أبو عمران النخعي وأيوب السختياني والفضيل بن عياض -رحمهم الله- [1].

وقال **الإمام الشوكاني** -رحمه الله- في تفسير هذه الآية ما نصه: "وفي هذه الآية موعظة عظيمة لمن يتسمح بمجالسة المبتدعة الذين يحرفون كلام الله ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله ويردون ذلك إلى أهوائهم المضلة وبدعهم الفاسدة فإنه إذا لَم ينكر عليهم ويغير ما هم فيه فأقل الأحوال أن يترك مجالستهم، وذلك يسير عليه غير عسير، وقد يجعلون حضوره معهم مع تنَزهه يتلبسون به شبهة يشبهون بها على العامة فيكون في حضوره مفسدة زائدة على مجرد سماع المنكر، وقد شاهدنا من هذه المجالس الملعونة ما لا يأتي عليه الحصر وقمنا في نصرة الحق ودفع الباطل بما قدرنا عليه، وبلغت إليه طاقتنا ومن عرف هذه الشريعة المطهرة حق معرفتها علم أن مجالسة أهل البدع المضلة فيها من المفسدة أضعاف أضعاف ما في مجالسة من يعصي الله بفعل شيء من المحرمات ولاسيما لمن كان غير راسخ القدم في علم الكتاب والسنة فإنه ربَّما ينفق عليه من كذباتهم وهذيانهم ما هو من البطلان بأوضح مكان فينقدح في قلبه ما

(١) ومما ينبغي أن يدون ليعلم أن هجر السلف لأهل البدع وعدمه يتوقف على المصالح الدينية فمتى رأوا أن المصلحة في الهجر هجروا ولو كان أقرب الناس إليهم وأعظمهم جاهًا فيهم ومتى رأوا في الوصل والمناظرة مصلحة فعلوا ذلك لأن الغاية من وراء ذلك هي إرضاء الله تعالى أولاً ثم السعي في تحقيق المصالح، ودفع المضار والمفاسد إذ بذلك تكون سعادة المجتمعات المسلمة في دنياها وأخراها.

يصعب علاجه ويعسر دفعه فيعمل بذلك مدة عمره ويلقى الله به معتقدًا أنه من الحق وهو -والله- من أبطل الباطل وأنكر المنكر"[١]. اهـ.

٣- ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: من الآية١١٣].

قال القرطبي: "الصحيح في معنى هذه الآية أنَّها دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم فإن صحبتهم كفر أو معصية إذ الصحبة لا تكون إلا عن مودة.

وقد قال حكيم -أي: طرفة بن العبد-:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي[٢] اهـ.

وغير هذه الآيات في هذا الحكم كثير.

ومن السنة من قول النَّبِي ﷺ وفعله.

فمن قوله: ما رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النَّبِي ﷺ قال: «**سيكون في آخر أمتي ناس يحدثونكم بِما لَم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم**»[٣].

قال الإمام البغوي بعد هذا الحديث ما نصه: "قد أخبر النَّبِي ﷺ عن

---

(١) فتح القدير (ج٢ ص١٢٢).

(٢) القرطبي (ج٩ ص١٠٨).

(٣) مسلم في المقدمة باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها (ج١ رقم ٦، ٧ ص١٢).

افتراق هذه الأمة وظهور الأهواء والبدع فيهم، وحكم بالنجاة لمن اتبع سنته وسنة أصحابه ﷺ فعلى المرء المسلم إذا رأى رجلاً يتعاطى شيئًا من الأهواء والبدع معتقدًا أو يتهاون بشيء من السنن أن يهجره ويتبرأ منه حيًّا وميتًا فلا يسلم عليه إذا لقيه، ولا يجيبه إذا ابتدأ إلى أن يترك بدعته ويراجع الحق...

إلى أن قال -رحمه الله-: والنهي عن الهجران فوق ثلاث فيما يقع بين الرجلين من التقصير في حقوق الصحبة والعشرة دون ما كان ذلك في حق الدين فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة إلى أن يتوبوا"(١). اهـ.

ولما أورد البغوي حديث كعب بن مالك عن قصة تخلفه عن النَّبي ﷺ في غزوة تبوك قال على إثره: "وفيه دليل على هجران أهل البدع على التأبيد، وكان النَّبي ﷺ قد خاف على كعب وأصحابه النفاق حين تخلفوا عن الخروج معه فأمر بِهجرانهم إلى أن أنزل الله توبتهم وعرف رسول الله ﷺ براءتَهم، وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء المسلمين على هذا، مجمعين متفقين على معاداة أهل البدع ومهاجرتِهم"(٢). اهـ.

ومن فعل النَّبي ﷺ عدة وقائع منها:

أ- هجر النَّبي ﷺ كعب بن مالك وصاحبيه ﷺ وهما مرارة بن الربيع وهلال بن أمية الواقفي وجميعهم من الأنصار حيث استمر هجرهم

---

(١) شرح السنة (ج١ ص١٢٤).

(٢) المصدر السابق (ص١٢٦، ١٢٧).

من قبل النَّبي ﷺ وجميع الأصحاب حتى تاب الله عليهم بعد مدة دامت خمسين ليلة.

ب- وهجر ﷺ زينب بنت جحش -رضي الله عنها- نحوًا من شهرين حينما قالت: «أنا أعطي تلك اليهودية -تعني: صفية بنت حيي رضي الله عنها-» رواه أبو داود من حديث عائشة -رضي الله عنها-[١].

ج- «وهجر صاحب القبة المشرفة بالإعراض عنه حتى هدمها»[٢] رواه أبو داود أيضًا من حديث أنس رضي الله عنه.

د- «وهجر رجلاً كان في يده خاتمًا من ذهب حتى طرحه وكان هجره له بالإعراض عنه»[٣] رواه أحمد وغيره.

وهذه النصوص القرآنية والنبوية كلها متفقه على هجر العصاة والمبتدعين بسبب ما اختاروا لأنفسهم من الفسوق والعصيان والضلال.

وأما الصحابة الكرام وأتباعهم من خيرة الأنام فإنَّهم قد تأسوا برسول الله ﷺ في هذا الباب من هجر العصاة المجاهرين وأهل الضلالات المبتدعين، وإليك غيضًا من فيض من الأمثلة الَّتي توضح مواقفهم المشرفة

(١) أبو داود في كتاب السنة باب ترك السلام على أهل الأهواء (ج٤ رقم ٤٦٠٢ ص١٩٩) وفي سنده سمية وهي مجهولة.

(٢) أبو داود في كتاب الأدب باب ما جاء في البناء (ج٤ رقم ٥٢٣٧ ص٣٦٠)، وقد سكت عنه المنذري.

(٣) رواه أحمد في المسند (ج٣ ص١٤).

من أهل الجهر بالمعصية وأهل الأهواء والبدع المحدثة:

١- هجر عبد الله بن المغفل ﷺ رجلاً يخذف بالحصى بعدما أعلمه تحريم رسول الله ﷺ للخذف فاستمر[(١)].

٢- وكان علي بن أبي طالب ﷺ يعتقل أصحاب النرد غدوة ونحوها وينهى عن السلام عليهم[(٢)]. رواه البخاري في الأدب المفرد.

٣- وهجر عبد الله بن عمر ﷺ رجلاً رآه يخذف بعدما أخبره أن النَّبِي ﷺ كان ينهى عن ذلك وقال له: والله لا أكلمك أبدًا[(٣)]. رواه الحاكم.

٤- وهجر عبد الله بن مسعود رجلاً رآه يضحك في جنازة فقال: والله لا أكلمك أبدًا[(٤)]. رواه أحمد في الزهد.

هذا وكم من الآثار قد جاءت عن السلف في الترغيب في الرد على أهل البدع والأهواء وفي هجرهم حتى يفيئوا إلى أمر الله كما جاءت آثار أخرى تحذر من الركون إليهم ومن مجالستهم ومودتِهم والسكوت عن بدعهم المحدثة وهذه بعض الأمثلة:

---

(١) أخرجه الحاكم بلفظ: «نَهى رسول الله ﷺ عن الخذف. قال: فخذف رجل عنده فقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتخذف والله لا أكلمك أبدًا». ج٤ ص٢٨٣، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي .

(٢) الأدب المفرد باب من لَم يسلم على أصحاب النرد (رقم ١٢٧٣ ص٤١٩، ٤٤٠).

(٣) الحاكم في المستدرك (ج٤ ص٢٨٣).

(٤) الزهد للإمام أحمد (ص٢٠١) الطبعة الأولى.

قال ابن مسعود ﷺ: «إياكم وما يُحدث الناس من البدع فإن الدين لا يذهب من القلوب بمرة ولكن الشيطان يحدث له بدعًا حتى يخرج الإيْمان من قلبه، ويوشك أن يدع الناس ما ألزمهم الله من فرضه في الصلاة والصيام والحلال والحرام ويتكلمون في ربِّهم ﷻ فمن أدرك ذلك الزمان فليهرب. قيل: يا أبا عبد الرحمن فإلى أين؟ قال: إلى لا أين. قال: يهرب بقلبه ودينه لا يجالس أحدًا من أهل البدع»[١].

وقال الفضيل بن عياض: "من جلس مع صاحب بدعة فاحذره، ومن جلس مع صاحب البدعة لَم يعط الحكمة وأحب أن يكون بيني وبين صاحب بدعة حصن من حديد، آكل عند اليهودي والنصراني أحب إليَّ من أن آكل عند صاحب بدعة"[٢].

وقال –**رحمه الله** –: "من أتاه رجل فشاوره فدله على مبتدع فقد غش الإسلام، واحذروا الدخول على أصحاب البدع فإنَّهم يصدون عن الحق"[٣].

وقال: "لا تجلس مع صاحب بدعة فإني أخاف أن تنْزل عليك اللعنة"[٤].

---

(١) اللالكائي برقم (١٩٦).

(٢) اللالكائي (ج٣ ص٦٣٨)، والبربَهاري رقم (١٣٠).

(٣) اللالكائي (برقم ٢٦١ ج١ ص١٣٧).

(٤) المصدر السابق (رقم ٢٦٢ ج١ ص١٣٧).

وقال: "إن لله ملائكة يطلبون حلق الذكر فانظر مع من يكون مجلسك، لا يكون مع صاحب بدعة فإن الله لا ينظر إليهم، وعلامة النفاق أن يقوم الرجل ويقعد مع صاحب بدعة"(١).

وقال: "أدركت خيار الناس كلهم أصحاب سنة وينهون عن أصحاب البدع"(٢).

وقال الحسن البصري: "ثلاثة ليست لهم حرمة في الغيبة أحدهم صاحب بدعة الغالي ببدعته"(٣).

وقال سفيان الثوري: "من أصغى بأذنه إلى صاحب بدعة خرج من عصمة الله ووكل إليها -يعني: إلى البدع-"(٤).

وقال ابن المبارك: "وإياك أن تجالس صاحب بدعة"(٥).

وقال الإمام ابن تيمية -رحمه الله-: "ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في

(١) المصدر السابق (رقم ٢٦٥ ج١ ص١٣٨)، وابن بطة العكبري في الإبانة (ج١).

(٢) المصدر السابق (رقم ٢٦٧ ج١ ص١٣٨).

(٣) المصدر السابق (رقم ٢٧٨ ج١ ص١٤٠).

(٤) البربَهاري في شرح السنة (ص٦٠).

(٥) اللالكائي (ج١ ص١٣٧)، والأجري في الشريعة (ج١ ص٦٤).

أهل البدع. فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين هذا أفضل، فبين أن هذا نفع عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته، ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمة الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولوا لَم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء"(١). اهـ.

وكتب أسد بن موسى -أسد السنة- إلى أسد بن الفرات رسالة طويلة قال فيها: "اعلم يا أخي أن ما حملني من الكتاب إليك إلا ذكر أهل بلدك من صالح ما أعطاك الله من إنصافك الناس وحسن حالك مما أظهرت من السنة وعيبك لأهل البدع وكثرة ذكرك لهم وطعنك عليهم فقمعهم الله بك وشد بك ظهر أهل السنة وقواك عليهم بإظهار عيبهم والطعن عليهم فأذلهم الله بيدك وصاروا ببدعتهم مستترين فأبشر يا أخي بثواب ذلك واعتد به من أفضل حسناتك من الصلاة والقيام والجهاد، وأين تقع هذه الأعمال من إقامة كتاب الله تعالى، وإحياء سنة رسول الله ﷺ ...

إلى أن قال: وإياك أن يكون لك من أهل البدع أخ أو جليس أو

---

(١) انظر الفتاوى (ج٢٨ ص٢٣١، ٢٣٢).

صاحب فإنه جاء في الأثر: من جالس صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه، ومن مشي إلى صاحب بدعة فقد مشي في هدم الإسلام"[(١)]. اهـ.

وقال أبو قلابة: "لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالهم أو يلبسوا عليكم ما تعرفون. قال أيوب: كان والله من الفقهاء وذوي الألباب"[(٢)].

وروى حماد بن زيد عن أيوب قال: دخل على محمد بن سيرين يومًا رجل فقال: "يا أبا بكر، أقرأ عليك آية من كتاب الله لا أزيد على أن أقرأها ثم أخرج. فوضع ابن سيرين أصبعيه في أذنيه ثم قال: أُحرِّج عليك إن كنت مسلمًا لما خرجت من بيتي. قال: فقال: يا أبا بكر لا أزيد على أن اقرأ ثم أخرج. فقام بإزاره يشده عليه وتَهيأ للقيام قال: فأقبلنا على الرجل فقلنا: قد حرج عليك إلا خرجت. فقلنا: يا أبا بكر ما عليك لو قرأ عليك آية ثم خرج. قال: إني والله لو ظننت أن قلبي يثبت على ما هو عليه ما باليت أن يقرأ ولكن خفت أن يلقي في قلبي شيئًا أجهد أن أخرجه من قلبي فلا أستطيع"[(٣)].

وجاء عن عبد الله بن القاسم أنه قال: "ما كان عبد على هوى فتركه

---

(١) الاعتصام (ج١ ص١٠٧).

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) نفس المصدر السابق.

إلا آل إلى ما هو شر منه. قال سودة -الراوي عنه-: فذكرت ذلك لبعض أصحابنا فقال: تصديقه في حديث عن النَّبي ﷺ: «**يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يرجعون حتى يرجع السهم إلى فوقه**»".

وجاء عن حماد بن زيد عن أيوب قال: "كان رجل يرى رأيًا فرجع عنه فأتيت محمدًا فرحًا بذلك فأخبرته فقلت: أشعرت أن فلانًا ترك رأيه الذي كان يرى. فقال: انظروا إلى ما يتحول إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله: «**يَمرقون من الإسلام لا يعودون إليه**».

وقال الأوزاعي: "كان بعض أهل العلم يقولون: لا يقبل الله من ذي بدعة صلاة ولا صدقة ولا صيام ولا جهادًا ولا صرفًا ولا عدلاً وكان أسلافكم تشتد عليهم ألسنتهم وتشمئز منهم قلوبُهم ويحذرون الناس بدعتهم".

وجاء عن الحسن البصري قوله: "من جالس صاحب بدعة لَم يسلم من إحدى ثلاث: إما أن يكون فتنة لغيره، وإما أن يقع في قلبه شيء فيزل به فيدخله الله النار، وإما أن يقول: والله ما أبالي ما تكلموه، وإني واثق بنفسي فمن أمن الله على دينه طرفة عين سلبه إياه".

هذه أمثلة من مواقف السلف الكرام تجاه أهل الفسق والفجور والأهواء والبدع وهي كما أسلفت غيض من فيض ولغير من ذكرت من السلف مواقف كثيرة كهذه وما ذلك إلا لما تميز به منهجهم المؤسس

على القاعدة الأصيلة "الحب في الله والبغض في الله".

نعم إنَّهم يفعلون ذلك لئلا يكون منهم إيواءٌ لصاحب البدعة والفسق والهوى أو تقدير أو تحصل منهم تغطية على سوء أعمالهم فينشأ عن ذلك مفاسد عظيمة تسخط الله العلي القدير.

قال: الشاطبي -رحمه الله- في هذا المقام: "إن الإيواء يجامع التوقير، ووجه ذلك ظاهر لأن المشي إليه والتوقير له تعظيم لأجل بدعته وقد علمنا أن الشرع يأمر بزجره وإهانته وإذلاله بما هو أشد من هذا كالضرب والقتل فصار توقيره صدودًا عن العمل بشرع الإسلام، وإقبالاً على ما يضاده وينافيه، والإسلام لا ينهدم إلا بترك العمل به والعمل بما ينافيه.

وأيضًا فإن توقير صاحب البدعة مظنة لمفسدتين تعودان بالهدم على الإسلام:

إحداهما: التفات العامة والجهال إلى ذلك التوقير فيعتقدون في المبتدع أنه أفضل الناس وأن ما هو عليه أفضل مما عليه غيره فيؤدي ذلك إلى اتباعه على بدعته دون اتباع أهل السنة على سنتهم.

الثانية: أنه إذا وقر من أجل بدعته صار ذلك كالحافز المحرض له على إنشاء الابتداع في كل شيء، وعلى كل حال فتحيا البدع وتموت السنن وهو هدم الإسلام بعينه"[1]. اهـ.

---

(١) الاعتصام (ج١ ص١١٤).

قلت: يا لله ما أخطر البدع في دين الله، وما أعظمها في نفوس السلف وإن دقت في أعين الناس، واسمع معي أيها الناصح لنفسه هذه القصة:

قال أبو مصعب صاحب الإمام مالك -رحمهما الله تعالى-: قدم علينا ابن مهدي -يعني: المدينة- فصلى ووضع رداءه بين يدي الصف فلما سلم الإمام رمقه الناس بأبصارهم، ورمقوا مالكًا وكان قد صلى خلف الإمام فلما سلم قال: من هاهنا من الحرس؟ فجاءه نفسان فقال: خذا صاحب هذا الثوب فاحبساه. فحبس فقيل له: إنه ابن مهدي. فوجه إليه، وقال له: أما خفت الله واتقيته أن وضعت ثوبك بين يديك في الصف وشغلت المصلين بالنظر إليه وأحدثت في مسجدنا شيئًا ما كنا نعرفه، وقد قال النَّبِي ﷺ: «**من أحدث في مسجدنا حدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**». فبكى ابن مهدي وآلى على نفسه أن لا يفعل ذلك أبدًا في مسجد النَّبِي ﷺ ولا غيره، وهذا غاية في التوقي في ترك إحداث ما لَم يكن خوفًا من تلك اللعنة فما ظنك بما سوى وضع الثوب"[١]. اهـ.

نعم فما ظننا بما سوى ذلك من:

١- بدعة الحزبية والانتماء إلى جماعة معينة لهم اسم وشهرة قد اختزلت من جماعة المسلمين.

---

(١) انظر الاعتصام للشاطبي (ج١ ص١١٦).

٢- ومن بدعة البيعة الَّتِي تؤخذ لأمير جماعة منظمة داخل بلد إسلامي أو لشيخ طريقة.

٣- ومن بدعة سرية التنظيم لجماعة الدعوة في بلد إسلامي فيه واليه المسلم ونوابه.

٤- ومن بدعة إحياء ما عليه الصوفية في بدع الأذكار بالمشاركة فيها وإحيائها.

٥- ومن بدعة الولاء والبراء في الحزب أو الجماعة المعينة والتنكر لغيرهم ولو كان من أبر الناس دينًا وخلقًا.

٦- ومن بدعة تزكية الشيعة الإمامية الاثني عشرية الرافضة واعتبارهم إخوة للمسلمين يجب على المسلمين التعاون معهم، ونصرتُهم واحتضانُهم في خندق الدعوة إلى الله وهم أعداؤها الأشداء وخصماؤها الألداء.

٧- ومن بدعة التفويض لمعاني نصوص الصفات للرب -تبارك وتعالى-.

٨- ومن بدعة اتخاذ أئمة دعوة وجهاد يجهلون الفرق بين التوحيد والشرك ويجهلون الفرق بين عقيدة أهل السنة والجماعة وبين النحل المخالفة لها كما يجهلون الفرق بين التوسل المشروع والتوسل المحظور لكونه إما شرك وإما ذريعة إليه.

٩- ومن بدعة الحرص على ضم الشباب إلى هذه الجماعات

وتقليدهم مناصب في الجماعات يأخذون البيعة للمجهول أو المرشد العام -وسبب شكي أن هذا هو سر التنظيم -.

١٠- ومن بدعة ترشيح الجاهل للخروج في دعوة الخلق إلى الإسلام وهو جاهل بأولياته وأبسط قواعده.

١١- ومن بدعة التزهيد في التزود من العلم من مظانه ومصادره ومن أفواه رجاله ودعوى أنه ينْزل فيوضات على القلوب إذا وجد الخروج في سبيل الله على طريقة معروفة.

١٢- ومن بدعة الجهل بالفرق بين توحيد الألوهية، والربوبية، والأسماء والصفات.

١٣- ومن بدعة الغلوِّ في الزعماء كقول الشاعر والمنشد الإخواني:

إن للإخوان صرحًا كل ما فيه حسن

لا تسلني من بناه إنه البنا حسن

١٤- ومن بدعة القول بأن الغاية من الجهود الدعوية هي إقامة نظام الخلافة الراشدة وتسلم السلطة.

وغير ما ذكرت كثير وستقف عليه في محله -إن شاء الله- والله من وراء كل قصد.

١٥- السلف[1] الصالح أهل السنة والجماعة لا يكفرون أحدًا من

(١) أي: من مميزات منهج السلف -رحمهم الله-.

أهل القبلة بكل ذنب ولا يخرجونه من الإسلام بعمل.

وبيان ذلك أن من مميزات منهج السلف في هذا الباب أنَّهم لا يكفرون أحدًا من أهل القبلة بكل ذنب يرتكبه إلا من جاء تكفيره في الأصول الثلاثة: الكتاب العزيز، والسنة الصحيحة، والإجماع. فإنَّهم لا يتوقفون في تكفيره عند استيفاء الشروط وانتفاء الموانع وذلك كالحكم على المشركين الوثنيين واليهود والنصارى والملحدين وأمثالهم من أعداء الله وأعداء رسله وأنبيائه وأوليائه ثم إن لهم فهمهم السلفي الصحيح في تفسير الآيات الثلاث من سورة المائدة فقد جاء في جامع البيان للإمام الطبري جملة واسعة من أقوال السلف فيها.

منها: ما جاء عن عكرمة والضحاك أنَّها نزلت في أهل الكتاب.

ومنها: ما ثبت عن عطاء أنه قال فيها: كفر دون كفر وفسق دون فسق وظلم دون ظلم.

ومنها: ما نقل عن طاوس في قوله: ﴿**وَمَنْ لَم يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [المائدة: من الآية٤٤]. قال: ليس بكفر ينقل عن الملة.

ومنها: ما ثبت عن ابن عباس وقد سأله رجل حيث قال له: في هذه الآيات: ﴿**وَمَنْ لَم يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ**﴾.

فمن فعل هذا فقد كفر؟ قال له ابن عباس: إذا فعل ذلك فهو به كفر؛ وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر وبكذا وبكذا.

ومنها: ما قاله الحسن البصري: "نزلت هذه الآيات في اليهود وهي

علينا واجبة".

ومنها ما رواه أيضًا علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿**وَمَنْ لَم يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ قال: "من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق".

ثم عقب أبو جعفر -رحمه الله- على هذه الأقوال وغيرها من الأقوال في تفسير هذه الآيات فقال: "وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: نزلت هذه الآيات في كفار أهل الكتاب لأن ما قبلها وما بعدها من الآيات ففيهم نزلت، وهم المعنيون بها وهذه الآيات سياق الخبر عنهم فكونُها خبرًا عنهم أولى.

فإن قال قائل: فإن الله -تعالى ذكره- قد عم بالخبر بذلك عن جميع من لَم يحكم بما أنزل الله فكيف جعلته خاصًّا؟!.

قيل: إن الله تعالى عم الخبر بذلك عن قوم كانوا بحكم الله الذي حكم به في كتابه جاحدين أنَّهم بتركهم الحكم على سبيل ما تركوه كافرون، وكذلك القول في كل من لَم يحكم بما أنزل الله جاحدًا به هو بالله كافر كما قال: ابن عباس، لأنه بجحوده حكم الله بعد علمه أنه أنزله في كتابه نظير جحوده نبوة نبيه بعد علمه أنه نبي"(١). اهـ.

وقال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي -غفر الله لنا وله- في تفسير هذه الآيات الثلاث ما نصه: "ومن لَم يحكم بما أنزل الله من الحق

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (ج١٠ ص٣٥٨) بتحقيق وتخريج آل شاكر.

المبين وحكم بالباطل الذي يعلمه لغرض من أغراضه الفاسدة فأولئك هم الكافرون، فالحكم بغير ما أنزل الله من أعمال أهل الكفر، وقد يكون كفرًا ينقل عن الملة وذلك إذا اعتقد حله وجوازه، وقد يكون كبيرة من كبائر الذنوب ومن أعمال الكفر قد استحق من فعله العذاب الشديد".

وقالت لجنة البحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية وقد وجه إليها السؤال التالي:

س: من لَم يحكم بِما أنزل الله هل هو مسلم أم كافر كفرًا أكبر وهل تقبل من أعماله ؟

ج: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه.

وبعد؛ قال تعالى: ﴿**وَمَنْ لَم يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [المائدة: من الآية٤٤].

وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ لَم يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [المائدة: من الآية٤٥].

قال تعالى: ﴿**وَمَنْ لَم يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [المائدة: من الآية٤٧].

لكن إن استحل ذلك واعتقده جائزًا فهو كفر أكبر وظلم أكبر وفسق أكبر يخرج من الملة، وأما إن فعل ذلك من أجل الرشوة أو مقصد آخر وهو يعتقد تحريم ذلك فإنه آثم يعتبر كافرًا كفرًا أصغر، وظالمًا ظلمًا أصغر وفاسقًا فسقًا أصغر لا يخرجه من الملة كما أوضح ذلك أهل العلم

في تفسير الآيات المذكورة[1].

قلت: هكذا نجد السلف الصالح أهل السنة والجماعة أهل ورع في موضوع التبديع والتفسيق فلا يطلقون هذه الألقاب على ذويها إلا بعد وزنَها بميزان الشرع الشريف وفهمها الفهم الصحيح وعرضها على قواعد الدين الأصيلة الَّتِي فيها احترام الدين والعرض والمال وبعد أن تتبين لهم البدعة والفسق والعصيان قالوا: هذه بدعة وهذا فسق وتلك معصية وهكذا إلا إذا اقتضى الحال أن يصرحوا بأسماء مقترفيها والمجاهرين بِها والداعين إليها بأقوالهم وأفعالهم ليعرفوا فيحذروا ويقمعوا فهذا أمر وارد لا ينكره أحد كما هو مدون في كتب أئمة السلف لاسيما كتب الجرح والتعديل منها وكتب المسائل والردود وكتب التحذير من أهل الأهواء والبدع والفجور سواءً كانوا أحياءً أو أمواتًا ولهم آثار، لئلا تفتتن الأمة بأفكارهم المريضة وأهوائهم المضلة ومؤلفاتِهم الخطيرة.

ومما يؤسف أهل الحكمة والعقل ما تردد في هذا الزمن ذكره وتكرر نشره بواسطة الأشرطة المسجلة والرسائل المؤلفة والرسائل الشخصية المجهولة الَّتِي تحمل الإنكار الشديد بالأسلوب الغليظ[2] من قوم

(١) انظر فتاوى اللجنة (ج١ ص٥٤٠).

(٢) ونحن نقول لإخواننا -هدانا الله وإياكم- أنه يجب عليكم **أولاً**: أن تفرقوا بين الرد على أهل البدع في الاعتقاد وفي منهج الدعوة إلى الله وبين الطعن المحرم فعله في حق العلماء. **وثانيًا**: يجب أن تفهموا جيدًا أننا لا يمكن أن نطبق القاعدة القائلة: "نجتمع فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا فيما اختلفنا فيه على عمومها".

على آخرين من طلبة العم يحذرون من مناهج دعوية -ما هي إلا كالميازيب تجمع الماء كدرًا وتفرقه هدرًا إلا من رحمه ربك-[1] وفيها مخالفات كثيرة لمنهج سلف الأمة -أهل السنة والجماعة- وفيها بدع شهيرة بخطوط واضحة عريضة لا يجوز السكوت عنها ولا التماس الأعذار -الخادعة- لذويها لاسيما الأحياء منهم القائمين بالدعوة والدعاية إلى تلك المناهج الَّتي قد سبقت إشارات ببعض ما فيها وسيأتي -إن شاء الله- البحث المفصل في بدعها وعللها وضلالها بقدر بعدها عن المنهج الحق في العقيدة السلفية وأسس الدعوة المحمدية.

أعود فأقول: ولقد تميز أيضًا منهج السلف بالموقف الحق حيال من قد ماتوا من أهل القبلة فأفضوا إلى ما قدموا فإنَّهم لا يجزمون لأحد بجنة أو نار إلا من شهد له النَّبِي ﷺ وإن مرتكب الكبيرة من المسلمين في الدنيا فاسق وعاص بقدر ما ارتكب من ذنب وأما في الآخرة فهو تحت المشيئة، إن شاء ربه عذبه بقدر ما جنى، وإن شاء عفا عنه وغفر له، ويرجون لأهل الخير والإحسان ويخافون على أهل الإساءة والعصيان وهكذا يصلون خلف أئمة المسلمين وأمرائهم برهم وفاجرهم ويجاهدون في سبيل إعلاء كلمة الحق معهم ويصلون على موتى المسلمين برهم

ثالثًا: ارجعوا يا أخوتاه إلى ما دون في كتب العلم في هذا الباب وبصحبتكم الإنصاف والصدق في طلب الحق للعمل به والتواصي به، وسلام الله عليكم.

(١) حكم الانتماء (ص١٠٩).

وفاجرهم ويستغفرون لهم، وذلك من معاني وسطيتهم بين أهل البدع كما سبق فأفهم رعاك الله وهداك.

وبعد: فأكتفي بهذا القدر من خصائص المنهج السلفي ومميزاته ومقوماته وهي قليل من كثير ولكنها أسس عامة وكليات ضامة تدل على ما وراءها وتندرج تحتها جزيئاتها من كل كلم طيب وعمل صالح ومعتقد صحيح والله يتولى الصالحين.

وأما المآخذ على المناهج الدعوية الأخرى:

فخذ أولاً منهج جماعة الإخوان المسلمين ومن دار في فلكهم والتزم منهج دعوتهم من المنظمات الأخرى في البلاد العربية أو الأعجمية فإن عليه وعلى تصرفات قادته وأتباعهم مآخذ كثيرة سأذكر بعضه باختصار ليحذرها الشباب المحبون للدعوة إلى الله ولكنهم فقدوا معرفة منهجها الأصيل لسبب[1] ما، وليقلع عنها كل من كان الحق رائده علمًا وعملاً، وشعاره "يعرف الرجال بالحق، لا الحق بالرجال" من تلكم المآخذ:

١- عدم العناية والاهتمام بعلم عقيدة التوحيد سواءً كان ذلك في

---

(١) **من الأسباب:**

أ- عدم طلبهم فهم المنهج من مصدره الأصيل.

ب- اقتناع بعض الشباب بما قرره واضعوا المنهج من الإخوان وأوعزوا إلى أتباعهم بنشره وإلزام من دخل في نظام الجماعة ببنود المنهج حتى أصبحوا كما قال: قائلهم: "إن المنهج الإخواني قد اختلط بدمائنا ووقر في قلوبنا فتنازلنا عنه صعب ودونه خرط القتاد".

باب توحيد الألوهية المسمى بتوحيد القصد والطلب أو في باب الأسماء والصفات المعروف عند علماء التوحيد بتوحيد المعرفة والإثبات والدليل على ذلك ما وقع فيه كثير من قادة هذه الجماعة من الخطأ في هذين البابين وفي غيرهما من الأمور الَّتِي لا تشكل على طالب المرحلة المتوسطة في نظام التعليم الحالي فهذا قائل منهم يقول مخاطبًا رسول الله ﷺ وهو قرب المنبر النبوي الشريف في طيبة الطيبة:

يـــا سيدي يا حبيب الله جئت إلى ... أعتاب بابك أشكو البرح من سقمي

يا سيدي قد تَمادى السقم في جسدي ... مـــن شدة السقم لَم أغفل ولَم أنم

وهذا صنيع مخالف لما أرشد إليه القرآن الكريم حيث قال الله ﷻ: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ [البقرة: من الآية١٨٦].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [غافر: من الآية٦٠].

وغيرها من النصوص في هذا المعنى كثير وكلها تدل على أن شفاء المرض ودفع الكروب وقضاء الحاجة لا يجوز طلبها من الخلق وإنَّما تطلب من خالق الخلق وحده كما قال ﷻ: ﴿**وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [الأنعام: من الآية١٧].

ولَم ينقل مثل هذا التصرف عن شخص واحد من أهل السنة والجماعة –السلف وأتباعهم– عبر تاريخ زمانهم وتعدد أماكنهم وما

ذلك إلا لتمكنهم من الفهم الصحيح لنصوص عقيدة التوحيد والفهم الحق لضروب الشرك وصوره المتعددة الظاهرة والخفية.

ويقول آخر من قادة الإخوان -هدانا الله وإياهم- وهو يرد على السلفيين ما نصه: "فلا داعي إذن للتشدد في النكير على من يعتقد في كرامة الأولياء واللجوء إليهم في قبورهم الطاهرة والدعاء فيها عند الشدائد".

ويقول أيضًا: "فما لنا وللحملة على أولياء الله وزوارهم والداعين عند قبورهم"[(١)]. اهـ.

أقول: إن هذا الإنكار العجيب في هذا التعبير الغريب ليدل بجلاء للقراء الفضلاء على الجهل الفاضح بأصل الأصول من دين الله البين الواضح، إي والله إن هذا الإنكار على علماء السلف لزله عظيمة تخالف من على الحق سلف وتفتح بابًا عظيمًا للدخول في الشرك الذي يجب أن تسد أبوابه وتغلق مداخله، وتقطع وسائله وأسبابه، في كل زمان ومكان عمومًا وفي الأماكن الَّتِي فشا في أهلها الشرك والبدع خصوصًا كما هو الحال في العالم الإسلامي اليوم إلا من رحم الله من عباده، لقد وقع كثير من الناس في معظم بلدان العالم في تقديس القبور وتشييدها ببناء القباب عليها والغلو في أهلها كل بحسب هواه وما زينه له شيطانه وأملاه، ولا

---

(١) شهيد المحراب، عمر بن الخطاب لعمر التلمساني (ص٢٢٦ و (ص٢٣١) بواسطة وقفات مع كتاب للدعاة فقط لمحمد بن سيف العجمي -رحمه الله-.

غرابة أن يكون هذا من عوام الناس ورعاعهم إذ قد وقع في الغلو والتقديس قوم أدعيت لهم الإمامة في العلم والفتوى والقيادة في الدعوة والجهاد ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ويعتبر قائد آخر من قادة تلك الجماعة أن العقيدة الأشعرية، والماتريدية هي العقيدة السلفية الَّتِي أجمعت الأمة على صحتها وصوابِها، بينما يعتبر علماء السلف أصحاب العقيدة الأشعرية المعروفة قد ضلوا في كثير من أبواب العلم لاسيما في باب الصفات الإلهية والإيْمان والقدر والنبوات وأفعال المخلوقات وغير ذلك مما سبق لي تدوين شيء منه في كتاب آخر وعليه يا أخا الإسلام فإن تقرير هذا القائد المنظر والمؤلف المكثر يعتبر منكرًا من القول وزورًا لا يجوز أن يتابع عليه أو يقتدى به في شيء من ضلالاته وانحرافاته ومن أراد منهج الدعوة الحق فعليه أن يترسم خطى أئمة السلف الذين لا مستند لهم في عقيدتِهم ومنهج دعوتِهم وجهادهم وجميع علومهم إلا كتاب ربِّهم وسنة نبيهم ﷺ واسمع إلى شاعرهم الموهوب:

مـا العـلم إلا كتاب الله أو أثر   يجلـو بـنور هـداه كل منبهم
مـا ثم عـلم سوى الوحي المبين   ومـا منه استمد ألا طوبى لمغتنم

وقبله أنشد إمام أهل السنة "أحمد بن حنبل":

ديـن النَّبِي محمـد أخـبار   نعـم المطـية للفـتى آثـار

لا تـرغبن عـن الحديث وأهله فالـرأي لـيل والحديـث نَهار
ولربَّما جهـل الفتى أثـر الهدى والشمس بازغـة لَهَـا أنـوار

ومنهم قادة آخرون كثر خفي عليهم كفر الشيعة الإمامية الاثني عشرية الجعفرية الرافضة ومنهم الخميني الشيعي المتعصب صاحب السياسة السيئة مما جعلهم يعترفون بأخوتِهم للمسلمين في الدين ويتهمون من يكفرهم من الراسخين في العلم بالسذاجة وقلة البضاعة في العلم وسوء التصرف في منهج الدعوة إلى الله وغير ذلك من الصفات الذميمة الَّتي يعلم الله من هم أحق بِها وأهلها أهم قادة الإخوان وأتباعهم، أم السلفيون وأتباعهم.

٢- سقوطهم[(١)] في حمأة البدع الَّتي سماها نَبيُّ الهدى ﷺ: «**ضلالة**».

ومنها:

أ- بدعة الحزبية:

إن مما لا شك فيه عند أهل العلم الداعين إلى الله على علم وبصيرة أن هذه الأحزاب والجماعات والمنظمات الإسلامية بوضعها الحالي من البدع المحدثة الَّتي لَم يسبق لها مثيل في تاريخ الدعوة والدعاة من علماء السلف وخدام السنة وحراس العقيدة السلفية ومن كان في شك -بسبب داء الحزبية- مما أقول فليجمع بين يديه كتب سلفنا الصالحين وليضع بين عينيه وفي قلبه تاريخ حياتِهم العلمية والعملية، وليجلس بين يدي من

(١) أي: من جملة المآخذ.

آتاهم الله علمًا وبصيرة لاتباعهم كتاب ربِّهم واقتدائهم بسنة نبيهم ﷺ وسيرهم على منهاج السلف من علماء ربانيين وفقهاء محققين ومحدثين ودعاة صالحين ومصلحين فإن من فعل ذلك ابتغاء مرضات الله وطلبًا للحق ليعلمه ويعمل به فقد أراد الله به خيرًا وسوف يبصر الطريق كما أبصر سلفه الصالح، ويقف في مواضع ما وقفوا.

أولـــئك آبـــائي فجئني بمثلهم إذا جمعتـــنا يـــا جريـــر المجامع

حقًّا يا أخي المسلم: إن التحزب[1] بأساليبه ونظمه ومناهجه المعاصرة

---

(١) لقد سلك جماعة الإخوان –هداهم الله– مسالك متعددة لإقناع طلاب العلم بصحة تعدد الجماعات والمنظمات، ومنها:

أ– **قولهم:** إن هذه الجماعات المتعددة كلها متفقة في الأسس الدعوية والغاية من الدعوة ولَم تختلف إلا في الأساليب والوسائل.

ب– **ومنها قولهم:** إن الدعوة إلى الله إن لَم يكن تنظيم كوحدة المنهج وآمر ومأمور ونحو ذلك فلن يكتب لها النجاح.

وأقول: هذه مغالطة بيِّنه لكل طالب علم متبصر يعرف مواطن الوفاق والخلاف إذ لو كان الأمر كما قالوا: لما رأيت تعددًا ولا خلافًا يذكر، ولما حصل نقد وتوجيه وأخذ ورد ورفض، قال صفي الرحمن المباركفوري في كتابه "الأحزاب السياسية في الإسلام" (ص١٩): "إن تعدد الأحزاب في أي مجتمع يعني أن هناك أمورًا اجتماعية تتعارض فيها وجهات النظر، وتختلف فيها الآراء بحيث لا يمكن الوصول إلى نقطة يقتنع بها الجميع، بل إن ما يراه أحد الأحزاب خيرًا يراه الآخر شرًّا، وما يراه أحدها سعادة يراه الآخر شقاء"، وقال سليم الهلالي في كتابه "الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة" (ص٣٢): "وهذه الجماعات المتعددة لو كان ما تدعيه صحيحًا من أنها جميعًا على الكتاب والسنة لما تفرقت لأن الحق واحد لا ثاني لـــه، وتعددهم هذا دليل قاطع على

تشقيق لجماعة المسلمين وتشطير للصف المسلم بسبب تعدد ألقابه ومنظماته وجماعاته ومن ثُمَّ -وهو الأخطر- اختلاف اتجاهات تلك الجماعات والمنظمات في كثير من أصول الدين ومنهج الدعوة التوقيفي مما سبب الضرر الديني والدنيوي على الدعوة والداعية، بل وعلى عامة المسلمين، وإذا كان الأمر كذلك -ولا إخالك تجادل وإن جادلت فبالباطل- فاحذر يا طالب العلم ويا محب الخير التحزب مع أي جماعة ذات اسم أو رسم أو منهج أو طريقة قد خالف فيها مؤسسوها وأتباعهم شيئًا من منهج شرع الله ومن صفات حزبه المفلحين وجماعة المسلمين السائرين على الشرع الشريف الأقوم، والطريق النبوي الأسلم والأحكم، واعتبر نفسك فردًا من أفراد إخوانك المسلمين كافة وليس من لازم طلب الإصلاح لنفسك أو الإصلاح لغيرك أن تكون منتميًا إلى حزب معين أو جماعة أو منظمة من تلك الأحزاب والمنظمات الَّتي لَم يتم تأسيسها على منهج الحق والصواب الذي تشهد له نصوص السنة، ومحكمات الكتاب.

هذا يا أخي المسلم وكم للحزبية والدخول في الجماعات والمنظمات المعاصرة من ضرر ديني ودنيوي لاسيما في الدول المسلمة الَّتي واليها مسلم وله نوابه في القضاء بالشرع والسلطة التنفيذية والدعوة إلى الله وغير ذلك من الأمور الَّتي يتم توظيفها في الدولة الإسلامية، وهذه بعض

اختلافهم، واختلافهم ناتج عن تعلق كل فرقة بحبل غير حبل الأخرى حينئذ لابدَّ من التفرق والاختلاف والتدابر ".

الأمثلة الَّتي تجسد مضار الحزبية وتعدد الجماعات والمنظمات:

١- التنكر من ذوي الأحزاب والجماعات والمنظمات لغيرهم ممن لَم يكن من أهل حزبِهم أو جماعتهم مهما كان خلقه ودينه وصلاحه كما صرح بذلك أحد زعماء الإخوان "جاسم المهلهل" في كتابه "للدعاة فقط" (ص١٢٢) حيث قال: "بل دعوة الإخوان ترفض أن يكون في صفوفها أي شخص ينفر من التقيد بخططهم ونظامهم ولو كان أروع الدعاة فهمًا للإسلام وعقيدته وأكثرهم قراءة للكتب ومن اشد المسلمين حماسة وأخشعهم في الصلاة".

ونقول لجاسم -هداك الله-: لو أنك اطلعت على قول الإمام ابن تيمية -رحمه الله- لما أقدمت على تدوين هذا البيان، يقول ابن تيمية عن العلماء والمربين: "وليس لأحد منهم أن يأخذ على أحد عهدًا في موافقته في كل ما يريده، وموالاة من يواليه ومعاداة من يعاديه، بل هذا من جنس فعل جنكيز خان وأمثاله الذين يجعلون من وافقهم صديقًا وليًّا، ومن خالفهم عدوًّا بغيًّا.

حقًّا لقد سبق ابن تيمية بالرد على جاسم المهلهل وزملائه وأتباعهم كل من كتب ردًّا عليهم ابتغاء وجه الله ونصرة للحق ورحمة بالخلق، فالحمد لله الذي جعل على الحق نورًا وجعل له أنصارًا وقبولاً ممن أراد الله بِهم خيرًا فرضوا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولاً وفي الحديث: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين**

وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»(١).

٢- الفرقة الماحقة الَّتي سببها عدم اقتناع كل جماعة بما عند الأخرى من الأفكار والمناهج وأن كل جماعة ترى أحقية ما هي عليه بخلاف غيرها من الجماعات والأحزاب والمنظمات وهكذا.

٣- الوقوع في أدواء -جمع داء- كثيرة من الهمز واللمز والسخرية والأحقاد والإحن من جماعة لأخرى ومن حزب لحزب، وقد نَهى الشرع الإسلامي المسلمين عن ذلك كله في كثير من نصوص الكتاب والسنة، غير أن أهل البدع يُبْغَضُون بقدر ما لديهم من بدع وانحرافات كما هو منهج السلف -رحمهم الله-.

٤- التفكك حتى في الأسرة الواحدة أو المؤسسة الواحدة الَّتي توجد فيها هذه الانتماءات.

٥- التأثير الواضح على الدعوة إلى الله الَّتي لا غنى للبشرية عنها في كل زمان ومكان.

---

(١) أورده ابن بطة العكبري في الإبانة (ج١ ص١٩٨) وفيه سنده كلام، غير أن الإمام أحمد سئل عن هذا الحديث وقيل له: كأنه كلام موضوع... قال: لا، هو صحيح سمعته من غير واحد. انظر حاشية الكتاب المذكور.

كما أورده الهيثمي في المجمع (ج١ ص١٥) وذكر أن في سنده عمر بن خالد القرشي وهو ضعيف جدًّا.

قلت: غير أن المعنى صحيح متفق مع النصوص الصحيحة في هذا المعنى والعلم عند الله.

٦- الصد عن معرفة الحق والانتصار له، والتعصب للباطل والوقوف مع أهله جهلاً بِهما وبالأمور المؤدية إلى كل منهما.

٧- التأثير الملموس على قانون الإخوة الإيْمانية وحكم الولاء والبراء في الله ﷻ ، وهذه الأمثلة تعتبر غيضًا من فيض، وقد عقد الشيخ بكر أبو زيد فصلاً مستقلاً لبيان الأضرار الحزبية على جماعة المسلمين في كتابه "حكم الانتماء"[١] ذكر فيه إحدى وأربعين مضرة وآفة، فليرجع إليه كل طالب علم ليفيد منه علمًا وحكمة وبصيرة.

٨- ومنها بدعة البيعة الَّتِي فرضها قادة الإخوان المسلمون وجعلوا لها عشرة[٢] أركان وهذا البيعة الَّتِي يرى قادة الإخوان وأتباعهم وجوبَها على كل فرد من أفراد الجماعة، بل وعلى غيرهم يحتمل أن تكون للخليفة المجهول ويحتمل أن تكون لمن تبوء منصب الإرشاد العام للإخوان حيث قال حسن البنا: "أيها الإخوان الصادقون، أركان بيعتنا عشر فاحفظوها"[٣].

وقال سعيد حوى بعد أن أثنى على المرشدين حسن البنا والهضيبي: "وإن لخليفة الاثنين في أعناقنا لبيعة" وهم يسمونَها بيعة على البر والتقوى كمثل بيعة شيوخ الصوفية الَّتِي سموها بأسماء مبتدعة ما أنزل الله بِها من

(١) انظر حكم الانتماء (ص١٣٥-١٥٢).

(٢) انظر رسالة التعاليم لحسن البنا (ص٣) والمدخل لدعوة الإخوان لسعيد حوى (ص٣٠).

(٣) المصدرين السابقين وفي نفس الصفحتين.

سلطان من عهد وعقد وميثاق ونحوها.

وأما السلف الصالح: فإنَّهم يعتبرون بيعة الإخوان المسلمين وبيعة الصوفيين من البدع المحدثة في الدين، لأن الداعين إليها لا يستندون إلى دليل من كتاب أو سنة أو عمل خليفة راشد أو عمل صحابي جليل أو إلى إمام من أئمة الحديث والفقه، وإن لها لآثارًا سيئة على جماعة المسلمين أشهرها:

أولاً: حدوث الفوضى بين الناس بسببها، إذ من المسلَّم به أن أفراد كل جماعة استقلت بلقب ومنهج سيدعون إلى بيعة زعيمهم وإلى الالتزام بالوفاء بِما تتم عليه تلك البيعة المحدثة جملة وتفصيلاً وحينئذ سيحل الشقاق محل الوئام، والخلاف محل الوفاق، وذلك بسبب تعدد الجماعات والبيعات.

ثانيًا: جعل شباب الأمة في حيرة من أمرهم بحيث لا يدري الواحد منهم أو الجماعة إلى أي جماعة ينتمون ولا أي زعيم يبايعون.

ثالثًا: أنه ينتج عن هذه البيعة التباغض والتدابر والفرقة، وهذه أمور نَهى عنها دين الإسلام في غير ما آية وحديث.

رابعًا: في هذه البيعة الإخوانية تشبه واضح بالطرق الصوفية -كما أسلفنا- وإحياء لخرافة الشيخ والمريد في مصطلحاتِهم.

خامسًا: فإنَّها قد تحمل قادة الجماعة ونوابِهم على منع أتباعهم من الجلوس إلى غيرهم من أهل العلم الذين ليس لهم انتماء ولا مؤازرة

للجماعة على أساس منهجهم.

سادسًا: إنه ليكفي في شؤم البيعة المذكورة -بأي اسم سميت- وبطلانها أنَّها بدعة محدثة مردودة على أهلها لحديث: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**». ولحديث: «........ **وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**». ألا فهل من مدكر.

إذا علم ما دونته في هذه الفقرة وهو معلوم قبل هذا عند علماء السلف فاعلم -حفظك الله ورعاك-: أن البيعة الشرعية في ديننا الحنيف هي بيعة تنعقد بِموافقة أهل الحل والعقد من الأمة المسلمة كما حصل في عهد الخلفاء الراشدين ومن سار على نَهجهم ممن ولاه الله أمر الأمة الإسلامية كلها أو بعضها ولو في جزء من أرض الله لَم يستطع أن يتجاوزه إلى غيره، وكذا من حصل على الإمامة أو الإمارة بطريق المصاولة والغلبة واستقر له الأمر وأصبح ذا سلطان وقوة وشوكة واتجه إلى السعي في إصلاح الدين والدنيا بحيث يقم الحدود وينفذ الأحكام الشرعية ويؤمن السبل ويرعى أحوال الرعية جاعلاً نصب عينيه وجوب حراسة العقيدة وصيانة الأعراض وحقن الدماء وحفظ الأموال، ويقيم في الأمة علم الجهاد وشعائر العبادة كالحج والجمع والجماعات وغيرها من الأمور الَّتِي لا تقوم إلا بوجود الإمارة ذات النفوذ المذكور فهذا أيضًا يجب السمع والطاعة له والتعاون معه في كل ما من شأنه صلاح الدين

والدنيا ولا يجوز الخروج عليه بحال بحجة أنه وصل إلى الإمارة بطريق الظلم والقهر لمن كان قبله ولا مانع يمنع من مبايعته بعد أن يمكن الله له في الأرض ويصبح صاحب شوكة وسلطان لاسيما إذا كان ذا اهتمام بأمر الدين والدنيا.

ولا يشترط أن يكون سلطانه وولايته على الدنيا كلها لعدم قدرته على ذلك ولقد أبعد النجعة من يرى أن لا بيعة شرعية إلا لأمير المؤمنين المنتظر الذي سيأتي في آخر الزمان كما صرح بذلك بعض طلبة العلم المعاصرين في كتبٍ مطبوعة وأشرطة منشورة.

تنبيه: أما نحن في المملكة العربية السعودية علماء وعقلاء وعامة فإننا نعلنها صريحة ظاهرًا وباطنًا بأن في أعناقنا بيعة شرعية لملك المملكة العربية السعودية فهد بن عبد العزيز، الوفاء بِها واجب شرعي بشرطه ونعتبر ذلك نعمة عظمى كلما أرسلنا النظر إلى دنيا البشر شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالاً. نعم، إننا نعتبر إمامته علينا رحمة، وولايته شرعية تستدعي البيعة الشرعية لأنه يحرس أصل الدين وقاعدته، ويفتح حقول العلم الشرعي الشريف في قطر المملكة العربية السعودية بل وخارجها مما لا يحتاج مني إلى إقامة الأدلة والبراهين، ولأنه ينفذ أحكام الشريعة الإسلامية من فرائض وواجبات وحدود وشعائر في شعبه الذي استطاع أن يبسط عليه سلطانه، بل ويرعى مصالح الرعية دينًا ودنيا ويرعى كثيرًا من مصالح الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربِها كما هو

واضح لكل ذي عينين صاحب عدل وإنصاف.

ونحن إذ نقول هذا: فإننا أيضًا لا ندعي لولاة أمرنا الكمال في كل شيء فالكمال عزيز في دنيا البشر، ولا ندعي لهم العصمة من الوقوع في الخطأ كلا فكل ابن آدم خطاء وخير الخطائيين التوابون، وننصح لهم من صميم قلوبنا وندعو لهم سرًّا وعلنًا أن يكونوا معتصمين بحبل الله المتين وكتاب الله المبين ورسالة الرسول الصادق الأمين عليه أتم الصلاة وأزكى التسليم من الله أرحم الراحمين إذ بذلك تبرأ الذمم، وتدوم النعم، وتدفع المحن والنقم ويمكن الله في الأرض: ﴿**مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا**﴾ [النساء:١٤٧].

أعود فأقول: أما البيعة لزعيم منظمة أو حزب أو شيخ طريقة سواء في دولة إسلامية أو غير إسلامية فإنَّها باطلة ولا أساس لها في شرع الله ولا صلاح يترتب عليها، بل الفساد والإفساد في الأرض حليفها والله المستعان.

ت- ومنها بدعة سرية التنظيم الذي جرى على الدعوة والدعاة كل سوء ومكره.

أقول: إن المتتبع لتاريخ دعاة السلف الصالح يجد أن دعوتَهم إلى الله كانت ظاهرة معلنة تتسم بالحكمة والموعظة الحسنة، يستفيد منها الصغير والكبير والغني والفقير والذكر والأنثى والحر والعبد والحاكم والمحكوم إلا من أبى وشرد منها شراد البعير على أهله ممن قال الله فيهم: ﴿**وَمَنْ يُرِدِ**

اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: من الآية٤١].

وما ذلك إلا لأن علماء السلف الصالح فقهوا أن الإسلام قد انتشر في أرض الله طولاً وعرضًا وأصبح كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ في متناول كل يد من أيد العباد عربُهم وعجمهم قاصيهم ودانيهم، وأصبح كل مسلم حتى ولو كان في دول الكفر يعلن إسلامه ويؤدي الشعائر التعبدية ويدعو إلى الإسلام في حدود قدرته واستطاعته الَّتي لا يطالبه الشرع الشريف بأكثر منها وهذا لا يعني أن الجهاد في سبيل الله لنشر الإسلام قد سقط في مفهوم دعوة السلف على ما وصفت، بل إن حكمه باق ولكن تحت راية وولاية إسلامية تملك القوة في العدد والعدة لترد كيد الأعداء في نحورهم ويمضي الإسلام في طريقه إلى حيث شاء الله له، لا تحت مظلات الجماعات والمنظمات باسم الحركات الإسلامية الَّتي لا تعرف طريقًا إلى نصرة الإسلام إلا بواسطة التجمعات السرية المظلمة والتخطيط للاغتيالات والتفجير في المنشآت ومحاولة الانقلاب بمن في أيديهم السلطة والقوة الَّتي لا طاقة للدعاة إلى الله بمصاولتهم ومجابَهتهم في دنيا البشر حتى يحكم الله.

نعم أكرر أن الدعوة السلفية عبر تاريخ زمانها ومكانها ورجالها دعوة ظاهرة صريحة ينتج عنها كل بر وصلاح وأمن وإيْمان وأمان وما ذلك إلا لأصالة الأسس الَّتي قامت عليها، والأساليب الحكيمة الَّتي

أُديت بها، والمقاصد الحسنة الَّتي ترجى من ورائها بينما جل الجماعات والمنظمات الدعوية المعاصرة الَّتي خالفت السلفيين في منهج دعوتهم لا تقوم دعوتُهم إلا على التنظيم السري المبتدع ظنًّا منهم أن هذا هو الطريق الصحيح لنجاح الدعوة إلى شريعة الإسلام ولقد نتج عن ذلك شيء كثير من الآثار السيئة، الَّتي أصابت الدعوة والدعاة في المقاتل، أذكر منها:

١- فتح باب واسع للحكام العلمانيين الذين يحكمون شعوبَهم بالقوانين ليدخلوا منه ويضربوا بيد من حديد على كل من يظنون أنه من منظمة الدعوة السرية ولو كان بريئًا من الانتماء إلى أي هيئة إسلامية من طبيعة عملها التنظيم السري المظلم، فما ظنك بِمن علمه الحكام العلمانيون أنه من قادتها أو العاملين فعلاً في حقلها وما حصل اليوم وقبل اليوم من محاكمة وقتل وسجن وتعذيب لأهل الدعوة السرية من بعض الحكومات العربية عن الأذهان ببعيد، وذلك بسبب فقد الحكمة في أسلوب الدعوة ومنهجها الصحيح[1].

٢- وجود وحشة ونفرة مستمرتين بين الجماعات ذات التنظيمات السرية في الدعوة وبين كثير من طبقات الناس وبالأخص بين الجماعات

---

(١) وأما من أوذوا من قبل الحكام الظلمة وهم من أئمة الدعوة السائرين على منهج السلف فأسوتُهم الرسل الكرام الذين لَم يسلكوا مع الجبابرة مسلك النِّزاع على السلطة ولا مسلك الاغتيالات لهم ولا التفجير في منشآتِهم ومركباتِهم ونحوها.

وعلماء السلف ولا مسوغ لها ولا سبب إلا أن علماء السلف أبوا إلا أن يكتبوا توجيهات لتلك الجماعات تتجلى في بيان الأخطاء، براءة للذمة ونصحًا للأمة.

٣- كما بسبب التنظيم السري -بصفته من شروط نظام الجماعات- وضع الولاء والبراء في غير موضعهما الشرعي فيقرب ويحب من جهة الجماعات من كان من المنتمين إليها أو المؤازرين لها مهما كان حاله ويقصي ويهجر من قبلهم من خالف الأحزاب والجماعات ولو كان ذا خلق ودين، وخشية لله رب العالمين.

ويطيب لي أن أختم حديثي في هذا الموضوع -موضوع السرية- بما أثر عن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- حيث قال: "إذا رأيت قومًا يتناجون في دينهم بشيء دون عامتهم فأعلم أنَّهم على تأسيس ضلالة"[1].

د- بدعة تمييع الدعوة إلى الله بفتح بابها المصون لبعض انحرافات الصوفية وإضفاء هالات المدح على بعض زعمائها الضالين الزائغين عن سنن الحق المبين.

وقبل الدخول في مناقشة بعض ما سطره للناس بعض قادة الإخوان المسلمون في قضية هذه البدعة أحب أن أقول: إن غلاة الصوفية أصحاب مخالفة للكتاب العزيز والسنة المطهرة في العقيدة والشريعة والأدب والسلوك

(١) رواه الدارمي في سننه (ج١ ص٩١) باب في اجتناب الأهواء.

وغير ذلك مما هو معروف عنهم ومدون في كتب الردود عليهم.

وبعد: فليعلم طالب العلم والداعية إلى الله أنه لا يجوز لأحد أن يصف الدعوة إلى الله بأنّها "صوفية" مهما تكلف لها من تأويلات وأورد لها من تفسيرات، ومهما ادعى لهذه التسمية من أهداف وأوجد لها من مسوغات.

ويؤسفنا أعظم الأسف أن هذا التصرف قد حصل من المؤسس الأول لجماعة الإخوان المسلمين في مصر بالإضافة إلى ما أضفاه من ثناء ومدح على بعض الطرق الصوفية الضالة وزعمائها الذين استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، بل ويؤسفنا ما أثر عنه من مشاركات في بدع الصوفية وضلالاتِها فعلاً، وتبعه على ذلك الجمع الغفير والعدد الكثير من المسلمين وانطلاقًا من مبدأ تقليد الأتباع للمتبوعين فقد قام بعض منظري جماعة الإخوان بالتأليف في فضل بعض الطرق الصوفية -لا كثر الله من أمثاله وأمثالها- وإليك تبيان ما ذكرت وأنكرت: قال حسن البنا وهو يصف الإخوان المسلمين:

١- دعوة سلفية.

٢- حقيقة صوفية.

٣- هيئة سياسية.

٤- جماعة رياضية.

إلى آخر الأرقام الثمانية[1].

ولي وقفة مع وصفه للدعوة إلى الله بأنّها صوفية فأقول: كيف يمكن أن تكون سلفية صوفية ومصادرهما مختلفة اختلافًا كثيرًا، إذ مصادر السلفية الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح بينما مصادر الصوفية تلك الكتب الّتي تنضح بالشرك والبدع والخرافة والشعوذة والادعاءات الكاذبة وأئمتها هم الزنادقة والقائلون بوحدة الوجود، ولكن عند التأمل في نشأة حسن البنا وتعليقه بشيء من التصوف طيلة حياته لا يستغرب أو يستبعد أن يقول: في وصف الدعوة إلى الله أنّها صوفية.

قال الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه التفسير السياسي للإسلام[2]: "الشيخ حسن البنا ونصيب التربية الروحية في تكوينه وفي تكوين حركته الكبرى، إنه كان من أول أمره -كما صرح بنفسه- في الطريقة الحصافية، وكان قد مارس أشغالها وأذكارها وداوم عليها مدة، وقد حدثني كبار رجاله وخواص أصحابه أنه بقي متمسكًا بهذه الأشغال والأوراد إلى آخر عهده وفي زحمة أعماله". اهـ.

قلت: ثم صرح في موضع آخر من مذكرات الدعوة والداعية تحت عنوان "الطريقة الحصافية" حيث قال: "رأيت الإخوان الحصافية يذكرون الله تعالى عقب صلاة العشاء من كل ليلة وكنت مواظبًا على حضور

(١) مجموعة رسائل البنا (ج٢ ص٢٢-٢٤).
(٢) (ص ١٣٨، ١٣٩).

دروس الشيخ زهران -رحمه الله- بين المغرب والعشاء فاجتذبتني حلقه الذكر بأصواتِها المنسقة ونشيدها الجميل وروحانيتها الفياضة، وسماحة هؤلاء الذاكرين من شيوخ فضلاء، وشباب صالحين، وتواضعهم لهؤلاء الصبية الصغار الذين اقتحموا عليهم مجلسهم ليشاركوهم ذكر الله -تبارك وتعالى-، وتوطدت الصلة بينِي وبين شباب هؤلاء الإخوان الحصافية ومن بينهم الثلاثة المقدمون الشيخ شلبي الرجال، والشيخ محمد أبو شوشة، والشيخ سيد عثمان والشبان الصالحون كانوا أقرب الذاكرين إلينا في السن محمد أفندي الدمياطي، وصاوي أفندي الصاوي، وعبد المتعال أفندي سنكل وأضرابِهم، وفي هذه الحلبة المباركة التقيت لأول مرة بالأستاذ أحمد السكري وكيل الإخوان المسلمين فكان لهذا اللقاء أثره البالغ في حياة كل منا، ومنذ ذلك الحين أخذ اسم الشيخ الحصافي يتردد على الأذن فيكون له أجمل وقع في أعماق القلب، وأخذ الشوق والحنين إلى رؤية الشيخ والجلوس إليه والأخذ عنه يتجدد حينًا بعد حين وأخذت أواظب على الوظيفة الرزوقية صباحًا ومساء وزادني بِها إعجابًا أن الوالد قد وضع عليها تعليقًا لطيفًا جاء فيه بأدلة صيغها جميعًا من الأحاديث الصحيحة وسمى هذه الرسالة "**تنوير الأفئدة الزكية بأدلة أذكار الرزوقية**" إلى أن قال: وفي هذه الأثناء وقع في يده المنهل الصافي في مناقب حسنين الحصافي وهو شيخ الطريقة الأولى ووالد شيخها الحالي السيد الجليل الشيخ عبد الوهاب الحصافي أمد الله في عمره

ونفع الله به"[١]. اهـ.

قلت: ويهمني أن تعلم هنا معنى الطريقة الصوفية -أي طريقة كانت حصافية أو غيرها مما يعد أشهرها بالمئات- ونشأة التصوف وكيفية الذكر عندهم الذي ذكر البنا أنه اجتذب قلبه وملك عليه وجدانه وشعوره، ولعل قائلاً يقول هذا كان في أول أمره وفي سن الصغر ونقول له ومتى كتب مذكرات الدعوة والداعية الَّتِي أشاد فيها بالذكر الصوفي -هداك الله -؟؟.

أ- أما معنى الطريقة الصوفية فهي نسبة إلى شيخ يدعي لنفسه الوصول إلى مرتبة المربي في مصطلح الصوفية ورحم الله الإمام الشافعي إذ قال:" ما لزم أحد التصوف أربعين يومًا فعاد إليه عقله أبدًا "، ثم وصف الصوفية بالحمق[٢].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

(١) مذكرات الدعوة والداعية حسن البنا (ص٢٢، ٢٣).

(٢) يراجع لبحث التصوف كتاب "زهد الصوفية" وكتاب "مصرع التصوف" وغيرهما كثير.

البنا والطريقة الميرغنية

أقول: يا ليت الأستاذ حسن البنا قصر حبه على الحصافية والحصافيين ولكنه تجاوز الحدود -رحمه الله- ففتح قلبه للطريقة الميرغنية والميرغنيين أجمعين أقطابًا وأذنابًا، ويتجلى هذا الحب والتبجيل والتكريم لهذه الطريقة وأهلها في الخطاب الذي ألقاه البنا في دار الإخوان في القاهرة في (٩/٦/١٩٤٨هـ) بمناسبة زيارة شيخ الطريقة في عصره المدعو/ محمد بن عثمان الميرغني وارث أبيه، وهذا نص الخطاب: "إن دار الإخوان لتسعد وتأنس أعظم الإيناس إذ تستقبل هذهٰ القلوب الطاهرة والنفوس الكريْمة أعلام الجهاد وأبطال العروبة وأقطاب قادة الإسلام.. وقال: لعل الكثيرين أيها السادة لا يعلمون أننا نحن الإخوان مدينون للسادة الميرغنية بدين المودة الخالصة والحفاوة البالغة الّتِي غمرونا بِها من قبل ومن بعد كلما ذهب مبعوثونا إلى السودان.. لا ولكنه دين قديْم منذ نشأت هذه الدعوة بالإسماعيلية [(١)]، ولقد حضرت عام (١٩٣٧م) حفلاً للإسراء والمعراج في زاوية وخلوة السيد عثمان الميرغني الكبير ووارثه السيد/ محمد عثمان

---

(١) من هنا يمكنك أن تفهم بوضوح عمق العلاقة بين دعوة الإخوان وبين الصوفية الظالمة الملحدة بداية وامتدادًا ولكن أصحاب الجدل والبدع لو تتناطح الجبال أمام أعينهم وبين أيدهم لاستمروا على ما هم عليه إلا من رحم الله.

هو أول من حمل هذا اللواء وبشربه فهذا تاريخ تتحدث عنه أيُّه السادة لنعبر عما يكنه الإخوان لسماحته من حب ومودة وتقدير لهذا الجميل الذي أسدوه للدعوة في فجر تاريخها"(١). اهـ.

قلت: وإذا كان هذا هو الواقع فإنني أرى أنه لزامًا عليّ بل وعلى كل طالب علم يؤمن بوجوب النصيحة أن نقول: لأتباع البنا والغلاة في شخصه ومؤلفاته ومنهجه ومن أطراه بقوله:

إن للإخوان صرحًا كل ما فيه حسن
لا تسألني من بناه إنه البنا حسن

وما كان مثل ذلك نظمًا ونثرًا نقول لهؤلاء جميعًا: اتقوا الله ربكم، وأعلنوا براءتكم من تصرف البنا وكافة زملائه حيال الشيعة الإمامية الرافضة الذين قد تبين لنا فساد ما هم عليه من عمل واعتقاد بالأدلة النقلية والعقلية، وحيال الصوفية الضالة المضلة والملحدة في العقيدة والشريعة، بل وحيال كل خطأ خالف فيه هو أو خلفاؤه من بعده شرع الله الكريم فإن الخطأ لا تجوز متابعة أهله عليه مهما كان منْزلة صاحبه ومستواه، واستغفروا للرجل فإنه عمل بقدر علمه فأخطأ خطئًا فاحشًا يتعلق بأصول الدين قبل فروعه وما منا إلا ويقع في الخطأ، ولكن الواجب بيانه والإقلاع عنه إنكم إن فعلتم ذلك فقد أصبتم وأحسنتم

---

(١) انظر كتاب قافلة الإخوان (ج٢ ص٨).

وإن أبيتم إلا البقاء على التعصب المقيت -وأعيذكم بالله من ذلك- فاعلموا أنه لا يملك أحد لأحد شيئًا والله يغفر لنا ولكم وهو خير الغافرين.

وعليه فإنني لأتساءل قائلاً:

أمثل هذا المشرك الدجال المتعمد للكذب على الله وعلى رسوله يستحق مثقال ذرة من تلك الهالة والتكريم والتبجيل الَّتِي جرى بِهَا قلم البنا ونطق بِهَا لسانه وتفاعلت معها الجماهير الإخوانية ؟؟

أمثل هذا المدعي ختم الولاية به والطرق بطريقته يستحق شيئًا من الثناء والإشادة به وبطريقته الجهنمية الآثمة؟

أمثل هذا الذي يرفع منْزلة نفسه فوق منْزلة كل نبي مبعوث ورسول مرسل يستحق شيئًا من محبة المسلمين ومودتِهم ؟؟ أين الحديث عن الولاء والبراء أَرُفِعَ من شريعة الإسلام؟! "لا" ولكن الهوى يعمي ويصم.

أمثل هذا الذي يرى عينيه ما لَم ترياه حقًّا بدون خوف من الله ولا استحياء منه ولا من صالحي خلقه يستحق أن ينادى هو وأذنابه بأبطال العروبة وأقطاب قادة الإسلام، ويوصفون بأصحاب القلوب الطاهرة والنفوس الزكية ؟؟ سبحانك ربنا وبحمدك إن هذا الصنيع لإثم عظيم وإن أثره على الأمة لسيئ جسيم.

وبعد هذا فعلى جماعة الإخوان التابعين لحسن البنا عمومًا أن يراجعوا حسابَهم قبل فوات الأوان، وعلى فرقة الإنشاد منهم أن يرفضوا

الغلو في شخص حسن البنا، لا أقول ذلك حسدًا له معاذ الله ولكن رحمة بالشباب وبمن هم في مستوى الشباب الذين انقادوا لدعوة الإخوان، انقياد العميان الأغبياء، وخروجًا من تبعة الغش الذي حرمه الله على ألسنة الرسل وجميع الأنبياء والحديث عن مثل هذه المآسي موصول إن شاء الله.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

سعيد حوى ومدى توسعه في شرح المنهج الإخواني وتعصبه له

كنت قد ذكرت في كلام سابق أن بعض منظري جماعة الإخوان قد كتب في فضل بعض الطرق الصوفية وقصدت به سعيد حوى.

نعم إن كتب سعيد حوى مشحونة بالفكر الصوفي لاسيما كتابه الذي سماه " تربيتنا الروحية " غير أنه في هذا الكتاب أراد أن يقدم للناس نوعًا من التصوف المحرر على أصول الكتاب والسنة ومذاهب أهل الحق ولقد أبدى قناعته أن دراسة هذا الفن والتفاعل معه في واقع الحياة من الضروريات الَّتي لا تعالج النفس البشرية بدونِها.

وصرح أيضًا أن التصرف نزعة أصيلة في النفس البشرية فلابد أن تكون الصوفية جزءًا من الدعوة إلى الله وأثنى على الأستاذ البنا عندما جعل من سمات دعوته حقيقة صوفية، ثم إنه ذكر تجربته في حياته العلمية والعملية فأعلن أنه يندر جدًّا وجود كمال في النفس أو إحسان في السلوك أو قدرة على التعامل العاقل بدون تربية إسلامية صوفيه صافية، معللاً ذلك بقوله: "لأن مفاتيح النفس البشرية إنَّما هي في هذه التربية وأصولها وقواعدها لأن الصوفية هم الذين ورثوا عن رسول الله ﷺ تربية النفس وتزكيتها وتخصصوا لذلك وتفرغوا له وفطنوا لِمَا لَم يفطن له

غيرهم وقامت لهم فيه أسواق من التجارب الثرة في كل عصر مما لَم يأخذ الإنسان عنهم تبقى نفسه بعيدة عن الحال النبوية، إن الصوفية هم الذين ملكوا العلم الذي تتهذب به النفوس البشرية إن في علاقتها مع الله ﷻ أو فيما سوى ذلك مع القدرة على التعامل مع الناس"(١). اهـ.

أقول: وبعد الإطلاع على هذه القواعد الَّتِي قعدها سعيد وتلك التجارب الَّتِي أوردها معللة وذلكم الوعد الذي قطعه على نفسه من أنه سيقدم في كتابه هذا نوعًا من التصوف محررًا على أصول الكتاب والسنة ومذاهب أهل الحق، فهيا بنا نجول جولات قصيرة سريعة في جولاته الكبيرة الواسعة لننظر هل حرر التصوف أم ضلل الأمة وبالأخص الشباب المنتظمين في الجماعة والمتعاطفين معهم فإن وجدنا تحريرًا يشهد له الشرع الشريف -وأنَّا له ذلك- قلنا له أحسنت، وإن وجدنا تضليلاً لا تحريرًا قلنا لإخواننا وأبنائنا: "أنج سعد فقد هلك سعيد"(٢) وكذلك القول في قواعده وتجاربه.

الجولة الأولى:

قال سعيد: "فإنكار أهل الكرامة لطبقات الصوفية إنكار غير علمي وليس في محله وأهم ما تنصب عليه الإنكار ما يحدث لأهل الطريقة الرفاعية من كون النار لا تؤثر فيهم ومن كونهم يضربون أنفسهم

---

(١) انظر كتاب تربيتنا الروحية في الصفحات التالية (ص٢٠، ٢١) لسعيد حوى.

(٢) هذا العبارة من خطبة زياد البتراء ذكرها صاحب العقد الفريد (ج٤ ص٢٠٠).

بالرصاص أو السيوف ولا يؤثر ذلك فيهم، وهذه قضية منتشرة ومشتهرة محسة، وقد تتبعها الكثير من المنكرين فرجعوا عن الإنكار والواقع المشاهد أن ما يحدث لهؤلاء لا يمكن أن يكون سحرًا لأن السحر جزء من عالم الأسباب، وهاهنا لا تجد لعالم الأسباب محلاًّ كما أنه لا يمكن أن يكون من باب الرياضات الروحية لأن هؤلاء قد تحدث للواحد منهم هذه الخوارق من دون رياضة روحية أصلاً، بل بمجرد أن يأخذ البيعة عن الشيخ، بل أحيانًا بدون بيعة وقد حدثني مرة نصراني عن حادثة وقعت له شخصيًّا وهي حادثة مشهورة معلومة جمعني الله بصاحبها شخصيًّا بعد أن بلغتني الحادثة من غيره، وحدثني كيف أنه حضر حلقة ذكر فضربه أحد الذاكرين بالشيش في ظهره فخرج الشيش من صدره حتى قبض عليه بيده ثم سحب الشيش منه، ولم يكن لذلك أثر أو ضرر إن هذا الشيء الذي يجري في طبقات أبناء الرفاعية ويستمر فيهم هو من أعظم فضل الله على هذه الأمة، إذ من رأى ذلك تقوم عليه الحجة بشكل واضح على معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء إن من يرى فردًا من أفراد الأمة الإسلامية يمسك النار ولا تؤثر فيه كيف يستغرب أن يقذف إبراهيم في النار ولا تؤثر فيه، وإن من يرى فردًا من أفراد أمة محمد ﷺ يخرج السيف من ظهره بعد أن يضرب به في صدره ثم يسحب السيف ولا أثر له ولا ضرر، هل يستغرب مثل هذا حادثة شق صدره -عليه الصلاة والسلام-، إن هذا الموضوع مهم جدًّا ولا يجوز أن نقف منه

موقفًا ظالمًا، ومحله في إقامة الحجة في دين الله على مثل هذه الشاكلة إن الحجة الرئيسة لمنكري هذا الموضوع هي أن هذه الخوارق تظهر على يد فساق من هؤلاء كما تظهر على يد صالحين وهذا صحيح.

والتعليل لذلك هو أن الكرامة ليست لهؤلاء بل هي للشيخ الأول الذي أكرمه الله ﷻ بهذه الكرامة وجعلها مستمرة في أتباعه من باب المعجزة لرسولنا ﷺ فهي كرامة للشيخ الذي هو الشيخ أحمد الرفاعي -رحمه الله-"[١]. اهـ.

أقول: للقراء الكرام هذا موضوع من مواضيع التصوف المحرر في نظر سعيد حوى وأتباعه، وهو كما نرى قد اشتمل على مخالفات لهدى الله الذي يهدي به من يشاء من عباده، منها:

١- دعواه الباطلة أنه يوجد تصوف خال من الشعوذة والخزعبلات والطلاسم، وقد ظهر بطلان ذلك من منطوق القصة الَّتِي تم إيرادها هنا.

٢- اعتبار ما كان من جنس السحر والكهانة والشعوذة كرامات شرعية ولو كان ظهورها على أيدي الضلال والفاسقين.

٣- ربطه بين المعجزات الَّتِي أيد الله بِها الخليلين الكريْمين إبراهيم ومحمد -عليهما الصلاة والسلام- وبين ما حكاه في هذه القصة الَّتِي لا يجوز أن تدون في كتب العلم إلا للرد عليها وتفنيدها والتحذير من كتب صاحبها.

---

(١) تربيتنا الروحية لسعيد حوى (ص٢١٧، ٢١٨).

٤- ثناؤه على صاحب الطريقة الرفاعية وأتباعه ولومه من ينكر على هؤلاء الخرافيين الذين تركوا صراط المنعم عليهم واتبعوا طريق الضالين.

ولنسمع جميعًا ترجمة مختصرة لقطب الطريقة وشيئًا من أخباره وشيئًا من شعائر الطريقة الخاصة بِها.

أ- **الرفاعي**: أحمد بن سلطان علي ولد في قرية "حسن" بالقرب من أم عبيدة بالعراق سنة (٥١٢هـ) وتوفي سنة (٥٧٨هـ).

ب- ذكر المؤرخون أنه حج عام (٥٥٥هـ) ووقف أمام قبر رسول الله ﷺ وقال منشدًا:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها ... تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت ... فأمدد يَمينك كي تحضى بِها شفتي

ت- ويزعم أتباعه أن النَّبِي ﷺ خرج من قبره ومد له يده من بين حديد شباك القبر فقبلها الرفاعي[1].

ث- كما يذكر أتباعه أن الله أحيا له الميت، وأقام له المقعدين، وصرَّفَهُ في الخلق، وأبرد لأتباعه النيران، وأزال لهم فاعلية السموم، والآن لهم الحديد، وأذل لهم السباع والأفاعي، وأخضع لهم طغاة الجن وصرفهم في العوالم، وأطلعهم على عجائب الأسرار.

ج- ويذكر المؤرخون عنه أنه مدح نفسه فقال ك أنا مأوى

---

(١) الطريقة الرفاعية.

المنقطعين أنا مأوى كل شاة عرجاء انقطعت في الطريق، أنا شيخ العواجز أنا شيخ من لا شيخ له فلا يتشيخ الشيطان على رجل من أمة محمد ﷺ، عهد مني بالنيابة عن النبي ﷺ عهدًا عامًا إلى يوم القيامة، العرش قبلة الهمم والكعبة قبلة الجباه وأحمد قبلة القلوب.. وصرح بتزكية نفسه دعوة منه إلى طريقته المضلة فقال: "إنكار العبد نعمة من موجبات السلب، وأنا من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"[1] إلى غير ذلك من الهذيان والخبث الذين لا أريد الإكثار منهما رفقًا بقارئ الكتاب، واكتفاء بما رأيت من منكر القول وفداحة المصاب".

أما الشعائر الخاصة للطريقة الرفاعية فمنها ما يلي:

١- التتلمذ لكل شيخ تنفيذًا لوصية أحمد الرفاعي حيث نقل عنه الشعراني أنه قال لأتباعه: "من تمشيخ عليكم فتتلمذوا له فإن مد يده لكم لتقبلوها فقبلوا رجله، ومن تقدم عليكم فقدموه وكونوا آخر شعرة في الذنب فإن الضربة الأولى تقع في الرأس"[2].

٢- سلوك مذهب التفويض في باب الأسماء والصفات ونسبته إلى السلف.

٣- اعتقاد في السماع والمواجيد والتواجد من الصراخ وغيره مما درج عليه أرباب التصوف دينًا، ومن قال ببدعيته فهو كافر.

---

(١) المجالس الرفاعية (١١٠٢) بواسطة الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة (ص٣٦٧).

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني (ص١٤١) بواسطة المصدر السابق (ص٣٧٣).

٤- الخلوة الأسبوعية السنوية الّتي تبدأ عندهم في اليوم الحادي عشر من شهر الله المحرم كل عام وكيفية الذكر المخترع المبتدع فيها متنوع ففي اليوم الأول "لا إله إلا الله"، وفي اليوم الثاني "الله الله" وفي اليوم الثالث "وهاب وهاب" وفي الرابع "حي حي" وفي الخامس "مجيد مجيد" وفي السادس "معطي معطي" وفي السابع "قدوس قدوس" وذلك كله بعدد معلوم يقوله المريد وكذلك يقول: المريد عقب كل صلاة من صلوات هذا الأسبوع اللهم صل وسلم على سيدنا محمد النّبِي الأمي الطاهر الزكي وعلى آله وصحبه وسلم يقول ذلك مائة مرة، وادعو أن لهذه الخلوة المذكورة فتوحات محمدية وعنايات أحمدية لا تحصى وأن من فعلها فيكون له شأن عظيم[1].

زعيمها الجديد الذي نقلها في طور جديد:

أما زعيمها الجديد المسمى محمد المهدي الصاوي الرفاعي فقد أتى بخبث جديد ومكر شديد ومنكر من القول غير رشيد حيث أعلن لأتباعه أن الله خلق الرسول ﷺ من نوره، ودعا الناس إلى الشرك الصراح والكفر البواح الممثل في دعاء غير الله من الأنبياء والأولياء والصالحين والاستغاثة بهم في كل شده واللجوء إليهم عند كل خطب. وأضفى على نفسه من المدائح وتشبع بِما لَم يعط، وكذب في كل ما أعاد وأبدى حيث قال: "الاختصاص رحمة من الله للعبد.. إلى أن قال: الاختصاص جذبتهم يد

(١) الطريقة الرفاعية (ص٧٨).

المشيئة الربانية بمحض الفضل والعناية الصمدانية إلى أقصى المراتب العلية وهذا المنح الباهر والفضل الوافر هو اليوم حصتي ومنصته منصتي أقامني الله في هذه المنْزلة إمامًا واختارني لرتبة هذه الخصوصية ختامًا وكشف لي مخبئات الغيب بإطلاع من كرمه وجليل نعمه"[١]. اهـ.

وأقول: وإذ قد علمنا ما حصل من سعيد حوي حيال الطريقة الرفاعية وأقطابِها وأذنابِها من مدح وثناء وابتهاج، وما حصل في كتابه المذكور في هذا الموضوع من قلب للحقائق وزخرفة للقول فإنه يجب علينا أن نرد باطله بالحق، وضلاله بالهدى، ومغالطاته بالمناصحة لمن يمكن أن ينخدع بمؤلفاته كي تبرأ الذمة وتعرف الأمة من هم أهدى سبيلاً، أهم الذين ينهجون نَهج السلف في الاعتقاد والولاء والبراء وغيرها من مقومات منهجهم القويْم، أم الذين يكيلون المديح جزافًا للطريقة الرفاعية والحصافية وأمثالهما ويجعلونَهم من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون كما مر بك في هذا البحث الذي سأسلمه طوعًا لميزان أهل السنة والجماعة -بقية السلف- الذين كتب الله لهم السلامة من الحزبية المقيته والنظام الجديد للدعوة إلى الله.

الجولة الثانية:

مع سعيد في موضوع الذكر الصوفي الذي دونه في كتابه المذكور

---

(١) انظر الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة (ص٣٧٩)، وانظر مصدره المجموعة النادرة (ص٣٧).

وادعى أنه محرر على أصل الكتاب والسنة ومذهب أهل الحق، ونحن سننظر في هذه الجولة السريعة هل هو محرر تمامًا على حد تعبير أم لا؟ فإن كان محررًا -ولا أظنه كذلك- قبلناه؛ لأن الحق أحق أن يسمع ويتبع ولا نسميه صوفيًّا، وإن كان غير ذلك فإننا نقول لأتباع سعيد وللمتتلمذين على كتبه وكتب أمثاله: اتقوا الله يا إخوتاه واعرفوا الرجال بالحق ولا تعكسوا فتنعكس عليكم الحقائق، وتلتبس عليكم الأمور ومن ثم تزيغ القلوب -عافانا الله وإياكم-، نعم أقول: ارجعوا إلى كتب الأذكار في الصحاح والمسانيد والسنن والجوامع والمصنفات، وكتب الأجزاء والأطراف، وكتب الإمامين الجليلين المجددين ابن تيمية وابن القيم -عليهما رحمة الله-، وهكذا خذوا الكيفية من سنة المصطفى ﷺ وأصحابه الذين ساروا على الصراط المستقيم وهدى نبيهم الكريم حذو القذة بالقذة إيْمانا وتسليمًا.

قال سعيد حوى ما نصه: "ولقد ارتاح كثير من علماء بلادنا لنوع من حلقات الذكر سموها مجالس الصلاة على رسول الله ﷺ يجتمع الناس فيها وهم ساكتون يصلي كل منهم على رسول الله ﷺ بشكل منفرد، ثم بعد ذلك يقرءون شيئًا من القرآن، ثم يذكرون الله ﷻ بصيغة لا إله إلا الله ثم يختمون بدعاء"[1]. اهـ.

ويقول أيضًا: "إن شيوخنا كانوا يرون أن البيعة الَّتِي تعطى للشيخ

---

(١) تربيتنا الروحية (ص١٧٣).

عند الصوفية هي بيعة على التقوى، ولذلك فإنَّهم يكتفون فيها بوضع اليد وقراءة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠].

دون أن يضيفوا شيئًا آخر، إن البيعة في هذا الإطار أي بأن يلحظ فيها ألا تكون أحكام البيعة العامة، وبحيث ألا تحول دون الالتزام بجماعة المسلمين وإمامهم، إن البيعة بهذا الشكل لا حرج فيها"[1]. اهـ.

ويقول سعيد: "وإني بفضل الله ﷻ مع أبي مأذون على طريقة الصوفية بتلقين الأوراد العامة بتلقين الاسم المفرد، أقول: إنَّ الشيخ لا ينبغي أن يقيد نفسه إلا بالسنة، وأنه ينبغي أن يبقي المريد دائمًا مرتاحًا إلى العمل الذي يكلفه فيه"[2]. اهـ.

أقول: وبعد إطلاع القراء الكرام على هذه المقتطفات من كتاب سعيد حوي " تربيتنا الروحية " أحب أن أتساءل:

١- هل كان على عهد رسول الله ﷺ أو خلفائه الراشدين المهديين من حلقات ذكر اسمها مجالس الصلاة على رسول الله ﷺ على كيفية الَّتي ذكرها سعيد في (تربيته) ودونتها آنفًا ؟

٢- وهل مبايعة المريد لشيخه لها أساس في الشرع حتى يشرع

(١) المصدر السابق (ص٢٤٤).

(٢) المصدر السابق (٣٠١- ٣٠٢).

عندها ذكر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:١٠]؟

٣- وهل لهذين اللقبين "شيخ" و "مريد" أصل في السنة الّتي قال سعيد إن فكره الصوفي سيكون على أساسها ؟

٤- وهل يريد سعيد من المسلمين أن يؤمنوا بطريقة الصوفية في أخذ "المريد" الإذن من الشيخ لتلقين الأمة الأوراد على النمط الذي رأيت كما هو ظاهر كلامه في كتابه وعن نفسه ؟

٥- إنه يشرع في الذكر عند سعيد وأمثاله أن يقول الذاكر: "الله الله". إلى أن ينتهي النفس وهكذا بقية الأسماء فيقول الذاكر: "بصير بصير عليم عليم قدير قدير غفور غفور وهلم جرا".

أقول: ما سمعنا بهذا الأسلوب في كتب الأذكار المعتبرة عند السلف وأتباعهم، ولكنها في كتب الصوفية المضللة، وبنغماتهم الجذابة لمن بعد عن السنة، وبحركاتهم البهلوانية الّتي يضحك منها الصبي في ملعبه، وصاحب البادية في باديته الباقي على فطرته.. ونعوذ بالله من شرع لَم يأذن الله فيه، ومشرع لَم يأذن الله له.

وتعالوا بنا نفتش كتب السلف لنعلم شيئًا من الحقائق النافعة في هذا الموضوع.

جاء في سنن الدارمي عن عمر بن يحيى قال: سمعت أبي يحدث عن

أبيه قال: «كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة "الفجر" فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أخرج عليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا. فجلس معنا حتى خرج. فلما خرج قمنا إليه جميعًا، فقال: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفًا أمرًا أنكرته، ولَم أر والحمد لله إلا خيرًا، قال: فما هو؟ قال: إن عشت فستراه، رأيت في المسجد قومًا حلقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى فيقول: كبروا مائة مرة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة مرة، فيهللون مائة، فيقول: سبحوا مائة مرة، فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئًا انتظار رأيك أو انتظار أمرك، قال: أفلا أمرتَهم أن يعدوا سيئاتِهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتِهم شيء، ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد، قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم، هؤلاء أصحابه متوافرون، وهذه ثيابه لَم تبل وآنيته لَم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحوا باب ضلالة، قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قومًا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم الله لا أدري لعل أكثرهم

منكم»[١].

وقال **حذيفة بن اليمان**: «كل عبادة لَم يتعبد بها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تتعبدوا بِها، فإن الأول لَم يدع للآخر مقالاً، فاتقوا الله يا معشر القراء، خذوا طريق من كان قبلكم». رواه أبو داود.

وقال: **عمر بن عبد العزيز-رحمه الله-**: "أوصيكم بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع أمر رسول الله ﷺ وترك ما أحدث المحدثون بعده"[٢].

وقال **حسان بن عطية**: "ما أحدث قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها، ثُمَّ لَم يعدها إليهم إلى يوم القيامة"[٣].

وما في معنى هذه الآثار السلفية في هذه الموضوع كثير، وقد تقدم سرد أمثلة كثيرة في هذا المعنى عند بيان مواقف السلف من البدع وأهلها فلا وجه لإعادتِها هنا.

الجولة الثالثة :

مع سعيد في موضوع ما سماه: "إحياء المناسبات الإسلامية" حيث قال: بعد كلام كثير تحت عنوان: إنني أتمنى ... أن تتولى لجنة في المسجد متبرعة أو منتخبة أو مختارة، أمر إحياء المناسبات الإسلامية كإحياء مناسبة المولد والترتيب لها بحيث تعطى مردودًا كبيرًا في تفهم سيرة

---

(١) رواه الدارمي في كتاب كراهية أخذ الرأي (ج١ ص٦٨، ٦٩).

(٢) رواه أبو داود في كتاب السنة باب لزوم السنة (ج٤ رقم ٤٦١٢ ص٢٠٣).

(٣) كتاب الاعتصام (ج١ ص١١٥).

رسول الله ﷺ وفي تذكير المسلمين بإسلامهم في ربطهم في المسجد، وكإحياء مناسبات الهجرة، ومناسبات إنقاذ القدس من الصليبيين في ٢٧ رجب وهو اليوم الذي يحتفل فيه المسلمون بحادثة الإسراء والمعراج...... إلى أن قال: وإن كثيرًا من هذه الأشياء يمكن ترتيبها وإقامتها في البيوت زيادة على المسجد[1]. اهـ.

أقول: وبنظرة سريعة وجولة قصيرة في ثنايا هذا المقطع القصير سيجد القارئ خمسًا من البدع الظاهرة وهي:

البدعة الأولى: الاحتفال بمولد النَّبي ﷺ.

البدعة الثانية: الاحتفال بيوم الهجرة.

البدعة الثالثة: الاحتفال بيوم إنقاذ القدس من الصليبيين في ٢٧ رجب.

البدعة الرابعة: الاحتفال بحادثة الإسراء والمعراج.

البدعة الخامسة: دعوة سعيد للأسر المسلمة أن تقيم هذه البدع في البيوت زيادة على المساجد في ترتيب صوفي -يزعم أنه محرر-!! وحق لك أيها القارئ الكريم أن تعتبر هذا المقطع من جولات سعيد الكبرى من جوامع البدع لقلة ألفاظه وكثرة عظائمه وضلالاته.

وهذا البيان: أما الاحتفال بمولد الرسول العظيم ﷺ فلم يرد بمشروعيته كتاب ولا سنة قولية ولا فعلية ولا تقريرية، ولا أثر فعله عن

(١) تربيتنا الروحية سعيد حوي (ص١٨٣).

السلف الكرام حماة الدين من البدع وحراس عقيدة المسلمين من الفساد والخلل.

وحقًّا إن كل عبادة لَم يشرعها الله لعباده في كتابه، ولا على لسان رسوله ﷺ ولا فعلها الخلفاء الراشدون المهديون، ولا علماء القرون المفضلة الأولون فإنَّها بدعة محدثة مردودة على أصحابِها مهما كان القصد منهم حسنًا، والباعث في نظرهم محبوبًا، لما ثبت عن الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**[1]. أي: مردود عليه.

ولما ثبت من قوله ﷺ: **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تَمسكوا بِها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»**. زاد النسائي: **«وكل ضلالة في النار»**[2].

وإذا كان الأمر كذلك فليحذر المسلمون مخالفة أمر الله وأمر رسوله لما يترتب عليهما من الخطر في الدارين، قال الله تعالى: **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾** [الحشر: من الآية٧].

(١) البخاري في كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (ج٣ ص ١٦٠)، ومسلم في كتاب الأقضية (ج٣ رقم ١٧١٨ ص١٣٤٣).

(٢) المسند (ج٤ ص١٢٦) ورواه أبو داود في كتاب السنة باب في لزوم السنة (رقم ٤٦٠٧ ج٤ ص٢٠٠، ٢٠١)، والترمذي في كتاب العلم ما جاء في الأخذ بالسنة (رقم ٢٦٧٦ ص٤٤).

وقال ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: من الآية٦٣].

هذا وكم من فتوى صحيحة صريحة قد صدرت من العلماء الأجلة بالحكم عليه بالتحريم وعلى أصحابه بالبدعة، وهذه بعضها:

١- **قال شيخ الإسلام بن تيمية** فيه -أي الاحتفال بالمولد النبوي-: "لَم يفعله السلف الصالح مع قيام المقتضى له وعدم المانع منه، ولو كان هذا خيرًا محضًا أو راجحًا لكان السلف ﷺ أحق به منا، فإنَّهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيمًا له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته وإتباع أمره وإحياء سنته باطنًا وظاهرًا ونشر ما بعث به ؛ والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه هي طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان"[١]. اهـ.

٢- **وقال العلامة تاج الدين عمر بن علي اللخمي السكندري المشهور بالفاكهاني** في رسالته (المورد في الكلام على عمل المولد): "الحمد لله الذي هدانا لإتباع سيد المرسلين، وأيدنا بالهداية إلى دعائم الدين، ويسرلنا اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى امتلأت قلوبنا بأنوار علم الشرع وقواطع الحق المبين، وطهرت سرائرنا من حدث الحوادث والابتداع في الدين، أحمده على ما من به من أنوار اليقين، وأشكره على ما أسداه

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (ص٢٩٥).

من التمسك بالحبل المتين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، صلاة دائمة إلى يوم الدين، أما بعد، فإنه تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيع الأول، ويسمونه المولد هل له أصل في الشرع؟ أو هو بدعة وحدث في الدين، وقصدوا الجواب عن ذلك مبينًا والإيضاح عنه معينًا، فقلت: وبالله التوفيق: لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين والمتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطالون، وشهوة نفس اعتنى بها الأكالون"[(١)]. اهـ.

٣- **وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب** في بيان ما قام به الإمام محمد بن عبد الوهاب من الدعوة إلى الحق قال ما نصه: "وأنكر -أي الإمام محمد بن عبد الوهاب- ما كان عليه الناس في تلك البلاد وغيرها من تعظيم الموالد والأعياد الجاهلية الَّتِي لَم ينْزل في تعظيمها سلطان، ولَم ترد به حجة شرعية ولا برهان؛ لأن ذلك فيه مشابَهة للنصارى الضالين في أعيادهم الزمانية والمكانية وهو باطل مردود في شرع سيد المرسلين"[(٢)]. اهـ.

---

(١) بواسطة القول الفصل في الاحتفال بخير الرسل للشيخ إسماعيل الأنصاري (ص٥٠).

(٢) مجموعة الرسائل النجدية، طبعة مطبعة المنار، (ج٤ ص٤٤٠) من الجزء الرابع، والدرر السنية (ج٤ ص٤٠٩).

٤- وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في الجواب على سؤال وجه إليه عما يختص به يوم المولد من النحر ويسمونه نافلة، وما يفعل في السابع والعشرين من رجب من تخصيصه بالصوم والنحر، وما يفعل في ليلة النصف من شعبان من النحر وصيام اليوم هل هو محرم أو مكروه أو مباح؟ وهل يجب على الأمراء والعلماء إنكار ذلك ويأثمون بالسكوت أم لا؟ قال: هذه الأمور المذكورة من البدع لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**». وقوله في الحديث الآخر: «**إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**». والعبادات مبناها على الأمر والنهي والاتباع، وهذه الأمور لَم يأمر بها رسول الله ﷺ ولا فعلها الخلفاء الراشدون ولا الصحابة والتابعون وقد قال النبي ﷺ في بعض ألفاظ الحديث الصحيح: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**». وهذه الأمور ليس عليها أمره ﷺ فتكون مردودة يجب إنكارها لدخولها فيما أنكر الله ورسوله، وقال تعالى: ﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ**﴾ [الشورى: من الآية٢١] وفي هذه الأمور"[١]. اهـ.

٥- **وقال الشيخ محمد بن عبد اللطيف** لما سئل عن صرف المال باسم مولد النبي ﷺ قال: "إن عمل المولد من البدع المنكرات والأعمال السيئات، وصرف المال لأجل مولد النبي ﷺ بدعة محرمة، وفاعلها مأزور غير مأجور فيجب الإنكار على من فعل ذلك"[٢].

---

(١) القسم الثاني من مجموعة الرسائل والمسائل النجدية طبعة المنار (ص٣٥٧، ٣٥٨).
(٢) الدرر (ج٨ ص٢٨٥).

٦- **وقال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ** مفتي الديار السعودية أيام حياته: "إن احتفال صاحب أربل بالمولد النبوي ليس بحجة، فإن البدعة في الدين لا تقبل من أي أحد كان لنصوص الأحاديث، فلا يمكننا أن نعارض الأحاديث المحذرة من الابتداع في الدين بعمل أبي سعيد كوكبوري ابن أبي الحسن علي بن بكتكين الذي أحدث الاحتفال بالمولد- أي بإربل- في القرن السادس، وعدالته لا توجب عصمته، وقد ذكر ابن خلكان أنه يحب السماع"[1]، انتهى كلام الشيخ.

٧- **وقال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز** الرئيس العام لإدارات البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد في شأن المولد ما نصه: "وإحداث مثل هذه الموالد يفهم منه أن الله سبحانه لَم يكمل الدين لهذه الأمة، وأن الرسول -عليه الصلاة والسلام- لَم يبلغ ما ينبغي للأمة أن تعمل به حتى جاء هؤلاء المتأخرون فأحدثوا في شرع الله ما لَم يأذن به زاعمين أن ذلك مما يقربُهم إلى الله، وهذا بلا شك فيه خطر عظيم واعتراض على الله سبحانه، وعلى رسوله ﷺ، والله قد أكمل لعباده الدين وأتم عليهم النعمة.

والرسول ﷺ قد بلغ البلاغ المبين، ولَم يترك طريقًا يوصل إلى الجنة ويباعد من النار إلا بينه للأمة، كما ثبت في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما بعث الله من نبي إلا كان حقًّا عليه**

---

(١) بيان حكم الاحتفال بالمولد النبوي (ص٧٧).

أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم»[1] رواه مسلم.

ومعلوم أن نبينا ﷺ هو أفضل الأنبياء وخاتمهم وأكملهم بلاغًا ونصحًا، فلو كان الاحتفال بالمولد من الدين الذي يرضاه الله سبحانه لنبيه الرسول ﷺ للأمة، أو فعله في حياته، أو فعله أصحابه ﷺ، فلما لَم يقع شيء من ذلك علم أنه ليس من الإسلام في شيء، بل هو من المحدثات الَّتِي حذر الرسول ﷺ منها أمته. إلى أن قال: وقد صرح جماعة من العلماء بإنكار الموالد والتحذير منها عملاً بالأدلة المذكورة وغيرها، وخالف بعض المتأخرين فأجازها إذا لَم تشتمل على شيء من المنكرات كالغلو في رسول الله ﷺ وكاختلاط النساء والرجال واستعمال آلات الملاهي وغير ذلك مما ينكره الشرع المطهر، وظنوا لأنَّها من البدع الحسنة.

والقاعدة الشرعية: رد ما تنازع فيه الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما قال عَجَلَّ: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ [النساء:٥٩].

وقال تعالى: ﴿**وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ**﴾ [الشورى: من الآية١٠].

---

(١) رواه مسلم في الإمارة باب وجوب الوفاء سنة الخلفاء الأول فالأول (رقم ١٨٤٤ ج٣ رقم ١٤٧٢ ص٤٧٣).

وقد رددنا هذه المسألة وهي الاحتفال بالموالد إلى كتاب الله سبحانه فوجدناه يأمر باتباع الرسول ﷺ فيما جاء به، ويحذرنا عما نَهى عنه، ويخبرنا بأن الله قد أكمل لهذه الأمة دينها، وليس هذا الاحتفال مما جاء به الرسول ﷺ فيكون ليس من الدين الذي أكمله الله لنا وأمرنا باتباع الرسول فيه، وقد رددنا ذلك أيضًا إلى سنة الرسول ﷺ فلم نجد فيها أنه فعله ولا أمر به، ولا فعله أصحابه رضي الله عنهم، فعلمنا بذلك أنه ليس من الدين بل هو من البدع المحدثة، ومن التشبه بأهل الكتاب من اليهود والنصارى في أعيادهم، وبذلك يتضح لكل من له أدنى بصيرة ورغبة في الحق وإنصاف في طلبه أن الاحتفال بالموالد ليس من دين الإسلام في شيء بل هو من البدع المحدثات الَّتي أمر الله سبحانه ورسوله بتركها والحذر منها، ولا ينبغي للعاقل أن يغتر بكثرة من يفعله من الناس في سائر الأقطار، فإن الحق لا يعرف بكثرة الفاعلين، وإنما يعرف بالأدلة الشرعية كما قال تعالى عن اليهود والنصارى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:١١١].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: من الآية١١٦].

وبعد فإنني قد أعطيت القوس باريها، فيما رقمت من الفتاوي المنسوبة إلى ذويها، والقاضية بتحريم الموالد والحكم على أهلها بالابتداع،

وإن في ذلك لما يقنع طالب الحق وينير له الطريق السوي، ويقيم الحجة على المعاندين والمتأولين المتعصبين بدون برهان صحيح ولا فهم للقضية صريح، وإذا كان الأمر كذلك فإن تسمية سعيد حوى لهذه المناسبة بالمناسبة الإسلامية خطأ فاحش، وظلم عظيم يجب أن يحذره المسلمون عمومًا وطلاب العلم الشريف خصوصًا.

وأما الاحتفال بيوم الهجرة فإن القول فيه كالقول في سابقه، ذلك لأن الله لَم يشرعه لنا على لسان نبيه ﷺ ولا فعله الصحابة الكرام، وهم يعلمون حقًّا أن الله فتح به باب خير عظيم وجعله سببًا لإعلاء كلمة الحق المبين، وانتشار الهدى لينذر من كان حيًّا ويحق القول على الكافرين، ولو كان في الاحتفال بِهذا اليوم مثوبة حسنة ترضي الله وتقرب الخليقة إليه زلفى لسبقنا إليه السباقون إلى كل بر وفضيلة، المتنافسون في كل صلاح وتقوى ألا وهم رسول الله -عليه الصلاة والسلام- وأصحابه دعاة الحق وهداة الأنام، إلى رحاب الحق وظل الإحسان والإيْمان والإسلام.

وإذا كان الأمر كذلك فلا مسوغ لإحداث شيء تركوه مع قيام المقتضى له وعدم المانع منه، ورحم الله الصحابي الجليل وصاحب سر الخليل حيث قال: «كل عبادة لَم يتعبد بها أصحاب محمد ﷺ فلا تتعبدوا بِها، فإن الأول لَم يدع للآخر مقالاً فاتقوا الله يا معشر القراء، خذوا طريق من كان قبلكم»[١] رواه أبو داود.

---

(١) سبق تخريجه.

وعليه فتسمية سعيد الاحتفال بيوم الهجرة مناسبة إسلامية ليس عليه دليل من كتاب ولا سنة، ولا أثر عن السلف دعاة الحق وحراس العقيدة بحق.

وأما الاحتفال بذكر مناسبة إنقاذ القدس من الصليبيين فكذلك القول فيه كالقول في سابقيه، إذ ليس في إحياء مناسبته دليل من الكتاب ولا من السنة ولا من فعل السلف الصالح أهل العلم النافع والعمل الصالح، فعلى المسلمين أن يتبعوا ولا يبتدعوا فتزل قدم بعد ثبوتها.

وأما الاحتفال بحادثة الإسراء والمعراج فأدع الجواب عليه لمن هو جدير بإصدار الفتوى فيه، ألا وهو صاحب السماحة الشيخ/ عبد العزيز ابن عبد الله بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد حيث قال تحت عنوان "حكم الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج":

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد: فلا ريب أن الإسراء والمعراج من آيات الله العظيمة الدالة على صدق رسوله محمد ﷺ وعلى عظم منْزلته عند الله عَزَّ وَجَلَّ كما أنَّها من الدلائل على قدرة الله الباهرة، وعلى علوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على جميع خلقه، قال الله تَعَالَى: **﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾** [الإسراء:١].

وتواتر عن رسول الله ﷺ أنه عرج به إلى السماء السابعة فكلمه

ربه سبحانه بما أراد، وفرض عليه الصلوات الخمس، وكان الله فرضها أولاً خمسين صلاة فلم يزل نبينا محمد ﷺ يراجعه ويسأله التخفيف حتى جعلها خمسًا في الفرض وخمسين في الأجر؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها فلله الحمد والشكر على جميع نعمه.

وهذه الليلة الَّتي حصل فيها الإسراء والمعراج لَم يأت في الأحاديث الصحيحة تعيينها لا في رجب ولا في غيره، وكل ما ورد في تعيينها فهو غير ثابت عن النَّبِي ﷺ عند أهل العلم بالحديث، ولله الحكمة البالغة في إنساء الناس، لها ولو ثبت تعيينًا لَم يجز للمسلمين أن يخصوها بشيء من العبادات، ولَم يجز لهم أن يحتفلوا بِها ولَم يخصوها بشيء، ولو كان الاحتفال بِها أمرًا مشروعًا لبينه الرسول ﷺ للأمة، إما بالقول، وإما بالفعل، ولو وقع شيء من ذلك لعرف واشتهر ولنقله الصحابة ﷺ إلينا، فقد نقلوا عن نبيهم ﷺ كل شيء تحتاجه الأمة، ولَم يفرطوا في شيء من الدين بل هم السابقون إلى كل خير، فلو كان الاحتفال بِهذه الليلة مشروعًا لكانوا أسبق الناس إليه، والنَّبِي ﷺ هو أنصح الناس للناس، وقد بلغ الرسالة غاية البلاغ وأدى الأمانة، فلو كان تعظيم هذه الليلة والاحتفال بِها من دين الله لَم يغفله النَّبِي ﷺ ولَم يكتمه، فلما لَم يقع شيء من ذلك علم أن الاحتفال بِها وتعظيمها ليس من الإسلام في شيء، وقد أكمل الله لهذه الأمة دينها وأتم عليها النعمة، وأنكر على من شرع في الدين ما لَم يأذن به الله قال ﷻ في كتابه المبين من سورة

المائدة: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا**﴾ [المائدة: من الآية٣].

وقال ﷻ في سورة الشورى: ﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [الشورى:٢١].

وثبت عن رسول الله ﷺ في الأحاديث الصحيحة التحذير من البدع، والتصريح بأنّها ضلالة تنبيهًا للأمة على عظم خطرها وتنفيرًا لهم من اقترافها، ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن عائشة -رضي الله عنها- عن النّبي ﷺ أنه قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(١).

وفي رواية لمسلم: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»(٢).

وفي صحيح مسلم عن جابر ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يقول في خطبته يوم العيد: «**أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**»(٣)، زاد النسائي بسند جيد: «**وكل ضلالة في النار**».

وفي السنن عن العرباض بن سارية ﷺ أنه قال: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون. فقلنا: يا

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

رسول الله، كأنَّها موعظة مودع فأوصنا. فقال: **أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»**(١).

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وقد ثبت عن أصحاب رسول الله ﷺ، وعن السلف الصالح بعدهم التحذير من البدع والترهيب منها، وما ذلك إلا لأنَّها زيادة في الدين وشرعٌ لَم يأذن به الله، وتشبه بأعداء الله من اليهود والنصارى في زيادتهم في دينهم، وابتداعهم فيه ما لَم يأذن به الله؛ ولأن لازمها التنقص للدين الإسلامي واتِّهامه بعدم الكمال، ومعلوم ما في هذا من الفساد العظيم والمنكر الشنيع والمصادمة لقول الله ﷻ: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾** [المائدة: من الآية٣]. والمخالفة الصريحة لأحاديث رسول الله ﷺ المحذرة من البدع والمنفرة منها، وأرجو أن يكون فيما ذكرنا من الأدلة كفاية ومقنع لطالب الحق في إنكار هذه البدعة، أعني بدعة الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج، والتحذير منها، وإنَّها ليست من دين الإسلام في شيء.

ولما أوجب الله من النصح للمسلمين وبيان ما شرع الله لهم من الدين، وتحريم كتمان العلم رأيت تنبيه إخواني المسلمين على هذه البدعة الَّتي قد فشت في كثير من الأمصار حتَّى ظنها بعض الناس من الدين، والله

---

(١) سبق تخريجه.

المسئول أن يصلح أحوال المسلمين جميعًا ويمنحهم الفقه في الدين، ويوفقنا وإياهم للتمسك بالحق والثبات عليه وترك ما خالفه، إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه. انتهى[١].

وأما دعوة سعيد الموجهة للأسر المسلمة أن يقيموا تلك المناسبات في البيوت زيادة على المساجد، فهي من باب الدعوة إلى السنن السيئة وإحيائها وحمل الناس عليها، ويكفي في الرد عليها قول النَّبِي ﷺ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بِها لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليها وزرها ووزر من عمل بِها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا**». وفي لفظ آخر: «**من سن سنة خير فاتبع عليها فله أجره ومثل أجور من اتبعه غير منقوص من أجورهم شيئًا، ومن سن سنة شر فاتبع عليها كان عليه وزرها ومثل أوزار من اتبعه غير منقوص من أوزارهم شيئًا**»[٢]. وعليه فالله الله في الاتباع وترك الابتداع ولقد أحسن من قال:

وخير الأمور السالفات على الهدى ... وشر الأمور المحدثات البدائع

٣- ومن المآخذ على المنهج الإخواني والمنتظمين في جماعته ومن يدور

(١) انظر فتاوي اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (ج٣ ص٤٥، ٤٦).

(٢) الترمذي في كتابه العلم باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة (رقم ٢٦٧٥ ج ٥ ص٤٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وهو كما قال وأخرجه مسلم مطولاً.

في فلكهم: التخطيط للانقلاب على الحكام على اختلاف مراتبهم، والتخطيط لاغتيال الزعماء منهم والتفجير في بعض منشآتهم من أجل القضاء عليهم، وتسلم السلطة من أيديهم ومن ثم يحكمون الشعوب بالإسلام وذلك باسم الدعوة إلى الله -زعموا-.

وعندما تعرض هذا الأسلوب الدعوى الذي تسلكه المنظمات الإخوانية ومن وافقها على أسلوب الدعوة المحمدية تجده مخالفًا لها وسيلة وغاية، ذلك أن وسيلة الرسل والأنبياء وورثتهم بحق هي الاهتمام بغرس عقيدة التوحيد الصحيحة في قلوب الأمة حتى يرسخ الإيْمان في قلوبهم ويتدرجون في دعوتهم وتعليمهم على أساس من الحكمة ليحققوا الغاية العظمى وهي عبادة الله وحده دون سواه، والحكم بشرعه الذي أتت به رسله ودعا ويدعو إليه أتباعهم إلى يوم الدين، وعليه فليس الوصول إلى كراسي السلطة غاية لهم، كلا، وليست المشاركة في مجالس الحكومة من مقاصدهم، ولاسيما إذا كانت الحكومة تحكم بقوانين الجاهلية الممثلة في الأحكام الوضعية المعاصرة، وكنت ذات يوم اتصفح كتاب "الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ" لمحمود عبد الحليم. فإذا هو يقول في الثناء على دعوة الإخوان بأسلوبها المتميز: "ولَم يعد في مصر.. صوت أعلى من صوتها، ولا يد أقوى من يدها ولا كلمة أنفذ إلى القلوب من كلمتها، وكانوا يعتقدون بعد أن رأوا نفوذها قد تعاظم.. أن هذه النفوذ مهما تعاظم فمجاله مصر لا يتعداها، فإذا بهم يفاجأون بهذا النفوذ

يصل إلى أبعد البقاع العربية فيذيل دولة اليمن ويقيم دولة أخرى بِها، وتبسط الدولة الجديدة سلطانَها ويستتب لها الحكم. ومعنى هذا أن هذه هي الحلقة الأولى من سلسلة لا تلبث الدول العربية أن تقع واحدة تلو الأخرى، وتحقق بذلك؛ نواة الدولة الإسلامية"[١]. اهـ.

هكذا زعموا وقال سعيد حوى في المدخل إلى دعوة الإخوان (ص ١٤): "ينبغي أن يعرف العالم كيف سنتعامل معه في حالة وصولنا إلى الحكم". اهـ. وعليه فإنني ألفت أنظار طلاب العلم إلى هذين المقطعين وما فيهما من الحقائق الَّتِي تحمل في مبانيها ومعانيها المخالفة الظاهرة لمنهج السلف الصالح في دعوتِهم إلى الله على ضوء الكتاب والسنة، وفقه الدعوة السلفية السليمة.

كما تحمل أيضًا تحريش الناس بعضهم على بعض بدعوتِهم إلى إحداث الفوضى بواسطة الثورات على الحكومات، لاسقاط حكومة وإقامة أخرى مكانَها ولو سفكت في سبيل ذلك الدماء وقتل الأطفال والأبرياء وهتك أعراض النساء، وتفاقم الشر وساء الحال كما هو الواقع في البلدان الَّتِي تكون فيها ثورات وانقلابات.

وأخيرًا: فإن في ذينك المقطعين تنبيهًا من الكاتبين المذكورين لجميع حكام الدول العربية ليأخذوا حذرهم ويعدوا عدتِهم لجماعة الإخوان، ومن كان على منهجهم، وما ذلك إلا لتصريحاتِهم بقصد الإطاحة بجميع

---

(١) "الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ" (ج١ ص٤٣٥).

حكام الدول العربية ليصلوا إلى الحكم ويكونوا نواة الدولة الإسلامية هكذا زعموا، فنعوذ بالله من داء السذاجة الممقوتة وسوء التصرف وقلة الحكمة والبصيرة.

٤- **ومنها** -أي المآخذ على جماعة الإخوان-: هجومهم على مخالفيهم عمومًا، وعلى أصحاب الدعوة السلفية خصوصًا.

إن كثيرًا من أهل الانتماء إلى هذه الجماعة إن لَم يكن كلهم ينكرون على كل من خالف بنود منهجهم في الدعوة إلى الله، وبالأخص يصبون هذا الإنكار على السلفيين الذين تميز منهجهم الحق عن مناهج المنظمات الأخرى إنَّهم يتهمون السلفيين بأمور هم منها براء. ومنها:

أ- قصور الفهم في شمولية الإسلام، وأن علمهم محصور في قضايا معينة كمحاربة البدع والرد على أهلها وقضاء الأوقات بين رفوف المكتبات.

ب- ومنها: عدم فهم الشرك التشريعي، وأنَّهم لا يهتمون به ولا يحاربون أهله وهم طبقة الحكام حتَّى قال قائلهم: "دعونا من شرك الأموات فقد انتهى وعليكم بشرك الأحياء".

ت- ومنها: أنَّهم ينفرون من دعوتِهم وينقدونَها بذكر المساوئ وغمط المحاسن، ويضربون للسلف مثلاً في ذلك بأنَّهم كمثل الذباب الذي يترك الموضع السليم من الجسم ويقع على الموضع الأليم منه.

ث- ومنها: عمالة السلاطين وما ذلك إلا لجبنهم وحبهم الدنيا كما يزعمون.

ج- ومنها: عدم عنايتهم بعلم الواقع، إلى غير ذلك مما لا أريد أن أمل القراء بالتوسع فيه، وأقول: ما هي إلا اتِّهامات وتوهمات جرهم إليها داء التحزب والتعصب لمنهجهم الذي يختلف عن منهج السلف في معظم بنوده، ومن ذلك الغاية والوسيلة عند الكثير منهم وقد بلغ بِهم التحامل على السلفيين فصرح كثير منهم بأنه لا حاجة إلى ذكر عقيدة سلفية ولا حاجة إلى ذكر سلفيين وقالوا يكفي أن الله سمانا مسلمين فنحن المسلمون وأهل السنة وكفى !!

ويقول لهم السلفيون: إن فهمكم هذا فهم غريب وإن تحاشيكم عن الاتصاف بالسلفية وعدولكم عن الانتماء إليها -وهي الأم- لأمر مبتدع لا مسوغ له عند علماء السلف، وإن الحامل لكم عليه هو سوء الفهم حيث ظننتم أن السلفية حزب يستحق أن يلغى كغيره من الأحزاب، أو أنَّها منظمة من المنظمات منسوبة إلى الإمام محمد بن عبد الوهاب كما صرح بذلك صاحب الموسوعة الميسرة حيث قال: "ويطلق عليها بعضهم اسم الوهابية نسبة لمؤسسها محمد بن عبد الوهاب"(١)، وقال في موضع آخر تحت عنوان "الأفكار والمعتقدات": "كان الشيخ المؤسس حنبلي المذهب.."(٢).

وكـم مـن عائب قولاً صحيحًا وآفـته مـن الفهـم السـقيم

---

(١) الموسوعة (ص٢٧٣).

(٢) المصدر السابق (ص٢٧٥).

أقول: إنه يجب أن يعلم أنه لا يجوز الإنكار على من انتسب إلى السلف والسلفية، فقال: أنا سلفي وعقيدتي سلفية، ولا يصح أن يعاب إذ لا وجه لعيب من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه باتفاق علماء السلف السابقين واللاحقين، وما ذلك إلا لأن مذهب السلف لا يكون إلا حقا، وإن السلفية -وهي نسبة تسمية إلى السلف- تسمية لَم تنفصل ولا لحظة واحدة عن الأمة الإسلامية، بل هي من خيرها، وهي بخلاف الانتماء إلى الأحزاب أو الجماعات الإسلامية ذات المناهج المخالفة لمنهج السلف والمختلفة فيما بينها كالإخوانية والتبليغية، والجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية والباكستانية وما جرى مجراها من الجماعات الإسلامية ذات الأسماء والألقاب والمناهج والزعماء.

أقول -بمناسبة إلتباس الأمر على بعض طلاب العلم حيال السلف والسلفية حتى أنَّهم اعتبروها حركة معاصرة-: ينبغي التخلص من ذكرها ومن الانتماء إليها كما قرأت ذلك قبل قليل[1]، فإنني أحب أن أدون

(١) ولقد بالغ بعضهم -هداه الله- في هذا الشأن فصرح قائلاً: (ومن أوجب على أحد الناس من العباد أن يكون إخوانيًا أو سلفيًا أو تبليغيًا أو سروريًا يوجبه وجوبًا فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل!! إن الله لَم يسمنا إلا مسلمين وارتضى لنا ﷺ اسم المسلم ﴿**هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا**.... ﴾. ونقول له أن إدخالك السلفية مع تلك الجماعات فيه ظلم وجور، وحكمك على من يقول للناس كونوا سلفيين وأهل عقيدة سلفية باطل ومنقوض أبطلته ونقضته محكمة السلف الكبرى من عهد القرون المفضلة

بعض النقول عمن شرح الله صدورهم للحق ففهموا الأمور على وجهها مفرقين بين ما ينبغي الانتماء إليه والاعتزاز به وبين ما لا يجوز الانتماء إليه ولا التعصب له، بناءً منهم على الفرق بين السنن والبدع وبين الصالح والطالح، وبين المقبول والمردود.

فأقول: قال الإمام شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله-: "الوجه الثالث: قوله: (والآخر يتستر بمذهب السلف) إن أردت بالتستر الاستخفاء بمذهب السلف؛ فيقال: ليس مذهب السلف مما يتستر به، إلا في بلاد أهل البدع: مثل الرافضة والخوارج فإن المؤمن المستضعف هناك قد يكتم إيْمانه واستنانه، كما كتم مؤمن آل فرعون إيْمانه وكما كان كثير من المؤمنين يكتم إيْمانه حين كانوا في دار الحرب، فإن كان هؤلاء في بلد أنت لك فيه سلطان -وقد تستروا بمذهب السلف- فقد ذممت نفسك حيث كنت من طائفة يستر مذهب السلف عندهم، وإن كنت من المستضعفين المستترين بمذهب السلف فلا معنى لذم نفسك وإن لَم تكن منهم ولا من الملأ فلا وجه لذم قوم بلفظ التستر".

وإن أردت بالتستر: أنّهم يجتنون به، ويتقون به غيرهم ويتظاهرون به حتَّى إذا خوطب أحدهم قال: أنا على مذهب السلف -وهذا الذي أراده والله أعلم- فيقال له: لا عيب على من أظهر مذهب السلف

إلى أن تقوم الخلائق من أجداثها سراعًا كأنّهم إلى نصب يوفضون، فافهم رعاك الله واستغفر لذنبك غفر الله لنا ولك.

وانتسب إليه، واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقًّا، فإن كان موافقًا له باطنًا وظاهرًا فهو بمنْزلة المؤمن الذي هو على الحق باطنًا وظاهرًا، وإن كان موافقًا له في الظاهر فقط دون الباطن فهو بمنْزلة المنافق فتقبل منه علانيته وتوكل سريرته إلى الله، فإنا لَم نؤمر أن ننقب عن قلوب الناس ولا نشق بطونَهم"[(١)]. اهـ.

وقال الإمام الحافظ محمد بن الفضل التميمي الأصبهاني: "وشعار أهل السنة اتباعهم السلف الصالح، وتركهم ما هو مبتدع محدث"[(٢)].

وقال شيخنا العلامة السلفي محمد أمان بن علي الجامي -رحمه الله- ما نصه: "وقبل أن نشرع في شرح المنهج -منهج السلف في إثبات صفات الله تعالى وأسمائه- وذكر قواعده فلنعرف من هم السلف؟

عندما نطلق كلمة السلف إنما نعني بِها من الناحية الاصطلاحية أصحاب رسول الله ﷺ الذين حضروا عصره فأخذوا منه هذا الدين مباشرة غضًّا طريًّا في أصوله وفروعه، كما يدخل في هذا الاصطلاح التابعون لهم الذين ورثوا علمهم قبل أن يطول عليه الأمد، والذين شملتهم شهادة الرسول ﷺ وثناؤه عليهم بأنَّهم خير الناس حيث يقول ﷺ:

---

(١) مجموع الفتاوى (ج٤ ص١٤٩)، وقد نظرت في ورقتين فقط من الجزء المذكور فوجدت الشيخ قد ذكر فيهما لفظ مذهب السلف خمسًا وعشرين مرة، انظر (ص ١٤٩-١٥٢).

(٢) الحجة في بيان المحجة (ج١ ص٣٦٤).

«**خير الناس قرني، ثُمَّ الذين يلونَهم، ثُمَّ الذين يلونَهم**»[(١)] الحديث. كما يشمل الاصطلاح تابعي التابعين.

وهو لفظ مصطلح عليه، وقد ظهر هذا الاصطلاح واشتهر حين ظهر النِّزاع ودار حول أصول الدين بين الفرق الكلامية، وحاول الجميع الانتساب إلى السلف وأعلن أن ما هو عليه هو ما كان عليه السلف الصالح، فإذن لابد أن تظهر -والحالة هذه- أسس وقواعد واضحة المعالم وثابتة للاتجاه السلفي حتى لا يلتبس الأمر على كل من يريد الاقتداء بهم، وينسج عليهم منواله"[(٢)]. اهـ. ومتى قيل السلف أو السلفيون أو السلفية فهي نسبة إلى السلف الصالح جميع أصحاب محمد ﷺ.

وبعد: فهذه النقول الَّتي رأيت إنَّما هي بعض من كل وقليل من كثير مما هو مدون في كتب السلف وأتباعهم السائرين على منهجهم المستقيم، وعليه فلا معنى لإنكار مصطلح السلف والسلفيين والسلفية، ولا مسوغ للتحاشي من الاتصاف بها والانتماء إليها، إذ أن السلفيين وأهل السنة والجماعة والطائفة الناجية المنصورة كلها أوصاف لموصوف واحد هو حزب الله على تفاوت بين أفراده بحسب قوة الإيْمان وضعفه، وإذ كان الأمر كذلك فإنه لمن الغفلة وسوء الفهم أن يقول بعض الناس

---

(١) البخاري في الشهادات باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد (ج٣ ص١٤٩، ١٥٠) ومسلم في كتاب فضائل الصحابة (رقم ٢٥٣٥ ج٤ ص١٩٦٤).

(٢) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية (ص٥٧، ٥٨).

اليوم لا سلفية ولا سلفيين وإنما إسلام ومسلمون فقط !!.

وحيث إني قلت في بداية حديثي عن هذا المأخذ: إن كثيرًا من جماعة الإخوان ومن ضاهاهم في سرية التنظيم وغيره من بنود عرفوا بهجومهم على جميع مخالفيهم، وبالأخص السلفيين فإنني أريد أن أدون ثلاثة أدلة بالإضافة إلى ما سبق في هذا البحث من أدلة على ما ذكرت:

الدليل الأول: ما قاله الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في حديث يخاطب فيه الشباب السلفي: "ومع ذلك فهم ثرثارون متشدقون"(١).

وقال في موضوع آخر: "ولكنهم يغطون قعودهم بتلك الثرثرة الفارغة كقولهم: إن الوقت غير مهيأ، وأن من السياسة ترك السياسة، وإن النَّبي ﷺ مكث ثلاثة عشر عامًا يدعو إلى التوحيد "(٢). اهـ.

وقد تولى مؤلف الكتاب مناقشة الأخ عبد الرحمن مناقشة علمية شريفة شع نور الحق من خلال سطورها وكلماتِها: ﴿**ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾ [الأنعام: من الآية٨٨].

الدليل الثاني: ما نشره بعض الجماعة المتعجلين في قصيدة استفتحها بِهجاء شيخ السلفيين ومفتي العالم الإسلامي في هذا العصر أعني صاحب السماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله ورعاه-، حيث قال صاحب القصيدة:

---

(١) مجلة الفرقان عدد (٩) بواسطة الطريق إلى الجماعة الأم (ص٢٣٨).

(٢) بواسطة المصدر السابق (ص٢٤٠).

أو أنت علم السماحة والندى | قد جئت ضمن جحافل الأحزاب
ماذا أقول: لأمتي وشبابها | ماذا أقول وفيك أنت مصاب
قد جئت تقدم خيلهم وجموعهم | لتقاتلوا شيخي على محراب

أقول: لولا أني سمعتها بأذني ما صدقت إلا من بعد جهد جهيد أن قائلها طالب علم دعواه محبة العلم واحترام العلماء. ولا نملك إلا أن نقول له: اذهب إلى الشيخ وسلم عليه واعترف بخطئك عليه، وأخبره أن الذي قلته إنما هو خطأ ليس مقصودًا ولكنه نتيجة حماس دعوى تجاوز الحدود، فحصل ما سمعت فأرجو التكرم بالسماح عني، فإنك اليوم تقدر وغدًا لا تقدر وقل له:

قد جئت يا حبر العلوم وبحرها | لأقصَّ يا شيخي قديْم عتابي
ما كنت أقصد بالقريض مذمة | لكن جهلاً بالأمور صبابي
بل كنت في درب الدعاية سابحًا | متوثبًا في السير دون ركاب
فالعذر يا شيخي وحلمك واسع | فاقبله مني كي يخف مصابي
ما قلته خطأ وأنت مسامح | يا خيرة العلماء والأصحاب

الدليل الثالث: ما كتبه أحد الجماعة الإخوانية إلى مشائخه القدامى، حيث إنه نمى إلى سمعه بأنَّهم يحذرون من المنهج الإخواني ويدعون الشباب أن يبقوا على مذهب السلف في العقيدة ومنهج الدعوة والولاء والبراء وغيرها، فكتب إليهم رسالة ضمنها نقدًا وشتمًا فاحشًا فقد كان من ملحوظاته عليهم ما يأتي:

١. عدم فقهكم لأدب الخلاف بين المسلمين في مسائل الفروع، وإن كان البعض منكم يعرف هذا الأدب فإنه لا يحاول أن يؤدب به الآخرين فضلاً أن يطبقه على نفسه.

٢. اعتباركم بعض المسائل الفرعية الّتِي يسوغ فيها الخلاف أصولاً، وبناء الولاء والبراء على هذه المسائل البسيطة.

٣. عدم تثبتكم في قبول الأخبار فإنكم تنشرون ما يصلكم بين العامة والخاصة مما وسع هوة الخلاف.

٤. عدم ترحيبكم بالشباب الذين جاءوا يطلبون العلم عليكم ومقابلتهم بالعبوس.

٥. تعاونكم مع بعض المغرضين والخبثاء والشهوانيين وأصحاب الأفكار الضالة ووقوفكم معهم في صف واحد ضد الشباب المسلم.

٦. جبنكم وتخاذلكم عن الكلام في بعض القضايا الخطيرة والتي يريد أهلها اجتثاث الإسلام من أصله، كالشيوعية وأنشطتها وكأصحاب الإنحلال والمجون وتسخيركم كل جهودكم ضد الشباب المسلم.

٧. تشهيركم بالأخطاء الّتِي تقع من بعض الشباب عن حسن نية ونسيانكم لحسناتِهم الكثيرة في خدمة الإسلام وهذا المنهج مرفوض شرعًا.

٨. التحذير الذي تجاوز حدود الزمان والمكان، ولَم يبق بيت مدر ولا وبر إلا دخله وعرفه المتعلمون والعوام وكان الأولى والأحسن هو

النصح والتوجيه.. وأن تشتغلوا بالشيوعية الَّتِي تعمل ليلاً ونَهارًا بحزبِها المنتظم في المنطقة وغيرها.

٩. التقلب وتمثيل دور ذي الوجهين خير تمثيل، فنأتي مثلاً إلى أحدكم يقابلنا بالبشر والترحاب، فإذا خرجنا من عنده طعن في ظهورنا وأكل لحومنا واعتبرنا أشد عداءً من الشيوعية.

١٠. ونحن نعيب عليكم تقاعسكم عن الكلام في الجانب السياسي وهذا يعتبر تجزئة للدين وإيْمان ببعضه دون بعض فما هذا الجبن؟. اهـ[1].

أقول: انظر -رحمك الله- إلى هذا الأسلوب الدال على أن داء التحزب لمنظمته قد ملك عليه قلبه ولسانه، فلم يرقب في مشائخه القدامى الذين تولوا تربيته في حال حداثة سنه ونعومة أظفاره شيئًا من معروف أو قدرًا قليلاً من جميل وإحسان والله المستعان.

هـ- **ومنها** -أي المآخذ على جماعة الإخوان-: حرص الكثير من قادتِهم ومنظريهم على عزل أتباعهم عن شيوخ العلم، الذين لهم باع طويل في فنونه وما ذلك إلا لأنَّهم على منهج السلف الصالح فعلاً وعقيدة ومنهج دعوة، ولذلك أمثلة:

أ- منها ما نقلته مجلة المجتمع عن الشيخ ناصر الدين الألباني ومواقف الإخوان منه وذلك في العدد (رقم ٥١٩ في ١٩٨١/٣/١م) حيث قال الألباني -رحمه الله-: "ولَم يَمض وقت طويل إلا وبدأ شباب

---

(١) رسالة النقد والرد على الأقوال المفتراة (ص١-٣) مخطوطة. لعبد الرحمن علوش.

الإخوان يتجاوبون مع الدعوة بصورة ليست غريبة، ولكننا بعد ذلك وجدنا موقفًا غريبًا وعجيبًا جدًّا، أولاً لأننا مسلمون، وثانيًا لأنَّهم قلبوا لنا ظهر المجن، فبينما كانوا يدعوننا لإلقاء المحاضرات هناك، إذا بِهم يصدون أفرادهم عنا صدودًا، وعجبت من هذه المفاجأة حينما أرسلوا إلى إخوانِهم ممن كانوا في صفوف الجماعة، يذكرونَهم ويطلبون منهم بأن يمتنعوا من التردد على دروس الشيخ الألباني، وجرى نقاش طويل بينهم فقالوا: يا جماعة لا ندري لَم هذا الموقف من الشيخ الذي يصرح بأنه لا يدعو إلى التحزب والتكتل؟ كل ما فيه هو أن عنده بعض المعلومات يريد أن ينشرها بين الناس، لماذا تفصلونا وتبعدونا عن حضور حلقات هذا الرجل، ونحن مضينا معه أكثر من سنتين أو ثلاث وشعرنا بالفرق بين الذي كنا عليه والآن من المعرفة فلماذا هذه المعاداة ؟؟

فكان جوابُهم: لا يجوز الجمع بين الولاءين، إما الإخوان وإما الشيخ !!.

وكانت النتيجة أن تم فصلهم. **ولما قيل لبعضهم**: أنت رجل مسلم متخلق بأخلاق الإسلام كيف تفعل ذلك ؟.

قال: إن هذا قرار القيادة ويجب أن نخضع له"[١]. اهـ.

باختصار أقول: وإن تعجب فعجب قولهم: "لا يجوز الجمع بين الولاءين إما الإخوان، وإما الشيخ". ومن هنا ظهر جهارًا نَهارًا أن الولاء

(١) المصدر المذكور في الصفحة أعلاه بواسطة الطريق إلى الجماعة الأم (ص ٢٣٧).

والبراء في صفوف المنظمات متعلق برضا القيادات وأن الخضوع لأوامر القيادات واجب على أي حال من الأحوال كما رسمه المؤسس الأول حيث قال: "وأريد بالطاعة: امتثال الأمر وإنفاذه توًّا في العسر واليسر والمنشط والمكره"[١]. اهـ.

غير أن كثيرًا من منظري جماعة الإخوان والناطقين بلسان المنهج يقولون في هذه الحادثة الَّتي حصلت للشيخ الألباني وأمثالها: إنَّها أعمال فردية لا يتحمل تبعتها إلا أصحابُها والمنهج منها براء، وفرق بين هنا وهناك.

وقد انطلى هذا الأسلوب على كثير ممن قل علمهم وإن حسنت نياتُهم فالله المستعان.

٦- ومنها -أي: المآخذ على الجماعة المذكورة-: هو التوجه إلى تجميع الشباب على اختلاف طبقاتِهم في السن ووضع أمراء عليهم منهم، تفوضهم القيادة في تربيتهم وفق المنهج ويأخذون منهم البيعة للقيادة ويغرونَهم بالرحلات والمعسكرات الكشفية والثقافية -في حدود المنهج- ويتنافسون فيها في الإنشاد على الطريقة الصوفية وكذا التمثيليات ذات النكات المضحكة المحرقة الَّتي قد يصلون فيها إلى درجة السخرية بمن لا يجوز لهم أن يسخروا منهم ولا غرابة أن يكون ذلك منهم؛ فإنَّهم لا يوجد لديهم المربي المتمرس بطرق التربية السلفية الناجحة المتمكن من

(١) رسالة التعاليم (ص١١) للبنا.

علوم الشريعة السمحة العالم بحلالها وحرامها، وفقه الدعوة الإسلامية فيها.

وخلاصة هذه المآخذ:

أ- تجميع الشباب لتلقي الدروس الخاصة.

ب- وضع أمراء عليهم منهم، يفوضون من قبل القيادة لتثقيفهم وأخذ البيعة منهم.

ت- الإغراق في الرحلات والإعداد للمعسكرات الصيفية وغيرها والإسراف في الإنشاد والتمثيل وغير ذلك من وسائل الإبعاد عن العلم ومجالس العلماء، أهل التفسير والحديث، بل وسائر علوم الشريعة ووسائلها الَّتي يجب أن يربط بها الطالب من سن الشباب المبكر، وعليه فإنني أنصح بتجنب هذه التصرفات الَّتي تضمنتها الخلاصة الآنفة الذكر وإلا فسوف يتحمل تبعتها قادة الجماعة ونقباؤها والمنفذون لها عمومًا وتبعة ما ينتج عنها من سوء وإن كانوا لا يريدونه ولا يعرفون أبعاده.

قال الشيخ عبد الرحمن الدوسري -رحمه الله-: "أوصى المحفل الثالث عشر الماسوني قائلاً: تجب تربية الأطفال وفق منهاج مقرر من قبلنا، إن السيطرة على الشبيبة من أولى غايات الماسونية وأهدافها، دع الكهول والشيوخ جانبًا وتفرغوا للشباب بل تفرغوا حتى للأطفال إذ الانطباعات الأولى لا تنسى، وعليه يجب أن تبني هذه الانطباعات على أساس أفكارنا، ولابد من تربية للأطفال بعيدة عن الدين، إن الماسونية تستعين

بالفرق والأندية الرياضية والجمعيات الموسيقية لإدامة نفوذها في أوساط الشبيبة"[١]. اهـ.

إنني أقول لإخواني رجال التربية الإسلامية: قارنوا -رحمكم الله- بين تربية العلماء الأوائل والأئمة الأكارم والأفاضل للشبيبة الإسلامية في الكيفية والأسلوب، وبين تربية الجماعات الدعوية المعاصرة، وفي مقدمتها جماعة الإخوان المسلمين، وستجدون الفروق، وعندها يحق لنا أن نقول:

وخير الأمور السالفات على الهدى وشـــر الأمــــور المحدثات البدائع

هذا بالنسبة لتجميع الشباب وتخصيص دروس لهم في إطار المنهج الإخواني.

أما بالنسبة للتأمير -أي: وضع أمير يرعى شئون الأفراد المنتظمين في الجماعة وينفذ أوامر القيادة فيهم-؛ فإنه لا أساس له من الصحة لاسيما في البلد ذات الوالي المسلم -ولو كان فاسقًا أو جائرًا- فقد جاء في سنن الدارمي عن تَميم الداري قال: "تطاول الناس في البناء في زمن عمر ﷺ فقال عمر: يا معشر العريب، الأرض الأرض إنه لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمارة ولا إمارة إلا بطاعة فمن سوده قومه على الفقه كان حياة له ولهم، ومن سوده قومه على غير فقه كان هلاكًا له ولهم".

---

(١) انظر صفوة الآثار (ج٢ ص٢٠٢).

قلت: والمراد بالإمارة الَّتي قصدها الفاروق: هي الَّتي تجب طاعة أهلها ويَملك صاحبها النفوذ والشوكة والسلطان في إقامة الحدود وإقامة الجمع والأعياد والحج وتأمين السبل ونحو ذلك، وليس المراد بها إمارة الإخوانية الخفية ولا زعامة الصوفية الإلحادية ؟!.

وأما بالنسبة لما يدرب عليه الشباب الذين سلموا قيادهم للقائمين على هذه الجماعة في معسكراتِهم ورحلاتِهم الخلوية من الإسراف في الإنشاد والإغراق في التمثيل وأمور أخرى -لاحققها الله- مجاراة لمن انحرفوا عن سنن التربية الإسلامية الأصيلة ؛ فإنه ظلم للشباب أيما ظلم لو كانوا يعلمون، ماذا يريدون من الشباب؟! أيريدون منهم أن ينشئوا ممثلين على مرتفعات المسارح؟! أيريدون منهم أن يظهروا أمام المجتمعات وحفلات الزواج منشدين بارعين؟! أهكذا يتم الإعداد للدعوة إلى الإسلام والجهاد في سبيل الله؟! لقد أسفت حينما بلغني وأنا أدون هذا البحث أن الأستاذ فلان ابن فلان بات يرأس فرقة الإنشاد في حفل زواج إخواني صغير، حقًّا إنني لأعتب على الأستاذ المذكور بل وعلى قيادته العليا الَّتِي ربته على هذا التميع الذي يعتبر فقرة من فقرات المنهج.

وأقول للقائمين جميعًا على هذه الجماعة: ماذا تنتظرون من شباب يبيتون يلوون أعناقهم يمينًا وشمالاً في حفلات الزواج وفي غيرها من جل المناسبات؟! وماذا تنتظرون من شباب دربتموهم على التمثيل الذي يَعْتَبِرُ الكذب والتشبه بالكفار أحيانًا من مقوماته؟!

أكرر **فأقول**: يا أخوتاه، إن كان هذا هو غرسكم فلا تشكوا في أن تحصدوا خيبة وإفلاسًا، لا أقول ذلك تأليًا ولكن الله ربط الأسباب بمسبباتِها، ولقد أحسن من قال شعرًا في هذا الموضوع:

يجـــتمعون عـــلى النشيد وتارة ... يتضـــاحكون لنكـــتة القـــواد
ويحـــذرون مـــن الثقات لأنَّهم ... بنصوصـــهم يجلـــون كل فساد
ويخططـــون لـــرحلة خلويـــة ... بانـــت عـــن الأنظـــار والحساد
يتســـللون مـــع العشـــي تحسبًا ... خوفًـــا مـــن الرقـــباء والرصاد
يـــا من يرى طرق الغواية منجعًا ... كـــيما يحقـــق مطلـــب القـــواد
شـــر العـــباد مكانـــة وأرومـــة ... مـــن بات يزرع دون أي حصاد
وأشـــر مـــن ذاك الغبي حصيلة ... مـــن عـــاش للتضليل والإفساد
يـــا مـــن يقلد في الضلال أميره ... أقصـــر فـــرب العرش بالمرصاد
يا من يقلـــد فِي الضـــلال أميره ... كيف الوقوف بعرصـــة الأشهاد

٧- **ومنها** -أي: المآخذ على جماعة الإخوان- أن القوم -هدانا الله وإياهم-: التزموا بقاعدة أعجبتهم كثيرًا وهي: "نجتمع فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه"[1]. ولقد توسعوا في هذه

---

(١) **وحفظ الله الشيخ الفاضل بكر أبو زيد حيث قال معقبًا على هذه القاعدة بقوله**: وهذا تقعيد حادث فاسد إذ لا عذر لمن خالف في قواطع الأحكام في الإسلام فإنه بإجماع المسلمين لا يسوغ العذر ولا التنازل عن مسلمات الاعتقاد، وكم من فرقة تنابذ أصلاً شرعيًّا وتجادل دونه بالباطل، وعليه فإلى الطريق الوسط الحق طريق جماعة المسلمين على منهاج النبوة.

القاعدة حتى جعلوها تتسع لكل مسألة من مسائل الخلاف ومن ثَمَّ يسقط جانب كبير من ركن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويسقط باب هجر المبتدع كله[1]، ويختل ميزان دعوة الخلق إلى الحق.

والذي ظهر لي في هذه القاعدة: أن ما كان من خلاف في الأصول كـ: "باب التوحيد بجميع أنواعه"، وكـ: "الأحكام المعلومة من دين الإسلام بالضرورة"، وكـ: "الفرائض والواجبات"، وكـ: "منهج الدعوة إلى الله والولاء والبراء في دين الله" وغير هذه الأمور مما هو في منْزلتها وحكمها؛ فلا يجوز أن نعذر المخالف في شيء منها بعد بيانها له وإيضاحها بل يجب علينا أن نأخذ على يديه بسلطان الحق ونوره لأنه سفيه متكبر فإن لَم نستطع فعلينا أن نَهجره هجرًا شرعيًّا حتى يفيء إلى أمر الله ويستقيم عليه.

وأما ما كان من المسائل الفرعية الَّتِي يسوغ فيها الخلاف لأسباب ومسوغات؛ فما كان من المجتهد فيعذر حتى يتضح الحق مع مخالفه بدليله الصريح وحينئذ لا نعذره لأن الحق واحد لا يتجزأ.

وعليه: فإن منهج جماعة الإخوان رأيناه يتسع لأهل البدع[2] إذ

---

(١) وقد سبق في هذا البحث أن من مميزات منهج السلف هجر المبتدع في الحدود الشرعية.

(٢) ولكن المنهج الإخواني يضيق صدرًا بالسلفيين ومنهجهم كما صرح بذلك كثير من منظريهم وانظر كلام كلٍّ من سعيد حوى وجاسم المهلهل ومن تحدث عنهم الألباني وكلام من صبوا هجومًا على السلفيين وقد تقدم ذلك كله.

منهم الشيعي الرافضي -وهم من أخَسِّ الخلق وأشدهم عداوة للإسلام والمسلمين- ومنهم الأشعري، ومنهم المشجع للقبوريين، ومنهم الثائر، ومنهم ومنهم، وهؤلاء يلتمس لهم العذر في منهج الإخوان وتتسع لهم الصدور من أجل تكثير سواد الجماعة -لا على كلمة سواء- ليتسنى لهم في يوم من الدهر الإطاحة بمن على وجه الأرض من حكام الدول العربية والإسلامية ويكونوا النواة الأولى للخلافة الإسلامية كما ذكر ذلك الناطق بلسان الإخوان، وقد سبق تدوينه.

٨- **ومنها** -أي: المآخذ على جماعة الإخوان-: دعواهم أنَّهم يأخذون عن جميع العلماء مما وافق الكتاب والسنة ويردون ما خالفهما سواءً كان في العقيدة أو في المنهج الدعوي أو في غيرهما.

وأقول: هذه الدعوى فيها تخدير لقلوب الشباب الذين بطأ بِهم الفهم لمنهج السلف، ليربطوهم بِمؤلفات حسن البنا وسعيد حوى والمودودي وعمر التلمساني والسيسي ومحمود عبد الحليم وجاسم المهلهل وغير هؤلاء من قادة الجماعة الذين وجدت في مؤلفاتِهم الطوام العظام الَّتِي تتعلق بالعقيدة تارة وبِمنهج الدعوة إلى الله تارة أخرى.

كما هي -الدعوة المذكورة- طريق تَملص من أن يلزمهم السلفيون بالوقوع في التبعية لمنهج الإخوان وقادتِهم، وكذا لئلا ينصرف الشباب عن المنهج المذكور الذي رسمه البنا ودعا إليه وأخذ البيعة ذات الأركان العشرة عليه، والتزمه خلفاؤه من بعده إلى يومنا هذا تطبيقًا وتنفيذًا في

شتى بقاع العالم، وإنه على كثرة الأخطاء في المنهج هذا تطبيقًا وتنفيذًا في شتى بقاع العالم، وإنه على كثرة الاخطاء في المنهج وفي كتب المنظرين فيه فإنه لا يوجد أحد من علماء الإخوان قديْمًا أو حديثًا قد رد على واحد منهم خطأ، بل العكس هو الحاصل: وهو المدح والثناء على القادة ولو كانوا من أهل الشرك والبدع وعلى كتبهم الَّتِي تحتوي على كثير من الزلل والضلال، وأذكر قول صاحب رسالة النقد والرد على الأقوال المفتراه في سياق رده على مشائخه السلفيين القدامى: "واقرأ كتاب جلسات مع كتاب الوقفات للشيخ جاسم مهلهل -حفظه الله-"[1]. اهـ.

وعلى ضوء هذه الوصية من صاحب الرسالة المذكورة بقراءة كتاب جلسات مع كتاب وقفات فإنني من خلال هذه السطور أؤكد وصيته وألتمس من القراء الكرام أهل العدل والإنصاف أن يقرءوا الكتابين -وقفات، وجلسات- وسوف يعلمون أي الكتابين والكاتبين أهدى سبيلاً.

أما أنا -راقم هذه السطور- فقد تمكنت من قراءة الكتابين معًا حيث وصلني كتاب الشيخ/ محمد بن سيف العجمي: وقفات، مع كتاب: للدعاة فقط؛ فوجدت ما دَوَّنه فيه من ملحوظات على المنهج الإخواني ومناقشات لقادته ومنظريه حقًّا وصلاحًا وإصلاحًا، وقد استند في جميع وقفاته إلى أدلة نقلية وعقلية ووثائق من كتب القوم وتصريحاتهم،

---

(١) انظر رسالة النقد والرد على الأقوال المفتراة (ص٥).

وذلك مما يعطي القراء قناعة في قبول الرد والبيان.

حقًّا: لقد ناقش القوم في وقفاته بأسلوب المنهج السلفي الأصيل، وإن مناقشته لتنبئ عن حب شرعي للمنهج السلفي وتقدير عظيم للسنة الغراء وبغض شديد للبدعة وأهلها، أهل التبعية والهوى، فعل ذلك ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيَّ عن بينة، والحمد لله الذي هيأ للحق دعاة وأنصارًا يدفعون بنصوص الوحي المنير حجج المبطلين وزيغ الزائغين.

ومكثنا مدة كانت فيها الدعايات الإخوانية المنفرة من قراءة الكتاب المذكور تنشر، والعتاب منهم لمن يقرؤه أو يوزعه يصب بحجة أنه سبب في الفرقة بين الشباب.

قلنا لهم: يا قوم، ومن أنبأكم أن بيان الحق ودعوة الناس إليه ورد الخطأ من أي مصدر كان، وتحذير الناس منه يكون سبيل فرقة بين المسلمين لاسيما إذا كانوا طلاب علم؟! إن هذا الفهم مقلوب مردود على أصحابه لو كانوا يعلمون.

إن بيان الحق ودعوة الخلق إليه وربطهم به، وبيان الخطأ وتحذير الخليقة منه لهو في الواقع طريق صحيح لاتحاد الكلمة على الحق والتقاء القلوب على الهدى، بل وطريق صحيح فسيح لسعادة الدنيا ونعيم الآخرة.

أعود إلى سياق القصة: حيث مكثنا مدة فإذا بكتاب رد على وقفات اسمه جلسات لصاحبه جاسم مهلهل يوزع من قبل جماعة الإخوان ليلاً

ونَهارًا حتى في حفلات الزواج، وكان لمكتبتي نصيب منه فقرأته من أوله إلى آخره فما رأيت الكتاب استطاع أن يدلي بشيء من الحجج العقلية في الدفاع عن المنهج الإخواني الذي تصدى العجمي لمناقشة قضاياه، ولا استطاع أن يرد بالحجة الصحيحة خطأ ارتكبه العجمي فيما دَوَّنَ في كتابه[1]، وأنا -ولله الحمد- لَم أعرف شخصية أحد من الاثنين، وليس لي انتماء إلى منظمة من المنظمات المعاصرة، غير أني اتَّهمت فهمي بالقصور فذهبت إلى شيخنا الجليل: أحمد بن يحيى النجمي آل شبير، مفتي منطقة الجنوب وحامل لواء الدعوة السلفية فيها -وكان قد أهدي إلى مكتبته الكتابان، وقفات وجلسات، كل واحد في أوانه- فسألته عن موقفه حيالهما بعد فراغه من قراءتهما؟

فقال عن وقفات: "إنه كتاب حق". وبأسلوب علماء السلف الغيورين كتب وأثنى على مؤلفه خيرًا ودعا له بالسداد والتوفيق، وقال: "وأنا أوزعه". وقال عن كتاب جلسات: "ما رأيت صاحبه وفق في شيء مما انتقده العجمي على كتابِهم ومنهجهم، وما ذلك إلا لأنه بدافع

(١) وكأنني بالعجمي يقول لمهلهل ما قاله الشيخ حافظ الحكمي ليحيى بن محمد المهدي اليمني:

وفاقدًا للاعتبار في معارضتي	وناقدًا دون إنصاف مقالاتي
وما ذكرت على دعواك مستندًا	ولا أجبت بشيء عن سؤالاتي
ولَم تُمانع حجاجًا في محاورتي	ولَم تُمانع دليلاً من دلالاتي

الانتصار للجماعة كتب سواء بقصد سيئ أو حسن، ولا يخفى ما في الانتماءات إلى الأحزاب والجماعات المعاصرة والمنظمات من التأثير السيئ على عقول الرجال وتصرفاتِهم". ودعا له بالهداية والعودة إلى رحاب الحق عودًا حميدًا.

٩- **ومنها** -أي: المآخذ على جماعة الإخوان-: انشغالهم بالاستغراق في الحركات السياسية عمومًا والحصول على نسبة من المجالس في الانتخابات واعتبارها فوزًا، وذلك بسبب جهلهم بالفقه الإسلامي في هذا الباب بل وفي غيره لاشتغالهم بالفقه السياسي المعاصر وحرصهم على أن تكون أَزِمَّةُ الأمور بأيديهم بأي وسيلة كانت.

وعليه: فإن الانشغال بما ذكر لكونه وسيلة من وسائل الدعوة بحيث أن الدعاة متى وصلوا إلى الحكم استطاعوا تطبيق أحكام الإسلام عمل مخالف لمنهج الدعوة الإسلامية الأصيل، وليس لهذا القفز شيء من المحاسن وإنما فيه أضرار شتى تتعلق بالدعوة والداعية بل بكل متدين عمومًا.

وقد سئل الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- عن انخراط الدعاة وطلاب العلم في العمل السياسي المعاصر الذي يتجلى في منافسة الحِكام على كراسيهم وسلطانِهم؟ فأجاب بِمنع ذلك وبَيَّنَ ما فيه من أضرار خاصة وعامة، وأرشد طلاب العلم عمومًا والدعاة منهم خصوصًا إلى الإقبال على تحصيل العلم الشرعي الشريف والعمل به ونشره في الأمة

بقدر الطاقة والإمكان، إذ إن هذا هو منهج الرسل الكرام والأنبياء العظام وأتباعهم من علماء الإسلام في الدعوة إلى الله عبر تاريخ العصور الماضية وفيما يستقبل من حياة الأنام[1].

وأخيرًا: يا أخي طالب العلم وباغي الخير ومحب الهدى والصواب، فإن جماعة الإخوان المسلمين هم إخوتنا في الإسلام إلا من نبذه الإسلام من دائرته، والأصل في المسلم سلامة الفطرة والانقياد لشرع الله أمرًا ونَهيًا باطنًا وظاهرًا سرًّا وجهرًا، وإن الذي دونته في بحثي هذا من ملحوظات على منهج هذه الجماعة في الدعوة إلى الله في أي مكان كانوا وما ذكرته من مآخذ عليهم من كتبهم وتصريحاتِهم ومما دَوَّنَهُ عنهم ثقات العلماء معزوًّا إلى كتابِهم وإلى منهجهم النظري هو الواقع الذي يعترف به المنصف ويجادل فيه المسرف.

وغرضي من إيداعه في كتاب ينشر هو النصح ولكن لمن يحب الناصحين، وإقامة الحجة على من أبى وشرد من النصيحة شراد البعير على أهله بسبب ما سيطر على قلبه من حب الانتماء والوفاء بالبيعة لديهم.

نعم، إن الغرض من ذلك هو التنبيه على تلك الأخطاء الفاحشة الّتِي يجب أن تجتنب سواء منها ما كان في عصر حسن البنا -رحمه الله- أو في زمن من أتى بعده من خلفائه وأتباعهم وأمثالهم، وسواء كانوا في الجزيرة العربية أو في خارجها من بلدان المسلمين وغيرهم، ألا وإن سبيل

---

(١) من شريط له بتصرف يسير.

نجاتنا معشر المسلمين هو الاعتصام بحبل الله المتين والاهتداء بصراطه المستقيم والتأسي برسوله الكريم والالتزام بالمنهج السلفي القويم، منهج السلف الصالح أهل السنة والجماعة وأتباعهم إلى يوم الدين، الذين قال في أوصافهم شاعرهم السلفي علامة زمانه والمتفوق على جميع أقرانه **حافظ بن أحمد علي الحكمي** في ميميته:

هم العدول لحمل العلم كيف وهم ... أولو المكارم والأخلاق والشيم
هم الأفاضل حازوا خير منقبة ... هم الألَى بهم الدين الحنيف نمى
هم الجهابذة الأعلام تعرفهم ... بين الأنام بسيماهم ووسمهم
هم ناصرو الدين والحامون حوزته ... من العدو بجيش غير منهزم
هم البدور ولكن لا أقول لهم ... بل الشموس وقد فاقوا بنورهم
لَم يبق للشمس من نور إذا أفلت ... ونورهم مشرق من بعد رمسهم
لهم مقام رفيع ليس يدركه ... من العباد سوى الساعي كسعيهم
أبلغ بحجتهم أرجح بكفتهم ... في الفضل إن قستهم وزنًا بغيرهم
كفاهمو شرفًا أن أصبحوا خلفًا ... لسيد الحنفا في دينه القيم[1]

* * * * *

(١) الميمية في الوصايا والآداب العلمية (ص٣٤) من المنظومة.

وخذ ثانيًا منهج جماعة التبليغ[١]

وهي جماعة حركية كبرى قديْمة في تأسيسها ونشأتُها مخالفة لمنهج الدعوة السلفية في التنظيم والأهداف، بالإضافة إلى فساد الاعتقاد والتصرف عند كثير من أمرائها ونوابِهم -هداهم الله- وقد لاحظ على منهج هذه الجماعة في دعوتِهم وعلى أمرائها جماعةٌ من أولي العلم والبصيرة بمنهج الدعوة السلفية الأصيل، منهم من كتب عنها استقلالاً، ومنهم من كتب عنها ضمن بحوثه العلمية الدعوية استطرادًا، أذكر منهم على سبيل المثال:

❊ الشيخ حمود التويجري في رسالته المخطوطة: "**القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ**"[٢].

❊ والشيخ سعد بن عبد الرحمن الحصين في رسالته المطبوعة: "**الدعوة إلى الله تعالى وما اختصت به جزيرة العرب**".

❊ والشيخ نزار إبراهيم الجربوع في رسالته "**وقفات مع جماعة التبليغ**".

---

(١) هذه التسمية تشعر أنه لا يوجد جماعة تبلغ الدعوة إلى الله إلا هذه الجماعة، فاللهم غفرًا للزلل والغرور.

(٢) وقد تم طبعها في (٣٥١) صفحة من القطع الوسط.

❁ والشيخ محمد أمان بن علي الجامي ضمن كتابه "**أضواء على طريق الدعوة**".

❁ والشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان في مقدمته لكتاب "**منهج الأنبياء في الدعوة فيه الحكمة والعقل**" وفي كتابه "**ثلاث محاضرات**".

❁ والشيخ ربيع بن هادي المدخلي ضمن أبحاث كتابه المذكور.

❁ والشيخ بكر في كتابه "**حكم الانتماء**" المتعلق بالرد على الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية وربط جميع الأمة المسلمة بمنهج النبوة الغالي ودعوة السلف الصالح إليه المتميزة في الغاية والوسيلة عن جميع الدعوات الوافدة إلى جزيرة العرب.

❁ والشيخ ميان محمد أسلم في رسالته "**جماعة التبليغ**" وكثيرًا ما ينقل منها ويعزو إليها.

❁ والشيخ سعد بن عبد الرحمن الحصين.

❁ والشيخ سعد بن صالح السحيمي ضمن أبحاث كتابه القيم "**تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار**".

❁ والدكتور صالح بن عبد الله بن عبد الرحمن العبود ضمن أبحاث رسالته -الدكتوراة-: "**عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي**".

وغير هؤلاء ممن لَم تحضرني أسماء كتبهم حال تدويني لهذا البحث وفيما يلي رءوس أقلام مما كتب هؤلاء الناصحون الذابون عن حوزة

السنة والحامون منهج السلف في جميع مراتب الدين ودعوة الخلق إلى رب العالمين -عن منهج هذه الجماعة وأمرائها وتحذير الخلق من الانتماء إليها.

أ- المؤسس لهذه الجماعة:

* المؤسس الأول لجماعة التبليغ هو محمد إلياس بن محمد إسماعيل الكاندهلوي.

* المولود عام (١٣٠٢هـ)، مات عام (١٣٦٣هـ- ١٩٤٤م).

* حفظ القرآن، وقرأ الكتب الستة في الحديث، على المنهج الديوبندي، الحنفي مذهبًا، الأشعري الماتوريدي عقيدة، الصوفي طريقة.

* أخذ البيعة الصوفية على يد الشيخ/ رشيد أحمد الكنكوهي ثم جددها بعد موت الشيخ/ رشيد على يد أحمد السهارنفوري الذي أجازه في مبايعة غيره على النهج الصوفي المعروف، كان يجلس في الخلوة عند قبر الشيخ/ نور محمد البدايوني، وفي المراقبة الجشتية عند قبر عبد القدوس الكنكوهي الذي كانت تسيطر عليه فكرة وحدة الوجود[1].

ورث إمارة الجماعة بعد موت محمد إلياس ابنه محمد يوسف الكاندهلوي وكان قد تلقى البيعة من أبيه في حياته نيابة عن رسول الله ﷺ ويزعم معاصروه أن جميع صفات الوالد المورث ومميزاته الدينية

(١) الإمام السرهندي حياته وأعماله.. أبو الحسن الندوي (ص١١٨) بواسطة "حقيقة الدعوة إلى الله تعالى"، لسعد الحصين.

انتقلت إلى الولد بعد موت أبيه[1].

كما ورث الإمارة من بعد محمد يوسف إنعام الحسن وهو الأمير الحالي للجماعة وحوله عدد كثير من الأمراء من قدماء الجماعة في القارة الهندية، مهمتهم المحافظة على سير نظام الجماعة المرسوم لئلا يدخله تغيير أو تبديل ومراكزها الرئيسية ثلاثة، وهي:

١- دلهي.

٢- روائي وند.

٣- دكا.

ومعظم الأمراء المنفذون من أصول هندية أو تحت إشراف هندي لئلا يتسرب إلى نظام الجماعة تغيير، بل يؤخذ النظام بكامله مع الرضا والتسليم، وهم في جميع شئونهم يرجعون إلى الأمير العام صاحب الولاء التام والطاعة العمياء من الجميع.

※ أما أهداف الجماعة الَّتِي يسعون لتحقيقها ويحصرون دعوتهم فيها -ويا ليتها على الوجه الصحيح- فهي ستة:

١- تحقيق الكلمة الطيبة "لا إله إلا الله، محمد رسول الله" ومدلولها عندهم ومقصودها: هو إخراج اليقين الفاسد من القلب على الأشياء وإدخال اليقين الصحيح على ذات الله، أنه لا خالق إلا الله، ولا رازق إلا

(١) جماعة التبليغ، ميان محمد أسلم بواسطة المصدر السابق.

الله ولا مدبر إلا الله، أي: قصر معناها على توحيد الربوبية الذي أقر به الكفار ولَم يدخلهم في الإسلام، ونعوذ بالله من الجهل وبالأخص في أصل الدين وقاعدته.

٢- الصلاة ذات الخشوع والخضوع.

٣- العلم بالفضائل لا المسائل مع الذكر.

٤- إكرام المسلم.

٥- تصحيح النية.

٦- الدعوة إلى الله، والخروج في سبيل الله، وعلى منهج التبليغ المجرد من النهي عن المنكر ولو كان شركًا بالله أكبر(١).

❊ وأما المصادر الَّتي يأخذون منها العلم فمَنها الخاص ومنها المشترك.

أما الخاص بالعرب: فرياض الصالحين مع قراءة سور قليلة من المفصل.

وأما الخاص بالعجم -وما أكثرهم-: فهو كتاب "تبليغي نصاب لمؤلفه محمد زكريا كاندهلوي في فضائل الأعمال وهو كما ذكر الأخوان: الجربوع والحصين: كتاب مملوء بالبدع والخرافات والشركيات.

وهذه أمثلة من نصوصه البدعية والخرافية الَّتي لا يوجد لها أصل في كتاب ولا سنة ولا عمل صحابي ولا عمل عالم من العلماء الذين يعتد بِهم إلى يومنا هذا:

---

(١) المصدر السابق مع "وقفات مع جماعة التبليغ".

١- اللهم صل على روح محمد في الأرواح، اللهم صل على جسد محمد في الأجساد، اللهم صل على قبر محمد في القبور... إلخ.

أقول: أين يوجد هذا الذكر من كتب الأذكار الشرعية ؟!.

٢- اللهم صل على سيدنا مُحمَّد، بحر أنوارك، ومعدن أسرارك، ولسان حجتك، وعروس مملكتك، وخزائن رحمتك، وطريق شريعتك، المتلذذ بتوحيدك، إنسان عين الوجود، والسبب في كل موجود، عين أعيان خلقك، والمتقدم من نور ضيائك.

٣- السلام عليك يا رسول الله من زكريا بن يحيى الكاندهلوي يستشفع بك إلى ربك[1].

٤- ومن شعر بعض مشائخهم قوله:

يا شفيع العباد خذ بيدي ... أنت في الإضطرار معتمدي
ليس لي ملجأ سواك أغث ... مسني الضرار سيدي سندي
غشني الدهر يا بن عبد الله ... كن مغيثًا فأنت لي مددي
ليس لي طاعة ولا عمل ... عندي حبيتك فهو لي عتدي
يا رسول الإله بابك لي ... من غمام الغموم ملتحدي[2]

---

(١) وكتاب آخر يسمى كتاب "فضائل الحج" وفيه قصة أحمد الرفاعي صاحب الطريقة، وقد تقدم تدوينها في المآخذ على الإخوان.

(٢) عن كتاب "نظرة عابرة اعتبارية في الجماعة التبليغية" لمؤلفه سيف الرحمن أحمد، وعنه "وقفات مع جماعة التبليغ" للشيخ الجربوع (ص٧١).

وأما المشترك: فكتاب "حياة الصحابة" لمؤلفه محمد يوسف الكاندهلوي أمير الجماعة الثاني وكم فيه من الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

※ وأما الطرق الصوفية الَّتِي تأخذ البيعة من المنتظمين في الجماعة عليها فهي:

١- الجشتية.

٢- النقشبندية.

٣- القادرية.

٤- السهروردية.

وأما الأمور المَحظورة لدى الجماعة فقد ذكرها الشيخ/ نزار بن إبراهيم في كتابه "وقفات مع جماعة التبليغ" بقوله: "من أصول الجماعة منع أفرادها من الخوض في المسائل الاعتقادية -مثل التوحيد- أو المسائل الفقهية؛ إذ ترى الجماعة أن ذلك يفتح عليها أبوابًا من الشر وينفر المسلمين عنها، وقد يتسبب في إيجاد عقبات أمام الدعوة، ومحظور أيضًا طلب العلم في صفوفها، ولو طلب العلم أحد من أفرادها لمنعوه كما حدث لبعض الإخوة، كذلك فإن من منهجهم عدم إنكار البدع والانحرافات الَّتِي يتلبس بها الناس بل الأمر أشمل من ذلك فهم لا يرون أصلاً مبدأ إنكار المنكر ويكتفون بالأمر بالمعروف فقط"[1]. اهـ.

---

(١) المصدر السابق (ص١٣).

قلت: ويشهد لما ذكره الشيخ نزار ما حصل لبعض إخواننا الدعاة إلى الله في المنطقة الجنوبية حيث رغب الخروج مع جماعة التبليغ ليكون مشاركًا لهم في الدعوة إلى الله وموجهًا لهم كذلك وكان قد طبع كتابًا[1] محتويًا على بيان عقيدة السلف الصالح ومنهجهم في الدعوة إلى الله وشروط الداعية المستمدة من الكتاب والسنة وعمل ذويها، ومحتويًا أيضًا على كثير من مسائل الفقه الإسلامي وآدابه وفضائله، فقام بتوزيع نسخ الكتاب على بعض أفراد فرقته فبلغ ذلك أميرهم فعاتبه عتابًا شديدًا وأوقف توزيع الكتاب حفاظًا على نظام الجماعة الصادر من قيادته العليا، فأدرك أخونا خطر السير مع هذه الجماعة الَّتي تحب الغث وتبغض السمين الثمين فتركهم وأقبل على المشاركة في مدارسة العلوم الشرعية ونشرها على أصول أهل الدعوة السلفية أهل السنة والجماعة، والحمد لله الذي إذا أراد شيئًا هيأ أسبابه وفتح لأهله أبوابه، فضلاً منه ورحمة وهو الغفور الرحيم وهادي من يشاء إلى صراط مستقيم.

ومِمَّا كتبه العلامة الشيخ صالح بن عبد الله الفوزان -حفظه الله- عن هذه الجماعة قوله: "وجماعة أخرى تنتمي إلى الدعوة لكنها تسير على منهج آخر يختلف أيضًا عن منهج الرسل فلا تعير العقيدة أهمية، وإنَّما

---

(١) وأنا أعرف الكتاب الذي وزعه هذا الداعية الملوم من قبل الجماعة عدد صفحاته (٣٤١) صفحة وعدد نصوصه من الكتاب والسنة (٦٠٣، ستمائة نص وثلاثة نصوص) من درر المسائل وجواهر الفضائل، غير أن الجاهل بالشيء يعاديه.

تَهتم بجانب التعبد وممارسة بعض الأذكار على نَهج الصوفية ويركزون على الخروج والسياحة والذي يهمهم استقطاب الناس معهم دون النظر إلى عقائدهم.

وهذه كلها طرق مبتدعة، تبدأ من حيث انتهت دعوة الرسل، وهي بِمثابة من يعالج جسدًا مقطوع الرأس من الجسد، والمطلوب من هذه الجماعة أن تصحح مفاهيمها بمراجعة الكتاب والسنة لمعرفة منهج الرسل في الدعوة إلى الله"(١).

ومِمَّا كتبه شيخنا العلامة/ محمد أمان بن علي الجامي -رحمه الله- عن الجماعات المعاصرة تحت عنوان "النفرة وعدم الانسجام" حيث قال: "توجد في العصر الحديث جماعات تدعو إلى الله ولكنها في الغالب تتخبط على غير بصيرة فالواجب على دعاة الحق أن يكونوا على بصيرة فاهمين ما يدعون إليه، ومتصورين له ومؤمنين به: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّه عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ [يوسف: من الآية ١٠٨] .

هاتان صفتان لأتباع محمد -عليه الصلاة والسلام-:

١- القيام بواجب الدعوة.

٢- أن يكسبوا البصيرة قبل أن يشرعوا في الدعوة، والبصيرة هي العلم الذي مصدره الوحي والفقه الدقيق الذي يستفيد منه الداعية

(١) بواسطة الأجوبة السديدة (٢) لراقم هذه السطور.

الحكمة وحسن الأسلوب وكسب القلوب والتحبب إلى الناس دون تَملق ولا نفاق، والتحاب بين المسلمين عامة وبين الدعاة خاصة أمر ضروري لحياة الدعوة بل سبب لرضا الرب تعالى ودخول دار الكرامة: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم أفشو السلام بينكم**»[١].

ومما تشكوه الدعوة الإسلامية هذا اليوم النفرة وعدم الانسجام وقلة التعاون بين الجماعات الَّتِي تتصدى كل واحدة منها للدعوة إلى الله، وفي الواقع أن أكثر تلك الجماعات بحاجة ماسة إلى من يدعوهم إلى الله ويبصرهم في دينهم حتى يكونوا مؤهلين أولاً في أنفسهم للدعوة بالقضاء على التنافر فيما بينهم وتنافر مناهجهم وبرامجهم في العمل.

وهذه الجماعات أشبهها بالأحزاب السياسية المتنافسة لمصالحها الشخصية وأغراضها الذاتية، وهي ذاتُها محنة من المحن، ومشكلة من المشاكل للدعوة والدعاة معًا إذا هي بقيت على وضعها ولَم تعد النظر في سلوكها ومنهج عملها وبرامجها وأساليب دعوتِها وسياستها فخطرها على الدعوة يفوق كل خطر يهدد الدعوة من خارجها[٢]، فعلى هذه

(١) مسلم في الإيْمان، باب بيان أنه لا يدخل إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيْمان، (رقم ٥٤ ج١ ص٧٤)، وأبو داود في كتاب الأدب، باب إفشاء السلام، (رقم ٥١٩٣ ص٣٥٠)، والترمذي في كتاب الاستئذان، باب ما جاء في إفشاء السلام، (رقم ٢٦٨٨ ج٥ ص٥٢).

(٢) حقًّا يا شيخنا إنَّها باقية على وضعها الذي تعرف ولَم نسمع -مع كل أسف- شيئًا

الجماعات أن تدرس تاريخ الدعاة الأولين من الصحابة والتابعين الذين نطق بِهم القرآن، وبه نطقوا، والذين انتشر الإسلام بدعوتِهم بل عليهم أن يفهموا الدين كما فهم أولئك السادة، ويسيروا سيرتَهم وينسجوا على منوالهم مع ملاحظة المناسبة في العصر الحديث والملابسات والظروف وأحوال الناس، وإن لَم يسلكوا هذا المسلك فسوف لا يكتب للدعوة أي نجاح أو أي تقدم لأنه عمل لَم يستوف الشروط وهو عمل غير صالح... نعم ينطلي أسلوب هذه الجماعات على بعض الناس فترة من الزمن ويحسبهم صادقين في دعوتِهم لكثرة لمعان الأسلوب ولكنه لا ينطلي على الله الذي بيده النجاح والتوفيق، فعليهم أن يراقبوا الله وحده، لأنه هو الذي له الأمر كله وبيده الخير كله لا إله إلا هو ولا رب سواه وهو المستعان"[(١)]. اهـ.

ومِمَّا كتبه أخونا الفاضل الشيخ/ صالح بن سعد السحمي -حفظه الله ونور بالهدى والعلم بصيرته في قاسم مشترك بين الجماعات المعاصرة المخالفة لمنهج السلف الصالح في العقيدة ومنهج الدعوة إلى الله- قوله: "وإن المتتبع لهذه الجماعات الَّتِي ظهرت في هذا العصر وما هي عليه من مناهج يمكن أن يخرج بالنتائج التالية:

١- اتفاق الجماعات على إهمال الدعوة إلى العقيدة الصحيحة

عن تغيير منهج عملها ولا برامجها ولا أساليب دعوتِها، وإذن فالخطر قائم، والحل بيد الله ولا حول ولا قوة إلا به !.

(١) انظر كتاب: أضواء على طريق الدعوة إلى الإسلام (ص١٩٢-١٩٤) طبعة ثانية.

بدعوى أن هذا المسلك يفرق الأمة، وكأن الدعوة إلى العقيدة سبب تفرق الأمة، وذلك يخالف المنهج الذي جاء به النَّبِي ﷺ وسار عليه أصحابه من بعده وكذلك من تبعهم بإحسان.

٢- الجهل المطبق بأحكام الشرع لدى هذه الجماعات بل يصل إلى حد الجهل بأبسط قواعد الإسلام.

٣- إضفاء هالة من المدح والثناء على زعماء تلك الجماعات حتى ولو كانوا جهالاً، أو ليسوا من الراسخين في العلم.

٤- إيهام الجاهل بأنه عالم ومؤهل للدعوة إلى الله تعالى محتجين بقول النَّبِي ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**»[1] ولا شك أن الحديث صحيح وأن كل مسلم عليه واجب أن يبلغ ما علم لكن بعد أن يكون مؤهلاً لأن يكون ممن قال فيهم النَّبِي ﷺ: «**نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها**»[2]. وأما أن يتصور أحد أن مجرد الانتساب إلى الجماعات والبيعات ومباشرة طقوسها كالخروج والسياحة في الأرض وإلقاء البيانات[3] الَّتِي لا تعدو أن تكون حشوًا من القصص الخيالية والرؤى المنامية والكرامات المدعاة الَّتِي يضلون بِها العامة، ويبهرجون بِها على ضعاف الإيْمان والجهلة،

---

(١) البخاري في كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل (ج٤ ص١٣٥)، والترمذي في كتاب العلم باب من جاء في الحديث عن بني إسرائيل (رقم ٢٦٦٩ ج٥ ص٤٠).

(٢) رواه الترمذي في كتاب العلم (رقم ٢٦٥٨ ج٥ ص٣٢) وهو حديث صحيح.

(٣) كجماعة التبليغ مثلاً.

وهذا بلا شك تصور خاطئ، بل هو جهل فاضح، وزلل فادح لا يمكن أن يصدر من ذي بصيرة وعلم وعقل راجح.

٥- الخلط بين السنن والبدع، واختفاء معالم السنن لدى هذه الجماعات، بل وجود هذا التحزب والانتماء إلى الجماعات بدعة لا سابقة لها في الإسلام.

٦- استقطاب كل الفرق الَّتِي تدعي الإسلام وانضواؤها تحت لواء تلك الجماعات بدون تمييز بين سني ورافضي، وباطني وصوفي غال، فهم كحاطب ليل يجمع ما هب ودب فهو يحطب العقرب والحية مع العود والخشب، هذا غيض من فيض مما يعد قاسمًا مشتركًا بين الجماعات الحزبية"[١]. اهـ.

هذا وإن الرسالتين المتبادلتين بين الشيخ سعد بن عبد الرحمن الحصين -الذي عمل في جماعة التبليغ وقتًا طويلاً- وبين إنعام الحسن الأمير العام لجماعة التبليغ حاليًا وفتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء وعلى رأسهم سماحة الشيخ **عبد العزيز بن عبد الله بن باز**، لتعتبر من الوثائق التاريخية الَّتِي ينبغي أن يرجع إليها ويعول عليها، فقد تضمنت رسالة الشيخ سعد بن عبد الرحمن الحصين ما يأتي:

أولاً: الانزعاج الذي أصيب به الشيخ سعد حينما بلغه بواسطة نفر

---

(١) تنبيه أولي الأبصار (ص٢٥٣، ٢٥٤).

من الجماعة أن الأمير إنعام بايعهم وكثيرًا من العرب والعجم على أربع طرق صوفية هي: الجشتية والنقشبندية والقادرية والسهروردية.

ثانيًا: بيان موقف الشيخ سعد من الدعوة ونظامها حيث قال: "ونجد أنفسنا بين أمرين لا ثالث لهما:

الأول: إزالة المنكر من منهج الدعوة وخاصة ما أحدث بعد محمد إلياس وخاصة "تبليغي نصاب"(١) وعدم تعرض الدعاة من العرب والعجم لبدعة الصوفية، وتوبة الشيخ القاضي عبد القادر من شركه المتمثل في كتابه تَمائم المملوء بالطلاسم أو إبعاده عن المركز في رائي وند... غفر الله لنا وللجميع.

الثاني: أن نحاول -بعون الله وحوله وقوته- عزل الدعوة عن مركزها في القارة الهندية، وبيان ضلال الضالين من القائمين عليها والتحذير منهم ردًّا على ما فعلناه من قبل من الذب عنهم عندما كنا على جهل بالخفي من أحوالهم، ونبرأ إلى الله من كل بدعة وصاحبها.

وتضمنت رسالة الرد من أمير الجماعة ما يأتي:

١- المراوغة البعيدة عن الصدق والإنصاف حرصًا منه على ستر مخازي القيادة الَّتي تنفذ من قبل أمراء الجماعة ومعظم منسوبيها، وحرصًا كذلك على بقاء الشيخ سعد في صفوف الجماعة، ولكن لا على أساس شيء من التغيير بل على ما كان عليه قبل أن يظهر له ما كان خافيًا عليه

(١) **تبليغي نصاب معناه:** منهج التبليغ أو المقرر في منهج التبليغ.

من البدع والضلال في القيادة وصفوف الجماعة إلا ما قل منها.

٢- الاعتراف بأخذ البيعة بحجة المحافظة على الجماعة وكونها تحت إلحاح منهم ولأنه إذا لَم يبايعهم فسوف ينصرفون إلى المبتدعة والمنحرفين فيبايعونَهم ويضلون عن سواء السبيل.

٣- الاعتذار عن كتاب "تبليغي نصاب" الذي قرر على الأعاجم من الجماعة وفيه من البدع والخرافات ما لا يجوز حمله أو تقريره على أحد من الناس فضلاً على الدعاة إلى الله.

كما تضمنت فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عدم جواز التحزب وتنظيم جماعات تحت ألقاب وشعارات وأنظمة لاسيما إذا كانت مخالفة لمنهج السلف في العقيدة أو العبادة أو الأخلاق والسلوك أو في منهج الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، ولَم تستثن اللجنة إلا التنظيم الذي يتولاه ولي الأمر صاحب السلطان والنفوذ من جعل كل جماعة على عمل من واجبات الدين والدنيا بحسب الحاجات والمصالح الَّتي لا يتم شأن الحياة إلا بِها ولا يستقيم ميزانُها إلا بإقامتها.

وإذا كان الأمر كذلك فإن من الواجب على المسلمين عمومًا وعلى طلاب العلم خصوصًا أن يسدي بعضهم لبعض النصح الخالص ابتغاء مرضاة الله وخشية عقابه وإحقاقًا للحق وإحباطًا للباطل، وخروجًا من تبعة الغش والكتمان، وإن أولى الأمور بالمناصحة فيه هو ما يتعلق بدين الله الذي ضحى أسلافنا الأوائل في سبيل نصرته بالنفس والنفيس

والغالي والرخيص، ألا وإن روح الدين وقاعدته هو توحيد رب العالمين، وإن خير دعوة إليه هي دعوة سيد الأنبياء والمرسلين فمن تَمسك بِها وسار في خطها القويْم بعد الفهم الصحيح فقد هدي إلى صراط مستقيم، ومن انحرف عنها وجانب معالمها فقد أمسى وأصبح في خطر عظيم يؤذن بعقوبة عاجلة وآجلة عياذًا بالله العظيم ووجهه الكريم من عذابه الأليم.

هذا ولا يخفى على العلماء وتلامذتهم وعقلاء الأمة ما كان من الأخطاء الفاحشة والمآخذ الجليه الواضحة الَّتِي استدركها طلبة العلم على منهج جماعتي الإخوان والتبليغ وكذا على قادة الجماعتين وأمرائهم ومنظريهم أصحاب الكتب المؤلفة والتصريحات المنشورة، وقد أوردت من ذلك أمثلة منسوبة إلى المنهج تارة وإلى بعض دعاته ومنفذيه تارة أخرى لا رغبة مني في أكل لحوم القوم ولست قاصدًا الإساءة إلى الأحياء منهم ولا الأموات، ولكن ليتضح منهج الجماعتين على حقيقته لطلاب العلم، وليعلم ما في مؤلفاتِهم وتصريحاتِهم المنسوبة إليهم من الخطأ والزلل والبدع والدعوة إليها والتخطيط ليل نَهار لتنفيذها في كل مكان حتَّى في قطرنا هذا الذي عرف بعقيدته السلفية ومنهجه السلفي وتَميز بِهما علماؤه السلفيون أهل السنة والجماعة حقيقة لا إدعاءً، وقد بلغني -وأنا أدون بحثي هذا- ممن أثق به أن جماعة من طلبة العلم طلبوا منه عدم التصريح بأي بدعة أو خطأ وقع من جماعتي الإخوان والتبليغ معزوًّا إليهم أو إلى أفراد من جماعتهم مما ذكروه في كتبهم أو صرحوا به في

نشراتهم أو جعلوه منهجًا يسيرون عليه في دعوتهم إلى الله إلى يومنا هذا.

وفي نظري أن هؤلاء الطلبة ما رجعوا إلى نصوص الشرع وكتابة علماء السلف في هذه القضية وأمثالها بل عمدوا إلى استشارة العقل القاصر بحسن نية وجهل بالأمور وظانين أن بيان بدعة المبتدع الداعي إلى بدعته وبيان خطأ المخطئ المدافع عن خطئه وخطأ إمامه يفرق كلمة الأمة ويشطر صفوفها ويسبب كذا وكذا، ولا شك أن في الاستجابة لهذا المطلب ونظائره إحياءً للبدع وإماتة للسنن وغشًّا للحاضرين واللاحقين من المسلمين لاسيما شبابهم.

جاء رجل إلى الإمام أحمد بن حنبل وقال له: إنه يثقل علي أن أقول: فلان كذا وفلان كذا. فقال: إذا سكت أنت وسكت أنا فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم. وقد تقدم هذا.

يا ترى على أي شيء اعتمد إمام أهل السنة وأفتى بأنه يتعين ذكر المعين بما فيه صيانة للسنة وأهلها وإحباطًا للبدعة والدعاة إليها؟ إنه اعتمد على قول الحق: ﴿**إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ**﴾ [التوبة: من الآية٩١].

وعلى قول المعصوم ﷺ: «**الدين النصيحة، الدين النصيحة**. قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: **لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**». رواه مسلم وغيره.

وقال شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله تعالى- في بيان وجوب النصح لصالح الإسلام والمسلمين: "ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة

للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل للإمام أحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنَّما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل.

فبين أن هذا نفع عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته، ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولوا لَم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً"[١]. اهـ.

وقال في موضع آخر: "وهذه حقيقة قول من قال من السلف والأئمة: إن الدعاة إلى البدع لا تقبل شهادتُهم ولا يصلى خلفهم ولا يؤخذ عنهم العلم ولا يناكحون فهذه عقوبة لهم حتى ينتهوا، ولهذا يفرقون بين الداعية وغير الداعية؛ لأن الداعية أظهر المنكرات فاستحق العقوبة، بخلاف الكاتم فإنه ليس شرًّا من المنافقين الذين كان النَّبي ﷺ يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله مع علمه بحال كثير منهم"[٢]. اهـ.

---

(١) الفتاوى (ج٢٨ ص١٣١).

(٢) مجموع الفتاوى (ج٢٨ ص٢٠٥).

وقال -رحمه الله- في موضع آخر عند تفسير قول الله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: من الآية ٢].

قال: "فأمر بعقوبتهما وعذابهما بحضور طائفة من المؤمنين وذلك بشهادته على نفسه، أو شهادة المؤمنين عليه، لأن المعصية إذا كانت ظاهرة كانت عقوبتها ظاهرة كما جاء في الأثر: «**من أذنب سرًّا ليتب سرًّا ومن أذنب علانية فليتب علانية**». وليس من الستر الذي يحبه الله تعالى كما في الحديث: «**من ستر مسلمًا ستره الله ...**». بل إذا سُتِرَ كان ذلك إقرارًا لمنكر ظاهر، وفي الحديث: «**إن الخطيئة إذا خفيت لَم تضر إلا صاحبها، وإذا أعلنت فلم تنكر ضرت العامة**».

فإذا أعلنت عقوبتها بحسب العدل الممكن ولهذا لَم يكن للمعلن بالبدع والفجور غيبة كما روي عن الحسن وغيره لأنه لما أعلن ذلك استحق عقوبة المسلمين له، وأدنى ذلك أن يذم عليه لينْزجر ويكف الناس عنه وعن مخالفته، ولو لَم يذم ويذكر بِما فيه من الفجور والمعصية أو البدعة لاغترَّ به الناس، وربَّما حمل بعضهم على أن يرتكب ما هو عليه، ويزداد أيضًا هو جرأة وفجورًا ومعاصي فإذا ذُكر بِما فيه انكف وانكف غيره عن ذلك وصحبته ومخالطته.

قال الحسن البصري: "أترغبون عن ذكر الفاجر؟! اذكروه بما فيه كي يحذره الناس". وقد روي مرفوعًا.

والفجور: اسم جامع لكل متجاهر بمعصية أو كلام قبيح يدل

السامع على فجور قلب قائله.

ولذا كان مستحقًا للهجر إذا أعلن بدعة أو معصية أو فجورًا أو تَهتكًا أو مخالطة لمن هذا حاله بحيث لا يبالي بطعن الناس عليه فإن هجره نوع تعزير له فإذا أعلن السيئات أعلن هجره، وإذا أسر أسر هجره، إذ الهجرة هي الهجرة على السيئات وهجرة السيئات هجرة ما نَهى الله عنه كما قال تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر:٥][1]. اهـ.

وقال الشاطبي -رحمه الله -: "فإن فرقة النجاة وهم أهل السنة مأمورون بعداوة أهل البدع والتشريد بِهم والتنكيل بمن انحاش إلى جهتهم بالقتل فما دونه وقد حذر العلماء من مصاحبتهم ومجالستهم وذلك مظنة إلقاء العداوة والبغضاء، لكن الدرك فيها على من تسبب في الخروج عن الجماعة بِما أحدثه من اتباع غير سبيل المؤمنين لا على التعادي مطلقًا، كيف ونحن مأمورون بمعاداتِهم وهم مأمورون بِموالاتنا والرجوع إلى الجماعة"[2]. اهـ.

وقال ابن تيمية أيضًا في موضع آخر من الفتاوى[3] في موضوع موقف ولي الأمر من المبتدعين: "وأما سؤال السائل: هل يجب على ولي الأمر

---

(١) التفسير الكبير للإمام ابن تيمية، تحقيق الدكتور: عميره، تفسير سورة النور (ج٥ ص ٢٥٢).

(٢) الاعتصام (ج١ ص١٢٠).

(٣) (ج١٢ ص٤٦٤).

زجرهم وردعهم؟ فنعم، يجب ذلك في هؤلاء وفي كل من أظهر مقالة تخالف الكتاب والسنة فإن ذلك من المنكر الذي أمر الله بالنهي عنه، كما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: من الآية ١٠٤].

وهو من الإثم الذي قال الله فيه: ﴿لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ [المائدة:٦٣]. انتهى.

قال الشيخ بكر تعليقًا على قول الإمام هذا ما نصه: "هذا مجمل عرض تاريخي استدلالي على تثبيت هذا الأصل العقدي، ردع البدع والمخالفات والأهواء ومقارعة أهلها وكشفهم ومعرفتهم بأعيانهم، وإبطال بدعهم خوفًا من عادياتهم على أهل السنة ونصحًا لهم، بل لله ولرسوله ودينه وأئمة المسلمين وعامتهم".

وعزا إلى الشاطبي في الاعتصام بعد كلامه هذا مباشرة قوله: "وهؤلاء هم الغرباء الذين يصلون عند فساد الناس، ويصلحون ما أفسده الناس وإن تناوشتهم الفرق وناصبوهم العداء وقام عليهم من قام بالتثريب والتعنيف فلا يزالون في جهاد ونزاع لهم ومدافعة وقراع آناء الليل وأطراف النهار، وبذلك يضاعف الله لهم الأجر الجزيل ويثيبهم الثواب العظيم"(١). اهـ.

أقول: وبعد اطلاع القراء الكرام على هذه النقول في هذا الموضوع سيتضح لهم الأمر من أنه لا مانع من التنصيص على أصحاب البدع

(١) الاعتصام (ج١ ص٢٤) وعنه الرد على المخالف من أصول الإسلام (ص٤٥).

والداعين إلى بدعهم، ورد كل بدعة وإن صغرت في أعين الناس، لأن هذا أمر وارد في الشرع، فهمه سلفنا الأوائل وطبقوه في حياتهم العملية، كما رأينا ما نقل عن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل والإمام الحسن البصري والإمام ابن تيمية والإمام الشاطبي وغيرهم كثير، كما أنني ألتمس العذر للإخوة الذين يرون عدم جواز التصريح باسم صاحب البدعة والمجاهر بها والداعي إليها قبل اطلاعهم على النقول المذكورة وقبل اطلاعهم على أنواع البدع الّتي وقع فيها جماعة الإخوان وجماعة التبليغ وتضمنتها مناهج الجماعتين، ويقوم بالدفاع عنها الكبير منهم والصغير على حد سواء وبعد ذلك لا يعذرون.

علمًا أن كل جماعة تدعي أنّها هي على المنهج الحق الذي كان عليه النّبي ﷺ وأصحابه، وتدعو المسلمين إلى الانضمام إليها والتقيد بأنظمتها وأساليبها.

ومن المقطوع به عند علماء السلف: أن الحق واحد لا يتجزأ.

ومتى قال قائل -وقد قيل-: إن هذه الجماعات يكمل بعضها بعضًا.

قلنا له: ولماذا لا تتنازل كل جماعة عن الأخطاء الموجودة في منهج دعوتها حتى لا يبقى إلا الحق -والحق عليه نور- مع الجميع فتكون الجماعات جماعة واحدة ذات اسم واحد(١) ومنهج(٢) واحد وحينئذ

---

(١) أهل السنة والجماعة، أتباع سلف هذه الأمة إلى يوم القيامة.

(٢) هو منهج الأنبياء والوارثين لعلمهم من السلف الصالحين وأتباعهم، من العلم النافع والعمل الصالح إلى يوم الدين.

تتوحد الكلمة، ويتصل الصف، وينقطع الأخذ والرد ويزول الخلاف الدائم المستمر؟!.

فإن قيل: وما السبيل إلى هذا الاتفاق المحبوب الذي طالما تمنته نفوس الصالحين المصلحين؟!.

قلنا: إنه سبيل معروف وسهل ميسور، وذلك أن نجتمع فيما اتفقنا عليه، وأن نرد ما اختلفنا فيه من وسائل الدعوة وغاياتها بل وفي كل مسألة من مسائل الخلاف إلى ما أنزله الله حكمًا في كل قضية من قضايا الدين والدنيا، ألا وهو كتابه العزيز والصحيح من سنة رسول الله ﷺ ويكون ذلك بواسطة العلماء الربانيين الذين عرفوا بالتمسك بمنهج السلف الصالح، عقيدة وعبادة ومعاملة وأدبًا وسلوكًا ومنهج جهاد ودعوة، فإن هذا الصنف من الناس هم أهل الخبرة الشرعية والفهم الصحيح لدقائق الأحكام وتفاصيل مسائل العلم ولن يجتمعوا على ضلالة.

وحقًا: أنه متى طبق هذا الحل الشرعي فإنه لا يبقى محل لتعدد تلك الجماعات والمنظمات والأحزاب المختلفة في دعوتها وغايتها، بل ستكون -كما أسلفت- جماعة واحدة متفقة في وسائل المنهج وغاياته، والله المستعان وبه وحده الثقة وعليه التكلان.

* * * * *

فهارس الكتاب

١ – فهرس الجزء الأول

٢ – فهرس الجزء الثاني

٣ – فهرس الجزء الثالث

فهرس الجزء الأول

فهرس الجزء الثاني

فهرس الجزء الثالث

سلسلة الأجوبة السديدة
على الأسئلة الرشيدة

الأجوبة السديدة
على
الأسئلة الرشيدة

تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
زيد بن محمد بن هادي المدخلي



بسم الله الرحمن الرحيم

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

رقم الإيداع: ٢٠٣١٨ / ٢٠٠٣م



٨١ شارع الهدي المحمدي - متفرع من أحمد عرابي - مساكن عين شمس - القاهرة
جمهورية مصر العربية — محمول: ٠١٢٣٩٥٣٣١٧
E-Mail:DarAlmenhaj@HotMail.Com

سلسلة الأجوبة السديدة
على الأسئلة الرشيدة

(٤)

الأجوبة السديدة
على
الأسئلة الرشيدة

الجزء الرابع

تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
زيد بن محمد بن هادي المدخلي




بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الجزء الرابع من سلسلة الأجوبة السديدة على الأسئلة الرشيدة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فإن هذا الجزء يعتبر تكميلاً للجزء الثالث الذي قبله إذ كان مجموع الأسئلة تسعة، فكان الجواب في الجزء الثالث على سبعة أسئلة وأجبت في هذا الجزء على سؤالين.

بينت في الثامن منهما الأسباب الرئيسية لدخول الجنة والنجاة من النار، وهي الغايات الَّتي يسعى المهتدون لنيلها، ألا وإن أعلى نعيم الجنة رضا الله والتمتع برؤيته سبحانه.

وبينت في السؤال التاسع خلاصة البحث المتعلق بحقيقة الروح وعلاقتها بالبدن في الدنيا والبرزخ والآخرة كما سيراه القارئ مفصلاً في موضعه -إن شاء الله-.

المجيب على الأسئلة

زيد بن محمد بن هادي المدخلي

س٨: ما الأسباب الرئيسة لدخول الجنة والنجاة من النار؟

ج٨: خذ الجواب أولاً من نصوص صريحة محكمة من كتاب الله الكريم ومن مشكاة النبوة،كي تبتهج النفس، وتقر العين، ويطمئن القلب، وتنشط الجوارح "**ومن أحيل على مليء فليحتل**" ثم من تعليق مختصر على ضوء النصوص المدونة في عدة أسباب وهي كأمثلة تدل على نظائرها في هذا الموضوع الكبير الهام.

❊ فمن الآيات القرآنية:

١- قال الله تعالى: **﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** [البقرة:٢٥].

٢- وقال تعالى: **﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾** [آل عمران: ١٣٣-١٣٦].

٣- وقال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ**

الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

٤- وقال تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥].

٥- وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨].

٦- وقال -عز من قائل-: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٥-١٩].

٧- وقال -تبارك وتعالى اسمه-: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ١٧-٢٠].

٨- وقال -تبارك وتعالى-: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]. إلى آخر سورة الرحمن وغير هذه الآيات في هذا المعنى كثير.

وقد اتضح لنا من خلال قراءتها أن أعظم الأسباب لِتَبَوُّءِ منازل

الجنة والنجاة من النار هو الإيمان بكل ما يجب الإيمان به، والتقوى المتجلية في ملازمة الطاعة وهجر المعصية، وعمل الصالحات على اختلاف أنواعها موسومة بالصواب والإخلاص وصحة المعتقد.

❊ وأما من مشكاة النبوة:

١- فقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ: «أن أعرابيًّا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة. قال: **تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان**. قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئًا ولا أنقص منه. فلما ولَّى، قال النبي ﷺ: **من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**»[1].

٢- وفيهما من حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ: «أن رجلاً أتى النَّبي ﷺ، فقال: أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار. فقال القوم: ما له؟ ما له؟ فقال النَّبي ﷺ: **أَرَبٌ**[2] **ما له؟ تعبد الله ولا تشرك به شيئًا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم فذرها، كأنه كان على راحلته**» زاد في رواية: «فلما أدبر قال رسول الله ﷺ: **إن تمسك بما أمرته به دخل الجنة**»[3].

---

(١) البخاري كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة (ص٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة، (ج١ رقم ١٤ ص٤٤).

(٢) **أربٌ**: هو بفتح الهمزة والراء منونًا أي: حاجة.

(٣) البخاري في كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة (ج٢ ص٩٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الإيمان الذي يدخل به الجنة (ج١ رقم ١٣ ص٤٢، ٤٣).

٣- ما جاء من طريق الصحابي الجليل أنس بن مالك ﷺ: «أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فدنا منه حتى اختلفت عنق راحلته مع عنق راحلة رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أنبئني بعمل ينجيني من عذاب الله ويدخلني الجنة؟ فقال رسول الله ﷺ: **اعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وأقم الصلاة، وأد الزكاة، وصم رمضان، وحج واعتمر، وانظر ما تحب من الناس أن يأتوك به فافعله بهم وما تكره من الناس أن يأتوه إليك فذره عنهم**»(١).

٤- ما أخرجه النسائي بإسناد حسن من حديث الصحابي الجليل أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أقام الصلاة وآتى الزكاة ومات لا يشرك بالله شيئًا كان حقًّا على الله أن يغفر لـــه، هاجر أو مات في مولده**. فقلنا: يا رسول الله ألا نخبر بها الناس فيستبشروا بها؟ قال: **إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، أعدها الله للمجاهدين في سبيله، ولولا أن أشق على المؤمنين ولا أجد ما أحملهم عليه، ولا تطيب نفوسهم أن يتخلفوا بعدي ما قعدت خلف سرية ولوددت أني أقتل ثم أحيا ثم أقتل**»(٢).

٥- وجاء فيه عن فضالة بن عبيد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أنا زعيم** -والزعيم: الحميل- **لمن آمن بي وأسلم وهاجر، ببيت في**

---

(١) جامع الأصول (ج٩، ص٥٣٩) وله شواهد في الكتاب قبله وبعده.

(٢) أخرجه النسائي في كتاب الجهاد، باب درجة المجاهد في سبيل الله (ج٦ ص٢٠) وإسناده حسن.

ربض الجنة وببيت في وسط الجنة، وأنا زعيم لمن آمن بي وجاهد في سبيل الله، ببيت في ربض الجنة وببيت في وسط الجنة، وببيت في أعلى الجنة من فعل ذلك لَمْ يدع للخير مطلبًا ولا من الشر مهربًا، يَموت حيث شاء أن يَموت»[(١)]، إسناده حسن.

٦- وأخرجه الترمذي وغيره عن معاذ بن جبل ﷺ قال: «كنت مع رسول الله ﷺ في سفر فأصبحت يومًا قريبًا منه ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار. قال: **لقد سألتني عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت.** ثُمَّ قال: **ألا أدلك على أبواب الخير؟** قلت: بلى يا رسول الله. قال: **الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل.** ثم تلا قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: من الآية ١٦]. ثم قال: **ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟** قلت: بلى يا رسول الله، قال: **رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد.** ثم قال: **ألا أخبرك بِملاك ذلك كله ؟** قلت: بلى يا رسول الله. قال: **كف عليك هذا**، وأشار إلى لسانه. قلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بِما نتكلم به؟! قال: **ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في**

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب الجهاد، باب ما لمن أسلم وهاجر وجاهد (ج٦ ص٢١).

النار على وجوههم -أو قال: على مناخرهم- إلا حصائد ألسنتهم»(1).

٧- وأخرج البخاري -رحمه الله- بسنده من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال الله تعالى: «من عادى لي وليًّا فقد آذنته بحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ من أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بِها ورجله التي يمشي بِها وإن سألني أعطيته، وإن استعاذ بي أعذته، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته»(2).

٨- وأخرجه الترمذي عن الحارث الأشعري ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله -تبارك وتعالى- أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بِها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بِها، وإنه كاد أن يبطئ بِها فقال له عيسى: إن الله أمرك بخمس كلمات أن تعمل بِها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بِها، فإما أن تأمرهم وإما أن آمرهم فقال يحيى: أخشى إن سبقتني بِها أن يخسف بي أو أعذب، فجمع الناس في بيت المقدس فامتلأ المسجد وقعدوا على الشرف فقال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بِهن وآمركم أن تعملوا بِهن، أوَّلهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، فإن مثل من أشرك بالله شيئًا كمثل

(1) أخرجه الترمذي في كتاب الإيْمان باب ما جاء في حرمة الصلاة رقم (٢٦١٩)، وقال: حسن صحيح، وأخرجه ابن ماجه في الفتن، باب كف اللسان في الفتن رقم (٣٩٧٣).

(2) البخاري في كتاب الرقاق، باب التواضع (ج٧ ص٨٩).

رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بذهب أو ورق فقال: هذه داري وهذا عملي فاعمل وأد إلَيَّ. فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله أمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لَمْ يلتفت، وأمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك كلهم يعجب أو يعجبه ريحها، وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وأمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يديه إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال: أنا أفدي نفسي منكم بالقليل والكثير ففدى نفسه منهم، وأمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعًا حتى إذا أتى على حصن حصين أحرز نفسه منهم، وكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله. وقال رسول الله ﷺ: وأنا أمركم بخمس الله أمرني بِهن السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة، فإنه من فارق الجماعة قيْدَ شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع، ومن دعا دعوى الجاهلية فإنه من جثي جهنم. فقال رجل: يا رسول الله وإن صام وإن صلى ؟ قال: وإن صام وإن صلى، فادعوا بدعوى الله التي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله»[1].

٩- وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:

---

(١) الترمذي في كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة رقم (٢٨٦٧) وقال: حديث حسن صحيح غريب، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه.

قال الله ﷻ : «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ هم خير منهم وإن تقرب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يَمشي أتيته هرولة»(١).

١٠- وأخرج الإمام أحمد والترمذي واللفظ له عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني الليلة آت من ربي -وفي رواية: أتاني ربي- في أحسن صورة فقال لي: يا محمد قلت: لبيك وسعديك قال: هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى قلت: لا أعلم قال: فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي أو قال: في نحري فعلمت ما في السموات وما في الأرض، أو قال: ما بين المشرق والمغرب، قال: يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى قلت: نعم في الدرجات والكفارات ونقل الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في السبرات المكروهات وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ومن حافظ عليهن عاش بخير، ومات بخير وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فقل اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون، قال: والدرجات إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: من الآية٢٨] (ج٩ ص٩٧)، ومسلم في الذكر باب الحث على ذكر الله رقم (٢٦٧٥).

(٢) الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة ص رقم (٣٢٣١) وهو حديث صحيح كما أخرجه أحمد في مسنده (ج١ ص٣٦٨)، وللإمام بن رجب رسالة في هذا الحديث سماها: "اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى" وهي جديرة بالإطلاع.

وبعد فهذه أمثلة مختارة من الكتاب والسنة تحمل في مبانيها ومعانيها أسبابًا كريمة لدخول الجنة والنجاة من النار، وهي قليل من كثير سقتها هنا على سبيل المثال لا على سبيل الحصر، وقد أوجزت معنى ما دلت عليه تلك الآيات، وسأتناول الأحاديث بالشرح والبيان لأمة الإسلام والإيمان والإحسان، وذلك بحسب ما يقتضيه المقام وتدعو إليه الحاجة ويدخل تحت الوسع، فأقول:

السبب الأول
ملازمـــة الطـاعـات

أقوالها وأفعالها ظاهرها وباطنها، وحبها حبًّا منبثقًا عن حب الآمر بها والمرسل بِها، وفي مقدمتها: تجريد التوحيد لخالق العبيد وتخليصه من جميع أنواع الشرك وكافة صوره ووسائله وذرائعه، ذلك لأن التوحيد هو أعظم واجب فرضه الله على المكلفين من عالم الأرض والسماء، ونادى به بادئ ذي بدء كل رسول في أمته، ودعا إليه كل نبي أمته كما دعا إليه كل عالم رباني حكيم، وكل مجاهد صابر مخلص رحيم، ومن قرأ القصص القرآني تبين له ذلك بجلاء.

قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقد تقدم الكلام على هذا السبب الذي لا تنفع أسباب أخرى عند فقده في الجزء الثالث من هذه السلسلة بالتفصيل والتمثيل.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

السبب الثاني
هجران المعاصي عمومًا

إن هجران المعاصي من: شرك أكبر(١)، وشرك أصغر(٢)، وبدعة(٣)، وكبيرة(٤) وصغيرة يعد من أعظم الأسباب لدخول الجنة والبعد من النار، ومما ينبغي أن يعلم أن المعاصي كلها كبائرها وصغائرها باطنها وظاهرها

(١) كما أن **التوحيد** :هو إفراد الله بكل عبادة مالية أو بدنية أو هما معًا سواءً كانت ظاهرة أو باطنة، فإن **الشرك الأكبر**: هو صرف شيء من العبادات الظاهرة والباطنة لغير الله، وذلك كالدعاء والذبح والنذر والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والرغبة والرهبة والخوف والخشية والرجاء وما في حكمها مما لا يجوز صرفه لغير الله وإذا صرف شيء منه لغيره فإنه يعتبر شركاً بالله.

(٢) **والشرك الأصغر**: هو يسير الرياء والتصنع بالعبادة من أجل مشاهدة الخلق، وكذا الحلف بغير الله كالحلف بالأمانة أو الآباء أو الأمهات أو الكعبة أو الجاه أو الشرف إلخ، وكقولهم ما شاء الله وشاء فلان، ولولا الله وفلان لوقع كذا وكذا ونحو ذلك مما يعتبر شركاً أصغر لا يخرج عن الملة، علماً أن هذه الأمور قد تكون شركاً أكبر بحسب قصد قائلها واعتقاده.

(٣) **البدعة**: هي إحداث في الدين ما لَمْ يشرعه الله، وهي تكون بمكفر وبمفسق بحسب الإحداث المذكور.

(٤) **الكبيرة**: اختلف علماء الشرع في حدها ولعل ما قاله ابن عباس أرجحها حيث قال: "هي كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب" وهي بهذا التعريف العام لا تنحصر في السبع أو التسع الوارد ذكرها في الحديث.

طارئة على الطاعة لله، والطاعة أصيلة في المكلفين من الخلق كما قال تعالى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [الروم: ٣٠].

قال الإمام بن كثير -رحمه الله- في هذه الآية ما نصه: "يقول تعالى فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم التي هداك الله لها وكملها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره". إلى أن قال وفي الحديث: «**إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم**» وسنذكر في الأحاديث أن الله تعالى فطر خلقه على الإسلام ثم طرأ على بعضهم الأديان الفاسدة كاليهودية أو النصرانية أو المجوسية وقوله: ﴿**لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ**﴾ [الروم: من الآية٣٠].

قال بعضهم: معناه لا تبدلوا خلق الله فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها، فيكون خبرًا بمعنى الطلب كقوله: ﴿**وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا**﴾ [آل عمران: من الآية٩٧]. وهذا معنى صحيح.

وقال آخرون: هو خبر على بابه ومعناه أنه تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة، لا يولد أحد إلا على ذلك ولا تفاوت بين الناس في ذلك" ثم أورد -رحمه الله- حديث: «**ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يُمجسانه، كما تنتج البهيمة بَهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء، ثُمَّ يقول: فطرة الله التي فطر الناس**

عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم»(١).

وقال تعالى: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ**﴾ [البقرة: من الآية٢١٣].

قال ابن عباس ﷺ: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام»(٢).

وفي البخاري عنه -ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد: أما "ود" فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما "سواع" فكانت لهذيل، وأما "يغوث" فكانت لمراد ثم لبني غطيف في الجوف عند سبأ وأما "يعوق" فكانت لهمدان، وأما "نسر" فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت".

قلت: لقد لحظ ابن القيم -رحمه الله- حديث: «**إني خلقت عبادي حنفاء...**» الحديث. وقول ابن عباس هذا الذي يعتبر تفسيرًا للآيات من

(١) أخرجه البخاري في القدر باب الله أعلم بما كانوا عاملين (ج٨ ص٧٥)، ومسلم في القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (ج٤ رقم ٢٦٥٨ ص٢٠٤٧).

(٢) انظر ابن كثير (ج٦ ص٣٢٠) طبعة الشعب.

سورة نوح فقال: "وقد تلاعب الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام بكل قوم على قدر عقولهم، فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى الذين صوروا كما في قوم نوح، وهذا السبب هو الغالب على عوام المشركين، وأما خواصهم فاتخذوا الأصنام على صور الكواكب المؤثرة في العالم بزعمهم، وجعلوا لهم بيوتًا وسدنة وحجابًا وقربانًا، ولم يزل هذا في الدنيا قديْمًا وحديثًا، وأصل هذا المذهب من مشركي الصابئة، وهم قوم إبراهيم عليه السلام الذين ناظرهم في بطلان الشرك، وكسر حجتهم بعلمه، وآلهتهم بيده فطلبوا تحريقه"[١].

وطائفة أخرى اتخذت القمر صنمًا، وزعموا أنه يستحق العبادة وإليه تدبير هذا العالم السفلي، وطائفة تعبد النار، وهم المجوس، وطائفة تعبد الماء، وطائفة تعبد الحيوانات، فطائفة عبدت الخيل، وطائفة عبدت البقر، وطائفة عبدت البشر الأحياء والأموات، وطائفة تعبد الجن، وطائفة تعبد الشجر، وطائفة تعبد الملائكة"[٢]. ا.هـ.

قلت: وفي معنى آية الروم الآنفة الذكر جاءت الآية الكريمة في سورة الأعراف، أعني قول الله -تبارك وتعالى-: **﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا**

---

(١) المصدر السابق (ج١ ص٣٦٥).

(٢) انظر إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان (ج٢ ص٢٢٢ وما بعدها).

أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٢، ١٧٣].

قال ابن عباس في معنى الآيتين ما خلاصته: «يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربَّهم، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه» إلى أن قال ناقلاً رواية الضحاك بن مزاحم قال: «حدثني ابن عباس أن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه لا يشركوا به شيئًا، وتكفل لهم بالأرزاق ثم أعادهم في صلبه، فلن تقوم الساعة حتَّى يولد من أعطى الميثاق يومئذ، فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الأول، ومن أدرك الميثاق الآخر ولَم يف به لَمْ ينفعه الميثاق الأول، ومن مات صغيرًا قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول على الفطرة» ثم ذكر ابن كثير أحاديث وآثارًا في معنى استخراج ذرية آدم من صلبه وإشهادهم على أنفسهم منها ؛ما أخرجه الترمذي بسنده عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصًا[1] من نور، ثم عرضهم على آدم فقال: أي رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه فقال: أي**

(١) **الوبيص:** البريق.

رب من هذا؟ قال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال لـــه داود قال: رب وكم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة قال: أي رب زده من عمري أربعين سنة، فلما انقضى عمر آدم جاء ملك الموت قال: أو لَمْ يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أو لَمْ تعطها ابنك داود؟ قال: فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته»[1]. وذكر أحاديث صحيحة[2] وآثارًا أخرى تدل على المعنى المذكور قريبًا، ثم عقب عليها بقوله: فهذه الأحاديث دالة على أن الله ﷻ استخرج ذرية آدم من صلبه وميز بين أهل الجنة وأهل النار، وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربُّهم فما هو إلا في حديث كلثوم بن جبر المروي في المستدرك عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الله أخذ الميثاق من ظهر

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب (٨) ومن سورة الأعراف (ج٥ رقم ٣٠٧٦)، والحاكم في المستدرك (ج٢ ص٥٨٦) وسنده صحيح.

(٢) منها ما رواه عبد الرحمن بن قتادة النصري عن أبيه عن هشام بن حكيم أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال :يا رسول الله أتبدأ الأعمال أم قد قضي القضاء ؟ قال :فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد أخذ ذرية آدم من ظهورهم ثم أشهدهم على أنفسهم، ثُمَّ أفاض بهم في كفيه ثم قال: هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار، فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار». وقد أطال الكلام على سند هذا الحديث الشيخ محمود بن محمد شاكر وقال في النهاية: "فمعنى الحديث صحيح مروي عن جماعة من الصحابة بأسانيد ليس فيها هذا الاضطراب" تفسير ابن جرير (ج١٣ ص ٢٤٨).

آدم عليه السلام بنعمان -يعني: عرفة- **فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه، ثم كلمهم قبلاً قال: ألست بربكم. قالوا: بلى شهدنا، أن يقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين أو يقولوا: إلى قوله: المبطلون»**[١] وكذا حديث عبد الله بن عمر -وقد بينا أنّهما موقوفان لا مرفوعان كما تقدم، ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف، إن المراد بِهذا الإشهاد هو فطرهم على التوحيد"[٢] ا.هـ.

فهذه الأدلة التي سقتها هنا إنّما هي لبيان أن الطاعة لله أصيلة في بني آدم وأن المعصية طارئة عليها كما رأيت، والله أعلم.

أعود إلى صلب الموضوع وهو أن هجران المعاصي التي سبق التنويه عن أنواعها على سبيل الإجمال ليعتبر من أقوى الأسباب وأنفعها في دخول الجنة والنجاة من النار، وذلك لما في ذلك من إرضاء الرب أولاً وتطهير النفس التي لا تطهر حقًّا إلا بفعل الطاعة،وترك المعصية، فإن لَمْ تطهر بذلك في دار العمل فليس أمامها إلا نار جهنم إلا أن يشاء ربك فيعفو ويرحم، وذلك وفق شرعه المحكم، وتقديره وجزائه المبرم، هذا وكم من نص كريم من كتاب ربنا -جل وعلا- وسنة نبينا -عليه الصلاة والسلام- قد أتى يحذر وينذر من اقتراف السيئات، واكتساب

---

(١) أورده الهيثمي في المجمع معزواً إلى الإمام أحمد وقال: رجاله الصحيح انظر (ج٧ ص ١٩٢).

(٢) انظر ابن كثير (ج٣ ص٥٠٠ - ٥٠٦) طبعة الشعب.

المعاصي، بل ويحمل في مبناه ومعناه الوعيد الشديد والعقوبة العاجلة والآجلة لمن مردوا على المعصية بدون خوف من الله ولا مبالاة بسخطه ومقته، ولا رحمة للنفس التي يجب أن ترحم وتعتق بفعل طاعة الله، وطاعة رسله، وترك معصيته، ومعصية رسله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣].

فقد نَهى الله في هذه الآية عن خمس خطايا عظام لما لمقترفيها من العقوبات العاجلة والآجلة:

أولاها: الفواحش ما ظهر منها وما بطن أي القبائح عمومًا التي تفعل في العلن وفي السر.

وثانيها: الإثم وهو اسم عام لكل خطيئة متعلقة بالفاعل نفسه سواءً كانت قولية أو فعلية.

وثالثها: البغي وهو التعدي على الغير وضرره على النفس وعلى الغير.

ورابعها: الشرك بالله الذي هو أعظم الذنوب وأخطرها على المكلف كما سبق الكلام عليه قريبًا.

وخامسها: القول على الله بغير علم، والمراد الافتراء على الله كذبًا سواءً بنسبة الولد إليه، أو بجعل شريك معه، أو بنسبة أمر إليه لَمْ يأمر به، أو نَهي لَمْ ينه عنه، أو حكم لَمْ يشرعه، أو قول لَمْ يقله، كل ذلك

ونحوه من القول على الله بغير علم وقال تعالى: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠) وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣١) وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً (٣٢) وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٣) وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً (٣٤) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٣٥) وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً (٣٦) وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾ [الإسراء: ٢٩-٣٧].

حيث اشتملت هذه الآيات على النهي عن خطايا عظام:

الأولى: النهي عن التقتير في النفقة الواجبة، سواء التقتير على النفس أو على الغير.

الثانية: النهي عن التبذير وهو: تجاوز الحد في النفقات والتصرفات المالية؛ لأن ذلك يسبب عدم محبة الله لفاعله كما يسبب العيلة ولوم نفسه له لتسببه في إهلاك المال، وعدم الحكمة في النفقة فتعرض لسؤال الناس أعطوه أو منعوه.

الثالثة: النهي عن قتل الأولاد -كما هو صنيع الجاهلية- خشية الفاقة والفقر.

الرابعة: التحذير من جريمة الزنى لعظم قبحه وخطره على الأمة عاجلاً وآجلاً.

الخامسة: تحريم قتل النفس -إلا بالحق- وكم فيها من وعيد شديد وعذاب غليظ.

السادسة: النهي عن الإسراف في كل شيء ومن جملة ذلك القصاص عند التمكن من المعتدي.

السابعة: التحذير من الاعتداء على مال اليتيم؛ لما لأموال الغير من الحرمة لاسيما أموال من لا يستطيعون الدفاع عن أموالهم ولا يحسنون التصرف فيها.

الثامنة: النهي عن اللغو عمومًا وهو الباطل، وبالأخص القول على الله بلا علم وشهادة الزور والوقوع في الأعراض المصانة بالصيانة الشرعية.

التاسعة: التحذير من الخيلاء والكبر فليس ذلك لابن آدم ولا لغيره من مخلوقات الله القائل: «**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدًا منهما ألقيته في النار**»[١].

---

(١) مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الكبر (ج٤ رقم ٢٦٢٠ ص١٠٢٣)، وأبو داود في كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر (ج٤ رقم ٤٠٩٠ ص٥٩).

ومن تأمل قصص القرآن الكريم، وجد الكثير الكثير من ذكر العقوبات العاجلة التي نزلت بالعصاة ومزقتهم كل ممزق، ودمرتْهم أعظم تدمير، قال -تبارك وتعالى-: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٣٨-٤٠].

وجاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات، الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات»[(١)].

وفي المسند من حديث جابر بن عبد الله: «اجتنبوا الكبائر وسددوا وأبشروا»[(٢)].

وفي المستدرك عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله تعالى عنها، فمن ألم بشيء منها فليستتر بستر

---

(١) البخاري في كتاب المحاربين، باب ومن المحصنات (ج٨ ص٤٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر رقم (٩).

(٢) المسند (ج٣ ص٣٩٤) وإسناده صحيح.

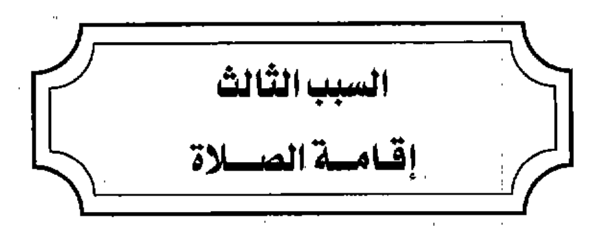
الله وليتب إلى الله، فإنه من يُبدِلنا صفحته نقم عليه كتاب الله»[١].

هذه أمثلة وكم لها من نظائر في الكتاب العزيز والسنة الصحيحة، وإنما سقتها هنا لنعلم على وجه اليقين أن هجران السيئات التي أرشد الشرع الكريم إلى هجرانِها واتقائها من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة سبب للفوز بالجنة والنجاة من النار.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) المستدرك (ج٤ ص٢٤٤، ٣٨٣) وإسناده صحيح.



السبب الثالث
إقامة الصلاة

لما تحمل كلمة الإقامة من معنى شامل كامل لمفتاحها:

أولاً: وللمحافظة على فعلها في أوقاتها، وعلى الهيئة التي علمها النبي الكريم ﷺ أمته وقال: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**».

ثانيًا: ولي كتابة مطولة تتعلق بهذا السبب في ضمن سلسلة بحوث إسلامية في كتابي "الأفنان الندية"[١]، لا يقل عن سبع وستين صفحة وأربعمائة من القطع الوسط، فأنصح بالرجوع إليه إذ لا أرى جدوى من نقله هنا لوجود الكتاب مطبوعًا متداولاً.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) انظر الأفنان الندية (ج٢ ص٢٠٧-٤٣٧، ج٢ من ص٥-٢٤٢).

السبب الرابع
إيتاء الزكاة

وهذا السبب ركن عظيم من أركان الإسلام، ودعامة كبرى من دعائمه العظام،وله من المكانة والفضل في شريعة الإسلام ما لا يخفى على ذوي العلم والبصيرة من الأنام، لقد أتت فرضية هذا الركن في محكم القرآن، وأتت تفاصيله مقررة في صحيح السنة في غاية البيان والإتقان، وهو في النقدين، وفي بَهيمة الأنعام، وفي الخارج من الأرض،وفي عروض التجارة على صفات وكيفيات لا تخفى على العلماء الربانيين، وولاة أمور المسلمين الذين نبذوا حكم الجاهلية الظالم الجائر، وحكموا بصحيح السنة ومحكم القرآن، ولقد رغّب الشرع في القيام بِهذا الركن أيَّما ترغيب، ورهب من التقصير فيه أيَّما ترهيب، وإذًا فلا غرابة أن يكون سببًا متينًا من أسباب الفوز بالجنة والنجاة من النار، ولي فيه كتابة مطولة ضمن بحوث إسلامية أودعتها كتابي[1] الآنف الذكر تبلغ صفحاتُها تسعين صفحة من القطع المتوسطة فأنصح بالرجوع إليه أيضًا.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) انظر الجزء الثالث من الأفنان الندية (ص٧ – ٩٨).

السبب الخامس
من أسباب دخول الجنة والنجاة من النار

صوم شهر رمضان، وهذا السبب ركن عظيم من أركان الإسلام ثبتت فرضيته بالكتاب والسنة والإجماع، وله من الفضائل والفوائد ما لا يدخل تحت الحصر في هذا البحث المختصر، وهذه بعض فضائله:

أ- تفتح أبواب الجنة، وتغلق أبواب النيران، وتصفد مردة الشياطين لدخوله كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين**»(١).

ب- تفتح أبواب الرحمة كما في الرواية الأخرى لأبي هريرة: «**إذا كان رمضان فتحت أبواب الرحمة، وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين**»(٢).

ت- مغفرة الذنوب لكل من صامه إيْمانا واحتسابًا من المسلمين،

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان (ج٢ ص٢٣) ومسلم في كتاب الصوم، باب فضل شهر رمضان (ج٢ رقم ١٠٧٩ ص٧٥٨).

(٢) هذه رواية مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في قيام رمضان (ج ٢ رقم ١٠٧٩).

لما جاء في الصحيحين أيضًا من حديث أبي هريرة ﷺ عن النَّبي ﷺ قال: **«من صام رمضان إيْمانا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيْمانا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»**[(١)].

ث- عتق رقاب الصائمين من المسلمين والمسلمات من النار، وإنزال السكينة في قلوبِهم بسبب دعوة الخير ونداءات الهدى من لدن عباد الله ناصحين، يمتثلون أمر الله رب العالمين، لما في سنن الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادى مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة»**[(٢)].

ج- خلوف[(٣)] فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك كما جاء

---

(١) البخاري في كتاب التراويح باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر (ج٢ ص٤٠)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان (ج٢ رقم ٧٦٠ ص٥٢٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (ج٤ ص٣١١، و ج٥ ص٤١١)، والترمذي في كتاب الصيام باب ما جاء في فضل رمضان (رقم ٦٨٢ ص٦٦)، وابن ماجه في كتاب الصيام باب ما جاء في فضل شهر رمضان (ج١ رقم ١٤٦٢ ص٥٢٦)، والحاكم في المستدرك (ج١ ص٤٢١) ورجاله ثقات إلا أبا بكر بن عياش قيل إنه لما كبر ساء حفظه ولكن له شاهد من حديث عطاء بن السائب عن عرفجة عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

(٣) خلوف فم الصائم تغير رائحته لتأخير الطعام عنه.

في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**الصيام جنة فإذا كان أحدكم صائمًا فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم، وقال: والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وإنَّما يذر شهوته وطعامه وشرابه من أجلي فالصيام لي وأنا أجزي به، كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به**»(١).

ح- تكريمهم بباب من أبواب الجنة يختصون به دون غيرهم من أهل الجنة إذا شربوا منه لا يظمأون أبدًا جاء ذلك في حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن في الجنة بابًا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد**»(٢).

خ- أن ثواب الصوم لا يعد ولا يحصى لكونه سرًّا عظيمًا بين العبد وبين ربه ولكونه تربية للنفس يختلف عن غيره من العبادات.

د- الفرح والسرور الذين يتمتع بِهما الصائم عند فطره وعند لقاء ربه.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ، باب جامع الصيام (ج١ ص٣٠)، والبخاري في الصوم، باب فضل الصوم (ج٣ ص٢٢)، ومسلم في كتاب الصيام باب فضل الصوم (ج٢ رقم ١١٥١ ص٨٠٦، ٨٠٧).

(٢) أخرجه البخاري في الصوم باب الريان للصائمين (ج٣ ص٢٣)، ومسلم في الصوم باب فضل الصوم (ج٢ رقم ١١٥١ص٨٠٨).

ذ- جُنَّة من النار لما كان له من التأثير على قوة الشهوة الذي ينتج عنه الوقاية من النار يوم القيامة، أتى ذلك كله مبينًا فيما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل عمل ابن آدم يضاعف له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع طعامه وشهوته من أجلي، للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك**»[1].

ولعظم شأن الصوم وكثرة فضائله وثمراته،فقد أتى الوعيد الشديد لمن يتركه أو يخون الأمانة فيه بالتحايل لإسقاطه بالمرض المدعى والأسفار المتعمدة العارية عن الحاجة، أو اللهث الدائم وراء جمع الأموال ليصبح عبدًا لها فيستحق الدعاء النبوي: «**تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار، تعس عبد الخميلة، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش**». وقد جاء في سنن أبي داود والترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من أفطر يومًا من رمضان من غير رخصة ولا مرض لَمْ يقضه صوم الدهر وإن صامه**»[2] هذا لفظ الترمذي، أما أبو داود فليس فيه ذكر "المرض" ولا ذكر "وإن صامه" وقال البخاري تعليقًا: ويذكر عن أبي هريرة رفعه:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب فضل الصوم (ج٣ ص٣٤)، ومسلم في كتاب الصوم، باب فضل الصيام (ج٢ رقم ١١٥١ ص٨٠٧).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الصيام رقم (٧٢٣) وقال فيه: لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وسمعت محمداً يعني البخاري يقول: أبو المطوس اسمه يزيد بن المطوس ولا أعرف له غير هذا الحديث.

«**من أفطر يومًا من رمضان من غير علة ولا مرض لَمْ يقضه صيام الدهر وإن صامه**»[1].

وعليه فإنه يجب على المسلمين والمسلمات أن يحتسبوا صيام هذا الشهر الكريم وقيامه لما فيهما من الأجر العظيم والخير الكثير، وليحذروا أسباب خرقه التي ينتج عنها حرمان الأجر أو نقصه وذلك بالغيبة والنميمة والكذب والتعدي على أعراض المسلمين أو أموالهم أو دمائهم كل أولئك خارقات للصوم فليحذرها الصائمون والصائمات،إن كانوا من أهل الإيْمان والاحتساب، ومن أهل الاستجابة لله ولرسوله، هذا وكم للصوم من آداب يجب أن تراعى وتلزم من أشهرها:

● ملازمة ذكر الله تعالى وفي مقدمته قراءة القرآن الذي هو خير ما نطق به اللسان، وتغنى به الأوابون في كل زمان ومكان، وحبب إلى قلوب الصالحين من أهل الإيْمان والإحسان، ومن فاته فعليه بكثرة التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والتوبة والاستغفار، فهن الباقيات الصالحات فيها الأجور المضاعفة والدرجات الرفيعة في جنة عالية والعتق من النار.

● ومنها: لزوم الصمت عن لغو القول وحبس الجوارح عن الوقوع في السوء والمنكر.

---

(١) وقال البخاري تعليقًا: ويذكر عن أبي هريرة رفعه «**من أفطر يوماً من رمضان من غير علة ولا مرض لَمْ يقضه صيام الدهر وإن صامه**» وبه قال: ابن مسعود. انظر الفتح (ج٣ ص١٦١) من كتاب الصوم باب إذا جامع من رمضان.

• ومنها: الصبر والتحمل على كل مشكلة تواجه الصائم أثناء صومه عملاً بوصية النبي ﷺ للصائم حيث قال: «**فإذا كان أحدكم صائمًا فلا يرفث ولا يجهل فإن امرؤ قاتله، أو شاتمه فليقل إني صائم**» الحديث سبق تخريجه قريبًا وهو في الصحيحين.

• ومنها إحياء سنة الاعتكاف لاسيما في العشر الأواخر منه،كما كان رسول الله ﷺ يفعل حتى توفاه الله واعتكف أزواجه من بعده.

• ومنها الإكثار من الإحسان بالصدقات لما فيه من الفضل العظيم والأجر الكبير.

• ومنها المحافظة على صلاة التراويح مع الجماعة لتبقى هذه السنة الكريمة حية ما دامت الحياة، وغير ذلك من الآداب الكريمة في هذا الشهر الكريم كثير.

* * * * *

السبب السادس

من أسباب دخول الجنة والنجاة من النار حج بيت الله الحرام، وذلك لأن الحج ركن عظيم من أركان الإسلام ثبتت فرضيته بالكتاب والسنة والإجماع على المستطيع.

أما الكتاب فقد قال الله -تبارك وتعالى-: **﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾** [آل عمران: من الآية٩٧].

وأما السنة فقد ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله فقال: «**أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا**. فقال رجل: أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثًا فقال رسول الله ﷺ: **لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم**. ثم قال: **ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه**»[1].

وأما الإجماع فقد أجمع أهل العلم قاطبة على فرضيته، وأنه ركن عظيم من أركان الإسلام، هذا وكم فيه من منافع وفضائل سأذكر

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحج باب فرض الحج مرة في العمر (ج٢ رقم ١٣٣٧ ص ٩٧٥).

بعضها فيما يلي:

١- التقاء المسلمين في مشاعره المقدسة، فيستفيد بعضهم من بعض علمًا وخلقًا وأدبًا، إذ الناس قسمان عالم وجاهل وقد جعل الله كل قسم فتنة للآخر كما قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا**﴾ [الفرقان: الآية٢٠].

٢- التقاء العلماء والأدباء الوافدون من أقاليم مختلفة إلى بيت الله العتيق فيستفيدون بعضهم من بعض أيضًا لاسيما علماء الشريعة منهم فإنَّهم يناقشون المسائل التي كثر الخلاف فيها واحتدم النـــزاع بين أهل العلم فيها قديْمًا وحديثًا.

٣- اجتماع أهل الحل والعقد من علماء المسلمين وعقلائهم في هذا المؤتمر السنوي الكبير الذي يأتي إليه الناس طوعًا لا كرهًا، فيبحثوا أوضاع العالم الإسلامي في شتى بقاع الأرض ليصلوا إلى ما يصلح شئونَهم ويرعى حقوقهم، ويضمن لهم بعد الله حياة مباركة طيبة.

٤- ما يحصل لحجاج بيت الله من الدروس والعظات التي تكون سببًا في تزكية نفوسهم وتوبتهم من ذنوبهم، واستيقاظهم بعد غفلتهم، فيرجعوا وقد ازداد إيْمانُهم، ومحيت خطاياهم، وغيروا ما بأنفسهم من سيئ إلى حسن، ومن حسن إلى أحسن. ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: الآية١١].

٥- اتفاق علماء المسلمين على توجيه النصائح الغالية لولاة أمور

المسلمين في بلاد العرب والعجم أن يحكموا بشرع الله الكريم المستمد من كتاب الله وسنة المصطفى ﷺ، في القليل والكثير والحقير والجليل، وأن ينبذوا كل قانون وضعي -جاهلي- الذي يصدق عليه قول الحق -تبارك وتعالى-: ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: الآية٣٩].

وعلى العلماء أن يذكروا أولئك الولاة بأن الله إنَّما أنزل كتابه الكريم وأرسل رسوله الأمين إلا للعمل بِما في الكتاب، وبِما أتى به ذلكم الرسول من سنة تفسر الكتاب وتبينه، ولا مسوغ للخروج عن أحكام الشرع في أي زمان أو أي مكان، ومن رأى جواز الخروج عن أحكام شرع الله في العقيدة أو الشريعة والنظام، يحكم بكفره ولا يصلح أن يكون من ولاة أمور المسلمين لأن الله لَمْ يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً.

٦- اجتماع أولي الأمر من علماء وأمراء على إعداد العدة لكل عدو للإسلام والمسلمين من شأنه الصد عن سبيل الله، والسعي لاستباحة بيضة المسلمين، والعبث بمقدراتِهم ونشر الفوضى والفساد في أراضيهم.

٧- كسب أصدقاء أوفياء، وعلماء ربانيين أتقياء، ومعرفة أماكنهم للاستفادة من علمهم وحكمهم ونصحهم، كلما يبدو لك أمر أو تنـزل بك مشكلة تتصل بأي وسيلة من وسائل المواصلات، وما أسرعها في هذا الزمان فتحل المشكلة أو تقضى الحاجة، وليكونوا لك -أيها المسلم- أحبة فلعلك أن تحشر في زمرتِهم مع الحبيب الأعظم والنَّبِي الأكرم مُحمَّد ﷺ.

السبب السابع

من أسباب دخول الجنة والنجاة من النار، أداء العمرة في العمر مرة واحدة كالحج وذلك عند الاستطاعة، ذلك أن العمرة واجبة على القول الراجح عند كثير من أهل العلم بدليل ما رواه أحمد وابن ماجه بسنديهما من حديث عائشة -رضي الله عنها- أنَّها قالت: يا رسول الله هل على النساء من جهاد قال: «**نعم عليهن جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة**»[١].

وما رواه الخمسة عن أبي رزين العقلي أنه أتى النبي ﷺ فقال: إنّ أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج والعمرة ولا الظعن فقال: «**حج عن أبيك واعتمر**»[٢].

وما جاء عن عمر في حديث جبريل المشهور في جوابه ﷺ لجبريل حين سأله عن الإسلام قال ﷺ: «**الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن**

---

(١) أحمد في المسند (ج٦ ص١١) وابن ماجه في منسك الحج (ج٢ رقم ٢٩٠١) وسنده صحيح.

(٢) أحمد في المسند (ج٤ ص١٠، ١١)، أبو داود في كتاب الحج باب الرجل يحج عن غيره (ج٢ رقم ١٨١٠)، والترمذي في الحج باب ما جاء في الحج عن الشيخ الكبير والميت (ج٣ رقم ٩٣٠)، وسنده صحيح في الحج باب وجوب العمرة (ج٥ ص١١١)، وابن ماجه في كتاب الحج، رقم (٢٩٠٦)، والنسائي كما رواه ابن حبان والحاكم.

محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتعتمر»[1]، ففي هذه النصوص الثلاثة دلالة على وجوب العمرة على المسلم المكلف المستطيع في العمر مرة واحدة كالحج وفيها من الأجر ما دل عليه قوله ﷺ في حديث طويل: «**والعمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما**»[2].

لاسيما إذا كانت في شهر رمضان فإن فضلها أعظم وأجرها أكثر بدليل قول النَّبي ﷺ: «**فإن عمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي**»[3]، أي في الثواب.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في الحج (ج٤ رقم ٣٠٦٥ ص٢٥٦)، والدار قطني في كتاب الحج (ج٢ رقم ٢٠٧ ص٢٨٢)، وسنده صحيح.

(٢) البخاري في كتاب الحج باب وجوب العمرة وفضلها (ج٣ ص٣)، ومسلم كتاب الحج باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة (ج٢ رقم ١٣٤٩).

(٣) هذه رواية البخاري في أبواب العمرة باب حج النساء (ج٣ ص١٧).

السبب الثامن

التطبيق العملي لأركان الإيْمان وركن الإحسان،ذلك لأن مراتب الدين الإسلامي ثلاث، إسلام وإيْمان وإحسان، وكل مرتبة لها أركان، فأركان الإسلام خمسة وقد سبقت الإشارة إلى معنى كل ركن منها، وأركان الإيْمان ستة.

الأول: الإيْمان بالله المقتضي للتصديق بوجوده، والإقرار بربوبيته، والاعتراف والعمل بألوهيته، والتصديق الجازم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وتطبيق ذلك تطبيقًا عمليًّا في واقع الحياة كما أراد الله وشرع رسول الله ﷺ حيث قال تعالى وقوله الحق: ﴿**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾ [الأنعام:١٠٢].

وقال عز من قائل: ﴿**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقال تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: الآية١١].

الثاني: الإيْمان بملائكته، ومعناه التصديق بوجودهم حقيقة، وأنَّهم من مخلوقات الله العظيمة خلقهم ربُّهم من نور وجبلهم على طاعته، فلا سبيل لهم إلى معصيته، وأسند إليهم أعمالاً هامة لا يقوم بها سواهم.

الثالث: الإيْمان بكتب الله المنَزلة وأن الله أنزلها على رسله وحيًا

ليبلغوها إلى أهل الأرض لئلا تكون لهم حجة على الله.

الرابع: الإيْمان بالرسل الذين أرسلهم الله رحمة للعالمين مبشرين ومنذرين، أولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ، وكل منهم قد قام بالبلاغ المبين خير قيام،وجاهد في الله حق الجهاد امتثالاً لأمر الله ونصحًا للمكلفين من خلقه، فمن استجاب لهم من أممهم واهتدى بِهديهم فقد سعد وفاز فوزًا عظيمًا، ومن جحد رسالاتِهم ورد دعوتَهم وكذب بِها فقد ضل ضلالاً مبينًا.

الخامس: الإيْمان بالقدر، وهو الاعتقاد الجازم أن جميع الكائنات في عالم السماء والأرض وما بينهما كلياتِها وجزئياتِها ناطقها وصامتها متحركها وساكنها قد قدرها الله وأحاط بِها علمًا في القدم، وستقع في أوقاتِها وأماكنها المحدودة، وعلى صفاتِها المخصوصة، حسب ما قدر لها في الأزل، وأدلة هذا الركن من الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة قائمة محكمة لا ينكرها إلا كافر ولا يئولها بغير تأويلها الحق، إلا جاهل أو متجاهل.

السادس: الإيْمان باليوم الآخر، وهو يوم القيامة الذي يبعث الله فيه الخلق أجمعين الأولين منهم والآخرين للجزاء على أعمالهم، فمن وجد خيرًا فبفضل الله ورحمته ثم بسبب كسبه، ومن وجد غير ذلك فبحكمة الله وعدله ثم بسبب ما اكتسب من الإثم واجترح من السيئات ولا يظلم ربك أحدًا، وهذا الركن العظيم حق ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

أما في الكتاب: فقد قال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِما عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:٧]. وغيرها كثير.

وأما السنة: فقد جاء في صحيح البخاري وغيره من حديث ابن عباس ﷺ قال: خطب النبي ﷺ فقال: «**إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً** ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الانبياء: الآية١٠٤]، **ثُمَّ إن أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم إلا إنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول يا رب أصحابي فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول كما قال العبد الصالح:** ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿شَهِيدٌ﴾ **فيقال: إن هؤلاء لَمْ يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم**»[١].

وأما الإجماع: فقد أجمع المسلمون بل وأهل الكتابين على وقوعه وأن الخلائق يصيرون إلى فريقين، فريق في الجنة وفريق في السعير.

وأما الإحسان: وهو المرتبة الثالثة من أركان دين الإسلام فهو أعظم سبب لدخول الجنة والنجاة من النار، وقد تولى تفسيره نبينا محمد ﷺ بقوله: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لَمْ تكن تراه فإنه يراك**»، وقد تضمن هذا التفسير النبوي مرتبتين إحداهما أرفع من الأخرى:

---

(١) البخاري في كتاب الأنبياء، باب ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ (ج٤ ص١١١)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة.

المرتبة الأولى: أن يقوم العبد في عبادة ربه وهو مستحضر قربه وأنه بين يديه كأنه يشاهده فيظل ذا خشية عظيمة، وخوف شديد وهيبة من ذي الجلال والإكرام، وما ظنك بعبد يبوءه الله هذا المقام.

المرتبة الثانية: أن يقوم العبد في عبادة ربه وهو خاشع وخاضع ومستشعر أن الله يراه ويراقبه فيعظم استحياؤه من ربه أن يفقده حيث أمره أو يراه حيث نَهاه، وأهل هاتين المرتبتين درجات بعضهم أكمل من بعض: ﴿**وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً**﴾ [الاسراء: الآية٢١].

ويكفي أهل الإحسان شرفًا وفضلاً أن الله يحبهم ومن أحبه الله كان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بِها، ورجله التي يَمشي بِها،وأعطاه ما يحب، وجنبه ما يكره [1]. قال الله تعالى: ﴿**وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [البقرة: من الآية١٩٥].

كما يكفيهم كرامة ونبلاً أن الله معهم بنصره وهدايته وتوفيقه لهم في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

---

(١) هذا شطر من معنى الحديث القدسي العظيم الذي أخرجه الإمام البخاري -رحمه الله- من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله تعالى: من عادى لي وليًا فقد آذنته بحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ من أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بِها، ورجله الّتي يَمشي بِها، وإن سألني أعطيته، وإن استعاذ بي أعذته، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته**».

كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: من الآية٦٩].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: الآية ١٢٨].

قال الإمام بن رجب -رحمه الله-: "وأما الإحسان فقد جاء ذكره في القرآن في مواضع، تارة مقرونًا بالإيْمان كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: الآية ٩٣].

وتارة مقرونًا بالإسلام كقوله ﷻ: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: الآية ١١٢].

وتارة مقرونًا بالعمل الصالح كقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: الآية٢٦]. المعنى: لا يعلو وجوه أهل الجنة غبرة، ولا يظهر فيها هوان، بخلاف أهل النيران، فإنَّهم يرهق وجوههم قتر وذلة.

وقد ثبت في صحيح مسلم وغيره عن النبي ﷺ تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى في الجنة[1]، وهذا مناسب لجعله جزاءً لأهل الإحسان؛

---

(١) الحديث بذلك عند أحمد ومسلم وغيرهما من حديث وهيب أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: من الآية٢٦]، قال: **إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدًا يريد أن** =

لأن الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه بقلبه وينظر إليه في حال عبادته، فكان جزاء ذلك النظر إلى وجه الله تعالى عيانًا في الآخرة، وعكس هذا ما أخبر الله تعالى به عن جزاء الله الكفار في الآخرة، حيث قال تعالى: ﴿**كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذ لَمَحْجُوبُونَ**﴾ [المطففين:١٥]. وجعل ذلك جزاءً لحالهم في الدنيا وهو تراكم الران على قلوبهم حتى حجبت عن معرفته ومراقبته في الدنيا،جزاؤهم على ذلك أن حجبوا عن رؤيته في الآخرة". اهـ. بتصرف يسير[١].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

ينجزكموه فيقولون: وما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم.

(١) انظر جامع العلوم والحكم (ص٣٠، ٣١).

السبب التاسع

من أسباب دخول الجنة والنجاة من النار ذروة سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله، وذلك لما فيه من القضاء على الفتنة وإخلاص الدين كله لله، ولما فيه أيضًا من انتشار الإسلام في أقطار الأرض لتعمر بطاعة الله ويهجر أهلها كل ما يعبد من دونه، هذا ولا يقوم به إلا أولياء الله الذين تربوا في المدرسة الإسلامية، واختاروا منهج السلف الصالح في الجهاد والدعوة وما بدلوا تبديلا، فهؤلاء هم الذين إذا خاضوا معركة الجهاد فإنَّهم لا يطمعون إلا في إحدى الحسنيين: الشهادة في سبيل الله، أو النصر والغنيمة التي أحل لهم أخذها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والذي ينبغي أن يعلم أن الجهاد ليس مقصورًا على خوض المعارك مع الأعداء بالسلاح فحسب، ولكنه ذلك وتعلم العلم والعمل به ونشره بين الخلق وتدوينه لرواده ومحبيه، كما قال الله تعالى: ﴿**فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾ [التوبة: الآية١٢٢].

وقال ﷺ: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم**»[1] رواه أحمد وغيره.

---

(١) أحمد في المسند (ج٣ ص١٢٤، ١٥٣، ٢٥١). الدارمي في الجهاد باب جهاد المشركين باللسان واليد (ج٢ ص٢١٣)، وأبو داود في الجهاد، باب كراهية ترك الغزو (ج٣ رقم

هذا وكم من نصوص كريمة من الكتاب والسنة قد جاءت في الأمر برفع علم الجهاد وقمع أهل الشر والفساد.

وكم من نصوص قد جاءت في الترغيب فيه خلف كل بر وفاجر من ولاة الأمر، لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، وكم من نصوص قد جاءت تشرح فضائله وآدابه وتحدد وسائله وغاياته وتأمر بإعداد العدة لــه، وكم من نصوص قد جاءت تحذر من تركه وتبين سوء العيش بدونه متى توفرت أسبابه، وانتفت موانعه، ولي رسالة[1] في هذا السبب صغيرة الحجم عظيمة الفائدة أنصح بالرجوع إليها مع رسالة[2] للشيخ أحمد بن يحيى النجمي هي أشمل وأوسع حديثًا في الموضوع أنصح باقتنائها والرجوع إليها كذلك.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

٢٥٠٤)، والنسائي في الجهاد باب وجوب الجهاد (ج٦ ص٦)، وابن حبان في الموارد باب الجهاد بما قدر عليه (رقم ١٦١٨ ص٣٩٠)، والحاكم في المستدرك (ج٢ ص٨١)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وهو كما قال: انظر صحيح الجامع الصغير للألباني (ج٣ ص٧٩).

(١) اسمها: "أسباب النصر الشرعية وصفات المجاهدين المرضية".

(٢) اسمها: "الإرشاد إلى بيان الحق في حكم الجهاد".

السبب العاشر

الحرص على إيصال الخير إلى الغير كما تحب من الغير إيصاله إليك.

أقول: إن مما لا شك فيه أن التحلي بهذا الخلق العظيم فيه مرضاة للرب وتنمية للإيْمان وتطهير للنفس وتزكية للظاهر والباطن، وبجانب ذلك فيه محاربة للشيطان الداعي إلى الهوى وداء الحسد وحب الذات.

ولقد جاءت نصوص كريمة من الكتاب والسنة ترشد كل مسلم ومسلمة إلى التحلي بخلق محبة الخير للغير، وكره وصول الشر إليه وذلك في حدود الشرع الشريف نعم أتت تلك النصوص ناصة على أن بذلك يكمل الإيْمان، وبفقده يضعف وينقص.

ومن تلك النصوص قول الله -تبارك وتعالى-: **﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾** [الأنفال: الآية١].

وقوله ﷻ: **﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** [التوبة: الآية٧١].

وقوله عز من قائل كريم: **﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ**

الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: الآية ٩].

والذين جاءوا من بعدهم يقولون: **﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيْمان وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾** [الحشر: الآية١٠].

وقوله ﷻ: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾** [الحجرات: الآية ١٢].

ففي هذه الآيات وما في معناها دعوة صريحة للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ليهتم بعضهم بصلاح بعض، وأن يكون بعضهم لبعض وليًّا ومعينًا وناصرًا، وأن يكون بعضهم لبعض محبًّا وداعيًا مخلصًا، وعلى حاجات نفسه له مقدمًا ومؤثرًا، ولو بات عن قضاء حاجته الضرورية عاجزًا ومقصرًا، وأن يكون بعضهم لبعض محترمًا ومقدرًا، بحيث لا يهتك له عرضًا، ولا يسفك له دمًا، ولا يهضم له حقًّا، ولا يأكل بالباطل له مالاً، ولا يسيء به في جملة الأحوال ظنًّا ومن السنة الدالة على وجوب محبة العبد المؤمن لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه، وكره وصول الشر إليه ككرهه وصوله إليه، ما رواه أحمد من حديث معاذ رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ عن أفضل الإيْمان، قال: «**أفضل الإيْمان أن تحب لله وتبغض لله، وتعمل لسانك في ذكر الله**.، قال: وماذا يا رسول الله؟ قال: **أن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك**، وأن تقول خيرًا أو

تصمت»[١].

وما رواه أيضًا من حديث يزيد بن أسد القشيري قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**أتحب الجنة ؟** قلت: نعم. قال: **فأحب لأخيك ما تحب لنفسك**»[٢].

وما رواه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من أحبَّ أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر، ويأتِ إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه**»[٣].

وما رواه الشيخان من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**»[٤].

قال ابن رجب الحنبلي في شرحه لحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، ما نصه: "وفي الجملة فينبغي للمؤمن أن يحب للمؤمنين

---

(١) المسند (ج٥ ص٢٤٧).

(٢) المسند (ج٤ ص٧٠)، ورواه الطبراني في الكبير والأوسط بنحوه ورجاله ثقات انظر مجمع الزوائد (ج٨ ص١٨٩).

(٣) مسلم في الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول رقم (٤٦/١٨٤٤) من حديث طويل.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب، باب رحمة الناس والبهائم (ج٨ ص٨)، ومسلم في البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (رقم ٢٥٨٦ ص١٩٩٩).

ما يحبه لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، فإن رأى في أخيه المسلم نقصًا في دينه اجتهد في إصلاحه، قال: بعض الصالحين من السلف أهل المحبة لله نظروا بنور الله وعطفوا على أهل معاصي الله، مقتوا أعمالهم وعطفوا عليهم، ليزيلوهم بالمواعظ عن أفعالهم، واشفقوا على أبدانهم من النار، ولا يكون المؤمن مؤمنًا حقًّا حتى يرضى للناس ما يرضاه لنفسه، وإن رأى في غيره فضيلة فاق بها عليه فيتمنى لنفسه مثلها، فإن كانت تلك الفضيلة دينية كان حسنًا، وقد تمنى النبي ﷺ منْزلة الشهادة[1]، وقال ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله القرآن فهو يقرؤه آناء الليل وآناء النهار**»[2]، إلى أن قال: "... فينبغي للمؤمن أن يحزن لفوات الفضائل الدينية، ولهذا أمر أن ينظر في الدين إلى من هو فوقه[3]، وأن ينافس في طلب ذلك جهده وطاقته

(١) إشارة إلى ما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**أنتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة، ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية ولوددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل**».

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب الاغتباط في العلم والحكمة (ج١ ص٢١) وفي مواضع أخرى من الصحيح، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه.

(٣) بخلاف الدنيا وبسطها فإن النظر فيها يجب أن يكون إلى من هو دونه وما ذلك إلا لجلالة أمور الدين وغايتها، وحقارة الدنيا وسرعة زوالها، وفي المسند وغيره من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم**».

كما قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: من الآية٢٦].

ولا يكره أن أحدًا يشاركه في ذلك بل يحب للناس كلهم المنافسة فيه، ويحثهم على ذلك وهو من تمام أداء النصيحة للإخوان، إلى أن قال: فإذا فاقه أحد في فضيلة دينية اجتهد في لحاقه، وحزن على تقصير نفسه، وتخلفه عن لحاق السابقين لا حسدًا لهم على ما آتاهم الله، بل منافسة لهم وغبطة وحزنًا على النفس بتقصيرها وتخلفها عن درجات السابقين(١).

قلت:

تلك الفضائل يا أحباب مصدرها ... دين قويْم من الرحمــن في الكتب

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) انظر جامع العلوم والحكم (ص١٠٣ - ١٠٥).

السبب الحادي عشر

الهجرة بِما تحمل من معنى: قال ابن رجب رحمه الله: "وأصل الهجرة هجران بلد الشرك والانتقال منه إلى دار الإسلام"(١). ا هـ.

قلت: والباعث عليها أمور مختلفة،ومقاصد متباينة، ودواعي ذاتية دينًا ودنيا، فمن الناس من يهاجر من بلا الكفر إلى بلاد الإسلام محبة في دين الله لينال رضى الله ويتبوء منازل جناته، فحري به أن ينال ما نوى ونعم ما نوى من التمكن من العمل بدينه ظاهرًا وباطنًا، ومنهم من يهاجر لمقاصد أخرى سواءً كانت مباحة أو محرمة فكذلك ليس له إلا ما قصده وهاجر من أجل تحقيقه ، ولقد هاجر أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة مرتين، إلى أرض النجاشي فأصاب النجاشي من تلك الهجرة خيرًا كثير أعلاه إسلامه، كما هاجروا إلى المدينة قبل فتح مكة فرارًا بدينهم وحرصًا على رضا الله عنهم وصحبة رسول الله ﷺ، ليكونوا طوع أمره وجندًا من جنود الإسلام تحت رايته، فحقق الله لهم كل ما أرادوا من خيري الدنيا والآخرة، وهذا النوع من الهجرة باق حكمه في حق كل مسلم ومسلمة في بلاد الكفر والشرك التي لا يحكم فيها بشيء من شرع الله، ولا يستطيع المحافظة فيها على شعائر دينه ولا على صلاح نسله،

(١) المصدر السابق (ص١٠).

فإنه يتعين عليه -عند القدرة الهجرة من بلاده تلك إلى بلاد يحكم فيها بشرع الله وتراعى فيها حرمات شعائر الله، وتمكن فيها التربية الإسلامية للأسر الناشئة لتنشأ على حب الإسلام وتطبيقه تطبيقًا عمليًّا في واقع الحياة، وهذا معنى خاص للهجرة دل عليه قول النبي ﷺ: «**إنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[١].

وللهجرة معنى عام وهو هجران المكلف كل ما نَهى الله عنه ورسوله، وهذا المعنى دل عليه ما رواه أحمد في المسند من حديث فضالة ابن عبيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «**ألا أخبركم بالمؤمن؟ المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب**»[٢].

والمعنى الإجمالي لهذا الحديث باختصار هو أن النبي الكريم ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، قد وصف المؤمن الصادق في إيْمانه بأنه ذو أمانة صادقة شرعية على كل ما ائتمن عليه عمومًا، وعلى

---

(١) البخاري في أول الصحيح، باب كيف بدء الوحي (ج١ ص١)، ومسلم في كتاب الإمارة باب قوله ﷺ: «**إنَّما الأعمال بالنيات**»، (ج٣ رقم ١٩٠٧).

(٢) المسند (ج٦ ص٢١) وهو حديث حسن.

أموال الناس وأنفسهم وأعراضهم خصوصًا، بحيث لا يأكل شيئًا من أموالهم بالباطل ولا يكون منه اعتداء سرًّا أو جهرًا على أنفسهم ولا على أعراضهم؛ لأن النبي ﷺ قد حرم على المسلمين دماء وأموال وأعراض إخوانهم المسلمين تحريْمًا قاطعًا إلا بحق شرعي، كما وصف بأنه مجاهد لنفسه الأمارة بالسوء جهادًا كبيرًا، وذلك بإلزامها بطاعة خالقها ومولاها، وكبح جماحها عن ما فيه شقاؤها ورداها، وكذا بحبسها لتحيا صابرة على كل قضاء وقدر قد أبرمه الله فأمضاه وفق عدله وحكمته -جل في علاه-.

ووصفه أخيرًا بهجران الخطايا التي لا يبتعد عنها إلا المؤمن العاقل، وذلك لما لمقارفتها من الأثر السيئ في حياة الأفراد والجماعات والأمم بل والبلاد والعباد، في هذه الحياة وبعد الممات، كما هو مفصل في نصوص الكتاب والسنة إذ ما من عقوبة دنيوية أو أخروية إلا وسببها الوقوع في الخطايا والذنوب التي تبذر الفساد في الأرض، وتغضب علام الغيوب[1] كما قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: الآية ٤١].

وقال ﷻ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: الآية ٣٠].

---

(١) أي: إنه يحصل فساد في حياة البشرية من مال وولد ونحو ذلك مما ينتج عن تعاطي الخطايا والذنوب.

وقال ﷻ: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى﴾ [طه: الآية ٧٤].

وقال عز من قائل كريم: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾ [النساء: الآية١٢٣].

وقد تقدم شيء من هذا الإيضاح لهذا المعنى وجاء في دعاء الاستفتاح المأثور الصحيح ما أخرجه الشيخان وغيرهما من حديث أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذ كبر في الصلاة سكت هنيهة قبل القراءة فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟ قال: أقول: «**اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، واللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد**»[1].

وعليه فلا غرابة أن يكون الأمين على أموال الناس وأعراضهم ودمائهم، والمجاهد نفسه في طاعة الله، وذو الهجران للخطايا والذنوب مؤمنًا حقيقي الإيْمان، وإذن فالحديث يعتبر ميزانًا شرعيًّا يزن به المرء نفسه بل وغيره فيظهر له الفرق بين الإيْمان الحقيقي والإيْمان الصوري.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) البخاري في كتاب الصلاة باب ما يقول عند التكبير (ج١ ص١٢٣)، ومسلم في المساجد، باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة (ج١ رقم ٥٩٨ ص٤١٩).

السبب الثاني عشر

أعمال منوعة من القربات الَّتِي يمحو الله بِها الخطيئات، ويرفع بِها الدرجات، وذلك كنوافل الذكر والصلاة والصوم والصدقات والاعتكاف والتوسع في طلب العلم وغيرها من الباقيات الصالحات، سواء منها ما كان من وظائف اللسان، وما كان منها من وظائف بقية الأركان، هذا وكثير من الأسباب التي أرشدت إليها النصوص السالفة الذكر قد سبق الحديث عنها في مواضع سابقة من هذا البحث، بل وكثير من الأسباب المباركة قد تم لي تدوينها في رسالة(١) مستقلة مطبوعة متداولة، وكل الذي دونته هنا وهناك من أسباب دخول الجنة والنجاة من النار إنَّما هو أمثلة إذ أن الاستقصاء والإحاطة بأبواب هذا الموضوع تحتاج إلى كتابة مستقلة في فراغ من الوقت طويل، غير أن طالب العلم اللبيب يتطلع دائمًا إلى الفهم الصحيح من نصوص الكتاب العزيز والسنة المطهرة ويقيس الأمور بأشباهها، ويرد المسائل إلى نظائرها، سائلاً ربه الفتح المبين، مستعيذاً به من الفهم السقيم.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

---

(١) المنهج القويم انظر الأسباب المنوه عنها (ص ١٩٩ إلى ٢٣٥).

س٩:

أ- ما حقيقة الروح، وهل هي والنفس شيء واحد أم هما شيئان متغايران؟

ب- وهل الروح قديْمَة أم محدثة؟

ج- وما علاقتها بالبدن في أطواره المتعددة؟

د- وهل للشخص من بني آدم نفس واحدة أم ثلاث؟

ح- وهل تعود يوم القيامة الروح إلى بدنِها الذي كانت تعمره في حياة العمل أم تصير كل نفس إلى بدن آخر من حيوان أو غيره ؟

ج٩:

أ- **قال الإمام بن القيم** -رحمه الله- بعد أن سرد أقوال الناس في هذه المسألة: "الصحيح أن الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي هذا الجسم اللطيف متشابكًا بِهذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة والإرادة، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها، وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح، قال -رحمه الله-: وهذا القول هو الصواب في المسألة وهو الذي لا يصح غيره،

وكل الأقوال سواه باطلة، وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة.

ثم إن الجمهور من أهل العلم قالوا: إن مسمى الروح والنفس واحد، وقال غيرهم بالتغاير بين مدلوليهما كما تغاير لفظاهما، ومقتضى الأدلة اللغوية والعقلية والشرعية أن لفظ الروح والنفس يعبر بهما عن عدة معان فتارة يتحد معناهما وتارة يختلف، وذلك أن النفس تطلق على عدة أمور منها:

الروح بحيث يقال خرجت نفسه أي: روحه، ومنه قول الله تعالى: ﴿**أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ**﴾ [الأنعام: الآية٩٣].

ومنه **الذات** فتقول: رأيت محمدًا نفسه ومنه الآية الكريمة: ﴿**فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ**﴾ [النور: من الآية٦١].

ومنها **الدم** كقول الفقهاء: "وما لا نفس له سائلة لا ينجس الماء إذا مات فيه"، كما يقال: "نفست المرأة إذا حاضت" ومنه الحديث: «**أنفست؟**» ووجه تسمية الدم نفسًا لأن خروجه الذي يكون معه الموت يلازم خروج النفس، وإن الحياة لا تتم إلا به كما لا تتم إلا بالنفس.

كما تطلق الروح على عدة معان:

منها القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على رسوله محمد ﷺ وامتن عليه في قوله: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا**﴾ [الشورى: من الآية ٥٢].

ومنها جبريل كما في قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر: من الآية٤].

ومنها الوحي إلى الرسل والأنبياء عمومًا كما في قوله تعالى: **﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾** [غافر: من الآية١٥].

ووجه تسمية الوحي روحًا ظاهر، وهو أنه تحصل به الحياة النافعة، وبدونه لا ينتفع المكلف ومنه الآية الكريمة: **﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾** [الأنعام: الآية١٢٢].

فهذه الحياة بالعمل بوحي الله ونوره الذي أنزله على أنبيائه ورسوله وسميت الروح روحًا؛ لأن بها حياة البدن.

ومنها: الهواء الخارج من البدن والهواء الداخل فيه.

ومنها: الروح والريحان والاستراحة فسميت النفس روحًا لحصول الحياة بها، وسميت نفسًا إما من الشيء النفيس لنفاستها وشرفها، وإما من تنفس الشيء إذا خرج، فلكثرة خروجها ودخولها في البدن سميت نفسًا.

وتفترق النفس والروح في أن النفس تطلق على البدن وعلى الدم وأن الروح لا تطلق عليهما.

ب- القول الحق المؤيد بالأدلة العقلية والشرعية هو أن الروح محدثة مخلوقة مربوبة مدبرة، وليست قديمة كما ادعى بعض الناس محتجين بقوله

تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: الآية٨٥]

إذا ليس المراد بالأمر هنا الطلب وإنما المراد به المأمور.

وهذا قول أهل السنة والجماعة مستدلين بقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: الآية٦٢].

فهذا عام لا تخصيص فيه بوجه ما، ولا يدخل في ذلك صفات الله فإنَّها داخلة في مسمى اسمه، فالله تعالى هو الإله الموصوف بصفات الكمال فعلمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره وجميع صفاته داخلة في مسمى اسمه، فهو سبحانه بذاته وصفاته الخالق وما سواه مخلوق، ومعلوم قطعًا أن الروح ليست هي الله ولا صفة من صفاته وإنَّما هي مخلوقة مدبرة كما قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان: الآية ١]، والإنسان اسم لروحه وجسده.

ج- علاقة الروح بالبدن: مما لا شك فيه أن للروح علاقة حقيقة بالبدن وبكيفيات لا يعلمهن إلا الله وذلك حينما كان البدن في بطن الأم وحينما برز في هذه الحياة، وحينما يكون في البرزخ، وحينما يكون في دار القرار، إما في جنة أو نار.

قال ابن القيم -رحمه الله-: وما أشبه حالها -أي النفس- بهذا البدن بحال البدن في بطن أمه، وحالها بعد المفارقة، بحاله بعد خروجه من البطن إلى هذه الدار، فلهذه الأنفس أربع دور كل دار أعظم من التي قبلها.

الدار الأولى: بطن أمه وفي ذلك الحصر والضيق والغم والظلمات الثلاث.

الدار الثانية: هي هذه الدار التي نشأت فيها وألفتها واكتسبت الخير أو الشر وأسباب السعادة والشقاوة فيها.

الدار الثالثة: دار البرزخ وهي أوسع من هذه الدار وأعظم بل نسبتها إليها كنسبة هذه الدار إلى الأولى.

الدار الرابعة: وهي دار القرار وهي الجنة أو النار فلا دار بعدها، والله تعالى ينقل الروح في هذه الدار طبقًا بعد طبق حتَّى يبلغها الدار الَّتِي لا يصلح لها غيرها، ولا يليق بِها سواها وهي الَّتِي خلقت لها، وهيئت للعمل الموصل إليها، ولها في كل دار من هذه الدور شأن غير شأن الدار الأخرى، فتبارك الله فاطرها ومنشيها ومميتها ومسعدها ومشقيها وبالله التوفيق.

د- لابن آدم نفس واحدة على القول الصحيح.

قال ابن القيم -رحمه الله-: وقد امتحن الله الإنسان بالنفس الأمارة بالسوء والنفس اللوامة، وأكرمه بالنفس المطمئنة فهي نفس واحدة تكون أمارة، ثم لوامة مطمئنة، وهي غاية كمالها وصلاحها، وأيد المطمئنة بجنود عديدة فجعل الملك قرينها وصاحبها الذي يليها ويسددها ويقذف فيها الحق ويرغبها فيه، ويريها حسن صورته، ويزجرها عن الباطل، ويزهدها فيه ويريها قبح صورته، وأمدها بِما علمها من القرآن والأذكار وأعمال البر، وجعل وقود الخيرات ومداد التوفيق تنتابُها وتصل إليها من كل ناحية، كلما تلقتها بالقبول والشكر والحمد لله ازداد مددها، فتقوى

على محاربة الأمارة فمن جندها وهو سلطان عساكرها وملكها الإيمان واليقين فالجيوش الإسلامية كلها تحت لوائه ناظرة إليه، إن ثبت ثبتت، وإن انهزم ولت على أدبارها، ثم أمراء هذا الجيش ومقدموا عساكره هي شعب الإيمان المتعلقة بالجوارح على اختلاف أنواعها كالصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصيحة الخلق والإحسان إليهم بأنواع الإحسان، وشعبه الباطنة المتعلقة بالقلب كالإخلاص والتوكل والإنابة والتوبة والمراقبة والصبر والحلم والتواضع والمسكنة وامتلاء القلب من محبة الله ورسوله وتعظيم أوامر الله وحقوقه، والغيرة لله وفي الله والشجاعة والعفة والصدق والشفقة والرحمة، وملاك ذلك كله الإخلاص والصدق، فلا يتعب الصادق المخلص فقد أقيم على الصراط المستقيم فيسار به وهو راقد". ا.هـ.

إلى أن قال -رحمه الله-: وأما النفس الأمارة فجعل الشيطان قرينها وصاحبها الذي يليها، فهو يعدها ويمنيها ويقذف فيها ويأمرها بالسوء ويزينه لها، ويطيل لها في الأمل، ويريها الباطل في صورة تقبلها وتستحسنها، ويمدها بأنواع الأمداد الباطل من الأماني الكاذبة، والشهوات المهلكة ويستعين عليها بهواها فيدخل منه عليها كل مكروه، فما استعان على النفوس بشيء أبلغ من هواها.

قلت: وعليه فلا وجه لقول من قال: إن لابن آدم ثلاث أنفس مطمئنة ولوامة، وأمارة، حيث قالوا: من الناس من تغلب عليه هذه، ومنهم من تغلب

عليه هذه كما قال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: الآية ٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: الآية ٢].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: من الآية ٥٣].

وقد علمت أنَّها نفس واحدة لها تلك الصفات المذكورة فهي أمارة بالسوء، فإذا عارضها الإيْمان صارت لوامة تفعل الذنب ثم تلوم صاحبها، وتلوم بين الفعل والترك أيضًا، فإذا قوي الإيْمان وكمل صارت مطمئنة، وعلى هذا المعنى يأتي قول النبي ﷺ: «**من سرته حسنته وساءته سيئته**[1] **فهو مؤمن**»، ومع قوله عليه الصلاة والسلام: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»[2]، الحديث.

وكما اختلفت الناس في هذا المقام كما رأيت، فإنَّهم قد اختلفوا أيضًا هل تموت الروح أم لا ؟ فقال: جماعة تموت لأن كل نفس ذائقة الموت وقد قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: الآية ٢٦، ٢٧].

وقال ﷻ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص: الآية٨٨].

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة رقم (٢١٦٦) وإسناده حسن.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الحدود السارق حين يسرق (ج٨ ص١٣٣)، ومسلم في كتاب الإيْمان، باب بيان نقصان الإيْمان بالمعاصي (ج١ رقم ٥٧ ص٧٦).

قالوا: إن "كل" من أدوات العموم فتدخل النفس في هذا العموم، ولا يبقى إلا ما استثناه النص الكريم، كما قالوا: إذا كانت الملائكة تموت فإن النفوس البشرية أولى بالموت.

وقال جماعة: لا تموت الأرواح فإنَّها خلقت للبقاء، وإنَّما تموت الأبدان فقط، واحتجوا بالأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابِها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله إلى أجسادها.

وقال الجمهور: وقولهم هو الحق: أن المراد بموت الأنفس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها فقط وليس المراد بموتِها عدمها وفناؤها بالكلية فإنَّها لا تموت بِهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب كما دلت على ذلك النصوص الصحيحة كحديث البراء بن عازب وغيره مما تقدم ذكره في هذه السلسلة.

ح- أما الجواب على الفقرة الأخيرة من السؤال فأقول بِما قال به علماء السلف أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا، بل وقال به غيرهم من أهل الأديان كاليهود والنصارى: من أن الله تبارك وتعالى يعيد الأجسام الدنيوية بأعيانِها، وأعراضها التي كانت في حياة العمل قائمة بالجسم، وذلك ثابت بأدلة عقلية ونقلية، أما العقلية فيقال: إن الله هو الحكم العدل ومن مقتضى حكمته وعدله أن ينشئ الخليقة بذواتِها وأعراضها نشأة أخرى ويعيدها خلقًا جديدًا وتنال جزاء عملها الذي كانت تعمله في دار العمل هي لا غيرها، وأما الأدلة النقلية فسأذكر منها على هذه

القضية قليلاً من كثير وقطرة من بحر:

١- قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الاسراء: الآية ٤٩ - ٥١].

٢- وقال سبحانه في حق أهل النار: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: من الآية٣٧].

٣- وقال ﷻ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: الآية ٧٨، ٧٩].

٤- وقال ﷻ: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: الآية ٦٥].

٥- وقال -عز من قائل-: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: الآية ١٩-٢٢].

٦- وقال -تبارك وتعالى-: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا

تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٢٥].

٧- وقال في شأن أهل الجنة: **﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾** [الطور: الآية ٢٥- ٢٨].

٨. وقال -تبارك وتعالى-: **﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾** [الصافات: الآية ٥١-٥٧].

٩- وقال -عز من قائل كريم-: **﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾** [القيامة: الآيتان٣، ٤]

وفي معنى هذه الآيات كثير في القرآن الكريم وكلها تدل على ما ذكر علماؤنا في هذا الموضوع من أن الله ينشئ الخليقة ويعيد الأجسام بذواتها، فأما أهل الجنة فإن حياتهم حياة الكمال والجمال بحيث يكونون على طول آدم عليه السلام، ستين ذراعًا في سبعة أذرع جردًا مردًا بيضًا جعدًا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين سنة، كما في المسند وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يدخل أهل الجنة الجنة جردًا مردًا، بيضًا جعدًا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين سنة وهم على خلق آدم عليه السلام ستون ذراعًا في سبع أذرع»**.

وجاء عن معاذ بن جبل ﷺ أنه سأل رسول الله ﷺ، أو سمع النَّبي ﷺ يقول: «**يدخل أهل الجنة الجنة جردًا مردًا مكحلين بني ثلاثين سنة**»[1].

كما جاء عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدخل أهل الجنة الجنة جردًا مردًا مكحلين**».

وأما أهل النار فإنَّهم يكونون كما شاء الله في شر خلقة وأحقر منظر كما هو مفصل وصفهم في الكتاب والسنة.

أعود إلى إيراد بعض الأدلة النقلية من السنة الكريمة على صحة البعث الجسماني على ما سلف وصفه قبل قليل:

١- روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: «قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: **هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة**. قالوا: لا، قال: **فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة**. قالوا: لا، قال: **فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما**. قال: **فيلقي العبد فيقول: أي فُلْ ألَم أُكرمك وأُسوِّدك وأُزوِّجك وأُسخِّر لك الخيل والإبل، وَأَذَرْكَ ترأس وتربع؟ فيقول**: أي بلى، قال: **فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟**

---

(١) أحمد في المسند (ج٢ ص٢٩٥، و ج٥ ص٢٤٣)، وأورده الهيثمي معزواً إلى الطبراني في الصغير والأوسط وقال: إسناده حسن وأورده الألباني في صحيح الجامع ج٦ برقم (٣٦٣٠)، وقد جاء هذا الحديث عند أحمد والترمذي عن أنس كما في الرواية التي بعد هذه.

فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني فيقول: أي فُل ألَم أُكرمك وأُسوِّدك وأُزوِّجك، وأُسخِّر لك الخيل والإبل وَأَذَرْكَ ترأس وتربع؟ فيقول: بلى أي رب. فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث فيقول مثل ذلك، فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع فيقول: هاهنا إذن، قال: ثم يقال له: الآن نبعث شاهدًا عليك ويتفكر في نفسه، من ذا الذي يشهد عليَّ فيختم على فيه، ويقال: لفخذه ولحمه وعظامه، انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط الله عليه»[1].

٢- وفيه من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «هل تدرون مم أضحك؟ قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: من مخاطبة العبد ربه يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدًا مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليكم شهيدًا وبالكرام الكاتبين شهودًا، قال: فيختم على فيه فيقال لأركانه: انطقي قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلي بينه وبين الكلام، قال: فيقول بعدًا لكن وسحقًا فعنكن كنت أناضل»[2].

قلت: وهل تنطق إلا الأركان الَّتِي كانت في الدنيا لا غيرها.

---

(١) مسلم في كتاب الزهد والرقاق (ج٤ رقم ٢٩٦٨).

(٢) مسلم في كتاب الزهد والرقاق (ج٤ رقم ٢٦٨٩).

٣- وأورد ابن كثير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن العاص بن وائل أخذ عظمًا من البطحاء ففتته بيده ثم قال لرسول الله ﷺ: أيحيي الله تعالى هذا بعد ما أرى؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم يُميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم**»، قال: ونزلت الآيات من آخر سورة يس قلت: يعني قولـــه تعالى: ﴿**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ**﴾ [يس: الآية ٧٨].

٤- وجاء في الصحيحين واللفظ لمسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**قال رجل -لَمْ يعمل حسنة قط- لأهله إذا مات فحرقوه، ثم اذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين، فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم، فأمر الله البر فجمع ما فيه، وأمر البحر فجمع ما فيه ثُمَّ قال: لَمْ فعلت هذا؟ قال: من خشيتك يا رب وأنت أعلم، فغفر الله له**».

٥- وفي رواية عنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أسرف رجل على نفسه فلما حضره الموت أوصى بنيه فقال: إذا أنا مت فاحرقوني، ثم اسحقوني ثم اذروني في الريح في البحر فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا، قال: فعلوا به ذلك، فقال للأرض: أدي ما أخذت، فإذا هو قائم فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: خشيتك يا رب -أو قال: مخافتك- فغفر له بذلك**»[1].

---

(١) البخاري في كتاب التوحيد (ج٩ ص١١٧)، ومسلم في كتاب التوبة،باب في سعة رحمة الله تعالى (ج٤ رقم ٢٩٥٦ ص٢١٠٩، ٢١١٠).

٦- وقال السفاريني: وفي تفسير الثعلبي عن أبي هريرة ﷺ في تفسير سورة الزمر مرفوعًا: «إن الله يرسل مطرًا على الأرض فينـــزل عليها أربعين يومًا حتى يكون فوقهم اثنى عشر ذراعًا فيأمر الله تعالى الأجساد أن تنبت كنبات البقل، حتى إذا تكاملت أجسادهم كما كانت قال الله تعالى: ليحيى حملة العرش، ليحيى جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ثم يأمر الله تعالى إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ثم يدعو الأرواح فيؤتى بِها تتوهج أرواح المؤمنين نورًا، والأخرى ظلمة، فيقبضها جميعًا ثم يلقيها في الصور، ثم يأمره أن ينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح كلها كأنَّها النحل قد ملأت ما بين السماء، ثم يقول الله تعالى: وعزتي وجلالي لترجعن كل روح إلى جسدها فتدخل الأرواح في الخياشيم، ثم تمشي مشي السم في اللديغ، ثم تنشق الأرض عنها سراعًا، فأنا أول من تنشق عنه الأرض فتخرجون منها إلى ربكم تنسلون»[(١)].

٧- وأخرج الشيخان من حديث أبي هريرة ﷺ: «ينْزل من السماء ماءٌ فينبتون كما ينبت البقل، وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظم واحد وهو عجب الذنب، منه يركب الخلق يوم القيامة»[(٢)].

---

(١) هذا حديث طويل المسمى بحديث الصور وفي أسانيده كلام لبعض أهل العلم وقد حكم له كثير منهم بالصحة، انظر معارج القبول (ج٢ ص٨٠٧) بتحقيق عمر بن محمود أبو عمر.

(٢) البخاري في كتاب التفسير سورة عم يتساءلون (ج٨ ص١٣٧)، ومسلم في كتاب ما بين النفضتين (ج٤ رقم ٢٩٥٥).

وفي روايات مسلم: «**إن في الإنسان عظمًا لا تأكله الأرض أبدًا منه يركب الخلق يوم القيامة، قالوا: أي عظم هو يا رسول الله؟ قال: عجب الذنب**»(١).

قال أهل العلم: "وعجب الذنب هو العظيم الحديد الذي يكون في أسفل الصلب".

أقول: وهذه النصوص النبوية تتفق تمامًا مع تلك الآيات الكريمات التي تم إيرادها قريبًا للاستدلال بها على أن الله -جل وعلا- ينشيء الخليقة خلقًا ويعيد الأجسام بذواتها، وذلك أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم.

قال العلامة السفاريني -رحمه الله-: اختلف الناس هل البعث إعادة بعد تفريق أو إيجاد معدوم، قال عكرمة -رحمه الله-: إن الذين يغرقون في البحر وتقتسم لحومهم الحيتان، ولا يبقى منهم شيء إلا العظام فتلقيها الأمواج إلى الساحل فتمكث حينًا ثم تصير نخرة ثم تمر بها الإبل فتأكلها، ثم تسير الإبل فتبعر، ثم يجئ قوم فينــزلون فيأخذون ذلك البعر فيوقدونه ثم تخمد تلك النار، فتجئ الريح فتلقى ذلك الرماد على الأرض، فإذا جاءت النفخة فإذا هم قيام ينظرون، يخرج أولئك وأهل القبور سواء إلى أن قال:

قال العلامة الشيخ مرعي -رحمه الله-: قال العلماء: إن الله تعالى

(١) هذه رواية مسلم رقم (٢٩٥٥).

يجمع ما تفرق من أجساد الناس من بطون السباع وحيوانات الماء وبطن الأرض، وما أصاب النيران منها بالحرق، والمياه بالغرق، وما أبلته الشمس وذرته الرياح، فإذا جمعها وأكمل كل بدن منها، ولَم يبق إلا الأرواح نفخ إسرافيل عليه السلام في الصور فأرسلها بنفخة من ثقب الصور فترجع كل روح إلى جسدها فإذا هم قيام ينظرون". ا.هـ.

وبِهذا البحث المفصل في هذه الفقرة الأخيرة نكون قد علمنا يقينًا أن كل روح تعود إلى جسدها الذي كانت تعمره في الحياة الدنيا، وليس لمن قال: إنَّها تنتقل إلى أجسام أخرى، أي دليل من نقل أو عقل فافهم رعاك الله وثبتك على الحق علمًا وعملاً حتَّى تلقاه.

*****



تنبيهان هامان وبهما ينتهي هذا البحث

التنبيه الأول:

ما ذكره علماء التفسير في معنى قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: الآية ٤٢].

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسيرها ما نصه: "قال تعالى مخبرًا عن نفسه الكريمة بأنه المتصرف في الوجود بما يشاء، وأنه يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان، والوفاة الصغرى عند المنام كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمّىً ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٦١) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: الآيتان ٦١، ٦٢].

فذكر الوفاتين الصغرى ثم الكبرى، وفي هذه الآية آية الزمر ذكر الكبرى ثم الصغرى ولهذا قال: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً﴾ [الزمر: الآية ٤٢].

فيه دلالة على أنَّها تجتمع في الملأ الأعلى، كما ورد بذلك الحديث

المرفوع الذي رواه ابن منده[١] وغيره.

وفي صحيحي البخاري ومسلم من حديث عبيد الله بن عمر بن سعيد ابن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخلة إزاره، فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم ليقل: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»**[٢].

وقال بعض السلف: يقبض أرواح الأموات إذا ماتوا، والأحياء إذا ناموا، فتتعارف ما شاء الله تعالى أن تتعارف، فيمسك التي قضى عليها الموت -التي قد ماتت- ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى، قال السدي: إلى بقية أجلها، وقال ابن عباس: يمسك أنفس الأموات ويرسل أنفس الأحياء ولا يغلط[٣]. ا هـ.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله- في تفسير آية

---

(١) إشارة إلى ما رواه ابن منده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ في هذه الآية قال: "بلغني أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فيتساءلون بينهم فيمسك الله أرواح الموتى ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها" انتهى.

(٢) البخاري في التوحيد باب السؤال بأسماء الله تعالى (ج٩ ص٦٦) وأورده في الدعوات، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (ج٤ رقم ٢٧١٤).

(٣) ابن كثير (ج٧ ص٩٢، ٩٣) طبعة الشعب.

الزمر هذه ما نصه: "يخبر تعالى أنه المتفرد بالتصرف بالعباد في حال يقظتهم ونومهم وفي حال حياتهم وموتهم، فقال: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا**﴾ [الزمر: الآية٤٢] وهذه الوفاة الكبرى، وفاة الموت.

وإخباره أنه يتوفى الأنفس، وإضافة الفعل إلى نفسه لا ينافي أنه قد وكّل بذلك ملك الموت وأعوانه كما قال تعالى: ﴿**قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ**﴾ [السجدة: الآية١١].

وقال تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ**﴾ [الأنعام: الآية٦١]. لأنه تعالى يضيف الأشياء إلى نفسه باعتبار أنه الخالق المدبر، ويضيفها إلى أسبابها باعتبار أن من سنته تعالى وحكمته أن جعل لكل أمر من الأمور سببًا.

وقوله: ﴿**وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا**﴾ هذا الموتة الصغرى، أي ويمسك النفس الَّتِي لَمْ تَمت في منامها، فيمسك من هاتين النفسين النفس: ﴿**الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ**﴾ وهي نفس من كان مات، أو قضى أن يموت في منامه: ﴿**وَيُرْسِلُ**﴾ النفس ﴿**الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً**﴾ أي: إلى استكمال رزقها وأجلها: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾.

على كمال اقتداره وإحيائه الموتى بعد موتهم، وفي هذه الآية دليل على أن الروح والنفس جسم قائم بنفسه مخالف جوهره جوهر البدن. وأنّها مخلوقة مدبرة يتصرف الله فيها بالوفاة والإمساك والإرسال وأن

أرواح الأحياء[1] تتلاقى في البرزخ فتجتمع فيرسل الله أرواح الأحياء ويمسك أرواح الأموات"[2].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

(١) يظهر من سياق الكلام أن فيه سقط كلمة "الأموات" بعد كلمة "الأحياء" فيكون الكلام هكذا "وأن أرواح الأحياء والأموات تتلاقى في البرزخ فتجتمع فتتحادث".

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ج٦ ص٤٧٦، ٤٧٧).

التنبيه الثاني :

أ- في بيان أن الموت الذي ستذوقه كل نفس منفوسة إلا من استثناهم الله، حيث أنشأهم إنشاء كالحور العين وكالولدان، وكل من مات فقد قامت قيامته الصغرى فيبقى في الحياة البرزخية حتى تقوم قيامته الكبرى، وقد أشار الله إلى القيامة الكبرى في صدر سورة الواقعة حيث قال ﷻ: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾.

وأشار إلى القيامة الصغرى في آخر السورة نفسها حيث قال: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾.

ب- المعلوم أنه عند الموت تقبض روح المخلوق من جسده بأمر الله غير أنه قد جاءت آيات كريمات في بعضها نسبة القبض إلى الله كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: الآية٤٢].

وفي بعضها جاءت نسبة القبض إلى الملائكة كقوله ﷻ: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾.

وفي بعضها جاءت نسبة القبض إلى ملك الموت وحده كقوله سبحانه: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

فإن قال قائل: إن ظاهرها التعارض فكيف الجمع بينها؟

فيقال له: قد جمع بينهما الخازن في تفسيره فقال ما نصه: "وجه الجمع أن المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى فإذا حضر أجل العبد أمر الله ملك الموت بقبض روحه، ولملك الموت أعوان من الملائكة يأمرهم بنْزع روح ذلك العبد من جسده فإذا وصلت إلى الحلقوم تولى قبضها ملك الموت نفسه، فحصل الجمع.

قال مجاهد: "جعلت الأرض لملك الموت مثل الطشت يتناول من حيث شاء وجعلت له أعوان ينْزعون الأنفس ثم يقبضها منهم"[1]، انتهى.

وبهذين التنبيهين تم الجزء الثالث والرابع من سلسلة الأجوبة السديدة على الأسئلة الرشيدة، وكان الفراغ من تبيضه في اليوم الأول من شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين[2].

---

(١) بواسطة تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل (ج٦ ص٥٦٧، ٥٦٨).

(٢) يرجى من القراء المحبين للتوسع في جواب هذا السؤال أن يرجعوا إلى الكتب التالية أسماؤها:

١- كتاب الروح لابن القيم.
٢- لوامع الأنوار للسفاريني.
٣- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز.
٤- محاسن التأويل للقاسمي.
٥- الإرشاد إلى تصحيح الاعتقاد للشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان.

رجوع إلى الحق بعد ما تبين

أ- لقد ترجمت لسيد قطب في كتابي "**المنهج القويم**" في طبعته الأولى وكان في ترجمتي له مبالغة في تزكيته وتزكية تفسيره "الظلال" وذلك حسب علمي آنذاك، وحيث إني قد اطلعت على أخطاء فاحشة في الظلال تتعلق بالعقيدة ومنهج الجهاد الإسلامي والدعوة إلى الله والسلوك الإسلامي وغير ذلك مما هو مدون في كتبه وكتب الردود عليه، فإنني أقرر سحب تلك الترجمة براءة للذمة والتزامًا بالحق بعد ما تبين، والله المسئول أن يغفر لنا ولسيد ولجميع المسلمين.

ب- قبل سنوات كثيرة وصفت بعض قادة الإخوان بالعلماء الربانيين في كتاب "**الحياة في ظل العقيدة الإسلامية**" في طبعتها الأولى حسب علمي آنذاك، والحق أن هذا الوصف لا يستحقه إلا العلماء من أهل السنة والجماعة السائرين على منهج السلف في العقيدة والشريعة والله المستعان.

* * * * *

سلسلة الأجوبة السديدة
على الأسئلة الرشيدة
(٥)

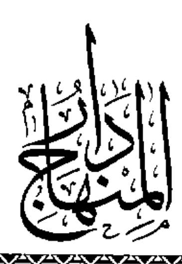
الأجوبة السديدة

على

الأسئلة الرشيدة

الجزء الخامس

تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
زيد بن محمد بن هادي المدخلي





مقدمة الطبعة

الحمد لله الذي كلف عالَم الجن والإنس بالتفقه في الدين، وأمرهم بإقامته حتى يأتيهم من ربِّهم اليقين.

وأشهد أن لا إله إلا الله الذي أمر العلماء بالبيان، ونَهاهم عن الكتمان، لأنَّهم ورثة الأنبياء والمرسلين، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله خير من فقه الخلق في دين الله، ودعا إلى الله وعمل صالحًا وكان أول المسلمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإنه ليسرني أن أقدم إلى إخواني في الله طلابّ العلم ومحبيه، وأنصار الحق ومؤيديه الجزء الخامس من سلسلة كتابي: "**الأجوبة السديدة على الأسئلة الرشيدة**" وحيث إن لكل عمل سببًا وباعثًا فإن الباعث لي على تدوين هذا الجزء أمران:

الأول منهما: زيارة مجموعة من طلاب العلم الجامعيين الذين قدموا لزيارتي ومعهم أسئلة في قضايا واقعية متنوعة، وقد تم توجيه بعضها في حال اللقاء بواسطة الشريط المسجل، وتم الجواب عليها كذلك.

والأمر الثاني: ورود أسئلة أيضًا من مندوب جريدة عكاظ من مدينة

جازان (معاذ الحاج)، وقد تم الجواب عليها في حين ورودها ونشر بعضها في الجريدة المذكورة، ولكن مصير الجرائد بعد الفراغ من قراءتها معروف عند الجميع، وحيث إن العلم لا يحفظ إلا في صدور الرجال وهو في بطون الكتب أشد حفظًا وبقاءً للانتفاع به، فقد أحببت جمع هذه الأسئلة مقرونة بالأجوبة عليها في الجزء الخامس من سلسلة الأجوبة، وكان ترتيبها على النحو التالي:

س١: هل قرأت المنشور الذي بعنوان مفردات "السلفية الجديدة ندوب في وجه السلفية الحقيقية" ؟

س٢: ما رأيكم فيمن لا يرى جواز الترحم على بعض العلماء من الأئمة والحفاظ الذين وقعوا في بعض الأخطاء في مؤلفاتهم.... إلخ.

س٣: هل الرد على أهل الأهواء والبدع والمجاهرين بالمعاصي يعتبر تتبعًا للزلات، وتطلعًا إلى معرفة العيوب والعثرات؟ وهل التحذير من المبتدع الداعي إلى بدعته والمروّج لها يعتبر غيبة له؟ وما هو موقف علماء السلف من أهل البدع والمجاهرين بالمعاصي عمومًا؟ أفيدونا أثابكم الله ثواب العلماء الناصحين، والدعاة الحكماء المخلصين.

س٤:

١- ما أسباب الغثائية التي يعيشها معظم العالم الإسلامي في الفكر والفهم والتصور والعمل؟

٢- وما المخرج منها؟

٣- وما الدور الذي يجب أن يضطلع به ولاة أمر المسلمين من علماء وحكام حيال رعاياهم عامة وحيال أصحاب الفكر والفهم الغثائي والتصور الخاطئ خاصة؟

س٥:

١- كيف نحقق الدعوة إلى الله وما هي أهم عناصر نجاحها؟

٢- وما مسببات فشلها وكيف نصل إلى دعوة عصرية تقدر الواقع الذي نعيش فيه؟

٣- ثم كيف نعالج الخلل الموجود فيما يدعى بالحركات والمنظمات الإسلامية المعاصرة ونوحد أهدافها لخدمة الإسلام بحكمة وسلام؟

س٦: من المعلوم أن ضرب القدوة الدينية والتشكيك فيها وسيلة من وسائل الغزو الفكري المعادي للإسلام، فما هي الغاية المنشودة لأهله وراء ذلك، وكيف التصدي لإحباط هذا المكر -وفقكم الله وسدد حالكم ومقالكم في درب الهدى وأصلح بالكم-؟.

س٧: نحن طلاب علم نريد إعداد أنفسنا لنكون دعاة إلى الله على المنهج الصحيح، وأنتم تعلمون أنه يوجد في هذا العصر جماعات كثر في الجزيرة العربية وفي غيرها، كل جماعة لها منهج خاص وأمراء وأتباع كذلك، وأخص بالذكر من هذه الجماعات جماعة التبليغ، وجماعة الإخوان المسلمين، فهل يجوز لنا أن نندمج مع هذه الجماعات وندخل في أنظمتها، ونعطي البيعة لأمرائها ومنظريها -أفيدونا أثابكم الله-؟.

س٨: قرأت في بعض الصحف المحلية[1] موضوعًا عن الحركات فرأيت عنوانًا مكبرًا هكذا:

"الحركات الإسلامية المعاصرة يتيم في مأدبة اللئيم" والحقيقة لقد أشكل عليَّ مراد الكاتب بِهذا العنوان والسؤال هو: ما هو المفهوم منه عندكم أثابكم الله؟

وأخيرًا: فإنَّني قد بذلت غاية ما عندي من جهد، ودونت ما لدي من علم كما سيرى القارئ ذلك بالتفصيل، فما كان من حق وهدى وصواب فمن الله العزيز الوهاب، وما كان من نقص وزلل فمنِّي ومن الشيطان والله ورسوله منهما بريئان.

المجيب على الأسئلة

زيد بن محمد بن هادي المدخلي

(١) هي جريدة عكاظ، انظر رقم العدد والتأريخ (ص١٠٤) من الكتاب.

س١: هل قرأت المنشور الذي بعنوان مفردات "السلفية الجديدة ندوب في وجه السلفية الحقيقة"؟ وإذا قلت: نعم، فما موقفك منه ومن كاتبه وموزعيه -أثابكم الله-؟.

ج١: نعم قرأت المنشور المذكور وأنا أقدر لكل كاتب نقد وتوجيه له عليهما شاهد من كتاب الله العظيم أو من سنة النبي الكريم عليه من ربه أتم صلاة وأزكى تسليم، وأضم صوتي إلى صوت كل من ينتقد ويوجه المتجاوزين الحدود الشرعية في نقد الرجال أو الكتب أو الطوائف، وفي الوقت نفسه فأنا أيضًا -بجهد المقل- مع من ينتقد بحق الرجال أو الكتب أو الطوائف وهو ملتزم في نقده ورده وتوجيهه بالقواعد العلمية ومتقيد في ذلك بالنصوص الشرعية، ومتخلق بالأخلاق الإيْمانية، حاديه قول الحق سبحانه: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [يوسف:١٠٨].

ورائده إظهار الحق وحمايته من صولة الباطل، وغايته الذود عن حوض الهدى، وطمس معالم الردى؛ لتبقى العقيدة صافية راسخة سليمة، وتبقى الشريعة قائمة ظاهرة محروسة تتحطم قبل الوصول إليها والاختلاط بها كل الاتجاهات الزائفة والأفكار الجاهلية الفاسدة والمبادئ الهدامة الوافدة، الّتي لَمْ يزدد أهلها إلا ذلاً في الدنيا ولا ينتظرون إلا شقاءً في البرزخ والآخرة.

إذا علم هذا فإن لي على أخي كاتب المنشور ملاحظات سأكتفي

بذكر بعض منها:

الملاحظة الأولى: على تقسيمه السلفية، إلى جديدة وغير جديدة، أقول: هذا تقسيم مبتكر فيه اعتداء على السلفية التي إذا ذكرت، فإنَّما يراد بها -عند علماء السلف- المنهج الحق الذي عليه الصحابة الكرام الوارثون للعلم النافع والعمل الصالح ممن أتى بشريعة الإسلام عليه الصلاة والسلام ومن تبعهم بإحسان من سائر الأنام، فهي نسبة لَمْ تنفصل لحظة واحدة عن الصدر الأول بل هي منهم وإليهم، أما من خالفهم بقول أو عمل أو منهج اتبع فيه هواه فليس منهم من كل وجه، وإن عاش بينهم وكان من جملة المسلمين، ولذا فقد تبرأ الصحابة ﷺ من فرق الابتداع الَّتِي ظهرت في عصرهم وخالفوهم في بعض أصول الدين وبعض حقوقه ومكملاته، وعليه فكان الواجب على صاحب المنشور أن يسمي الطائفة التي قصد الحديث عنها بما يتناسب مع انحرافها الذي تضمنه المنشور، ألا وهو الوقيعة في علماء الأمة الأحياء منهم والأموات، وابتعد عن السلفيين والسلفية التي لَمْ يسبقه إلى تقسيمها إلى ما ذكر من يصح أن يقتدى به، أو يعول على كلامه أو ينسج على منواله.

الملاحظة الثانية: على وصفه لخصومه بالجبن عن نقد الحكام والأنظمة والعلماء ومشاهير الدعاة... الخ[1] ما قال، وهو في الحقيقة قد بلغ في الجبن غاية لا يحسد عليها بدليل أنه صنف هذا المنشور وعهد به

---

(١) انظر (ص٥) من المنشور.

إلى من كان على شاكلته فوزعه سرًّا، ولَم يكتب اسمه عليه، ولو أنه كتب اسمه كغيره ممن ينتقد الخطأ ويوجه صاحب الغلط لكان قد فتح الباب لمن يريد أن يسترشد من طلاب العلم عما كان مجملاً في كلامه، أو غامض المعنى في عبارته، ولأصاب طريق المؤلفين من العلماء القدامى والمعاصرين، الذين صنفوا المصنفات وكتبوا أسماءهم داخل الدفتين وخارجهما وقالوا للناس هذا ما كتبناه لكم غنمه وعلينا غرمه ! أما أن يؤلف صاحب المنشور منشوره ويخلط فيه بين مقبول ومردود، وغث وسمين، وبين بريء ومتهم أو مدان ويخفي اسمه فهذا هو الجبن في أجلى صوره، شاء أم أبى رضي أم سخط.

ولقد أحسن الذي قال:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله   عار عليك إذا فعلت عظيم

الملاحظة الثالثة: على قطعه وجزمه أن الشيخ ربيع بن هادي عمير المدخلي أحد أفراد من سماهم بالسلفية الجديدة. بحجة أنه وجده قد خالف القاعدة الَّتِي انتهجها الكاتب المذكور هو ومن كان مثله في الاتجاه، وهي وجوب الموازنة بين المحاسن والمساوي عند الرد على أهل الأهواء والبدع وعند بيان الأخطاء والأغلاط التي وقع فيها بعض الرجال أو الطوائف في التصريحات والمؤلفات، وهذا نص كلام الكاتب المجهول -هداه الله-: "إن من الإنصاف أن يذكر لكل فئة حقها من المحاسن، ولكن هؤلاء القوم حاربوا هذه القاعدة، وعادوها أشد العداوة، وجعلوها

من علامات أهل الابتداع وألفوا في نقضها المؤلفات، وألقوا المحاضرات حتى قال أحدهم: إن ذكرها غير لازم ولا واجب، وليس إهمالها مما ينافي الأمانة، بل الواجب واللازم فقط هو بيان ضلالهم وبدعهم وتصرفاتهم وتأويلاتهم، وتحذير الناس من خطرها وشرها" اهـ. [من منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والطوائف/ ربيع المدخلي (ص٨٥)].

وليسمح لي الأخ صاحب المنشور المتشبث بتلك القاعدة -أعني: قاعدة وجوب الموازنة المذكورة- أن أقول لــه: إن أصحابَها لا يَملكون على إطلاقها دليلاً من كتاب ولا سنة، وليس قاعدة مطردة عند علماء السلف في الرد على أهل البدع ولا في تبيان أخطاء الرجال والطوائف والكتب، وليست منهجًا لأهل الجرح والتعديل كما هو موضح في كتبهم -رحمهم الله-، أما القائلون بعدم وجوب الموازنة بين المحاسن والمساوي عند النقد المذكور وعند الرد على أهل الأهواء والبدع فإنَّهم يملكون أوضح الأدلة من الكتاب والسنة منها قول الله تعالى في حق الكفار: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣].

وهؤلاء الذين ذكرهم الله ذمًّا لهم، ومبطلاً لأعمالهم لا شك أن لهم حسنات من إكرام الضيف وحماية الجوار وسقاية الحاج ونصرة المظلوم أحيانًا، ولكن لما هدموها بالشرك الأكبر لَمْ يذكر لهم شيئًا منها بل صيرها هباءً منثورًا، وعليه فلا وجه صحيحًا مع من يقول بوجوب ذكر المحاسن عند نقد المساوئ وبيان الأخطاء الصادرة من أهل الأهواء

والبدع. وغير هذا النص في معناه كثير.

ومن السنة قول النبي ﷺ لفاطمة بنت قيس لما أخبرته أن أبا جهم ومعاوية خطباها قال: «**أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد**» الحديث. ومن غير شك أن لكل من أبي جهم ومعاوية محاسن عظيمة وأعمالاً جليلة، ولكن لما كان المقام مقام نصيحة ومشورة للمرأة لَمْ يذكر شيئًا من محاسن الرجلين، وهذا من الحكمة التي تقتضي وضع كل شيء في محله فمتى اقتضى الحال الجمع بين ذكر محاسن الشخص ومساوئه تعين، ومتى اقتضى الحال الاقتصار على ذكر المساوي فلا يلزم إضافة ذكر المحاسن معها[1].

كما أحب أن أبين لكاتب المنشور وأصحابه أن الشيخ ربيع بن هادي عمير المدخلي الذي اعتبروه فردًا من أفراد ما سموه بالسلفية الجديدة ليس هو وحده الذي هدم قاعدة وجوب الموازنة المذكورة وحارَبَها، كما زعم صاحب المنشور بل شاركه في القول بعدم وجوبِها بل بعدم الرضى بِها من هم أوسع منه علمًا وأكبر سنًّا وأقدم في الطلب كصاحب السماحة الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله-، والشيخ عبد العزيز المحمد السلمان -رحمه الله-، والشيخ صالح بن فوزان ابن عبد الله الفوزان -حفظه الله-.

---

(١) والأمثلة في الكتاب والسنة على هذه المسألة كثيرة جدًّا تدرك بالتتبع والاستقراء والإطلاع الدقيق على كتب علماء السلف -رحمهم الله-.

أما صاحب السماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله- فقد وجِّه إليه السؤال التالي في نفس الموضوع: "فيه أناس يوجبون الموازنة أي أنك إذا انتقدت مبتدعًا ببدعته ليحذر الناس منه يجب أن تذكر حسناته حتى لا تظلمه. فأجاب الشيخ - رحمه الله - قائلاً: لا ما هو بلازم، ما هو بلازم ولهذا إذا قرأت كتب أهل السنة وجدت المراد التحذير، اقرأ في كتب البخاري: كتاب خلق أفعال العباد، وكتاب الأدب في الصحيح، وكتاب السنة لعبد الله بن أحمد، وكتاب التوحيد لابن خزيْمه، ورد عثمان بن سعيد الدارمي على أهل البدع، إلى غير ذلك، يوردونه للتحذير من باطلهم ما هو المقصود تعديد محاسنهم، المقصود التحذير من باطلهم، ومحاسنهم لا قيمة لها بالنسبة لمن كفر إذا كانت بدعته تكفره بطلت حسناته، وإذا كانت لا تكفره فهو على خطر، فالمقصود هو بيان الأخطاء والأغلاط الَّتي يجب الحذر منها"[١]. اهـ.

وأما الشيخ/ عبد العزيز المحمد السلمان -رحمه الله- قد وجه إليه السؤال التالي: "هل يشترط الموازنة بين الحسنات والسيئات في الكلام على المبتدعة في منهج السلف". فأجاب عليه بقوله: " اعلم -وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين- أنه لَمْ يؤثر عن أحد من السلف الصالح من الصحابة وتابعيهم بإحسان تعظيم أحد من أهلَ البدع والموالين لأهل البدع والمنادين بموالاتهم لأن أهل البدع مرضى قلوب، ويخشى على

(١) بواسطة كتاب منهج أهل السنة (ص٨).

من خالطهم أو اتصل بِهم أن يصل إليه ما بِهم من هذا الداء العضال؛ لأن المريض يعدي الصحيح ولا العكس، فالحذر الحذر من جميع أهل البدع، ومن أهل البدع الذين يجب البعد عنهم وهجرانُهم: الجهمية، والرافضة، والمعتزلة، والماتريدية، والخوارج، والصوفية، والأشاعرة ويحذر منهم، وصلى الله على محمد وآله وسلم[١]. ا هـ.

وأما الشيخ صالح بن فوزان فقد وجه إليه السؤال التالي بعد أن سئل عدة أسئلة حول الجماعات: "طيب يا شيخ تحذر منهم دون أن تذكر محاسنهم ومساوئهم؟" فأجاب -حفظه الله- قائلاً: "إذا ذكرت محاسنهم دعوت لهم، لا، لا تذكر محاسنهم، اذكر الخطأ الذي هم عليه فقط؛ لأنه ليس موكولاً إليك أن تدرس وضعهم وتقومهم، إنَّما موكولٌ إليك بيان الخطأ الذي عندهم من أجل أن يتوبوا منه، ومن أجل أن يحذره غيرهم، أما إذا ذكرت محاسنهم قالوا جزاك الله خيرًا هذا الذي نبغيه"[٢]. ا هـ.

وأخيرًا: فلعله قد اتضح للقارئ الحريص على فهم الحق والعمل به من عرض هذه الملحوظة أن صاحب المنشور المذكور وذويه يعتبرون جميع المخالفين لهم في تلك القاعدة، أعني قاعدة وجوب الموازنة بين المحاسن والمساوي عند الرد على أهل الأهواء والبدع وعند نقد الرجال

(١) المصدر السابق (ص٩، ١٠).

(٢) المصدر السابق.

والطوائف والكتب من أفراد السلفية الجديدة، كما زعموا بل قرروا نسأل الله لنا ولهم الفقه في الدين والرجوع إلى الحق المبين.

الملاحظة الرابعة[1]: على تصريح صاحب المنشور أن من عيوب من أسماهم بالسلفية الجديدة والمآخذ عليهم، قولهم بعدم لزوم الموازنة بين المحاسن والمساوئ وأن طالبي الموازنة منهجهم غريب فأنا أذكره قائلاً له: هل لهذه الطائفة شيء من الحسنات في مفهومك يا أخي أم لا؟ فإن قلت: لا حسنات لها في ميزان الإسلام فتذكر بِها، فذلك هو مذهب الخوارج الذي اتُّهمت به خصومك في الورقة الأولى والثانية من المنشور حيث قلت هناك: "وينشأ بين ظهراني المسلمين نشء حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام.." إلخ الأوصاف المدونة.

وإن قلت: معاذ الله أن أجرد خصومي من المحاسن وإن كانت مساوئهم كثيرة وغليظة، قلت لك: فلماذا لا تطبق في حقهم قاعدتك التي تقضي بوجوب ذكر المحاسن إلى ذكر المساوي عند النقد للرجال والطوائف؟ وأنت قد وجهت لومًا شديدًا إلى من أعرض عن تطبيق القاعدة المذكورة: **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾** [الصف:٢-٣].

فالبدار البدار يا أخي صاحب المنشور إلى تلافي الأخطاء وتصويبها، وأقم الوزن بالقسط كما أمرك الله، ولا تتقلب في أمر مريج، وكن على

---

(١) انظر المنشور ورقة (٩).

يقين وثقة أنني معك في الرد على أصحاب الأهواء والبدع، والنقد لأصحاب الأغلاط والأخطاء التي يتعين الرد عليها والنقد لها إحقاقًا للحق وردًا للباطل.

الملاحظة الخامسة: على أخي صاحب المنشور في خلطه بين أمور اعتبرها من عيوب الطائفة الَّتِي سماها "السلفية الجديدة" وهي ليست عيوبًا في ميزان الشرع، ولَم تنفرد بِها الطائفة المذكورة، وبين أمور أخرى هي في الواقع عيوب يستحق قائلها الرد عليه فيها.

وهاأنا سأذكر فيما يلي قليلاً من الأمور التي اعتبرها عيوبًا وليست عيوبًا[1].

١- دعوة الأنبياء تركز على التوحيد وتحذر من أخطار الأوثان والقبور[2]... إلخ. ونحن نقول: حقًّا إن دعوة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- تركز على التوحيد وتحذر من أخطار الشرك بجميع صوره وفي مقدمته الشرك في الألوهية سواء كان دعاء أو غيره، ذلك لأن التوحيد هو أصل الدين وقاعدته وأن الدعوة إليه والاهتمام بشأنه بادئ ذي بدء هو الطريق الصحيح والمنهج الأمثل، ومن قرأ قصص القرآن

---

(١) ويلوح لي العيب أيضًا على الذي يكتب فيحمل حتى يجمع في كتابته ونقده بين ذم الصالح مع الطالح وربنا يقول: ﴿وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام: من الآية١٦٤].

(٢) انظر المنشور (ص١٠).

وتأريخ دعوة الرسل والأنبياء تبين له ذلك، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يأتي صاحب المنشور -هداه الله- ويعتبر ذلك من العيوب التي يستحق قائلها اللوم. إنني أكرر أن من الحكمة في الدعوة إلى الله أن يبدأ الداعية المؤهل بالعلم الشرعي مع الناس في تحقيق التوحيد وبيان فضله واجتناب الشرك بجميع ضروبه وشتى صوره لاسيما في هذا الزمان الذي انتشرت فيه الأعمال الشركية في معظم الأقطار الإسلامية، وليس معنى ذلك أن الدعاة إلى الله الذين يرون التركيز على تحقيق التوحيد وتصفية العقيدة من شوائب الشرك والبدع يهملون حقوق هذا التوحيد ومكملاته، كلا بل إنَّهم يدعون إلى إقامة الفرائض والحدود والواجبات والمستحبات من الأقوال والأفعال والمعتقدات وينهون عن المحرمات وجميع الرذائل والسوءات، وهم في ذلك كله ملتزمون بالمنهج النبوي الكريم، ومتقيدون بضوابط الدعوة الشرعية على الحق وعلى هدى مستقيم.

قال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله- في هذا الموضوع ما نصه: "ولما بعث الله نبيه محمدًا ﷺ بدأ دعوته بالتوحيد كالرسل السابقين قبله سواء، فقال لقريش: «**يا قوم قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**» هكذا بدأهم، ما أمرهم بالصلاة أو الزكاة أولاً أو ترك الخمر أو الزنا أو شبه ذلك لا، بل بدأهم بالتوحيد؛ لأنه الأساس فإذا صلح الأساس جاء غيره بعد ذلك، فبدأهم بالأساس العظيم وهو توحيد الله والإخلاص لـــه، فتوحيد الله والإخلاص هو دين جميع المرسلين وهو

محل دعوتهم جميعًا وزبدة رسالتهم -عليهم الصلاة والسلام- كما سلف"(١). اهـ. وعليه يقال لكاتب المنشور دع الخلط والمزج بين الصالح والطالح في وعاء واحد بل ميز بين الخبيث والطيب اقتداء بربك القائل: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: من الآية٣٧].

٢- اعتبار صاحب المنشور القول بأن أساليب الدعوة توقيفية عيبًا من عيوب الطائفة المذكورة، والحق إنه ليس من مفرداتها بل يقول به الْمُحققون من أهل العلم القدامى والمعاصرون، ولهم حُجَجُهم العقلية والنقلية، ومنها أن الله ابتعث محمدًا ﷺ وأمر جميع الأمة بالاقتداء به في جميع التكاليف الشرعية(٢) ، ومن جملتها الدعوة إلى الله وسيلة وغاية قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: من الآية٢١]، وقال ﷻ : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: من الآية٧] كما حذر الله من مخالفة أمره بقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: من الآية٦٣].

وإذا كان الأمر كذلك فإنه لا يحق أن نتجاوز في دعوتنا إلى الله الوسائل الشرعية والأساليب النبوية التي صح نقلها إلينا عن رسول الله ﷺ من خطابة في المناسبات الشرعية ونصيحة عامة أو فردية أو مكاتبة

(١) انظر مجموع فتاوي سماحته (ج٢ ص٦٢).

(٢) إلا ما كان من خصائصه فليس لأحد أن يتأسى به فيه، وهي أمور قليلة عرفت من الكتاب والسنة بالاستقراء والتتبع.

لفرد أو جماعة أو إجابة على أسئلة أو تعليم الخلق في حلقات العلم، أو مناظرة لإقامة الحجة على الخصم أو إصدار المؤلفات في فنون الشريعة من ذوي الكفاءات العلمية، تنير طريق الهدى وتحذر وتنذر من طرق الضلال والبدع والردى، أو جهاد في سبيل الله بما تحمل كلمة الجهاد من معنى متى توفرت شروطه وانتفت موانعه.

وعليه فمن يرد أن يأتي بأساليب جديدة ووسائل مبتكرة ليس لها أصل ثابت في الهدي النبوي في أداء هذه الفريضة فلن يقر على صنيعه، لأن الله تبارك وتعالى أمرنا أن لا نعبد إلا إياه وأن لا نعبده إلا بما شرع رسول الله ﷺ وليس فيما شرع الله على لسان نبيه ﷺ في هذا الباب اتخاذ المظاهرات والاغتيالات ورفع شعارات يقلد بها أعداء الدين، كما أنه ليس من أساليب الدعوة إلى الله المسموح بها شرعًا ارتكاب المخالفات بدعوى الحرص على صلاح الغير، وما ذلك إلا لأن فيما أتى به رسول الله ﷺ كفاية وغنية بشهادة النقل والعقل وأئمة الدعوة والهدى.

هذا ويسرني أن تلقي السمع وأنت شهيد إلى جواب إمام من أئمة الدعوة إلى الله حينما وجه إليه السؤال التالي في هذا الموضوع:

سئل شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله عن جماعة يجتمعون على قصد الكبائر من القتل، وقطع الطريق، والسرقة، وشرب الخمر، وغير ذلك، ثُمَّ إن شيخًا من المشايخ المعروفين بالخير واتباع السنة قصد منع

المذكورين من ذلك، فلم يمكنه إلا أن يقيم لهم سماعًا يجتمعون فيه بهذه النية وهو بدف بلا صلاصل، وغناء المغني بشعر مباح بغير شبابة، فلما فعل هذا تاب منهم جماعة، وأصبح من لا يصلي ويسرق ولا يزكي يتورع عن الشبهات، ويؤدي المفروضات ويجتنب المحرمات، فهل يباح فعل هذا السماع لهذا الشيخ على هذا الوجه لما يترتب عليه من المصالح مع أنه لا يمكنه دعوتهم إلا بهذا ؟

فأجاب:

الحمد لله رب العالمين، أصل جواب هذه المسألة وما أشبهها أن يعلم أن الله بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا، وأنه أكمل له ولأمته الدين كما قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ [المائدة: من الآية٣].

وأنه بشر بالسعادة لمن أطاعه، والشقاوة لمن عصاه، فقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾ [النساء:٦٩].

وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا**﴾ [الجن: من الآية٢٣].

وأمر الخلق أن يردوا ما تنازعوا فيه من دينهم إلى ما بعثه به كما قال تعالى: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**

فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء:٥٩] .

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ [الشورى: من الآية٥٢-٥٣].

وأخبر أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وأنه يحل الطيبات ويحرم الخبائث كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: من الآية ١٥٦-١٥٧].

وقد أمر الرسول ﷺ بكل معروف، ونهى عن كل منكر، وأحل كل طيب، وحرم كل خبيث، وثبت عنه ﷺ في الصحيح[1] أنه قال: «**ما بعث الله نبيًّا إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم**» الحديث. وثبت عن العرباض بن سارية ﷺ قال: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، قال: فقلنا يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال:

---

(١) صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص ﷺ.

أوصيكم بالسمع والطاعة فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تَمسكوا بِها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»[(١)].

وثبت عنه ﷺ أنه قال: «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»[(٢)].

وشواهد هذا الأصل العظيم الجامع من الكتاب والسنة كثيرة، وترجم عليه أهل العلم في الكتب "كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة". كما ترجم عليه البخاري، والبغوي وغيرهما فمن اعتصم بالكتاب والسنة كان من أولياء الله المتقين وحزبه المفلحين وجنده الغالبين، وكان السلف كمالك وغيره يقولون: "السنة كسفينة نوح عليه السلام من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق".

وقال الزهري: "كان من مضى من علمائنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة".

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (ج٤ ص١٢٦)، وأبو داود في كتاب السنة، باب في لزوم السنة رقم (٤٦٠٧) والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة رقم (٢٦٧٦) وابن ماجه في المقدمة رقم (٤٢) باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين، وانظر للفائدة شرح هذا الحديث الجليل في جامع العلوم والحكم لابن رجب تظفر بِما قد لا تجده في غيره وسنده صحيح.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (ج٤ ص٤٦) وابن ماجه في المقدمة (ج١ ص١٦) وسنده صحيح، انظر صحيح ابن ماجه للألباني (ج١ ص٦).

إذا عرف هذا فمعلوم أن ما يهدي الله به الضالين، ويرشد به الغاوين ويتوب به على العاصين لابد أن يكون فيما بعث الله به رسوله من الكتاب والسنة وإلا فإنه لو كان ما بعث الله به الرسول ﷺ لا يكفي في ذلك لكان دين الرسول ناقصًا محتاجًا تتمة، وينبغي أن يعلم أن الأعمال الصالحة أمر الله بها أمر إيجاب أو استحباب، والأعمال الفاسدة نَهى الله عنها، والعمل إذا اشتمل على مصلحة ومفسدة فإن الشارع حكيم فإن غلبت مصلحته على مفسدته شرعه، وإن غلبت مفسدته على مصلحته لَمْ يشرعه بل نَهى عنه، كما قال تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة الآية ٢١٦].

وقال تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا**﴾ [البقرة: من الآية٢١٩].

ولهذا حرمهما الله بعد ذلك، وهكذا ما يراه الناس من الأعمال مقربًا إلى الله، ولَم يشرعه الله ورسوله فإنه لابد أن يكون ضرره أعظم من نفعه وإلا فلو كان نفعه أعظم غالبًا على ضرره لَمْ يهمله الشارع فإنه ﷺ حكيم لا يهمل مصالح الدين، ولا يفوت المؤمنين ما يقربُهم إلى رب العالمين.

إذا تبين هذا فنقول للسائل: إن الشيخ المذكور قصد أن يتوّب المجتمعين على الكبائر فلم يمكنه ذلك إلا بما ذكر من الطريق البدعي يدل أن

الشيخ جاهل بالطرق الشرعية التي بِها تتوب العصاة أو عاجز عنها، فإن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين كانوا يدعون من هو شر من هؤلاء من أهل الكفر والفسوق والعصيان بالطرق الشرعية التي أغناهم الله بِها عن الطرق البدعية، فلا يجوز أن يقال: إنه ليس في الطرق الشرعية التي بعث الله بِها نبيه ما يتوب به العصاة فإنه قد علم بالاضطرار، والنقل المتواتر أنه قد تاب من الكفر والفسوق والعصيان من لا يحصيه إلا الله تعالى من الأمم بالطرق الشرعية التي ليس فيها ما ذكر من الاجتماع البدعي، بل السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وهم خير أولياء الله المتقين من هذه الأمة تابوا إلى الله تعالى بالطرق الشرعية، لا بِهذه الطرق البدعية، وأمصار المسلمين وقراهم قديمًا مملوءة ممن تاب إلى الله واتقاه، وفعل ما يحبه الله ويرضاه بالطرق الشرعية لا بِهذه الطرق البدعية، فلا يمكن أن يقال: إن العصاة لا تمكن توبتهم إلا بِهذه الطرق البدعية بل قد يقال: إن في الشيوخ من يكون جاهلاً بالطرق الشرعية عاجزًا عنها ليس عنده علم بالكتاب والسنة وما يخاطب به الناس ويسمعهم إياه مما يتوب الله عليهم به، فيعدل هذا الشيخ عن الطرق الشرعية إلى الطرق البدعية إما مع حسن القصد إن كان له دين، وإما أن يكون غرضه الترؤس عليهم وأخذ أموالهم بالباطل... إلى أن قال -رحمه الله-: وقول السائل وغيره هل هو حلال أو حرام لفظ مجمل فيه تلبيس يشتبه الحكم فيه حتى لا يحسن كثير من المفتين تحرير الجواب فيه؟

وذلك أن الكلام في السماع وغيره من الأفعال على ضربين:

أحدهما: أنه هل هو محرم أو غير محرم؟ بل يفعل كما يفعل سائر الأفعال الَّتِي تلتذ بِها النفوس، وإن كان فيها نوع من اللهو واللعب كسماع الأعراس وغيرها مما يفعله الناس لقصد اللذة واللهو، لا لقصد العبادة والتقرب إلى الله.

والنوع الثاني: أن يفعل على وجه الديانة والعبادة وصلاح القلوب، وتجريد حب العباد لربِّهم وتزكية نفوسهم وتطهير قلوبِهم، وأن تحرك من القلوب الخشية، والإنابة والحب ورقة القلوب وغير ذلك مما هو من جنس العبادات والطاعات لا من جنس اللعب والملهيات، فيجب الفرق بين سماع المتقربين، وسماع المتلعبين، وبين السماع الذي يفعله الناس في الأعراس والأفراح ونحو ذلك من العادات، وبين السماع الذي يفعل لصلاح القلوب والتقرب إلى رب السموات، فإن هذا يسأل عنه هل هو قربة وطاعة؟ وهل هو طريق إلى الله؟ وهل لهم بد أن يفعلوه لما فيه من رقة قلوبِهم، وتحريك وجدهم لمحبوبِهم وتزكية نفوسهم، وإزالة القسوة من قلوبِهم، ونحو ذلك من المقاصد التي يقصد بالسماع كما أن النصارى يفعلون مثل هذا السماع في كنائسهم على وجه العبادة والطاعة لا على وجه اللهو واللعب؟ إذا عرف هذا فحقيقة السؤال هل يباح للشيخ أن يجعل هذه الأمور الَّتِي هي محرمة أو مكروهة أو مباحة قربة وعبادة وطاعة وطريقة إلى الله يدعو بِها إلى الله ويتوب العاصين،

ويرشد به الغاوين ويهدي به الضالين؟ ومن المعلوم أن الدين له أصلان، فلا دين إلا ما شرع الله ولا حرام إلا ما حرمه الله"[١]...الخ كلامه في هذا الموضوع الذي يعتبر حجة واضحة على أن وسائل الدعوة توقيفية، وأنه ما كان لأحد أن يبتكر وسائل لَمْ يستخدمها رسول الله ﷺ في دعوة أصناف الخلق إلى عبادة خالقهم وتقواه، ولَم يكن لها أساس ثابت من منهجه في هذا الباب العظيم.

وانطلق شيخنا عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله- من هذا المنطلق فقال تحت عنوان "عوامل إصلاح المجتمع" ما نصه: "ومعلوم أن العوامل التي بِها صلاح المجتمع الإسلامي وغير الإسلامي هي العوامل التي قام بِها إمام المرسلين، وخاتم النبيين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، وقام بِها صحابته الكرام وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون المهديون أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين، وعلي المرتضى أبو الحسن ثم من معهم من الصحابة -رضي الله عن الجميع وجعلنا من أتباعهم بإحسان- ومن المعلوم أن هذه العوامل قام بِها نبينا محمد ﷺ في مكة أولاً ثم في المدينة، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا الذي صلح به أولها، كما قال أهل العلم والإيْمان، ومن جملتهم الإمام المشهور مالك ابن أنس إمام دار الهجرة في زمانه والفقيه المعروف أحد الأئمة الأربعة قال هذه المقالة وتلقاها أهل العلم في زمانه وبعده ووافقوا عليها جميعًا:

(١) انظر الفتاوى (ج١١ ص٦٢٠-٦٢١).

«**لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها**». والمعنى أن الذي صلح به أولها وهو اتباع كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ هو الذي يصلح به آخرها إلى يوم القيامة.

ومن أراد صلاح المجتمع الإسلامي أو صلاح المجتمعات الأخرى في هذه الدنيا بغير الطريق والوسائل والعوامل التي صلح بها الأولون فقد غلط وقال غير الحق، فليس إلى غير هذا من سبيل، وإنما السبيل إلى إصلاح الناس، وإقامتهم على الطريق السوي هو السبيل الذي درج عليه نبينا محمد ﷺ، ودرج عليه صحابته الكرام ثم أتباعهم بإحسان إلى يومنا هذا"[١] اهـ.

وضم بكر أبو زيد صوته إلى صوت الحق في هذا الباب فقال: "فالدعوة تتكون من وسيلة وغاية، فحقيقة الدعوة —الغاية- توقيفية لا مجال للاجتهاد فيها، حقيقة الدعوة أمر ثابت لا يتغير بتغير الأزمان والمكان والأحوال، والأصل في وسائل نشر الدعوة -كذلك- التوقيف على منهاج النبوة[٢] وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[٣] وفي لفظ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[٤] إلى أن

---

(١) مجموع فتاوي سماحته (ج١ ص٢٤٩) ط. الإفتاء.

(٢) انظر حكم الانتماء (ص١٥٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (ج٣ ص١٦٠) ومسلم في كتاب الأقضية (ج٣ ١٧١٨).

(٤) نفس المصدر السابق (ص١٥٧، ١٥٨).

قال: وفي الوسائل الشرعية غنية وكفاية عن الوسائل البدعية إذ ما من طريق فيه مصلحة للدعوة إلا قد سلكه الرسول ﷺ وشرعه لأمته".

وبعد؛ فهذه أمثلة قليلة مما سطره أهل البصيرة بأساليب الدعوة إلى الله واتفقت كلمتهم عليه، أحببت الوقوف عليها بنفسي كما أحببت أن أوقف عليه كل من يحب أن يعتق نفسه من رق الأمور المبتدعة لاسيما في أصول الدعوة ومنهجها غاية ووسيلة، وليعلم أيضًا صاحب المنشور وموافقوه -ألهمنا الله وإياهم رشدنا- أن القول بأن وسائل[1] الدعوة إلى الله توقيفية على النحو الذي جرى القلم بتدوينه ليس من عيوب تلك الطائفة الغالية في موضوع التبديع والتفسيق، وإنما هو قول أهل التحقيق الجلي في علوم الدين عقيدة وشريعة ومنهج دعوة علمي وعملي.

٣- الثورة على الدولة الكافرة، والحكومات المنحرفة ليس منهج الأنبياء ... إلخ ما ذكر في الصفحة العاشرة من المنشور وهو يعدد عيوب الطائفة المذكورة.

وعلماء السلف الصالح السابق منهم واللاحق يعتقدون ذلك ويقولون: إن الثورة على الدول الكافرة، وكذا على الدول المنحرفة عن شيء من حقوق شريعة الإسلام أمر لا ينبغي عند عدم القدرة على ذلك، وما يترتب عليه من شرور وأضرار ومفاسد تلحق بالأعراض

(١) ليس المراد بالوسائل هنا الوسائل الآلية لبثّ الدعوة فهي غير توقيفية، إنما المراد بالوسائل التوقيفية طرق الدعوة ومناهجها.

والدماء والأموال وقبل ذلك الدعوة والدعاة، وإن ما تفعله اليوم الجماعات والمنظمات الإسلامية والأحزاب السياسية المعاصرة من تدبير الاغتيالات لرؤساء الحكومات ورجال حكوماتِهم وأعوانِهم بالرغم من مخالفته لمنهج الدعوة الحكيم، وأسلوبِها الرحيم فإن ضرره أصبح أعظم من نفعه وشره أكثر من خيره، وكم قد جر من الفوضى وسبب من الأذى وأحدث من المعوقات، وأرسى من العقبات في طريق إصلاح الأمم والمجتمعات، والنبي ﷺ لَمْ يعرف عنه الحرص على القتل والفتك بأهل الكفر والانحرافات، بل كان ينشد هدايتهم ويرغب في استجابتهم لدعوة الخير بطريق السلام، وهو في ذلك صاحب تأن بِهم ودعاء خاشع لله في أن يأتي بِهم: «**اللهم اهد دوسًا وآت بِهم**»[1] ومن شاء دليلاً واضحًا جليًّا على ما قلت، فليسمع ما روته أُمُّنَا عائشة -رضي الله عنها- أنَّها سألت رسول الله ﷺ قائلة: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحُد؟.

فقال: «**لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله ﷻ قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب الدعاء للمشركين لتأليفهم (ج٤ ص٣٦) ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٥٢٤) باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطيء.

بما شئت فيهم، قال فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال له رسول الله ﷺ: **بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا»**[1].

قلت: لقد اشتمل هذا الحديث المتفق على صحته على جملة وفيرة من مسائل فقه الدعوة إلى الله من أشهرها:

أ- أن النَّبي ﷺ الذي بعثه الله رحمة للعالمين ما كان يحرص على قتل الأعداء، بل كان يحرص على استجابتهم لدعوة الإسلام ويبذل ما في وسعه لإقناعهم قبل أن يجرد سيفًا من غمده في وجوهم، إذ لو كان حريصًا على استئصالهم واجتثاثهم من فوق الأرض لقال لملك الجبال: اطبق عليهم الأخشبين لتقر بذلك العين ولتطهر الأرض من رجسهم، ولكنه قال: لا تطبق عليهم الأخشبين «**بل أرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده لا يشرك به شيئًا**». وهم كانوا سادرين في غيهم ومستمرين في عتوهم ونفورهم ومتربصين به ريب المنون.

ب- ومنها: أن الله مع رسله وأنبيائه وأتباعهم أجمعين وبالأخص منهم أصحاب الدعوة إلى الله على علم وصبر وحلم ورفق، ينشدون من ورائها رضا الله وصلاح الأمم ومجتمعاتها ليتحولوا عن الشرك إلى التوحيد ومن الرذيلة إلى الفضيلة، ومن حزب الشيطان إلى حزب الرحمن.

---

(١) انظر فتح الباري (ج٦ ص٢١٥) وصحيح مسلم (ج٢ ص١٤٢٠) واللفظ له.

ج- ومنها: أن الطيش والمغامرة والعشوائية التي تصدر من بعض الجماعات الإسلامية والمنظمات السياسية في بعض البلدان الإسلامية أو غير الإسلامية من نسف منشآت أو تدبير اغتيالات لفرد أو جماعات، أو مواجهات للحكومات بالسلاح تصرف غير سليم لأنه يفسد ولا يصلح، ويدمر ولا يعمر، والواقع في تلك البلدان أكبر شاهد على ما ذكرت، ولقد وجه إلى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله- السؤال التالي: "لو افترضنا أن هناك خروجًا شرعيًّا لدى جماعة من الجماعات هل هذا يبرر قتل أعوان هذا الحاكم وكل من يعمل في حكومته مثل الشرطة والأمن وغيرهم"؟.

فأجاب عليه قائلاً: "سبق أن أخبرتك أنه لا يجوز الخروج على السلطان إلا بشرطين:

أحدهما: وجود كفر بواح عندهم من الله فيه برهان.

والشرط الثاني: القدرة على إزالة الحاكم إزالة لا يترتب عليها شر أكبر وبدون ذلك لا يجوز"(١).

وقال -رحمه الله- في موضوع تغيير المنكر باليد ما نصه: "لكن التغيير باليد لابد أن يكون عن قدرة لا يترتب عليه فساد أكبر وشر أكثر، فليغير باليد في بيته على أولاده، على زوجته، على خدمه، أو موظف في الهيئة المختصة المعطاة له صلاحيات يغير بيده، وإلا فلا يغير

---

(١) انظر كتابه المعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم (ص١٤).

شيئًا بيده ليس له فيه صلاحية؛ لأنه إذا غير بيده يترتب ما هو أكثر شرًّا، ويترتب بلاء كثير وشر عظيم بينه وبين الناس وبينه وبين الدولة، ولكن يغير باللسان..."(١) ا هـ.

وإذ كان الأمر، كما قرأت وعلمت فإن الثورة على الدولة الكافرة والحكومات المنحرفة مشروط بالشرطين السابقين، وبدون ذلك كما قال شيخنا عبد العزيز بن باز لا يجوز، فعلى صاحب المنشور ومن كان على شاكلته أن يعقلوا الأمور ويضعوا كل شيء في مكانه ولا يجوز لهم فتح أبواب الفتن وسفك الدماء، كما لا يجوز لأحد أن يقدم على عمل أو أي تصرف باسم الدعوة إلى الله والغيرة على دين الله حتى يزنه بميزان الشرع الشريف، وينظر في مدى مصالحه من مفاسده ويوازن بين مضاره ومنافعه، فيمضي حين ترجح المصالح ويتوقف وجوبًا حين يرى الأخطار والشرور والمفاسد.

٤- السلفية في العالم كله على منهج واحد وطريقة واحدة وأسلوب واحد؛ وقد اعتبر صاحب المنشور هذا القول من عيوب الطائفة التي تحدث عن معائبها ونقول لـــه: إن السلفية بمعناها الحق ومصطلحها الصحيح لا يختلف أصحابُها في الأصول، ولا يختلفون في منهج الدعوة إلى الله ولا في منهج الطريقة المثلى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يختلفون في قضية الولاء والبراء، ولا يختلفون في رد مذهب الخوارج

---

(١) المصدر السابق (ص١٧).

وذم من يحرص على إحيائه في أي مكان وأي زمان، ولا يختلفون في كون السنة كسفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها هلك، ولا يختلفون في أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

ولا يختلفون بل هم مجمعون على توقير علماء الشرع الكريم المكبين على تحصيله ونشره ابتغاء مرضاة الله وإحياءً لدين الله الذي لا تسعد الأمم إلا به دون سواه، ولا يختلفون في أن الرحلة في طلب علم الكتاب والسنة أحد الجهادين بل حاجة الأمم إلى العالم بالله وبأمره أعظم من حاجتها إلى المجاهد في الميدان لقتال الأعداء. ولا يختلفون في أن أصل الدين العظيم وقاعدته المتينة هو توحيد الله بجميع أنواعه، والحذر من الشرك بكافة أنواعه وشتى صوره. ولا يختلفون في أن العناية بتحقيق ذلك علمًا وعملاً ودعوة من الأصول التي اتفق عليها السلف أهل السنة والجماعة بخلاف من يرى منْ الجماعات التي على الساحة اليوم أن العناية بتوحيد الألوهية علمًا ودعوة وولاء وبراء تفوت مصالح الجهاد والدعوة الممثلة عندهم في الثورة على الحكومات المنحرفة ومصاولتهم، ولو طال المدى وقتل من قتل من الضعفاء وسجن من سجن من الأبرياء واختل ميزان الأمن حتى ولو مات كثير من الخلق، وهم يدعون الموتى دعاء عبادة أو دعاء مسألة، لعدم وجود من يركز في التعليم في معظم البلدان الإسلامية على هذا الأصل الأصيل والجانب الأهم في ميزان الشرع من كل مهم. وأخيرًا أقول لأخي صاحب المنشور: إن خلطك بين ما يزين وما يشين وصبك له في إناء واحد ليأخذ حكمًا واحدًا، ناتج عن عمد

صريح أو عن جهل مركب بالأمور قبيح، فارجع إلى كتب العلم وأهلها كي تريح وتستريح.

٥- لابد من التحذير من الدعوات التي تشق طريقها اليوم بين الشباب بقوة[1]...إلخ.

وأقول: لصاحب المنشور إذا كنت ترى أن التحذير من الدعوات الَّتِي على ما وصفت عيبًا من عيوب الطائفة المذكورة فإننا نرى التحذير سائغًا من الدعوات ذات الشدة والعنف والتي يرى زعماؤها وأتباعهم أن ذمم الخليقة لا تبرأ إلا بالثورة على الحكومات المنحرفة والتخريب لمنشآتِهم والنسف لمركوباتِهم ونحو ذلك، ويربون الشباب على هذا الاتجاه حتى يصبحوا بمعزل عن خلق الرفق واللين والحكمة والرحمة في باب الدعوة إلى الله فتأتي النتائج عكسية وتأتي الريح بِما لا تشتهي السفن، وعليه فخذ يا صاحب المنشور، عبرة وعظة بل ودرسًا مما يدور في معظم البلدان فإن الأمر في غاية الوضوح والظهور.

٦- الدعوات المعاصرة تقوم على أفكار وافدة فاسدة كمثل دعاة البرلمانات والمهرجانات والمسيرات والمظاهرات أو دعاة الاغتيالات والانقلابات إلخ رقم (٢٧ ص١١).

وأقول لصاحب المنشور-هدانا الله وإياه-: ما إخالك تجهل ما يوجد اليوم من منظمات إسلامية تتحرك باسم الدعوة إلى الحكم بشرع الله

---

(١) (ص١٠) من المنشور.

اتخذت سبيل الحرص على المشاركة[1] في البرلمانات وعمل المسيرات والمظاهرات والمخاطرة -جماعات وفرادى- في عمل الاغتيالات والانقلابات، من رسائل الدعوة وأساليبها في هذا العصر، والحق -باختصار- أن هذه الوسائل والأساليب السالفة الذكر لا يعترف بها منهج السلف الصالح وأتباعهم ولا يقرها علماء السلف لما فيها من نشر الفوضى في المجتمعات والأمم وسفك الدماء وإلحاق الأذى بالضعفاء والأبرياء، وقد تقدم شيء في هذا الموضوع ليس ببعيد، ورحم الله الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز حيث قال: وهو يتحدث عن الأساليب الصحيحة للدعوة إلى الله ويحذر من الأساليب والوسائل الَّتي تفسد ولا تصلح قال ما نصه: "فالأسلوب الحسن من أعظم الوسائل لقبول الحق، والأسلوب السيئ العنيف من أخطر الوسائل في رد الحق وعدم قبوله، وإثارة القلاقل والظلم والعدوان، والمضاربات، ويلحق بهذا الباب ما يفعله بعض الناس من المظاهرات الَّتي قد تسبب شرًّا عظيمًا على الدعاة، فالمسيرات في الشوارع والهتافات ليست هي الطريق للإصلاح والدعوة، فالطريق الصحيح بالزيارة والمكاتبات بالتي هي أحسن فتنصح الرئيس والأمير وشيخ القبيلة بهذا الطريق لا بالعنف والمظاهرات، فالنَّبي ﷺ مكث في

---

(١) **قلت**: يا ليت من دخل من تلك المنظمات في البرلمانات يقدر على تغيير شيء من القانون المخالف للشريعة الإسلامية ولو يسيرًا أو على الأقل يسلم من التوقيعات على الظلم والعدوان، ولكن المعروف أن شيئًا من ذلك لَم يتحقق فيما مضى في حدود علمي.

مكة ثلاث عشرة سنة لَمْ يستعمل المظاهرات ولا المسيرات ولَم يهدد الناس بتخريب أموالهم واغتيالهم، ولا شك أن هذا الأسلوب يضر الدعوة والدعاة، ويمنع انتشارها ويحمل الرؤساء والكبار على معاداتِها ومضادتِها بكل ممكن، فهم يريدون الخير بِهذا الأسلوب لكن يحصل به ضده، فكون الداعي إلى الله يسلك مسلك الرسل وأتباعهم ولو طالت المدة أولى به من عمل يضر الدعوة ويضايقها أو يقضي عليها ولا حول ولا قوة إلا بالله"[1] ا هـ.

وإذ كان الأمر كما علمت فلا تثريب على من قال: إن تلك الأساليب أساليب فاسدة ناتجة عن أفكار وافدة ولا عيب على من أنكر على أهلها المروجين لها وحمّلهم مسئولية الإساءة إلى الدعوة والدعاة.

٧- قال صاحب المنشور وهو يعدد معائب تلك الطائفة التي تولى الرد عليها: السرية في الدعوة إلى الله كبت للطاقات...إلخ (٢٩).

والمقصود من كلامه: أن السرية في الدعوة التي تسلكها المنظمات الإسلامية اليوم ومنهم "حزب الإخوان المسلمون" أمر لا ينبغي أن ينكر على ذويه لأنه أسلوب نافع من أساليب الدعوة ووسيلة أساسية من وسائلها فمن ذا الذي يعيبه ؟؟.

ونقول لصاحب المنشور: إن عيب أسلوب السرية والتكتل في جوف الليل وغياهب الظلام ليس من مفردات من عنيتم، وإنَّما هو صنيع ينكره

---

(١) انظر مجلة البحوث الإسلامية عدد (٣٨ ص٢١٠).

العلماء العارفون والعقلاء الواعون لما ينتج عنه من الآثار السيئة التي تصيب الدعوة والدعاة إلى الله في المقاتل، ورحم الله الخليفة العادل والعالم البصير عمر بن عبد العزيز حيث قال: «إذا رأيت قومًا يتناجون في دينهم بشيء دون عامتهم فاعلم أنَّهم على تأسيس ضلالة»[١].

وقال الأستاذ/ خالص جبلي: "وأما العمل السري فهو جو مظلم لا يعرف الناس بعضهم بعضًا فيه، وعند الوصول إلى الحكم سوف يسرع إليك الانتهازيون، المتسلقون كالفراش إلى النار وسوف تغرق بهم"[٢] فهل يعي صاحب المنشور ومنظمته أن من حذر من الدعوة السرية اليوم لا ينبغي أن يعاب أو يوجه إليه لوم، كما لا يستحق أن يسخر به ويضحك من مفاهيمه؟.

٨- كما عد صاحب المنشور من معائب[٣] الطائفة المذكورة انتقادهم للعمل الجماعي والتكتل الحزبي الخ ما ذكر تحت رقم (٢٨) من المعائب.

وأقول له:

أولاً: إنه لا ينكر التكتل الحزبي والتقيد بأنظمته في صفوف الأحزاب والمنظمات والجماعات الَّتي قد كثرت ألقابُها وتعددت اتجاهاتُها على

---

(١) رواه الدارمي في سننه (ج١ ص٩١)، في باب اجتناب الأهواء.

(٢) انظر كتاب النقد الذاتي (ص٢٧٥ - ٢٧٧).

(٣) انظر المنشور (١١).

الساحة اليوم، إلا كاذب يدعي أن الكذب في سبيل نجاح دعوته يهون.

وثانيًا: إن تلك التكتلات والتحزبات من جماعة وأخرى قد يبالغ في حجب مجالسها عن الأنظار في بعض الدول الإسلامية دون الأخرى، والحقيقة أنه قد كثرت التساؤلات عن شرعية وجود جماعات ومنظمات وأحزاب متعددة في عالمنا الإسلامي، وقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية على تلك التساؤلات فأصدرت الفتوى التالية: لا يجوز أن يتفرق المسلمون في دينهم شيعًا وأحزابًا يلعن بعضهم بعضًا، ويضرب بعضهم رقاب بعض فإن هذا التفرق مما نَهى الله عنه ونعى على من أحدثه أو تابع أهله، وتوعد فاعليه بالعذاب العظيم، وقد برّأ الله رسوله ﷺ منه.

قال تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا**﴾ [آل عمران: من الآية١٠٣] إلى قوله: ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [آل عمران:١٠٥].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بما كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ [الأنعام:١٥٩] ، ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾[1] [الأنعام:١٦٠].

---

(١) وانظر الفتوى ذات الرقم (١٦٧٤) وتاريخ (١٣٩٧/١٠/٧هـ). الصادرة عن هيئة كبار العلماء وتحت توقيعاتهم وفي مقدمتهم صاحب السماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله

وثبت عن النَّبِي ﷺ أنه قال: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»[(١)] والآيات والأحاديث في ذم التفرق في الدين كثيرة، أما إذا كان ولي أمر المسلمين هو الذي نظمهم ووزع أعمال الحياة ومرافقها الدينية والدنيوية ليقوم كل بواجبه في جانب من جوانب الدين والدنيا، فهذا مشروع بل واجب على ولي أمر المسلمين أن يوزع رعيته على واجبات الدين والدنيا على اختلاف أنواعها، فيجعل جماعة لخدمة علم الحديث من جهة نقله وتدوينه وتمييز صحيحه من سقيمه الخ. وجماعة أخرى لخدمة فقه متونه تدوينًا وتعلمًا وتعليمًا. وثالثه لخدمة اللغة الغربية؛ قواعدها ومفرداتها وبيان أساليبها والكشف عن أسرارها، وإعداد جماعة رابعة للجهاد وللدفاع عن بلاد الإسلام وفتح الفتوح وتذليل العقاب لنشر الإسلام، وأخرى للإنتاج صناعة وتجارة وزراعة...الخ فهذا من ضرورات الحياة التي لا تقوم للأمة قائمة إلا بها، ولا يحفظ الإسلام ولا ينشر إلا عن طريقه، هذا مع اعتصام الجميع بكتاب الله وهدي رسوله ﷺ وما كان عليه الخلفاء الراشدون وسلف الأمة، ووحدة الهدف وتعاون جميع الطوائف الإسلامية على نصرة الإسلام والذود عن حياضه،

=

ابن باز المفتي العام للملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء بها -رحمه الله تعالى-.

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب الإنصات للعلماء (٢١٧/١) مع الفتح، ومسلم في كتاب الإيمان باب معنى قول النبي ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا**». (ج١ رقم ٦٥ -٦٦).

وتحقيق وسائل الحياة السعيدة، وسير الجميع في ظل الإسلام وتحت لوائه على صراط الله المستقيم، وتجنبهم السبل المضلة والفرق الهالكة، كما قال الله تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [الأنعام:١٥٣].

ونظرًا لأهمية لزوم الجماعة الواحدة الثابتة على الحق المبين، ونظرًا أيضًا لشدة خطر التفرق والتكتل والتحزب والتنظيم السري من جماعة لأخرى، فقد انعقد مجلس هيئة كبار العلماء في دورته التاسعة والثلاثين المنعقدة في مدينة الطائف في شهر ربيع الأول (١٤١٣هـ) عام ثلاثة عشر وأربعمائة وألف من الهجرة وأصدرت الهيئة -وفقها الله- بيانًا حثت فيه على لزوم جماعة الحق والهدى الواحدة، وحذرت فيه من أنواع الالتزامات المنحرفة ومن الأخذ بمبادئ الجماعات والمنظمات والأحزاب التي خالفت منهج الدعوة الصحيح في كثير من أصوله ووسائله، وإليك بعض نص البيان: وما تقتضيه النصيحة الشرعية من وجوب العدل في القول والعمل، والعناية بمتابعة هدي النبي ﷺ في إسداء النصح لكل مسلم بما يحقق المصلحة ويدرأ المفسدة ويجمع القلوب ويلم الشمل ويوحد الصف عملاً بقول الله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾ [آل عمران: من الآية١٠٣].

وبقول رسول الله ﷺ فيما ثبت عنه: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا وأن**

تناصحوا من ولاه الله أمركم»[١] إلى غير ذلك من النصوص الدالة على منْزلة النصيحة في الدين وكيفية أدائها والرغبة في توفير أسباب التآلف والبعد عما قد يوجد من عوامل الفرقة والفتنة، ويزرع بذور الشحناء والتحزب التي لا تعود على البلاد والأمة إلا بالشر، والمجلس إذ يؤكد وجوب التناصح والتفاهم والتعاون على البر والتقوى والتناهي عن الإثم والعدوان، يحذر من ضد ذلك من الجور والبغي وغمط الحق، كما يحذر من أنواع الارتباطات الفكرية المنحرفة والالتزام بمبادئ جماعات وأحزاب أجنبية، إذ الأمة في هذه البلاد يجب أن تكون جماعة واحدة متمسكة بما عليه السلف الصالح وتابعوهم، وما كان عليه أمة الإسلام قديْمًا وحديثًا من لزوم الجماعة والمناصحة الصادقة، وعدم اختلاق العيوب وإشاعتها، ونسأل الله أن يوفق ولاة أمرنا لما فيه رضاه ولما فيه صلاح البلاد والعباد، كما نسأله تعالى أن يوفق ولاة أمر المسلمين وشعوبهم لكل خير وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه. وقد ختم هذا البيان بختم رئيس الدورة الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ووقع من أحد عشر عالِمًا[٢].

---

(١) أخرجه مسلم (ح: ١٧١٥) ومالك في الموطأ (٢/٩٩٠)، وأحمد في المسند (٢/٣٢٧، ٣٦٠، ٣٦٧). واللفظ لهما.

(٢) انظر أسماءهم (ص٧٢) من كتاب حقيقة الدعوة إلى الله تعالى تأليف الشيخ/ سعد بن عبد الرحمن الحصين.

وعليه أقول لصاحب المنشور وللإخوة الذين هم على منهجه: تفهموا قراري صفوة علماء عصرنا وضموا أصواتكم إلى أصواتهم وسددوا وقاربوا في العمل للإسلام وانتشار دعوته، وإياكم والدفاع عن الحزبيين والحركيين الذين جانبوا الصواب في وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها وعليكم بقبول كلمة الحق ولو صدرت من الخصم؛ لأن الحق أحق أن يتبع، وأما العمل الجماعي في مجال الدعوة إلى الله فإنه لا مانع منه إذا كان على منهج السلف الصالح أسلوبًا وغاية، أما إذا كان يلزم منه -وهو الواقع- عند الحزبيين والحركيين التنظيم السري وابتكار المناهج ونصب الرؤساء والأمراء وأخذ البيعة لهم وإلزام الأفراد بالوفاء بها فهو أمر منكر يشطر الأمة ويشتت الشمل ويمزق الصف في الدولة المسلمة، ويسبب الفوضى ويعرقل سير الدعوة في غيرها.

٩- كما اعتبر صاحب المنشور من عيوب الطائفة المذكورة قولهم عن جماعة "الإخوان المسلمون" إنَّهم أهل بدع ومن الفرق الهالكة، وأصحاب سياسة وبرلمانات... إلخ ما دون في منشوره (ص٧)، وإن جماعة التبليغ صوفية وقبورية وجهلة بالدين، وأعداء للعلم الشرعي. ونحن نقول للأخ صاحب المنشور: إن الإجمال هكذا كما صنعت عند النقد والتوجيه لا يفيد الأمة ولا تبرأ به الذمة، والحقيقة أن ما قد كتب عن هاتين الجماعتين من الملحوظات في مناهجهما يكفي في القول بأن عند كل جماعة منهما كثيرًا من البدع والمخالفات لمنهج السلف الصالح وأتباعهم في الدعوة

وغيرها فاقرأها -على سبيل المثال- في الكتب التالية:

١- كتاب "وقفات مع كتاب للدعاة فقط" للشيخ/ محمد بن سيف العجمي غفر الله لنا وله.

٢- كتاب "حقيقة الدعوة إلى الله تعالى وما اختصت به جزيرة العرب وتقويم المناهج والدعوات الإسلامية الوافدة إليها" وقد وقّع على ما دون في هذا الكتاب أربعة من خيار العلماء وهم الشيخ سعد بن عبد الرحمن الحصين، والشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، والشيخ/ د. صالح ابن سعد السحيمي، والشيخ فالح بن نافع الحربي، وكتاب حكم الانتماء للشيخ/ بكر بن عبد الله أبو زيد، وكتاب الطريق إلى الجماعة الأم علم وعمل السلف للشيخ/ عثمان بن عبد السلام نوح، وكتاب ثلاث محاضرات للشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان، وكتاب الأجوبة السديدة على الأسئلة الرشيدة الجزء الثاني والثالث لراقم هذه الملحوظات هذا بالنسبة لما يتعلق "بالإخوان المسلمون".

أما ما يخص جماعة التبليغ فعلى من يحب أن يطلع على ما عندهم من بدع ومخالفات فليقرأ في الكتب التالية:

١- "وقفات مع جماعة التبليغ" للشيخ نزار بن إبراهيم الجربوع -حفظه الله-.

٢- "القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ" للشيخ حمود بن عبد الله بن حمود التويجري -رحمه الله-.

٣- "حقيقة الدعوة إلى الله تعالى وما اختصت به جزيرة العرب" للشيخ سعد بن عبد الرحمن الحصين.

٤- "الأجوبة السديدة على الأسئلة الرشيدة" الجزء الثاني والثالث لراقم هذه الملحوظات.

٥- "أضواء على طريق الدعوة إلى الله" للشيخ محمد أمان بن علي الجامي.

٦- "تنبيه أولى الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار" للشيخ سعد بن صالح السحيمي.

٧- وليسأل -صادقًا- قومًا من طلبة العلم انضموا إلى جماعة التبليغ ليسدوا الخلل ولينشروا كتب العقيدة ضمن المنهج فقوبلوا بالتوبيخ من أمراء الجماعة، وفي النهاية خيروا بين الالتزام بالمنهج والبقاء أو الخروج من التنظيم بدون أسف، فاختاروا مفارقتهم مع أسفهم البالغ وحزنهم الشديد على قوم يتحركون باسم الدعوة إلى الله بكل جد واجتهاد وتضحية ونشاط وأسفار بعيدة شاقة ولكنهم تنكبوا منهج السلف في هذه العبادة الشريفة، والواجب العظيم ألا وهي الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، ولقد وجه إلى بعض الإخوة من علماء السلف سؤال بواسطة شريط مسجل، وهو صاحب خبرة بالمنهج التبليغي وحال أمرائه وسائر أتباعه فقال ما نصه: "جماعة التبليغ" صوفية مقنعة وما تظهره من الدعوة إلى الله هو ستار الصوفية

والحزبية ولهذا هم يبايعون من وثقوا فيه بعد تجربة طويلة على أربع طرق صوفية وهي النقشبندية، والقادرية، والسهروردية، والجشتية، هذه الطرق الأربع التي تسدل عليها الستار بِما يظهر أنه دعوة إلى الله. ومن مسلكها أن أتباعها لا يستفيدون علمًا، ومن كان ذا علم منهم فهو لَمْ يستفد منهم، ومن كان صحيح العقيدة منهم فإنه لَمْ يتعلم ذلك منهم، إلى أن قال: ولعلي قد قسّمت فيما يظهر لي هذه الجماعة إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: صناديد الصوفية وهم أئمتهم ومن بايعهم.

القسم الثاني: من لبّس عليهم من العلماء وطلاب العلم فغرهم ما تظهره هذه الجماعة من القسم الحسن.

القسم الثالث: عوام الناس وجهالهم، والعامي مع من سبق إليه، وهؤلاء جل أتباعها حسب مبلغ علمي.

والقسم الرابع: أناس ضلال من أبناء المسلمين كانوا مرتكسين في الحانات والمقاهي وغيرها فسبقت إليهم هذه الجماعة وبتجنيد جنودها فيرون أنّهم اهتدوا على يد هذه الجماعة، فالذي أراه بالنسبة للقسم الأول فأظنهم ميئوس منهم إلا أن يشاء الله، وأما الأقسام الثلاثة الأخيرة فأرى أن الواجب نصحهم وبيان الحق لهم، وكثير من هذه الأقسام لما تبين له الحق وعرفه وانكشف له عور هذه الجماعة انسل منهم وتركهم، وإن كان النصح يختلف، فنصح أتباعها من العلماء يكون بمقارعة الحجة بالحجة ويصارحون بالحق، وأما العوام فهم بِمنْزلة المرضى يجب علاجهم

بالحكمة وبيان المعتقد الصحيح، إلى أن قال: ولقد شافهني بعض من تبع هذه الجماعة مبديًا أسفه على اتباعه لهم مدة من الزمن حيث لَمْ ير عندهم شيئًا من العلم ولا من المعتقد الصحيح. انتهى.

بواسطة الشريط المذكور بشيء من التصرف في اللفظ يسير ثم سئل الأخ عقب هذا السؤال عن جماعة "الإخوان المسلمون" فقال: إنني لَمْ أهضم منهجهم فأحيله إلى الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ فقال الشيخ صالح: "أما جماعة الإخوان المسلمون" فإن من أبرز مظاهر الدعوة عندهم التكتم والخفاء والتلون والتقرب إلى من يظنون أنه سينفعهم، وعدم إظهار حقيقة أمرهم، إذ منهم من خالط بعض العلماء زمانًا طويلاً يظهر كلامًا، ويبطن غيره لا يقول كل ما عنده. كما أن من مظاهر دعوة الجماعة وأصولها أنَّهم يغلقون عقول أتباعهم عن سماع القول الذي يخالف منهجهم ولهم في هذا الإغلاق طرق شتى متنوعة، منها:

١- إشغال وقت الشباب جميعًا من صبحهم إلى ليلهم حتى لا يتمكنوا من سماع شيء آخر.

٢- ومنها: أنَّهم يحذرون ممن ينتقدهم فإذا رأوا أحدًا من الناس يعرف منهجهم وطريقهم، ورأوه يحذر الشباب من الانخراط في الحزبية البغيضة أخذوا يحذرون منه بطرق شتى، تارة باتِّهامه، وتارة بالكذب عليه، وتارة برميه بأمور هو منها براء، وهم يعلمون أن ذلك كذب،

وتارة يقفون منه على غلط فيشنعون فيه عليه ويضخمون ذلك حتى يصدوا الناس عن الحق، وواصل في الجواب بالتفصيل عن البارز من صفات هذه الجماعة فذكر عنهم ما ملخصه:

أ- عدم محبتهم لقراءة كتب السنة.

ب- عدم محبتهم لأهلها وعدم احترامهم لهم وإن كانوا في الجملة لا يظهرون ذلك مدللاً على ذلك من الواقع منهم.

ج- سعيهم للوصول إلى السلطة ويتخذون رءوسهم أدوات يجعلونَها تصل بأي طريق من طرقهم المتعددة.

د- موالاتُهم ومعاداتُهم في الجماعة، والمنتظم فيها هو المقرب مهما كان حاله، وغير المنتظم يقصى ويبعد مهما كان صلاحه وفلاحه.

وفي آخر الجواب وجه تحذيرًا للشباب أن يبتعدوا عن داء الحزبية لما فيها من الأضرار الدينية والدنيوية. انتهى. بواسطة الشريط المذكور آنفًا، أقول: وإذ كان الأمر كما علمت فهل يجوز يا ترى لصاحب المنشور أن يموه على الناس ويبلبل أفكار قليلي البضاعة في العلم بدعواه: "أن الرد على البدع والأخطاء الموجودة -وما أكثرها وأخطرها- في مناهج جماعتي التبليغ والإخوان المسلمون من مفردات السلفية الجديدة على حد تعبيره الذي نحكيه ولا نوافقه عليه كما أسلفت في مقدمة هذا البحث.

الملاحظة السادسة: على قضية خلطه المتعمد بين قوم لهم مناقب جلى، انفردت بالذم لهم والقدح في حقهم تلك الطائفة المردود عليها من

قبل صاحب المنشور هم من علماء الشريعة الذين يجب احترامهم والترحم عليهم، والاستفادة مما دونوه في كتبهم الَّتِي شرحت جوانب عظيمة من الكتاب والسنة.

وذلك كالإمام أبي العباس بن تيمية، والإمام بن قيم الجوزية، والحافظ بن حجر العسقلاني، والإمام النووي، والعلامة ابن العربي، والإمام القرطبي، والإمام محمد بن عبد الوهاب، ومن العلماء المعاصرين الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز، والعلامة الشيخ محمد بن عثيمين وغيرهم ممن لهم باع طويل في خدمة علوم الشريعة وسيلة وغاية على تفاوت بينهم، إن الخلط بين هؤلاء، وبين أفراد من المعاصرين يحسن الرد عليهم بل يتعين على ذوي الكفاءات العلمية أن يبينوا بدعهم وضلالاتهم المبثوثة في كتبهم ومناهجهم التي رسموها في زعمهم لمن يريد أن يكون منتظمًا في سلك دعوتهم، وذلك كأبي الأعلى المودودي، وحسن البنا، ويوسف القرضاوي، وسيد قطب، ومصطفى السباعي، وعمر التلمساني، ومحمد قطب، وسعيد حوى، ومن ذر ذرهم، وتخرج في مدارسهم أو تتلمذ على كتبهم، ومن ثم نصب صاحب المنشور نفسه وكيلاً في الدفاع عن هؤلاء الأشخاص وعن كتبهم بدون فرق بين غثها وسمينها، وصحيحها وسقيمها على غير هدى من الله في كثير مما يأتي ويذر ويثبت وينفي، بل تبعية تقليدية ووفاءً بالبيعة الحزبية، أو تعاطفًا مع الجماعات ذات التنظيمات السرية.

وإنني لأقول لصاحب المنشور وصاحب الخلط المتعمد: إن الفرق بين أبي الأعلى المودودي وحسن البنا، ونحوهم ومن تخرج في مدارسهم وتتلمذ على كتبهم وبين من ذكرت أسماءهم قبلهم المبدوءة بأبي العباس ابن تيمية والمختومة بابن عثيمين ومن على منهجهم قديمًا وحديثًا، كالفرق بين الثرى والثريا والبعرة والبعير، فإن أولئك العلماء الأخيار قدموا شروحًا عظيمة لنصوص الكتاب والسنة انتفع بِها المسلمون في عصورهم، وانتفع بِها من جاء بعدهم في أحكام دينهم ومسائل عباداتِهم ومعاملاتِهم. وما أخطأ فيه بعضهم كالحافظ بن حجر والنووي وأمثالهما على سبيل التأويل يعتبر قليلاً بالنسبة لما قدموه من خير كثير ودفاع عن الكتاب والسنة ورد على أهل البدع والأهواء وغير ذلك من الفضل الكبير(١)، ورحم الله أبا العباس شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: "وقل طائفة من المتأخرين إلا وقع في كلامها نوع غلط لكثرة ما وقع من شبه أهل البدع، ولهذا يوجد في كثير من المصنفات في أصول الفقه وأصول الدين، والفقه والزهد والتفسير والحديث من يذكر في الأصل العظيم عدة أقوال، ويحكي من مقالات الناس ألوانًا، والقول الذي بعث الله به رسوله لا يذكره لعدم علمه به لا لكراهية لما عليه الرسول"(٢).

---

(١) ومعلوم أن ابن حجر والنووي والقرطبي وابن العربي -رحمهم الله- ليسوا كابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب وعبد العزيز بن باز وابن عثيمين في باب أسماء الله وصفاته كما سيأتي في جواب السؤال الثاني -إن شاء الله-.

(٢) شرح حديث النُّزول (ص١١٨).

قلت: ولا شك أن قول ابن تيمية هذا ينطبق على أمثال الحافظ بن حجر والنووي والقرطبي وابن العربي وأمثالهم ممن لهم جهود مشهورة ومساع مشكورة في تدوين علوم الشريعة أصولاً وفروعًا والرد على أهل البدع والضلال في مواضع كثيرة من كتبهم التي تعتبر من المراجع الكبار في فقه دين الله وشرح شرعه المطهر، فأين رتبة البنا، والمودودي، وسيد قطب، ومصطفى السباعي، وعمر التلمساني، ويوسف القرضاوي، ومن تخرج في مدرستهم وتربى على كتبهم ومنهجهم من هؤلاء العلماء الكبار، الذين لا يستغنى باحث في علوم الشريعة عن مؤلفاتهم وآرائهم واستنباطاتهم وجهودهم الطيبة؟ وما نسبة تراث البنا، والمودوي، وسيد ومن لف لفهم من تراث أمثال الحافظ بن حجر والنووي وأبي حنيفة والقرطبي وأمثالهم؟ ثُمَّ إنه من العجب أن يأتي صاحب المنشور ويسخر ممن انتقد كلاًّ من أبي الأعلى المودودي، وحسن البنا، وسيد قطب، ومصطفي السباعي، وعمر التلمساني، ويوسف القرضاوي وأمثالهم، ويجعل نقدهم من مفردات السلفية الجديدة على حد تعبيره، والحقيقة أن ما وقع فيه هؤلاء من البدع والأخطاء والمخالفات جدير بالبيان لخطورته على الأمة وبالأخص شبابها ذكورًا وإناثًا، وقد تصدى لكشف تلك البدع والأخطاء والمخالفات الصادرة من هؤلاء القوم قوم من خيار علماء السلف غير المعنيين برد صاحب المنشور، وهأنا سأذكر على سبيل المثال أفرادًا من علماء السلف المعاصرين ممن ردوا على أبي الأعلى والبنا وسيد قطب وأضرابهم.

١- الشيخ / عبد الله بن محمد الدويش -رحمه الله- رد على سيد قطب -رحمه الله- في كتاب أسماه "**المورد الزلال على أخطاء تفسير الظلال**" حيث تعقبه في إحدى وثَمانين ومائة مسألة منها ما يتعلق بالعقيدة، ومنها ما يتعلق بالأحكام ومنها ما يتعلق بأمور أخر مدونة في الكتاب المذكور فليرجع إليه صاحب المنشور ومن أراد أن يطلع على تفاصيل تلك المسائل والأمور.

٢- كما رد على سيد قطب الشيخ/ ربيع بن هادي عمير المدخلي في كتابين صدرا حديثًا اسم أحدهما "**أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره**"، وثانيهما "**مطاعن سيد في أصحاب رسول الله ﷺ**"، حيث تعقبه وجدّ في الإنكار عليه غيرة منه على دين الله الحق وعلى حامليه من خيرة الخلق، فبلغت المسائل الَّتِي تعقبه فيها أكثر من ثلاثين مسألة أشهرها التأويل لبعض صفات الله، والطعن في حق الشهيد المظلوم المبشر بالجنة عثمان بن عفان ﷺ والخطأ الفاحش في معنى "لا إله إلا الله" والجهل بالفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وتكفير الدول المسلمة والمجتمعات المسلمة الَّتِي في عصره ولَم يستثن دولة ولا مجتمعًا، مكررًا ذلك في عدد من كتبه الَّتِي ناقشها الشيخ ربيع -حفظه الله-، والقول بقول المعتزلة في شأن القرآن، ومدح متصوفة زمنه والثناء عليهم، واعتباره استواء الله على عرشه كناية عن مقام السيطرة العلوية الراسخة، وكلامه الباطل في حق الوزن يوم القيامة والميزان الذي توزن به الأعمال خيرها وشرها، وتخبطه في شأن المعجزات البرهانية للنبي ﷺ، واعتباره

الروح أزلية لكونها نفخة من الله، وتأويله كلام الله بالإرادة، وموقفه من قضية الإسراء والمعراج مخالفًا علماء التفسير كابن جرير وغيره، وعدم تقدير سيد للأحاديث الصحيحة التي من قسم الآحاد حق قدرها حيث لَمْ ير الأخذ بِها في أصول الاعتقاد، وموقفه من قضية الولاء والبراء وأمور غيرها غريبة وعجيبة يخشى منها على شباب الأمة وغيرهم ممن لا قدرة لديهم على التمييز بين الغث والسمين والحق والباطل، مما تم تدوينه وجمعه في مؤلفات سيد قطب سواء منها ما كان متعلقًا بالعقيدة أو بالأحكام أو بالمنهج الدعوي أو الآداب والأخلاق والسلوك المتعلقة بحق الله وحق عباده، فعلى صاحب المنشور ومن أراد الحق الذي عليه نور أن يطلع على الكتب الثلاثة التي سبق ذكرها قريبًا في هذا الرد المسطور.

٣- وأما أبو الأعلى المودودي -رحمه الله- فقد تعقبه المجلس العالمي لصيانة الإسلام[(١)] الذي أرى أنه ينطبق عليه المثل القائل "صاحب الْمَنْزل أدرى بِما فيه" وذلك لقرب المجلس من ديار المودودي وخبرة ذويه بمعتقده ومنهجه الدعوي، وفتاواه واتجاهاته وكان من جملة التعقبات رسالة حررها المجلس المذكور ووصلت إلينا في هذه الديار السعودية -جعلها الله وجميع ديار المسلمين معمورة بالإحسان والإيْمان والإسلام- واسم الرسالة "**الشقيقان المودودي والخميني**" ولَمَّا رأيتها استغربت عنوانَها وقلت في نفسي قبل أن أسبر غورها، لعل هذا من صنيع الأقران مع أقرانِهم، ومن

---

(١) في كراتشي، الباكستان.

كيد الجماعات المختلفة في مناهجها بعضهم لبعض، ولكن لما تصفحت ما بين دفتيها مسألة بعد مسألة، وقضية إثر قضية وجدت فيها نموذجًا سيئًا مما دوّنه المودودي في كتبه من بدع وضلالات تتعلق بالعقيدة الإسلامية، كما وجدت فيها إساءات تتعلق بأنبياء الله ورسله، والصالحين من عباده، بالإضافة إلى تزكيته أعداء دين الإسلام من الروافض المعاصرين وفي مقدمتهم خميني الضلال الذي صار فتنة لشيعته ولمن خفي عليهم خبثه ومكره؛ لقلة علمهم بتفاصيل معتقد أهل السنة والجماعة سلفنا الصالحين وفيما يلي رءوس أقلام مما لاحظه المجلس على أبي الأعلى المودودي في الرسالة المحررة بالأردية والعربية:

أ - قول المودودي: "ثورة الخميني ثورة إسلامية، والقائمون عليها هم جماعة إسلامية وشباب تلقوا التربية الإسلامية في الحركات الإسلامية، وعلى جميع المسلمين عامة، والحركات الإسلامية خاصة أن تؤيد هذه الثورة كل التأييد، وتتعاون معها في جميع المجالات"[١].

ب - وفد المودودي ورسالته[٢] المطولة إلى الخميني في (٢٤ يناير ١٩٧٩م) وكان مضمون الرسالة التهنئة من المودودي وكافة رعيته للخميني خاصة، ولشعب إيران عامة بنجاح ثورتهم، بالإضافة إلى إبداء الاستعداد والمدد بالمال والرجال تدعيمًا للثورة ونصرة للقائمين عليها،

(١) انظر الرسالة (ص٣).

(٢) انظر الرسالة (ص١١-١٣).

ومن هنا ومن غير هنا يظهر اختيار المجلس العالمي لصيانة الإسلام اسم الرسالة "**الشقيقان المودودي والخميني**" فتأمل وتعجب فإن من المصائب لعجبًا.

ج- فتوى المودودي[١] بجواز الصلاة خلف الإمام الشيعي، علمًا أن صلاة الشيعي الرافضي بدون طهارة لاقتصارهم على مسح الرجلين فقط بدون غسل لهما إلى الكعبين كالمسلمين، ويزيدون ظلمة على ظلمه إذ إن الكعب الذي ينتهي الْمسح عليه عندهم هو الذي فوق ظهر القدم فانظر هذه الغرائب الفاسدة.

ح- تصريح المودودي بأن محمدًا ﷺ لَمْ يكن فوق البشرية ولا أرفع من النقائص البشرية[٢]!!

خ - خطؤه الشنيع في تفسير سورة "النصر"[٣].

د- وصف المودودي للنبي يوسف الصديق -عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم- بالدكتاتور، وإن وضعه في مطالبة منصب وزير المالية يشبه وضع "موسليني" في إيطاليا[٤]، وجاء في الرسالة وصفه لكثير من

(١) المصدر السابق (ص١٥).

(٢) المصدر السابق (ص١٧) معزوًا إلى مجلته (ترجمان القرآن)، أبريل.

(٣) (ص١٨) معزوا إلى مصطلحات القرآن الأربعة.

(٤) (ص١٨) معزوا إلى كتابه تفهيمات (ص١٢٢)، انظر في الصفحات التالية معزوًا إلى كتبه (ص٢١-٢٧).

أنبياء الله بما لا يجوز له أن يتفوه به[1].

ي- حطه من قدر بيت الله الحرام وواليه الملك عبد العزيز -رحمه الله- بل وجميع ساكنيه وذلك في ترجمان القرآن (ج٢٨ ص١٧٣) طبع سنة (١٣٦٥ هـ)، حيث قال: البقعة التي كانت استنارت بأنوارها الدنيا وصلت اليوم إلى عهد الجاهلية التي كانت قبل الإسلام، فلا ترى هناك علمًا ولا خلقًا ولا حياة إسلامية، يفد إليها الناس من بلاد بعيدة آخذين في قلوبهم عقيدة إسلامية ولكن إذا ما وصلوا وشاهدوا هناك جهلاً وطمعًا ووقاحة وتقذرًا وخلقًا سيئًا، وسوء نظام الإدارة وحب الدنيا وانحطاط عامة الساكنين عن المروءة والإنسانية، فكل ما حسبوه وظنوه أصبح هباء منثورًا فطاح ما زعموا ورجعوا إلى بلادهم، بدل أن يزدادوا إيْمانًا وقد أضاعوا ما عندهم... إلى أن قال: فأصبحت السدانة والحجابة والحج كله وسيلة لتجارتهم وكسبهم.. فالْمطوف ووكيله والسادنون كلهم حتى حكومة الحجاز كلهم لهم حظ من هذه التجارة والكسب، فأصبحت الكعبة وفريضة الحج مثل ما يقوم به الوثنيون في "هردوار" بالهند من اجتماعاتهم القومية الوثنية. اهـ.

و- طعن[2] المودودي في الخليفة الراشد عثمان ﷺ وفي عائشة وحفصة -رضي الله عنهما-.

---

(١) المصدر السابق (ص٢٨، ٢٩).

(٢) المصدر السابق (ص٣١) ثم كتابه المطبوع الخلافة والملوكية.

ز- ما قدمه[١] المودودي من الخدمات للمذهب الشيعي وقد اعترفوا بخدماته لهم فقال بعض زعمائهم: "إن الأستاذ المودودي كان شخصية إسلامية محترمة وستبقى ذكريات جهوده للأمة المسلمة الإيرانية إلى الأبد"[٢].

وقال آخر منهم: "إن الأستاذ المودودي كان شخصية واجب الاحترام للعالم الإسلامي، وإنه قد أدى الخدمات العظيمة في صالح الملة الإسلامية.

وقد اشترى قلوب الإيرانيين بسبب تأييده للثورة الإيرانية الإسلامية، وكان منار الثورة لشبابنا الإيرانيين، وإن إيران بأجمعها محزونة بوفاته"[٣].

كما تعقب المودودي أيضًا الشيخ ربيع بن هادي المدخلي في كتابه "**منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل**" حيث ذكر من المآخذ على المودودي ما يأتي:

- إنه لَمْ ينطلق بدعوته من حيث انطلق الرسل الكرام والأنبياء العظام وأتباعهم من الأنام الذين بدءوا في دعوتِهم الزكية إلى التوحيد

---

(١) انظر المصدر السابق (ص٤٠).

(٢) انظر المصدر السابق (ص٤١) معزوًا إلى مجلة الشيعة (ج٥٧ من ١ إلى ٨ - أكتوبر ١٩٧٩م).

(٣) المصدر السابق ونفس العزو في الصفحة.

وإخلاص العبادة لله ومحاربة الشرك في الألوهية، رغم شدة حاجة الأمة التي يعيش المودودي بين أظهرهم ويتجول في مناكب أرضهم.

• اهتمام المودودي بالجانب السياسي الذي خالف فيه علماء السلف في دعوتهم الكريمة.

• جعله الغاية من دعوة الدعاة إلى الله إحداث الانقلاب في القيادة، وإقامة نظام الإمامة الصالحة الراشدة[١]. ا هـ.

هذا بالإضافة إلى ردود من كتاب معاصرين للمودودي ذكرهم أصحاب رسالة "**الشقيقان**" منهم الأستاذ/ حسن الهضيبي في كتابه: "**دعاة لا قضاة**" ومنهم الشيخ/ محمد زكريا الكاندهلوي في كتابه: "**المودودي ما له وما عليه**"، ومنهم أبو الحسن الندوي في كتابه: "**التفسير السياسي للإسلام**"، ومنهم محمد يوسف البنوري الحسيني في كتابه: "**الأستاذ المودودي وأراءه وأفكاره**".

وأخيرًا: فهل يحق لصاحب المنشور أن يعتبر الرد على المودودي وكشف ضلالاته ونشر أخطائه لتجتنب من مفردات السلفية الجديدة على حد تعبيره؟؟.

٤- وأما حسن البنا -رحمه الله- الذي غضب صاحب المنشور على من قال إنه مفوض وصوفي، وموالٍ لليهود... إلخ ما سطر في منشوره (ص٦) واعتبر من سماهم بالسلفية الجديدة هم الذين يتحملون

(١) (ص١٠٣) وما بعدها.

مسئولية هذا الاعتداء، ويقال لكاتب المنشور -غفر الله لنا ولك- إن كنت تنكر ما وصف به البنا مما سبق ذكره فأنت أحد رجلين: إما مغالط ومتعمد للتمويه على الناس، وإما جاهل بتأريخ حياة حسن البنا ومنهج دعوته وتصريحاته أيام حياته، وعلى كلٍ فتعال بنا نناقش بعض تلك الأوصاف التي سبق وصف البنا بها ظلمًا وعدوانًا كما زعمت:

أما مسألة التفويض الذي قال فيه أبو العباس بن تيمية -رحمه الله-: "إنه من شر أقوال أهل البدع والإلحاد" فقد ارتضاه البنا له عقيدة حيث قال وهو يحاول التهوين والتقريب بين مذهبي السلف والخلف في الاعتقاد: "وأن البحث في مثل هذا الشأن مهما طال فيه القول لا يؤدي في النهاية إلا إلى نتيجة واحدة هي التفويض لله -تبارك وتعالى-"(١).

وقال -رحمه الله- في موضع آخر: "ونحن نعتقد أن رأي السلف من السكوت وتفويض علم هذه المعاني إلى الله -تبارك وتعالى- أسلم وأولى بالاتباع"(٢)، ثُمَّ قال في كتاب حديث الثلاثاء لحسن البنا تسجيل

(١) انظر رسالة العقائد (ص٧٤).

(٢) المصدر السابق (ص٧٦)، انظر الكتاب المذكور (ص٤٣٦، ٤٣٧)، ومنه كتاب دعوة الإخوان المسلمون في ميزان الإسلام للأخ فريد المالكي (ص٧٢) مخطوط، وللشيخ صالح بن فوزان تعقيب على ما كتبه المستشار سالم البهنساوي في موضوع "**العقيدة السلفية ودعوة الشيخ حسن البنا**" بين فيه خطأ الكاتب المذكور في دفاعه عن حسن البنا، ومحاولة إثبات أنه سلفي العقيدة في موضوع صفات الله ﷻ، والرد على الذين أدانوه بموجب ما نقلوه من كلامه. انظر كتاب البيان للشيخ صالح بن فوزان (ص٢٤٣).

وإعداد ونشر أحمد عيسى عاشور تحت عنوان: "**الألوهية في الإسلام**" ما نصه: "﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾، ﴿**يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾، ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾ وقال ﷺ: «**قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء**» وقوله ﷺ: «**ينْزل ربنا إلى السماء الدنيا**» الحديث.

فنحن لا نعرف هذه المعاني المقصودة، بل نفوض الأمر إلى الله تعالى...فالتفويض في مثل هذه المواقف أسلم وأحكم وأعلم، فلا يكفر بعضنا ولا يطعن بعضنا على بعض لتوحيد كلمة المسلمين".

وإذ قد علمنا وفهمنا موقف البنا في قضية التفويض، وأنه يفوض المعنى من نصوص الصفات بينما السلف الصالح حقيقة يفوضون الكيفية فقط في باب ذات الله وأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية، فلنسمع معًا إلى كلام الإمام بن تيمية –رحمه الله– في قضية التفويض لمعاني الصفات الإلهية حيث قال: "... غاية ما ينتهي إليه هؤلاء المعارضون لكلام الله ورسوله بآرائهم من المشهورين بالإسلام هو التأويل والتفويض...".

وقال أيضًا: "وما ذكرناه من لوازم قول أهل التفويض هو لازم لقولهم الظاهر المعروف بينهم إذ قالوا: إن الرسول ﷺ كان يعلم معاني هذه النصوص المشكلة المتشابِهة ولكن لَمْ يبين للناس مراده بِها، ولا أوضحه إيضاحًا يقطع به النِّزاع وأما على قول أكابرهم إن معاني هذه النصوص المشكلة المتشابِهة لا يعلمه إلا الله، إن معناها الذي أراد الله بِها هو ما يوجب صرفها عن ظواهرها، فعلى قول هؤلاء يكون الأنبياء

والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص ولا الملائكة ولا السابقون الأولون، وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلامًا لا يعقلون معناه" إلى أن قال: "ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء إذ كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدى وبيانًا للناس، وأمر بتدبر القرآن وعقله، ومع هذا فأشرف ما فيه -وهو ما أخبر به الرب عن صفاته أو عن كونه خالقًا لكل شيء، وهو بكل شيء عليم، أو عن كونه أمرًا ونَهيًا، ووعدًا وتوعدًا، أو عما أخبر به عن اليوم الآخر- لا يعلم أحد معناه فلا يعقل ولا يتدبر، ولا يكون الرسول بيّن للناس ما نزل إليهم ولا بلغ البلاغ المبين، وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع: الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي، وليس في النصوص ما يناقض ذلك، لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة لا يعلم أحد معناها، وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يستدل به. فيبقى الكلام سدًّا لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء وفتحًا لباب من يعارضهم.

ويقول: إن الهدى والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء، لأنا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية، والأنبياء لا يعلمون ما يقلون فضلاً عن أن يبينوا مرادهم، فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنَّهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد"[1]. ا هـ.

---

(١) انظر كتاب درء تعارض العقل والنقل (ج١ ص٢٠١-٢٠٥).

وآخر تدويني في هذه القضية أقول: فهل فهمت يا صاحب المنشور أنت ومن في فلكك يدور، ما وقع فيه البنا من التفويض المحذور، والباطل المدحور ؟؟.

وأما مسألة تصوّف البنا وحبه العميق له ولرجاله أحياءً وأمواتًا فاسمعه منه يا صاحب المنشور وكف اللوم عمن نسبه إليه، ولا تحسبن نسبة التصوف إليه من مفردات السلفية الجديدة بل هي منه وإليه وإذ كان الأمر كذلك فاللوم عليك وعليه، قال البنا في كتابه مذكرات الدعوة والداعية[١] تحت عنوان "الطريقة الحصافية"[٢] ما نصه: "رأيت الإخوان الحصافية يذكرون الله تعالى عقب صلاة العشاء من كل ليلة، وكنت مواظبًا على حضور درس الشيخ زهران -رحمه الله- بين المغرب والعشاء فاجتذبتني حلقة الذكر بأصواتِها المنسقة ونشيدها الجميل وروحانيتها الفياضة، وسماحة هؤلاء الذاكرين من شيوخ فضلاء وشباب صالحين، وتواضعهم لهؤلاء الصبية الصغار الذين اقتحموا عليهم مجلسهم ليشاركوهم ذكر الله -تبارك وتعالى-، وتوطدت الصلات بيني وبين شباب هؤلاء الإخوان الحصافية ومن بينهم الثلاثة المقدمون، الشيخ شلبي، والشيخ محمد أبو شوشة، والشيخ سيد عثمان، والشبان الصالحون كانوا أقرب الذاكرين إلينا في السن، محمد أفندي الدمياطي، وصاوي

(١) مذكرات الدعوة والداعية (ص٢٢، ٢٣).

(٢) طريقة صوفية خبيثة.

أفندي الصاوي، وعبد المتعال أفندي سنكل وأضرابُهم وفي هذه الحلبة المباركة التقيت لأول مرة بالأستاذ أحمد السكري وكيل الإخوان المسلمين فكان لهذا اللقاء أثره البالغ في حياة كل منا ومنذ ذلك الحين أخذ اسم الشيخ الحصافي يتردد على الأذن فيكون له أجمل وقع في أعماق القلب، وأخذ الشوق والحنين إلى رؤية الشيخ والجلوس إليه والأخذ عنه يتجدد حينا بعد حين، وأخذت أواظب على الوظيفة الرزوقية صباحًا ومساءً، وزادني بِها إعجابًا أن الوالد قد وضع عليها تعليقًا لطيفًا جاء فيه بأدلة صيغها جميعًا من الأحاديث الصحيحة وسمى هذه الرسالة "**تنوير الأفئدة الزكية بأدلة أذكار الرزوقية**" إلى أن قال: وفي هذه الأثناء وقع في يده المنهل الصافي في مناقب حسنين الحصافي، وهو شيخ الطريقة الأول، ووالد شيخها الحالي السيد الجليل الشيخ عبد الوهاب الحصافي أمد الله في عمره ونفع الله به" ا هـ.

أقول: هذا موقف البنا من الطريقة الحصافية الخبيثة فهل اكتفي بِها واقتصر عليها؟؟ لا بل تجاوزها إلى حب الطريقة الميرغنية وحب أقطابِها وأذنابِها، والدليل على ما قلت: قوله: "... نشأت هذه الدعوة -يعنِي: دعوة الإخوان- بالإسماعيلية فقد كان أول أنصارها، والمجاهدين لتركيزها الإخوان الختمية الميرغنية ولقد حضرت عام (١٩٣٧م) حفلاً للإسراء والمعراج في زاوية وخلوة السيد الميرغني الكبير بالإسماعيلية، وهي لا تزال قائمة، ولا زلت أذكر أخانا هناك فالقلب الختمي، والتأييد الختمي يسير مع تأريخ

الدعوة منذ فجرها، وسماحة السيد عثمان الميرغني الكبير، ووارثه السيد محمد عثمان هو أول من حمل هذا اللواء وبشر به، فهذا تأريخ نتحدث عنه أيها السادة لنعبر عما يكنه الإخوان لسماحته من حب ومودة وتقدير لهذا الجميل الذي أسدوه للدعوة في فجر تأريخها"[١]. ا هـ.

ولا مانع من أن أزيد صاحب المنشور وزملاءه برهانًا على مشاركة حسن البنا في الخروج مع أهل الأهواء والبدع في ذكرى مولد الرسول ﷺ بالموكب بعد الحضرة كل ليلة من أول ربيع الأول إلى الثاني عشر منه قال حسن البنا: "ونخرج بالموكب ونحن ننشد القصائد المعتادة في سرور كامل وفرح تام"[٢] ا هـ.

ونقل جابر رزق في كتابه "**حسن البنا بأقلام تلامذته ومعاصريه**"[٣] عن عبد الرحمن البنا: "فسار في الموكب -حسن البنا- ينشد مدح الرسول ﷺ وذلك أنه حين يهل هلال ربيع الأول كنا نسير في موكب مسائي في كل ليلة حتى ليلة الثاني عشر ننشد القصائد في مدح الرسول ﷺ وكان من قصائدنا المشهورة في هذه المناسبة المباركة:

صلى الإله على النور الذي ظهرا للعالمين ففاق الشمس والقمرا

كان هذا البيت الكريم تردده المجموعة بينما ينشد أخي وأنشد

(١) انظر كامل الخطاب في كتاب قافلة الإخوان (ج٢ ص٨).
(٢) مذكرات الدعوة والداعية (ص٥٨).
(٣) (ص٧١-٧٢)

معه:

هنا الحبيب مع الأحباب قد حضرا[١]	وسامح الكل فيما قد مضى وجرى[٢]
لقد أدار على العشاق خمرته	صرفًا يكاد سناها يذهب البصرا
يا سعد كرر لنا ذكر الحبيب لقد	بلبلت أسماعنا يا مطرب الفقرا
وما لركب الْحمى مالت معاطفه	لا شك أن حبيب القوم قد حضرا

ولا مانع من أن أكرر القول لكاتب المنشور أن لمزه لمن يقول: حسن البنا تمرغ في أوحال الطرق الصوفية جدال باطل، وما ذلك إلا لأن الاعتراف أكمل برهان وقد اعترف حسن البنا وتلامذته بممارسة الأعمال الصوفية المبتدعة كما رأيت.

وأما فيما يتعلق باتِّهام حسن البنا بأنه موال لليهود والنصارى، وأنه رأس في الضلال كما سطر ذلك صاحب المنشور في الصفحة السادسة من منشوره فإن سببه قول حسن البنا في خطاب له حيث قال ما نصه: "والناحية التي سأتحدث عنها نقطة بسيطة من الوجهة الدينية؛ لأن هذه النقطة قد لا تكون مفهومة في العالم الغربي ولهذا فإني أحب أن أوضحها باختصار، فأقرر أن خصومتنا لليهود ليست دينية لأن القرآن الكريم حض على مصافاتِهم ومصادقتهم، والإسلام شريعة إنسانية قبل أن يكون

(١، ٢) نعوذ بالله من الكذب ومن سوء المعتقد، وهل يتصور أنّهم شاهدوا شخص رسول الله ﷺ في موكبهم وهو حاضر معهم ،يبارك صنيعهم السيئ ويصرح بالعفو عن سيئاتِهم، سبحانك اللهم هذا جهل عظيم وتقول على رسوله بغير علم.

شريعة قومية، وقد أثنى عليهم وجعل بيننا وبينهم اتفاقًا.

قال تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: من الآية٤٦].

وحينما أراد القرآن أن يتناول مسألة اليهود، تناولها من الوجهة الاقتصادية والقانونية فقال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: من الآية١٦٠]".

قلت: وهذا خطأ فاحش ومخالفة صريحة لنصوص الكتاب والسنة قال الله ﷻ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: من الآية٨٢].

وقال ﷻ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: من الآية٥١].

وغيرهما من الآيات في هذا المعنى كثير، وكلها تدل على خلاف ما قاله حسن البنا من أن القرآن حضنا على مصافاتهم ومصادقتهم وعدم عدائهم في الدين !!

وإذ كان الأمر كما سمعت يا أخي المسلم فهل يصح لأحد أن يدافع عن صاحب هذا الخطأ الفاحش الذي تحمله تلك المقالة الخبيثة الباطلة في شأن اليهود والنصارى؟ ثم هل يجوز أن يعنف ويعاب من ينكر على قائلها سوء معتقده هذا، وبطلان استدلاله بنصوص القرآن الكريم على غير وجهها ولَم يسأل أهل العلم إذ كان جاهلاً !!.

وأما السبب في وصف مصطفى السباعي المرشد العام للإخوان في سوريا سابقًا بما ذكر من بدعة القبورية، وتمييعه لدعوة الإسلام فهو:

أولاً: ما جادت به قريحته مما فيه طلب المدد من رسول الله ﷺ بعد مماته حيث قال وهو **في الروضة قرب المنبر النبوي** الشريف مخاطبًا رسول الله ﷺ:

يـا سائق الظعن نحو البيت والحرم ... ونحـو طيبة نبغي سيد الأمم[(١)]

إن كـان سـعيك للمختار نافلة ... فسعي مثلي فرض عند ذي الهمم

يـا سيدي يا حبيب الله جئت إلى ... أعتاب بابك أشكو البرح من سقم

يا سيدي قد تَمادى السقم في جسدي ... من شدة السقم لَمْ أغفل ولَم أنم

الأهـل حـولي غرقى في رقادهم ... أنا الوحيد الذي جفاه النوم من ألَمْ

قـد عشت دهرًا مديدًا كله عمل ... واليوم لا شيء غير القول والقلم

يا سيدي طال شوقي للجهاد فهل ... تدعو لي الله عودًا عالي العلـم

وثانيًا: ما جاء عنه في كتاب د. مصطفى السباعي "رجل فكرة وقائد دعوة"[(٢)] (ص٩٣، ٩٨) مما فيه حط من قدر الإسلام حيث قال

(١) نشرت القصيدة في مجلة حضارة الإسلام بمناسبة وفاة مصطفى السباعي (ص٦٢، ٦٣) بعنوان مناجاة بين يدي الحبيب الأعظم في اليوم العاشر من شهر الله المحرم عام (١٢٨٤ هـ) وتلاها مصطفى السباعي قبل الحج وبعده أمام الحجرة النبوية، ومن المجلة دون الشيخ / محمد بن سيف العجمي في كتابه وقفات مع كتاب للدعاة فقط.

(٢) وعنه عثمان عبد السلام نوح في كتابه "الطريق إلى الجماعة الأم، علم وعمل السلف" (ص١٣٤).

السباعي: "فليس الإسلام دينًا معاديًا للنصرانية، بل هو معترف بها مقدس لها، وأما توهم الانتقاص من المسيحيين وامتياز المسلمين فأين الامتياز؟ أفي حرية العقيدة والإسلام يحترم العقائد جميعًا؟ أم في الحقوق المدنية والتساوي في الواجبات؟ والإسلام لا يفرق بين مسلم ومسيحي، ولا يعطي للمسلم حقًّا في الدولة أكثر من المسيحي، والدستور سينص على مساواة المواطنين جميعًا في الحقوق والواجبات.

ثم اقترح أربع مواد:

١- الإسلام دين الدولة الرسمي.

٢- الأديان السماوية محترمة ومقدسة.

٣- الأحوال الشخصية للطوائف الدينية مصونة ومرعية.

٤- لا يحال بين مواطن وبين الوصول إلى أعلى مناصب الدولة بسبب الدين أو الجنس أو اللغة.!!" ا هـ.

وإذ كان الأمر كما علمت فإنني أقول لصاحب المنشور: وبعد سماعك ما ثبتت نسبته إلى مصطفى السباعي نظمًا ونثرًا، مما فيه هدم التوحيد بكلمات الشرك المظلمة ومما فيه تمييع دعوة الإسلام والغض من قدرها ومنْزلتها، ونسبة أحكام الْجاهلية الجائرة إلى الإسلام وهو منها براء !! أيحق لك أن تعيب من وصف مصطفى السباعي بالقبورية والبدعة. إنك لمن الجاهلين إن دمت على ذلك.

وأما يوسف القرضاوي الذي اعتبره صاحب المنشور معتدى عليه

من قبل كل من تعقبه وبين أخطاءه وضلالاته، فإليك طرفًا مما أودعه في كتابه المسمى "الحلال والحرام" وقام بنقده وبيان الحق حياله الشيخ/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان -حفظه الله-.

الخطأ الأول: تجويزه خلو التكاليف والشعائر الدينية، والحلال والحرام من الحكمة والعلل المعقولة[١].

الخطأ الثاني: تصريحه بمشروعية موادة اليهود والنصارى مستدلاً على ذلك بجواز مواكلتهم ومعاهدتهم وحسن معاشرتهم[٢].

قلت: وهو قول أستاذه[٣] ومربيه حسن البنا الذي تقدم قريبًا.

الخطأ الثالث: في حكم[٤] إعفاء اللحية، فقد خبط فيه خبط عشواء وركب فيه متن عمياء، مما جعل الشيخ الفوزان يتوسع في الرد عليه بما

---

(١) انظر الإعلام بنقد كتاب الحلال والحرام (ص١١).

(٢) انظر المصدر السابق (ص١٢).

(٣) صرح بذلك في حديث أجراه معه صالح عبد الفتاح (القاهرة - ونشر في جريدة عكاظ عدد (١٠٠٠٥) وتاريخ (١٤١٤/٧/١١هـ) حيث قال القرضاوي: أعظم الشخصيات التي أثرت في فكري ومشاعري وسلوكي شخصية الإمام حسن البنا فقد استمعت إليه مبكرًا في حياتي وأعجبت به ورأيت فيه الأستاذ والمعلم والمربي والداعية والمفكر، ولهذا تلقفت تقريبًا كل ما كتبه من رسائل ومقالات وبيانات ونَهلت منها ووجدت فيها زادًا ونبراسًا. كما ذكر في هذا اللقاء وأن مدرسته الأولى هي مكتبة أبي حامد الغزالي وفي مقدمتها "إحياء علوم الدين".

(٤) المصدر السابق (ص٢٨-٣٤).

يقارب ست صفحات.

الخطأ الرابع: القول بجواز ما أزهقت روحه بطريقة الصعق الكهربائي من الحيوانات المأكولة[1]، وهذا فيه مصادمة لنصوص الكتاب والسنة، وقد رد عليه الشيخ/ صالح ردًّا مفصلاً مؤيدًا بأدلة الكتاب والسنة وفتاوى العلماء الربانيين.

الخطأ الخامس[2]: تصريحه بإباحة كشف الوجه واليدين من المرأة الحرة، كما أباح للرجل أن ينظر إلى وجه المرأة وكفيها، وقد ناقشه الشيخ / صالح مناقشة علمية فقهية تنير الطريق وتدحر التضليل، انظر خلاصة المهم منها فيما يلي:

أولاً: تجويز الأستاذ/ يوسف القرضاوي للمرأة أن تكشف وجهها وكفيها بحضرة الرجال الأجانب، وتجويزه للرجل الأجنبي النظر إليهما باعتبارهما غير عورة وهذا قول باطل وخطأ واضح، ترده الأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم، وكلها تعتبر الوجه والكفين من المرأة عورة.

ثانيًا: أن استدلال القرضاوي على جواز نظر الرجل الأجنبي إلى وجه المرأة بحديث الفضل بن العباس، ونظره إلى الخثعمية وصرف النبي ﷺ وجه الفضل عنها، فهذا من غرائب الاستدلال؛ لأن الحديث يدل

(١) المصدر نفسه (ص٣٤-٤١).
(٢) المصدر السابق (ص٥٣-٧٢).

على خلاف ما يقول، وذلك لأن النبي ﷺ لَمْ يقر الفضل على ذلك بل صرف وجهه وكيف يمنعه من شيء مباح؟ انتهى بتصرف واختصار. وانظر الإعلام من (ص٥٣-٧٣).

الخطأ السادس(١): اختياره القول بإباحة اللعب بالشطرنج الذي جزم بتحريمه الْمُحققون من أهل العلم.

الخطأ السابع(٢): وصفه الغناء بأنه تستريح له النفوس وتطرب له القلوب وتنعم به الآذان، قاصدًا بذلك تحسينه للناس وترغيبهم في استماعه، وقد أسهب الشيخ/ صالح في مناقشة هذا الموضوع الذي قال فيه يوسف القرضاوي ما سمعت، ولما له من الأهمية ولما فيه من الفتنة للقلوب، والصرف لها عما تطمئن به لاسيما سماع أغاني هذا الزمان المستوردة من أعداء الدين من شرقيين وغربيين وغيرهم ممن تشبه بِهم في كل خلق مشين. هذه الأخطاء والشذوذات التي نبه عليها الشيخ/ صالح الفوزان مضافة إلى مواقف خاطئة للشيخ القرضاوي حيال نصوص ثابتة عن الرسول ﷺ، لها معانيها الصحيحة الواضحة عند شراح الحديث المحققين وعند العلماء الربانيين السلفيين، وحيال قواعد ثابتة أسسها أهل الفهم الصحيح أهل السنة والجماعة من سلفنا الصالحين وسار ويسير عليها

(١) المصدر السابق (ص٧٢-٧٩).

(٢) المصدر السابق (ص٨٠-١٠٧).

أتباعهم إلى يوم الدين فليراجع كذلك كتاب: "**كيف نتعامل مع السنة**" تأليف القرضاوي، وإذ كان الأمر كما قرأت فما وجه صحة الاعتراض من صاحب المنشور على من قال ويقول: إن يوسف القرضاوي وقع في جملة من الأخطاء والضلالات والشذوذات؟ وعلى أي أساس أصدر لومه وسخريته لمن انتقده؟ ثم ما سر تصنيف يوسف القرضاوي وزملائه الذين سبق الحديث عنهم مع الحافظ بن حجر والنووي والإمام بن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب وبن باز وغيرهم ممن عرفوا بغزارة العلم وشهد لهم بمرتبة الاجتهاد، وخلفوا لمن وراءهم علومًا نافعة لا يستغني عن النهل منها طلاب العلم في كل زمان ومكان؟

وأما عمر التلمساني المرشد العام الثالث للإخوان المسلمين فقد جاء عنه في كتابه "**شهيد المْحراب عمر بن الخطاب**" ذكر أقوال خاطئة صرح بها لا يليق بأحد أفراد جهال المسلمين أن يقع فيها، أو يرتضيها ويؤيد فاعليها، فكيف بمن يتبوء منصب الإرشاد العام الشرعي والجهادي والدعوي لمئات الألوف من المسلمين كالتلمساني، فقد جاء في كتابه المذكور ما نصه: ".. ولذا أراني أميل إلى الأخذ بالرأي القائل: إن رسول الله ﷺ يستغفر حيًّا وميتًا لمن جاء قاصدًا رحابه الكريم". ويقول: ".. فلا داعي إذن للتشدد في النكير على من يعتقد في كرامات الأولياء، واللجوء إليهم في قبورهم الطاهرة، والدعاء فيها عند الشدائد، وكرامات الأولياء من أدلة معجزات الأنبياء". ويقول أيضًا: "فما لنا وللحملة على أولياء

الله وزوارهم، والداعين عند قبورهم"(١).

وغير ذلك من المخالفات التي لا تصدر إلا من جاهل بعلوم الشريعة الكريمة وأسس العقيدة الإسلامية القويمة.

وأخيرًا: فلعل سائلاً يسأل فيقول فما خلاصة نصيحتك لكاتب المنشور وأعوانه في التوزيع والنشر السري؟ فأقول: أما أخي صاحب المنشور فإن نصيحتي له أن يعيد النظر في رسالته، ويفصل الأمر في كتابته، ويجعل حدًّا فاصلاً بين المحقين في نقدهم وتوجيههم لغيرهم الذين كتبوا بأسلوب الراسخين في العلم، والمتمسكين بأصول السلف الصالح أهل السنة والجماعة في الرسائل والردود والمناظرات، وبين من تنقصوا أمثال ابن حجر والنووي وابن العربي والقرطبي وأبي العباس بن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب وابن باز وابن عثميين ونحوهم من أصحاب العلوم الشرعية والحكمة الدعوية والآداب المرضية على تفاوت بينهم كما قال الله ﷻ: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: من الآية١٧].

وما كان من خطأ قد صدر من أحد من هؤلاء العلماء القدامى أو المعاصرين فليبينه القادر على بيانه بالأسلوب العلمي الذي يتفق مع مكانتهم العلمية وجهودهم الفقهية والدعوية وتراثهم الثمين، وليعرف

(١) انظر الصفحات التالية (٢٢٦ و٢٣١) في كتاب شهيد المحراب، وعنه وقفات مع كتاب للدعاة فقط.

لأهل الفضل فضلهم ولذوي الاجتهاد الذين تبئوا رتبه اجتهادهم، وعلى العموم لينـــزل الناس منازلهم وفق الضوابط العلمية والأحكام الشرعية التي فهمها حق الفهم حراس العقيدة السلفية.

وأما أعوانه في النشر والتوزيع السري فإني أذكرهم بِما أثر عن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- حيث قال: «إذا رأيت قومًا يتناجون في دينهم بشيء دون عامتهم فاعلم أنَّهم على تأسيس ضلالة»، هذا إن كانوا من أهل العلم والعقل ولكن غلطوا، أما إن كانوا من أهل الجهل المركب فأذكرهم بِما قاله لهم ربُّهم: ﴿فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: من الآية٤٣] وكفى.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

س٢: ما رأيكم فيمن لا يرى جواز الترحم على بعض العلماء من الأئمة والحفاظ الذين وقعوا في بعض الأخطاء في مؤلفاتِهم، بِحيث سلك بعضهم مسلك التأويل في بعض نصوص الصفات كالحافظ بن حجر والنووي والقرطبي وابن العربي مثلاً، ووقع بعضهم في الأخطاء التالية:

أ - عقيدة الإرجاء.

ب - تقديْم القياس على النص في بعض الأحكام الشرعية.

ج - اعتبار الزيادة على النص نسخ وذلك كأبي حنيفة وأتباعه مثلاً؟ ثم ما رأيكم فيمن يقول: إن الأخطاء الَّتِي وقع فيها سيد قطب في مؤلفاته لا تزيد عن الأخطاء الَّتِي وقع فيها ابن حجر والنووي وأمثالهما، وأن أشعرية سيد

قطب مثل أشعرية ابن حجر والنووي؟

ج٢: أقول وبالله التوفيق: إن الذين يقولون بعدم جواز الترحم على الحافظ بن حجر والإمام النووي والإمام أبي حنيفة وأمثالهم من الأئمة المشهورين بطول الباع في العلوم الشرعية، ليس لهم أئمة في القول بذلك، ثم كون أولئك الأئمة أخطأ بعضهم في سلوكه مسلك أهل التأويل المذموم في بعض نصوص الصفات، وأخطأ بعضهم في مسلك تقديم القياس على النص في بعض المسائل الفقهية وفي فصل الأعمال عن الإيْمان(١) -وهو المسمى بالإرجاء- وفي اعتباره الزيادة على النص نسخ، كل ذلك لا يسوغ عدم جواز الترحم عليهم لأنَّهم ما خرجوا من دائرة علماء المسلمين وحفاظ أحكام الشرع والدين، بل إننا نقول: إنَّهم اجتهدوا فأخطأوا في تلك المسائل المذكورة في السؤال، وعلينا وعلى جميع العلماء العارفين أن نبين للناس ما أخطأوا فيه ونحذرهم من اعتقاده والعمل به، قائلين لهم إن أولئك العلماء -رحمهم الله- كتبوا وصنفوا من المصنفات بقدر ما علموا ودونوا تلك الأخطاء وهم يقصدون وجه الحق والصواب، فلم يحالفهم التوفيق للوصول إليه لأسباب شتى لعل منها

---

(١) مع اتفاقهم مع أهل السنة على أن أهل الكبائر متوعدون بالنار، ومع اتفاقهم مع أهل السنة على اشتراطهم العمل، وأما ما ذكر عن أبي حنيفة -رحمه الله- أنه قال: القرآن مخلوق، فقد ثبت رجوعه عنه. ذكر ذلك الذهبي في العلو عن أبي يوسف -رحمه الله- قال: "ناظرت أبا حنيفة ستة أشهر فاتفق رأينا على أن من قال القرآن مخلوق فهو كافر" اهـ. مختصر العلو للذهبي.

تأثرهم بكتب تتلمذوا عليها، أو بسبب البيئة التي عاشوا فيها أو بسبب بعض الأشياخ الذين أخذوا العلم عنهم وهم مصابون بداء التأويل المذموم، والقناعة بالرأي الساقط المرجوح، بالإضافة إلى عدم التوفيق لفهم المعاني الصحيحة من النصوص الصريحة التي حصل منهم -رحمهم الله- الخطأ فيها، وما داموا ممن يسوغ منهم الاجتهاد و لم نعلم عنهم أن لهم نوايا سيئة في ذلك الخطأ، والتأويل المذموم، ولكونهم قدموا خدمات جليلات للفقه الإسلامي العظيم وذلك بالعناية بالقرآن الكريم والسنة المطهرة تفسيرًا وشرحًا واستنباطًا، وردوا على المعطلة والرافضة ونحوهم في كثير من انحرافاتهم فإننا نرجو الله لهم أن يكونوا معذورين فيما أخطأوا فيه، مع تصريحنا الواضح المبين بأن التأويل المذموم ولو كان في صفة واحدة من صفات ربنا الكريم بدعة محدثة لَمْ يعرف في عهد النبوة الغالي ولا عن أحدٍ من السلف الصالحين ولا عن أتباعهم إلى يوم الدين.

قال الإمام بن تيمية -رحمه الله- في الصفحة الثالثة والثلاثين والمائتين والتي بعدها من الجزء الثامن والعشرين من الفتاوى بعد كلام طويل: "ولهذا وجب بيان حال من يغلط في الحديث والرواية، ومن يغلط في الرأي والفتيا، ومن يغلط في الزهد والعبادة، وإن كان المخطئ المجتهد مغفورًا له خطؤه وهو مأجور على اجتهاده فبيان القول والعمل الذي دل عليه الكتاب والسنة واجب، وإن كان في ذلك مخالفة لقوله وعمله، ومن علم منه الاجتهاد السائغ فلا يجوز أن يذكر على وجه الذم والتأثيم له

فإن الله غفر له خطأه، بل يجب لما فيه من الإيْمان والتقوى موالاته ومحبته، والقيام بِما أوجب الله من حقوقه من ثناء ودعاء وغير ذلك، ومن عرف منه النفاق، فهذا يذكر بالنفاق، وإن أعلن البدعة ولَم يعلم هل كان منافقًا أو مؤمنًا مخطئًا ذكر بِما يعلم منه، فلا يحل للرجل أن يقفو ما ليس له به علم، ولا يحل له أن يتكلم في هذا الباب إلا قاصدًا بذلك وجه الله تعالى، وأن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، فمن تكلم في ذلك بغير علم أو بِما يعلم خلافه كان آثِمًا". اهـ.

وقال في موضع آخر من كتابه "**موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول**" (ص٥٦) تحقيق/ محمد محيي الدين ما نصه: "ولا ريب أن الخطأ في دقيق العلم مغفور للأمة، وإن كان ذلك في المسائل العلمية، ولولا ذلك يهلك أكثر فضلاء الأمة، وإذا كان الله تعالى يغفر لمن جهل وجوب الصلاة وتحريم الخمر لكونه نشأ بأرض جهل مع كونه لَمْ يطلب العلم، فالفاضل المجتهد في طلب العلم بحسب ما أدركه في زمانه ومكانه إذا كان مقصوده متابعة رسول الله ﷺ بحسب إمكانه فهو أحق بأن يتقبل الله حسناته ويثيبه على اجتهاده، ولا يؤاخذه بِما أخطأ، تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**﴾ [البقرة: من الآية٢٨٦].

كما قال في موضع آخر من الكتاب نفسه: "ثُمَّ إنه ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساع مشكورة وحسنات مبرورة، وله في الرد على أهل الإلحاد والبدع والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا

يخفى على من عرف أحوالهم وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل وإنصاف" إلى آخر كلامه -رحمه الله- وهو يتحدث عن الأشعرية.

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله- بعد أن ذكر بطلان التأويل المذموم الذي وقع فيه بعض أهل العلم القدامى في بعض نصوص الصفات قاصدًا التنْزيه ما نصه: "ونحن نرجو أن يغفر الله تعالى للذين ماتوا على هذا الاعتقاد لأنَّهم لا يقصدون تشبيه الله بخلقه، وإنما يحاولون تنْزيهه عن مشابهة خلقه فقصدهم حسن ولكن طريقهم إلى ذلك القصد سيئة، وإنَّما نشأ لهم ذلك السوء بسبب أنَّهم ظنوا لفظ الصفة التي مدح الله بها نفسه يدل ظاهره على مشابهة صفة الخلق، فنفوا الصفة التي ظنوا أنَّها لا تليق قصدًا منهم لتنْزيه الله، وأولوها بمعنى آخر يقتضي التنْزيه في ظنهم كما قال الشافعي -رحمه الله-:

رام نفعـًا فضر من غيــر قصــد ... ومن البـــر ما يكون عقــوقــًا

ونحن نرجو أن يغفر الله لهم خطأهم وأن يكونوا داخلين في قوله تعالى: ﴿**وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ [الأحزاب: من الآية٥].

إلى أن قال في حق الأئمة الأربعة ما نصه: "وحقيقة القول الفصل في الأئمة -رحمهم الله- أنَّهم من خيار علماء المسلمين، وأنَّهم ليسوا معصومين من الخطأ، فكل ما أصابوا فيه فلهم فيه أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، وما أخطأوا فيه فهم مأجورون فيه باجتهادهم معذورون في

خطئهم، فهم مأجورون على كل حال لا يلحقهم ذم ولا عيب ولا نقص في ذلك. ولكن كتاب الله وسنة نبيه ﷺ حاكمان عليهم وعلى أقوالهم، كما لا يخفى.

فلا تغل في شيء من الأمر واقتصد ... كلا طرفي قصــد الأمور ذميم

فلا تك ممن يذمهم وينتقصهم، ولا ممن يعتقد أقوالهم مغنية عن كتاب الله وسنة رسوله أو مقدمة عليها"(١).

قلت: ومن هذا العرض نعلم أنه فرق كبير بين من أنكر صفة لله ﷻ ثابتة بنص الكتاب أو السنة الصحيحة أو بهما معًا بعدما بينت له وأمليت عليه، وبين من أثبت نصوص الكتاب والسنة الواردة في باب الصفات أو غيره ولكنه أولها تأويلاً مذمومًا ظنًّا منه أنه لا يصل إلى تنْزيه خالقه وبارئه إلا بذلك التأويل فهو صاحب شبهة لَمْ يستطع التخلص منها لجهله المركب بمعناها الصحيح.

فالأول لا شك في كفره لكونه أنكر نصًّا محكمًا من النصوص، وألحد في آيات الله بعدما أقيمت عليه الحجة والبلاغ المبين، وأما الثاني فلا سبيل إلى القول بكفره ولا إلى القول بسوء نيته وفساد قصده ولكنه وقع في الخطأ بذلك التأويل المذموم، الذي قدمت أنه أمر محدث لَمْ يعرف في عهد النبوة الميمون ولا من بعده عن أحد من العلماء الراسخين في العلم عبر تأريخ القرون.

---

(١) انظر أضواء البيان (ج٧ ص٤٤٨، ٤٤٩ مع ص٥٥٥، ٥٥٦).

هذا فيما يتعلق بالتأويل الذي صدر من العلماء المنوه عنهم في السؤال.

وأما ما يتعلق بما صدر من أبي حنيفة وأتباعه من الإرجاء الذي يتجلى في قولهم إن الإيْمان هو ما يقوم بالقلب واللسان دون الجوارح واختزلوا ركنه الثالث وهو العمل وأخّروه عن مسمى الإيْمان(١)، وهذا النوع من الإرجاء وإن كان ليس كإرجاء الجهم بن صفوان الضال المضل الذي عرّف الإيْمان بأنه هو المعرفة بالقلب فقط، وليس كإرجاء الكرامية الخاطئين الذين عرفوه بأنه هو الإقرار باللسان فقط فيدخل فيه عندهم كل كفور وزنديق ومع هذا فإننا نقول: أخطأ أبو حنيفة وأصحابه -رحمهم الله- بوقوعهم في هذا النوع من الإرجاء؛ لأنَّهم خالفوا الأئمة الثلاثة بل وخالفوا السلف الصالح وأتباعهم من أهل السنة والجماعة في هذا الباب الذي ليس لتحقيقه مصدر إلا كتاب الله ﷻ وسنة رسول الله ﷺ بالفهم الصحيح والمنهج الواضح الصريح الذي وفق له السلف وأتباعهم في كل زمان ومكان -رحمهم الله-، كما أخطأ أبو حنيفة وأتباعه في تقريرهم قاعدة تقديْم القياس على النص وتقرير قاعدة: "الزيادة على

(١) مع اتفاقهم مع أهل السنة على أن أهل الكبائر متوعدون بالنار، ومع اتفاقهم مع أهل السنة على اشتراط العمل وما ذكر عن أبي حنيفة -رحمه الله- أنه قال: القرآن مخلوق فقد ثبت رجوعه عنه. ذكر ذلك الذهبي في العلو عن أبي يوسف -رحمه الله تعالى- قال: "ناظرت أبا حنيفة ستة أشهر فاتفق رأينا على أن من قال القرآن مخلوق فهو كافر" اهـ. مختصر العلو للذهبي. الألباني (١٥٥)، وقال الألباني: هذا سند جيد.

النص نسخ" والَّتي قال فيها الشنقيطي -رحمه الله-: "ترك أبو حنيفة من أجلها العمل بأحاديث صحيحة عن النبي ﷺ"[(١)].

وعلى طلاب العلم المؤهلين بالعلوم الشرعية والملتزمين بالآداب الإسلامية أن يبينوا للناس هذه الأخطاء ويحذروهم منها غير أنه لا يلزم من ثبوتها عن أبي حنيفة وأصحابه عدم جواز الترحم عليهم كما لا يجوز أن يخرجوا من صفوف علماء المسلمين، بل يقال عنهم إنَّهم اجتهدوا -رحمهم الله- فيما صدر منهم من تلك الأخطاء والمخالفات ولا نقر متابعتهم عليها، ونسأل الله أن يعذرهم في خطئهم الناتج عن اجتهاداتهم التي لَمْ يوفقوا فيها لإصابة الحق الذي جاء به إمام المتقين نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وإذ كان الأمر كما علمت فإنه ينبغي أن يفرق النقّاد من طلبة العلم بين من اجتهد من العلماء -وهو أهل للاجتهاد- فأخطأ في بعض مسائل العلم، وبين من يقحم نفسه في الخوض في مسائل العلم وبالأخص في علم العقائد والحلال والحرام والجرح والتعديل والفتيا والقضاء وهو لا يملك مقومات الاجتهاد، فإن الأول لا يعنف ولا يوجه إليه لوم ولا يقابل بالذم ولكن لا يتابع على خطئه، بل يجب أن يبين الخطأ ويحذر منه، وإن كان على قيد الحياة فيناظر ويجادل بالحق من ذوي الكفاءات العلمية ومتى تبين الحق بدليله وجب اتباعه وإطراح ما سواه في أي باب

(١) ذكر ذلك في أضواء البيان (ج٥ ص٢١١).

من أبواب العلم، وأما الثاني فإنه لا يجوز له الخوض فيما لا علم له به بدعوى الاجتهاد الذي لا يملك وسائله ولا مقوماته فهو والحالة هذه بِمنْزلة المتطبب الجاهل الذي باشرت يده من يطبه أو وصف له دواءً يستعمله فتلف بسببه أو تلف بعض أعضائه فإنه يعتبر ضامنًا وشأنه ما ذكر، وفي الحديث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: **«من تطبب ولَم يعلم منه الطب قبل ذلك فهو ضامن»**.

إذا علم ما سبق تدوينه فإنه لا يحق لأحد من طلاب العلم اليوم وبعد اليوم أن يبالغ في قضية التبديع والتفسيق فيعتبر هؤلاء الأئمة الذين سبق ذكرهم مثل الجعد بن درهم والْجهم بن صفوان وبشر المريسي وأشباههم من أئمة الضلال وأصحاب البدع الذين صحت الأخبار عنهم بأنَّهم أقيمت عليهم الحجج بواسطة علماء أزمانِهم وأمرائهم فأبوا إلا أن يحيوا على بدعهم الشنيعة ويتقلبوا في جحيمها ضلالاً وتضليلاً ودعوة وخداعًا، حتى وافاهم الأجل المحتوم وهم على ذلكم الحال المذموم. فكان لعلماء السلف منهم مواقف مرضية موزونة بميزان الشرع الشريف والدين الإسلامي الحنيف.

وأما قول القائل: إن الأخطاء التي وقع فيها سيد قطب في مؤلفاته لا تزيد على الأخطاء التي وقع فيها ابن حجر والنووي وأمثالهما، وأن أشعرية سيد قطب مثل أشعرية الْحافظ بن حجر والنووي فهذا غلط واضح وخلط فادح ورجم بالغيب غير صالح، ذلك لأن الخطأ الأساسي

الذي انتقد على ابن حجر والنووي هو تأويلهما لبعض نصوص الصفات[١] الّتي قصدا من تأويلها التنْزيه لله تعالى، فأخطآ كما فصلت القول فيه قريبًا، وكما هو واضح من كتبهما التي هي من أعظم دواوين الفقه الإسلامي وتفصيل أحكامه وكذا هي من خير الكتب التي عنيت بحفظ السنة وتمييز رجالها العدول عن غيرهم ممن فيهم ضعف خفيف أو شديد.

وأما سيد قطب -رحمه الله- فقد وقع في أخطاء كثيرة تتعلق بالعقيدة تارة، وبعض أصحاب رسول الله ﷺ تارة أخرى، وبغير ذلك من مسائل العلم وأحكامه، الّتي قال فيها شططًا وأفتى فيها بغير علم فاقرأ ذلك في ثلاثة كتب، الكتاب الأول: "**المورد الزلال على أخطاء تفسير الظلال**" فقد دون فيه الشيخ/ عبد الله بن محمد الدويش -رحمه الله- إحدى وثمانين ومائة مسألة ذكر فيها خطأ سيد في مسائل الاعتقاد وفي كثير من أبواب العلم، والكتاب الثاني: "**أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره**"، والكتاب الثالث: "**مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله ﷺ**" وكلاهما للشيخ ربيع بن هادي عمير المدخلي، وقد أوضح فيهما كثيرًا من الأخطاء المتعددة في كثير من مسائل العلم، فاقرأها مع الكتاب الأول وعليك وأنت تقرأ الأخذ بما تبرأ به الذمة ويقوم به القسط فما كان من خطأ وقع فيه سيد في مؤلفاته مما ذكره

(١) كما انتقد عليهما القول بجواز التبرك بالصالحين وآثارهم وشد الرحال إلى قبورهم متأولين نصوصًا لا دليل لهما فيها، كما نبّه على ذلك الشيخ/ عبد العزيز بن باز -رحمه الله-.

الشيخان الكريمان فاحذره وحذر منه، وما كان من اعتداء أو تجاوز في النقد أو سوء فهم لبعض العبارات بدون قصد فلا يجوز لأحد أن يتابع غيره على خطأ مهما كانت منْزلته في العلم، بل يتعين التصحيح للخطأ والنصح لصاحبه وعلى كل حال أيها القارئ الكريم والسائل المستفيد المحب للحق المبين عليك أن تعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال، فإن الحق هو الميزان وما سواه من أعمال العباد موزون به في الدنيا والبرزخ ويوم لقاء الله الكبير المتعال، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

س٣: هل الرد على أهل الأهواء والبدع والْمُجاهرين بالمعاصي يعتبر تتبعًا للزلات، وتطلعًا إلى معرفة العيوب والعثرات؟ وهل التحذير من المبتدع الداعي إلى بدعته والمروّج لها يعتبر غيبة له؟ وما هو موقف علماء السلف من أهل البدع والْمُجاهرين بالمعاصي عمومًا؟ أفيدونا أثابكم الله ثواب العلماء الناصحين، والدعاة الحكماء المخلصين.

ج٣: لا يعتبر الرد على أهل الأهواء والبدع والمجاهرين بالمعاصي تتبعًا للزلات، ولا يعتبر تطلعًا إلى معرفة العيوب والعثرات، ولا قصدًا لإظهار السوءات، كما يدعي ذلك من بطأ به الفهم والتبس عليه الأمر بسبب تقصيره في جنب العلم، بل إن ذلك من جنس الجهاد في سبيل الله بالقلم واللسان لما فيه من إحباط الباطل وبيان الحق ونصح الخلق، وكم

من كتب قد ألفت في الرد بالقسط على أهل الأهواء والبدع والمجاهرين بالمعاصي ومناقشتهم بأدلة الكتاب والسنة حتى استقام الحق وفُهم، وتَهاوى الباطل بعضه على بعض فعُلِم، أذكر من هذه الكتب على سبيل المثال:

١- **كتاب السنة** لعبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل مات (٢٩٠ هـ) -رحمه الله ورحم أباه الذي أدبه بشرع الله- رد فيه على الجهمية والمعتزلة والمرجئة والخوارج وغيرهم من أهل الأهواء والبدع في زمانه.

٢- **كتاب السنة** لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن زيد الخلال مات (٣١١ هـ) -رحمه الله- رد فيه على الخوارج والرافضة والقدرية والمرجئة وغيرهم من أهل الأهواء والزيغ والبدع.

٣- **رد الإمام الدارمي** عثمان بن سعيد مات (٢٨٠ هـ) -رحمه الله- على بشر المريسي مات (٢١٨ هـ).

٤- كتاب **أصول الاعتقاد** لأبي القاسم الالكائي، مات (٤١٨ هـ) -رحمه الله- رد فيه على الجهمية وغيرهم من فرق التعطيل موضحًا فيه منهج أهل الأثر في باب الاعتقاد ولزوم جماعة المسلمين السائرين على المنهج الحق المبين.

٥- **كتاب الحجة فِي بيان الْمَحجة وشرح عقيدة أهل السنة** للإمام الحافظ أبي القاسم الأصبهاني مات (٥٣٥ هـ) -رحمه الله- قرر فيه مذهب السلف في باب الأسماء والصفات لله ﷻ ورد فيه على

المخالفين لهم من طوائف الابتداع.

٦- **كتاب الإبانة عن شريعة الفرق الناجية، ومجانبة الفرق المذمومة** تأليف الشيخ الإمام أبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري مات (٣٨٧هـ) -رحمه الله- بيّن فيه أمورًا كثيرة من أمور العقيدة منها أمر الفتنة وغربة الدين في آخر الزمان، وبيان حال الخليقة في آخر الزمان، وأدلة الأمر بطاعة الله وطاعة رسوله وطاعة ولي أمر المسلمين، والحث على الاعتصام بشرع الله الوارد في الكتاب والسنة، كما حذّر في هذا الكتاب من الوقوع في المُحدثات والبدع وحذر من مجالسة المبتدعين في الدين مع بيان ما في ذلك من شر مستطير وخطر كبير، وأورد أن أصل البدع أربعة أصناف، الروافض والخوارج والقدرية والمرجئة، ثم تشعبت كل فرقة إلى فرق بلغ مجموعها اثنتين وسبعين فرقة، والثالثة والسبعون هم الجماعة التي قال فيها رسول الله ﷺ: «**إنّها الناجية**» وحث على الرد على كل صاحب بدعة وهوى ليحذره الناس ويسلموا من شر بدعته وخطر هواه، وذكر أمورًا أخرى ينبغي الإطلاع عليها والاستفادة منها إذا فهمت حق فهمها.

٧- **مكتبة الإمام بن تيمية** (ت٧٢٨ هـ) -رحمه الله-، وجل هذه المكتبة ردود صريحة على أهل الإلحاد في دين الله، والانحراف عن منهاج الكتاب والسنة لاسيما فيما يتعلق بعلم العقائد، وفي مقدمة هذه المكتبة العامة والموسوعات العلمية الكبرى فتاواه الّتي تزيد على أربعين مجلدًا،

ومنهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، وكتاب درء تعارض العقل والنقل الذي رد فيه على طوائف وأشخاص بالأدلة النقلية والحجج العقلية، وكتاب الرد على المنطقيين الذي رد فيه على الفلاسفة وبين فيه أن شركهم بالله وكفرهم به أشنع من شرك وكفر أهل الجاهلية، كما بين فيه أن استمداد الدين كله بجميع مراتبه من وحي الله الْمُنَزل على كل نبي ومرسل، وليست الأمة بحاجة في أمر دينها إلى قواعد المنطق وعلم الفلسفة. إلى غير ذلك من إقامة الحجج الشرعية والعقلية الموافقة لها، لدفع الشبه الواردة من العلوم الفلسفية والقواعد المنطلقة المتعارضة مع أصول الدين وقواعده الشرعية.

وكتاب الاستقامة وما كنت أعلم قبل الاطلاع عليه أنه من كتب الردود على أهل الأهواء والبدع فإذا به يرد في أول فصل من فصوله على أهل الكلام الذين يزعمون أن الكتاب والسنة لا يدلان على أصول الدين بحال، وأن أصول الدين تستفاد بالقياس العقلي والأدلة العقلية، كما يرد على بعض الفقهاء الذين يقولون إن القياس يحتاج إليه في معظم الشريعة لقلة النصوص الدالة على الأحكام الشرعية[1] كما رد في فصل آخر من أهم فصول الكتاب على المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة الذين يعظمون علم الكلام حتى يجعلون مسائله قطعية، ويهونون من شأن الفقه الذي هو معرفة أحكام الأفعال حتى يجعلوه من باب الظنون لا العلوم،

---

(١) انظر الاستقامة (ج١ ص٦).

ورد أيضًا في نفس بحوث هذا الكتاب على منكري رؤية المؤمنين ربِّهم يوم القيامة وعلى من أثبتها بتفسير غير تفسير أهل السنة والجماعة، ورد على المتصوفة وناقش شطحاتِهم بِما لا مزيد عليه، وفي الكتاب علوم شرعية شتى لا يستغني عن الإطلاع عليها طالب علم يحب أن يكون على هدى وبصيرة من أمره. وكتاب الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية حيث ابتدأه بالجواب على السؤال التالي: "ما تقول السادة العلماء في رجل نوى زيارة قبور الأنبياء والصالحين مثل قبر نبينا محمد ﷺ فهل يجوز له في سفره أن يقصر الصلاة وهل هذه الزيارة شرعية أم لا ؟

فاستغرقت الإجابة كتابًا مستقلاً قال في آخره: "الوجه الثاني عشر أن يقال: لا ريب أن الجهاد والقيام على من خالف الرسل والقصد بسيف الشرع إليهم وإقامة ما يجب بسبب أقوالهم، نصرة للأنبياء والمرسلين وليكون عبرة للمعتبرين ليرتدع بذلك أمثاله من المتمردين ومن أفضل الأعمال التي أمرنا الله أن نتقرب بِها إليه، وذلك قد يكون فرضًا على الكفاية. وقد يتعين على من علم أن غيره لا يقوم به"[(١)]. ا هـ.

٨- مكتبة الإمام بن قيم الجوزية (ت٧٥١ هـ) -رحمه الله- وفي مقدمتها كتابه القيم "**الصواعق الْمنْزلة على الطائفة الجهمية والمعطلة**" الذي ناقش فيها عدة طوائف من أهل الأهواء والابتداع الذين سلكوا مسلك

(١) انظر الكتاب المذكور (ص٢٠٥).

التعطيل والتأويل لنصوص الكتاب والسنة فضلّوا وأضلوا غيرهم عن منهج الحق، منهج أهل السنة والجماعة السلف الصالح وأتباعهم إلى يوم الدين، ومثله كتابه "**اجتماع الجيوش الإسلامية**" وغيرهما كثير، اعتبر الردود فيها على المخالفين لعقيدة السلف من أنواع الجهاد الأعظم في سبيل الله لما في الرد على أهل الأهواء والبدع من نصرة الحق وذويه، وقمع الباطل وصانعيه ومروجيه.

٩- **مكتبة الإمام الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب** (ت١٢٠٦ هـ) -رحمه الله- وكتب أحفاده وتلاميذه، وكم فيها من ردود على طوائف من أهل البدع وعلى أشخاص اشتهروا ببدع مكفرة ومفسقة حتى تبين الحق وظهر، واختفى باطل المبتدعين الذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم الحق المبين.

هذا قليل من كثير من العلماء القدامى الربانيين الذين قرروا في مؤلفاتهم المفيدة منهج سلفنا الصالحين من الصحابة والتابعين السائرين على هدي رب العالمين، وهدي رسوله النبي الأمين، وردوا فيها على أهل الأهواء والمبتدعين في كل أمر خالفوا فيه شيئًا مما جاء به خاتم الأنبياء وإمام المتقين وسيد المرسلين، يرجون من وراء ذلك رحمة الله ونيل رضاه، ويخشون عقوبته التي أعدها سبحانه لمن خالف أمره وعصاه. ولقد حذا حذوهم وترسم خطاهم في تقرير ونشر منهج السلف والرد على أهل الأهواء والمبتدعين كثير من علمائنا المعاصرين وزملائنا من أهل

العلم والأثر، الذين يهمهم شأن الإسلام والمسلمين وتصفية جميع مراتب الدين من كل شائبة تتعلق بالعقيدة أو الشعائر أو السلوك أو منهج دعوة الأنبياء والمرسلين، أذكر منهم على سبيل المثال:

• **الشيخ/ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني** (ت١٣٨٦ هـ) -رحمه الله- الذي رد في كتابيه "**الطليعة**" و"**التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل**" على محمد زاهد الكوثري حامل لواء التجهم في زمانه الذي طعن في أئمة الحديث ورواته ورماهم بالتجسيم والتشبيه والعصبية المذهبية، حتَّى لقد تجاوز طعنه إلى بعض الصحابة ﷺ مصرحًا أن أبا حنيفة رغب عن أحاديثهم وأن قياسه مقدم عليها، وله في حق كثير من أئمة العلم همز ولمز وغمز بدون خوف من الله ولا احترام لأعراض الصالحين من عباد الله. جزاه الله بما يستحق[1].

• **الشيخ/ حافظ بن أحمد بن علي الحكمي** (ت١٣٧٧هـ) -رحمه الله- الذي رد في كتابه الكبير المسمى "**معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد**" رد فيه على جميع المبتدعة كالحلولية والاتحادية والجهمية والمشبهة والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية والقبورية والصوفية وغير هؤلاء كالمرجئة والجبرية والخوارج، مع التوضيح الجلي لمذهب أهل السنة والجماعة من السلف الصالح وأتباعهم -رحمهم الله-.

---

(١) انظر مقدمة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني لكتابي الطليعة والتنكيل. بالإضافة إلى مقدمة الكتابين للمؤلف "المعلمي".

• **الشيخ/ حمود بن عبد الله التويجري** (ت١٤١٣هـ) -رحمه الله- الذي رد في كتابه "**فتح المعبود في الرد على ابن محمود**" الذي أخطأ في باب القضاء والقدر حيث زعم ابن محمود أن الكتابة في قوله ﷺ: «**إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض**». هي عبارة عن العلم القائم بذات الله، وهذا خطأ ظاهر فإن كتابة الأشياء غير سابق علم الله، كما رد عليه في قوله بعدم التفريق بين النبي والرسول وفي قدحه في الصحابي الجليل أبي ذر ورميه بسوء الحفظ ورد عليه في أمور كثيرة ذات أهمية كبيرة، والحقيقة أن من اطلع على الكتاب الذّي تزيد صفحاته على تسعين ومائة صفحة وما فيه من القوة في الرد والحكمة في الاستدلال والإلزام عرف مدى غزارة علم الشيخ التويجري -رحمه الله-.

قلت: لا غرابة أن يكون كذلك فإن حياته كلها حياة تحصيل للعلم وممارسة للبحث والتأليف والنشر، كما رد على ابن محمود نفسه بكتاب سماه "**الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر**" تزيد صفحاته على عشرين وأربعمائة صفحة قدم له صاحب السماحة الشيخ / عبد العزيز ابن عبد الله بن باز بكلمة تقريظ أعلن فيها جودة الرد حكمةً وأسلوبًا وإخلاصًا ونصحًا. وضم صوته إلى صوت المؤلف موضحًا بادئ ذي بدء خطأ عبد الله بن زيد بن محمود في زعمه ودعواه الباطلة أن أحاديث المهدي المنتظر كلها موضوعة بل خرافة لا أصل لها، وقد اعتبره الشيخ عبد العزيز قولاً باطلاً جائرًا حيث قال في خلال كلمته التقريظية: "ولا

شك أن القول بأن أحاديث المهدي أحاديث موضوعة قول باطل وجرأة على القول على الله سبحانه، وعلى رسوله ﷺ بلا علم"[١]. ا هـ.

الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله- الذي رد بكتبه ومقالاته المشرقة على جماعة كثر تنكبوا جادة الحق والصواب في مؤلفاتهم ونشراتهم وقالوا فيها شططا، أذكر ممن رد عليهم سماحته على سبيل المثال:

أ- مصطفي أمين: حيث كتب مقالاً[٢] بعنوان "آثار المدينة المنورة" وأتى فيه بأخطاء شنيعة تتعلق بالعقيدة، ذكر الشيخ منها خمسة وخصها بالنقد والمناقشة بأسلوب علمي حكيم وغيرة على دين الحق العظيم وكانت الأدلة نقلية وعقلية كما هو سبيل المحققين من أهل العلم والراسخين فيه عند كتابة النقد والتوجيه والردود.

قلت: وحري بكل نقد ورد وتوجيه يعتمد صاحبها على أدلة الوحي الكريم بالفهم الصحيح أن تقابل بالقبول والعمل من أمة القبول للحق والحب له والعمل به ؛ والدعوة إليه والذب عنه، ورحم الله القائل:

مـــا العـــلم إلا كتاب الله أو أثر   يجلـــو بـــنور هـــداه كل منبهم
ما ثُمَّ علم سوى الوحي الْمبيـــن   وما منه استمد ألا طوبى لـــمغتنم

ب- صالح محمد جمال: الذي كتب مقالاً بعنوان " الآثار الإسلامية

(١)انظر (ص٣، ٤) من الكتاب المذكور.

(٢)انظر الرد في الجزء الأول من الفتاوى لسماحة الشيخ / عبد العزيز (ص٣٩٥).

" دعا فيه الكاتب إلى تعظيم الآثار الإسلامية والعناية بِها، واقترح لصيانة هذه الآثار والاستفادة منها ست وسائل نقلها الشيخ، ورد عليها بنور الحق من الكتاب والسنة وفهم السلف إذ قال في بداية رده ما نصه: "ولما كان تعظيم الآثار الإسلامية بالوسائل التي ذكرها الكاتب يخالف الأدلة الشرعية وما درج عليه سلف الأمة وأئمتها من عهد الصحابة ﷺ إلى أن مضت القرون المفضلة، ويترتب عليه مشابَهة الكفار في تعظيم آثار عظمائهم، وغلو الجهال في هذه الآثار، وإنفاق الأموال في غير وجهها ظنًّا من المنفق أن زيارة هذه الآثار من الأمور الشرعية، وهي في الحقيقة من البدع المحدثة، ومن وسائل الشرك ومن مشابَهة اليهود والنصارى في تعظيم آثار أنبيائهم وصالحيهم واتخاذهم معابد ومزارات، رأيت أن أعلق على هذا المقال بِما يوضح الحق ويكشف اللبس بالأدلة الشرعية والآثار السلفية، وأن أفصل القول فيما يحتاج إلى تفصيل لأن التفصيل في مقام الاشتباه من أهم المهمات، ومن خير الوسائل لإيضاح الحق عملاً بقول الرسول ﷺ: «**الدين النصيحة**. قيل: لِمن يا رسول الله؟ قال: **لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»، فأقول والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا به"[١]. ا هـ.

ثُمَّ مضى في الرد مستندًا على النصوص الواضحة الجلية من الكتاب

---

(١) انظر الرد مفصلاً في الجزء الأول من فتاوى سماحته، الجزء الأول "**التوحيد وما يلحق به**" (ص٤٠٦) وما بعدها.

والسنة والآثار السلفية.

قلت: وأكرم بكل نقد ورد يكون سلاح صاحبهما النصوص الشرعية والآثار السلفية، ورحم الله القائل:

دين النبي محمد أخبار نعم المطية للفتى آثار
لا ترغبن عن الحديث وأهله فالرأي ليل والحديث نَهار
ولربَّما جهل الفتَى أثر الْهدى والشمس بازغة لَها أنوار

ج- حمد السعيدان: الذي نشر مقالاً قوّل فيه الشيخ/ عبد العزيز ابن باز ما لَمْ يقله بشأن حلق اللحية حيث قال الكاتب المذكور: إن الشيخ عبد العزيز قال: إن أي فتوى تصدر باسمي يجب أن تكون ممهورة بخاتمي، ومصدقة من وزارة الأوقاف الإسلامية، فرد عليه الشيخ مبينًا بطلان ما نسبه إليه.

مما تقدم ذكره وأردفه ببيان خطأ فَهْم الكاتب المذكور لقول النبي ﷺ: «**خالفوا المشركين أحفوا الشوارب وأوفوا اللحى**» حيث فهم كاتب المقال أن هذا الحديث يقتضي بِهذا العصر أن تحلق اللحي لأن المجوس واليهود والنصارى والسيخ وغيرهم يطلقون اللحى، وكان من جملة رد الشيخ على هذا الفهم السقيم ما نصه: ولا شك أن هذا جرأة من الكاتب، وسوء أدب منه مع سنة رسول الله ﷺ ، فبيانه ﷺ واضح وأمره واجب التنفيذ .. -إلى أن قال وهو يواصل الرد- .. وهذه الجرأة من الكاتب في حمل الحديث الشريف على وجوب حلقها، لأن بعض

المشركين تركوا حلقها جرأة شنيعة في نشر الباطل والدعوة إليه، ثم هي مخالفة للواقع فليس كل الكفار قد وفّروا لحاهم، بل فيهم من يعفها وفيهم من يحلقها، ولو فرضنا أنّهم كلهم أعفوها لَمْ يجز لنا أن نخالف أمر رسول الله ﷺ فنحلقها لمخالفتهم، وهذا لا يقوله من له أدنى علم وبصيرة بشرع الله ﷻ، ويلزم عليه لوازم باطلة ومنكرات كثيرة"[١]. ا هـ.

ح- صالح محمد جمال: أيضًا في اعتراضه على خطيب المسجد الحرام، وفي شأن المولد النبوي وفي شأن المآدب التي يقيمها أهل الميت في اليوم الثالث من الوفاة، حيث رد عليه الشيخ/ عبد العزيز مبينًا في رده جهل صاحب المقال وأنه خاض في هذه المسائل بغير علم، وأن ما قاله خطيب الحرم حق وفي محله لأنه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن الاحتفال بالمولد النبوي بدعة لأدلة شرعية كثيرة، كما بين -رحمه الله- من خلال هذا الرد على الكاتب المذكور أن الولائم التي تقام للعزاء بعد الموت أنّها من أمر الجاهلية، ومن النياحة التي حذّر منها رسول الله ﷺ، وإن جَهِلَ الكاتب -هداه الله- ذلك، وساق الأدلة الشرعية والآثار السلفية في رده العادل وتوجيهه الهادي الرحيم ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيي عن بينة.

هـ- محمد علي الصابوني: حول مقالاته الّتي نشرت في أعداد مجلة

---

(١) انظرها في الجزء الثاني من فتاوى سماحته "**التوحيد وما يلحق به**" (ج٢ ص٣٤٧) وما بعدها.

المجتمع فيما يتعلق بالأمور التالية:

الأمر الأول: فيما يتعلق بتقليد أئمة المذاهب حيث صرح الصابوني بأن تقليد الأئمة الأربعة من أوجب الواجبات... إلخ، فرد عليه الشيخ عبد العزيز برد مفصل مقنع لمن أراد الحق ورضي به، خلاصته: "أن هذا الإطلاق خطأ إذ لا يجب تقليد أحد من الأئمة الأربعة ولا غيرهم مهما كان علمه؛ لأن الحق في اتباع الكتاب والسنة لا في تقليد أحد من الناس، وإنما قصارى الأمر أن يكون التقليد سائغًا عند الضرورة لمن عرف بالعلم والفضل واستقامة العقيدة... إلخ الرد".

الأمر الثاني: يتعلق بما صرح به الصابوني -مَنَّ الله علينا وعليه بالهداية- من أن الإمام بن تيمية -رحمه الله- لَمْ يصل إلى مرتبة الاجتهاد، وإنَّما مذهبه حنبلي يتقيد به في كثير من الأحيان، فرد عليه الشيخ عبد العزيز -رحمه الله- بأن قولــه هذا خطأ ظاهر فإن ابن تيمية من أعلم المجتهدين وقد توافرت فيه شروط الاجتهاد، وأن انتسابه إلى المذهب الحنبلي لا يخرجه عن ذلك لأن المقصود من ذلك موافقته لأحمد في أصول مذهبه وقواعده، وليس المقصود من ذلك أن يقلده فيما قاله بغير حجة وإنما كان يختار من الأقوال أقربَها إلى الدليل حسب ما يظهر له -رحمه الله-.

الأمر الثالث: فيما يتعلق بدفاع الصابوني عن مذهب الأشاعرة ورميه من اعترض عليهم فيما خالفوا فيه عقيدة أهل السنة بالجهل إلخ... ما قال، فرد عليه الشيخ -رحمه الله- برد مفصل مختصر خلاصته

أن الأشاعرة ضلوا فيما خالفوا فيه الكتاب والسنة وخيار الأمةَ فيما تأولوه من أسماء الله وصفاته على غير تأويله" إلى أن قال -ونعم ما قال-: "ولا يصح أن يرمي من اعترض على الأشاعرة فيما خالفوا فيه عقيدة أهل السنة بالجهل لأن حقيقة الجهل هو القول على الله بغير علم".

الأمر الرابع: فيما يتعلق بقوامة الرجال حيث قال الصابوني: "إنَّما القوامة للرجل قوامة تكليف وليست قوامة تشريف" فرد عليه الشيخ بقوله: هذا خطأ والصواب أن يقال: إن قوامة الرجال على النساء قوامة تكليف وتشريف لقول الله -جل وعلا-: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِما فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾ [النساء: من الآية٣٤] فأوضح سبحانه أنه جعل الرجال قوامين على النساء لأمرين:

أحدهما: فضل جنس الرجال على جنس النساء.

والأمر الثاني: قيام الرجال بالإنفاق على النساء بِما يدفعونه من المهور وغيرها من النفقات.

الأمر الخامس: يتعلق بإعادة محمد علي الصابوني الدفاع عن الأشاعرة مع اعتباره مذهب المفوضة في باب الأسماء والصفات أسلم، فرد عليه الشيخ -رحمه الله- في هاتين النقطتين بقوله: الفرق المخالفة لأهل السنة متفاوتون في أخطائهم فليس الأشاعرة في خطئهم كالخوارج والمعتزلة والجهمية وذلك لا يمنع من بيان خطأ الأشاعرة فيما أخطئوا ومخالفتهم لأهل السنة في ذلك كما قد بين خطأ غيرهم لإظهار الحق وبيان بطلان

ما يخالفه تبليغًا عن الله سبحانه، وعن رسوله ﷺ وحذرًا من الوعيد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٥٩، ١٦٠].

ثم يقال: ليس الأسلم تفويض الأمر في الصفات إلى علام الغيوب؛ لأنه سبحانه بينها لعباده وأوضحها في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله الأمين ﷺ ولَم يبين كيفيتها فالواجب تفويض علم الكيفية لا علم المعاني، وليس التفويض مذهب السلف، بل هو مذهب مبتدع مخالف لما عليه السلف الصالح. اهـ.

الأمر السادس: وعندما أورد الصابوني القاعدة الإخوانية المجملة الّتي هي: "نجتمع على ما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه" رد عليه الشيخ -رحمه الله- بقوله: نعم يجب أن نتعاون فيما اتفقنا عليه من نصر الحق والدعوة إليه، والتحذير مما نَهى الله عنه ورسوله، وأما عذر بعضنا بعض فيما اختلفنا فيه فليس على إطلاقه بل هو محل تفصيل، فما كان من مسائل الاجتهاد التي يخفى دليلها فالواجب عدم الإنكار فيها مِنْ بعضنا على بعض، أما ما خالف النص من الكتاب والسنة فالواجب الإنكار على من خالف النص بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ثم أورد الأدلة على هذا التفصيل الفقهي الذي تطمئن به النفوس، ويزول عنها الغبش الموجود في تلك القاعدة المجملة المحتملة

للإطاحة بباب النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعليه فما أحوجنا قبل أن نتصدى لتدوين العلم إلى فهم العقيدة الإسلامية فهمًا صحيحًا وإلى فهم أبواب أحكام الشريعة وقواعدها فهما جليًّا كي نضع كل شيء في موضعه، وكي نحفظ القدم من الزلل والقلم من الشطط ونجاهد النفس حتى نزحزحها عن مراد نصرة الباطل والهوى، اللذين يفضيان بها إلى طرق الهلاك ومواطن العطب والردى. والله المستعان.

الأمر السابع: وحول تباكي محمد علي الصابوني على تفرق المسلمين إلى سلفي وأشعري وصوفي وماتوريدي إلى آخر ما ذكره وهو يحسب أنه يحسن صنعًا، رد عليه الشيخ -رحمه الله- بقوله: "لا شك أن هذا التفرق يؤلم كل مسلم ويجب على المسلمين أن يجتمعوا على الحق ويتعاونوا على البر والتقوى، ولكن الله سبحانه قدر ذلك على الأمة لحكم عظيمة وغايات محمودة يحمد عليها سبحانه ولا يعلم تفاصيلها سواه، ومن ذلك التمييز بين أوليائه وأعدائه، والتمييز بين المجتهدين في طلب الحق والمعرضين عنه المتبعين لأهوائهم إلى حكم أخرى". وإستمر في تفصيل الرد إلى أن قال: "واللوم كل اللوم على من تمسك بالباطل وأبى أن ينصاع إلى الحق، أما من تمسك بالحق ودعا إليه، وأوضح بطلان ما خالفه فهذا لا لوم عليه بل هو مشكور وله أجران اجتهاده، وأجر إصابته للحق".

الأمر الثامن: ادعى الصابوني أن أهل السنة اشتهروا بمذهبين أحدهما

مذهب السلف والآخر مذهب الخلف...إلخ فرد عليه الشيخ -رحمه الله- بأن هذا غلط لَمْ يسبق الصابوني إليه أحد حيث إن مذهب أهل السنة واحد فقط وهو ما درج عليه أصحاب رسول الله ﷺ وأتباعهم بإحسان وهو إثبات أسماء الله وصفاته وإمرارها كما جاءت، والإيْمان بأنَّها حق وأن الله موصوف بِها على الوجه الذي يليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا تأويل... إلى أن قال: ثم ذكر -الصابوني- أن أهل السنة يفوضون علم معاني الصفات إلى الله وكرر ذلك في غير موضع. وقد أخطأ في ذلك ونسب إلى أهل السنة ما هم براء منه فإنَّهم إنما يفوضون علم الكيفية لا علم المعاني.

الأمر التاسع: ولما كرر الصابوني -جهلاً أو تجاهلاً أو سوى ذلك- أن السلف لهم مذهبان مذهب أهل التفويض ومذهب أهل التأويل...إلخ ما قال، رد عليه الشيخ بأن هذا التقسيم باطل وليس للسلف إلا مذهب واحد هو مذهب أهل السنة والجماعة وهم الصحابة وأتباعهم بإحسان وهو الأسلم والأعلم والأحكم، أما المذهب الثاني فهو مذهب الخلف المذموم وهو مذهب أهل التأويل والتحريف والتكلف...إلى آخر الرد المفصل.

الأمر العاشر: ولما دعا الصابوني بأسلوب الناصح الأمين إلى العمل على جمع الكلمة بين الفئات الإسلامية وتضافر الجهود وصد أعداء الإسلام، وذكر أن الوقت ليس وقت مهاجمة لأتباع المذاهب ولا للأشاعرة ولا للإخوان حتى ولا للصوفيين!! رد عليه الشيخ -رحمه الله-

بقوله: "لا ريب أنه يجب على المسلمين توحيد صفوفهم وجمع كلمتهم على الحق، وتعاونُهم على البر والتقوى ضد أعداء الإسلام كما أمرهم الله سبحانه بذلك بقوله ﷻ : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: من الآية١٠٣] وحذرهم من التفرق بقوله: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: من الآية١٠٥].

ولكن لا يلزم من وجوب اتحاد المسلمين وجمع كلمتهم على الحق واعتصامهم بحبل الله ألا ينكروا المنكر على من فعله واعتقده من الصوفية وغيرهم، بل مقتضى الأمر بالاعتصام بحبل الله أن يأتمروا بالمعروف، ويتناهوا عن المنكر ويبينوا الحق لمن ضل عنه أو ظن ضده صوابًا بالأدلة الشرعية حتى يجتمعوا على الحق وينبذوا ما خالفه وهذا هو مقتضى قوله سبحانه: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤].

ومتى سكت أهل الحق عن بيان أخطاء المخطئين وأغلاط الغالطين لَمْ يحصل منهم ما أمرهم الله به من الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومعلوم ما يترتب على ذلك من إثم الساكت عن إنكار المنكر وبقاء الغالط على غلطه والمخالف للحق على خطئه وذلك خلاف ما شرعه الله سبحانه من النصيحة والتعاون على الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والله ولي التوفيق"[1]. ا هـ.

---

(١) انظر لرد الشيخ عبد العزيز على الصابوني في الجزء الثالث من فتاوى سماحته "**التوحيد**

هذه كأمثلة قليلة وإلا فللشيخ -رحمه الله وأحسن مثواه وجعله في ميزان حسناته- ردود كثيرة وصريحة تحق الحق وترد الباطل وتزيح الشبهات على كثير ممن جانبوا الحق والصواب في مسائل العلم الشريف وقضاياه، التي لا أستطيع حصرها ولا استقصاءها هنا بل هي موجودة في أماكنها مطبوعة ومنشورة، وأنا كاتب هذه الأسطر أظن أنني قد توسعت في تدوين البعض من ردود الشيخ على أهل الأغلاط والبدع وذلك لحاجة في نفسي، هي ليتضح لقوم من طلاب العلم منهم الدكتور والجامعي وأقل من ذلك أنكروا على إخوانهم الذين كتبوا ردودًا على كتاب كثر نشروا في كتبهم بدعًا في دين الله شنيعة وأخطأوا فيها أخطاء فظيعة لا يجوز السكوت عليها، بل يتعين الرد عليها من أهل الكفاءات العلمية إحقاقًا للحق وحفظًا للسنة وحراسة للعقيدة ونصحًا للأمة وبراءة للذمة على النمط الذي سار عليه الشيخ/ عبد العزيز الذي رد بما رأيت على من رأيت في الأمثلة التي تم تدوينها قريبًا، وكان من جملة حجج أولئك الإخوة وهم من أبناء الجزيرة قول بعضهم لماذا لَمْ تتركوا الفتاوى والردود للشيخ/ عبد العزيز وكلامًا نحو هذا، وما أخال هذه الحجة وأمثالها من هؤلاء المنكرين وأمثالهم إلا حجة واهية عمدوا إليها عند عجزهم عن وجود حجة صحيحة أو اعتراض وجيه، وأنّى لهم ذلك وخصمهم يأوي

=

وما يلحق به" (ص٥١-٨٢) وما بعدها. وما أخالك تستغني عنه إن كنت من أهل الحرص على العلم النافع والعمل الصالح.

إلى ركن شديد، وإذ كان الأمر كما علمت يا أخي المسلم فإنه يتعين عليّ وعليك قبول الحق بقطع النظر عن قائله؛ لأن الحق أحق أن يحترم ويتبع، ومن لَمْ يفعل فأخشى عليه الغرق في بحر أهل البدع والأغلاط والأهواء وذلك عندما يكون من الناصرين لأهلها والمدافعين عنهم باللسان أو القلم.

وغير من ذكرت كثير من العلماء المعاصرين الذين هم على قيد الحياة -متعهم الله بالحياة الطيبة المباركة- لهم تنبيهات وتوجيهات وردود على قوم وقعوا في أخطاء خطيرة لا ينبغي سكوت مثلهم عليها، بعضها يتعلق بشأن العقيدة وبعضها يتعلق بشأن أحكام شرعية أخرى تعتبر من الأساسيات، وبعضها يتعلق بمنهج الدعوة إلى الله، ومنهج الولاء والبراء، وبعضها أعظم خطرًا من بعض، **أذكر من هؤلاء العلماء السلفيين:**

١- الشيخ/ **صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان** الذي رد على كل من يوسف القرضاوي، وسعيد رمضان البوطي ومحمد علي الصابوني وآخرين من ذوي الأخطاء والأغلاط التي يتعين الرد على أهلها نصرة للحق وتفنيدًا للباطل[١].

٢- الشيخ/ **ربيع بن هادي عمير المدخلي** الذي رد على كل من محمد الغزالي وأبي غدة ومحمد عوامة وسلمان العودة وسيد قطب وأبي الأعلى المودودي[٢].

---

(١) انظر كتابه البيان من أوله إلى آخره حسب الإمكان.

(٢) إن في النفس لشيئًا من كتابة هذه الكنية غير أن الأمر كما قيل:

=

٣- الشيخ/ **بكر**[1] **بن عبد الله أبو زيد** الذي رد على جماعات إسلامية وأحزاب ابتعدت عن منهج السلف الصالح في بعض القضايا الدينية المهمة كما رد على كل من محمد زاهد الكوثري وتلميذه البار به والمعتز بمنهجه أبي غدة، ورد أيضًا على محمد علي الصابوني واشتد عليه كسابقيه بشدة في موضعها.

٤- الشيخ/ **أحمد بن يحيى النجمي آل شبير** الذي رد على الشيعي المجهول الاسم الذي ألف رسالة تتعلق بزيارة قبر النبي ﷺ وزيارة مشاهد العترة، ونال من الإمام التقي النقي بن تيمية الحراني -رحمه الله- بما أطلق عليه من بذاءة لسانه القذر ما لا يستغرب من رافضي خبيث المعتقد على إمام يتولى الله ورسوله ويحبهما ويحب من يحبهما من كل صحابي كريم فاضل وعالم سلفي نبيل، بل ويحب كل عبد صالح في السماء والأرض من مخلوقات الله الصمد الجليل.

٥- الشيخ/ **علي بن محمد ناصر الفقيهي** الذي رد على عبد الله بن

إذا لَم تكن إلا الأسنة مركب فما حيلة المضطر إلا ركوبُها

(١) لقد أعجبتني ردوده على الكوثري والجماعات لما فيها من الحق وسأني رده على العلامة الشيخ ربيع في ورقات فرح بها الحزبيون ونشروها في المشارق والمغارب ويقرب من ذلك مؤلفه "تصنيف الناس" الذي جانب الصواب في كثير من مسائله -هداه الله للرجوع إلى الحق- وهو على قيد الحياة، إذ ما أحلى الرجوع إلى الحق ورفض ما كان خطأً وباطلاً.

محمد الصديق الغماري الذي نقد كتاب الأربعين للهروي.

وغيرهم ممن قد جرت أقلامهم بنصرة الحق ورد الخطأ والباطل في أسلوب علمي عفيف وبيان واضح جلي لطيف، فلو كان الرد على أهل البدع والأغلاط والأهواء محذورًا لما دوّن أولئك الأبرار الأتقياء وهؤلاء الأخيار الأوفياء الأولياء تلك الكتب المشرقة بنور الحق التي أرسلوها صواعق حق تنسف بدع المبتدعين، وتنفي تحريف الغالين، وتحبط انتحال المبطلين، وتفند تأويل الجاهلين، فشكر الله للجميع سعيهم، وأثابَهم على حسن صنيعهم وعظيم جهادهم في نصر الحق وذوية، ورد الباطل أيًّا كان نوعه وسحق أهدافه ومراميه.

وأما التحذير من المبتدع الداعي إلى بدعته بلسانه وقلمه فلا يعتبر عند العارفين بنصوص الشرع الشريفة وقواعده العامة المنيفة غيبة له محذورة، بل هو نصيحة للمسلمين وصيانة للحق المبين وردت بذلك نصوص وآثار لا تخفى على ذوي الكفاءات العلمية، وقد نظم بعض العلماء الأمور المستثناة من الغيبة المحذورة فقال:

الذم ليس بغيبة في ستة ... متظلم ومعرِّف ومحذِّر
ومجاهر فسقًا ومستفت ومن ... طلب الإعانة في إزالة منكر

وللإمام بن تيمية في هذه المسألة كلام نفيس جليل يشفي العليل ويروي الغليل حيث قال: "وأعداء الدين نوعان، الكفار، والمنافقون، وقد [illegible] الله نبيه بجهاد الطائفتين في قوله: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ

﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: من الآية٧٣]. في آيتين من القرآن فإذا كان أقوام منافقون يبتدعون بدعًا تخالف الكتاب والسنة ويلبسونَها على الناس، ولَم تُبيَّنْ للناس فسد أمر الكتاب وبدل الدين كما فسد دين أهل الكتاب قبلنا بِما وقع فيه من التبديل الذي لَمْ يُنْكر على أهله، وإذا كان أقوام ليسوا منافقين ولكنهم سماعون للمنافقين قد التبس عليهم أمرهم حتى ظنوا قولهم حقًّا وهو مخالف للكتاب وصاروا دعاة إلى بدع المنافقين كما قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة:٤٧].

فلابد أيضًا من بيان حال هؤلاء بل الفتنة بحال هؤلاء أعظم. فإن فيهم إيْمانا يوجب موالاتِهم، وقد دخلوا في بدع من بدع المنافقين التي تفسد الدين فلابد من التحذير من تلك البدعة وإن اقتضى ذلك ذكرهم وتعيينهم، بل ولو لَمْ يكن قد تلقوا تلك البدعة من منافق لكن قالوها ظانين أنَّها هدى وأنَّها خير وأنَّها دين ولَم تكن كذلك لوجب بيان حالها". اهـ. (من الصفحة الثالثة والثلاثين والمائتين من الجزء الثامن والعشرين من مجموع الفتاوى).

وقال في موضع آخر عند قول الله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ [النور: من الآية٢]: "فأمر بعقوبتهما وعذابِهما بحضور طائفة من المؤمنين وذلك بشهادته على نفسه، أو بشهادة المؤمنين عليه لأن المعصية إذا كانت ظاهرة كانت عقوبتها ظاهرة كما جاء في الأثر: «من أذنب سرًّا فليتب

سرًّا ومن أذنب علانية فليتب علانية». وليس من الستر الذي يحبه الله تعالى كما في الحديث: **«من ستر مسلمًا ستره الله»** بل ذلك إذا ستر كان ذلك إقرارًا لمنكر ظاهر". اهـ. من الصفحة التاسعة والثلاثين والمائتين والتي تليها من الجزء الخامس من التفسير الكبير.

وقال في الموضوع نفسه في موضع آخر من فتاواه -رحمه الله- ما نصه: "ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتَّى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا صام وصلى واعتكف فإنَّما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين هذا أفضل، فبين أن هذا نفع عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته، ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولوا لَمْ يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء"(١). ا هـ.

وقال أبو صالح الفراء: ذكرت ليوسف بن أسباط عن وكيع شيئًا من أمر الفتنة فقال: ذاك يشبه أستاذه يعني: الحسن بن صالح فقال: قلت

---

(١) انظر الفتاوى (ج٢٨، ص٢٣١، ٢٣٢).

ليوسف: أما تخشى أن هذه غيبة ؟ قال: ولَم يا أحمق أنا خير لهؤلاء من آبائهم وأمهاتِهم، أنا أنَهى الناس أن يعملوا بِما أحدثوا فتتبعهم أوزارهم، ومن أطراهم كان أضر عليهم.

وقال أبو زرعة في الحارث المحاسبي حينما سئل عنه وعن كتبه فقال للسائل: إياك وهذه الكتب هذه كتب بدع وضلالات، وعليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب. قيل لـــه: إن في هذه الكتب لعبرة. فقال: من لَمْ يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه عبرة، بلغكم أن مالكًا والثوري والأوزاعي أو الأئمة صنفوا كتبًا في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء؟ هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم، يأتوننا مرة بالمحاسبي، ومرة بعبد الرحيم الديبلي، ومرة بحاتم الأصم، ثم قال ما أسرع الناس إلى البدع[1].

وأخيرًا: فهذه أدلة ثابتة مستقيمة ترشد إلى وجوب الرد على أهل الأهواء والبدع والمجاهرين بالمعاصي في حدود الشرع، وأمثلة تبين أنه لا حرج في تعيينهم وبيان حالهم وحال كتبهم ونشراتِهم بل قد يكون لازمًا ومتعينًا على القادرين من ذوي الكفاءات العلمية نصحًا للأمة وبراءة للذمة وحراسة للعقيدة السلفية وحفاظًا على الشريعة المحمدية.

(١) انظر تَهذيب التهذيب (ج٢/ ص٢٣١، ٢٣٢).

* تنبيه *

وحذار لنفسي أولاً ولغيري ثانيًا من سامع وقارئ من الخروج عند ذكرنا للغير بما فيه من بدع أو فجور أو أغلاط وأخطاء عن قصد النصيحة وبيان الحق إلى مقاصد أخرى وأغراض شتى تتجلى فيها السخرية بالخلق أو الضحك منهم على سبيل الإعجاب بالنفس والهمز واللمز للغير أو موافقة الجلساء والأصحاب على اغتياب من شاءوا تشفيًا وعبثًا، فإن هذا جهل واضح وإثم مبين وتصرّف خطير لا يلتقي مع قصد الهدى ولا يتفق مع تحذير الناس من طرق الهلاك والردى.

وأما موقف علماء السلف من أهل الأهواء والبدع والمجاهرين بالفجور والمعاصي فإنه موقف يتجلى فيه بيان المحجة، وإقامة الحجة كما يتجلى فيه التطبيق الشرعي العملي لحكم الولاء والبراء في الله ومن أجل الله، ثم إن هجرهم لهم يتوقف على المصالح الدينية فمتى رأوا المصلحة في الهجر هجروا ولو كان أقرب الناس إليهم، وأعظمهم جاهًا فيهم، ومتى رأوا المصلحة في الوصل والدعوة والمناظرة فعلوا ذلك لأن الغاية من وراء ذلك هي إرضاء الله أولاً. ثم السعي الحثيث في تحقيق المصالح ودفع المضار والمفاسد ثانيًا، إذ بذلك تكون سعادة المجتمعات المسلمة في دنياها وبرزخها وأخراها. هذا وكم من كتب قد ألفت ورسائل قد نشرت في بيان الموقف الحق من أهل الباطل على اختلاف أصنافهم وتعدد أحزابهم وألقابهم، وقد سبق ذكر شيء منها، والله المستعان.

س٤:

١- ما أسباب الغثائية التي يعيشها معظم العالم الإسلامي في الفكر والفهم والتصور والعمل؟

٢- وما المخرج منها؟

٣- وما الدور الذي يجب أن يضطلع به ولاة أمر المسلمين من علماء وحكام حيال رعاياهم عامة وحيال أصحاب الفكر والفهم الغثائي والتصور الخاطيء خاصة؟

هذا نص سؤال وجَّهه إِلَيَّ مندوب جريدة عكاظ، وقد أجبت عليه بالتالي:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فإن المراد بكلمة الغثاء والغثائية الشيء الهشيم البالي الذي تحمله السيول في بطون أوديتها ومحل مجاريها مما لا يستفاد منه ولا ينتفع به ولا يعول عليه، وهكذا الفكر الغثائي، والتصور الخاطئ لا يستفاد منه ولا ينتفع به ولا يعول عليه بل هو يضر ولا ينفع، قال تعالى في وصف الكفار المهلكين: **﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** [المؤمنون:٤١]، وقال ﷻ في الوصف الذي يئول إليه المرعى: **﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾** [الأعلى:٥].

كما يشير إليه قول النبي ﷺ: «**يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**. فقال قائل: من قلة نحن يومئذٍ ؟ قال: **بل أنتم يومئذٍ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينْزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن**. قيل: وما الوهن يا رسول الله ؟ قال: **حب الدنيا وكراهية الموت**»(١).

وأما أسباب الغثائية التي يعيشها معظم العالم الإسلامي في الفكر والفهم والتصور والعمل فهي كثيرة تحتاج إلى عرض وتحليل وتدليل وتعليل وجهد بالغ غير قليل، ولئن قلت: إن بسط الجواب عنها يحتاج إلى مصنف مستقل لما كنت عن الحقيقة والواقع بمعزل، ولكني سأشير برءوس أقلام إلى ما كان أساسيًّا وجوهريًّا فيما يلي:

السبب الأول: بُعد كثير من المسلمين الذين يبلغ عددهم في أرجاء المعمورة اليوم مليارًا أو يزيد عن مصدر عزهم، وسبيل رفعتهم، وأساس قوتهم، وأسباب نصرهم وطريق نضوج أفكارهم وتصوراتهم، ألا وهو كتاب ربِّهم -الفرقان- الذي جعله الله شرفًا لهم ورحمة لأولهم وآخرهم وقائدًا أمينًا إلى مرضاة ربِّهم وصحيح سنة نبيهم محمد ﷺ ، اللَّذين قال فيهما -عليه الصلاة والسلام-: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم**

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الملاحم باب في تداعي الأمم على الإسلام (ج٤ ص١١١)، وأحمد في المسند (ج٥، ص٢٧٨) وسنده قوي. انظر جامع الأصول (ج١٠ ص٢٨). وانظر صحيح الجامع (ج٦ ص٣٦٤).

بهما كتاب الله وسنة رسوله»(١) أخرجه مالك في الموطأ، وأقصد بهذا البعد ما هو معلوم من واقع الأمة الإسلامية المرير، حيث إن الكثير منهم لَمْ يطبقوا ما جاءهم به نبيهم محمد ﷺ من الدين القويم الذي وصفه الله بالكمال والتمام في حياة العمل، قبل الرحيل منها إلى حياة الجزاء على العمل جماعات وفرادى وإذا قيل لهذا الصنف من الناس ما الدليل على هذا الصنيع الوبيل؟ سكت أمثلهم ردًّا عن الدليل والتعليل، أو اعتذر بِما هو أوهى من بيوت العنكبوت، وأما شرهم مكانًا فإنه يتهم من صميم قلبه تعاليم هذا الدين الحق بالجور والقسوة وعدم الملاءمة لهذا العصر على حد تعبيرهم الذميم: **﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾** [الكهف: من الآية٥].

وأما القوانين الوضعية البشرية عند هؤلاء فإنَّها تطبق بحذافيرها، رغم مخالفتها الصريحة لأحكام كتاب الله المبين، وهدي سيد المرسلين ولا حول ولا قوته إلا بالله العلي العظيم.

السبب الثاني: فشو الجهل البسيط والمركب في كثير من بلدان العالم الإسلامي المعاصر بمكانة أحكام دينهم وحقيقة الإسلام وجلالة الإيْمان وشرف الإحسان الَّتِي أثنى الله عليها في محكم القرآن، والدليل على ذلك

(١) أخرجه مالك في القدر بلاغًا، باب النهي عن القول بالقدر وله شواهد في المستدرك عن ابن عباس وأبي هريرة ﷺ (ج١ ص٩٣) يتقوى بِها، بل وأصله في مسلم من حديث زيد بن الأرقم.

ما يسمع ويرى في معظم دنيا البشر من انحرافات مؤلمة عن درب الهدى وسنن الحق في الاعتقاد، والشعائر والسلوك والأخلاق وسائر الأحكام ودائرة الحلال والحرام، وكذا الانحراف في الفكر والتصور والمناهج إلى آخر ما هنالك مما هو معلوم عند عامة الناس وخاصتهم لا سيما عند من يهمهم شأن الإسلام والمسلمين، وإذا كان الأمر كذلك فلا يستغرب حينئذٍ ضياع الأمن والأمان في دولهم ومجتمعاتهم، كما لا يستغرب وجود الغثاء والغثائية في عقلائهم ومفكريهم والله المستعان.

السبب الثالث: وجود داء التفرق وعدم الاجتماع على كلمة الحق التي بزغ فجرها وشع نورها من أم القرى، وتكامل شأنها وضياؤها في طيبة الطيبة، وجرى في أرض الله كجري النيرين في المشارق والمغارب، وأعني بكلمة الحق "دين الإسلام" بما يحمل هذا العنوان من معنى، وحقًّا لقد أمر الله الأمة جمعاء أن تعتصم بحبل ربِّها المتين ودينه القويم، ونَهاها -رحمة بها- عن التفرق المشين فقال في كتابه المبين: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [آل عمران:١٠٣].

وقال -تبارك اسمه-: ﴿**مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ [الروم:٣١، ٣٢].

قال ابن جرير[1] في معنى الآية الأولى: "يعني بذلك -جل ثناؤه- وتعلقوا بأسباب الله جميعًا يريد بذلك -تعالى ذكره- وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به وعهده إليكم في كتابه إليكم من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله". وقال[2] في معنى الآية الثانية ما نصه: "ولا تكونوا من أهل الشرك بالله بتضييعكم فرائضه وركوبكم معاصيه وخلافكم الدين الذي دعاكم إليه وقوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾.

يقول: لا تكونوا من المشركين الذين بدّلوا دينهم وخالفوه ففارقوه وكانوا شيعًا، يقول: كانوا أحزابًا فرقًا كاليهود والنصارى". اهـ.

السبب الرابع: التحاكم من كثير من عالمنا الإسلامي عند حصول الخلافات والمنازعات في شتى مستوياتها إلى غير الوحي المنير، الذي أتى به البشير النذير والسراج المنير الذي قال له ربه: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

وقال في حقه: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء:٨٠].

السبب الخامس: عدم العناية بمناهج التعليم وبالأخص علوم الكتاب

---

(١) انظر تفسيره (ج٢ ص٣٧٨).

(٢) المصدر السابق (ج١٠ ص١٨٥).

والسنة وذلك في كثير من دول العالم الإسلامي، وعدم الفهم الصحيح لمنهج السلف الصالح الذي كانوا عليه في العقيدة والعبادة والمعاملات والسلوك ومنهج الجهاد والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك مما هو مطبق -ولله الحمد- في المملكة العربية السعودية في سياستها التعليمية ومنهجها المتميز عن غيرها من سائر البلدان، ومن أراد برهان على ذلك فلينظر في مناهج الجامعات والثانويات وغيرها من المراحل للذكور والإناث، ونسأل الله المزيد من فضله. هذه خمسة أسباب أساسية جوهرية، وما عداها داخل تحتها، ومندرج في عمومها.

وأما المخرج من الغثائية المذكورة وأسبابها وما ينتج عنها من أضرار فسأحيل القارئ المحب للحق على ما ثبت عن ابن عباس وعلي بن أبي طالب ﷺ -ومن أحيل على مليء فليحتل-.

قال ابن عباس -رضي الله عنهما- حبر الأمة وترجمان القرآن: «أجار الله تابع القرآن أن يضل في الدنيا أو يشقى في الآخرة».

وقال علي ذو السبطين حبيب الله وحبيب رسوله ﷺ: **«ألا إنَّها ستكون فتنة. فقيل له: ما المخرج منها؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا**

تنقضي عجائبه، هو الذي لَمْ تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد، من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم»[١]. وقبل هذا وذاك قول المولى الكريم: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧].

وقوله -جل ذكره-: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٩].

وقول النَّبي ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»[٢] الحديث.

حقًّا لقد بينت هذه النصوص الوجيزة الجامعة المخرج المحقق من كل خطأ وفتنة، وأنارت الطريق السوي لمن يريدها وينشدها رغبة فيما عند الله من الرضا والجنة، ورهبة مما لديه من عقوبة السخط والنار، ولا يهلك على الله إلا هالك.

وأما الدور الذي يجب أن يضطلع به ولاة أمر المسلمين من علماء وأمراء فإنه يتجلى في العمل الذي يرضي ربَّهم عنهم ويصلح الله به

(١) رواه الترمذي في المناقب مناقب أهل بيت النبي ﷺ (ج٥ رقم ٣٧٨٨ ص٦٢٢)، وقد اختلف العلماء في رفعه ووقفه والصحيح أنه موقوف على علي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد وأصحاب السنن وغيرهم بألفاظ متعددة وسنده صحيح.

شئون رعاياهم في دنياهم وبرزخهم وأخراهم، ألا وإن من الواجب العظيم والسهل الميسر على رؤساء الأمة الإسلامية وملوكها وأمرائها وأعيان علمائها وأئمة الفتوى فيها أن يحذوا حذو علماء المملكة العربية السعودية وحكامها -حفظهم الله جميعًا بدينه وحفظ دينه بهم- فيعقدوا مؤتمرًا إثر مؤتمر لبحث قضية واحدة "بالدرجة الأولى" هي أس سعادتهم وسبيل نجاتهم وأمنهم ورغد عيشهم، هذه القضية هي وجوب تحكيم الإسلام بمعناه الحق ومفهومه الصحيح في القليل والكثير والدقيق والجليل من قضايا الأمة الإسلامية، سواءٌ فيما يتعلق بأمر معادها أو أمر معاشها مع الاعتزار بذلك والاغتباط به والرضى والتسليم، وإعلان البراء باطنًا وظاهرًا من الحكم بأي قانون وضعي في أي قضية من قضايا المسلمين، أو أي مصلحة من مصالح الدين والدنيا والآخرة يخالف شريعة الله الرحيمة الحكيمة العادلة، ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم، ولا شك إنه لنصر مؤزر لما فيه من إخضاع النفس لأحكام خالقها من نطفة من ماء مهين والمنعم عليها بنعم الدنيا والدين.

كما يجب عليهم أن يرفضوا -حالاً ومستقبلاً- التحاكم إلى غير شرع الله المجيد الذي أوحاه الله إلى عبده ورسوله محمدًا ﷺ رحمة للعالمين، وحجة قائمة على المعرضين، وأن يكتبوا وثائق تاريخية بذلك لتكون لهم معذرة إلى ربِّهم، وسنة حسنة يعمل بِها ويدعو إليها من يأتي بعدهم فيكون لهم الأجر الوفير، والنجاة من غضب الله وسوء المنقلب

والمصير، الذي سينقلب إليه من بدل نعمة الله كفرًا وأحل قومه دار البوار. هذا فيما يتعلق بواجبهم حيال أنفسهم ورعاياهم على سبيل العموم، وأما بالنسبة لما يتعلق بواجبهم حيال الفكر الغثائي والتصور الخاطئ والفهم السقيم من كتَّاب باسم العلم والدين، ووعاظ ومفتين ومرشدين، فإنه يتعين على ولاة أمر المسلمين من علماء وحكام في كل بلد إسلامي أن يهيئوا رقابة ذات مستوى علمي رفيع ومعتقد سلفي صحيح وذات إخلاص لله ونصح لعباد الله وحكمة مستمدة من كتاب الله وسنة رسول الله، للنظر في كل كتاب يؤلف ونشرات تكتب وتوزع بأي وسيلة من وسائل النشر والتوزيع، فما كان من نافع للأمة أعانت على نشره، وما كان من ضار أوقفته ووجهت ذويه براءة للذمة ونصحًا للأمة، وحراسة للعقيدة وصيانة للحق، وقمعًا للباطل، ومن ثم فإنه سيحل العلم النافع والحق الناصع، والفكر السليم والتصور المستقيم محل الغثاء والغثائية والتصور الخاطئ السقيم.

وأخيرًا: أيها القارئ الكريم فلا تحسبن أن الأرض قد أقفرت من علماء ربانيين، ومخلصين ومفكرين ناصحين على منهج السلف الكرام الصالحين، كلا، فكم على ظهرها من عالم نحرير، وناصح مخلص بصير، يقضي جل ساعات ليله ونَهاره مفكرًا في حال هذا العالم الإسلامي الكبير، وما أصيب به الكثير الكثير منهم من انحراف عن سنن الحق ودرب الهدى، ثم إنه ليعتصر فؤاده أسى وهمًا وكمدًا، غير يئوس من

رحمة الله بعباده ولا قنوط من هدايته لهم، إذا عملت الأسباب الشرعية حيالهم.

وإذا كانت كلمة الحق يجب أن تقال فلا تكتم، والتهنئة السارة ينبغي أن تزف إلى أمة الإسلام وتعمم، فإنني أنتهزها فرصة غالية من خلال هذا المسطور والمنشور فأهنئ العالم الإسلامي كله بوجود عدد كبير من العلماء الربانيين أتباع السلف الصالحين في العقيدة والشريعة، وعلى رأسهم هيئة كبار العلماء ومن في مستواهم وعلى منهجهم في المملكة العربية السعودية[1] الذين نفع الله بعلومهم من شاء من بريته في داخل بلاد الإسلام وخارجها، وأثمرت جهودهم أمنًا وإيْمانا وبرًّا وصلاحًا وإحسانًا، ومن أراد مني برهانًا على ما أمليت، وحجة نيرة على ما ادعيت فليقرأ فتاواهم ومؤلفاتِهم في علوم العقيدة والشريعة، وليسمع برامجهم الإذاعية الحية، وما تحمله من توجيه حسن سليم وعلم نافع يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، وأخص بالذكر برنامج النور "نور على الدرب" الذي يذاع في اليوم مرتين مرة من إذاعة نداء الإسلام، ومرة من إذاعة القرآن الكريم من الرياض -عاصمة المملكة العربية السعودية "الأم"- وإنه ليعتبر نورًا بحق لكل من أراد الاستضاءة به من مشارق الأرض ومغاربِها، فلعلماء السلف عقيدة وشريعة ومنهجًا من

---

(١) وغيرهم في سائر أقطار المسلمين ممن عرفوا منهج السلف في العقيدة والشريعة وطبقوه في حياتِهم العملية.

أمة الإسلام جزيل الشكر وفائق التقدير، ولكل من كان عونًا لهم على نشر كلمة الهدى والحق خالص الدعاء بالفوز بالجنة والنجاة من عذاب السعير، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

س٥:

١- كيف نحقق الدعوة إلى الله وما هي أهم عناصر نجاحها؟

٢- وما مسببات فشلها، وكيف نصل إلى دعوة عصرية تقدر الواقع الذي نعيش فيه؟

٣- ثُمَّ كيف نعالج الخلل الموجود فيما يدعى بالحركات والمنظمات الإسلامية المعاصرة ونوحد أهدافها لخدمة الإسلام بحكمة وسلام؟

س٦: من المعلوم أن ضرب القدوة الدينية والتشكيك فيها وسيلة من وسائل الغزو الفكري المعادي للإسلام، فما هي الغاية المنشودة لأهله وراء ذلك وكيف التصدي لإحباط هذا المكر؟ وفقكم الله وسدد حالكم ومقالكم في درب الهدى وأصلح بالكم.

هذا السؤال والذي قبله تكرم بطرحهما مندوب جريدة عكاظ الأستاذ/ معاذ الحاج فأجبت عليهما بما يلي:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد:

فإن الحديث عن كيفية تحقيق الدعوة إلى الله وبيان عناصر نجاحها،

ومسببات فشلها، وعن كيفية الوصول إلى دعوة عصرية يقدر فيها الواقع الذي نعيش فيه على حد تعبير السائل، فإنه يحتاج مني إلى شرح واسع مفصل لما للدعوة إلى الله من الشأن العظيم والشرف الكريم في ميزان الشرع الإلهي الرحيم، وفي نفوس من عرفوا قدرها من الرسل الكرام والأنبياء الأجلاء العظام، والصالحين من أولي العلم النافع والعمل الصالح من أمة الإسلام، ولكن لا يفوتني هنا أن أسهم ولو بشيء يسير في هذا الموضوع العظيم، الذي طالما أكبره علماء الإسلام ودونوا فيه كل بحسب حاله وقدرته فسالت أودية بقدرها، فأما كيفية تحقيقها فإنّها ليسيرة على من يسرها الله عليه من أصحاب العلوم النافعة والأعمال المباركة الصالحة، والبصائر النافذة، والحكمة الأصيلة والصبر الجميل والحلم الذي يزين صاحبه والرفق الذي يأتي بحسن العواقب.

وأما عناصر نجاحها فهي كثيرة، ورغم كثرتها فقد جمعتها آيتان كريمتان محكمتان، الأولى قول الله ﷻ : **﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** [النحل: من الآية١٢٥]. فإن المتأمل في جمل هذه الآية يدرك أن المدعوين من البشر على طبقات مختلفة وأحوال متباينة، فمن كان منهم من أهل المعرفة بالحق والعمل به ولكن تصيبه غفلة أو طائف من الشيطان -كما هي حال كثير من المؤمنين- فإنه يدعى بالحكمة التي هي العلم بالحق من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

فكم فيهما من التوجيه إلى فعل الخير وفضله وحسن عاقبته، وكم فيهما من التنبيه من الغفلة والشر وما فيهما من سوء العاقبة وشؤم المنقلب، ومن كان منهم ذو معرفة بالحق بيد أنه لا يعمل به أو يعمل ببعضه ويترك البعض فهذا يدعى ويوعظ بالموعظة الحسنة، وذلك بتوضيح الحق له وترغيبه في العمل به وترهيبه بالنصوص الشرعية البينة الواضحة حتى لا تبقى أمامه شبهة، وما ذلك إلا لأن النفوس لها أهواء وشياطين تدعوها إلى مخالفة الحق أحيانًا ولو كانت تعرفه.

ومنهم من يعرض عليه الحق حتى يعرفه فيظل يسبح في جحده ومعارضته، وذلك لِمَا أَلَمَّ به من قساوة قلب وكبر عن قبول الحق، فهذا يجادل بالتي هي أحسن كي يقبل الحق وتذهب المخالفة منه ولو أغضبته المجادلة، فلا حرج على الداعية إلى الله في ذلك لأنه ينشد صلاحه واستقامته، فإن تحقق مراده بأسلوب اللطف واللين والمجادلة بالتي هي أحسن فذاك هو المطلوب والغاية المنشودة، وإن لج في عتوه ونفوره وطغيانه فإنه سفيه ظالم يستحق الزجر والتوبيخ واستعمال القول البليغ، والأخذ على يديه بالعقوبات التي توقفه على الحق ويلزم بواسطتها بالعمل به.

والآية الثانية هي قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [يوسف:١٠٨]. فإن في هذه الآية الكريمة بيانًا واضحًا وإعلانًا صريحًا صارخًا أن صاحب

الدعوة إلى الله لابد أن يكون على بصيرة، أي: على علم شرعي وبينة واضحة نيرة قدوته في ذلك الرسول الكريم المخاطب بهذه الآية الكريمة، وأمته تبع له في الحكم إلى يوم الدين، وبالأخص صفوة أمته وهم أولو العلم والبصائر الذين هم لأهل الأرض في الدلالة على الهدى المقصود، والخير المنشود كنجوم السماء في هداية المسافر منهم والمقيم، فهنيئًا لهم هذا الشرف العظيم والفضل العميم حيث صاروا مشاركين في دعوتهم إلى الله جميع الأنبياء والمرسلين، وأولياء الله الصاحين وجنده الغالبين، وحزبه المفلحين، وإذ كان الأمر كما ترى فإن الجاهل لا يصلح أن يكون داعية إلى الله لأنه ليس من أهل البصيرة ولربما دعا إلى ضلالة وهو لا يدري فيضل الناس بغير علم، وعليه فإن جماعات كثر في الساحة، كل جماعة اختار لها زعماؤها اسمًا تعرف به ومنهجًا لدعوتها لا تتعداه، وإن خالف منهج السلف، وفيهم جهل كثير حتى بأصول الدين وفقه الدعوة إلى الله رب العالمين، من اغتر بهم من العارفين ودخل في تنظيمهم لَمْ يلبث إلا وقتًا قصيرًا حتى ينخنس من صفوفهم، ويخلع يدًا من بيعتهم وطاعة أمرائهم، عائدًا إلى المنهج السلفي الذي يهدي إلى العمل الصالح والفقه في الدين، ومن استمر معهم بدعوى الإصلاح لخللهم فلا محيص له من موافقتهم وتطبيق منهج دعوتهم، وعليه ينطبق قول الشاعر:

وما ينفع الجرباء قرب صحيحة ... إليها ولكن الصحيحة تجرب

ويا ليته انتفع بقول الآخر له:

فـلا تصحب أخا الجهل   وإيـــاك وإيـــاه
فكـم مـن جاهل أردى   حلـيمًا حـين آخـاه
يقـاس الـمرء بالْمـرء   إذا مـا هـو مـا شـاه

• فمن هذا العرض السريع نعلم أن أهم عناصر نجاح الدعوة إلى الله ما يأتي:

أولاً: أن يكون الداعي إلى الله ذا علم شرعي أصيل، وله فهم جيد وحكمة شرعية في معالجة أمراض المدعوين، بإيراد الأدلة الشرعية واستعمال الحكمة الدعوية.

ثانيًا: الاهتمام بنشر الكتب الشرعية وفي مقدمتها كتب التوحيد الخالص وعقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، ككتب الأئمة الأربعة وكتب الإمام بن تيمية وابن القيم وكتب الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلامذته والمتخرجين في مدرسة أولئك السادة الأخيار، والمتتلمذين على مؤلفاتهم إلى يومنا هذا وإلى يوم الدين، بالإضافة إلى نشر الجيد السليم من كتب التفسير وكتب الحديث والسيرة النبوية الشريفة، وقديْمًا قيل عن الكتاب: "إنه الداعية المتجول".

ثالثًا: بعث الدعاة السائرين على منهج السلف في الالتزام بصحة الاعتقاد، ومنهج الدعوة التوقيفي إلى الآفاق القريبة والبعيدة إذ بواسطتهم يفقه الناس دينهم، عقيدة وشريعة ولأن تبليغ العلم ونشره أحد الجهادين بل قد تكون منفعته أعم رغم عظم شأن الجهاد في سبيل الله.

رابعًا: البدء في الدعوة بالأهم فالمهم، فتكون الدعوة إلى تصحيح الاعتقاد قبل الدعوة إلى بقية الأحكام فإذا صحت العقيدة فإن الدعوة تستمر إلى جميع الأحكام، التي تعتبر من حقوق التوحيد ومكملاته وهذا هو منهج الرسل والأنبياء في دعوة الأجيال والأمم فالتأسي بِهم هو سبيل النجاة.

خامسًا: القدوة الحسنة في الداعي إلى الله بحيث يكون متفاعلاً مع ما يدعو إليه بحيث إذا أمر الناس بخير يكون أول الفاعلين له، وإذا نَهاهم عن شر يكون أول المتجنبين له، أسوته في ذلك الرسل والأنبياء وكل داعية صادق صابر مخلص. وليس معنى ذلك أن يكون الداعية إلى الله معصومًا من الوقوع في الخطأ، كلا، فكل بني آدم خطاءون وخير الخطائين التوابون، وهم مع ذلك مستمرون في بذل الجهود في إصلاح أنفسهم وإصلاح غيرهم ليحققوا أداء الأمانة التي كلفوا بأدائها في محكم القرآن وصريح سنة من أنزل عليه الفرقان. وأذن له في الإيضاح والبيان، ولينالوا بذلك رضى مولاهم الكريم الرحمن في يوم يشيب من هوله الولدان، وتضع فيه الحوامل حملهن وجلاً من سخط الملك الديان.

سادسًا: مواكبة الأحداث ومحاولة المعرفة لأحوال الناس وما يحتاجون إليه من العلم، وما يفتقرون إليه من التوجيه كي يضع الداعية الدواء محل الداء فيبرأ بإذن الله مريض الشهوات والشبهات، وينمو الإيْمان في قلبه ويثبت فيه ثبوت الجبال الراسيات، أو تقوم عليه الحجة بشرع رب

الأرض والسموات، الذي حمله وبلغه الرسل وأتباعهم براءة للذمة ونصحًا للمكلفين من المخالوقات.

سابعًا: التدرج والمرحلية في التفقيه والتعليم بحيث يعلِّم الداعية إلى الله الناس أصول الدين قبل فروعه، وصغار مسائل العلم قبل كبارها، وذلك كالبدء بتصحيح الاعتقاد ثم سائر أركان الإسلام والإيْمان والإحسان وبقية أحكام الحلال والحرام، وهكذا الحث على الفضائل والتحذير من الكبائر والرذائل كما فعل الرسل والأنبياء مع أممهم بدءًا وختامًا.

ثامنًا: الصدق والإخلاص في هذا العمل الصالح المبرور: إذ هما شرطان أساسيان في قبول كل عمل يتقرب به العامل إلى الله، ومن جملة ذلك دعوة الخلق إلى المسارعة إلى أسباب المغفرة في رحاب الحق، فما أعظمه من شرف عظيم وخير عميم وثواب جسيم لمن أخلص لله في كل ما يأتي ويذر، ويأمر وينهي، وهو من عباد الله الناصحين والدعاة المخلصين السائرين على منهج الأسلاف الصالحين -رحمهم الله أجمعين-.

تاسعًا: حسن الأسلوب والعرض من الداعية: لما لهما من الأثر البالغ في نفوس المدعوين، والدور العظيم في فتح قلوب من أراد الله بهم خيرًا أو شرح صدورهم لقبول كلمة الحق والاعتصام بها والثبات عليها، فتصبح مطمئنة بما يدعون إليه من تحقيق الغاية العظمى الَّتي لها خلقوا، ومن أجلها أنزلت الكتب وأرسلت الرسل وفي سبيلها جاهدوا مخلصين لربِّهم هم وأتباعهم الذين استجابوا لدعوتهم وآمنوا برسالاتهم. تلك

الغاية هي إخلاص العبادة لله وحده، وتحكيم شرعه الكريم في عباده وفي جميع أرضه، وفي القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية لذلك أمثله كثيرة منها قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر:٥٣].

وقول النبي الكريم ﷺ للغلام الشاب الذي أتاه يستأذنه في الزنا: «**أتحبه لأمك؟** قال: لا جعلني الله فداك. قال: **كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم، أتحبه لابنتك** ؟ قال له: لا جعلني الله فداك. قال: **كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم، أتحبه لأختك** ؟ وذكر ابن عوف العمة والخالة ويقول: في كل واحدة: لا، جعلني الله فداك. فوضع رسول الله ﷺ يده على صدره وقال: **اللهم طهّر قلبه وحصّن فرجه**. فلم يكن شيء أبغض إليه منه -أي: الزنا-»(١) رجاله رجال الصحيح.

عاشرًا: **الصبر الجميل** الذي يعتبر في مفهوم الشرع زادًا نافعًا للدعاة إلى الله وهم سائرون في طريق دعوتهم إذ إن طريقها طويل المدى، والسير فيه صعب وشاق لوجود العقبات الكثيرة التي تعترض سبيل الدعاة إلى الله، فلا يقدر على تجاوزها إلا الذين اعتصموا بفضيلة الصبر استجابة لنداء الله: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ**

---

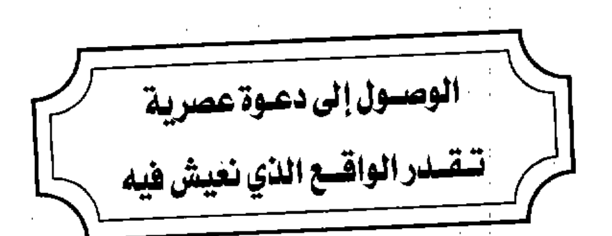
(١) رواه الإمام أحمد في المسند (ج٥ ص ٢)، وقال الحافظ العراقي: رجاله ثقات رجال الصحيح، وسنده حسن.

الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣].

أما مسببات فشل الدعوة إلى الله وقلة نجاحها فالجواب عليه هو أن يقال: إن الدعوة إلى الله لا تفشل ولا يفشل أصحابُها -وإن قل المتفاعلون معها- إلا إذا انحرفوا بِها عن منهاج الرسل والأنبياء الأمناء الناصحين، ومن تأسى بِهم من العلماء الربانيين والدعاة الحكماء المخلصين. نعم إنه متى عدل بالدعوة إلى الله عن منهجها الأصيل في الوسائل والغايات فلا يستغرب حينئذ أن يدب إليها الفشل، ويبوء المنحرفون بِها عن خطها الأمثل وغايتها الحسنى بالخيبة والخسار، كمن يدعون اليوم سرًّا وعلنًا ليصلوا إلى سدة الحكم ومقاعد البرلمان، والمشاركة فيه على أي وضع كان ويستعملون أساليب هي دخيلة على أساليب الدعوة إلى الله، وذلك كأسلوب المظاهرات والاغتيالات والتفجيرات في المرافق والمنشآت، يعملون ذلك مصاولة للحكام وذويهم، ومعظم الخلق من حولهم يتقلبون في جحيم الجهل وداء الضلالة، الممثلة في الشرك الأكبر كالاستغاثة بالموتى والاستشفاع بِهم والذبح لهم من أجل جلب المصالح ودفع الضرر، وما دون ذلك فحدث عنه ولا حرج وكأن منكرًا عظيمًا لَمْ يكن عند كثير من الأحزاب والجماعات والمنظمات؛ لأن هذا النوع من الشرك عند معظم قادة أولئك يسمى بالشرك البدائي الذي يمكن أن يعالج إذا آلت أزمة الأمور إلى أيديهم، وتصريف أمور الأمة من شئونِهم كما زعموا، كما أن الدعوة تفشل إذا تصدى لها من ليس لها

بأهل كمن لا علم لديهم يسعفهم بنور الحق، ولا بصيرة عندهم تَهديهم وترشدهم إلى طريق الصواب، وما ذلك إلا لأن الله ربط الأسباب بمسبباتِها حكمة منه وعدلاً وهو أحكم الحاكمين والهادي لمن يشاء إلَى صراط مستقيم.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊



وأما الوصول إلى دعوة عصرية تقدر الواقع الذي نعيش فيه على حد تعبير السائل، فإن سبيل الوصول إلى ذلك سهل ويسير وذلك بالرجوع إلى نصوص الكتاب والسنة الواردة في بيان هذا الباب العظيم، وإلى سيرة من قاموا بهذه الدعوة الكريمة الرحيمة في أول أمرها وبزوغ فجرها، وترسم خطاهم حذو القذة بالقذة إذ لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها عقيدة وشريعة وجهادًا وأدبًا وسلوكًا ومنهج دعوة إلى الله، وإذ كان الأمر كذلك فإنه لا مسوغ يوجد لمن يريد أن يخترع أساليب جديدة ويبتكر طرائق عديدة كما أسلفت من أسلوب المظاهرات وطرائق الاغتيالات والتفجير في المرافق والمنشآت، وتحزيب الأحزاب وتنظيم المنظمات، إذ فاعلوا ذلك لَمْ يحققوا من المصالح شيئًا لا لأنفسهم ولا لغيرهم ولا للدعوة، بل إنه لينتج عن صنيعهم فشل ذريع وفوضى مؤلمة، وعواقب في شأن الدعوة والأعراض والدماء والأموال وخيمة.

ورحم الله شيخنا العزيز الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز إذ يقول في وصيته الغالية الثمينة للدعاة إلى الله في داخل المملكة وخارجها

ما نصه: "فالأسلوب الحسن من أعظم الوسائل لقبول الحق، والأسلوب السيئ العنيف من أخطر الوسائل في رد الحق وعدم قبوله، وإثارة القلاقل والظلم والعدوان والمضاربات، ويلحق بهذا الباب ما يفعله بعض الناس من المظاهرات التي قد تسبب شرًّا عظيمًا على الدعاة، فالمسيرات في الشوارع والهتافات ليست هي الطريق للإصلاح والدعوة، فالطريق الصحيح بالزيارة والمكاتبات بالتي هي أحسن فتنصح الرئيس والأمير وشيخ القبيلة بهذا الطريق لا بالعنف والمظاهرة، فالنبي ﷺ مكث في مكة ثلاث عشرة سنة لَمْ يستعمل المظاهرات ولا المسيرات، ولم يهدد الناس بتخريب أموالهم واغتيالهم، ولا شك أن هذا الأسلوب يضر الدعوة والدعاة، ويمنع انتشارها، ويحمل الرؤساء والكبار على معاداتها ومضادتها بكل ممكن، فهم يريدون الخير بهذا الأسلوب، لكن يحصل به ضده، فكون الداعي إلى الله يسلك مسلك الرسل وأتباعهم ولو طالت المدة أولى به من عمل يضر الدعوة ويضايقها أو يقضي عليها ولا حول ولا قوة إلا بالله"[1]. ا هـ.

وأما كيفية معالجة الخلل الموجود فيما يدعى بالحركات الإسلامية والحركيين، والسعي في توحيد الأهداف كلها لخدمة الإسلام، فطريقه سهل وميسور وهو أن تتنازل كل جماعة وكل منظمة وحزب عن الأخطاء الموجودة في منهج دعوتها وسيلة وغاية، وأن يتطهر كل صاحب

---

(١) انظر مجلة البحوث الإسلامية عدد (٣٨ ص٢١٠).

بدعة من أفراد تلك الجماعات أتباعًا ومتبوعين من بدعته، حتى لا يبقى مع الجميع إلا السنة والحق -والحق عليه نور- فتكون الجماعات المتحركات في ميدان الدعوة جماعة واحدة ذات اسم واحد ومنهج واحد وغاية واحدة هو منهج السلف الصالح وغايتهم، وحينئذ تتوحد بإذن الله الكلمة ويتوحد الصف وتتصل القلوب بعضها ببعض، وتلتقي النفوس على حوض الحق والهدى، يبارك بعضها لبعض، وينضم بعضها إلى بعض، فينقطع الأخذ والرد ويزول الخلاف الدائم المستمر بين الأفراد والجماعات، فإن قيل وكيف؟ قلنا لهم: اجتمعوا فيما اتفقتم عليه، وردوا كل ما اختلفتم فيه من وسائل الدعوة وغاياتها، بل وفي كل مسألة من مسائل الخلاف إلى ما أنزل الله حكمًا في كل شأن من شئون الخليقة، وفي كل قضية من قضاياها المتعلقة بدينها ودنياها ألا وهو كتاب الله العزيز والصحيح من سنة رسول الله ﷺ ويكون ذلك بواسطة العلماء الربانيين الذين عرفوا بسلوك منهج السلف في العقيدة والعبادة والمعاملة والأدب والسلوك ومنهج الدعوة والجهاد، وخلق الولاء والبراء في دائرة الشرع الشريف فإن هذا الصنف من الناس هم أهل الخبرة الشرعية والفهم الصحيح لدقائق الأحكام وتفاصيل مسائل العلم، ولن يجتمعوا على ضلالة، وحقًا إنه متى طبق هذا الحل الشرعي فإنه لا يبقى محل لتعدد تلك الجماعات ولا يستمر خلاف ونزاع بينها، بل وسيذوب كل خلل في منهج دعوتها بِهذا التصرف السليم والسعي المستقيم.

س٦: من المعلوم أن ضرب القدوة الدينية والتشكيك فيها وسيلة من وسائل الغزو الفكري، فما هي الغاية المنشودة لهم وراء ذلك؟ وكيف التصدي لإحباط ذلك؟.

ج٦: لا شك أن ضرب القدوة الدينية على الوجه الذي ذكره السائل، يعتبر إساءة عظمى وجناية كبرى على الدين الإسلامي نفسه بكافة مراتبه وحقوقه ومكملاته ذلك لأن علماء المسلمين السائرين على منهج الأنبياء والمرسلين، هم الذين يحملون راية هذا الدين ليبلغوه للناس أجمعين، فالضربة الموجهة لهم هي موجهة في الوقت نفسه لهذا الدين الكريم، الذي أنزله الله هدى ورحمة وبشرى للمحسنين، وحجة قائمة على المعرضين الصادين عن الحق المبين، ولا غرابة أن تصدر الضربات والهمز واللمز والسخرية للقدوة الدينية والتشكيك فيها من أعداء الدين القويْم، من شرقيين وغربيين ونحوهم ممن أخذتْهم العزة بالإثم، وران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، ولكن الغريب والعجيب أن توجه تلك الضربات والتشكيكات ممن رشحوا أنفسهم دعاة إلى الإسلام بل قادة دعاة، بيد أن في قلوبهم غلاًّ للعلماء الربانيين، والدعاة الحكماء المخلصين الذين ترسموا خطا سلفهم الصالحين، ولكي يكون القارئ على بينة من الأمر فلنسمع معًا ما قاله بعض أولئك القادة الذين وجهوا ضرباتهم، إلى القدوة الدينية والتشكيك فيها وفي ذويها ظلمًا وعدوانًا:

قال محمد سرور زين العابدين صاحب مجلة السنة التي تصدر من

بريطانيا عن صفوة العلماء في الديار السعودية وكبارهم ومن وافقهم في المنهج السلفي والمشرب الصافي النقي من علماء المسلمين، قال محمد سرور -وهو متكئ على أريكته في ديار الكفر- مقسمًا الدعاة الإسلاميين على حد تعبيره إلى أصناف: "وصنف آخر يأخذون ولا يخجلون، ويربطون مواقفهم بمواقف ساداتهم، فإذا استعان السادة بالأمريكان انبرى العبيد إلى حشد الأدلة التي تجيز هذا العمل ويقيمون النكير على كل من يخالفهم، وإذا اختلف السادة مع إيران الرافضة، تذكر العبيد خبث الرافضة وانحراف مناهجهم وعداوتهم لأهل السنة، وإذا انتهى الخلاف سكت العبيد، وتوقفوا عن توزيع الكتب التي أعطيت لهم، هذا الصنف من الناس يكذبون ويتجسسون، ويكتبون التقارير ويفعلون كل شيء يطلبه السادة منهم، وهؤلاء قلة والحمد لله ودخلاء على الدعوة والعمل الإسلامي، وأوراقهم مكشوفة وإن أطالوا لحاهم وقصروا ثيابهم وزعموا بأنهم حماة للسنة ولا يضر الدعوة الإسلامية وجود هذا الصنف من الناس فالنفاق قديم، وكان على عهد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة"[1]. ا هـ.

أقول: أي غل للذين آمنوا أعظم مما رأيت وسمعت؟! بل أي حقد على حملة الشرع وحراس العقيدة أبلغ مما تفوه به هذا المعتدي عبثًا وتشفيًا ممن يستحقون المحبة الشرعية والتقدير الإسلامي الذي يليق

(١) انظر مجلة السنة الكتاب الثالث والعشرين، ذو الحجة سنة (١٤١٢ هـ).

بجنابِهم ويحسن بحالهم ويجدر بِمقالهم، ولكنني لا أملك إلا أن أقول لصاحب المقال المنشور والزور المسطور -أعني: المدعو/ محمد سرور-: هداك الله وردك إلى الحق ردًّا جميلاً، مع أسفي البالغ على غمطه للحق وسخريته بورثة الأنبياء وصفوة الخلق، وحقًّا ما قاله الشاعر:

وما من كاتبٍ إلا سيفنى ... ويبقى الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفك غير شيء ... يسرك في القيامة أن تراه

وأما غاية أولئك الغزاة للتخريب لأبواب الخير ومجامع الهدى، والمشككين في القدوة الدينية ورجالها بتطاولهم بأقلامهم المأجورة وأفكارهم المسمومة المبتورة فهي كما أسلفت: الرغبة في الإساءة العظمى والجناية الكبرى على الدين القويم دين سعادة الدنيا ونعيم الآخرة، والتنفير منه ومن دعاته وحماته ومن ثم يزهد المخدوعون فيه، ويرغبون عن خيره وفضائله ويتنكرون لمقاماته ومكارمه، فتزل قدم بعد ثبوتِها ويضيع معظم الأمة وتضل سواء السبيل، وذلك عندما تتوارد على قلوبِهم الطعون في دينهم، من حيث يعلمون أو من حيث لا يعلمون، وتتوارد الشكوك في حملته بحق وصدق، نعم يريد أولئك الغزاة والمشككون من وراء صنيعهم المذكور المبتور ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره المشككون الآثمون.

وأما التصدي لإحباط عمل من يريد ضرب القدوة الدينية والتشكيك فيها فهذا يملكه صنفان من الناس وهما العلماء الربانيون، وولاة أمر

المسلمين الذين يهمهم شأن الدين الذي ائتمنهم الله عليه وكلفهم بحمايته وحماية أهله وحملته من كل معتدٍ أثيم، حيث يقوم العلماء بالحجة الشرعية والبيان، ويقوم أصحاب السلطة بالنفوذ والسلطان. وحقًّا ما قاله ربنا تباركت أسماؤه وتقدست صفاته: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: من الآية٤٣].

وقال -عز من قائل-: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا﴾ [الأنعام: من الآية١٦٤].

وبالله التوفيق.

*****

س٧: نحن طلاب علم نريد إعداد أنفسنا لنكون دعاة إلى الله على المنهج الصحيح، وأنتم تعلمون أنه يوجد في هذا العصر جماعات كثر في الجزيرة العربية وفي غيرها، كل جماعة لها منهج خاص وأمراء وأتباع كذلك، وأخص بالذكر من هذه الجماعات جماعة التبليغ، وجماعة الإخوان المسلمين، فهل يجوز لنا أن نندمج مع هذه الجماعات وندخل في أنظمتها، ونعطي البيعة لأمرائها ومنظريها؟؟ أفيدونا أثابكم الله.

ج٧: الحمد لله، وأصلي وأسلم على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

أما ما ذكرت من طلبكم للعلم وإعدادكم لأنفسكم لتكونوا دعاة

إلى الله فهذا هو الطريق السوي، ولكن ليكن هذا الإعداد على أيدي العلماء السلفيين الذين اختاروا لأنفسهم في الدعوة إلى الله منهج النبي الكريم، وأصحابه الغر الميامين، الذي حدد معالمه القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة وسيرة النبي المدونة في الكتب المعتبرة، وليس لكم أن تدخلوا في تنظيم جماعة التبليغ أو الإخوان لما على هاتين الجماعتين من المآخذ والملاحظات في باب الاعتقاد وباب الولاء والبراء ومنهج الدعوة إلى الله، وفي باب الجهاد، وفي باب السلوك مع العلم الشرعي وأهله وبالأخص من ينتقد شيئًا من فقرات منهج إحدى الجماعتين، والخلاصة أن في منهج الجماعتين كدرًا كثيرًا، وبينما منهج السلف منهج صاف رحيم حكيم، لانطلاق أهله من منطلق الرسل والأنبياء في دعوتهم إلى الله حقًّا وحقيقةً، وإذ كان الأمر كذلك فأي المناهج أولى بالانضمام إلى أهلها والتزود من أساليبها ووسائلها، أهو منهج السلف الصافي أم المناهج الأخرى ذات الخلط والدمج بين الخطأ والصواب، والحق والباطل ؟ كما لا يجوز لأحد أن يعطي البيعة لأحد من قادة هذه المنظمات والأحزاب، لا جماعة الإخوان ولا جماعة التبليغ، ولا غيرهما من الجماعات والمنظمات؛ لأن البيعة لقادتهم أمر محدث أحدثه مؤسسو هذه الجماعات كما هو مصرح به في كتبهم، وفي كتب من ناقش مؤلفاتهم وتصريحاتهم من أهل الغيرة على المنهج السلفي القويم، ومع أن البيعة الحزبية بدعة لا يستند أهلها إلى دليل من كتاب أو سنة أو عمل خليفة راشد أو عمل

صحابي جليل أو إمام من أئمة الحديث والفقه، فكم لها من آثار سيئة على جماعة المسلمين من أشهرها:

١- حدوث الفوضى من الناس بسببها إذ من المسلم به أن أفراد كل جماعة استقلت بزعيم ولقب ومنهج سيدعون إلى بيعة زعيمهم وإلى الالتزام بالوفاء بِما تمت عليه البيعة المحدثة، وحينئذ سيحل الشقاق محل الوئام، ويحل الخلاف محل الوفاق بسبب تعدد تلك الجماعات والمنظمات والبيعات.

٢- جعل شباب الأمم ومن في مستواهم في حيرة من أمرهم بحيث لا يدري الواحد منهم أو الجماعة إلى أي جماعة ينتمون، ولا أي زعيم يبايعون فإنا لله وإنا إليه راجعون.

٣- أنه ينتج عن هذه البيعة المحدثة التباغض والتباعد والفرقة، وهذه أمور نَهى عنها دين الإسلام في غير ما آية وحديث.

٤- أنَّها قد تحمل قادة الجماعات ونوابِهم على منع أتباعهم من الجلوس إلى غيرهم من أهل العلم، الذين ليس لهم انتماء ولا مؤازرة لشيء من تلك الجماعات على أساس منهجهم المعروف.

٥- وإنه ليكفي في شؤم البيعة المذكورة -بأي اسم سميت- وبطلانِها أنَّها بدعة محدثة مردودة على أهلها، لحديث: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[1].

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع باب النجش ووصله في الصلح (ج٣ ص٦١).
=

والحديث: «وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة..»[١] الحديث ألا فهل من مدكر.

إذا علم هذا -وهو معلوم قبل ذلك عند علماء السلف- فاعلم أيها القارئ المحب للحق -حفظك الله ورعاك- أن البيعة الشرعية في ديننا الحنيف هي بيعة تنعقد من أهل الحل والعقد من الأمة المسلمة، كما حصل في عهد الخلفاء الراشدين، ومن سار على منهجهم ممن ولاه الله أمر المسلمين في جل الأرض أو كلها أو بعضها، إذا لَمْ يستطع أن يتجاوز ذلك البعض منها إلى غيره كما هو الواقع في عصرنا هذا، وكذا من حصل على الإمامة أو الإمارة بطريق المصاولة والغلبة واستقر له الأمر، وأصبح ذا سلطان وشوكة واتجه إلى السعي في إصلاح الدين والدنيا بحيث يقوم بالعناية العظمى لحفظ الدين على أصوله الثابتة وحمايته من الشركيات والبدع، وينفذ الأحكام الشرعية المتعلقة بحقوق الله والمتعلقة بحقوق خلقه، ويحصن الثغور بعدد من الرجال وعدة من السلاح الذي يخيف العدو ويرهبه. ويسعى حثيثًا في تأمين البلاد داخليًّا وخارجيًّا، ويشرف على أمور الرعية وشعائر عباداتهم بنفسه حسب القدرة والإمكان، وغير ذلك من الأمور الَّتِي لا تتم إلا بوجود الإمارة

=

ومسلم في كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة (ج٣ رقم ١٧١٨) عن عائشة -رضي الله عنها-.

(١) أخرجه الإمام أحمد وأصحاب السنن وغيرهم بألفاظ متعددة وسنده صحيح.

ذات النفوذ المذكور، فهذا أيضًا يجب السمع والطاعة له والتعاون معه في كل ما من شأنه صلاح الدين والدنيا، ولا يجوز الخروج عليه بحال بحجة أنه وصل إلى الإمارة بطريق الظلم والقهر لمن كان قبله، ولا مسوغ لرفض مبايعته بعد أن مُكِّن له في الأرض وأصبح ذا شوكة وسلطان والناس آمنون في ظله، ولا يشترط لمبايعته أن يكون خليفة على الدنيا كلها أو على العالم الإسلامي كله لعدم قدرته على ذلك، وقد أبعد النجعة من يرى أن لا بيعة شرعية إلا لأمير المؤمنين المنتظر الذي سيأتي في آخر الزمان.

أما نحن في المملكة العربية السعودية علماء وعقلاء وعامة فإننا نعلنها صريحة ظاهرًا وباطنًا بأن في أعناقنا بيعة شرعية لملك البلاد "المملكة العربية السعودية" فهد بن عبد العزيز –حفظه الله–، ونعتبر الوفاء بها واجبًا شرعيًا بشرطه، بل ونعتبر ذلك نعمة عظمى ومنة كبرى من الله العلي الأعلى كلما أرسلنا النظر إلى دنيا البشر شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالاً، نعم إننا نعتبر إمامته علينا رحمة وولايته شرعية تستدعي الصدق منا في الوفاء سرًّا وعلنًا وباطنًا وظاهرًا كما أسلفت قريبًا، وما ذلك إلا لأنه يحرص على الالتزام بالكتاب والسنة وينادي بذلك في كل مناسبة، ويفتح حقول العلم الشرعي الشريف بكافة المستويات في داخل البلاد وخارجها مما لا يحتاج مني إلى إقامة برهان، وينفذ أحكام الشريعة الإسلامية من فرائض وواجبات وحدود وشعائر في شعبه الذي استطاع

هو وأبوه وإخوانه من قبله أن يبسطوا أيديهم عليه، ويرعوا مصالحه دينًا ودنيا بالإضافة إلى نفعهم المتعدي الذي بلغ أوجه في عهد الملك فهد خادم الحرمين الشريفين -حفظه الله ورعاه-، حيث تمت له رعاية كثير من مصالح العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربِها كما هو معلوم وواضح لكل ذي عينين صاحب عدل وإنصاف، لا صاحب إنكار للجميل وإجحاف، ونحن إذ نقول هذا فإننا لا ندعي لأنفسنا ولا لولاة أمرنا الكمال إذ الكمال في البشر وفي دنيا البشر عزيز، بل ولا ندعي لهم العصمة من الوقوع في الخطأ، كلا، فكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون، وننصح لهم من صميم قلوبنا وندعو لهم بالتوفيق لما يرضي الله والصلاح في الحال والمآل، ونرضى لهم أن يكونوا معتصمين بحبل الله المتين كتاب الله المبين ورسالة الصادق المصدوق رسول رب العالمين، إذ بذلك تبرأ الذمم وتدوم الفضائل والنعم وتدفع البلايا والمحن والنقم: ﴿**مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا**﴾ [النساء:١٤٧].

أعود فأقول: أما البيعة لزعيم منظمة أو حزب أو جماعة غير شرعية أو شيخ طريقة سواء في دولة إسلامية أو غير إسلامية فإنَّها لا أصل لها في الشرع حسب علمي ولا صلاح ولا إصلاح يترتب عليها بل الشر والفساد في الأرض حليفها. والله المستعان.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

س٨: بِمناسبة الحديث عن الحركات الإسلامية المعاصرة وتعددها وتعدد مناهجها وقادتِها وأمرائها في هذا العصر فإنني قرأت في بعض الصحف[1] موضوعًا عن الحركات فرأيت عنوانًا مكبرًا هكذا:

"الحركات الإسلامية المعاصرة يتيم في مأدبة اللئيم" والحقيقة لقد أشكل عليَّ مراد الكاتب بِهذا العنوان، والسؤال هو: ما هو المفهوم منه عندكم؟ أثابكم الله.

ج٨: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد:

فالذي يظهر لي من هذا العنوان:

أولاً: هو تأييد الكاتب المذكور لجميع الحركات الإسلامية في العالم والتماس الأعذار لها في تصرفاتِها المخالفة لمنهج دعوة السلف سابقًا ولاحقًا، وقد يكون له بعض التحفظات أو الملحوظات على بعضها والتسليم لصنيع البعض الآخر منها، ودليل تأييده هو اعتباره تلك الحركات المنوه عنها بالعنوان المكبر بِمنْزلة يتيم مسكين جلس على مأدبة لئيم، فهو ينظر إليه دائمًا بغير عين الرضا، فلا يراه إلا عابثًا في المقام، ومفسدًا للطعام ومكثرًا من الأكل بدون أدب ولا حياء ولا التزام، فربما أقامه عن المائدة قبل قضاء وطره، بل ربما صك الأبواب في وجهه وطرده

---

(١) صحيفة عكاظ (٩٨٩٣ ١٧ ربيع ١٤١٤ هـ).

من بين الأنام بدون عطف ولا مواساة ولا احترام.

ثانيًا: إلقاء اللوم صراحة من الكاتب المذكور على كل من يحاول صد هذه الحركات بالحجة والبرهان، أو بالقوة والسلطان عن تنفيذ إرادتها لتصل إلى غاياتها المنشودة، وتحقق أهدافها المقصودة باسم الدعوة إلى الإسلام، وإذ كان الأمر كما علمت فيا ليت الكاتب قبل تدوين ما دوّن درس شيئًا عن تاريخ الجماعات المتحركات والأحزاب والمنظمات، والتي منها حزب التحرير، وحزب التوحيد الإسلامي، وجماعة التكفير والهجرة، والجماعة القرآنية، وجماعة الجهاد، وجماعة الإخوان، وجماعة التبليغ، وجماعة الجبهة الإسلامية، وجماعة شباب محمد، وجماعة جبهة الإنقاذ وما شاكلها من الجماعات والمنظمات في دنيا البشر.

نعم؛ يا ليت الكاتب درس مناهج هذه الجماعات ومعتقداتها وأفكارها وغاياتها ثم بعد ذلك أبدى رأيه وأصدر حكمه وأعطى كل ذي حق حقه على بينة من الأمر والبصيرة في الترشيد، ثم النظر في برهانه على ذلك المثل المضروب الذي لا أقدر على التوسع في شرحه ولكنني كأخ للكاتب في الإسلام وزميل في طلب العلم ونشره، أطالبه بإعادة النظر في القضية بالوجه الشرعي والتفصيل العلمي والتثبت في التزكية للغير لأنّها شهادة، وكل شاهد مسئول أمام الله عن شهادته وكل كاتب سيوقف على ما كتب يوم العرض على الله في دار الجزاء على الأعمال خيرها وشرها ولقد أحسن القائل:

وما من كاتب إلا سيفنى ... ويبقى الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفك غير شيء ... يسرك في القيامة أن تراه

وحيث إن الشيء بنظيره يذكر والطير على أشباهها تقع، فإنني قد قرأت مقالاً ضمن مقالات حول الحركات المذكورة في نفس الجريدة التي ذكرها السائل حيث قال صاحب المقال ما نصه: "إن الحركات الإسلامية أهدافها نبيلة ونواياها حسنة، ومن الأولى ترشيدها وتأصيل جذورها لا تخفيف منابعها !!".

وقولي لهذا: هو ما قلته لزميله لالتقائهما في الفكر والاتجاه والمنهج حيال الحركات وتحركاتها والمنظمات وتنظيماتها وأؤكد لهما ولأمثالهما أنه ما كان لأحد أن يصدر حكمًا لشيء أو عليه إلا بعد أن يتبين حقيقة أمره، بل وما كان لأحد من الناس مهما حصل من العلم وحقق من الشرع أن يدلي بتزكية لشخص أو جماعة حتى تتضح له المسوغات ويتجلى له ما عليه يعتمد في مدح أو ذم أو تعديل أو تجريح أو استقامة أو انحراف وذلك يتم -إن شاء الله- بسلوك الوسائل الصحيحة المقترنة بالنية الصالحة والنظر الثاقب بنور الشرع في الأبعاد والعواقب، وأنا أكاد أجزم أن أصحاب التزْكيات لجميع الحركات التي سبق ذكرها لو أنَّهم درسوا مناهجها وأمعنوا النظر في تصرفاتها باسم الدعوة إلى الله -والحق رائدهم- لما أصدروا تلك التزكيات العامة التي سمعت ورأيت ولكن للفهم الهامشي أخطاره، وللعلم بالأمور على وجه الحقيقة صفاؤه

ونقاؤه: «**ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»[1]. والله أعلم.

وصلى الله وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) حديث رواه مالك في الموطأ في كتاب الجامع باب ما جاء في أهل القدر (ج١ رقم ١٦٢٤ ص٦٤٩). والبخاري في كتاب العلم قبل القول والعمل (ج١ ص٢٥). ومسلم في كتاب الإمارة باب (١٧ ج١٣ ص٦٧) بشرح النووي رقم (١٦٢٤).

سلسلة الأجوبة السديدة
على الأسئلة الرشيدة
(٦)

الأجوبة السديدة

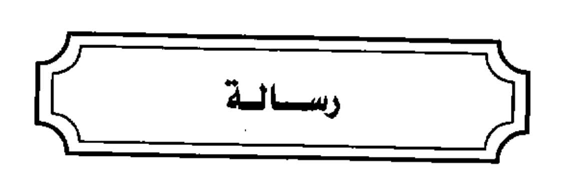
على الأسئلة الرشيدة

الجزء السادس

تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
زيد بن محمد بن هادي المدخلي







الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإننا طلاب علم نحب الفائدة ونحرص عليها، ولدينا بعض الأسئلة الَّتي تمس الحاجة إلى طرحها عليكم لتتكرموا بالإجابة الَّتي نرجو من الله أن تكون سديدة وواضحة، وأن يكتب لكم ذخرها وينفع بِها قارئها وسامعها والله ولي التوفيق.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

مقدمة

الحمد لله، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فهذه أجوبة مختصرة على أسئلة وجهها إلي أحد طلاب العلم الطيبين، قصد منها بيان ما ينبغي بيانه حيال القضايا المسئول عنها، وليحصل النفع لمن وقعت هذه الورقات في يده.

وحيث إن العلم لا يجوز أن يكتم عن طالبيه عند القدرة على بذله ونشره، فقد كتبت الأجوبة التالية المرتبة حسب ترتيب الأسئلة تلبية لطلب السائل وأمثاله وتحقيقًا لرغباتِهم، وخروجًا من تبعة الكتمان للعلم عند وجود الداعي إلى بذله ونشره، وقد بدا لي أن يكون الجواب بمنظوم الكلام ومنثوره مراعاة لرغبات القراء المتنوعة والله من وراء كل قصد.

فإلى الأسئلة والأجوبة:

س١: ما المقصود بالفرقة الناجية المنصورة، وما أبرز صفاتها ؟

ج١: ينبغي أن يفهم أولاً أن الفرقة الناجية هي الطائفة المنصورة وعلى رأسهم أهل الحديث رواية ودراية في كل زمان ومكان، والجدير بالذكر أن أئمة هذه الطائفة الناجية المنصورة هم أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار الذين أثنى الله -تبارك وتعالى- عليهم بقوله الحق: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة: الآية١٠٠].

ورضي عنهم بقوله ﷻ: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾ [الفتح: الآية١٨-١٩].

ومدحهم بقوله سبحانه: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمِ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [الفتح: الآية٢٩].

واختارهم لصحبة نبيه المصطفى وخليله المجتبى محمد ﷺ فعزروه ونصروه ووقروه، وجاهدوا تحت راياته وألويته المنعقدة لنصرة الحق

وذويه وكسر الباطل وسحق أهدافه ومراميه، هذا وقد تلقوا عنه ثقلين عظيمين أحدهما كتاب الله ﷻ، والثاني سنة رسول الله ﷺ المشار إليهما بقول الحق سبحانه: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: الآية٥٩]. ونظائرها من آي الذكر الحكيم، والمشار إليهما بقول الرسول الكريم عليه من الله أزكى الصلاة وأتم التسليم: «**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحلّ لكم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السبع، ولا لقطة معاهد، إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يُقروه، فإن لَمْ يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه**».

والمشار إليهما بقوله ﷺ: «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض**».

كما ينبغي أن يعلم ثانيًا أن الفرقة الناجية والسلف الصالح وأتباعهم بإحسان، والجماعة وأصحاب الحديث وأهل السنة والأثر والعلماء الربانيين والفقهاء في الدين، العالمين بالله وبأمره والقائمين على الحق والمجاهدين في سبيل نصرته، ونظائر هذه الأوصاف الحسنة كلها أوصاف لحزب الله المفلحين وجنده الغالبين على تفاوت بين أفرادهم في العلم والعمل والجهاد والدعوة وغيرها من أبواب العلم والعمل، إلا أن

لأصحاب الحديث من تلك الصفات القدح المعلى والمقام الأسمى والنصيب الأعظم والحظ الوافر.

أبرز صفاتهم في الكتاب والسنة وأقوال العلماء

هذا وكم من آيات كريمَات قد جاءت بذكر صفاتهم:

١- ومنها: قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٢-٥].
وبدون شك أن أهل الحديث الذين هم أهله رواية ودراية هم أئمة أهل التقوى وسادة المفلحين.

٢- ومنها: قول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: الآية ٦٩].

ومن غير شك أن الطائفة الناجية المنصورة أهل الحديث هم ورثة الأنبياء، ومنهم الصديقون والشهداء وهم أئمة الصالحين.

٣- ومنها: قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيْمانا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ

حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢-٤]. ومن غير تردد أن لأهل الحديث من هذه الصفات الخمس أعلاها وأكملها وأزكاها.

٤- ومنها: قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:الآيتان ١١١-١١٢].

ولا شك ولا ريب أن أهل الحديث الذين هم أهله في كل عصر وبادية ومصر هم أئمة الموصوفين بهذه الصفات الحميدة، والنعوت الجليلة من سورة التوبة.

٥- ومنها: قول الله ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون:١-١١].

ولا شك أيضًا أن أهل الحديث هم أئمة الموصوفين بما ذكر في مطلع سورة المؤمنون .

٦- ومنها: قول الله ﷻ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣-٧٦].

وإن من المعلوم بالضرورة أن أهل الحديث هم أحق من وصف بتلك الصفات الحسنة المبدوءة بصفة الصبر والسكينة والوقار، والمختومة بكمال النصح للنفس وللغير الذي تجلى في خالص الدعاء ودوامه.

٧- ومنها: قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: الآية٢٩].

وحقًّا إن أصحاب رسول الله ﷺ الموصوفين بما ذكر في هاتين الآيتين هم أئمة أصحاب الحديث وأشياخهم الأوائل، وكل من أتى بعدهم من المحدِّثين فهو عنهم ناقل ومن علومهم مستفيد، إذ هم أول الوارثين لميراث النبي ﷺ.

وكفى كل محدث شرفًا وفضلاً أن أئمته أصحاب النبي الكريم، وإن بعد العهد وتعددت القرون وكل من أتى بعدهم فهو وارث منهم.

وكم من حديث شريف علا سنده وصح متنه قد جاء بذكر أوصاف أولياء الله، وعلى رأسهم أصحاب الحديث الذين إذا ذكرت الطائفة المنصورة فهم أئمتهم، وما ذلك إلا لأن أهل العناية بالحديث رواية ودراية هم المبرزون في العناية بالقرآن وعلومه، وعلى العموم هم المبرزون في علوم الشريعة والعاملون بها والحافظون لنصوصها والناشرون لها والذابون عنها.

من تلكم الأحاديث الواردة بذكر صفات المؤمنين عمومًا وأهل الحديث خصوصًا:

١- ما ثبت في الصحاح والمسانيد والسنن ومنها:

ما جاء في سنن أبي داود وغيره من حديث أبي عامر بن عبد الله بن لحي قال: حججنا مع معاوية ﷺ، فلما قدمنا مكة صلينا صلاة الظهر بمكة، ثم قام فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة وهي الجماعة ؛ وإنه سيخرج من أمتي أقوام تتجارى بِهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله**».

ففي هذا الحديث إخبار من النبي ﷺ عن الفرق الهالكة وخطرها وسبب هلاكها وسوء عاقبتها.

وعن الفرقة الناجية الطائفة المنصورة التي أطلق عليها وصف الجماعة المتمسكة بالحق علمًا وعملاً ودعوة وجهادًا وإن قل عددهم كما قال ابن مسعود ﷺ: «إنَّما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك».

٢- وما جاء في السنن وغيرها بألفاظ متقاربة من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص وأبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**افترقت**

اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرّقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة. قالوا: ما هي يا رسول الله ؟ قال: **من كان مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**».

قلت: فقد دل هذا الحديث على ما دلَّ عليه الذي قبله من الإخبار عن الفرقة الهالكة من هذه الأمة ومن الأمم التي قبلها وذلك بسبب التفرق في الدين واتباع الهوى، والإخبار عن الفرقة الناجية ووصفها بالتمسك بالذي كان عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه، وعليه فمن كان من أهل التمسك بذلك في أي عصر وفي أي مكان فهو فرد من أفراد الطائفة الناجية المنصورة أهل الحديث والأثر والفقه في الدين.

٣- كما جاء وصفهم بالمحبة فيما بينهم والتراحم والتعاطف كذلك، إذ جاء في المسند وغيره من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى**».

بخلاف أصحاب البدع والأهواء فإنَّهم ليسوا كذلك، بسبب اختلافهم فيما بينهم ومخالفتهم للحق الذي عليه أهل التمسك بنصوص الكتاب والسنة بالفهم الصحيح، وبلا جدل أن لأصحاب الحديث الدرجة الأولى في هذا المقام الرفيع والصفات المجيدة.

٤- وما ثبت في المسند والسنن أن النبي ﷺ قال: «**ثلاث من كنّ**

فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار». ولا شك أن هذه الصفات لا تتوفر صدقًا إلا في قلوب الطائفة الناجية المنصورة وفي مقدمتهم أهل الحديث رواية ودراية وعلمًا وعملاً.

٥- وما جاء في موطأ الإمام مالك من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله لأناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله ﷻ. قالوا: يا رسول الله تخبرنا بهم؟ قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، والله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس وقرأ هذه الآية: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾».

قلت: ولا ريب أن لأصحاب الحديث من هذه المكانة العالية في الدار الآخرة أعلاها إزاء ما قاموا به من حفظ دين الله ونشره، وذلك من خلال العناية بالثقلين العظيمين كتاب الله والسنة الغراء التي أفنوا أعمارهم في الرحلة في جمعها، وقضاء الأوقات في تدوينها وإملائها على الغير كل بالقدر الذي استطاع أن يحرزه، فسالت أودية بقدرها رجاء ثواب الله وخشية عقابه وتأسيًا بالرسل الكرام والأنبياء العظام وكل عالم رباني من الأنام، وحفظًا لميراث النبي ﷺ للعمل به وتبليغه من لا غنى لهم

عنه طرفة عين.

٦- وما جاء في صحيح مسلم وغيره من حديث ثوبان ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**»، فإن هذا الحديث قد فسّره الأئمة المعتبرون والمقتدى بِهم بأن المراد بالطائفة المذكورة فيه هم أهل الحديث في كل مكان وزمان، ومن هؤلاء الأئمة الذين بينوا أن المراد بالطائفة الناجية المنصورة أهل الحديث:

عبد الله بن المبارك[١]، ويزيد بن هارون الواسطي[٢]، وعلي بن المديني[٣]، وأحمد بن محمد بن حنبل[٤]، والبخاري[٥]، والترمذي[٦]، وابن جرير الطبري[٧]، وابن أبي عاصم[٨]، وابن بطة العكبري[٩]، والحاكم[١٠]،

(١) هو الإمام عبد الله بن المبارك (ت ١٨١هـ).

(٢) هو الإمام يزيد بن هارون الواسطي (ت ٢٠٦هـ).

(٣) هو الإمام علي بن عبد الله المديني (ت ٢٣٤هـ).

(٤) هو الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ).

(٥) هو الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ).

(٦) هو الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩هـ).

(٧) هو الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ).

(٨) هو الإمام الحافظ أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك (ت ٢٨٧هـ).

(٩) هو الإمام عبد الله بن محمد بن بطة العكبري (ت ٣٨٧ هـ).

(١٠) هو الإمام الحافظ أبو عبد الله عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥ هـ).

واللالكائي[١]، والبغدادي[٢]، وأبو الفضل[٣] وغيرهم كثير تراجع لمعرفة أسمائهم ونصوصهم وتصريحاتهم في هذا الموضوع كتبهم وكتب أهل العلم الذين دونوا تاريخ حياتهم العلمية والدعوية والجهادية -رحمهم الله جميعًا-.

وأما الإمامان شيخ الإسلام بن تيمية، وابن قيم الجوزية، فإنَّهما قد أشارا في مواضع كثيرة من مؤلفاتهما بأهل الحديث وأنَّهم هم الطائفة الناجية المنصورة، كما ذكر ذلك الإمام بن تيمية في العقيدة الواسطية وغيرها من مؤلفاته، وابن قيم الجوزية في نونيته المشهورة بنونية ابن القيم وغيرها من مؤلفاته التي ما هي إلا انتصار لأهل الحديث والأثر الطائفة الناجية المنصورة، ورد قوي على كل من خالفهم من أهل الأهواء والبدع الذين لا يحترمون الحق ولا يحبون أهله؛ بل هم على العكس من ذلك وعلامتهم الوقيعة في أهل الأثر كما قرر ذلك علماء السلف -رحمهم الله- والله أعلم.

كما أن من صفات أهل الأهواء والبدع بغض أهل الحديث كما قال أحمد القطان: "ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث، وإذا ابتدع الرجل ينْزع حلاوة الحديث من قلبه ". فاللهم سلم سلم.

---

(١) هو الإمام الحافظ أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي (ت ٤١٨ هـ).

(٢) هو الإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ).

(٣) هو الإمام قوام السنة أبو القاسم إسماعيل بن محمد أبو الفضل (ت ٥٣٥ هـ).

س٢: ظهر في هذا الزمان من يقول إن علم الجرح والتعديل إنما وضع لفترة زمنية معينة، وأما الآن فلسنا بحاجة إليه فما رأيكم في ذلك وفقكم الله ؟

ج٢: قبل الإجابة على هذا السؤال أُحبُّ أن أذكر أمورًا ينبغي لطلاب العلم ورثة الأنبياء الاطلاع عليها وفهمها حق الفهم:

الأمر الأول: ما أثر عن السلف فيما يتعلق بأهمية الإسناد وأنه من خصائص هذه الأمة التي امتازت بخصائص جليلة عن الأمم السابقة لا تخفى على ذوي الفقه في الدين، فقد قال محمد بن سيرين: "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم".

وقال أيضًا: "لَمْ يكونوا يبالون بالإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم".

قلت: وفي هاتين الجملتين شرف عظيم لأهل السنة، وقدح صريح لأهل البدع، فهنيئًا لأهل الحديث في كل زمان ومكان، ذلكم الثناء العاطر والتزكية الصادرة لهم من ذويها، وأسفًا بالغًا على أهل البدع من المسلمين الذين انعكست عليهم الأمور بسبب سوء تصرفهم الذي تجلى في إحيائهم للبدع وانتصارهم لَها، والسعي في إماتة السنن وبغض أهلها.

الأمر الثاني: أن الجرح والتعديل في كل عصر من العصور له رجاله الذين من أجل صفاتِهم العلم بالكتاب والسنة وعلومها، مصحوبًا

بالعدالة والتيقظ، كما قال الإمام مالك -رحمه الله-: "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، لقد أدركت سبعين ممن يحدث قال فلان، قال رسول الله ﷺ عند هذه الأساطين، وأشار إلى مسجد رسول الله ﷺ ، فما أخذت عنهم شيئًا، وإن أحدهم لو أؤتمن على بيت المال لكان أمينًا لأنَّهم لَمْ يكونوا من أهل هذا الشأن، وقدم علينا ابن شهاب فكنا نزدحم على بابه ".

قلت: وما ذلك إلا لأن ابن شهاب من أهل العلم بالرجال وإتقان المتون والعدالة والتيقظ.

وقبل مقالة الإمام مالك قال مجاهد -رحمه الله-: "جاء بشير العدوي إلى ابن عباس فجعل يشير يحدث ويقول: قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه، فقال: يا ابن عباس مالي أراك لا تسمع لحديثي، أحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع. فقال ابن عباس: إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا فلما ركب الناس الصعب والذلول لَمْ نأخذ من الناس إلا ما نعرف".

الأمر الثالث: وجوب العناية بتطبيق قاعدة التصفية والتربية، والمراد بالتصفية حسب فهمي: تمييز الصحيح من الأحاديث مع الضعيف وتمييز الضعيف المنجبر عن الضعيف الذي لا ينجبر وتمييز السنة من البدعة، وتمييز عقيدة السلف ومنهجهم العملي عن عقائد أهل البدع ومناهجهم

من السابقين والمعاصرين، وتمييز العدول من الناس من المجروحين، وتمييز من ينبغي أن يؤخذ عنهم العلم وتسند إليهم الفتوى وهم العلماء الربانيون السائرون على نَهج السلف علمًا وعملاً ممن ليسوا كذلك من كل مبتدع ضال يدعو لترويج ضلالته وينصح للناس ليقبلوا على غوايته.

وأما التربية: فالمقصود منها تربية النفوس والعقول بنصوص الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح -رحمهم الله-.

إذ إن الناس إذا رُبُّوا من قبل علمائهم على الالتزام بكتاب ربِّهم وصحيح سنة نبيهم فإنَّهم يفوزون بالحياة الطيبة المباركة، وإن ربوا على أفكار المفكرين ممن قلت بصائرهم بالفقه في الدين، وآراء المبتدعين التي لا تستمد من نصوص الشرع المبين، فقد ظلموا أنفسهم وأوردوها موارد العطب فباءت بالإثم وسوء المنقلب.

وأما الجواب على نص السؤال فأقول مستمدًا العون والسداد من الله، الذي علمنا الاستعانة به في قوله الحق: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾:

إن قول القائل في شأن علم الجرح والتعديل: إنَّما وضع لفترة زمنية معينة قد مضت وانتهت ورفعت أقلامها وجفت صحفها ومات أساطينها.
خطأ محض وفيه مجازفة واضحة وتثبيط للهمم عن العناية بنصوص الكتاب والسنة وعلومها، وصرف لطلاب العلم الشرعي عن النظر في رواة الأحاديث ومتونها، وذلك من الخطر بمكان لا يخفى على رجال العلم وأئمة الفقه في الدين.

والحق -إن شاء الله- أن علم الجرح والتعديل باقٍ وسيبقى مادام العلم والعلماء، وذلك أن في كل زمان غالبًا أئمة مؤهلين لتعديل من يستحق التعديل وجرح من يستحق الجرح بدليل قول النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس** -وفي رواية- **لا تزال طائفة من أمتي قوامة على أمر الله لا يضرها من خالفها**».

وقد قال جمع من الأئمة: إن لَمْ تكن هذه الطائفة هم أهل الحديث فلا ندري من هم.

وأهل الحديث في الحقيقة هم العارفون بأسانيده ومتونه من حيث الصحة والضعف، والمقبول والمردود، وأسباب القبول وأسباب الرد، إلى غير ذلك من مباحث علوم الحديث المدونة في أسفارهم، ثُمَّ أنه يوجد اليوم وقبل اليوم وبعد اليوم علماء بأيديهم إجازات من أشياخهم الذين لهم أسانيد متصلة إلى النبي ﷺ، فتراهم يروون الأمهات الست كل كتاب بسند متصل وهذا دليل قائم على وجود علم الجرح والتعديل في هذا الزمان وبعده.

ثم إنه قد يفتح الله لمتأخر من أهل العلم فيما يتعلق بموضوع الجرح والتعديل شيء قد خفى على من كان قبله، ولو كانت المدة بينهم تعد بالقرون وهذا أمر مسلم به ولكنه لا يحط من قدر الأوائل شيئًا ولا يزري بِهم، ومما ينبغي التنبيه عليه أن كلاً من الجرح والتعديل يجري في

نقل الأخبار عن قوم لآخرين والناقل حينئذٍ إما أن يكون عدلاً، وإما أن يكون مجروحًا كما يجري ذلك في الشهادة فيما يتعلق بالأموال والأعراض والدماء. هذا ما ظهر لي ودونته على سبيل الاختصار. والله أعلم.

وخير ما يحمل عليه القائلون بأن الجرح والتعديل قد انتهى أمره ومات رجاله من قرون عديدة، أنَّهم نظروا في المؤلفات التي عنيت بهذا الفن ومدى كثرتِها وتنوع رتبها، من حيث البسط والتوسط والاختصار فقرروا عدم وجود ما يسمى بالجرح والتعديل في هذا الزمان،وعدم وجود أهله، كما قرروا عدم حاجة الناس إلى شيءٍ من ذلك أبدًا. والله أعلم.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

س٣: ما حكم هجر المبتدع والْمُجاهر بالْمَعَاصي فِي ميزان الشرع الشريف؟

ج٣: لا شك ولا ريب أن من مميزات منهج السلف الصالح وأتباعهم في كل زمان ومكان بغض أهل البدع والأهواء بقدر انحرافهم عن سنن الحق الذي يجب أن يحب ويتبع، ومن ثم هجرهم ديانة مبنيةً على الحب في الله والبغض في الله، إذ أن المكلف لا يكون على سبيل نجاة ولا وليًّا لله إلا إذا كان حبه في الله وبغضه في الله، وموالاته في الله ومعاداته في الله، وإذا كان الأمر كذلك حقًّا فإن السلف وأتباعهم كما

أسلفت يتقربون إلى الله بِهجر أهل البدع وهجر كتبهم تطبيقًا لحق الولاء والبراء.

وحيث إن أصحاب الحديث أهل العقيدة السلفية والمنهج السلفي ينشدون الخير للغير، فإن هجرهم ووصلهم لأهل البدع والمجاهرين بالمعاصي مقيدٌ بِما يحقق المصالح ويدفع المضار والمفاسد، فمتى رأوا المصلحة في الهجر هجروا ولو كان أقرب الناس إليهم وأعظمهم جاهًا فيهم، ومتى رأوا المصلحة في الوصل للدعوة والمناظرة وإقامة الحجة لتتضح المحجة وتزول الشبهة فعلوا ذلك براءة للذمة ونصحًا للأمة، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها.

هذا ولكل من الهجر الشرعي والوصل الشرعي مقاصده المثمرة التي يجب أن تراعى ويحسب لها الحساب.

فمن مقاصد هجر المبتدعين والفساق ما يأتي:

- تطبيق حكم الولاء والبراء الشرعيين إذ لا يتحققان إلا بالهجر الشرعي.
- لينْزجر المبتدعون والمجاهرون بالسوء والمعاصي عندما يشعرون بالجفاء لهم والإعراض عنهم والتحذير من مجالستهم ومجادلتهم.
- وليعرف الناس عنهم، فلا يغترون بِما يظهرون لهم من التحلي بالتدين وحسن الخلق الذين يقصدون من ورائهما استقطاب الناس ومن ثم سقوطهم في حمأة بدعهم المضلة أو عملهم الإجرامي البغيض.

كما أن من مقاصد الوصل:

• الإيضاح والبيان لمن قلَّ نصيبهم من العلم، فوقعوا في ضروب البدع أو أصناف السوء والمعاصي بسبب دعاة الباطل وأئمة الدعوة إلى الفوضى والمحدثات.

• ولإقامة الحجة بأدلة الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح على المعاندين المنتصرين للباطل وأعوانِهم من كل ناعق يهذي بمنكر القول ويهرف بزوره.

• وللقيام بالجهاد بالعلم، إذ أن النشر للعلم رجاء رحمة الله وخشية عقوبته جهاد في سبيل الله عظيم القدر وجليل الفائدة، ولا يقوم به إلا طائفة من الناس هم العلماء الربانيون الصادقون المخلصون الصابرون على ما أصابَهم ابتغاء مرضاة الله.

ثم إن السلف وأتباعهم يستندون في هجرهم لمن يستحق الهجر إلى نصوص من الكتاب العزيز والسنة المطهرة وعمل أسلافهم أهل الفقه في الدين وأهل العناية بالوحي الْمنَزل من رب العالمين على قلب سيد المرسلين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن ذلك ما يأتي:

١- قول الله ﷻ: ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا**﴾ [النساء: الآية ١٤٠].

قال القرطبي -رحمه الله- في معنى قوله: ﴿**فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ**﴾ الآية، ما نصه: "فدلّ بهذا على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر؛ لأن من لَمْ يجتنبهم فقد رضي عليهم، والرضا بالكفر كفر لقول الله: ﴿**إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ**﴾ فكل من جلس في مجلس معصية و لم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بِها، فإن لَمْ يقدر على النكير عليهم فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية".

قلت: وإذ قد أتى التحذير من مجالسة أهل المعاصي فإنه من أهل البدع من باب أولى وما ذلك إلا لأن صاحب البدعة أعظم جرمًا وأشد خطرًا من صاحب المعصية، بيان ذلك أن صاحب المعصية يلم بِها تارة ويمتنع عنها أخرى غالبًا، بينما صاحب البدعة يظل ثابتًا عليها لتمكنها من قلبه واستحواذها على عقله وجوارحه، بينما صاحب المعصية يعرف أنّها معصية، أما صاحب البدعة فإن دعواه مناصرة الحق وتطبيق الشريعة، ومن جملة ما قال القاسمي في تفسيره لهذه الآية: وروى ابن جرير عن الضحاك أنه قال: "دخل في هذه الآية كل محدث في الدين، وكل مبتدع إلى يوم القيامة". إلى أن قال: "وفي الإكليل قال ابن الفرس: استدل بعض العلماء بِهذه الآية على وجوب اجتناب أهل المعاصي والأهواء". ا هـ.

٢- ومنها قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ**

فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:الآية٦٨].

قال القرطبي -رحمه الله تعالى-: "في هذه الآية رد من كتاب الله ﷻ على من زعم أن الأئمة الذين هم حجج وأتباعهم لهم أن يخالطوا الفاسقين ويصوبوا آراءهم تُقية.

وذكر الطبري عن أبي جعفر محمد بن علي ﷺ **قال**: لا تجالسوا أهل الخصومات فإنّهم يخوضون في آيات الله.

قال ابن العربي: هذا دليل على أن مجالسة أهل الكبائر لا تحل. قال ابن خويز منداد: من خاض في آيات الله تركت مجالسه وهجر مؤمنًا كان أو كافرًا، وكذلك منع أصحابنا الدخول إلى أرض العدو وكنائسهم والبيع ومجالسة الكفار وأهل البدع وألا تعتقد مودتُهم ولا يسمع كلامهم ولا مناظرتُهم". ا هـ.

ثُمَّ ذكر -رحمه الله- آثار دالة على وجوب هجر المبتدعين عن جملة من السلف، منهم أبو عمران النخعي وأيوب السختياني والفضيل ابن عياض -رحمهم الله-.

وقال الإمام الشوكاني -رحمه الله- في تفسير هذه الآية ما نصه: "وفي هذه الآية موعظة عظيمة لمن يتسمح بمجالسة المبتدعة الذين يحرفون كلام الله ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله، ويردون ذلك إلى أهوائهم المضلة وبدعهم الفاسدة، فإنه إذا لَمْ ينكر عليهم ويغير ما هم فيه فأقل

الأحوال أن يترك مجالستهم، وذلك يسير عليه غير عسير، وقد يجعلون حضوره معهم مع تنَزهه يتلبسون به شبهة يشبهون بِها على العامة، فيكون في حضوره مفسدة زائدة على مجرد سماع المنكر، وقد شاهدنا من هذه المجالس الملعونة ما لا يأتي عليه الحصر وقمنا في نصرة الحق ودفع الباطل بِما قدرنا عليه، وبلغت إليه طاقتنا، ومن عرف هذه الشريعة المطهرة حق معرفتها علم أن مجالسة أهل البدع المضلة فيها من المفسدة أضعاف أضعاف ما في مجالسة من يعصي الله بفعل شيء من المحرمات، ولاسيما لمن كان غير راسخ القدم في علم الكتاب والسنة، فإنه ربما ينفق عليه من كذباتِهم وهذيانِهم ما هو من البطلان بأوضح مكان، فينقدح في قلبه ما يصعب علاجه، ويعسر دفعه فيعمل بذلك مدة عمره، ويلقى الله به معتقدًا أنه من الحق وهو والله من أبطل الباطل وأنكر المنكر". ا هـ.

٣- ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: من الآية١١٣].

قال القرطبي فيها: "الصحيح في معنى هذه الآية أنَّها دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم، فإن صحبتهم كفر أو معصية إذ الصحبة لا تكون إلا عن مودة، وقد قال حكيم -أي طرفة ابن العبد-:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

انتهى، وغير هذه الآيات في الحكم كثير.

ومن السنة من قول النَّبِي ﷺ وفعله:

● **فمن قوله:** ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**سيكون في أمتي ناس يحدثونكم بِما لَمْ تسمعوا ولا آباؤكم فإياكم وإياهم**».

قال الإمام البغوي بعد هذا الحديث ما نصه: "قد أخبر النبي ﷺ عن افتراق هذه الأمة وظهور الأهواء والبدع فيهم، وحكم بالنجاة لمن اتبع سنته وسنة أصحابه رضي الله عنهم ، فعلى المرء المسلم إذا رأى رجلاً يتعاطى شيئًا من الأهواء والبدع معتقدًا أو يتهاون بشيء من السنن أن يهجره ويتبرأ منه حيًّا وميتًا، فلا يسلم عليه إذا لقيه، ولا يجيبه إذا ابتدأ إلى أن يترك بدعته ويراجع الحق. إلى أن قال -رحمه الله-: والنهي عن الهجران فوق الثلاث فيما يقع بين الرجلين من التقصير في حقوق الصحبة والعشرة دون ما إذا كان ذلك في حق الدين فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة إلى أن يتوبوا". ا هـ.

ولما أورد البغوي حديث كعب بن مالك عن قصة تخلفه عن النبي ﷺ في غزوة تبوك، قال: على إثره: "وفيه دليل على هجران أهل البدع على التأبيد، وكان النبي ﷺ قد خاف على كعب وأصحابه النفاق حين تخلفوا عن الخروج معه فأمر بِهجرانِهم إلى أن أنزل الله توبتهم وعرف رسول الله ﷺ براءتَهم، وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء المسلمين على هذا، مجمعين متفقين على معاداة أهل البدعة ومهاجرتِهم". ا هـ.

● **ومن فعل النَّبي ﷺ عدة وقائع منها:**

أ- هجر النبي ﷺ كعب بن مالك وصاحبيه ﷺ وهما مرارة بن الربيع وهلال بن أمية الواقفي، وجميعهم من الأنصار حيث استمر هجرهم من قبل النبي ﷺ وجميع الأصحاب حتى تاب الله عليهم بعد مدة دامت خمسين ليلة.

ب- وهجر ﷺ زينب بنت جحش -رضي الله عنها- نحوا من شهرين حينما قالت: «أنا أعطي تلك اليهودية -تعني: صفية بنت حيي رضي الله عنها-». رواه أبو داود أيضًا من حديث عائشة -رضي الله عنها-.

ت- «وهجر صاحب القبة المشرفة بالإعراض عنه حتَّى هدمها» رواه أبو داود أيضًا من حديث أنس ﷺ.

ث- «وهجر رجلاً كان في يده خاتم من ذهب حتى طرحه وكان هجره له بالإعراض عنه» رواه أحمد وغيره.

وهذه النصوص القرآنية والنبوية كلها متفقة على هجر العصاة والمبتدعين بسبب ما اختاروا لأنفسهم من الفسوق والعصيان والضلال ومجانبة الحق والصواب.

وأما الصحابة الكرام وأتباعهم من خيرة الأنام فإنَّهم قد تأسوا برسول الله ﷺ في هذا الباب من هجر العصاة المجاهرين وأهل الضلالات المبتدعين، وإليك غيضًا من فيض من الأمثلة التي توضح مواقفهم المشرفة

من أهل الجهر بالمعصية وأهل الأهواء والبدع المحدثة:

١- هجر عبد الله بن المغفل ﷺ رجلاً يخذف بالحصى بعد ما أعلمه أن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف فاستمر.

٢- وكان علي بن أبي طالب ﷺ يعتقل أصحاب النرد غدوة ونحوها وينهى عن السلام عليهم. رواه البخاري في الأدب المفرد.

٣- وهجر عبد الله بن عمر ﷺ رجلاً رآه يخذف بعدما أخبره أن النبي ﷺ كان ينهى عن ذلك وقال له: «والله لا أكلمك أبدًا». رواه الحاكم.

٤- وهجر عبد الله بن مسعود رجلاً رآه يضحك في جنازة فقال: «والله لا أكلمك أبدًا». رواه أحمد في الزهد.

هذا وكم من الآثار قد جاءت عن السلف في الترغيب في الرد على أهل البدع والأهواء وفي هجرهم حتى يفيئوا إلى أمر الله، كما جاءت آثار أخرى تحذر من الركون إليهم ومن مجالستهم ومودتِهم والسكوت عن بدعهم المحدثة وهذه بعض الأمثلة.

قال ابن مسعود ﷺ: «إياكم وما يحدث الناس من البدع فإن الدين لا يذهب من القلوب بمرة، ولكن الشيطان يحدث له بدعًا حتى يخرج الإيمان من قلبه، ويوشك أن يدع الناس ما ألزمهم الله به من فرضه في الصلاة والصيام والحلال والحرام ويتكلموا في ربِّهم ﷻ فمن أدرك ذلك الزمان فليهرب. قيل: يا أبا عبد الرحمن فإلى أين؟ قال: يهرب بقلبه ودينه

ولا يجالس أحدًا من أهل البدع».

وقال الفضيل بن عياض: «من جلس مع صاحب بدعة فليحذره، ومن جلس مع صاحب بدعة لَمْ يعط الحكمة، وأحب أن يكون بيني وبين صاحب بدعة حصن من حديد، آكل عند اليهودي والنصراني أحب إلي من آكل عند صاحب بدعة».

وقال -رحمه الله-: «من أتاه رجل فشاوره فدله على مبتدع فقد غش الإسلام، واحذروا الدخول على أصحاب البدع فإنَّهم يصدون عن الحق».

وقال: «لا تجلس مع صاحب بدعة فإني أخاف أن تنزل عليه اللعنة».

وقال: «إن لله ملائكة يطلبون حلق الذكر فانظر مع من يكون مجلسك، لا يكون مع صاحب بدعة فإن الله لا ينظر إليهم، وعلامة النفاق أن يقوم الرجل ويقعد مع صاحب بدعة».

وقال: «أدركت خيار الناس كلهم أصحاب سنة وينهون عن أصحاب البدع».

وقال الحسن البصري: «ثلاثة ليست لهم حرمة في الغيبة أحدهم صاحب البدعة الغالي ببدعته».

وقال سفيان الثوري: «من أصغى بأذنه إلى صاحب بدعة خرج من عصمة الله ووكل إليها -يعني: إلى البدع-».

وقال **ابن المبارك**: «وإياك أن تجالس صاحب بدعة».

وقال **الإمام ابن تيمية -رحمه الله-**: "ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنّما هو للمسلمين هذا أفضل.

فبين أن هذا نفع عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته، ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولوا لَمْ يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء". ا هـ.

وكتب **أسد بن موسى** -أسد السنة- إلى أسد بن الفرات رسالة طويلة قال فيها: "اعلم يا أخي أن ما حملني من الكتاب إلا ذكر أهل بلدك من صالح ما أعطاك الله من إنصافك الناس وحسن حالك مما أظهرت من السنة، وعيبك لأهل البدع وكثرة ذكرك لهم وطعنك عليهم، فقمعهم الله بك وشد بك ظهر أهل السنة وقواك عليهم بإظهار عيبهم، والطعن عليهم فأذلهم الله بيدك وصاروا ببدعتهم مستترين، فأبشر

يا أخي بثواب ذلك واعتد به من أفضل حسناتك من الصلاة والقيام والجهاد، وأين تقع هذه الأعمال من إقامة كتاب الله تعالى، وإحياء سنة رسول الله ﷺ. إلى أن قال: وإياك أن يكون لك من أهل البدع أخ أو جليس أو صاحب فإنه جاء في الأثر: من جالس صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه ومن مشى إلى صاحب بدعة فقد مشى في هدم الإسلام". ا هـ.

وقال أبو قلابة: لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالهم أو يلبسوا عليكم ما تعرفون، قال أيوب: كان والله من الفقهاء وذوي الألباب.

وروى حماد بن زيد عن أيوب قال: دخل على محمد بن سيرين يومًا رجل فقال: يا أبا بكر، أقرأ عليك آية من كتاب الله على أن أقرأها ثم أخرج. فوضع ابن سيرين إصبعيه في أذنيه، ثم قال: أحرج عليك إن كنت مسلمًا لما خرجت من بيتي. قال: فقال يا أبا بكر لا أزيد على أن أقرأ ثم أخرج، فقام بإزاره يشده عليه وتَهيأ للقيام. قال: فأقبلنا على الرجل فقلنا قد حرج عليك إلا خرجت. فقلنا: يا أبا بكر ما عليك لو قرأ عليك آية ثم خرج. قال: إني والله لو ظننت أن قلبي يثبت على ما هو عليه ما باليت أن يقرأ، ولكن خفت أن يلقي في قلبي شيئًا أجهد أن أخرجه من قلبي فلا أستطيع.

وجاء عن عبد الله بن القاسم أنه قال: سودة -الراوي عنه-

فذكرت ذلك لبعض أصحابنا فقال: تصديقه في حديث النبي ﷺ: «**يَمرقون من الإسلام كما يَمرق السهم من الرمية، ثُمَّ لا يرجعون حتى يرجع السهم إلى فوقه**».

وجاء عن حماد بن زيد عن أيوب قال: كان رجل يرى رأيًا فرجع عنه، فأتيت محمدًا فرحًا بذلك فأخبرته، فقلت: أشعرت أن فلانًا ترك رأيه الذي كان يرى. فقال: انظروا إلى ما يتحول، إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله: «**يمرقون من الإسلام**» لا يعودون إليه. وقال الأوزاعي كان بعض أهل العلم يقولون: لا يقبل الله من ذي بدعة صلاة ولا صدقة ولا صيامًا ولا جهادًا ولا حجًّا ولا صرفًا ولا عدلاً، وكان أسلافكم تشتد عليهم ألسنتهم وتشمئز منهم قلوبُهم ويحذرون الناس بدعتهم.

وجاء عن الحسن البصري قوله: من جالس صاحب بدعة لَمْ يسلم من إحدى ثلاث: إما أن يكون فتنة لغيره، وإما أن يقع في قلبه شيء فيزل به فيدخله الله النار، وإما أن يقول: والله ما أبالي ما تكلموه، وإني واثق بنفسي فمن أمن الله على دينه طرفة عين سلبه إياه.

هذه أمثلة من مواقف السلف الكرام تجاه أهل الفسق والفجور والأهواء والبدع، وهي كما أسلفت غيض من فيض ولغير من ذكرت من السلف مواقف كثيرة كهذه، وما ذلك إلا لما تميز به منهجهم المؤسس على القاعدة الأصلية "الحب في الله والبغض في الله".

نعم؛ إنَّهم يفعلون ذلك لئلا يكون منهم تغطية على سوء أعمالهم،

فينشأ عن ذلك مفاسد عظيمة تسخط الله العلي القدير.

قال الشاطبي -رحمه الله- في هذا المقام: "إن الإيواء يجامع التوقير، ووجه ذلك لأن المشي إليه والتوقير له تعظيم لأجل بدعته، وقد علمنا أن الشرع يأمر بزجره وإهانته وإذلاله بِما هو أشد من هذا، كالضرب والقتل فصار توقيره صدودًا عن العمل بشرع الإسلام، وإقبالاً على ما يضاده وينافيه، والإسلام لا ينهدم إلا بترك العمل به والعمل بِما ينافيه، وأيضًا فإن توقير صاحب البدعة مظنة لمفسدتين تعودان بالهدم على الإسلام:

إحداهما: التفات العامة والجهال إلى ذلك التوقير، فيعتقدون في المبتدع أنه أفضل الناس وأن ما هو عليه أفضل مما عليه غيره فيؤدي ذلك إلى اتباعه على بدعته دون فهم لقوله.

الثانية: أنه إذا وقر من أجل بدعته صار ذلك كالحافز المحرض له على إنشاء الابتداع في كل شيء. وعلى كل حال فتحيا البدع وتموت السنن وهو هدم الإسلام بعينه". اهـ.

قلت: يا الله ما أخطر البدع في دين الله، وما أعظمها في نفوس السلف وإن دقت في أعين الناس، واسمع معي أيها الناصح لنفسه، هذه القصة:

قال أبو مصعب صاحب الإمام مالك -رحمهما الله تعالى-: "قدم علينا ابن مهدي -يعني المدينة- فصلى ووضع رداءه بين يدي الصف،

فلما سلم الإمام رمقه الناس بأبصارهم، ورمقوا مالكًا وكان قد صلى خلف الإمام فلما سلم قال: من هاهنا من الحرس؟ فجاءه نفسان، فقال: خذا صاحب هذا الثوب فاحبساه، فحبس فقيل له: إنه ابن مهدي فوجه إليه وقال له: أما خفت الله واتقيته أن وضعت ثوبك بين يديك في الصف، وشغلت المصلين بالنظر إليه وأحدثت في مسجدنا شيئًا ما كنا نعرفه، وقد قال النبي ﷺ: «**من أحدث في مسجدنا حدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**». فبكى ابن مهدي وآلى على نفسه أن لا يفعل ذلك أبدًا في مسجد النبي ﷺ ولا غيره، وهذا في غاية التوقي في ترك إحداث ما لَمْ يكن خوفًا من تلك اللعنة فما ظنك بِما سوى وضع الثوب". ا هـ.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

س٤ ما ضوابط العذر بالجهل في نظر علماء السلف وأتباعهم باختصار؟

ج٤: قبل الجواب على هذا السؤال المهم يحسن تدوين مقدمة بين يديه يتضح فيها فضل العلم والعلماء، وذم الجهل والجاهلين، فأقول مستعينًا بالله:

إن المتتبع لنصوص كتاب الله العظيم، وما صح من سنة نبيه الكريم وآثار سلفنا الصالح، يجد كثيرًا منها يحمل في مبناه ومعناه ثناء جميلاً على العلم الشرعي الشريف، وأهله الذين حملوه فعلقوه وأحبوه وعملوا به آناء الليل وأطراف النهار، سرًّا وجهرًا ورغبًا ورهبًا وطوعًا واختيارًا،

وها أنا سأذكر ما تيسر لي ذكره وتدوينه على وجه السرعة لكي أصل إلى صلب الموضوع قبل إملال القارئ بكلام طويل:

١- قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة:٣١-٣٣].

فقد دلت هاتان الآيتان المحكمتان على فضل العلم الشرعي وشرفه وتكريم الله لأهله وإعلان فضلهم على من سواهم وإن كان من سواهم ملائكة كرامًا.

٢- وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [الرعد:١٩].

والمعنى كما قال ابن كثير: "لا يستوي من يعلم من الناس أن الذي أنزل إليك يا محمد من ربك هو الحق الذي لا شك فيه، ولا اختلاف فيه بل كله حق يصدق بعضه بعضًا، وأوامره ونواهيه عدل، ومن هو أعمى لا يهتدي إلى الخير ولا يفهمه، ولو فهمه ما انقاد إليه ولا اتبعه". ا هـ.

قلت: ومن أمعن النظر في الآية المذكورة علم علم اليقين أن العالم بالله وبأمره لا يستوي هو ومن عاش في دار العمل في جهله وضلاله، وأنهما لا يلتقيان في خط بحال، لأن الضدين لا يجتمعان، والنقيضين لا

يتفقان، وحقًّا ما قاله رسول رب العالمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: «**من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين**» الحديث.

٣- وقال ﷻ: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [الزمر: من الآية٩].

أي: لا يستوي من كان عالِمًا بربه وعالِمًا بدينه الشرعي والجزائي وما له سبحانه في ذلك من الحكم والأسرار، ومن لا يعلم من ذلك شيئًا، لا يستوي هؤلاء وهؤلاء كما لا يستوي الليل والنهار، والظلام والضياء، والنار والماء وغيرها من المتضادات إذن فالآية دليل صريح على فضل العلم ومقامه الرفيع، وعلى فضل العلماء الفضلاء وشرفهم الشرعي الأصيل، وأعني بهم الذين يعملون بعلمهم في غبطة وسرور، إذ لا لذة لذوي الإيمان في حياة العمل إلا في العلم بشرع الله الطاهر النقي، والعمل به ابتغاء وجه الله ونيل رضاه، والفوز بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة.

٤- وقال -تبارك وتعالى-: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ**﴾ [آل عمران: من الآية١٨].

فإن هذه الآية الكريمة بيان لفضيلة العلم الشرعي والعلماء به، حيث خصهم الله بالذكر من دون سائر البشر، وقرن شهادتَهم بشهادته الصادقة العادلة، وشهادة ملائكته البررة الكرام، وجعل شهادتَهم تلك من أبرز الأدلة وأكبر البراهين على توحيده سبحانه وثبوت دينه وجزائه،

وأوجب على جميع المكلفين قبول هذه الشهادة العادلة الناطقة بالحق وفي ضمنها تعديلهم، وأن الخلق تبع لهم، وأنَّهم هم أئمة الهدى ومصابيح الدجى ودعاة الخير، وقادة الصلاح والفلاح والإصلاح لمن وفق للإئتمام بهم والتطلع إلى الفضل الذي نالوه والشرف الذي أحرزوه والمكانة التي ظفروا بها، والتي لا يحدد قدرها أحد من البرية، فهنيئًا لهم ما ذكر، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: من الآية٢١].

٥- وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: من الآية١١].

وهذه الآية كسابقتها في فضيلة العلم، وأن زينته وثمرته هما التأدب بآدابه والتحلي بفضائله، والعمل بما دل عليه واقتضاه.

٦- وقال -عز شأنه-: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: من الآية٧٩]. قال ابن عباس فيها: «أي كونوا علماء فقهاء».

وقد ذكر العلماء في وجه هذه التسمية أقوالاً منها:

أ- لأنَّهم يربون العلم أي يقومون به كما يقال لكل من قام لإصلاح شيء وإتمامه: "ربَّهُ، يربه، فهو رب له".

ب- وقيل: سموا بذلك لأنَّهم يربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها وزيدت الألف والنون للمبالغة في النسبة.

ج- وقيل: الربانيون هم: العلماء بالحلال والحرام.

ومن ضمن ما قال ابن جرير في تفسيرها: (الربانيون هم عماد الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا، وكذا قال مجاهد: هم فوق الأحبار لأن الأحبار هم العلماء، والرباني الجامع بين العلم والفقه، والبصير في السياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية، وما يصلحهم في دينهم ودنياهم.

٧- ولفضل العلماء بالله وبأمره فقد وصفهم بخشيته بل حصرها فيهم على وجه الكمال حيث قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: من الآية٢٨].

وما ذلك إلا لأنَّهم يدلون على ما من خصهم بالعلم بقولهم السديد وسمتهم الطيب وعملهم الصالح المجيد.

٨- كما وصفهم -جل وعلا- في آخر سورة الفرقان باثنتي عشرة صفة من صفات الكمال التي ارتضاها لعباده ودعاهم إلى التحلي بها حيث قال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: من الآية٦٣] إلى نهاية قوله: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِما صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا﴾ [الفرقان:الآية٧٥].

٩- ويكفي العلم شرفًا وفضلاً وأهله سعادة ونبلاً أن الله قد جعله إمامًا للعمل وشرطًا في صحته وقبوله إذ قال وقوله الحق: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد:الآية١٩].

فبدأ بالعلم قبل القول والعمل، وغير هذه الآيات في فضل العلم والعلماء كثير.

وأما ما صح من سنة النبي ﷺ فهو كذلك كثير جدًّا ومنه:

١- ما رواه أحمد وغيره وابن ماجه من حديث قيس بن كثير حيث قال: «قدم رجل من المدينة إلى أبي الدرداء وهو بدمشق فقال: ما أقدمك يا أخي؟ قال حديث بلغني أنك تحدث به عن رسول الله ﷺ. قال: أما قدمت لتجارة؟ قال: لا. قال: أما قدمت لحاجة ؟ قال: لا. قال: ما قدمت إلا في طلب ذا الحديث؟ قال: نعم. قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإنه ليستغفر للعالم من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لَمْ يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنَّما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**». هذا لفظ أحمد.

٢- ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال: رسول الله ﷺ: «**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به**

طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لَمْ يسرع به نسبه».

ففي الحديث الأول بيان لثلاثة مسائل مهمة:

المسألة الأولى: فضل العلم وشرف الرحلة فيه.

المسألة الثانية: تكريم الملائكة للعلم وطلابه، حيث تضع لهم أجنحتها تواضعًا وتوقيرًا.

المسألة الثالثة: تسخير الله للحيوانات في الاستغفار لطلاب العلم، وما ذلك إلا لأنَّهم أهل المعرفة بالحلال والحرام وبالحقوق المتعلقة بما يجوز وما يمتنع، وما يحل وما يحرم في كل جانب من جوانب الدين.

وفي الحديث الثاني ترغيب عظيم في أعمال جليلة وأخلاق كريمة تدل على حسن خلق المتخلق بِها ورحابة صدره وصفاء قلبه وجودة عقله وفكره ألا وهي:

أ- تنفيس كرب المكروبين من المسلمين في حدود ما يقدر عليه البشر.

ب- والتيسير على المعسرين منهم.

ت- وستر عوراتِهم والتغاضي عن زلاتِهم.

ث- ومد يد العون والمساعدة للإخوة المؤمنين.

ج- وسلوك طريق طلب العلم الشريف ميراث الأنبياء والمرسلين.

ح- ومدارسة كتاب الله الكريم الذي نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين ﷺ بلسان عربي مبين.

كما فيه أيضًا بيان جليّ لما يترتب من الجزاء الكريم الحسن على تلك الأفعال الحميدة والأخلاق النبيلة التي ارتضى الله أن يكون الجزاء عليها من جنسها.

فتأمل يا طالب العلم فقرات هذا الحديث فإنك ستجد أعلى تلك الصفات هي طلب العلم، وستجد أكمل الجزاء وأجزله هو ما يترتب عليه من شرف الدنيا ولذة الحياة فيها ونعيم الآخرة وأبدية المقام بها.

٣- ما رواه الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن مثل ما بعثني الله به ﷻ من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنّما هي قيعان لا تُمسك ماءً ولا تنبت كلاً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لَمْ يرفع بذلك رأسًا ولَمْ يقبل هدى الله الذي أرسلت به**».

ففي هذا الحديث حث صريح على طلب العلم وتلقيه للعمل به وتبليغه ونشره، وقد اعتبر النَّبي ﷺ فيه قلوب الناس كمثل الأرض في قبول الماء وعدم قبوله، فشبه من تحمل العلم والحديث وتفقه فيه بالأرض

الطيبة أصابَها المطر فأنبتت وانتفع بها الناس، وشبه من تحمل ولكنه لَمْ يتفقه فيه كالأول بالأرض الصلبة لا تنبت ولكنها تمسك الماء فيأخذه الناس وينتفعون به، وشبه النوع الثالث بالأرض التي هي قيعان سبخة لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً، وذلك لأنَّهم لا خير فيهم إذ ليست لهم قلوب حافظة ولا أفهام واعية، فإذا سمعوا لَمْ يفهموا و لم ينتفعوا، فتأمل يا أخي المسلم واحرص أن تكون فردًا من أفراد الطائفة الأولى الذين شرفهم الله بالعلم والفقه وتبليغه ومحبته ونشره.

قال الإمام البغوي -رحمه الله-: العلوم قسمان:

أ - علم الأصول.

ب- علم الفروع.

أما علم الأصول: فهو معرفة الله ﷻ بالوحدانية والصفات وتصديق الرسل، على كل مكلف معرفته، ولا يسع فيه التقليد لظهور آياته، ووضوح دلائله قال الله تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّه**﴾ [محمد: من الآية١٩].

وقال تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقّ**﴾ [فصلت: من الآية٥٣].

وأما علم الفروع: فهو معرفة الفقه ومعرفة أحكام الدين، فينقسم إلَى: فرض عين، وفرض كفاية.

أما فرض العين: فمثل علم الطهارة والصلاة والصوم، فعلى كل مكلف معرفته، قال النبي ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»،

وكذلك كل عبادة أوجبها الشرع على كل واحد فعليه معرفة علمها، مثل علم الزكاة إن كان له مال، وعلم الحج إن وجب عليه.

وأما فرض الكفاية: فهو أن يتعلم ما يبلغ به رتبة الاجتهاد ودرجة الفتيا، فإذا قعد أهل بلد عن تعلمه عصوا جميعًا، وإذا قام واحد منهم بتعليمه سقط الفرض عن الآخرين، وعليهم تقليده فيما يعن لهم من الحوادث، قال الله تعالى: ﴿**فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل: من الآية٤٣].

٤- ما رواه البخاري وغيره من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين، والله المعطي وأنا القاسم، ولا تزال هذه الأمة ظاهرين على من خالفهم حتى يأمر الله وهم ظاهرون**».

ففي منطوق هذا الحديث الجليل شهادة كريمة من الصادق الأمين على فضل العلم وأهله الذين بذلوا الجهد الكبير في تعلمه ليعملوا به في مدة حياتهم امتثالاً لأمر الله، وحرصًا على متابعة رسوله ﷺ وحبًّا في نيل الرضى من الله، وكسب السعادة الدائمة في حياة العمل وحياة الجزاء عليه في البرزخ ويوم يقوم الأشهاد.

كما أن في مفهومه شهادة ظاهرة عادلة من المصطفى الكريم -عليه الصلاة والسلام- على ذم الجهل بالدين، واختيار متاع الحياة الدنيا وزينتها والتلهي بها عن الحكمة التي أوجد الله البرية من أجلها، ألا وهي عبادته وحده بكل ما تحمل كلمة العبادة من معنى، فضع يا أخي المسلم

نفسك في المكان الذي ارتضاه لك ربك ورغبك فيه وحثك عليه نبيك، لتفوز بسعادة الدارين وتنجو من الشقاء فيهما، وإياك إياك أن توبق نفسك بإعراضك عن التفقه في دين الله، وإهمالك العلم به فتكون من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة وذلك هو الخسران المبين.

٥- وما رواه الشافعي والترمذي وابن ماجه وغيرهم، من حديث عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**نضر الله امرًا سمع مقالتي فبلغها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه**» زاد فيه علي بن محمد: «**ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئٍ مسلم إخلاص العلم لله، والنصح لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم**».

وفي هذا الحديث دعاء رحيم ممن أوتي جوامع الكلم وحبب إلى قلبه العلم والعلماء نبينا محمد ﷺ بالنضارة لحملة العلم ورواة الحديث ومبلغيه إلى غيرهم من محتاجيه برعاية وأمانة وصدق وإخلاص، ينشدون نشره وانتشاره في دنيا البشر ليأخذوا منه زادهم وهم في طريقهم إلى الله مولاهم الحق، وليحشروا تحت لواء صاحب المقام المحمود والحوض المورود إمام العلماء العاملين وقائد المحدثين الأمناء الصادقين، بل وجميع الغر المحجلين رسولنا محمد -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين- فأكرم بذلك شرفًا ومجدًا وسعادة وملكًا كبيرًا وودًا لأهل الفقه في دين الله الذين يعملون به ويبلغونه إلى عباد الله، ولأهل الحديث الذين تجشموا

المصاعب والمتاعب في حفظه وروايته ليكون لهم لسان صدق في الآخرين وذخرًا دائمًا في جنات النعيم مع المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

٦- وجاء في الأوسط للطبراني بإسناد حسن أن أبا هريرة ﷺ مرّ بالسوق فقال: «يا أهل السوق ما أعجزكم قالوا: وما ذاك ؟ قال: ميراث رسول الله ﷺ يقسم وأنتم هاهنا. قالوا: وأين ؟ قال: في المسجد، فخرجوا سراعًا ثم رجعوا فقالوا: لَمْ نر فيه شيئًا يقسم، رأينا قومًا يصلون، وقومًا يقرءون القرآن، وقومًا يتذاكرون الحلال والحرام، فقال: ويحكم فذاك ميراث نبيكم».

قلت: ومن أمعن النظر في هذا الأثر أدرك ما كان عليه أولئك العلماء الأمجاد الذين تخرجوا من مدرسة رسول الله ﷺ كأبي هريرة وزملائه من المهاجرين والأنصار من حب للعلم الذي ورثه نبي الرحمة والهدى ﷺ ، ولما له ولأهله من الفضل الكبير والقدر الجليل، وأنه هو الميراث الحقيقي الذي تنتفع به البشرية وتطيب به الحياة لا بشيء سواه، حيث تحيا به القلوب بعد موتِها، وتصح به بعد سقمها وتستيقظ به بعد غفلتها، وتنْزجر به النفوس بعد جموحها وطغيانِها وعن جريها وراء شهواتِها، وعن تعديها لما لا يحل لها أن تتعداه إلى ما فيه حتفها وشقاؤها، وتنقاد له الجوارح الخاشعة طوعًا واختيارًا طمعًا في مرضات ربِّها واستجابة لنداء الإيْمان الذي بذره العلم في داخلها.

فالعلم العلم يا أخا الإسلام فإن مثل ذويه في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تقل الهداة كما في الأثر المروي في هذا المعنى والله يتولاك ويرعاك في آخرتك ودنياك.

٧- وما رواه الشيخان وغيرهما من حديث أبي واقد الليثي قال: «بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ فوقفا عليه، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: **ألا أخبركم عن النفر الثلاثة، أما أحدهم فآوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه**».

قلت: وعند التأمل في هذا النص الكريم يستفيد المتأمل أشياء جديرة بالاهتمام بها:

الشيء الأول: أن الواجب على وارثي علم النَّبي ﷺ أن يجلسوا للناس ليفقهوهم في الدين ويهدوهم إلى الصراط المستقيم في بيوت الله الطاهرة المعظمة التي بنيت لتؤدى فيها العلم ونوافله، وفرائض الصلاة ونوافلها وعبادة الاعتكاف فريضة أو نافلة اقتداء في كل ذلك بالنَّبي الكريم والمعلم العظيم رسول رب العالمين ﷺ ، فلقد كان جلّ جلوسه في المسجد معلمًا ومفتيًا وموجهًا ومرشدًا، وآمرًا وناهيًا وذاكرًا ومصلحًا.

الشيء الثاني: بيان فضل المشاركة في الجلوس في حلقات التفقه في الدين، ويا الله كم من فضل وعز، وشرف وسؤدد في الجلوس في حلقات العلم قد ثبت نقله عن المعصوم ﷺ ومنه هذا الحديث.

ب- ومنه ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن لله -تبارك وتعالى- ملائكة سيارة فضلاً يتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، قال: فيسألهم الله ﷻ -وهو أعلم بِهم-: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك. قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك، قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا أي رب. قال: فكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرونك. قال: ومم يستجيرونني؟ قالوا: من نارك يا رب. قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا. قال: فكيف لو رأوا ناري. قالوا: ويستغفرونك. قال: فيقول قد غفرت لهم فأعطيتهم ما سألوا وأجرتُهم مما استجاروا قال: فيقولون: رب فيهم فلانٌ عبدٌ خطّاء إنّما مرّ فجلس معهم، قال: فيقول: وله غفرت هم القوم لا يشقى بِهم جليسهم**».

ج- ومنها ما أورده الهيثمي في المجمع معزوًا إلى الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا**. قالوا: يا رسول الله وما رياض الجنة ؟ قال:

مجالس العلماء». وغير ذلك في هذا المعنى كثير.

الشيء الثالث: خطر الإعراض عن طلب علم أصول الدين التي سبق أن نقلنا عدم جواز التقليد فيها وبيان أن الجهل بها سبب في العذاب المهين، وذلك أن من أعرض عن مجالس التفقه في دين الله فإنه سيعيش حتمًا في هذه الحياة أعمى، وسيحشر يوم القيامة على ما مات عليه أعمى، كما قال المولى سبحانه: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى**﴾ [طه:١٢٤-١٢٦].

وقال أيضًا: ﴿**وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا**﴾ [الإسراء:٧٢].

٨- ما رواه الإمام أحمد وغيره بإسناد جيد من حديث صفوان بن عسال المرادي ﷺ قال: «أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد متكئ على برد له أحمر فقلت له: يا رسول الله جئت أطلب العلم؟ فقال: **مرحبًا بطالب العلم، إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها ثم يركب بعضهم بعضًا حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب»**.

فانظر يا طالب العلم مدى قدر العلم وقدر طالبه في ميزان النبوة المستقيم، وخذ القدوة من هذا الخلق النبوي الكريم، وقل على سبيل الدوام مرحبًا بطالب العلم قولاً وفعلاً، واعلم أن القول وحده لا يجدي

إذا لَمْ يوافقه الفعل عن محبة واقتناع، ورحم الله القائل في هذا المعنى:

ومرحبًا قل لمن يأتيك يطلبه　　　وفيهم احفظ وصايا المصطفى بِهم

٩- ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**».

ففي هذا الحديث الكريم بشرى كريمة لمن وفقه الله في حياة العمل وأقدره على تقديْم تلك الثلاثة مجتمعة، فقدم صدقة جارية كوقف يُدرُّ على طلاب العلم الشريف، أو على الفقراء والمساكين من المسلمين وحبذا لو تكون على الأقارب فيحظى بالصدقة وأجر الصلة، أو في مشروع من المشاريع النافعة للإسلام والمسلمين فإن ثوابه يجري على من أجراه في حال الحياة وبعد الممات، وقدم علمًا شرعيًّا تنتفع به الأمة في حياتِها وبعد مماتِها بطريق تعليمه أو بطريق تأليفه أو بأي واسطة من وسائل النفع، وقدم ولدًا صالحًا من ذكر أو أنثى بحيث رباهم تربية صالحة، وطالت بِهم الحياة بعد موته فإن كل ما عملوه من خير مطلقًا فإن للوالد الكافل المربي نصيبًا وافرًا من أجر ذلك الخير سواء كان واجبًا أو مستحبًّا، ومن جملة ذلك الدعاء في الصلاة وغيرها، ومن لَمْ يستطع إلا على تقديْم البعض فله نصيب من الأجر، وربك الغفور ذو الرحمة لا يضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى وهو مؤمن وغير هذه الأحاديث في فضل العلم والعلماء كثير، وإنَّما ذكرت هذه التسعة منها على سبيل

المثال لا على سبيل الحصر، كما هو معلوم لدى القراء الكرام.

وأما ما ثبت من الآثار في فضل العلم وأهله عن سلفنا الصالح أصحاب القرون المفضلة ومن تأسى بِهم، فهي كثيرة تحمل الترغيب في التحلي بالعلم والعمل به، لأنه ميراث النبوة والمنقذ من داء الجهل، ومنها:

١- **قول ابن مسعود** ﷺ: «وعليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إلى ما عنده».

٢- **ومنها قول معاذ** ﷺ: «تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل أهل الجنة، وهو الأنيس في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلاء، يرفع الله به أقوامًا فيجعلهم في الخير قادة، وأئمة تقتص آثارهم ويقتدى إلى أفعالهم وينتهي إلى رأيهم، وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم، يستغفر لهم كل رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه، لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصابيح الأبصار من الظلم، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة، التفكر فيه يعدل الصيام، ومدارسته تعدل القيام، به توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال والحرام، إمام العمل والعمل

تابعه، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء ».

٣- **ومنها قول ابن عباس** ﷺ: «تدارس العلم ساعة من الليل خير من إحيائها».

٤- **ومنها قول ابن مسعود أيضًا لأصحابه:** «كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى، أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب، تعرفون في السماء وتخفون على أهل الأرض».

٥- **ومنها قول الحسن البصري -رحمه الله-:** «من طلب العلم يريد به ما عند الله كان خيرًا له مما طلعت عليه الشمس ».

٦- **ومنها قول قتادة:** «باب من العلم يحفظه الرجل لصلاح نفسه وصلاح من بعده أفضل من عبادة حول».

٧- **قول سفيان الثوري -رحمه الله-:** «ليس عمل بعد الفرائض أفضل من طلب العلم».

٨- **ومنها قول ابن وهب -رحمه الله-:** «كنت عند مالك بن أنس قاعدًا أسأله، فرآني أجمع كتبي لأقوم، قال: مالك أين تريد ؟، قال: قلت: أبادر إلى الصلاة، قال: ليس هذا الذي أنت فيه دون ما تذهب إليه إذا صح فيه النية».

٩- **ومنها قول سفيان في تفسير الجماعة:** «لو أن فقيهًا على رأس جبل لكان هو الجماعة».

١٠- **ومنها قول الحسن بن صالح:** «لأن الناس يحتاجون إلى هذا في

دينهم كما يحتاجون إلى الطعام والشراب في دنياهم».

١١- **ومنها قول مطرف بن عبد الله بن الشخير:** «حظٌّ مِن عِلْم أحبُّ إلي من حظ من عبادة».

١٢- **ومنها قول الشافعي:** «طلب العلم أفضل من صلاة النافلة».

قلت: ولقد ترنم الشعراء بفضل العلم والعلماء عبر تاريخ عصورهم وهذه مقتطفات من أشعارهم:

قال علي بن أبي طالب في كلام الحكيم ويعني به طالب العلم:

كلام الحكيم حياة القلوب ... كوبل السماء غياث الأمم

فنطق الحكيم جلاء الظلم ... وصمت الحكيم وعاء الحكم

حياة الحكيم جلاء القلوب ... كضوء النهار يجلي الظلم

وقال الوراق -رحمه الله-:

والعلم زين وتشريف لصاحبه ... أتت إلينا بذا الأنباء والكتب

والعلم يرفع أقوامًا بلا حسب ... فكيف من كان ذا علم له حسب

فاطلب بعلمك وجه الله مُحتسبًا ... فما سوى العلم فهو اللهو واللعب

وقال بعض الأدباء:

يعد رفيع القوم من كان عالمًا ... وإن لَمْ يكن في قومه بحسيب

وإن حل أرضًا عاش فيها بعلمه ... وما عالم في بلدة بغريب

وقال آخر:

العلم زين وكنز لا نفاد له ... نعم القرين إذا ما عاقلاً صحبا
قد يجمع المرء مالاً ثم يسلبه ... عما قليل فيلقى الذلّ والحربا
وجامع العلم مغبوط به أبدًا ... فلا يحاذر فوتًا لا ولا هربا
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه ... لا تعدلنَّ به دارًا ولا ذهبا

وقال آخر:

يطيب العيش إذ تلقى لبيبًا ... غذاه العلم والرأي المصيب
فيكشف عنك حيرة كل جهل ... ففضل العلم يعرفه الأديب
سقام الحرص ليس له دواء ... وداء الجهل ليس له طبيب

وقال الشيخ سليمان بن سحمان -رحمه الله- في الثناء على العلم والحث على طلبه:

يا تاركًا لمراضي الله أوطانًا ... وسالكًا في طريق العلم أحزانًا
كن باذل الجد في علم الحديث تنل ... كل العلوم وكن بالأصل مشتانا
فالعلم أفضل مطلوب وطالبه ... من أكمل الناس ميزانًا ورجحانًا
والعلم نور فكن بالعلم معتصمًا ... إن رمت فوزًا لدى الرحمن مولانا
وهو النجاة وفيه الخير أجمعه ... والجاهلون أخف الناس ميزانًا
والعلم يرفع بيتًا كان منخفضًا ... والجهل يخفضه لو كان ما كانا
وأرفع الناس أهل العلم منزلة ... وأوضع الناس من قد كان حيرانا

لا يهـتدي لطريق الحق من عمه ... بل كان بالجهل ممن نال خسرانا
وطالـب العـلم إن يظفر ببغيته ... يـنال بالعـلم غفرانًا ورضوانًا
فاطلـبه مجتهدًا ما دمت محتسبًا ... لا تبـتغي بدلاً إن كنت يقظانا
مـن ناله نال في الدارين منـزلة ... أو فاتـه نـال خسرانًا ونقصانا
وبـاذل الجـد في تحصيله زمنًا ... ولَـم يكن نال بعد الجد عرفانا
فلـن يضيع لـه سعي ولا عمل ... عـند الإلـه ولا يوليه خسرانا
فطالـب العلم إن أصفى سريرته ... يـنال مـن ربنا عفوًا ورضوانا
فالعلم يرفعه فِي الخلد منـزلة ... والجهل يصليه يوم الحشر نيرانا

وقال آخر في فضل العلماء وفضل مجالستهم والاقتداء بِهم:

علم الحديث أجل السؤل والوطر ... فاقطع به العيش تعرف لذة العمر
فـانقل رحالك في مغناك مرتحلا ... لكـي تفـوز بـنقل العلم والأثر
ولا تقـل عاقني شغل فليس يرى ... في الـترك للعـلم من عذر لمعتذر
وأي شـغل كمـثل العلم تطلبه ... ونقل ما قد رووا عن سيد البشر
ألهـى عـن العلم أقوامًا تطلبهم ... لذات دنيا غـدوا منها على غرر
وخلفـوا مـا له حظ ومكرمة ... إلى الـتي هي دأب الهون والخطر
وأي فخـر بدنـياه لمن هدمت ... معايـب الجهـل منه كل مفتخر
يفـنى الرجال ويبقى علمهم لهم ... ذكـرًا يجـدد في الآصال والبكر
ويذهـب الموت بالدنيا وصاحبها ... وليس يبقى لـه في الناس من أثر
تظـن أنـك بالدنـيا أخو كبر ... وأنت بالجهل قد أصبحت ذا خطر

ليس الكبير عظيم القدر غير فتى ... ما زال بالعلم مشغولاً مدى العمر
قد زاحمت ركبتاه كل ذي شرف ... في العلم والحلم لا في الفخر والبطر
فجالس العلماء المقتدى بِهم ... تستجلب النفع أو تأمن من الضرر
هم سادة الناس حقًّا والجلوس لهم ... زيادة هكذا قد جاء فِي الخبر

وقال الشيخ حافظ بن أحمد بن علي الحكمي في ميميته في بيان فضل العلم وشرف أهله:

العلم أغلى وأحلى ما له استمعت ... أذن وأعرب عنه ناطق بفم
العلم غايته القصوى ورتبته العلياء ... فاسعوا إليه يا ذوي الهمم
العلم أشرف مطلوب وطالبه ... لله أكرم من يمشي على قدم
العلم نور مبين يستضيء به ... أهل السعادة والجهّال في الظلم
العلم أعلى حياة للعباد كما ... أهل الجهالة أموات بجهلهم
لا سمع لا عقل بل لا يبصرون ... وفي السعير معترف كل بذنبهم
فالجهل أصل ضلال الحق قاطبة ... وأصل شقوتِهم طرًّا وظلمهم
والعلم أصل هداهم مع سعادتِهم ... فلا يضل ولا يشقى ذوو الحكم
والخوف بالجهل والحزن الطويل به ... وعن أولي العلم منفيان فاعتصم
العلم والله ميراث النبوة لا ... ميراث يشبهه طوبى لمقتسم
لأنه إرث حق دائم أبدًا ... وما سواه إلى الإفناء والعدم
ومنه إرث سليمان النبوة ... والفضل المبين فما أولاه بالنعم
كذا دعا زكريا ربه بولي ... الآل خوف الموالي من ورائهم

العلم ميزان شرع الله حيث به قوامه وبدون العلم لَمْ يقم
وكلما ذكر السلطان في حجج فالعلم لا سلطة الأيدي لمحتكم
فسلطة اليد بالأبدان قاصرة تكون بالعدل أو بالظلم والغشم
وسلطة العلم تنقاد القلوب لها إلى الهدى وإلى مرضاة ربِّهم
ويذهب الدين والدنيا إذا ذهب العلم الذي فيه منجاة لمعتصم
العلم يا صاح يستغفر لصاحبه أهل السموات والأرضين من لم
كذاك تستغفر الحيتان في لجج من البحار له في الضوء والظلم
وخارج في طلاب العلم محتسبًا مجاهد في سبيل الله أي كمي
وإن أجنحة الأملاك تبسطها لطالبيه رضى منهم بصنعهم
والسالكون طريق العلم يسلكهم إلى الجنان طريقًا باري النسم
والسامع العلم والواعي ليحفظه مؤديًا ناشرًا إياه في الأمم
فيا نضارته إذ كان متصفًا بذا بدعوة خير الخلق كلهم
كفاك في فضل أهل العلم أن رفعوا من أجله درجات فوق غيرهم
وكان فضل أبينا في القديم على الأملاك بالعلم من تعليم ربِّهم
كذاك يوسف لَمْ تظهر فضيلته للعالمين بغير العلم والحكم
وما اتباع كليم الله للخضر المعروف إلا لعلم عنه منبهم
مع فضله برسالات الإله له وموعد وسماع منه للكلم
وقدم المصطفى بالعلم حامله أعظم بذلك تقديمًا لذي قدم
كفاهم أن غدوا للعلم أوعية وأضحت الآي منه في صدورهم

وأن غدوا وكلاء في القيام به ... قولاً وفعلاً وتعليمًا لغيرهم
وخصهم ربنا قصرًا بخشيته ... وعقل أمثاله في أصدق الكلم
ومع شهادته جاءت شهادتُهم ... حيث استجابوا وأهل الجهل في صمم
ويشهدون على أهل الجهالة بالمولى ... إذا اجتمعوا في يوم حشرهم
والعالمون على العباد فضلهم ... كالبدر فضلاً على الدري فاغتنم
وعالم من أولي التقوى أشد على ... الشيطان من ألف عباد بجمعهم
وموت قوم كثير العد أيسر من ... حبر يَموت مصاب واسع الألَم
كما منافعه في العالم اتسعت ... وللشياطين أفراح بِموتِهم
تالله لو علموا شيئًا لما فرحوا ... لأن ذلك من أعلام حتفهم
هم الرجوم بحق كل مسترق ... سمعًا كشهب السماء أعظم بشهبهم
لأنّها لكلا الجنسين صائبة ... شيطان إنس وجن دون بعضهم
هم الهداة إلى أهدى السبيل وأهـ ... ـل الجهل عن هديهم ضلوا لجهلهم
وفضلهم جاء فِي نص الكتاب وفِي ... الحديث أشهر من نار على علم

إلى أن قال: نبذة في وصية طالب العلم:

يا طالب العلم لا تبغي به جدلاً ... فقد ظفرت ورب اللوح والقلم
وقدر العلم واعرف قدر حرمته ... في القول والفعل والآداب فالتزم
واجهد بعزم قوي لا انثناء له ... لو يعلم المرء قدر العلم لَمْ ينم
والنصح فابذله للطلاب محتسبًا ... في السر والجهر والأستاذ فاحترم
ومرحبًا قل لمن يأتيك يطلبه ... وفيهم احفظ وصايا المصطفى بهم

والنـــية اجعل لوجه الله خالصة ... إن البـــناء بدون الأصل لَمْ يقم
ومـــن يكـــن ليقول الناس يطلبه ... أخســـر بصفقته في موقف الندم
ومن به يبتغي الدنـــيا فليس لـــه ... يوم القيامـــة من حظ ولا قســـم

إلى أن قال:

وبـــالمهم المهـــم ابـــدأ لتدركه ... وقـــدم الـــنص والآراء فافتهم
قـــدم وجوبًا علوم الدين إن بها ... بين نَهج الهدى من موجب النقم
وكـــل كسر الفتى فالدين جابره ... والكسر في الدين صعب غير ملتئم
دع عنك ما قاله العصري منتحلاً ... وبالعتـــيق تمســـك قط واعتصم
مـــا العـــلم إلا كتاب الله أو أثر ... يجلـــو بـــنور هـــداه كل منبهم
ما ثم علم سوى الوحي المبين وما ... مـــنه اســـتمد ألا طـــوبى لمغتنم
والكـــتم للعلم فاحذر إن كاتمه ... في لعـــنة الله والأقـــوام كـــلهم
ومـــن عقوبـــته أن في المعاد لـــه ... مـــن الجحيم لجامًا ليس كاللجم
وصـــائن العلم عمن ليس يحمله ... مـــاذا بكتمان بل صون فلا تلم
وإنَّمـــا الكـــتم منع العلم طالبه ... مـــن مستحق له فافهم ولا تَهم
وأتـــبع العلم بالأعمال وادع إلى ... ســـبيل ربـــك بالتبيان والحكم
وأصبر على لاحق من فتنة وأذى ... فيه وفي الرسل ذكرى فاقتد بهم
لواحـــد بـــك يهديـــه الإله لذا ... خـــيرا غدًا لك من حمر من النعم
واسلك سواء الصراط المستقيم ولا ... تعدل وقل ربِّي الرحمن واستقم

ولإبراهيم بن مسعود الإلبيري من قصيدة طويلة قوله:

أبا بكر دعوتك لو أجبتا ... إلى ما فيه حظك لو عقلتا

إلى علم تكون به إماما ... مطاعًا إن نهيت وإن أمرتا

ويجلو ما بعينيك من غشاها ... ويهديك الطريق إذا ضللتا

وتحمل منه في ناديك تاجا ... ويكسوك الجمال إذا عريتا

ينالك نفعه ما دمت حيًّا ... ويبقى ذكره لك إن ذهبتا

هو الغضب المهند ليس ينبو ... تصيب به مقاتل من أردتا

وكنز لا تخاف عليه لصًا ... خفيف الحمل يوجد حيث كنتا

يزيد بكثرة الإنفاق منه ... وينقص إن به كفا شددتا

فلو قد ذقت من حلواه طعمًا ... لآثرت التعلم واجتهدتا

ولَم يشغلك عنه هوى مطاع ... ولا دنيا بزخرفها فتنتا

ولا ألهاك عنه أنيق روض ... ولا خود بزينتها كلفتا

فقوت الروح أرواح المعاني ... وليس بأن طعمت ولا شربتا

فواظبه وخذ بالجد فيه ... فإن أعطاكه الله انتفعتا

وإن أعطيت فيه طويل باع ... وقال الناس إنك قد علمتا

فلا تأمن سؤال الله عنه ... بتوبيخ علمت فهل عملتا

فرأس العلم تقوى الله حقًّا ... وليس لأن يقال لقد رأستا

وإن ألقاك فهمك فِي مهاو ... فليتك ثُمَّ ليتك ما فهمتا

وقال آخر:

سلام يفوق المسك عرف شذائه ... ويفضح بون الصبح نور ضيائه
ويسري إلى من أمة نفح طيبه ... فيعقبه في صبحه ومسائه
على حافظ الود المقيم على الإخا ... ومن قابل الحسنى بحسن فنائه
فيا راكبًا أبلغه مني رسالة ... بها فهمه يذك نار ذكائه
وصية حق بالإشارة أو مات ... إلى نصح مليها وعظم اعتنائه
ومن بعد إقراء السلام فقل له ... على العلم فاحرص واجتهد في اقتنائه
وأنفق جميع العمر في غرس كرمه ... لعلك تحظى باجتناء جنائه
فما هو إلا العز إن رمت مفخرا ... وما هو إلا الكنز عند اجتنائه
وما أحسن العلم الذي يورث التقى ... به يرتقي في المجد أعلى سمائه
ومن لَمْ يزده العلم تقوى لربه ... فلم يؤته إلا لأجل شقائه
وما العلم عند العالمين بحده ... سوى خشية الباري وحسن اتقائه

ومن قصيدة للشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر في الدعوة إلى أسس الأخلاق ومنها العلم، قال -رحمه الله-:

وفي خلوة الإنسان بالعلم أنسه ... ويسلم دين المرء عند التوحد
وخير جليس المرء كتب تفيده ... علومًا وآدابًا وعقل مؤيد
وخالط إذا خالطت كل موفق ... من العلما أهل التقى والتسدد
يفيدك من علم وينهاك عن هوى ... فصاحبه تَهدى من هداه وترشد

ونكتفي بِهذا القدر الممتع من القصائد الجيدة الَّتِي جادت بِها

قرائح الأدباء والعلماء في فضل العلم الشرعي وطلابه العاملين به، نسأل الله أن يجعلنا منهم، وأن يحشرنا في زمرتهم في دار كرامته بمنه وكرمه، آمين.

وحيث إن بضدها تتميز الأشياء، وضد العلم الجهل فإن الله قد حذر منه أبلغ تحذير لشدة خطره وسوء عاقبة أهله قال الله ﷻ في وصيته لعبده ورسوله ﷺ: ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [الأنعام: من الآية٣٥].

وقال ﷻ إخبار عن وصيته لنبيه نوح عليه السلام: ﴿**إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [هود: من الآية٤٦].

وقال موسى لمن قالوا له: ﴿**أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [البقرة: من الآية٦٧].

وقال سبحانه في إخباره عن الحق الذي جرى بين يوسف وإخوانه: ﴿**هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ**﴾ [يوسف: من الآية٨٩].

وقد سمى الله الجاهل أعمى بقوله -عز من قائل-: ﴿**أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [الرعد:١٩].

كما توعد الجاهل بدين الله بوعيد شديد حيث قال عز شأنه: ﴿**وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً**﴾ [الإسراء:٧٢].

كما شبه الله الجاهلين الموغلين في الجهل بالأنعام بل هم أضلّ سبيلا حيث قال في سورة الأعراف: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ**

لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩].

وقال -تبارك وتعالى-: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الفرقان:٤٤].

حقًّا لقد دلت هذه الآيات الكريمات بمنطوقها على ذم الجهل والتحذير من الرضا به واختياره، مادام المكلف قادرًا على التخلص من دائه والسلامة من وبائه، كما دلت بمفهومها على وجوب التفقه في الدين وفي مقدمة ذلك أصول الدين فرائضها التي تعلمها فرض عين على كل مكلف، وأما التوسع في فنون العلوم الشرعية ووسائلها ابتغاء وجه الله فكم لأهلها من الأجر الكثير والخير الوفير، بسبب ما تحملوه عن بقية الخلق وبسبب نفعهم العميم لسائر الخلق بالتعليم والفتوى والحكم بينهم بما أنزل الله وغيرها من نظائرها، التي لا يقوم بها إلا العلماء الربانيون سددهم الله أحياء وأمواتًا.

ورحمة الله على الخليفة الراشد علي بن أبي طالب حيث قال مرغبًا في العلم محذرًا من الجهل: "اغد عالمًا أو متعلمًا أو مستمعًا أو محبًّا ولا تكن الخامس فتهلك" وما ذلك إلا لأن لكل واحد من هذه الأصناف نصيبًا من العلم، وأشرف الأصناف الأول والثاني والثالث مستفيد من المجالسة للعلماء، والرابع ستجره محبته إلى مجالسة من يحبهم إلى الأخذ من علمهم غالبًا لأنهم هم القوم لا يشقى بهم جليسهم، وأما الخامس

الهالك فهو الجاهل بالله وبأمره شغلته دنياه وأعماه وأصمه هواه، فابتعد عن ذكر الله وما والاه فشقي وهلك، وصدق النبي الكريم -عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم-: «**من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين والله المعطي وأنا القاسم**» الحديث. وهو دل في منطوقه أن الفقه في الدين والعمل به علامة واضحة على خيرية صاحبه لما دل بمفهومه أن المعرض عن الدين لا يتعلمه ولا يعمل به لا خير فيه.

ورحم الله القائل في نعت العلم وذم الجهل:

العلم نور مبين يستضيء به ... أهل السعادة والجهال في الظلم

العلم أعلى حياة للعباد كما ... أهل الجهالة أموات بجهلهم

لا سمع لا عقل بل لا يبصرون ... وفي السعير معترف كل بذنبهم

فالجهل أصل ضلال الْحق قاطبة ... وأصل شقوتهم طرًّا وظلمهم

وقال آخر في نفس المعنى:

والعلم يرفع بيتًا كان منخفضًا ... والجهل يخفضه لو كان ما كانا

وأرفع الناس أهل العلم منزلة ... وأوضع الناس من قد كان حيرانا

لا يهتدي لطريق الْحق من عمه ... بل كان الجهل ممن نال خسرانا

وقال آخر:

فداء الجهل قتال خطير ... فحاذره لتحظى بالنجاة

فلا والله لا يرجى فلاح ... لأهل الْجهل أو سوء النيات

وقال آخر:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله ... وأجسامهم قبل القبور قبور
وأرواحهم في وحشة من جسومهم ... وليس لَهم حَتَّى النشور نشور

وقصارى القول وحماداه: هو أن الجهل بنوعيه البسيط والمركب -داء عضال وشر مستطير، وهلكة برزخية وأخروية، وظلم للنفس لا شبيه له ولا نظير، وصاحبه مهما كان له في دنيا التراب من جاه ومال وشرف إلا أنه وضيع حقير، قد خسر خسرانًا عظيمًا وعاش في الحياة ممقوتًا أثيمًا، وحشر يوم العرض على الله وقد أعد له عذابًا عظيمًا، وإذ كان الأمر كذلك بدون شك فإن الواجب على أمة محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أن يطهروا نفوسهم وجوارحهم بتعلم الواجب مما جاء به نبيهم؛ ليحققوا مراد الله منهم لينجو من عذاب الجحيم، ويظفروا بجنات النعيم، من فعل فقد أحسن إلى نفسه، ومن لَمْ يفعل فقد أساء عليها، كما قال الرب العظيم: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا**﴾ [الجاثية: من الآية١٥].

وبعد هذا العرض الذي دعت الحاجة إلى تدوينه ونادت الضرورة بزبره فإلى القارئ المحب للفائدة والراغب في حسن العائدة الجواب على السؤال المذكور "القول بالعذر بالجهل" وذلك بالاكتفاء بتدوين ما أجابت به اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على هذا السؤال المهم، حيث قالت اللجنة وفقهم الله ما نصه: "المسلمون لا يحكمون على

غيرهم بأنّهم كفار إلا بشرط وهو: أن يكونوا قد بلغهم القرآن أو بيان معناه من دعاة الإسلام بلغة المدعوين لقول الله ﷻ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: من الآية١٩].وقوله سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: من الآية١٥].

فمن بلغته الدعوة الإسلامية من غير المسلمين وأصر على كفره فهو من أهل النار لما تقدم من الآيتين ولقول النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار**». خرجه مسلم في صحيحه.

والأدلة في هذا المعنى من الآيات والأحاديث كثيرة، أما الذين لَمْ تبلغهم الدعوة على وجه تقوم به الحجة عليهم فأمرهم إلى الله ﷻ، والأصح من أقوال أهل العلم في ذلك أنّهم يمتحنون يوم القيامة فمن أطاع الأوامر دخل الجنة ومن عصى دخل النار، وقد أوضح هذا المعنى الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره لقول الله ﷻ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ والعلامة بن القيم -رحمه الله- في كتابه "**طريق الهجرتين**" في آخره تحت عنوان "طبقات المكلفين" فنرى لك مراجعة الكتابين لمزيد الفائدة.

ثم إنه يختلف الحكم على الإنسان بأنه يعذر بالجهل في المسائل الدينية أو لا يعذر باختلاف البلاغ وعدمه، وباختلاف المسألة نفسها وضوحًا وخفاءً وتفاوت مدارك الناس قوة وضعفًا، فمن استغاث

بأصحاب القبور دفعًا للضرر وكشفًا للكرب بين له أن ذلك شرك، وأقيمت عليه الحجة أداءً لواجب البلاغ، فإن أصرّ بعد البيان فهو مشرك يعامل في الدنيا معاملة الكافرين واستحق العذاب الأليم في الآخرة إذا مات على ذلك قال الله تعالى: ﴿**رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾ [النساء:١٦٥]. وقال تعالى: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾ [الإسراء: من الآية١٥]. وقوله تعالى: ﴿**وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ**﴾ [الأنعام: من الآية١٩].

وثبت عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثُمَّ يموت ولَم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**» رواه مسلم.

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على وجوب البيان وإقامة الحجة قبل المؤاخذة، ومن عاش في بلاد يسمع فيها الدعوة إلى الإسلام وغيره ثم لا يؤمن ولا يطلب الحق من أهله فهو في حكم من بلغته الدعوة الإسلامية وأصر على الكفر، ويشهد لذلك حديث أبي هريرة ﷺ المتقدم، كما يشهد له ما قصه الله من نبأ قوم موسى إذ أضلهم السامري فعبدوا العجل وقد استخلف فيهم أخاه هارون عند ذهابه لمناجاة الله فلما أنكر عليهم عبادة العجل قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتَّى يرجع إلينا موسى فاستجابوا لداعي الشرك وأبوا أن يستجيبوا لداعي التوحيد فلم يعذرهم الله في استجابتهم لدعوة الشرك والتلبيس عليهم فيها لوجود

الدعوة للتوحيد إلى جانبها مع قرب العهد بدعوة موسى إلى التوحيد.

ويشهد لذلك أيضًا ما قصه الله من نبأ نقاش الشيطان لأهل النار وتخليه عنهم وبراءته منهم قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِما أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم:٢٢].

فلم يعذروا بتصديقهم وعد الشيطان مع مزيد تلبيسه وتزيينه الشرك واتباعهم لما سول لهم من الشرك لوقوعه إلى جانب وعد الله الحق بالثواب الجزيل لمن صدق وعده فاستجاب لتشريعه واتبع صراطه السوي.

ومن نظر في البلاد التي انتشر فيها الإسلام وجد من يعيش فيها يتجاذبه فريقان، فريق يدعو إلى البدع على اختلاف أنواعها شركية وغير شركية ويلبس على الناس ويزين لهم بدعته بما استطاع من أحاديث لا تصح وقصص عجيبة غريبة يوردها بأسلوب شيق جذاب، وفريق يدعو إلى الحق والهدى ويقيم على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة ويبين بطلان ما دعا إليه الفريق الآخر وما فيه من زيف، فكان في بلاغ هذا الفريق وبيانه الكفاية في إقامة الحجة وإن قل عددهم فإن العبرة ببيان الحق بدليله لا بكثرة العدد، فمن كان عاقلاً وعاش في مثل هذه البلاد واستطاع أن يعرف الحق من أهله إذا جد في طلبه وسلم من الهوى

والعصبية، ولَم يغتر بغنى الأغنياء ولا بسيادة الزعماء ولا بوجاهة الوجهاء ولا اختل ميزان تفكيره وألغي عقله، وكان من الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٨].

أما من عاش في بلاد غير إسلامية ولَم يسمع عن النبي ﷺ ولا عن القرآن والإسلام، فهذا على تقدير وجوده حكمه حكم أهل الفترة يجب على علماء المسلمين أن يبلغوه شريعة الإسلام أصولاً وفروعًا إقامة للحجة وإعذارًا إليه، ويوم القيامة يعامل معاملة من لَمْ يكلف في الدنيا لجنونه أو بلهه أو صغره وعدم تكليفه، وأما ما يخفى من أحكام الشريعة من جهة الدلالة أو لتقابل الأدلة وتجاذبها فلا يقال لمن خالف فيه آمن وكفر ولكن يقال: أصاب وأخطأ فيعذر من أخطأ ويؤجر من أصاب الحق باجتهاده أجرين، وهذا النوع مما يتفاوت فيه الناس باختلاف مداركهم ومعرفتهم باللغة العربية وترجمتها وسعة إطلاعهم على نصوص الشريعة كتابًا وسنة ومعرفة صحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها ونحو ذلك. اهـ. والله أعلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

س٥: ما رأيكم فيمن يربي الناشئين في الطلب على كتب فيها بدع وضلالات؟

ج٥: أقول وبالله التوفيق: إن تربية الأمة عمومًا والشباب خصوصًا على كتب أهل البدع وفاحشي الغلط غلط عظيم ومنكر جسيم وغش للمسلمين عمومًا وللشباب خصوصًا، وهؤلاء الذين ذكرت أسمائهم ومن نَهجوا نَهجهم وأشربوا في قلوبهم حبهم، وحب أفكارهم ومؤلفاتهم قد وقعوا في كثير من البدع العظيمة والأخطاء الجسيمة التي ما زالت ولا تزال مدونة في كتبهم التي قد ملئت بها المكتبات التجارية وغيرها، وطبعت طباعات متعددة بسبب مالها من كثرة الدعايات لنشرها والترويج من أنصارها والمتعصبين لأفكار أهلها ومناهجهم في كل زمان ومكان، الذين يعتبرون أضعافًا مضاعفة بالنسبة للدعاة إلى المنهج السلفي، ولا غرابة في ذلك وقد قال الله ﷻ: ﴿**وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [الأنعام: من الآية١١٦]. وقال النبي ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة.** قالوا: ما هي يا رسول الله ؟ قال: **من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**».

هذا وإن أهل المنهج السلفي حقيقةً لا ادعاءًا لا ينكرون أن في مؤلفات وأفكار من ذكرت أسمائهم في السؤال، المقبول والمردود والغث والسمين، ومن أمعن النظر وسبر الحال وجد أن طلاب العلم غالبًا

قسمان:

قسم متمكن من علوم الشريعة ووسائلها بحيث إنَّهم إذا احتاجوا إلى شيء من الكتب التي على أهلها مآخذ سواءً كانوا من المتقدمين أو المعاصرين ميزوا بين المقبول والمردود والغث والسمين، فأخذوا النافع ودعوا إليه وتركوا الضار وحذروا منه، وهذا الأسلوب لا يطبقه إلا من حفظه الله من داء التحزب والتنظيم السري والمنهج الحركي المعاصر.

أما المصابون بذلك فإنَّهم لا يرضون بديلاً بمنهجهم، ولا يرغبون في الكشف عن أخطاء زعمائهم ومنظريهم من الأحياء والميتين، لكيلا يسقطوا من أعين الناس وبالأخص الشباب ومن ثم تكون ثقة الأتباع مهزوزة حيال أولئك الزعماء والمنظرين.

وقسم آخر من طلاب العلم ناشئون غير متمكنين من العلوم الشرعية ووسائلها، بل وغير متمكنين من فهم المنهج السلفي، فتراهم إذا قرءوا في الكتب يأخذون بكل ما وجدوا خلال قراءتهم بدون تمييز بين صحيح وفاسد ومقبول ومردود، ولا قدرة لديهم على عرض ما قرءوا على نصوص الشريعة وقواعدها الكلية، ومن كان كذلك فيخشى عليه أن يتعلم شيئًا من كتب أهل الضلال يضره ولا ينفعه، وإنني لأقرر جازمًا أن طلاب العلم في هذا العصر ليسوا بحاجة إلى كتب أهل الأهواء والبدع ولا إلى كتب من على شاكلتهم، ورحم الله أبا زرعة الرازي الذي قال في كتب الحارث المحاسبي: إنَّها كتب بدع وضلالات وذلك

حينما سأله سائل عنها فقال له: "إياك وهذه الكتب هذه كتب بدع وضلالات وعليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب، فقال له السائل: إن في هذه الكتب لعبرة، فقال: من لَمْ يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة، أبلغكم أن مالكًا والثوري والأوزاعي أو الأئمة صنفوا كتبًا في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء؟ هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم يأتوننا مرة بالمحاسبي ومرة بعبد الرحيم بيبلي ومرة بحاتم الأصم ثم قال: ما أسرع الناس إلى البدع ".

قلت: ما أشبه الليلة بالبارحة فإن الحركيين المعاصرين الناصرين لكتب أهل البدع والمروجين لها يدعون أن في كتبهم بيانًا للواقع، وحثًّا على التضحية والنضال وسبيلاً إلى تخطيط قيام دولة إسلامية ونحو ذلك مما ذكروا مما لا يمت إلى الصواب بصلة.

هذا وإن الواجب على المسلمين عمومًا وعلى طلاب العلم خصوصًا حفظ خمسة أشياء هي: "الدين والعقل والعرض والدم والمال".

وإذا كان الأمر كذلك، فإنه ينبغي على طلاب العلم الذين يحبون النجاة لأنفسهم أن يضربوا صفحًا عن كتب أهل البدع وجميع نشراتهم وسائر أفكارهم حماية للدين وحراسة للعقيدة السلفية السمحة، مما يتوقع أن يكون فيها ما هو بخس لها، أو إساءة إليها بسبب القراءة في كتب أهل البدع والتضليل، وعلى الجميع أن يأخذوا بديلاً من كتب العلماء الربانيين على اختلاف أنواعها فيربون عليها أنفسهم وغيرهم، وبالأخص

الشباب الذين هم بحاجة ماسة إلى التوجيه والتربية على نَهج قويم وصراط مستقيم، ذلك لأنَّهم يتدرجون في حقول العلم ويمخرون في مستوياته،فلا تصلح لهم إلا كتب علماء السلف وأتباعهم السائرين على نَهجهم ولَم يبدلوا تبديلاً.

وإن مما ينبغي التنبيه عليه هو أن العلماء الربانيين هم الذين يجاهدون أهل البدع بنصوص الكتاب والسنة، فيحيي الله بجهادهم السنن ويقمع البدع ويشد أزر أهل السنة ويقمع فكر أهل البدع على اختلاف فرقهم.

هذا وإن مما لا شك فيه أن جهاد العلماء الربانيين لأهل البدع والانحراف لهو أخص الجهادين، وما ذلك إلا لشدة خطر البدع وأهلها على السنن وأهلها، وإنه ليكفي في شؤم البدعة وضلال المبتدعين قول النبي ﷺ في حديث طويل: «**وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**».

ولما كانت كتب الردود الصادرة من أهل العلم الشرعي والمنهج السلفي على أهل البدع ومن والاهم في كل زمان ومكان تدحض البدعة وتخزي أهلها الداعين إليها والمروجين لها، وتعظم شأن السنة وتبين جلالة قدرها، فإن ذلك يزعج أصحاب البدع ويزيد من عدواتهم لأهل السنة عبر تأريخ الزمان وتعدد المكان.

وفي خلال القرن الماضي وإلى وقتنا هذا أضيف إلى بدع الرفض

والتجهم والاعتزال والتمشعر وبدع المبادئ الهدامة على اختلاف أسمائها ومسمياتِها بدع مضللة، ومناهج وافدة لا تخفى على ذوي الحكمة والوفاء والعلم، وقد تصدى للرد على جميع تلك البدع والمبادئ علماء سلفيون قديمًا وحديثًا فنصر الله بِمؤلفاتِهم وفتواهم السنة، وهي المستحقة للنصر وأدحض بِمؤلفاتِهم وفتواهم كل بدعة محدثة وكل مبدأ هدام، حكمة منه وعدلاً ورحمة من لدنه وإحسانًا وفضلاً، فقامت الحجة على الجميع واتضحت المحجة لمن يريد أن يتفيأ ظلالها.

فليطلبها الناصح لنفسه الحريص على سلامتها، وليقرأ وليسأل عما أشكل عليه ذوي الكفاءات العلمية والمنهج السلفي، ومن يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا.

وقد ذكرت نموذجًا حيًّا من كتب الردود على أهل البدع والأخطاء في كتابي "الأجوبة السديدة ج٥" فمن أراد الاطلاع على شيء من ذلك فليرجع إليه، ومن ثم إلى الأصول التي فيها الإسهاب في موضوع نصر السنة والإشادة بِها وبأهلها ورد البدع وذمها وذم أهلها، وفق الله الجميع لما فيه رضاه.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

س٦: ما رأيكم في دعوة التقريب بين الأديان السماوية لتكون كما يقولون صفًّا واحدًا في وجه الإلحاد ؟

ج٦: فكرة التقريب بين الأديان –وهم يعنون بِها الإسلام واليهودية

والنصرانية الباطلتين إما بالتحريف وإما بالنسخ- فكرة خاطئة كاذبة، وجريمة منكرة وغزو شيطاني غربي، أعجب الصوفية الغارقة في الوثنية وفي القول بوحدة الوجود الذي يقضي أن الإيْمان والتوحيد هو الكفر والشرك، وأن الإسلام هو ذات الدين المجوسي في وجه ضلاله، كما ذكر ذلك الشيخ عبد الرحمن الوكيل مؤلف كتاب "**هذه هي الصوفية**" (ص٩٣).

إن فكرة الدعوة إلى التقارب بين الأديان أو القول بوحدة الأديان معناهما واحد والمقصود من ذلك أن كلاًّ من اليهودية والنصرانية والإسلام دين صحيح يجب أن يحترم، وأن يعقد رباط الأخوة بين أهل هذه الأديان الثلاثة ويلحق بِها غيرها مما شابَهها، فيكون المسلم واليهودي والنصراني إخوة باعتبارهم أهل دين سماوي فلا خلاف ولا عداوة، ولكن وفاق ووئام تحت هذه السوداء، وقد اقتنع بِهذه الفكرة من اقتنع من أصحاب الأفكار لا من أصحاب الآثار فكتبوا في تأييدها والإشادة بِها وأطلقوا عليها "زمالة الأديان، أو تقارب الأديان"، ومن هؤلاء عبد الرحمن عميرة الذي قال في كتابه "هذا هو الطريق": "فإذا تعطلت شعائر أهل الكتاب لأي سبب من الأسباب وجب على الحاكم الإسلامي البحث عن هذه الأسباب والعمل على إزالتها، فإن كان ذلك لقصور مادي وظف لهم بعض المال من بيت المال، وإن كان لعجزهم عن إقامة بيعة أو كنيسة سارع المجتمع الإسلامي إلى عمل اكتتاب وتشييد المباني لهم...". إلى آخر ما قال في كتابه المذكور (ص٥٤).

ويأتي صاحب كتاب "الفكر الإسلامي" محمد الصادق عفيفي فيضم صوته إلى عبد الرحمن عميرة حيث قال في (ص١٨): "تعد الشريعة الإسلامية الوحيدة التي نادت بحرية العقيدة، حتى تركت لكل إنسان الحرية الكاملة في اعتناق ما يشاء من العقائد السماوية وأن يقيم شعائرها ويدافع عنها ويعمل لها ويدعو غيره للدخول فيها، وليس لكائن من كان أن ينكر عليه ذلك".

وقال كاتب آخر: "إن الإسلام اقتلع من قلوب المسلمين جذور الحقد بالنسبة لأتباع الديانات السماوية الأخرى، وأقر بوجود زمالة عالمية بين أفراد النوع البشري ولا يمانع من أن تتعايش الأديان جنبًا إلى جنب".

وهذه الأقوال وما دار فيها باطلة وهي تدل على جهل أهلها بالنصوص التي جاءت تبين أن الإسلام وحده هو الدين الحق الذي لا يقبل الله من أحد سواه لقول الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [آل عمران: الآية٨٥].

وأما الديانات اليهودية والنصرانية فما كان منها قد حرف وبدل فهو باطل، وما كان منها فيه حق فهو منسوخ بشريعة الإسلام.

وأما انتزاع الحقد لليهود والنصارى والبغضاء من قلوب المسلمين فهو كذب على الإسلام، وجهل بنصوصه التي تدل على العداوة القائمة بين أهل الدين الحق وهو الإسلام وبين الأديان كافة من يهودية ونصرانية

ووثنية وإلحادية، قال الله ﷻ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: من الآية٨٢]. وقال سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: من الآية١]. وقال -عز من قائل-: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: الآية٥١].

وبعد هذه النصوص ونظائرها كيف يصح لأحد أن يصرح بأن دين الإسلام يسمح للنصراني أن يدعو إلى نصرانيته، ولليهودي أن يدعو غيره إلى يهوديته لاسيما في المملكة الإسلامية؟

حقًّا؛ إن هذا الفكر السقيم فيه بشرى سارة لكل يهودي أو نصراني، بل ولكل صاحب نحلة من النحل الباطلة، لما فيه من التسويغ لأهل الديانات الكفرية ليدعو الناس إلى الدخول في دياناتهم، ومن لَمْ يدخل معهم فباب التعايش السلمي والوئام بين أهل الديانات مفتوح، وذلك إيغال في المكر والخداع الذين يثلجان صدور الكافرين ويحزنان قلوب المؤمنين.

والحقيقة: أن دين الإسلام هو الدين المهيمن على الأديان كلها، وناسخ لما فيها من حق، وحاكم بالبطلان على ما سوى ذلك، ولن يقبل الله من أحد أن يتعبد بدين غيره أو يدعوا إليه أو يبشر به، فإن اختار جماعة من اليهود أو النصارى أو المجوس لأنفسهم البقاء على دياناتهم الباطلة مع الالتزام بحكم الإسلام فيها بمالهم وعليهم فإننا نتركهم وما

اختاروا لأنفسهم مع بيان الحق لهم، أن من مات منهم ولم يؤمن بدين الإسلام بل بقي على ديانته أنه من أصحاب النار لا حظ له في رحمة الله ولا مغفرته لقول النبي ﷺ: «**والله لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثُمَّ مات ولَم يؤمن بالذي جئت به إلا كان من أصحاب النار**».

كما أنه لا يجوز للقائمين على دولة الإسلام والحامين حماها أن يشيدوا لليهود أو النصارى معابدهم التي تقام فيها العبادات الكفرية الباطلة، ولا يجوز لهم ولاءهم بالنصرة والمحبة لأنَّهم ليسوا للمؤمنين بأولياء إنما المؤمنون بعضهم أولياء بعض.

ومن هنا وجب على طلاب العلم أن ينتبهوا لما يسطر وينشر مما فيه انحراف وغش للإسلام وأهله، حتى لا يقعوا في المخالفات والانحرافات من حيث لا يشعرون، ومن المؤسف أبلغ الأسف أن فكرة التقارب بين الأديان أو الحوار بين الأديان السماوية، أو القول بوحدة الأديان انعقدت لها مؤتمرات التي تبناها وشارك فيها بعض قادة الإخوان المسلمين، فكان لها آثار سيئة على الإسلام والمسلمين والدعوة إلى الله ﷻ ومنها:

أ- إلغاء الفوارق بين المسلمين والنصارى والتساوي بينهم في الحقوق في دولة الإسلام .

ب- **ومنها**: اعتقاد أن الدين النصراني صحيح.

ت- **ومنها**: تمكين أهل الديانات الباطلة أن يدعو إلى دياناتهم.

ث- **ومنها**: جواز بناء الكنائس والبيع إلى جنب بيوت الله الطاهرة

المساجد، وهذه دعوة خطيرة فيها فتح باب للنصرانية أن تنشط في التبشير بالدين النصراني الكافر.

ج- ومنها: الدعوة إلى طباعة القرآن العظيم مع التوراة والإنجيل المحرفين في غلاف واحد، وفي هذا العمل المشين والتصرف المقيت إساءة إلى القرآن العظيم، وحيث أن الله قد تكفل بحفظ كتابه بقوله الحق: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

فقد وصل هذا النبأ الخطير عن طريق سائل إلى هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية فأجابوا عليه وعلى رأسهم صاحب السماحة الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الأثري -رحمه الله رحمة واسعة- حيث قال: من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى سعادة تحرير جريدة "المسلمون" -وفقه الله-.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .....

وبعد: فقد كثرت في الآونة الأخيرة الأحاديث والندوات واللقاءات حول ما يسمى بوحدة الأديان أو التقريب بينها، ونظرًا لما في ذلك من مضادة لكثير من المفاهيم والتعليمات الإسلامية فقد أصدرت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والفتوى رقم (١٩٤٠٢) وتأريخ (٢٥/١/١٤١٨هـ) عن سؤال في ذلك أشفع لسعادتكم نسخة منه راجيًا التكرم بنشرها في الجريدة لديكم لعموم الفائدة وأسأل الله أن يوفقني وإياكم لما يحبه ويرضاه وأن يعين الجميع على كل خير إنه سميع قريب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.....

المفتي العام للمملكة العربية السعودية

ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء

- **فتوى رقم (١٩٤٠٢) وتاريخ ١٤١٨/١/٢٥هـ):**

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء استعرضت ما ورد لها من تساؤلات وما ينشر في وسائل الإعلام من آراء ومقالات بشأن الدعوة إلى "وحدة الأديان" دين الإسلام ودين اليهود ودين النصارى، وما تفرع عن ذلك من دعوة إلى بناء مسجد وكنيسة ومعبد في محيط واحد في رحاب المطارات والجامعات والساحات العامة، ودعوة إلى طباعة القرآن الكريم والتوراة والإنجيل في غلاف واحد إلى غير ذلك من آثار هذه الدعوة، وما يعقد لها من مؤتمرات وندوات وجمعيات في الشرق والغرب، وبعد التأمل والدراسة فإن اللجنة تقرر ما يلي:

أولاً: أن من أصول الاعتقاد في الإسلام، المعلومة من الدين بالضرورة، والتي أجمع عليها المسلمون، أنه لا يوجد على وجه الأرض دين حق سوى دين الإسلام وأنه خاتمة الأديان، وناسخ لجميع ما قبله من الأديان والملل والشرائع، فلم يبق على وجه الأرض دين يتعبد به الله

سوى الإسلام قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]. والإسلام بعد بعثة محمد ﷺ هو ما جاء به دون ما سواه من الأديان.

ثانيًا: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام أن كتاب الله تعالى -القرآن الكريم- هو آخر كتب الله نزولاً وعهدًا برب العالمين، وأنه ناسخ لكل كتاب أنزل من قبل التوراة والإنجيل والزبور وغيرها، ومهيمن عليهما، فلم يبق كتاب منزل يتعبد الله به عبادة سوى "القرآن الكريم".

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: من الآية٤٨].

ثالثًا: يجب الإيمان بأن "التوراة والإنجيل" قد نسخا بالقرآن الكريم وأنه قد لحقهما التحريف والتبديل بالزيادة والنقصان، كما جاء بيان ذلك في آيات من كتاب الله الكريم منها قول الله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾ [المائدة: من الآية ١٣].

وقوله -جل وعلا-: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة:٧٩].

وقوله ﷻ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧٨].

ولهذا فما كان منه صحيحًا فهو منسوخ بالإسلام، وما سوى ذلك فهو محرف أو مبدل، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه غضب حين رأى مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيفة فيها شيء من التوراة وقال -عليه الصلاة والسلام-: «**أفي شك أنت يا ابن الخطاب ؟ ألم آت بها بيضاء نقية ؟ ولو كان أخي موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي**». رواه أحمد والدارمي وغيرهما.

رابعًا: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام أن نبينا ورسولنا محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين كما قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: من الآية٤٠]. فلم يبق رسول يجب اتباعه سوى محمد ﷺ ولو كان أحد من أنبياء الله ورسله حيًا ما وسعه إلا اتباعه ﷺ -وأنه لا يسع أتباعهم إلا ذلك- كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران:٨١].

ونبي الله عيسى -عليه الصلاة والسلام- إذا نزل في آخر الزمان يكون تابعًا لمحمد ﷺ وحاكمًا بشريعته، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ

﴿الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: من الآية١٥٧]. كما أن من أصول الاعتقاد في الإسلام أن بعثة محمد ﷺ عامة للناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ:٢٨].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: من الآية١٥٨]. وغيرها من الآيات.

خامسًا: ومن أصول الإسلام أنه يجب اعتقاد كفر كل من لَمْ يدخل في الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم وتسميته كافرًا، وأنه عدو لله ورسوله والمؤمنين، وأنه من أهل النار كما قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة:١].

وقال -جل وعلا-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة:٦]. وغيرها من الآيات.

وثبت في صحيح مسلم أن النَّبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثُمَّ يموت ولَم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار**».

ولهذا من لَمْ يُكفر اليهود والنصارى فهو كافر طردًا للقاعدة الشرعية "ومن لَمْ يكفر الكافر فهو كافر".

سادسًا: وأمام هذه الأصول الاعتقادية والحقائق الشرعية فإن الدعوة

إلى "وحدة الأديان" والتقارب بينها وصهرها في قالب واحد دعوة خبيثة ماكرة، والغرض منها خلط الحق بالباطل وهدم الإسلام وتقويض دعائمه، وجر أهله إلى ردة شاملة ومصداق ذلك في قول الله سبحانه: ﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: من الآية ٢١٧].

وقال -جل وعلا-: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: من الآية٨٩].

سابعًا: وإن من آثار هذه الدعوة الآثمة إلغاء الفوارق بين الإسلام والكفر والحق والباطل والمعروف والمنكر، وكسر حاجز النفرة بين المسلمين والكافرين فلا ولاء ولا براء ولا جهاد ولا قتال لإعلاء كلمة الله في أرض الله والله جلّ وتقدس يقول: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩].

ويقول -جل وعلا-: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: من الآية٣٦].

ثامنًا: أن الدعوة إلى "وحدة الأديان" إن صدرت من مسلم فهي تعتبر ردة صريحة عن دين الإسلام؛ لأنَّها تصادم مع أصول الإعتقاد فترضى بالكفر بالله ﷻ، وتبطل صدق القرآن ونسخه لجميع ما قبله من الكتب وتبطل نسخ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع والأديان وبناء

على ذلك فهي فكرة مرفوضةٌ شرعًا، محرمة قطعًا بجميع أدلة التشريع في الإسلام من قرآن وسنة وإجماع.

تاسعًا: وتأسيسًا على ما تقدم:

١- فإنه لا يجوز لمسلم يؤمن بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً الدعوة إلى هذه الفكرة الآثمة، والتشجيع عليها وتسليكها بين المسلمين فضلاً عن الاستجابة لها، والدخول في مؤتمراتِها وندواتِها والانتماء إلى محافلها.

٢- لا يجوز لمسلم طباعة التوراة والإنجيل منفردين، فكيف مع القرآن الكريم في غلاف واحد ؟!! فمن فعله أو دعا إليه فهو ضلال بعيد لما في ذلك من الجمع بين الحق "القرآن الكريم" والمحرف أو الحق المنسوخ "التوراة والإنجيل".

٣- كما لا يجوز لمسلم الاستجابة لدعوة "بناء مسجد وكنيسة ومعبد" في مجمع واحد لما في ذلك من الاعتراف بدين يعبد الله به غير دين الإسلام، وإنكار ظهوره على الدين كله، ودعوة مادية إلى أن الأديان ثلاثة لأهل الأرض التدين بأي منها وأنَّها على قدم التساوي، وأن الإسلام غير ناسخ لما قبله من الأديان، ولا شك أن إقرار ذلك أو اعتقاده أو الرضا به كفر وضلال لأنه مخالفة صريحة للقرآن الكريم والسنة المطهرة وإجماع المسلمين، واعتراف بأن تحريفات اليهود والنصارى من عند الله تعالى ، تعالى الله عن ذلك.

كما أنه لا يجوز تسمية الكنائس "بيوت الله" وأن أهلها يعبدون الله فيها عبادة صحيحة مقبولة عند الله؛ لأنَّها عبادة على غير دين الإسلام. والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]. بل هي بيوت يكفر فيها بالله. نعوذ بالله من الكفر، وأهله.

قال شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله- في مجموع الفتاوى (٢٢/ ١٦٢): "ليست -أي: البيع والكنائس- بيوت الله، وإنَّما بيوت الله المساجد، بل هي بيوت يكفر فيها بالله، وإن كان قديس فالبيوت منْزلة أهلها وأهلها كفار فهي بيوت عبادة الكفار ".

عاشرًا: ومما يجب أن يعلم أن دعوة الكفار بعامة وأهل الكتاب بخاصة إلى الإسلام واجبة على المسلمين بالنصوص الصريحة من الكتاب والسنة، ولكن لا يكون ذلك إلا بطرق البيان والمجادلة بالتي هي أحسن، وعدم التنازل عن شيء من شرائع الإسلام وذلك إلى الوصول إلى إقناعهم بالإسلام ودخولهم فيه، أو إقامة الحجة عليهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤].

أما مجادلتهم واللقاء معهم ومحاورتُهم لأجل النُّزول عند رغباتِهم

وتحيق أهدافهم، ونقض عرى الإسلام ومعاقد الإيمان فهذا باطل يأباه الله ورسوله والمؤمنون، والله المستعان على ما تصفون. قال تعالى: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: من الآية٤٩].

واللجنة إذ تقرر ذلك وتبينه للناس فإنَّها توصي المسلمين عامة وأهل العلم بخاصة بتقوى الله تعالى ومراقبته، وحماية الإسلام وصيانة عقيدة المسلمين من الضلال ودعاته والكفر وأهله وتحذرهم من هذه الدعوة الكفرية الضالة "وحدة الأديان" ومن الوقوع في حبائلها، ونعيذ بالله كل مسلم أن يكون سببًا في جلب هذه الضلالة إلى بلاد المسلمين وترويجها بينهم.

نسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعيذنا جميعًا من مضلات الفتن، وأن يجعلنا هداة مهتدين حماة للإسلام على هدى ونور من ربنا حتى نلقاه وهو راضٍ عنا.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الشيخ / عبد العزيز بن باز "الرئيس"

الشيخ / عبد العزيز آل الشيخ "نائب الرئيس"

الشيخ / بكر بن عبد الله أبو زيد "عضو"

الشيخ / صالح بن فوزان الفوزان "عضو"

أقول: أيها القارئ المستفيد إن كان لي من إضافة إلى هذه الفتوى المفصلة في هذا الموضوع المهم فقد قدمتها كما رأيت، وإن كان لي من تعليق فهو الدعاء بالتوفيق والسداد لي ولمن كان من أصحابها على قيد الحياة، والدعاء بالرحمة والمغفرة والدرجات العلى في جنات النعيم لمن قد مات، وهكذا الدعاء أيضًا لمن ضل عن النهج القويم بالرجوع إلى الصراط المستقيم، شاكرًا الله العلي العظيم على بعثه في كل زمان ومكان علماء ربانيين يتصدون لأهل الأهواء والبدع والرد عليهم حتى تتضح معالم الحق ويبقى ضياء السنة مشرقًا ويتبدد ظلام الهوى والبدعة فتستقيم الأمور، ويأمن الناس من الوقوع في ظلمة المعصية التي تلوث حياة القلوب وتدنس صفاء النفوس وضياء الصدور.

في كل عصر مضى قامت جهابذة   غُرّ الوجوه وأهل الفقه في الدين
مـا قـام مبـتدع يدعو لبدعته   إلا رمـوه بنـبلٍ مـن براهين
وهكـذا اليوم من يغزو بِمنهجه   يلقـى كميـنًا من الغر الميامين
يبقى ملـومًا ومشهورًا بنحلتـه   يدعوا إليها وذا صنع الشياطـين

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

س٧:

أ- ما رأيكم في العمل أشرط هو في صحة الإيمان أو في كماله؟

ب- وما هي نصيحتكم لمن يقوم بالتأليف في مثل هذا الموضوع أو غيره من العلوم الشرعية ووسائلها قبل أن يتأهل لذلك ؟

ج ٧: قبل الجواب على فقرة (أ): يحسن تدوين تمهيد تتضح الرؤية من خلال قراءته، هذا التمهيد هو:

ذكر أصناف الناس في حقيقة الإيْمان:

لا شك أن الناس في تعريفهم للإيْمان أصناف شتى:

الصنف الأول: أهل السنة والجماعة السائرين على نَهج السلف الصالح أهل الحديث والأثر سلفًا وخلفًا.

عرفوا الإيْمان بأنه: "نطق باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي".

وربَّما قالوا: "الإيْمان قول وعمل يزيد وينقص".

وربَّما قالوا: "الإيْمان عبارة عن جميع الطاعات الظاهرة والباطنة".

وربَّما قالوا: "قول وعمل ونية".

وربَّما قالوا: "قول وعمل ونية وسنة".

ونحو ذلك من التعريفات الَّتِي وإن تنوعت ألفاظها إلا أن معانيها متفقة، كما قال الإمام ابن تيمية في فتاويه (ج٧/١٧٠- ٥٠٥- ٥٠٦): "إذا قالوا: -أي: في الإيْمان- قول وعمل، فإنه يدخل في القول: قول القلب واللسان جميعًا، وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام ونحو ذلك إذا أطلق فإن القول المطلق والعمل المطلق في كلام السلف يتناول قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، فقول باللسان دون اعتقاد

القلب هو قول المنافقين وهو لا يسمى قولاً إلا بالتقييد كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: من الآية١١].

وكذلك عمل الجوارح بدون أعمال القلوب هي من أعمال المنافقين التي لا يتقبلها الله، فقول السلف يتضمن القول والعمل الباطن والظاهر.

ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب.

ومن قال: "قول وعمل ونية" قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك، ومن زاد إتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوبًا لله إلا بإتباع السنة، وأولئك لَمْ يريدوا كل قول وعمل إنَّما أرادوا ما كان مشروعًا من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصوهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولاً فقط. فقالوا: هو قول وعمل، والذين جعلوه أربعة أقسام فسروا مرادهم كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيْمان ما هو فقال: (قول وعمل ونية وسنة، لأن الإيْمان إذا كان قولاً بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولاً وعملاً بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولاً وعملاً ونية بلا سنة فهو بدعة"ا هـ. من كلام ابن تيمية بتصرف.

وإذا كان الأمر كما رأيت فاعلم أن أهل السنة والجماعة اعتمدوا في تعريفهم للإيْمان بتلك التعريفات المتفقة في معانيها على نصوص

الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح والسير على مصطلحهم الشرعي، لذلك كان هو الحق وما عداه من الأقوال التي ستأتي منسوبة إلى قائليها فإن ظاهرها وباطنها الفساد والبطلان، وبعضها أشد خبثًا من بعض.

الصنف الثاني: الجهمية و قد عرفوا الإيْمان بأنه: المعرفة بالقلب، أي إن الإيْمان يكون تامًّا بِمجرد المعرفة بدون عمل القلوب والجوارح، وهو قول منكر إذ يلزم أن إبليس مؤمن لأنه عرف ربه أنه هو الخالق كما أخبر الله عنه بقوله: ﴿**أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾ [الأعراف: من الآية١٢].

الصنف الثالث: مرجئة الكرامية أتباع محمد بن كرام السجستاني (ت٢٥٥هـ).

وقد عرفوا الإيْمان بأنه: هو الإقرار باللسان فقط، وعليه فكل منافق وزنديق يكون في زعمهم مؤمنًا، إذ أن المنافقين الذين أخبر الله عنهم أنَّهم في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا يكونون مؤمنين كما قررت هذه الفرقة؛ لأنَّهم يتلفظون بالشهادتين ويصلون ويصومون ويجاهدون مع المسلمين غير أن الله ذمهم ونفى عنهم الإيْمان نفيًا قاطعًا.

حيث قال الله سبحانه: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ**﴾ [البقرة:٨]. فقد أثبت الله لهم القول الظاهر، ونفى عنهم الإيْمان لعدم وجود التصديق ولوازمه في القلب.

الصنف الرابع: المعتزلة وقد عرفوا الإيْمان بأنه قول وعمل وأنه

حقيقة واحدة لا تتبعض ولا تتجزأ فمتى ذهب بعضه ذهب كله ولَم يبق منه شيء، فالطاعات كلها من الإيْمان فإذا ذهب بعضها ذهب بعض الإيْمان فذهب سائره، ومن هنا حكموا على أن صاحب الكبيرة ليس معه شيء من الإيْمان فإذا مات ولَم يتب فهو من الخالدين في النار عند الخوارج والمعتزلة، ولو كان من أهل التوحيد والصلاة وسائر أركان الإسلام والإيْمان، فخرجوا عن قول الله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيْمانا مَعَ إِيْمانِهِمْ﴾ [الفتح: من الآية٤]. ونظائرها، وخرجوا عن قول النبي ﷺ في حديث الشفاعة: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربُها وهو مؤمن**» الحديث.

وحديث: «**يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من الإيْمان**».

وغير ذلك من النصوص التي تدل على أن الإيْمان يزيد وينقص، إذا ذهب بعضه بفعل المعاصي التي لَمْ تكن كفرًا مخرجًا من الملة بقي بعضه كما هو صريح مذهب أهل السنة والجماعة أهل الحديث والأثر.

وأما في الحكم الدنيوي على مرتكب الكبيرة فقد خالف المعتزلة الخوارج حيث قالت الخوارج: "هو كافر حلال الدم والمال"، وقالت المعتزلة: هو في منـــزلة بين المنـــزلتين: أي ليس مسلمًا ولا كافرًا، وقد سبق اتفاقهم على أن مرتكب الكبيرة إذا مات مصرًّا عليها فهو خالد مخلد في النار ولو كان من أهل التوحيد والصلاة وغيرها من الشعائر.

وفساد قول هذا الصنف ظاهر لذي العقول والإيْمان.

الصنف الخامس: عموم المرجئة الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيْمان، وادعوا أن من حصل له مجرد التصديق فتصديقه هذا باقٍ على حاله لا يتغير سواء أتى بشيء من الطاعات أم لا، وسواء اجتنب المعاصي أو ارتكبها، فهم لَمْ يفرقوا بين جنس العمل -والذي يعد شرطًا في صحة الإيْمان عند أهل السنة- وبين آحاد العمل وأفراده والذي يعد تاركه غير مستكمل الإيْمان، وقد استعملوا القياس فقالوا: "لا يضر مع الإيْمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة" وأهل السنة يوافقونَهم في أنه لا ينفع مع الكفر الأكبر طاعة ، ويخالفونَهم في اعتقاد أنه لا تضر مع الإيْمان معصية كما هو معلوم، إذ المعاصي ينقص بِها الإيْمان ما لَمْ تكن كفرًا فتحبطه.

وبطلان قول هذا الصنف ظاهر لمعارضته نصوص الكتاب والسنة التي تدل على أن الإيْمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وهي كثيرة في الكتاب والسنة كما قد سبق، وقد أجمع على ذلك سلف الأمة وأتباعهم.

الصنف السادس: الماتريدية والأشاعرة الذين قالوا: إن الإيْمان هو الاعتقاد بالقلب، واختلفوا في النطق باللسان هل هو ركن زائد أو أصلي؟ وقد أشار إلى هذا الخلاف صاحب الجوهرة بقوله:

وفسروا الإيْمـان بالتصديـق ... والنطق فيه الخلـف بالتحقيـق

ومخالفة قول هذا الصنف لمذهب أهل لسنة والجماعة واضح

وبطلانه أوضح.

الصنف السابع: مرجئة الفقهاء كأبي حنيفة ومن على مذهبه في هذا الباب القائلين بأن الإيْمان اعتقاد بالقلب ونطق باللسان، وأخروا الركن الثالث وهو العمل بالجوارح عن مسمى الإيْمان، مع اتفاقهم مع أهل السنة والجماعة على أن فاعل الطاعات مثاب عليها وأن أهل الكبائر متوعدون عليها بالنار، وإذ كان الأمر كما علمت فإنه يجب الحذر من قول أهل الإرجاء العاري عن أدلة الكتاب والسنة، وعن قول الأسلاف بل المصادم لها وهكذا يجب الحذر من الوعيدية من معتـــزلة وخوارج ممن يقولون بوجوب إنفاذ الوعيد على العصاة، وأن صاحب الكبيرة إذا مات ولم يتب فإنه خالد مخلد في النار وإن كان من أهل التوحيد، ومن أهل إقامة الشعائر الإسلامية على آخر ما قالوا واعتقدوا من سيئ القول وقبح الاعتقاد والجور في الحكم، هذا وقد علمت مما سبق أن الله -تبارك وتعالى- هدى أهل السنة والجماعة -السلف الصالح وأتباعهم- لقول الحق واعتقاده في كل باب من أبواب العلم والعمل ومنها هذا الباب العظيم، فتوسطوا بين الغلاة والجفاة استنادًا إلى أدلة الكتاب والسنة وقول الأسلاف ومعتقدهم، وفي هذا الباب توسطوا بين المرجئة والوعيدية، فعرفوا الإيْمان بما رأيت قريبًا، وعليه يكون مرتكب الكبيرة عندهم غير المستحل لها إن لَمْ يتب منها فهو آثم ومعرض للوعيد وناقص الإيْمان بقدر ما اكتسب من الإثم ما لَمْ تكن الكبيرة شركًا أكبر مخرجًا

من الملة، وبين المرجئة الغالية الذين قالوا: إن مرتكب الكبيرة كامل الإيْمان غير معرض للوعيد، وما ذلك إلا لأنه من حصل له التصديق بالقلب عندهم فهو كامل الإيْمان لا ينقص إيْمانه بالمعاصي كما مر بك قريبًا.

كما دلت النصوص أيضًا على أن الإيْمان يقبل التجزءه والتبعيض كما سبق ذكره قريبًا مع الرد على القائلين إن الإيْمان غير قابل للتجزءه ولا للتبعيض، بل هو شيء واحد وإذا ذهب بعضه ذهب كله.

وحيث قد تقرر بنصوص الشرع أن الإيْمان شعب متعددة لا يمنع أبدًا اجتماع إيْمان وكفر أصغر في الشخص الواحد؛ لأن الإيْمان مراتب وشعب فكذلك الكفر المقابل له مراتب والأدلة على ذلك ظاهرة بمنطوقها كقول الله ﷻ: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ**﴾ [الحجرات: من الآية٩].

فقد أثبت الله تعالى لهم وصف الإيْمان مع أنهما متقاتلون، ولا شك أن قتال المسلم كفر، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ أنه قال: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**» وهو دليل على اجتماع الإيْمان والكفر الأصغر في المسلم. وعليه فلا نزاع بين أهل الحديث في وجوب إثبات التبعيض في الإثم والحكم بحيث إنه قد يكون مع الرجل بعض الإيْمان لا كله، وثبت له من حكم أهل الإيْمان وثوابهم بحسب ما معه، كما يثبت له من العقاب بحسب ما عليه. وهكذا يقال في ولاية الله أنّها تقوى

وتضعف بحسب ما مع العبد من الإيْمان والتقوى.

وبعد هذا التمهيد يأتي الجواب على فقرة (أ) وهي هل العمل شرط في صحة الإيْمان أو في كماله؟

وحاصل الجواب: أن الإيْمان لــه شعب متعددة دل عليها ما ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: «**الإيْمان بضع وسبعون شعبة، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيْمان**». إذ إن كل شعبة من تلك الشعب تسمى إيْمانا، فالصلاة وسائر الأعمال التي تزاول بالجوارح كلها من الإيْمان، وهكذا يقال في الأعمال الباطنة كالرغبة والرهبة والتوكل والرجاء والخوف والحياء ونحوها من أعمال القلوب كلها من الإيْمان.

وهذه الشعب المتعددة منها ما يزول الإيْمان بزوالها كشعبة الشهادتين اللتين هما أصل الدين وقاعدته، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق ونحوها من الشعب التي يزداد الإيْمان بفعلها ولكنه لا يزول بزوالها، وبين أعلى الشعب وأدناها شعب متفاوتة منها ما يلحق بأعلى الشعب ويكون إليها أقرب، ومنها ما يلحق بأدناها ويكون إليها أقرب، كما أوضح ذلك ابن قيم الجوزية -رحمه الله- في كتاب "الصلاة" (ص٥٣) وإذ كان الأمر كذلك فإن الإيْمان بتعدد شعبه متضمن أركانًا وواجبات ومستحبات كما بين ذلك الإمام بن تيمية

حيث قال في فتاويه (٧/٦٣٧): الإيْمان مركب من أصل لا يتم بدونه ومن واجب ينقص بفواته نقصًا يستحق صاحبه العقوبة، ومن مستحب يفوت بفواته علو الدرجة، فالناس فيه ظالم لنفسه ومقتصد وسابق كالحج وكالبدن والمسجد وغيرها من الأعيان والصفات، فمن أجزائه ما إذا ذهب نقص عن الأكمل، ومنه ما نقص عن الكمال -أي: الواجب- وهو ترك الواجبات أو فعل المحرمات، ومنه ما نقص ركنه وهو ترك الاعتقاد والقول، فالإيْمان كالحج -مثلاً- في اشتمالهما على أركان وواجبات ومستحبات، ففي الحج أركان متى تركت لَمْ يصح الحج كالوقوف بعرفة، ومشتمل على واجبات من فعل أو ترك يأثم بفعلها أو تركها عمدًا، ويجب مع تركها الجبران بدم كالإحرام من المواقيت المكانية ورمي الجمار ونحو ذلك، ومشتمل على مستحبات من فعل وترك يكمل الحج بِها فلا يأثم بتركها ولا يجب دم مثل رفع الصوت بالإهلال والإكثار منه ودعائه في الطواف وغيرها فكذلك الإيْمان. قرر ذلك الإمام بن تيمية في فتاويه (١٢/٤٧٢-٤٧٣) (٧/٥١٤) وغيرها.

أقول: ومن غير شك عند أهل السنة والجماعة أن الناس متفاوتون في الإيْمان تفاوتًا عظيمًا كما دل على ذلك كتاب الله تعالى، قال ﷻ في تقسيم الخلق: ﴿**فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [فاطر: من الآية٣٢].

وقبل الانتقال إلى الجواب على الفقرة الثانية من السؤال أحب أن

أضيف إلى ما دونت في هذا الموضوع ما يتعلق به مما قد تحصل به فائدة مجيدة ويقرب به الموضوع إلى الكمال وذلك ثلاثة أمور:

الأمر الأول: إيضاح مختصر لمعاني أركان الإيمان.

الأمر الثاني: بيان التلازم بين الإسلام والإيمان.

الأمر الثالث: بيان قضية الاستثناء.

أقول: إن الكلام على معاني أركان الإيمان يجر إلى ذكرها من مصدرها، ولا شك أن مصدرها كتاب الله ﷻ وصحيح سنة رسول الله صلى لله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما الكتاب فقد قال الله ﷻ: ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾ [البقرة:١٧٧].

قال ابن جرير -رحمه الله- بعد أن ذكر أقوال المفسرين في الآية المذكورة: عنى بقوله: ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**﴾ الآية، اليهود والنصارى لأن الآيات مضت بتوبيخهم ولومهم والخبر عنهم وعما أعد لهم من أليم العذاب وهذا في سياق ما قبلها، إذ كان الأمر كذلك ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ**﴾ أيها اليهود والنصارى أن يولي بعضكم وجهه

قبل المشرق وبعضكم قبل المغرب ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ﴾ إلى أن قال -رحمه الله-: فإن قال قائل فكيف قيل: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ وقد علمت أن البر فعل ﴿ومَنْ﴾ اسم، فكيف يكون الفعل هو الإنسان، قيل: أن معنى ذلك غير ما توهمته، وإنما معناه ولكن البر بر من آمن بالله واليوم الآخر، فوضع ﴿مَنْ﴾ موضع الفعل اكتفاء بدلالته ودلالة صلته التي هي له صفة من الفعل المحذوف ا هـ. (٢/١٠٠).

وأما السنة فما رواه مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب ﷺ وفيه: «.. قال: أخبرني عن الإيْمان. قال: **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**.. الحديث». ولكل ركن من هذه الأركان العظيمة معنى لا غنى لمسلم ولا مسلمة عن معرفته ولو على سبيل الإجمال الذي سأذكره فيما يلي:

أما معنى الإيْمان بالله: فهو الإيْمان بوجوده تبارك وتعالى، والإيْمان بربوبيته، والإيْمان بألوهيته، والإيْمان بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة على الوجه اللائق بعظمة الله وجلاله على طريق أهل السنة والجماعة الموضحة في كتب المفسرين السلفيين، والمحدثين الربانيين، والفقهاء العالمين، وليعلم أن الإيْمان بالله على هذا الأساس يستلزم امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، وإحلال حلاله وتحريم حرامه والرغبة فيما رغب فيه والرهبة مما رهب منه.

وأما معنى الإيْمان بالملائكة الكرام: فهو التصديق الجازم بوجودهم

وأن الله خلقهم من نور وجبلهم على طاعته فلا سبيل لهم إلى معصيته وهم عالم غيبي جعله الله على وظائف متعددة، ووصفهم بالطاعة الكاملة بقوله الحق: ﴿**لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم: من الآية٦]. وأثنى عليهم بقوله: ﴿**بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٧]. وغير ذلك من نعوتهم كثير.

وأما معنى الإيمان: بالكتب الْمُنَزلة على رسل الله المرسلة: فهو الاعتقاد الجازم بأنَّها الْمُنَزلة من عند الله -تبارك وتعالى- تكلم بها قولاً وأنزلها على رسله وحيًا، وآمن بها المؤمنون حقًّا وصدقًا، وقد ذكر الله لنا في كتابنا الفرقان منها التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى والفرقان الذي يعتبر مهيمنًا على جميع ما سبقه من الكتب كما قال الله ﷻ: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ**﴾ [المائدة: من الآية٤٨]. فهو كتاب هذه الأمة كلها العرب والعجم والقاصي والداني بل الإنس والجن ولَم يقبل الله منهم سواه كما لا يرضى منهم اتباع أي نبي إلا محمد ﷺ القائل: «**لو كان أخي موسى حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني**». رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٨٧/٤).

وأما معنى الإيْمان بالرسل: فهو التصديق الجازم والاعتراف الحق برسالتهم، وأن الله اصطفاهم من الناس ليبلغوا ما أوحاه إليهم من أمره وطاعتهم في كل ما جاءوا به من عند الله، وقد شهد الله لهم بالكمال في الصفات والأخلاق والنصح للخلائق، وأوجب طاعتهم ورتب عليها

رضاه والجنة وحذر من مخالفته وتوعد الخارجين عن طاعتهم بالنار وبئس القرار، وهم بشر لا يستحقون من صفات الألوهية أو الربوبية شيئًا وقد قال الله لإمامهم وخاتمهم: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾ [الكهف: من الآية ١١٠].

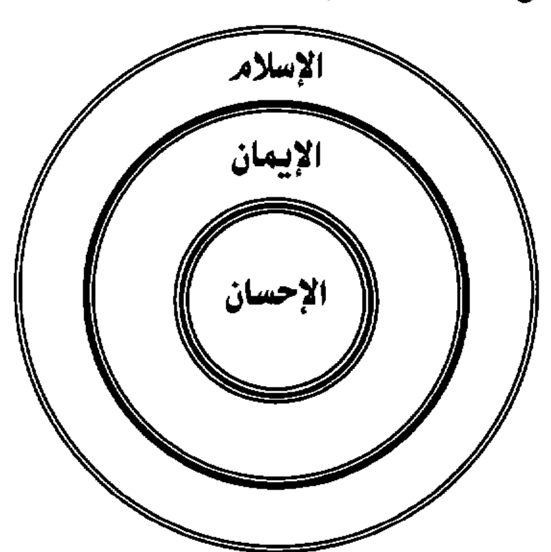
وأما معنى الإيمان باليوم الآخر الذي هو يوم القيامة: فهو الاعتقاد الجازم بوقوعه ووقوع ما يحصل فيه مما بين الله أتم بيان وفصله أكمل تفصيل في كتابه العزيز وعلى لسان رسوله ﷺ، وأن الله يجمع فيه أولى الأمم وأخراها ويجازي كل عامل بما عمل إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر ولا يظلم ربك أحدًا.

وأما معنى الإيمان بالقدر خيره وشره: فهو الاعتقاد الجازم بأن الله قد قدر المقادير كلها حيث جرى بها القلم كلياتها وجزئياتها علوها وسفليها ناطقها وصامتها، متحركها وساكنها، وقد دل على ذلك الكتاب العظيم وسنة النبي الكريم قال الله ﷻ: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر: ٤٩]. وقال النبي ﷺ: «**إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**». ولي رسالة في شرح هذه الأركان بالتفصيل سميتها "**الحياة في ظل العقيدة الإسلامية**".

وأما قضية التلازم بين الإسلام والإيمان فقد اختلف العلماء في كيفية تقرير هذه القضية، والذي يظهر لي هو أن الإسلام إذا ذكر في النصوص منفردًا شمل الإيمان كقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ**

الإِسْلامُ﴾ ونحوها، وإذا ذكر الإيْمان منفردًا شمل الإسلام كذلك نحو قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيْمانا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢].

وإذا اقترنت الأعمال الظاهرة البدنية والمالية بالإيْمان فإن الإسلام يفسر بالأعمال الظاهرة، ويفسر الإيْمان بالأعمال القلبية، كما في تفسير النبي ﷺ في حديث عمر السابق، لذا قال العلماء في الإسلام والإيْمان: إذا افترقا اتحدا، وإذا اجتمعا افترقا، أي: من حيث الدلالة على المعنى، ثم إن اعتبار الإسلام أعم من الإيْمان، وأن الإيْمان أخص منه، وأن الإحسان أخص من الإيْمان أمر معروف من سؤال جبريل للنبي ﷺ حيث إنه ترقى في السؤال من الأعم إلى الأخص ثم إلى ما هو أخص منه وهو الإحسان، والناس متفاوتون في هذه المراتب الثلاث التي يطلق عليها مراتب دين الإسلام، وقد مثل لهذه المراتب في الترابط بالدوائر التالية:



قال الطحاوي -رحمه الله- بعد طرح للموضوع واسع ما نصه: "فالحاصل أن حالة اقتران الإسلام بالإيْمان غير حالة إفراد أحدهما عن الآخر، فمثل الإسلام من الإيْمان كمثل الشهادتين إحداهما من الأخرى، فشهادة الرسالة غير شهادة الوحدانية، فهما شيئان في الأعيان وإحداهما مرتبطة بالأخرى في المعنى والحكم كشيء واحد. كذلك الإسلام والإيْمان، لا إيْمان لمن لا إسلام له، ولا إسلام لمن لا إيْمان له، إذ لا يخلو المؤمن من إسلام به يتحقق إيْمانه، ولا يخلو المسلم من إيْمان به يصح إسلامه، ونظائر ذلك في كلام الله ورسوله وكلام الناس كثيرة، أعني في الإفراد والاقتران، منها: لفظ الكفر والنفاق فالكفر إذا ذكر مفردًا في وعيد الآخرة دخل فيه المنافقون كقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَكْفُرْ بالإيْمان فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [المائدة: من الآية٥]. ونظائره كثيرة، وإذا قرن بينهما كان الكافر من أظهر كفره، والمنافق من آمن بلسانه ولَم يؤمن بقلبه.

وكذلك لفظ البر والتقوى، ولفظ الإثم والعدوان، ولفظ التوبة والاستغفار، ولفظ المسكين والفقير، وأمثال ذلك.

ويشهد للفرق بين الإسلام والإيْمان قوله تعالى: ﴿**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا**﴾ [الحجرات: من الآية١٤]. وقد اعترض على هذا بأن معنى الآية: ﴿**قُولُوا أَسْلَمْنَا**﴾ انقدنا بظواهرنا، فهم منافقون في الحقيقة، وهذا أحد قولي المفسرين في هذه الآية الكريمة، وأجيب

بالقول الآخر ورجح، وهو أنَّهم ليسوا بمؤمنين كاملي الإيْمان، لا أنَّهم منافقون، كما نفى الإيْمان عن القاتل والزاني والسارق ومن لا أمانة له، ويؤيد هذا سياق الآية، فإن السورة من أولها إلى هنا في النهي عن المعاصي وأحكام بعض العصاة ونحو ذلك، وليس فيها ذكر المنافقين، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ [الحجرات: من الآية١٤]. ولو كانوا منافقين ما نفعتهم الطاعة، ثم قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: من الآية١٥]. يعني -والله أعلم-: أن المؤمنين الكاملي الإيْمان هم هؤلاء لا أنتم، بل أنتم منتف عنكم الإيْمان الكامل، يؤيد هذا: أنه أمرهم، أو أذن لهم، أن يقولوا: أسلمنا و المنافق لا يقال له ذلك، ولو كانوا منافقين لنفى عنهم الإسلام كما نفى عنهم الإيْمان، ونَهاهم أن يمنوا به على رسوله ولو لَمْ يكن إسلامًا صحيحًا لقال: لَمْ تسلموا بل أنتم كاذبون كما كذبَهم في قولهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون: من الآية١]. والله أعلم بالصواب. (ص٣٤٩).

وأما قضية الاستثناء في الإيْمان فقد قال الطحاوي -رحمه الله- ما نصه: "مسألة الاستثناء في الإيْمان هو أن يقول أي الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله، والناس فيه على ثلاثة أقوال: طرفان ووسط، منهم من يوجبه، ومنهم من يحرمه، ومنهم من يجيزه باعتبار ويمنعه باعتبار، وهذا أصح الأقوال.

أما من يوجبه فلهم مأخذان:

أحدهما: أن الإيْمان هو ما مات الإنسان عليه، والإنسان إنما يكون عند الله مؤمنًا أو كافرًا باعتبار الموافاة وما سبق في علم الله أنه يكون عليه، وما قبل ذلك لا عبرة به. قالوا: والإيْمان الذي يعقبه الكفر فيموت صاحبه كافرًا: ليس بإيْمان كالصلاة التي أفسدها صاحبها قبل الكمال، والصيام الذي يفطر صاحبه قبل الغروب، وهذا مأخذ كثير من الكلابية وغيرهم، وعند هؤلاء أن الله يحب في الأزل من كان كافرًا إذا علم منه أنه يموت مؤمنًا، فالصحابة ما زالوا محبوبين قبل إسلامهم، وإبليس ومن ارتد عن إسلامه ما زال الله يبغضه وإن كان لَمْ يكفر بعد، وليس هذا قول السلف، ولا كان يقول بهذا من يستثنى من السلف بإيْمانه وهو فاسد، فإن الله تعالى قال: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ [آل عمران: من الآية٣١]. فأخبر أنَّهم يحبهم إذا اتبعوا الرسول، فاتباع الرسول شرط المحبة والمشروط يتأخر عن الشرط، وغير ذلك من الأدلة.

ثم صار إلى هذا القول طائفة غلوا فيه، حتى صار الرجل عندهم يستثنى في الأعمال الصالحة يقول: صليت إن شاء الله، ونحو ذلك يعني القبول، ثم صار كثير منهم يستثنون في كل شيء فيقول أحدهم هذا ثوب إن شاء الله هذا حبلٌ إن شاء الله، فإذا قيل لهم هذا لا شك فيه ؟ يقولون نعم لكن إذا شاء الله أن يغيره غيره !!.

المأخذ الثاني: أن الإيْمان المطلق يتضمن فعل ما أمر الله به عبده كله، وترك ما نَهاه عنه كله، فإذا قال: الرجل أنا مؤمن بِهذا الاعتبار فقد شهد لنفسه أنه من الأبرار المتقين، القائمين بجميع ما أمروا به، وترك كل ما نُهوا عنه، فيكون من أولياء الله المقربين! وهذا مع تزكية الإنسان لنفسه ولو كانت هذه الشهادة صحيحة لكان ينبغي أن يشهد لنفسه بالجنة إن مات على هذا الحال.

وهذا مأخذ عامة السلف الذين كانوا يستثنون وإن جوزوا ترك الاستثناء، بمعنى آخر كما سنذكره -إن شاء الله تعالى-، ويحتجون أيضًا بجواز الاستثناء فيما لا شك فيه كما قال الله تعالى: **﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾** [الفتح: من الآية٢٧].

وقال ﷺ حين وقف على المقابر: «**وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**». وقال أيضًا: «**إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله**». ونظائر هذا.

وأما من يحرمه فكل من جعل الإيْمان شيئًا واحدًا فيقول: أنا أعلم أني مؤمن كما أعلم أني تكلمت بالشهادتين، فقولي: أنا مؤمن، كقولي: أنا مسلم، فمن استثنى في إيْمانه فهو شاك فيه، وسموا الذين يستثنون في إيْمانهم الشكاكة، وأجابوا عن الاستثناء الذي في قوله تعالى: **﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾** الآية. بأنه يعود إلى الأمن والخوف، فأما الدخول فلا شك فيه! وقيل: لتدخلن جميعكم أو بعضكم، لأنه علم أن بعضهم يموت! وفي كلا الجوابين نظر: فإنَّهم وقعوا فيما فروا منه،

فأما الأمن والخوف فقد أخبر أنَّهم يدخلون آمنين مع علمه بذلك فلا شك في الدخول، ولا في الأمن ولا في دخول الجميع ولا البعض، فإن الله قد علم من يدخل فلا شك فيه أيضًا، فكان قول: إن شاء الله هنا تحقيقًا للدخول، كما يقول الرجل فيما عزم على شيء أن يفعله لا محالة: والله لأفعلن كذا إن شاء الله، لا يقولها لشك في إرادته وعزمه، ولكن إنما لا يحنث الحالف في مثل هذه اليمين لأنه لا يجزم بحصول مراده، وأجيب بجواب آخر لا بأس به وهو: أنه قال ذلك تعليمًا لنا كيف نستثني إذا أخبرنا عن مستقبل، وفي كون هذا المعنى مرادًا من النص نظر، فإنه ما سيق الكلام إلا أن يكون مرادًا من إشارة النص، وأجاب الزمخشري بجوابين آخرين باطلين وهما: أن يكون الملك قد قاله، فأثبت قرآنًا ! أو أن الرسول قاله!! فعند هذا المسكين يكون من القرآن ما هو غير كلام الله! فيدخل في وعيد من قال: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥]. نسأل الله العافية.

وأما من يجوز الاستثناء وتركه فهم أسعد بالدليل من الفريقين، وخير الأمور أوسطها فإن أراد المستثني الشك في أصل إيْمانه منع من الاستثناء وهذا مما لا خلاف فيه، وإن أراد أنه مؤمن من المؤمنين الذين وصفهم الله في قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ

عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال:٢-٤]. وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥].

فالاستثناء حينئذٍ جائز، وكذلك من استثنى وأراد عدم علمه بالعاقبة، وكذلك من استثنى تعليقًا للأمر بمشيئة الله لا شكًا في إيْمانه، وهذا القول في القوة كما ترى.

ب- وأما نصيحتي لمن يريد أن يؤلف في علوم الشريعة ووسائلها قبل أن يتأهل لاسيما موضوع الاعتقاد والأحكام، فإنني أرشده إلى بذل الجهد في التحصيل العلمي أولاً، وذلك بكثرة الأخذ عن أشياخه وتنظيم المكتبة الْمَنْزلية واختيارها بمشورة العلماء السائرين على نَهج السلف عقيدة وعملاً، وتوثيق الصلة بالمكتبة واهتبال الفرص في القراءة ومذاكرة الأقران حتى يصبح مؤهلاً ويشهد له أشياخه وأقرانه بأنه ذو كفاءة تؤهله للتأليف والفتوى والمناظرة الشرعية لإبراز الحق ورد الباطل وإحياء السنن وقطع دابر البدع وللدعوة إلى الله على نَهج رسل الله -صلى الله عليهم وسلم أجمعين-.

ومتى كان كذلك فلينشر علمه بالتأليف والدعوة إلى الله والفتوى والتوجيه لإخوانه المسلمين، إذ لا تصلح الأرض إلا بِهذا الصنف من الناس، ولا تطيب الحياة إلا بالعلم الذي حملوه وأمروا بتبليغه بنص الكتاب والسنة.

أما إذا كان مبتدأ في الطلب واستعجل الشيء قبل أوانه فيخشى عليه أن يقع في فحش الغلط والقول على الله بدون علم، أو نسبة قول أو فعل إلى رسول الله ﷺ لَمْ يقله ولَم يفعله وذلك كله أمر خطير، لحديث: «**إن كذبًا عليَّ ليس ككذب على أحد فمن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**».

وخير لمن كتب في العلوم الشرعية ووسائلها أن يعرض على مشائخه أو أقرانه النجباء الأذكياء الأوفياء، فما كان من خير وصواب أيدوه، وما كان من خطأ أو إضافة شيء تحسن إضافته أرشدوه لاستدراكه قبل أن ينتشر الكتاب.

وقديْمًا قيل: من كتب للناس فكأنَّما وضع عقله على طبق يراه الناس جميعًا.

فليتق الله العبد في نفسه من أن يوبقها وهو يريد فكاكها من النار، وليحذر من يضل المسلمين بشيء يكتبه لهم لينفعهم فيضرهم، وسوف يأتي اليوم الذي يسأل فيه الإنسان عما كتب، فمنهم الناجي المرحوم، ومنهم المحاسب الملوم.

فاللهم سلم سلم.

* * * * *

س٨: ما خلاصة اعتقاد أهل الأثر في الجنة والنار هل هما مخلوقتان أم لا؟ وهل قال: أحد بفنائهما، أو بفناء النار وحدها ؟

وما مدى صحة ما نسب إلى الإمامين بن تيمية، وابن قيم الجوزية من دعوى ميلهما إلى القول بفناء النار ؟

ج٨: خلاصة اعتقاد أهل الأثر هو: أن الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدًا، بدليل ما جاء في الكتاب العزيز والسنة المطهرة وقول سلف هذه الامة وأتباعهم إلى يوم الدين.

أما الكتاب فقد قال الله ﷻ : ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران:١٣٣]. وكم لهذه الآية من نظائر.

وقال -تبارك وتعالى- في شأن النار: ﴿**وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ [آل عمران:١٣١]. ونظائرها كثيرة جدًّا.

وأما الأدلة من السنة على ذلك فكثيرة جدًّا، منها:

١- حديث الإسراء والمعراج وفيه: «**... ثم انطلق بي جبريل حتى أتى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال: ثم دخلت الجنة فإذا هي جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابُها المسك...**» وفي رواية: «**ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسنها**».

وقصة الإسراء الشهيرة أوردها أهل العناية بالتفسير والسنة، وآمنوا

بها إيمانا صحيحًا صريحًا، وأعرض منها من أعرض من أهل الزندقة والإلحاد: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف:٨].

٢- ومنها ما ثبت من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة**».

٣- ومنها: ما جاء في صحيح مسلم من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فذكر الحديث وفيه: «... فقالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئًا في مقامك، ثم رأيناك تكعكعت، فقال: **إني رأيت الجنة وتناولت عنقودًا ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر منظرًا كاليوم قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء**. قالوا: بما يا رسول الله ؟ قال: **بكفرهن**. قيل: أيكفرن بالله ؟ قال: **يكفرن العشير، ويكفرن بالإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئًا قالت: ما رأيت خيرًا قط**».

٤- ومنها ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبرائيل إلى الجنة فقال: اذهب وانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها. فذهب فنظر إليها، وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، ثم رجع فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر**

بالجنة فحفت بالمكاره، فقال: ارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها. قال: فنظر إليها ثم رجع فقال: لقد خشيت ألا يدخلها أحد، قال: ثُمَّ أرسله إلى النار قال: اذهب إليها، فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها. فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضًا، ثم رجع فقال: وعزتك لا يدخلها أحد سمع بِها. فأمر بِها فحفت بالشهوات، ثم قال: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها. فذهب فنظر إليها فرجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها».

قلت: وهذه النصوص ونظائرها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ دالة على أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن بلا شك ولا ريب، فمن أبصر فلنفسه، ومن عمي فعليها.

وأما سلف الأمة وأتباعهم في كل زمان ومكان فقد اتفقوا على أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن.

قال أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي (٣٢١هـ) -رحمه الله- ما نصه: "والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدا، ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وكل يعمل لما قد فرغ منه، وصائر إلى ما خلق له والخير والشر مقدران على العباد" اهـ. من شرح الطحاوية (٤٧٦).

وقال الإمام أحمد -رحمه الله-: "والجنة والنار مخلوقتان قد خلقتا،

كما جاء عن رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أنه قال: «**دخلت الجنة فرأيت قطرا، ورأيت الكوثر**»" ا هـ. من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/١٦٤).

وقال ابن أبي العز شارح الطحاوية (٤٧٦): "فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ولَم يزل أهل السنة على ذلك حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية وأنكرت ذلك وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله، وأنه ينبغي أن يفعل كذا، أو لا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة، وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث لأنَّها تصير معطلة مددًا متطاولة، فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى، وحرفوا النصوص من مواضعها، وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم. اهـ.

وأما قول السائل: هل أحد قال: بفنائهما أو فناء النار وحدها ؟

فالجواب: قال ابن القيم -رحمه الله-: "وهذا موضع اختلف فيه المتأخرون على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الجنة والنار فانيتان غير أبديتين، بل كما هما حادثتان فهما فانيتان.

والقول الثاني: أنَّهما باقيتان دائمتان لا يفنيان أبدًا.

والقول الثالث: إن الجنة باقية أبدية، والنار فانية.

ونحن نذكر هذه الأقوال ومن قالها، وما جنح به أرباب كل قول ونرد ما خالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فأما القول بفنائها: فهو قول قاله الجهم بن صفوان إمام المعطلة الجهمية، وليس له فيه سلف قط من الصحابة ولا من التابعين ولا أحد من أئمة الإسلام، ولا قال به أحد من أهل السنة وهذا القول مما أنكره عليه وعلى أتباعه أئمة الإسلام وكفروهم به، وصاحوا بِهم من أقطار الأرض كما ذكر عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة عن خارجة بن مصعب أنه قال: كفرت الجهمية بثلاث آيات من كتاب الله عز وجل: بقول الله تعالى: ﴿**أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا**﴾ [الرعد: من الآية٣٥]. وهم يقولون: لا يدوم. وبقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ**﴾ [ص:٥٤]. وهم يقولون: ينفد. وبقوله عز وجل: ﴿**مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ**﴾ [النحل: من الآية٩٦]. إلى أن قال الإمام بن القيم: "والمقصود أن القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع لَمْ يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين". إلى أن قال -رحمه الله-: "وأما أبدية النار ودوامها فقال فيها شيخ الإسلام:فيها قولان معروفان عن السلف والخلف، والنـزاع في ذلك معروف عند التابعين، قلت -أي: ابن القيم-: هاهنا أقوال سبعة:

أحدها: أن من دخلها -أي: النار- لا يخرج منها أبدًا، بل كل من دخلها مخلد فيها أبد الآبدين وهذا قول الخوارج والمعتزلة.

والثاني: أن أهلها يعذبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبيعة نارية يتلذذون بها لموافقتها لطبيعتهم، وهذا قول ابن عربي الطائي.

الثالث: قول من يقول أن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها قوم آخرون، وهذا القول حكاه للنبي ﷺ اليهود فأكذبَهم فيه وقد أكذبَهم الله تعالى في القرآن فيه فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٨٠-٨١]. فهذا القول إنَّما هو قول أعداء الله اليهود، فهم شيوخ أربابه القائلين به وقد دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام على فساده، قال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: من الآية١٦٧]. وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج: من الآية٢٢]. وقال تعالى: ﴿لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: من الآية٣٦]. وقال ﷻ: ﴿وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: من الآية٤٠]. وهذا أبلغ ما يكون في الإخبار عن استحالة دخولهم الجنة.

الرابع: قول من يقول يخرجون منها وتبقى نارًا على حالها ليس فيها أحد يعذب، حكاه شيخ الإسلام، والقرآن والسنة أيضًا يردان هذا القول كما تقدم.

الخامس: قول من يقول بل تفنى بنفسها لأنَّها حادثة بعد أن لَمْ تكن، وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه وأبديته، وهذا قول جهم بن صفوان وشيعته ولا فرق عنده في ذلك بين الجنة والنار.

السادس: قول من يقول تفنى حياتُهم وحركاتُهم ويصيرون جمادًا لا يتحركون ولا يحسون بألم، وهذا قول أبي الهذيل العلاف إمام المعتزلة، طردًا لامتناع حوادث لا نِهاية لها والجنة والنار عنده سواء.

القول السابع: قول من يقول بل يفنيها ربُّها وخالقها -تبارك وتعالى-، فإنه جعل لها أمرًا تنتهي إليه ثم تفنى ويزول عذابُها. اهـ. بتصرف واختصار.

قلت: والذي أدين الله به وقد فهمته من نصوص الثقلين العظيمين كتاب الله ﷻ، وما صح من سنة رسول الله ﷺ هو:

أ- أن الجنة أبدية كان لها بداية وليس لها نِهاية، وأما من دخلها لا يخرج منها أبدًا بل ينعم بأصناف النعيم الذي أعده الله لأهل الجنة وقصه علينا في كتابه وسنة رسوله -عليه الصلاة والسلام-، وأن حياة أهلها فيها دائمة ونعيمهم في مزيد، فهنيئًا لهم وتبًّا لكل من تعمد مخالفة نصوص الوحي المعصومة طلبًا لتشكيك الخلق وتضليلهم، وعفا الله عمن اجتهد -وهو أهل الاجتهاد- في بعض الأمور التي سبيلها واضح عند الكثير من أهل العلم وخافٍ عند البعض.

وكم على ذلك من أدلة في غاية الوضوح من كتاب الله وسنة

رسوله كما أسلفت. قال الله ﷻ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦]. إلى آخر سورة الرحمن. وقال سبحانه: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: من الآية٣٥]. وقال عز من قائل: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨]. وقال -تبارك وتعالى-: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥]. وقال عز من قائل: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص:٥٤]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨].

وكم في القرآن الكريم لهذه الآيات المحكمات من نظائر تدل على أبدية الجنة وأبدية حياة أهلها، ودوام نعيمهم نسأل الله من فضله العظيم جنته الفردوس ونعيمها.

ومن السنة في هذا الموضوع:

ما أخرجه الترمذي -رحمه الله- من حديث أبي هريرة ﷺ قال: «قلنا يا رسول الله إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد، قال: **لو تكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم، ولزارتكم**

في بيوتكم، ولو لَمْ تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر الله لهم. قال: قلنا: يا رسول الله حدثنا عن الجنة، ما بناؤها ؟ قال: **الجنة لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابُها الزعفران، من يدخلها ينعم لا ييأس ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه»** الحديث. رواه الترمذي (٢٥٢٦) وسنده صحيح.

وما أخرجه البخاري في التفسير (٤٧٣٠) ومسلم في صفة الجنة باب (١٣) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت. قال: ثم يقال يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، فيؤمر به فيذبح، قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت.** ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم:٣٩].

وفي رواية أخرى عنه ﷺ: **«فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم»**.

وكم لهذين النصين نظائر في الدلالة على المدعى ولا شك أن أهلها يتفاضلون فيها بحسب صالح أعمالهم وكمال أخلاقهم، وقد أوضح الله ﷻ هذا التفاضل بقوله الحق: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران:١٦٣]. وبقوله ﷻ : ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ

وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء:٩٥-٩٦].

كما أوضح ذلك النبي ﷺ في غير ما حديث، ومن ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الجنة ليراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الغابر في الأفق من المشرق والمغرب بالتفاضل ما بينهم**. قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغهم غيرهم ؟ قال: **بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**».

وكما جاء في البخاري -رحمه الله- من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله الجنة فسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنان**».

وفيهما أيضًا من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربِّهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**».

وغير ذلك في موضوع تفاضل أهل الجنة وعلو منازل بعضهم على بعض كثير.

ب- وأما النار التي أعدت للكافرين الكفر الأكبر، والمشركين الشرك الأكبر، والمنافقين النفاق الاعتقادي، فهي أبدية لا تفنى بل بقاؤها دائم وأهلها لا يموتون فيها ولا يحيون قد حرم الله عليهم الجنة ومأواهم النار كما بين ذلك الواحد القهار حيث قال ﷻ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ**﴾ [الأعراف:٤٠].

وقال سبحانه: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ**﴾ [فاطر:٣٦].

وقال ﷻ: ﴿**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**﴾ [الزخرف:٧٧-٧٨].

وقال -جل وعلا-: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾ [النساء:٥٦].

وقال ﷻ: ﴿**إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**﴾ [المائدة: من الآية٧٢].

وقال تبارك اسمه: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرا**﴾ [النساء:١٤٥]. وغير هذه الآيات كثير.

وأما السنة فقد دلت على ما دل عليه القرآن في هذا المعنى:

فقد أخرج مسلم في صحيحه (١٨٥) من حديث أبي سعيد

الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما أهل النار الذين هم أهلها فإنَّهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم** -أو قال: **بخطاياهم- فأماتَهم إماتة حتى إذا كانوا فحمًا أذن بالشفاعة فجئ بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل.** فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية».

قلت: وهو دليل صريح على أبدية النار التي أعدت لمن سبق ذكرهم آنفًا وأنَّهم لا يخرجون منها ولا تفنى، بل إنَّهم كما أخبر عنهم خالقهم: ﴿**لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا**﴾ [فاطر: من الآية٣٦]. لكفرهم الأكبر وشركهم الأكبر ونفاقهم الاعتقادي، وأما النار التي تفنى ويخرج منها أهلها فهي النار التي يعذب بها عصاة الموحدين بقدر ما جنوا من المعاصي، فإنَّهم لا يخلدون فيها وإنما مآلهم الجنة لأن الله حرم على النار من قال: "لا إله إلا الله" خالصًا من قلبه كما هو مذهب أهل السنة والجماعة في باب نصوص الوعد والوعيد وأحاديث الشفاعة التي لا تكون إلا لأهل التوحيد كما في حديث: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**».

وفي حديث أبي سعيد الخدري الطويل عند مسلم (١٨٣) وفيه: «.. **ثم يقول: ارجعوا فإن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقًا كثيرًا، فيقولون: ربنا لَمْ نذر فيها خيرًا**» وكان أبو سعيد

يقول: إن لَمْ تصدقوني بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فيقول الله ﷻ: **شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولَم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لَمْ يعملوا خيرًا قط قد عادوا حممًا، فيلقيهم الله في نَهر في أفواه الجنة يقال لــه: نَهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، ألا ترونَها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض، فقالوا:** يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية ؟ قال: **فيخرجون كاللؤلؤ في رقابِهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه»**. الحديث بطوله ورواياته.

هذا صريح اعتقاد أهل السنة والجماعة ألا وهو الإيْمان بما دلت عليه نصوص الشفاعة التي فيها شفاعة الشافعين بإذن أرحم الراحمين وأمره في عصاة الموحدين على الأساس الذي رأيت.

وإذ كان الأمر كذلك فإن النار التي أعدت لتطهير عصاة الموحدين على اختلاف طبقاتِهم وتنوع موبقاتِهم هي التي تفنى، ويأتي عليها يوم وأبوابُها تصطفق ليس فيها أحد من عصاة الموحدين رحمة من الله وفضلا وهو أرحم الراحمين وخير الغافرين، أما النار التي أعدت للكافرين الكفر الأكبر فهي أبدية لا تفنى وأهلها فيها لا يموتون فيها ولا يحيون حكمة من الله وعدلا وهو أحكم الحاكمين، ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه

يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل والعباد يسألون.

وعلى ذلك أئمة العلم المعتد بهم الذين مصدر تلقيهم للعلم كتاب الله ﷻ وصحيح سنة نبيه ﷺ بالفهم الصحيح.

قال الإمام أحمد في آخر كتابه "الرد على الزنادقة" وقد حكى على الجهمية قولهم بفناء الجنة والنار، فرده عليهم بشطريه وذكر آيات كثيرة في بقاء الجنة ودوامها، ثم ذكر قولهم بفناء النار وذكر الله أهل النار، فقال: ﴿**لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا**﴾ [فاطر: من الآية٣٦].

﴿**أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي**﴾ [العنكبوت: من الآية٢٣]. وقال ﷻ: ﴿**لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ**﴾ [الأعراف: من الآية٤٩]. وقال تعالى: ﴿**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ**﴾ [الزخرف:٧٧]. وقال ﷻ: ﴿**سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ**﴾ [ابراهيم: من الآية٢١]. وقال سبحانه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ**﴾ [البينة:٦].

وقال سبحانه: ﴿**كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ**﴾ [النساء: من الآية٥٦]. وقال سبحانه: ﴿**كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا**﴾ [السجدة: من الآية٢٠]. وقال سبحانه: ﴿**إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ**﴾ [الهمزة:٨].

هذا كله مما احتج به الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- على القائلين بفناء النار وعدم دوامها على سبيل العموم، وقد نقل عنه شارح قصيدة

ابن القيم النونية "توضيح المقاصد وتصحيح القواعد" (٩٧/١) أنه قال: "والجنة والنار خلقتا للبقاء ولَم يكتب عليهن الموت فمن قال خلاف ذلك فهو مبتدع".

ونحوه قول ابن حزم في "الملل والنحل" (٨٣/٤): "اتفقت الأمة كلها على أنه لا فناء للجنة ولا لنعيمها، ولا للنار ولا لعذابها إلا جهم بن صفوان ".

وقال ابن حزم أيضًا في موضع آخر من كتابه "مراتب الإجماع": وأن النار حق، وأنَّها دار عذاب أبدًا لا تفنى ولا يفنى أهلها أبدًا بلا نهاية" وأقره على ذلك شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله-[1].

وقال الإمام بن القيم الجوزية -رحمه الله- في كتابه "الوابل الصيب" (ص٤٨- ٤٩) وهو يشرح حديث الحارث الأشعري ﷺ ما نصه: ولما كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله ﷻ، حرم الجنة على أهله فلا يدخل الجنة نفس مشركة وإنما يدخلها أهل التوحيد فإن التوحيد هو مفتاح بابها، فمن لَمْ يكن معه مفتاح لَمْ يفتح له بابُها، وكذلك إن أتى بمفتاح لا أسنان له لَمْ يمكن الفتح به وأسنان هذا المفتاح الصلاة والصيام والزكاة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن

(١) انظر مقدمة كتاب "رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار". تأليف العلامة محمد ابن إسماعيل الأمير الصنعاني. تحقيق الشيخ العلامة/ محمد ناصر الدين الألباني (ص١٦، ١٧).

المنكر وصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وبر الوالدين، فأي عبد اتخذ في هذه الدار مفتاحًا صالحًا من التوحيد وركب فيه أسنانًا من الأوامر جاء يوم القيامة إلى باب الجنة ومعه مفتاحها الذي لا تفتح إلا به فلم يعقه عن الفتح عائق، اللهم إلا أن تكون له ذنوب وخطايا وأوزار، لَمْ يذهب عنه أثر حق في هذه الدار بالتوبة والاستغفار فإنه يحبس عن الجنة حتى يتطهر منها، وإن لَمْ يطهره الموقف وأهواله وشدائده فلا بد من دخول النار ليخرج خبثه فيها ويتطهر من درنه ووسخه ثم يخرج منها فيدخل الجنة فإنَّها دار الطيبين لا يدخلها إلا طيب.

قال ﷻ: ﴿**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [النحل:٣٢]. وقال تعالى: ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**﴾ [الزمر:٧٣].

فعقب دخولها على الطيب بحرف الفاء الذي يؤذن بأنه سبب للدخول أي: بسبب طيبكم قيل لكم أدخلوها، ثم قال: "وأما النار فإنَّها دار الخبث في الأقوال والأعمال والمأكل والمشارب ودار الخبيثين، قال الله تعالى: ﴿**لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ [الأنفال:٣٧].

فالله تعالى يجمع الخبيث بعضه على بعض فيركمه كما يركم الشيء المتراكم بعضه إلى بعض، ثم يجعله في جهنم مع أهله فليس فيها إلا

خبيث، ولما كان الناس على ثلاث طبقات طيب لا يشينه خبث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب، كانت دورهم ثلاثة، دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تفنيان، ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة الموحدين فإنَّهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار وأدخلوا الجنة ولا يبقى إلا دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض انتهى المقصود.

وأما ما نسب إلى الإمامين شيخ الإسلام بن تيمية، وتلميذه العلامة ابن القيم الجوزية -رحمهما الله- من الميل إلى القول بفناء النار الَّتي هي مأوى كل منافق وزنديق وكل مشرك كفور قد كتب الله عليهم الخلود فيها وعدم الخروج منها، كما هو صريح في نصوص الكتاب والسنة وقول علماء الأمة في كل زمان ومكان فقد صح ذلك من أقوالهما وقد ناقش هذه القضية بعض العلماء، ومنهم العلامة/ محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني في رسالته "**رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار**" وقد قام بتحقيق هذه الرسالة العلامة/ محمد ناصر الدين الألباني، وقد بذلا جهدًا كبيرًا في تحرير هذه القضية، وقد ثبت عندهما ما نسب إلى الإمامين شيخ الإسلام ابن تيمية، وشيخ الإسلام ابن قيم الجوزية من القول بفناء النار وكانت مناقشة القضية من كلا الشيخين الجليلين محمد ابن إسماعيل الأمير الصنعاني، ومحمد ناصر الدين الألباني مناقشة علمية رصينة يزينها الأدب في القول والإنصاف في الاستدلال وحسن الظن

بشيخي الجهاد والدعوة السلفية، ولنسمع إلى الشيخ الألباني وهو يقول بعد أن سرد نموذجًا جيدًا من نصوص الكتاب والسنة الدالة على بطلان القول بفناء النار: "فكيف ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وانتصر له تلميذه ابن قيم الجوزية فأقول -والقول للألباني-: إن أحسن ما أجد في نفسي من الجواب عنهما إنَّما هو أنه لما توهما أن بعض الصحابة قد ذهبوا إلى ذلك، وهم قدوتنا جميعًا لو صح ذلك عنهم رواية ودراية، ولَم يصح كما سيأتي بيانه عند المؤلف الصنعاني -رحمه الله- واقترن مع ذلك غلبه الخوف عليهما من الله ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾ [الرحمن:٤٦] والشفقة على عباده تعالى من عذابه، وغمرهما الشعور بسعة رحمة الله وشمولها حتى للكفار منهم، وساعدهما على ذلك ظواهر بعض النصوص ومفاهيمها فأذهلهما ذلك عن تلك الأدلة القاطعة وقالا ما لَمْ يقل أحد قبلهما، وما أرى لهما شبهًا في هذا إلا ذلك المؤمن الذي أوصى أهله أن يحرقوه بالنار ليضل عن ربه فلا يقدر على تعذيبه -زعم-، كما قال ﷺ: «**قال رجل لَمْ يعمل حسنة قط لأهله: إذا مات فحرقوه، ثم ذروا نصفه في البر ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبه عذابًا لا يعذبه أحد من العالمين، فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم به، فأمر الله البر فجمع ما فيه، وأمر البحر فجمع ما فيه، ثم قال: لَمْ فعلت هذا ؟ قال: من خشيتك يا رب وأنت أعلم. فغفر الله له**». أخرجه الشيخان وغيرهما عن جمع من الصحابة منهم أبو هريرة ﷺ، وهذا لفظه عند مسلم (٨/٩٧).

فقال الألباني معلقًا عليه: فهذا الرجل أنساه خوفه من ربه قدرته تعالى على إعادة خلقه، وهي معلومة يقينًا: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٨-٧٩]. فما أشبه ابن تيمية به من حيث أنه غفل عن المعلوم يقينًا أيضًا وهو أن النار باقية لا تفنى إلا أن الحامل له على ذلك إنَّما كان ثقته البالغة في رحمة ربه وعفوه وأنَّها وسعت كل شيء دونما استثناء.

إلى أن قال: وساعده على ذلك ظواهر بعض الآيات والأحاديث التي لَمْ يمعن النظر فيها فلم يتبين له خطأ استدلاله بِها حتى استقر ذلك القول في نفسه، وأخذ بمجامع لبه فصار يدافع عنه ويحتج له بكل دليل يتوهمه، ويتكلف في الرد على الأدلة المخالفة لها تكلفًا ظاهرًا خلاف المعروف عنه، وتبعه في ذلك بل وزاد عليه تلميذه وماشطة كتبه كما يقول البعض ابن القيم الجوزية، حتى ليبدو للباحث المتجرد المنصف أنَّهما قد سقطا فيما ينكرانه على أهل البدع والأهواء من الغلو في التأويل والابتعاد في النصوص عن دلالتها الصريحة وحملها على ما يؤيد ويتفق مع أهوائهم كما سترى ذلك مفصلاً في الرسالة هذه (ص١١٦-١٢٢) حتى بلغ الأمر بِهما إلى تحكيم العقل فيما لا مجال له فيه، كما يفعل المعتزلة تمامًا، وقد تعلمنا من ابن تيمية وابن القيم -جزاهما الله خيرًا- الرد عليهم في مثله، فزعما أن عذاب النار سبب لإزالة آثار الخبث والنجاسة من

الكفار فإذا تطهروا منها عادوا إلى فطرتهم الأولى فيزول العذاب، ويبقى مقتضى الرحمة كما سيأتي (ص١٢٢) نقلاً عن ابن القيم ومضى نحوه كلام ابن تيمية، فتأمل معي في ذلك تجده كلامًا خطابيًّا خياليًّا لا حقيقة تحته، فإنه يفترض ذهاب تلك الخبائث وتلاشيها وزوال العذاب عن الكفار وهم في الدار الآخرة حيث لا تكليف فيها، فإن من المعلوم يقينًا أننا لو تخيلنا كافرًا تاب إلى ربه وأناب إليه حينما رأى العذاب بأم عينيه أنه لا يفيده ذلك شيئًا بالإجماع فكيف ينفعه شيء وهو لَمْ يتب وهو في العذاب محترق ؟! تالله إنَّها لإحدى الكبر أن يخفى مثل هذا على أحد من المسلمين فكيف بشيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم الهمام، ونحن دائمًا نغترف من بحر علومها، ونستضيء بنور أدلتها في إزالة الشكوك والأوهام في كثير مما اختلف فيه الناس قديمًا وحديثًا، وعلى سبيل المثال المناسب للحال أذكرها هنا ملخصًا فتوى لابن تيمية جاءت في "مجموع الفتاوى" (٤/٣٢٤): سئل الشيخ -رحمه الله تعالى-: هل صح عن النبي ﷺ أن الله تعالى أحيا له أبويه حتى أسلما على يديه ثم ماتا بعد ذلك، فأجاب: "لَمْ يصح ذلك عن أحد من أهل الحديث، بل أهل الحديث متفقون على أن ذلك كذب مختلق، وإن كان قد روى بإسناد فيه مجاهيل، وأمثال هذه المواضع فلا نزاع بين أهل المعرفة أنه من أظهر الموضوعات كذبًا كما نص عليه أهل العلم، فإن مثل هذا لو وقع لكان مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله فإنه من أعظم الأمور خرقًا للعادة:

١- من جهة إحياء الموتى.

٢- ومن جهة الإيْمان بعد الموت.

ثم هذا خلاف الكتاب والسنة الصحيحة والإجماع، قال الله تعالى: **﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾** [النساء: من الآية١٧-١٨].

فبين الله تعالى أنه لا توبة لمن مات كافرًا، وقال تعالى: **﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾** [غافر:٨٥].

فأخبر أن سنته في عباده أنه لا ينفع الإيْمان بعد رؤية البأس فكيف بعد الموت !!.

قلت: فمن يفتي بهذا كيف يعقل أن يقول بنقيضه لولا الذهول الذي نوهت عنه بل إنه زاد على ذلك فقال ابن تيمية فيما تقدم من رسالته (ص١٣): "**ولو قدر عذاب لا آخر له لَمْ يكن هناك رحمة ألبتة**".

ويا سبحان الله أين هو من مثل قوله تعالى: **﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾** [الأعراف: من الآية١٥٦]. وقوله ﷺ: «**إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فيها يتعاطفون وبها يتراحمون، وبها تعطف**

الوحش على ولدها، وادخر الله تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة». أخرجه الشيخان، وكذا أحمد والحاكم وصححه من طرق أبي هريرة بلفظ: «فيها مائة رحمة لأوليائه يوم القيامة». وله بعض الشواهد خرجتها معه في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (رقم ١٦٣٤).

فالآية الكريمة والحديث الشريف صريحان في أن الرحمة إنَّما هي للذين يستحقونَها من المؤمنين، فكلما كان المؤمن لله أتقى كلما كان بها أحظى، وليس الأمر كما يرجو بعض المهابيل من الذين يترنمون يقول شاعرهم البوصيري:

لعل رحمة ربي حين يقسمها ... تأتي على حسب العصيان في القسم

كيف هذا وربنا يقول: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٧١].

ويقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٨].

ولذلك كان من دعاء الملائكة الذين يحملون العرش: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: من الآية٧].

فكل من وقاه الله تعالى عذاب الجحيم فهو منغمس في رحمة الله يومئذٍ كما هو صريح قوله ﷻ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ

بَعْدَ إِيْمانكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٦-١٠٧].

فكيف يقول ابن تيمية: "لو قدر عذاب لا آخر له لَمْ يكن هناك رحمة البتة"! فكأن الرحمة عنده لا تتحقق إلا بشمولها للكفار المعاندين الطاغين! أليس هذا من أكبر الأدلة على خطأ ابن تيمية وبعده هو ومن تبعه عن الصواب وفي هذه المسألة الخطيرة ؟! فغفرانك اللهم.

ولعل ذلك كان منه إبان طلبه العلم وقبل توسعه في دراسة الكتاب والسنة وتضلعه بمعرفة الأدلة الشرعية في الوقت الذي كان يحسن الظن بابن عربي الصوفي القائل: أن عذاب الكفار في النار لا يستمر بل ينقلب عليهم إلى عذوبته يتلذذون بها كما في "حادي الأرواح" (١٦٨/٢)، فلما تبين له حاله رجع عنه كما تحدث بذلك هو نفسه فقال كما في "مجموع الفتاوى" (٤٦٤/٢-٤٦٥): "وإنما كنت قديمًا ممن يحسن الظن بابن عربي ويعظمه لما رأيت في كتبه من الفوائد، مثل كلامه في كثير من "الفتوحات" و"الدرة الفاخرة"، و"مطالع النجوم"، ونحو ذلك، ولَم نكن بعد اطلعنا على حقيقة مقصوده ولَم نطالع النصوص ونحوه.." إلى أن قال -حفظه الله-: "وإن مما يمنع توجيه الطعن في ابن تيمية بقوله بفناء النار علاوة على ما ذكرنا آنفًا أن له قولاً آخر في المسألة، وهو عدم فنائها كما سبق بالنقل عنه، وإذا لا نعلم أي القولين هو المتأخر، فمن البدهي أن الطاعن لابد له من الجزم بأنه هو الأول، ودون هذا خرط

القتاد، وأما نحن فإن حسن الظن الذي أمرنا به يقتضينا بأن نقول: لعله القول الآخر، لأنه موافق للإجماع الذي نقله هو نفسه فضلاً عن غيره كما تقدم، وقد يؤيد هذا أن ابن القيم نقله أيضًا كما سبق في قصيدته (الكافية الشافية) فالظاهر أنه مات على ذلك لأنَّها قرئت عليه في آخر حياته فقد ترجمه الحافظ ابن رجب الحنبلي في (طبقاته) وذكر في آخرها ما يشفع بذلك فقال (٢/٤٤٨): "ولازمت مجالسه قبل موته أزيد من سنة، وسمعت عليه قصيدته النونية الطويلة في السنة، وأشياء من تصانيفه وغيرها ".

أقول: فإذا صح ظننا هذا فالحمد لله، وإلا فأسوأ ما يمكن أن يقال: إنه خطأ مغفور لهما بإذن الله تعالى لأنه صدر عن اجتهاد صادق منهما، ومعلوم أن المجتهد مأجور ولو أخطأ كما جاء في الحديث الصحيح: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد**». متفق عليه.

وقد تقرر في الأصول أن الخطأ مغفور ولو في المسائل العلمية كما حققه شيخ الإسلام بن تيمية في كتبه وفتاويه.

هذا بالإضافة إلى ما لهما من الجهاد والبلاء الحسن في الدعوة إلى العمل بالكتاب والسنة، والرد على المبتدعة والفرق الضالة وتقديْم الإسلام إلى المسلمين صافيًا نقيًّا على منهج السلف الصالح، وإن ما نراه اليوم في العالم الإسلامي من نَهضة فكرية وعلمية ودعوة سنية سلفية فهو

ثمرة من ثمار جهادهما وصبرهما وجزاهما الله تعالى عن الإسلام والمسلمين خيرًا. إلى هنا نكتفي بهذا القدر من مقدمة الشيخ العلامة/ محمد ناصر الدين الألباني -حفظه الله- في تحرير هذه القضية التي تعتبر من المسائل المهمة والجديرة بالإيضاح والبيان.

وهذا من جملته مناقشة العلامة/ محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني لما مال إليه الإمامان المجددان شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية من القول بفناء النار التي هي مقر المنافقين والمشركين والكفار وبئس المهاد والقرار ما يأتي:

قال ابن القيم بعد نقله لأقوال الناس المعروفة في كتب المقالات: "السابع: قول من يقول بل يفنيها -أي: النار- خالقها -تبارك وتعالى- فإنه جعل لها أمدًا تنتهي إليه ثم تفنى ويزول عذابُها".

يريد ويدخل الله من كان فيها من الكفار الجنة كما ستعرفه من الأدلة التي ذكرنا... ثُمَّ قال: قال شيخ الإسلام -يريد به شيخه أبا العباس ابن تيمية-: وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم.

ثم ساق بسنده إلى الحسن البصري أنه قال: قال عمر: «لو لبث أهل النار كقدر رمل عالج لكان لهم -على ذلك - يوم يخرجون فيه». وفي رواية: «عدد رمل عالج»، قال ابن تيمية: "والحسن وإن لَمْ يسمع من عمر فلو لَمْ يصح عنده عن عمر لَمْ يجزم به". انتهى كلامه.

وأقول: فيه شيئان:

الأول: من حيث الرواية فإنه منقطع، لنص شيخ الإسلام بأنه لَمْ يسمعه الحسن من عمر، واعتذاره بأنه لو لَمْ يصح للحسن عن عمر لما جزم به يلزم أن يجري في كل مقطوع يجزم به رواية، ولا يقول هذا أئمة الحديث، كما عرفت في قواعد أصول الحديث، بل الانقطاع عندهم علة، والجزم معه تدليس، وهو علة أخرى ولا يقوم بمثل ذلك الاستدلال في مسائل فرعية كيف في مسألة قيل أنَّها أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة ! وهذا البخاري أمير المؤمنين في علم الحديث وأشدهم تحريًا في الصحيح لَمْ يقل النقادون في تعاليقه المجزومة التي أودعها في كتابه الذي سماه "الصحيح" صحيحة بل فيها الضعيف كما نص عليه ابن حجر في مقدمة "الفتح"، والحسن البصري معروف عند أئمة هذا الشأن بأنه لا يؤخذ بمراسيله. قال الدارقطني في السنن: وقد روى عاصم الأحول عن ابن سيرين وكان عالِمًا بأبي العالية وبالحسن قال: "لا تأخذوا بمراسيل الحسن ولا أبي العالية فإنَّهما لا يباليان عمن أخذ منه". ا هـ.

قلت: ثم قال ابن تيمية: "ولو كان كلام عمر هذا غير صحيح لما تداولته الأئمة ولوجب إنكارهم له لمخالفته الإجماع والكتاب والسنة ".

قلت: يقال: كلام عمر كغيره من الأقوال الدالة على خروج الموحدين من النار، وهو قول عليه جماهير الأئمة منهم ابن تيمية، وستعرف أنه لا يصح أثر عمر إلا على تقدير أنه أراد به: الموحدين، وأنه يتعين حمله على

ذلك عند شيخ الإسلام نفسه وعند غيره.

والثاني: من حيث الدراية، فإنه لو ثبت صحته عن عمر لَمْ يدل على المدعى، فإن أصل المدعي هو: فناء النار وأن لها مدة تنتهي إليها، وليس في أثر عمر هذا إلا أنه يخرج أهل النار من النار، والخروج لا يكون إلا وهي باقية، فإنك لو قلت: لو لبث زيد في الدار كذا وكذا ثم خرج منها لَمْ يدل هذا على فناء الدار، لا مطابقة ولا تضمنًا ولا التزامًا. فإن قيل: بل هو يدل على فنائها التزامًا لأنه تعالى إنَّما خلقها ليعذب بها من عصاه، فبعد خروجهم لَمْ يبق لها حاجة فالحكمة تقتضي فنائها.

قلت: هذا دور، فإنه لا يثبت أن الحكمة تقتضي فناءها إلا إذا لَمْ يبق فيها أحد ولا يخرج أحد من أهلها إلا بعد فنائها كما تسمع تصريح ابن تيمية بذلك حيث قال: "وأما كون الكفار لا يخرجون منها ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يقضى عليهم فيموتوا ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط فلم يختلف في ذلك الصحابة ولا التابعون ولا أهل السنة، وهذه النصوص وأمثالها تقتضي خلودهم في دار العذاب ما دامت باقية ولا يخرجون منها مع بقائها ".

وإذا عرفت مراده عرفت أن أثر عمر لا يدل على مدعاه بشيء من الدلالات الثابتة فإنه قال: " إنَّهم يخرجون منها " وهذا واضح في الخروج منها وهي باقية فلابد من حمل أثره على معنى صحيح، إذ لا يصح حمله على خروج الكفار عند أحد، لا ابن تيمية كما عرفت، ولا غيره فإنه لا

يقول أحد بخروج الكفار من النار، فإن صح أثر عمر حمل على أنه أراد خروج الموحدين الذين استحقوا دخول النار بذنوبهم كما دلت عليه الأدلة المعروفة الصحيحة الصريحة التي لا مرية في صحتها. إلا أن ابن تيمية منع من حمل كلام عمر على ذلك وقال: " إنَّما أراد عمر بأهل النار الذين هم أهلها "وهم كفار": وأما قوم أصيبوا بذنوبهم فقد علم هؤلاء وغيرهم أنَّهم يخرجون منها ولا يلبثون قدر رمل عالج ولا قريبًا منه".

فأقول: ولا يخفى ضعف هذا الرد لأن كونَهم قد علموا ذلك لا يمنع أن يؤدوه لمن لا يعلمه، ويخبروا أنه اعتقادهم، وقد علم في فن البيان: أن الإخبار يكون بفائدة الحكم أو لازمها، فعلم السامعين بالحكم لا يمنع عن التكلم به وإلقائه إليهم، وأما كون عصاة الموحدين لا يلبثون قدر رمل عالج ولا قريبًا منه فمسلم، ولَم يقل عمر أَنَّهم يلبثون قدر رمل عالج، بل أتى بقضية شرطية فقال: "لو لبث" أي أنه لو طال لبثهم ذلك القدر لخرجوا، ولا دليل في كلامه أَنَّهم يلبثون ذلك القدر فعرفت أيضًا من غير مانع عن حمل أثر عمر على عصاة الموحدين، مع أنه لا يصح حمله على الكفار لأَنَّهم يلبثون أكثر من عدد رمل عالج فقد أخرج الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «**لو قيل لأهل النار إنكم ماكثون في النار عدد كل حصاة في الدنيا لفرحوا...**»[1] الحديث. ومما

(١) **قال الألباني فيه:** هو حديث موضوع. وذكر السبب في اعتباره موضوعًا حيث قال في =

سمعت تعين حمل أثر عمر على عصاة الموحدين عند شيخ الإسلام وعند جميع علماء الأنام.

وإذا عرفت هذا طال تعجبك من نسبة ابن تيمية القول بفناء النار إلى عمر، واستدلاله لذلك بِهذا الأثر المنقطع رواية، الذي هو بمراحل عن الدلالة من حيث الدراية. اهـ. (ص٦٤-٧٠).

قلت: وإن خير ما تميل إليه النفس في تحرير هذه القضية المهمة ألا وهو نسبة القول[(١)] بفناء النار التي أعدها الواحد القهار للمنافقين أهل الدرك الأسفل وسائر المشركين والكفار، الذين لا تشملهم رحمة الرحيم الغفار هو ما قرره العلامة محمد ناصر الدين الألباني -عفا الله عنا وعنه وغفر لنا وله- والذي سطرته آنفًا من أن صدور ذلك من الإمامين سببه الذهول والدهشة والشعور بسعة رحمة الله وشمولها حتى الكفار، وساعد على ذلك ظواهر بعض النصوص ومفاهيمها مما أذهلهما عن الدلائل القاطعة فقالا ما قالا.

أو أن ذلك القول كان متقدمًا والقول الآخر الذي لقيا ربَّهما عليه هو ما قاله العلماء الربانيون والفقهاء البارعون في شتى الفنون من أن الطبقة الَّتِي تفنى هي الطبقة العليا، الَّتِي يصلاها عصاة الموحدين إلى أمد

سلسلة الأحاديث الضعيفة: تفرد به الحكم بن ظهير وهو كذاب عند ابن معين وغيره. ا هـ. (١/١٧ رقم ٦٠٥).

(١) أي إلى ابن تيمية وابن القيم -رحمهما الله-.

ثم يخرجون منها إلى جنات النعيم، كما هي مقتضى صريح النصوص من الكتاب والسنة الصحيحة المطهرة.

وأما النار التي أعدت للكافرين الكفر الأكبر والمشركين كذلك الشرك الأكبر والمنافقين النفاق الاعتقادي فإنَّها لا تفنى، وأن أهلها لا يموتون فيها ولا يحيون أبد الآبدين ودهر الداهرين، كما قال المولى الكريم: ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا (٢٤) إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا﴾ [النبأ:٢٢-٣٠].

وكم لها من نظائر تقدم تدوين الكثير منها مما هو دليل قاطع على ما ندين الله به، ونعتقده جازمين غير شاكين ولا واهمين والحمد لله رب العالمين.

هذا وما أجمل النقول عن علماء السلف وأتباعهم للاستدلال بها على إيضاح الأمور المهمة، لذا فإنني أحب أن أختم جواب هذا السؤال بما دونه علامة زمانه الشيخ / حافظ بن أحمد الحكمي -رحمه الله- في كتابه الكبير "معارج القبول" (٢/٨٦٣-٨٧٠). حيث قال ما نصه:

البحث الثالث: في دوامها -أي: الجنة والنار- وبقائهما بإبقاء الله لهما وأنهما لا تفنيان أبدًا ولا يفنى من فيهما.

وإلى هذه المسألة الإشارة بقولنا: "لا فناء لهما" قال الله تعالى في

الجنة: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: من الآية١٠٠]. وقال تعالى: ﴿لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨].وقال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: من الآية١٠٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص:٥٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الدخان:٥١-٥٧]. وقال تعالى ﴿لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة:٣٣]. وغير ذلك من الآيات، فأخبر تعالى بأبديتها بقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾، ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ الآيات. وأبدية حياة أهلها بقوله: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى﴾ الآية، وعدم انقطاعها عنهم بقوله: ﴿لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾ ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ الآيات، وبعدم خروجهم بقوله: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ الآية، وكذلك النار قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء: من الآية١٦٨-١٦٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٥]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ

يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: من الآية٢٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان:٦٥-٦٦]. وقال تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [التوبة: من الآية٦٨]. وقال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: من الآية١٦٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦) وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٤-٧٧].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر:٣٦-٣٧]. وقال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٦-١٠٨]. وقال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾ [الشورى: من الآية٤٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى﴾ [طـه:٧٤]. وقال تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى﴾ [الأعلى:١٠-١٣]. وقال تعالى: ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ إلى قوله: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا﴾ [النبأ: ٢٣-٣٠].

وغير ذلك في القرآن كثير، فأخبرنا تعالى في هذه الآيات وأمثالها أن أهل النار الذين هم أهلها خلقت لهم وخلقوا لها وأنَّهم خالدون فيها أبد الآبدين ودهر الداهرين لا فكاك لهم منها ولا خلاص ولات حين مناص، فأخبر تعالى عن أبديتهم فيها بقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ونفى تعالى خروجهم منها بقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ ونفى تعالى انقطاعها عنهم بقوله: ﴿وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ وقال تعالى: ﴿لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ ونفى فنائهم فيها بقوله ﷻ: ﴿ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى﴾، وقوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: من الآية٥٦].

وقال البخاري -رحمه الله- في قول الله ﷻ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ﴾ [مريم: من الآية٣٩]: حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يؤتى بالموت كهئية كبش أملح، فينادى منادٍ يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت. ثم قرأ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا وهم لا يؤمنون»**. ووافقه على إخراجه مسلم من حديث أبي سعيد هذا.

وأخرجاه أيضًا من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثُمَّ يذبح ثم يناد مناد: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنِهم**».

وفي رواية لمسلم عن عبد الله هو ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول : يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، كل خالد فيما هو فيه**». رواه البخاري دون قوله: «**... كل خالد.. الخ**».

وله عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**يقال لأهل الجنة: خلود لا موت، ولأهل النار: يا أهل النار خلود لا موت**».

وقال مسلم -رحمه الله تعالى-: حدثنا نصر بن علي الجهضمي، حدثنا بشر -يعني: ابن المفضل- عن أبي مسلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما أهل النار الذين هم أهلها فإنَّهم لا يَموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبِهم -أو قال: بخطاياهم- فأماتَهم إماتة حَتَّى إذا كانوا فحمًا، أذن بالشفاعة فجيء بِهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنْهار الجنة، ثُمَّ قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل.** فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان في البادية». ورواه الإمام أحمد من طرق متقاربة نحو هذا

اللفظ، وفي الباب آيات وأحاديث كثيرة غير ما ذكرنا، وفي هذا القدر كفاية وبالله التوفيق.

إخراج عصاة الموحدين من النار

نعم جاءت الأحاديث الصريحة في إخراج عصاة الموحدين الذين تمسهم النار بقدر جنايتهم وأنَّهم يخرجون منها برحمة الله تعالى ثم بشفاعة الشافعين كما سيأتي -إن شاء الله- قريبًا، وأن هؤلاء العصاة يسكنون الطبقة العليا من النار على تفاوتِهم في مقدار ما تأخذ منهم. وجاء فيها آثار أن هذه الطبقة تفنى بعدهم إذا خرجوا منها وأدخلوا الجنة، وأنَّها ليأتين عليها يوم وهي تصفق في أبوابِها ليس بِها أحد، وعلى ذلك حمل جمهور المفسرين الاستثناء في قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ**﴾ الآية، وعلى ذلك يحمل ما ورد من آثار الصحابة. وما أحسن ما قاله ابن القيم -رحمه الله- في كتابه "الوابل الصيب" قال -رحمه الله-: "ولما كان الناس ثلاث طبقات: طيب لا يشوبه خبيث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب، كانت دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبث المحض، وهاتان الداران لا تفنيان، ودار لمن معه خبث وطيب، وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنَّهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبث المحض". اهـ. كلامه -رحمه الله-.

فصل
ما قالته اليهود في النار

قالت اليهود -قبحهم الله-: إن النار يدخلها قوم من الكفار ويخرجون منها بعد أيام ثم يخلفهم آخرون كما قص الله -تبارك وتعالى- ذلك عنهم في سورة البقرة إذ يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ [البقرة: من الآية٨٠]. ثُمَّ رد ذلك عليهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٨٠-٨٢]. وقال تعالى في آل عمران: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤) فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٢٤-٢٥].

وقال البخاري -رحمه الله-: حدثنا قتيبة، حدثنا الليث عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: «لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم، فقال رسول الله ﷺ: **اجمعوا لي من كان من ها هنا من اليهود**. فجمعوا له، فقال لهم رسول الله ﷺ: **إني سائلكم عن شيء**

فهل أنتم صادقي عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم. فقال لهم رسول الله ﷺ: **من أبوكم؟** قالوا: أبونا فلان. فقال رسول الله ﷺ: **كذبتم، بل أبوكم فلان**. فقالوا: صدقت وبررت، فقال ﷺ: **هل أنتم صادقي عن شيء سألتكم عنه؟** فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته لأبينا. قال لهم رسول الله ﷺ: **من أهل النار؟** فقالوا: نكون فيها يسيرًا ثم تخلفوننا فيها، فقال لهم رسول الله ﷺ: **اخسئوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدًا**. ثم قال لهم: **فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه ؟** قالوا: نعم. فقال: **جعلتم في هذه الشاة سمًّا؟** فقالوا: نعم. قال: **ما حملكم على ذلك ؟** فقالوا: أردنا إن كنت كذابًا نستريح منك، وإن كنت نبيًّا لَمْ يضرك».

قلت: أخزى الله اليهود أولهم وآخرهم لقد مكروا بالمسلمين مكرًا كبارًا، وكادوا كيدًا مؤلمًا مدرارًا لدعوة الهدى والنور ليقضوا عليها في مهدها، فأبى الله ويأبى إلا أن يتم نورها ويعلى شأنها وشأن أهلها في دنياهم وبرزخهم وأخراهم، حقًّا وصدقًا لقد أعلن اليهود الذين غضب الله عليهم ولعنهم العداوة والبغضاء لرسول الإسلام وكافة المسلمين سابقًا ولاحقًا ويمكرون في كل وقت وحين، والله لهم بالمرصاد وهو خير الماكرين إذ كل ما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله، رحمة منه بأوليائه الذين لا تخلو الأرض منهم وهو أرحم الراحمين، وإننا لنسأل الله تعالى: أن يوحد كلمة المسلمين على الحق المبين وتحكيم شرع رب العالمين،

وينبذوا كل قانون يخالف شريعة الله لينال العزة والسعادة في الدنيا والنعيم الكريم في دار البرزخ والآخرة، قال الله ﷻ : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧].

وقال ابن عربي إمام الاتحادية محي الزندقة والإلحاد في آيات الله تعالى: إن أهلها يعذبون فيها ثم تنقلب طبيعتهم، وتبقى طبيعة النارية يتلذذون بها لموافقتها طبيعتهم.

وقال الجهم وشيعته: إن الجنة والنار تفنيان كلاهما لأنهما حادثتان، وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه. بناء على أصله الفاسد في منع تسلسل الحوادث وبقائها بإبقاء الله تعالى لها.

قلت: وتبًّا لابن عربي وزندقته وإلحاده، لقد أضل بهما خلقًا كثيرًا في زمنه وبعد ذلك إلى يومنا هذا، إذ أن كل صوفي غالٍ فهو من أتباعه المتنافسين في الأخذ بميراثه فضلوا وأضلوا وفسدوا كما فسد، إذ خالفوا شرع الله جملة وتفصيلاً، وسعوا في الأرض فسادًا والله لا يحب المفسدين، فبئس ما ورثوا وساء ما ورثوا.

وقالت طائفة من المعتزلة والقدرية: لَم يكونا الآن موجودتين بل ينشئهما الله تعالى يوم القيامة. وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله وأنه ينبغي أن يفعل كذا، ولا ينبغي له أن يفعل كذا، قياسًا لله تعالى على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجسيم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة، وقالوا: خلق الجنة والنار

قبل الجزاء عبث لأنَّها تصير معطلة مددًا متطاولة، فردوا من نصوص الكتاب والسنة ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى، وحرفوا النصوص عن مواضعها وضلوا وبدعوا من خالف شريعتهم -قبحهم الله تعالى-.

وقال أبو الهذيل العلاف: تفنى حركات أهل الجنة والنار ويصيرون جمادًا لا يحسون بنعيم ولا ألَم.

وكل هذه الأقوال مخالفة لصحيح المعقول وصريح المنقول، ومحادة ومشاقة لله تعالى وللرسول ﷺ، وتقديْم للعقول السخيفة وزبالة الأذهان البعيدة والقلوب الشقية الطريدة، وزخارف فاسدي السيرة والسريرة والظاهر والباطن والعمل والعقيدة.

وما أحسن ما قاله ابن القيم -رحمه الله- تعالى في نونيته الكافية الشافية في أثناء حكايته عقيدة جهم وشيعته -دمرهم الله تعالى-:

وقضى بأن الله كان معطلا ... والفعل ممتنع بلا إمكان
ثم استحال وصار مقدورًا له ... من غير أمر قام بالديان
بل حاله سبحانه في ذاته ... قبل الحدوث وبعده سيان
وقضى بأن النار لَمْ تخلق ولا ... جنات عدن بل هما عدمان
فإذا هما خلقا ليوم معادنا ... فهما على الأوقات فانيتان
وتلطف العلاف من أتباعه ... فأتى بضحكة جاهل مجان
قال الفناء يكون في الحركات لا ... في الذات واعجبًا لذا الهذيان

أيصير أهل الخلد في جناتهم ... وجحيمهم كحجارة البنيان
ما حال من قد كان يغشى أهله ... عند انقضاء تحرك الحيوان
وكذلك ما حال الذي رفعت يدا ... ه أكله من صحفة وخوان
فتناهت الحركات قبل وصولها ... للفم عند تفتح الأسنان
وكذاك ما حال الذي امتدت يد ... منه إلى قنو من القنوان
فتناهت الحركات قبل الأخذ هل ... يبقى كذلك سائر الأزمان
تبًّا لهاتيك العقول فإنها ... والله قد مسخت على الأبدان
تبًّا لمن أضحى يقدمها على الـ ... آثار والأخبار والقرآن

انتهى نقل المقصود من المصدر المذكور.

وبما أجابت به اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية -وفقهم الله- حينما ردوا على الأسئلة التالية: السؤال الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر من الفتوى رقم (١٨٨٣):

س١٤: قول إن النار تفنى وأول نعيم الجنة بأنه من قبيل المجاز والاستعارة ؟

س١٥: زعم بأن الكافر يخرج من النار؟

فأجابوا عليهما:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه.. وبعد:

ج١٤-١٥: قامت الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة على أن النار

لا تفنى وعلى تخليد الكافرين في النار، وأنّهم لا يخرجون منها، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الجاثية:٣٥]. وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: من الآية٥٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء:٩٧-٩٨].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن:١٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: من الآية٢٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦) وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [الزخرف:٧٤-٧٨]. وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥]. إلى أن قال: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: من الآية١٦٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤٠) لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف:٤٠-٤١]. وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٦-٣٧]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا﴾ [النبأ:٢١-٢٢]. إلى أن قال: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا﴾ [النبأ:٣٠]. إلى غير ذلك من الآيات التي يدل كل منها على تخليد الكفار في النار وعدم خروجهم منها وعدم فنائها فإذا اجتمعت كانت دلالتها على ذلك أقوى وأبعد عن التأويل.

أما الجنة فدار الجزاء يوم القيامة لمن آمن وعمل الصالحات، فيها من النعيم ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، يتمتع بها من دخلها متاعًا حقيقيًّا حسيًّا وروحيًّا ويحيون فيها حياة أبدية أمنية فلا فناء ولا خروج منها، ولا انقطاع لنعيمها ولا نغص ولا كدر بالنصوص القطعية وإجماع أهل العلم والإيمان، قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ

النَّارُ﴾ [الرعد:٣٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٧) لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٥-٤٨] وقال تعالى: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٠) جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ (٥١) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥٢) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ (٥٣) إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص:٥٤،٥٠]. وقال تعالى: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ (٦٧) يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف:٦٧-٧٣]. وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨]. يعني بالاستثناء: المدة التي شاء الله أن لا يكونوا بالجنة قبل دخولها ولذا ختم الآية بقوله: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ تأكيدًا لدوام نعيمها يتمتع بها من فاز بدخولها، ونظيره الاستثناء في سورة الدخان قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ

الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الدخان: ٥١-٥٧].

فاستثنى موتة سابقة من موت منفي مستقبل لإفادة تأبيد الحياة وتأكيد دوامها، أو المراد بالاستثناء بيان عموم مشيئة الله ونفوذها في كل شيء، فدخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وخلود كل من الفريقين فيما دخل فيه من نعيم أو عذاب إنَّما كان بمشيئة الله واختياره وفضله وعدله لا واجبًا عقلاً، ولا يحصل كرهًا عنه ولا قهرًا له تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وثبت في السنة أن النَّبي ﷺ قال: «**يناد مناد: يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تَموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تَهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبئسوا أبدًا**» رواه مسلم.

وثبت أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال: «**يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح...**» إلى أن قال: «**فيؤمر به فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت**» إلخ. رواه مسلم في صحيحه، وأكد سبحانه خلود الجنة والنار وأبديتهما وخلود المؤمنين في الجنة والكافرين في النار في آيات كثيرة من القرآن، وفصلت السنة الثابتة عن النبي ﷺ تفصيلاً لا يدع لشك في حقيقته، ولا لتأويل النصوص الصريحة فمن شك فيه أو تأوله فقد اتبع هواه وحرف الكلم عن مواضعه، وكان من الكافرين.

س١٦: تحدث في آخر كتاب صدر له قريبًا سمي -النار مستشفى- تحدث عن النار وصورها بأنَّها مستشفى وأن رحمة الله في الآخرة تشمل الكافر، وفي معرض استشهاده قال: إن القول في ابن آدم المشار إليه في حديث الرسول ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» بأن المراد بابن آدم هنا المسلم فقط يعتبر ضيقًا في الفهم وليس عدلاً.

ج١٦: النار تعتبر عقوبة مؤقتة بالنسبة لمن دخلها من عصاة المؤمنين، أما بالنسبة للكافرين فهي عقوبة أبدية لهم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون، للأدلة الَّتي تقدمت في الجواب عن السؤال: (١٤-١٥)، وعلى هذا فتشبيه النار بالمستشفى خطأ، لأن النار عقوبة لمن دخلها، والمستشفى رحمة لمن دخله، يخدم فيه ويغذى الغذاء النافع له ويعالج من مرضه رجاء الشفاء فليس دخول المريض فيه لعقوبته وإيذائه بل لقصد نفعه وعلاجه رحمة به لا سخطًا عليه.

وأما المراد بابن آدم في الحديث المذكور في السؤال: فهو من مات مسلمًا لا من مات كافرًا، للأدلة الدالة على أن من مات على الكفر حبط عمله، الصالح فلا يجوز عليه في الآخرة بل تعجل له طيباته في الحياة الدنيا، قال الله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ**

فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١١٦-١١٧]. وقال ﷻ: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا إِنَّما أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٤-١٦]. وقال ﷻ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم: ١٨]. وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِها فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وبِما كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الاحقاف:٢٠]. وقال سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣]. وليس في هذا ظلم ولاجور لأنه هو الذي ظلم نفسه بكفره الذي حبط به عمله، كما أخبر الله الحكم العدل، كما أنه ليس فيه ضيق فهم بل فيه نور بصيرة واهتداء بهدي نصوص الشريعة الواضحة. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

انتهى (٣/٣٥٤-٣٥٩) من الفتاوى.

وأخيرًا: فلله الحمد والمنة على وضوح الحق المتعلق بالسؤال المذكور، ولَم يكن وضوحه باجتهادات واستنباطات ولكن بنصوص الكتاب والسنة بفهم العلماء الربانيين من هذه الأمة.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

س٩: هل الحج والعمرة تكفران صغائر الذنوب وكبائرها وحقوق الآدميين ؟ بين لنا ما نأخذ به في هذا الموضوع مدللاً على ما تقول بنصوص الكتاب والسنة بفهم العلماء الربانيين من هذه الأمة ؟

ج٩: ومن الله ﷻ التوفيق والسداد: قول الراسخين في العلم أهل الفقه في الدين من السابقين واللاحقين. إن صغائر الذنوب التي يلم بها المسلم تكفرها الأعمال الصالحة التي يقوم بها المؤمنون بدون اشتراط التوبة منها، وذلك كعمل الحج والعمرة والصلوات الخمس وصوم رمضان والطهارة الشرعية وكثرة الخطى إلى المساجد ونحوها من الأعمال الصالحة التي يرفع الله لأهلها الدرجات ويضاعف الحسنات ويغفر الزلات، والأدلة على ذلك كثيرة وصحيحة وصريحة في الدلالة على المدعي ومنها:

١- قول الله -عز شأنه-: ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ**﴾ [هود: من الآية١١٤]. **قال ابن جرير** -رحمه الله- في تفسيرها: قولــه: ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾ يقول -تعالى ذكره- إن الإنابة إلى طاعة الله والعمل بما يرضيه يذهب آثام معصية الله ويكفر

الذنوب. ثُمَّ أورد آثار كثيرة عن السلف في معناها حيث ذكر قول كعب ونصه: «والذي نفس كعب بيده إن الصلوات الخمس لهن الحسنات التي يذهبن السيئات».

وأورد أقوال غيره من الموافقين له في هذا المعنى والمخالفين وقال ما نصه: "وأولى التأويلين بالصواب في ذلك قول من قال في ذلك: "هن الصلوات الخمس " لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ وتواترها عنه أنه قال: "مثل الصلوات الخمس مثل نَهر جارٍ على باب أحدكم ينغمس فيه كل يوم خمس مرات فماذا يبقى من درنه" ا هـ. (١٣١/٧).

وقال ابن كثير -رحمه الله- في معناها ما نصه: "وقوله: **﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾** يقول: إن فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ قال: «كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا نفعني الله به ما شاء أن ينفعني منه، وإذا حدثني عنه أحد استحلفته فإذا حلف لي صدقته، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يقول: **ما من مسلم يذنب ذنبًا فيتوضأ ويصلي ركعتين إلا غفر له**».

وفي الصحيحين عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ أنه توضأ لهم كوضوء رسول الله ﷺ ثم قال: «هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ، وقال: من توضأ وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه إلا

غفر له ما تقدم من ذنبه».

وفي الصحيح عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«أرأيتم لو أن بباب أحدكم نَهرًا غمرًا يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيئًا؟** قالوا: لا يا رسول الله. قال: **كذلك الصلوات الخمس يَمحو الله بِهن الذنوب والخطايا».**

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول: **«الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر».**

وروى البخاري عن ابن مسعود ﷺ: «أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله: **﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾**، فقال الرجل: إلي هذا. قال: **لجميع أمتي كلهم».** هكذا رواه في كتاب الصلاة وأخرجه في التفسير بنحوه، ورواه مسلم وأحمد وأهل السنن إلا أبا داود. ا هـ. (٣/٢٧٨) فتح القدير مختصر ابن كثير.

٢- ومنها قول الله -تبارك وتعالى-: **﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيمًا﴾** [النساء:٣١].

قال القرطبي -رحمه الله-: "لما نَهى الله تعالى في هذه السورة عن آثام هي كبائر وعد على اجتنابِها التخفيف من الصغائر، ودل هذا على أن في الذنوب كبائر وصغائر، وعلى هذا جماعة أهل التأويل، وجماعة

الفقهاء وأن اللمسة والنظرة تكفر باجتناب الكبائر قطعًا بوعده الصدق وقوله الحق لا أنه يجب عليه ذلك" ا هـ. (٣/١٠٤) من تفسيره.

٣- ومنها قول النبي ﷺ: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**» متفق عليه. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفيهما عنه: «**من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**». ففي هذين النصين دليل على أن الله -تبارك وتعالى- اسمه يكفر الخطايا بصالح الأعمال إذا اجتنبت الكبائر رحمة منه وفضلاً.

٤- ومنها قوله ﷺ: «**إن توضأ العبد فمضمض خرجت الخطايا من فيه، فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من أشفار عينيه، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفار يديه، فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه، فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظافر رجليه، ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة**». رواه مالك والنسائي والترمذي والحاكم من حديث عبد الله الصنابحي، قال الترمذي: حديث حسن.

٥- ومثله في الدلالة على المقصود ما رواه مالك ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟** قالوا: بلى يا رسول، قال: **إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة،**

فذلكم الرباط، فذلكم الرباط».

قلت: والنصان صريحان في أن صالح الأعمال يكفر الله بِهن صغائر الذنوب، بدون اشتراط التوبة التي تعتبر شرطًا شرعيًا لتكفير الكبائر من الذنوب، كما هو صريح آية النساء وهذا فيما يتعلق بحقوق الله الحليم الرحيم.

أما حقوق الآدميين التي تتعلق بارتكاب المعصية في أعراضهم ودمائهم وأموالهم سواء كانت المعصية صغيرة أم كبيرة فإن الله يأخذ بِها لأنَّها مبنية على المشاحة والمقاصاة، والله ﷻ لا يهمل حق مظلوم أبدًا سواء كانت المظلمة في عرضه أو دمه أو ماله وذلك لكمال عدله ﷻ .

والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصر وأوسع من أن تستقصى ومنها:

١- ما رواه البخاري وغيره من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كانت له مظلمة لأحد من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لَمْ يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»**.

٢- ومنها: ما أخرجه البخاري أيضًا في كتاب المظالم من حديث أبي سعيد ﷺ: عن رسول الله ﷺ قال: **«إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم**

بِمسكنه في الجنة أدل بِمنْزله كان في الدنيا».

٣- وفيه عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، عن النبي ﷺ بعث معاذًا إلى اليمن فقال: «**اتق دعوة المظلوم فإنَّها ليس بينها وبين الله حجاب**».

٤- وفي الصحيحين من حديث أبي بكرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال في خطبة يوم النحر بمنى في حجة الوداع: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت ؟!**».

٥- وفي رواية من حديث أبي هريرة ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله**».

وكلها تدل على أن حقوق الآدميين لا تسقط إلا بالتحلل منها في هذه الحياة، وأن من الخطر ما لا يقدر قدره إلا الله، لذا وجب علينا أن نرحم أنفسنا من العذاب البرزخي والأخروي، ونحترم من يجب احترامه من الخلق بحفظ ألسنتنا وأيدينا من الاعتداء عليه في مال، أو دم، أو عرض، بدون إذن من المشرع صحيح صريح ولا مسوغ من المسوغات مبيح.

فكم قد جاء في نصوص الشرع الأمر بحفظ اللسان من كلام ضار غير نافع، ومن ذلك قول الحق -تبارك وتعالى-: ﴿**... وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾ [الحجرات: من الآية ١٢] وقول الله ﷻ: ﴿**وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ**

كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء:٣٦].

وجاء في الصحيحين من حديث أبي موسى ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، أي المسلمين أفضل؟ قال: «**من سلم المسلمون من لسانه ويده**».

وجاء في المسند وغيره من حديث فضالة بن عبيد ﷺ قال: قال: رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «**ألا أخبركم بالمؤمن؟ من آمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب**». إسناده حسن.

وفي الصحيحين أيضًا من حديث سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يضمن لي ما بين لحييه، وما بين رجليه أضمن له الجنة**».

وثبت في الموطأ والترمذي من حديث أبي عبد الرحمن بلال بن الحارث ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه**».

وفي حديث معاذ الطويل: «... **ألا أخبرك بملاك ذلك كله** ؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه فقال: **كف عليك هذا**. قلت: يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: **ثكلتك أمك، وهل يكب الناس في**

النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم».

وغير ذلك من النصوص التي جاء التحذير فيها من الاعتداء على أعراض الناس أو على دمائهم وأموالهم كثير، وإذا كان الأمر كذلك فإن الواجب علينا معشر المسلمين والمسلمات أن نشتغل بعيوبنا، ونسعى في إصلاحها ونكف عن عيوب الناس إلا بحق مع بذل النصح لهم في الحث على فعل الطاعة وترك المعصية، وأن نعمر مجالسنا ونمتع أنفسنا بذكر الله وما والاه، لما في ذلك من حياة القلوب وصلاح الحال والمآل، وأن نجتنب القيل والقال والاعتداء على النفوس والأموال فإن في كل منها الحسرة والندامة يوم القدوم على الكبير المتعال.

وحيث إنه لا محالة أن يقع معظم الناس في شي ء من ظلم العباد، إما في أعراضهم أو أموالهم أو دمائهم فلا يتمكنون من التحلل في هذه الدار لمانع غير اختياري غالبًا، وحضرهم الندم بعد فوات الأوان، فإننا نقول لهؤلاء: إن كانت المظالم في الأعراض بالغيبة والبهتان والقذف بالقبيح فإن الواجب عليهم أن يكثروا من الدعاء لمن وقعوا في عرضه ورموه بقبيح القول، وأن يحرصوا على ذكر محاسنه وبالأخص في الأماكن التي ذكروا فيها مساويه، ويديموا ذلك فعسى الله أن يرضى خصومهم عنهم يوم القيامة، لصدق توبتهم وإتيانهم بِما قدروا عليه ليكون كفارة لذنوبِهم.

وأما ما يتعلق بالأموال التي أخذت من أهلها ظلمًا فإن التحلل منها

بمعرفة مقاديرها كمًّا وكيفًا، ودفعها إلى ورثتهم بشرط أن لا يحرم وارث من ميراثه منها، فإن لَمْ يعلم له ورثة فإنه يتصدق بِها على الفقراء والمساكين على نية ذلك المظلوم وربك بعباده خبير بصير.

وأما الدماء فحيث أن الحقوق فيها ثلاثة، والتحلل من كل حق واجب في حدود القدرة على ذلك، فحق الله يكون التحلل منه بالتوبة النصوح والحسنات الماحية، وحق ولي الدم يكون التحلل منه بدفع ما له من مال كدية ونحوها ، أو يطلب العفو منه عن حقه أو تمكينه من القود إن كان الاعتداء على ذويه بالقتل العمد الموجب للقود، وأما المقتول فالله هو الموعد بين القاتل والمقتول، وأصحاب الجروح دون القتل كذلك يمكن المعتدي المظلوم أو وليه من الحق الشرعي، والمرحوم من رحمه الله، وحقًّا أن من أتى بأسباب الرحمة في حياة العمل فإن الله سيرحمه كرمًا منه وفضلاً.

فإن قال قائل: هل يستثنى من الحكم بتحريم الغيبة شيء ؟ وهل يستثنى من تحريم دماء المسلمين شيء كذلك ؟

ج: **قيل:** نعم، في الحالين:

أما ما يستثنى من الحكم القاضي بتحريم الغيبة فقد ذكر العلماء أشياء ثبتت عندهم بالاستقراء لنصوصها من الكتاب والسنة، وهي ما ذكرها النووي في كتابه "رياض الصالحين" تحت باب: [بيان ما يباح من الغيبة] حيث قال -رحمه الله-: "اعلم أن الغيبة تباح لغرض صحيح

شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها، وهو ستة أسباب:

الأول: التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان أو القاضي وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمني فلان بكذا.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر، ورد العاصي إلى الصواب فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا فازجره عنه ونحو ذلك، ويكون مقصوده التوصل على إزالة المنكر فإن لَمْ يقصد ذلك كان حرامًا.

الثالث: الاستفتاء فيقول: للمفتي ظلمني أبي أو أخي أو زوجي، أو فلان بكذا فهل له ذلك؟ وما طريقي في الخلاص منه وتحصيل حقي ودفع الظلم؟ ونحو ذلك فهذا جائز للحاجة، ولكن الأحوط والأفضل أن يقول: ما تقول في رجل أو شخص أو زوج كان من أمره كذا ؟ فإنه يحصل به الغرض من غير تعيين ومع ذلك فالتعيين جائز كما سنذكره في حديث هند -إن شاء الله تعالى-.

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم، وذلك من وجوه:

منها: جرح المجروحين من الرواة والشهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين بل واجب للحاجة.

ومنها: المشاورة في مصاهرة إنسان، أو مشاركته، أو إيداعه أو معاملته، أو غير ذلك، أو مجاورته، ويجب على المشاور ألا يخفي حاله،

بل يذكر المساوي التي فيه بنية النصيحة.

ومنها: إذا رأى متفقهًا يتردد إلى مبتدع أو فاسق يأخذ عنه العلم، وخاف أن يتضرر المتفقه بذلك، فعليه نصيحته ببيان حاله، بشرط أن يقصد النصيحة وهذا ما يغلط فيه، وقد يحمل المتكلم بذلك الحسد، ويلبس الشيطان عليه ذلك، ويخيل عليه أنه نصيحة فليتفطن لذلك.

ومنها: أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها، إما بأن يكون لا صالحًا لها، وإما بأن يكون فاسقًا، أو مغفلاً أو نحو ذلك، فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة ليزيله، ويولي من يصلح أو يعلم ذلك منه ليعامله بمقتضى حاله ولا يغتر به وأن يسعى في أن يحثه على الاستقامة أو يستبدل به.

الخامس: **أن يكون مجاهرًا بفسقه أو بدعته**: كالمجاهر بشرب الخمر، ومصادرة الناس وأخذ المكس وجباية الأموال ظلمًا، وتولي الأمور الباطلة فيجوز ذكره بما يجاهر به ويحرم ذكره بغيره من العيوب إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه.

السادس: **التعريف**: فإذا كان الإنسان معروفًا بلقب، كالأعمش والأعرج والأصم والأعمى والأحول، وغيرهم جاز تعريفهم بذلك ويحرم إطلاقه على جهة التنقص، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى.

فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء وأكثرها مجمع عليه ودلائلها من الأحاديث الصحيحة المشهورة. فمن ذلك:

عن عائشة -رضي الله عنها- أن رجلاً استأذن على النَّبي ﷺ فقال: «**ائذنوا له، بئس أخو العشير**». متفق عليه. احتج به البخاري في جواز غيبة أهل الفساد وأهل الريب.

وعنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما أظن فلانًا وفلانًا يعرفان من ديننا شيئًا**». رواه البخاري، قال الليث بن سعد -أحد رواة هذا الحديث-: هذان الرجلان كانا من المنافقين.

وعن فاطمة بنت قيس -رضي الله عنها- قالت: أتيت النبي ﷺ فقلت: إن أبا جهم ومعاوية خطباني ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أما معاوية فصعلوك لا مال لــه، وأما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه**». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «**وأما أبو الجهم فضراب للنساء**» وهو تفسير لرواية: «**لا يضع العصا عن عاتقه**». وقيل معناه: كثير الأسفار.

وعن زيد بن الأرقم ﷺ قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر أصاب الناس فيه شدة، فقال: عبد الله بن أبي: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك، فأرسل إلى عبد الله بن أبي فاجتهد يمينه: ما فعل، فقالوا: كذب زيد رسول الله ﷺ فوقع في نفسي مما قالوه شدة، حتى أنزل الله تعالى تصديقي: ﴿**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ**﴾ ثم دعاهم النبي ﷺ ليستغفر لهم فلوو رءوسهم». متفق عليه.

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قالت هند امرأة أبي سفيان

للنبي ﷺ: إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم؟ قال: «**خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**».

متفق عليه. ا.هـ.

وقد جمعهما بعض الشعراء فقال:

الذم ليس بغيبة في ستة　　　متظلم ومعرّف ومحذر

ومجاهر فسقًا ومستفتٍ ومن　　　طلب الإعانة فِي إزالة منكر

والذي يستثنى من دماء المسلمين ما أشار إليه الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل دم امرئٍ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، النفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**».

والمعنى أن دماء المسلمين معصومة إلا من زنى بعد إحصان فإنه يرجم حتى يموت قضاء الله ﷻ وقضاء رسوله -عليه الصلاة والسلام-. ومن قتل مؤمنًا متعمدًا فإنه يقتل به إلا أن يعفو ولي الدم عن الجاني فلا يستفاد منه. وهكذا المفارق لجماعة المسلمين بارتداده عن الإسلام إما بجحد شيء من أركان الإسلام، أو سب الله ورسوله، أو كفر ببعض ما هو معلوم من دين الإسلام بالضرورة، كالكفر بالكتب المنـزلة أو الرسل أو بعضهم، ونحو ذلك مما يكون جحده وعدم الإيْمان به كفرًا مخرجًا من الملة، وكل ذلك يكون بعد قيام الحجة الشرعية عليه. والله تعالى أعلم.

س١٠: ما رأيكم -فتح الله لكم أبواب العلم النافع والعمل الصالح- فيمن يفرق بين العقيدة والمنهج ؟

ج١٠: هذا السؤال لابد فيه من التفصيل كي يتضح الأمر ويزول الإشكال، وذلك أنه إن أريد بالعقيدة الأعمال القلبية، وبالمنهج التكاليف العملية الظاهرة فهذا، قد سبق التفصيل فيه في السؤال رقم (٧)، وإن أريد بالتفريق المذكور ما ذكره العقلانيون من أن العقائد لا تثبت إلا بما كان متواترًا من النصوص فقط، ولا تثبت بالآحاد ولو بلغ في الصحة مبلغ إفادة اليقين بخلاف المنهج العملي فإنه يثبت بما كان متواترًا وما كان آحادًا، فهذا التفريق لا يصح عند أهل السنة والجماعة السائرين على نَهج السلف الصالح فقد كان رسول الله ﷺ يرسل الآحاد بأصول العقيدة التي تضمنها شهادة "أن لا إله إلا الله محمد رسول الله" وكان ذلكم الإرسال حجة ملزمة للمرسل إليهم والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

بعثه ﷺ معاذًا إلى أهل اليمن وهي رحلة ميمونة مشهورة، وغير ذلك كثير من إرساله -عليه الصلاة والسلام- رسله إلى ملوك العجم وغيرهم بالدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك بجميع أنواعه، وكان الذي يحمل رسالة الحق فرد من جنود الإسلام وحملة القرآن آنذاك -رضي الله عنهم وأرضاهم- وفي هذا الزمن وقبل هذا الزمن وبعد هذا الزمن لو أرسلت دولة إسلامية إلى كل أهل ملة من ملل الكفر داعيًا من دعاة الإسلام، صاحب قدرة على إقامة الحجة والبيان لصار حجة ملزمة لهم

في الدنيا والآخرة، فبطل بذلك قول أهل البدع من أن أحاديث الآحاد لا تفيد اليقين وإنما تفيد الظن فلا تثبت بها العقيدة، ولا يصح الاستدلال بها في باب الاعتقاد.

وأما إن أريد بالتفريق بين العقيدة والمنهج بمعنى الالتزام بعقيدة السلف الصالح والاتفاق مع أهلها حذوا القذة بالقذة، بخلاف ما يتعلق بالجهاد والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة للناس على اختلاف طبقاتهم حكامًا ومحكومين علماء وأميين، ونحو ذلك من العمليات، فإنَّهم يختارون ما يشاءون من الأساليب التي يظنون أن بسلوكها تتحقق غاياتهم ومقاصدهم، بدون وزن لتلك الأساليب بميزان الشرع الشريف فهذا الصنيع غير معقول ولا مقبول، وإنَّما الواجب أن يلتزموا في هذه الأحكام العلمية بالنصوص الشرعية بفهمها الصحيح، كما التزموا في باب الاعتقاد بالنصوص الشرعية بمعناها الصحيح.

أقول: إن التفريق بين العقيدة والمنهج بهذا الاعتبار سلكه الحركيون الذين انحرفوا بمنهج الدعوة إلى الله ﷻ عن نَهج الرسل الكرام والأنبياء العظام وأتباعهم من علماء الإسلام في كثير من أصولها، حيث سلكوا فيها أسلوب المسيرات والمظاهرات وربما يشترك فيها الصغير والكبير والذكر والأنثى، كما سلكوا فيها أسلوب الاغتيالات والتفجيرات في المنشآت باسم الغيرة على شريعة الإسلام، ومحاربة العلمنة كما يدعون،

فلم يحقق أهل هذه الأساليب المعاصرة للدعوة شيئًا من المصالح بل العكس هو الذي حصل من عشرات السنين، والوقائع والنكبات خير شاهد على بطلان تلك الأساليب بعد أدلة الشرع من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعمل سلف هذه الأمة -رحمهم الله-.

وإنني لأؤكد لإخواني وأبنائي طلاب العلم أنه لن يستقيم لداع إلى الله أو آمر بالمعروف وناه عن المنكر وناصح للناس حال أو مآل إلا إذا تقيدوا في كل ذلك بنصوص الكتاب والسنة بالفهم الصحيح، وترك الأساليب المعوجة التي سلكها أهل الأهواء والضلالات والبدع.

إن تلكم الأساليب التي سلكها أولئك قد أمست وأصبحت معروفة باعوجاجها، وجهل أهلها لدى أهل البصائر والفهوم، ولم يتقيد بها إلا أهل التحزب، والتعصب المذمومين والانتماء الذي قد يجر إلى التعاون على الإثم والعدوان لعدم شرعيته هداهم الله. ولمخالفته لمنهج الولاء والبراء الشرعيين، لمن أطلقوا على أنفسهم جماعة كذا وجماعة كذا.

والحقيقة أن الجماعة المعتبرة شرعًا هم من اجتمعوا على الحق عقيدة ومنهج عمل بالفهم الصحيح، وإن كان لهم والٍ من المسلمين أدوا الحق الذي له عليهم من الوفاء بالبيعة والنصيحة الشرعية وتأليف القلوب على طاعته في المعروف، والتحذير من وسوسة الشيطان الداعية إلى نشر مثالبه والتشهير بأخطائه وإغراء الناس بالتبرم من ولايته وعمل التخريب في

المنشآت التي فيها نفع المسلمين، وذلك عمل الخوارج الذي يبدأ بالإرهاب الفكري الذي يفضي بمن تقبلوه واقتنعوا بمدلولاته إلى إثارة الفتن، التي إذا قام سوقها ظهر الفساد في البر والبحر والسهل والجبل، ونعوذ بالله من مضلات الفتن التي تعصف بالقلوب حتى تزيغ عن منهج الحق وطريق الهدى.

ورحم الله الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الأثري الذي قال: في رد أساليب الحركيين في دعوتهم ما نصه: "فالأسلوب الحسن من أعظم الوسائل لقبول الحق، والأسلوب السيئ العنيف من أخطر الوسائل في رد الحق وعدم قبوله، أو إثارة القلاقل والظلم والعدوان والمضاربات، ويلحق بهذا الباب ما يفعله بعض الناس من المظاهرات التي تسبب شرًّا عظيمًا على الدعاة، فالمسيرات في الشوارع والهتافات ليست هي الطريق للإصلاح والدعوة، فالطريق الصحيح بالزيارة والمكاتبات بالتي هي أحسن، فتنصح الرئيس والأمير وشيخ القبيلة بهذه الطريقة لا بالعنف والمظاهرة، فالنبي ﷺ مكث في مكة ثلاثة عشر سنة لَمْ يستعمل المظاهرات ولا المسيرات ولَم يهدد الناس بتخريب أموالهم واغتيالهم، ولا شك أن هذا الأسلوب يضر الدعوة والدعاة ويمنع انتشارها ويحمل الرؤساء والكبار على معاداتها ومضادتها بكل ممكن، فهم يريدون الخير بهذا الأسلوب لكن يحصل ضده، فكون الداعي إلى الله يسلك مسلك الرسل وأتباعهم ولو طالت المدة أولى به من عمل يضر الدعوة ويضايقها

أو يقضي عليها ولا حول ولا قوة إلا بالله " اهـ. (مجلة البحوث الإسلامية عدد٣٨ ص٢١٠).

وأخيرًا: أقول لقاصدي سبيل الحق في العقيدة والمنهج: إن دعوى من يقول إن عقيدته عقيدة أهل السنة والجماعة والسلف الصالح وأتباعهم، وأما المنهج الدعوي وسيلة وغاية فسبيله الاجتهاد باطلة، إذ مقتضى هذا القول هو أن كل جماعة تريد أن تدعوا إلى الله لها أن تخترع منهجا تسلكه في التبليغ بغض النظر عن مقتضى النصوص التي تبين منهج الكتاب والسنة في دعوة الخلق إلى رحاب الحق، كما تبين أنَّها توقيفية وسيلة وغاية.

فيا أيها الدعاة إلى الله افهموا جيدًا قول الله ﷻ : **﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** [يوسف:١٠٨].

فإنه سيتبين لكم -إن شاء الله- أن الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكيفية إسداء النصيحة كلها قد حددت معالمها النصوص القرآنية والنصوص النبوية، فمن خالف مدلولات نصوصها فقد أصيب بداء الانحراف عن سنن الحق في هذه الأبواب وخيرٌ له الرجوع عن الاستمرار في هذا الداء وأزكى وأفضل، والله أعلم وأحكم وبعباده أرحم.

* * * * *

س١١: كيف يكون الرد على القائلين بوجوب الموازنة بين المحاسن والمساوي عند الرد على أهل الأهواء والبدع والأخطاء الفاحشة المتعلقة بالاعتقاد والمنهج العملي، ويعتبرون الاقتصار على الرد على البدعة وبيان الخطأ بدون ذكر محاسن المردود عليهم ظلمًا وإجحافًا وفقدانًا للعدل ونسيانًا للإنصاف؟

ج١١: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بِهداه.

أما بعد: فإن القائلين بوجوب الموازنة بين المحاسن والمساوي عند الرد على أهل الأهواء والبدع، وعند بيان الأخطاء والأغلاط التي وقع فيها بعض الرجال أو الطوائف في التصريحات والمؤلفات، لا يملكون على إطلاق قاعدتِهم هذه دليلا من كتاب ولا سنة بالفهم الصحيح، إذ أنَّها ليست قاعدة مطردة عند علماء السلف وأتباعهم، وليست منهجًا مسلوكًا لعلماء الجرح والتعديل كما هو موضح في كتبهم -رحمهم الله- وليست هديًا معتبرًا يجب الالتزام به باطراد عند من سلف من أئمة السلف وأتباعهم ممن قام بالرد على أصحاب البدع المضلة والأهواء التي تَهوي بأصحابِها في مكان سحيق.

وما استدل به أصحاب قاعدة وجوب الموازنة السالفة الذكر من أدلة التحذير من الظلم وفقدان العدل والإنصاف فإن الأدلة صحيحة وحق، ولكنها ليست صريحة في إلزام من رد على صاحب بدعة أو هوى

أو خطأ، أو ذكر مجروحًا بما فيه من جرح حراسة للحق المبين ونصحًا للمسلمين، أن يعدد محاسن المردود عليه، ويغري بها من قل نصيبه من الفقه في الدين.

وأما القائلون بعدم وجوب الموازنة بين المحاسن والمساوي عند النقد والرد المنوه عنهما آنفًا، فإنَّهم يملكون أوضح الأدلة من الكتاب والسنة كقول الله ﷻ: ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا**﴾ [الفرقان:٢٣].

وهؤلاء الذين ذكرهم الله ذامًّا لهم ومبطلاً لأعمالهم لا شك أن لهم حسنات من إكرام الضيف، وحماية الجوار، وسقاية الحاج، ونصرة المظلوم أحيانًا ولكن لما هدموها بالشرك الأكبر لَمْ يذكر لهم شيئًا منها، بل صيرها هباءًا منثورًا، وعليه فلا وجهًا صحيحًا مع من يقول بوجوب ذكر المحاسن عند نقد المساوي وبيان الأخطاء الصادرة من أهل الأهواء والبدع. وغير هذا النص في معناه كثير.

ومن السنة قول النبي ﷺ لفاطمة بنت قيس لما أخبرته أن أبا جهم ومعاوية خطباها قال: «**أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد..**». الحديث. ومن غير شك أن لكل من أبي جهم ومعاوية محاسن عظيمة وأعمالاً جليلة، ولكن لما كان المقام مقام نصيحة ومشورة للمرأة لَمْ يذكر شيئًا من محاسن الرجلين، وهذا من الحكمة التي تقتضي وضع كل شيء في محله، فمتى اقتضى الحال

الجمع بين ذكر محاسن الشخص ومساوئه تعين، ومتى اقتضى الحال الاقتصار على ذكر المساوئ فلا يلزم إضافة ذكر المحاسن معها وذلك كالرد على أهل الأهواء.والبدع وفاحشي الغلط.

هذا وإنني لأحمد الله -تبارك وتعالى- بأنني لست منفردًا بِما ذهبت إليه في هذه القضية بل قد قال قبلي أئمة هدى، وأصحاب علم وفضل وتقوى بعدم وجوب الموازنة بين المحاسن والمساوي عند الرد على أهل الأهواء والبدع وأهل الأغلاط والأخطاء الفاحشة المتعلقة بالعقيدة والمنهج العملي ومنهم على سبيل المثال:

صاحب السماحة الشيخ/ **عبد العزيز بن عبد الله بن باز الأثري** -رحمه الله تعالى-.

وصاحب الفضيلة الشيخ/ **عبد العزيز المحمد السلمان** -رحمه الله-.

وصاحب الفضيلة الشيخ/ **صالح بن فوزان الفوزان** -حفظه الله-.

• فأما صاحب السماحة الشيخ/ **عبد العزيز بن باز** -رحمه الله- فقد وجه إليه السؤال التالي في نفس الموضوع: " فيه أناس يوجبون الموازنة، أي: أنك إذا انتقدت مبتدعًا ببدعته ليحذر الناس منه يجب أن تذكر حسناته حتى لا تظلمه ؟".

فأجاب الشيخ -رحمه الله- قائلاً: "لا ما هو بلازم ، ما هو بلازم ، ولهذا إذا قرأت كتب أهل السنة وجدت المراد التحذير، اقرأ في كتب البخاري كتاب خلق أفعال العباد، وكتاب الأدب في الصحيح، وكتاب

السنة لعبد الله بن أحمد، وكتاب التوحيد لابن خزيمة، ورد عثمان بن سعيد الدارمي على أهل البدع إلى غير ذلك، يوردونه للتحذير من باطلهم ما هو المقصود تعديد محاسنهم، المقصود التحذير من باطلهم، ومحاسنهم لا قيمة لها بالنسبة لمن كفر إذا كانت بدعته تكفره بطلت حسناته، وإذا كانت لا تكفره فهو على خطر، فالمقصود هو بيان الأخطاء والأغلاط التي يجب الحذر منها".

● وأما الشيخ/ **عبد العزيز المحمد السلمان** -رحمه الله- فقد وجه إليه السؤال التالي: "هل يشترط الموازنة بين الحسنات والسيئات في الكلام على المبتدعة في منهج السلف ؟".

فأجاب عليهم بقوله: "اعلم -وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين- أنه لَمْ يؤثر عن أحد من السلف الصالح من الصحابة وتابعيهم بإحسان تعظيم أحد من أهل البدع والموالين لأهل البدع والمنادين بموالاتهم، لأن أهل البدع مرضى قلوب، ويخشى على من خالطهم أو اتصل بِهم أن يصل إليه ما بِهم من هذا الداء العضال، لأن المريض يعدي الصحيح ولا عكس، فالحذر الحذر من جميع أهل البدع، ومن أهل البدع الذين يجب البعد عنهم وهجرانُهم، الجهمية والرافضة والمعتزلة والماتريدية والخوارج والصوفية والأشاعرة ويحذر منهم". ا هـ.

● وأما الشيخ / **صالح الفوزان** فقد وجه إليه السؤال التالي بعد أن سئل عدة أسئلة عن الجماعات: "طيب يا شيخ تحذر منهم دون أن تذكر

محاسنهم ومساوئهم ؟ ".

فأجاب –حفظه الله– قائلاً: " إذا ذكرت محاسنهم دعوت لهم، لا، لا تذكر محاسنهم، اذكر الخطأ الذي هم عليه فقط لأنه ليس موكولاً إليك أن تدرس وضعهم وتقومهم، إنَّما موكول إليك بيان الخطأ الذي عندهم من أجل أن يتوبوا منه، ومن أجل أن يحذره غيرهم، أما إذا ذكرت محاسنهم قالوا: جزاك الله خيرًا هذا الذي نبغيه". ا هـ. ومصادر هذه الأقوال محفوظة لدينا والحمد لله.

وإذ كان الأمر كما رأيت وسمعت فإن القوم الذين يخطئون أصحاب الردود على أهل البدع في دين الله عند اقتصارهم على رد البدعة وبيان الخطأ بدون ذكر محاسن المردود عليه لا يخلو أمرهم من حالين:

أحدهما: الجهل بمنهج السلف وأتباعهم من العلماء الربانيين في هذه القضية وهذه مصيبة عظيمة لما في ذلك من مجانبة الحق والصواب.

والثاني: قصد التلبيس على الناس بذكر شيء من محاسن أهل البدع لئلا يسقطوا من أعين الناس وبالأخص طلاب العلم منهم وهذه أعظم. وحقًّا أنه متى سقط المبتدعون من أعين الناس بسبب ضلالاتهم سقطت كتبهم، وسقط المدافعون عنهم والمروجون لأفكارهم وكتبهم ونشراتهم. فليتق الله المتعالون ولينظروا من يخالفون من فحول العلماء السابقين والمعاصرين، وليرجعوا إلى جادة الحق ونصرته والاقتداء بأئمته وليخلصوا

أنفسهم من اتباع الهوى والتعصب المقيت الأعمى فإن ذلك خيرًا لهم وأبقى في الآخرة والأولى.

وأذكر أني قلت قديْمًا مخاطبًا القائلين: بوجوب الموازنة المذكورة ما يحسن إيراده هنا:

وقلت: مهلا غزاة القوم من خلف ... أين الحديث عن الأسلاف والأثر؟

لقد تركتم سبيل الحق مع أسف ... حين انتقدتم على الأسلاف ما سطروا

في منهج النقد ذاك النهج رائده ... نور الهداية للأجيال ينتشر

إن الردود عن الأجيال قد حفظت ... بدون مدح لذي الأهواء فاعتبروا

إذ ما لحبر من الأسلاف من خبر ... يمجد الجهم ذاك الظالم الأشر

كلا ولا الجعد في أخبارهم نشرت ... له المحاسن يا إخوان فادكروا

وهل سمعتم بناة الحق من علم ... قد قال: بشر لنهج الحق ينتصر

أو واصل الشر قد جاءت محاسنه ... في الذكر كلا ولا الأخبار قد ذكروا

شيئًا لعمرو سقيم الفكر منخدعًا ... بمنطق القوم من للسوء قد نصروا

ومعبد الزيغ والغيلان منهجهم ... كقوم جهم هم الأعداء والخطر

ثُمَّ الخوارج بالتكفير قد نطقوا ... وقيل: فيهم كلاب النار ما ذكروا

بكثرة الجد في الطاعات تزكية ... لكن بيانًا وإعلامًا بما مكروا

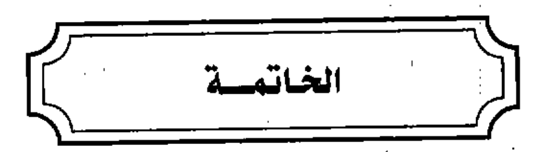
وكم سواهم من الضلال قد بسطت ... مثالب الكل للأسلاف فاعتبروا

ولو قرأتم فنون الجرح لاتضحت ... تلك القواعد بالبطلان يا بشر

ثم اتَّهمتم رجال الفقه في صلف ... بالظلم جهرًا وذاك الجهل والغرر

قلتم: غضبنا على الكتاب من سلف ... لمـــا رأيـــنا من الأسماء ما ذكروا
فقلـــت: توبـــوا فإن الله يقبلكم ... ويغفر الذنب كل الذنب فابتدروا
وتوبـــة العبد قبل الموت موجبة ... لـــرحمة الله مـــثل الغيث تنهمر
مـــا أحوج الناس في الدنيا لمغفرة ... من خالق الكون جل الرب مقتدر
وســـاعة الحشر إذ تبلى سرائرهم ... يـــا رب لطفًا بمم يخشى ويدكر
للخلق يوم شديد الهم ذو كرب ... يشيب منها صغير السن فانتظروا
يـــا رب هيـــئ لهذا الدين ألوية ... تَهـــدي الســـبيل وبالآيات تعتبر
ثم الصـــلاة عـــلى المختار سيدنا ... وآلـــه الغر من للدين قد نصروا
والـــتابعين على الحسنى نبشرهم ... بفضـــل ربي كما جاءت به النذر
معها السلام وصافي الحب باعثه ... نص الكتاب وخير الهدي فاعتبروا
والرب أرجو لما سطرت من زلل ... عفوًا وغفرًا وما الأملاك قد سطروا
فوعده الْحَق قد صحت أدلتـــه ... لا خلف فِيه فهل نصغي ونعتبـــر

❊ ❊ ❊ ❊ ❊



الخاتمة

من قواعد الدعوة السلفية الراسخة، ومزاياها الرفيعة الثابتة:

١- دعوة المسلمين والمسلمات ليستجيبوا لنداء ربِّهم الملك الحق المبين، ودعوة نبيهم الناصح الأمين، وذلك بالرجوع الصادق المخلص إلى الكتاب العزيز والسنة المطهرة في كل شأن من شئونهم على منهاج السلف الصالح وأتباعهم من العلماء الربانيين والأولياء القانتين الذين علموا الحق وعملوا به ودعوا الناس إليه بأسلوب رحيم وعلى هدي مستقيم رجاء رحمة الله وخشية عقابه.

٢- الحرص على العلم بالحق من مصدره الأصيل المنوه عنه آنفًا، ونشره لأهل الأرض رحمة بالخلق وإقامة الحجة بإيضاح المحجة.

٣- وجوب بذل النصح ممن يحسنه للمسلمين والمسلمات، إذ أن ذلك من أعظم الفرائض وأزكى القربات بشرط أن يكون الناصح متحليًا بالعلم والحلم والصدق والإخلاص،وكيف لا تكون هذه المنـــزلة الرفيعة للنصيحة، وقد قال النبي الكريم ﷺ: «**الدين النصيحة**...». الحديث.

٤- منهج السلف الصالح وأتباعهم لا ينحصر في مباحث الاعتقاد، بل إنه عقيدة وعمل بِما تحمل كلمة العمل من معنى وعليه "**فالسلفية**:

عقيدة وعمل".

٥- السعي الحثيث والجهاد المخلص الدائم على جمع كلمة المسلمين والتعاون بينهم على البر والتقوى، ألا وإن خير معين على جمع الكلمة ووحدة الصف وتحقيق منهج التعاون على البر والتقوى هو لزوم السنة وإحياؤها بالتصفية والنشر، ومحاربة البدع التي يريد أهلها هدم السنن ليحققوا مقاصدهم الخاطئة بحسن نية أو بعكس ذلك.

٦- الرجوع في الأمور التي يقع التنازع فيها إلى الكتاب والسنة مطلب شرعي دل عليه الوحي الكريم والعقل الصحيح السليم كما قال المولى الكريم: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: من الآية٥٩]. ومن غير جدل أن هذا هو الميزان بالقسط ولكن بفهم السلف وعلى أصولهم السليمة وقواعدهم المستقيمة، فإن هذه الأمة جعل عافيتها في أولها فالرجوع إلى نصوص الكتاب بمفهومهم دأب العلماء الراسخين وخلق الأولياء الصالحين المتقين.

٧- منهج التصفية والتربية ثابت للسلف ومعلوم للفضلاء منهم بطريق الاستقراء، والمراد بالتصفية بمعناها العام تصفية الحق من الباطل، والطيب من الخبيث، وعلى سبيل الخصوص تصفية السنة الغراء وأهلها من البدعة المضلة وأنصارها، وأما المراد بالتربية: فهي دعوة جميع المكلفين ليتأدبوا ويتخلقوا بما أنزله لهم ربُّهم على عبده ورسوله محمد ﷺ ليكون

لهم خلقًا وأدبًا وسلوكًا، إذ لا تطيب حياتُهم ويصلح حالهم ومآلهم إلا بذلك ونعوذ بالله من سوى ذلك.

٨- وجوب الالتزام -ظاهرًا وباطنًا- بطاعة ولاة أمور المسلمين في المعروف والدعاء لهم سرًّا وعلنًا بالهداية والعون والتوفيق، إذ إن صلاحهم سبب في صلاح العباد والبلاد والعكس بالعكس إلا ما رحم ربك، ألا وإن من طاعتهم:

أ- القيام بحقوقهم وتأليف قلوب الرعية عليهم طاعة لله وعملاً بهدي رسول الله ﷺ.

ب- وعدم الخروج عليهم بأي وسيلة من وسائل الخروج سواء كان بالسلاح أو بالكلام المهيج لرعاع الناس ودهمائهم، ونصوص الكتاب والسنة إذ تحرم ذلك فلأنه يفضي إلى النقص في الدين، كما يفضي إلى هتك أعراض المسلمين وسفك دمائهم وتعطيل مصالحهم وانتشار الفوضى بينهم، وزرع العداوات الجاهلية في مجتمعاتِهم، إلى غير ذلك من الأسواء القولية والفعلية التي لا يرضاها الشرع الكريم ولا صاحب العقل السليم.

٩- الإيْمان الجازم بأن دعوة الهدى والنور تستمد قوتَها وتقتبس ضوئها بصحة البرهان الذي جاء به من أنزل عليه الفرقان ﷺ، ولَم تستمد ذلك من كثرة أقوال الرجال وآرائهم، وعليه فلا وحشة من قلة السالكين على درب الحق المبين، ولا اغترار بكثرة المنحرفين والزائغين

عن هدي سيد المرسلين، عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

١٠- محبة الصحابة الكرام وأتباعهم على الإيْمان والإحسان والإسلام فرض من فروض الإسلام، والحق أن من سب الصحابة أو شتمهم أو تنقص واحدًا منهم أو أظهر بغضهم أو أضمره فقد جمع إلى الزندقة كبائر الذنوب والآثام. وأن المعادي لأولياء الله بالسب والشتم والعداوة والبغضاء محارب لله فلينتظر عقوبات الله التي إذا نزلت لا ترد عن أهل الفساد والإجرام.

دليل ذلك أيها القراء الكرام في برهانين من براهين دين الإسلام، أحدهما قول ذي الجلال والإكرام، في وصف الله لنبيه محمد -عليه الصلاة والسلام- ووصف أصحابه الكرام: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:٢٩].

وقول المصطفى ﷺ: «من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب».

١١- العناية بعلاج النفوس والقلوب من أمراض الشبهات التي يلقيها الشيطان إلى العبد لتقدح في إيْمانه وكذا العناية بعلاج النفوس والقلوب من مرض الشهوات التي يلقيها الشيطان على النفوس والقلوب

فتقدح في الإيْمان كذلك. ودفع هذين المرضين يحتاج إلى أمرين: أحدهما: الصبر والثاني: اليقين كما قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ [السجدة:٢٤]. فقد أخبر سبحانه في هذه الآية الكريمة أن إمامة الدين إنَّما تنال بالصبر واليقين. فالصبر يدفع الشهوات، واليقين يدفع الشبهات.

١٢- "**لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بِما صلح به أولها**" هذه قاعدة جليلة عند السلف وأتباعهم تشهد لها نصوص الكتاب والسنة، التي تَهدف إليها تلكم القاعدة يعرف ذلك من عرف المعاني.

١٣- توقير العلماء الربانيين أحياءًا وأمواتًا، ومحبتهم وأخذ العلم عن الأحياء منهم والتتلمذ على كتب الموتى منهم، والذب عنهم ميزة من ميزات منهج السلف، والعكس بالعكس، فإن الوقيعة في العلماء ونبزهم بالألقاب ولمزهم بإلصاق التهم الباطلة والعيوب المختلفة من علامات أهل البدع والضلال، الذين زين لهم الشيطان ما كانوا يعملون.

١٤- الفرح بِهداية المهتدي بالهداية الشرعية، والأسى على المتمادي في الغواية والضلالة بدون اعتراض على القدر من صفات السلف وأتباعهم وخُلق من أخلاقهم.

١٥- المحبة الشرعية على وجهها الأسنى، ومنهج الولاء والبراء من قواعد المنهج السلفي، ولا يشاركهم فيه إلا من تأسى بِهم وألزم نفسه بسلوكهم وآدابِهم.

١٦- التصريح الواضح الجلي المأثور عن الأسلاف وأتباعهم حقيقة أن طلاب العلم في كل زمان ومكانٍ في حاجة ماسة إلى معرفة كتب الردود على أهل الأهواء والبدع وكتب الجرح والتعديل؛ ليحذروا من الاغترار بالمجروحين ويسلموا من شر المبتدعين، ومن ثم يكونوا حراسًا من حراس العقيدة السليمة وقائمين بالذب عن السنة الصحيحة القويمة.

١٧- من عَلِمَ وعمل وعلَّم فإنه يدعى ربانيًّا في ملكوت السموات.

١٨- الحق عندهم وسط بين ضلالتين وهما الإفراط والتفريط.

١٩- أهل السنة والجماعة وسط بين الخوارج الذين يكفرون بكبائر الذنوب، وبين المرجئة الذين يقولون إنه لا يضر مع الإيْمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة.

ومعنى وسطية أهل السنة بين هاتين الفرقتين أن أهل السنة يقولون في صاحب الكبيرة فاسق بكبيرته، ومؤمن بِما معه من الإيْمان، ومن مات مصرًّا على الكبيرة فهو تحت المشيئة -إن شاء الله- عذبه في النار بقدر ما جنى وأدخله الجنة وإن شاء عفا عنه فلم يعاقبه بالنار أبدًا.

٢٠- الرد على المخالف من القواعد التي قامت وتقوم عليها الدعوة السلفية، وبالأخص الرد على أهل البدع، كما قال **ابن القيم** -رحمه الله- في "**مدارج السالكين**" (٣٧٢/١) ما نصه:

"واشتد نكير السلف والأئمة لها -البدعة- وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض، وحذروا من فتنتهم أشد التحذير، وبالغوا في ذلك ما لَمْ

يبالغوا مثله في إنكار الفواحش والظلم والعدوان، إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتُها له أشد ". ا هـ.

قلت: ولشدة ضررها فإن الرد على أهلها باب عظيم من أبواب الجهاد، وموقع مهم سده من أفضل الجهاد في سبيل الله.

قال ابن تيمية -رحمه الله- "الفتاوى (١٣/٤)": "فالراد على أهل البدع مجاهد حتى كان يحيى بن يحيى يقول: الذب عن السنة أفضل من الجهاد.." ا هـ.

وأما كيفية الرد فإنه يكون بمجادلتهم بالنصوص، وبيان وجه الاستدلال ليتضح الأمر وتنقطع الشبهة ويزول الضرر عن الناس لاسيما من قل نصيبهم من العلم وهذا الصنيع يعتبر جهادًا بالقلم واللسان.

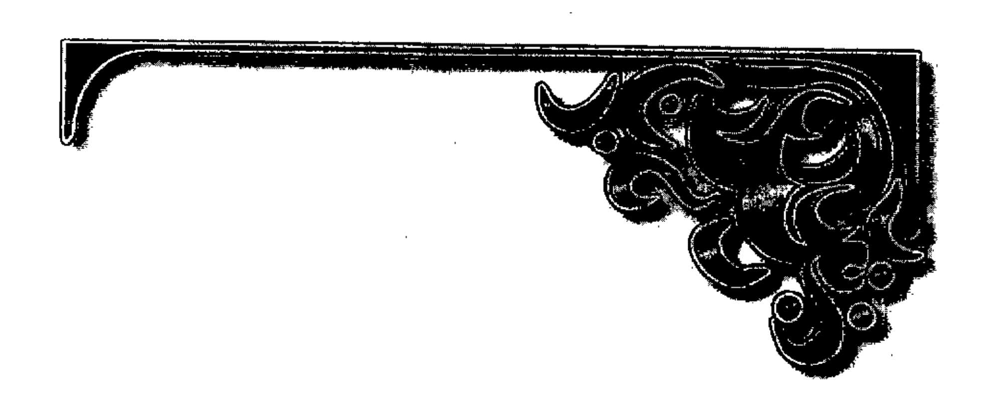
٢١- كل دعوة عند أتباع السلف باسم الإسلام وشريعة خير الأنام لَمْ تكن على منهاج النبوة لا تقبل، ولا تثمر لأنَّها لا نصيب لها من النجاح الحقيقي مهما نظمت لها من الدعايات وروج لها في المجتمعات.

٢٢- اختيار الكتاب والمعلم من منهج أتباع السلف، فتراهم يختارون في مكتباتِهم الخاصة كتب علماء السلف وأتباعهم لسلامتها من أنواع الانحراف العقدي والمنهجي، وهكذا يختارون الأشياخ السلفيين لأخذ العلم عنهم حرصًا منهم على سلامة المعتقد والمنهج الذي لا يوجد على وجه التمام إلا عندهم، والواقع شاهد بذلك.

٢٣- السلف وأتباعهم لا يعتبرون أهل البدع والخرافات مجددين، وإن أحرزوا شيئًا من العلم، لأن من صفات المجدد بالدرجة الأولى صحة الاعتقاد وسلامة المنهج العملي.

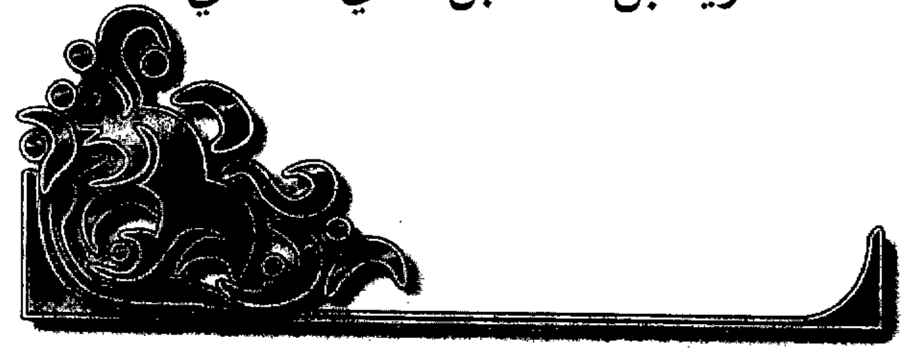
والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

* * * * *



منظومة
الأجوبة السديدة
على الأسئلة الرشيدة

زيد بن محمد بن هادي المدخلي



افتتاحية الجواب بمنظوم الكلام

الحمد لله العليّ الأكرم — حمدًا كثيرًا للإله المنعم
ثم الصلاة يا أخا الإيْمان — على النبي المصطفى العدنان
معها سلام خالص محبر — يصحبه مسك جميل أذفر
والآل والصحب كذاك والأولياء — من عانقوا الحق وكانوا أتقياء
وبعد هذا معشر الإخوان — وطالب العلم بلا توان
فهذه أجوبة سديدة — تقدمها أسئلة رشيدة
وجهها حبر نبيه المعى — يرجو جوابًا واضحًا لمن يعي
وحيث إن العلم نشره وجب — لكل محتاج لفقه مع أدب
فقد بذلت طاقتي في نشره — لأظهر الحق ورفع قدره
دونت فيها ما يفيد السائلا — فأقرأ ونافس تحرز الفضائلا
واقبلها مني يا أخا الإسلام — وأولها عناية الأعلام
ما كان منها ذو صواب فاقبل — والخطأ أردد ناصح لا تغفل
فالضعف دومًا من طبيعة البشر — والكامل الله العظيم قد أمر
بنصرة الحق ورد الباطل — فاسلك هديت منهج الأفاضل
من عالم وعامل وناشر — يبغي ثوابًا من إله غافر
يضاعف الأجر ويعطي من سأل — ويغفر الحوب ويقبل العمل

س١: ما المقصود بالفرقة الناجية المنصورة، وما أبرز صفاتِها؟

ج١:

يا سائلاً عن العلوم جاهدًا خذ الجواب واضحًا وقاصدًا
إن شئت بالنظم أو المنثور كلاهما بلفظ الميسور
سألتني عن فرقة جاء الأثر بوصفها منصورة نص الخبر
وبالنجاة وصفها قد انجلى في كتب الآثار حقًّا نقلا
جماعة الحديث والجهاد ودعوة الخلق إلى الرشاد
والأمر والنهي وكذا النصيحة بطرق شرعية صحيحة
وكم لها من الصفات قد أتى في محكم التنزيل نصًّا مثبتًا
كسورة التوبة والأنفال والرعد والنور بلا جدال
والمؤمنون الفتح والفرقان وغيرها من سور القرآن
وفي الحديث وصفها قد اشتهر بأنّها منصورة يا من سبر
وكم عن الأحبار وصف قد ورد بحسن حالها مع النص اتحد
فارجع إلى التفصيل في المنثور لتفهم المقصود من منشور
أهل الحديث كلهم عباقرة وجوههم مثل البدور زاهرة
دعا لهم بدعوة خير البشر بنضرة الوجه صريْحًا في الأثر
وكم نصوص في نعوتِهم أتت في محكم التنزيل لفظها ثبت
وكم لهم في كتب التعديل من صفة مثلى أيا خليلي
كجبل الحفظ وثقة وثقه وحافظ ثبت وهكذا ثقة
محله الصدق صدوق متقن وهكذا عدل تقي مؤمن

هم زينة الدنيا وصفوة البشر ... في كل عصر فضلهم قد اشتهر

ومن يقل عنهم كرام أتقيا ... غر الوجوه بالعهود أوفيا

فذاك محمود وسعيه شكر ... وقوله حق فهل من مدكر

لهم من الأخلاق والفضائل ... وعفة الأخيار والأماثل

ما لَمْ يكن لغيرهم من الورى ... فافهم رعاك الله وأترك المرا

هم الرجال النجبا الإخوان ... عليهم من ربِّهم رضوان

ونحن نرجوه ليلحقنا بِهم ... في داره الحسنى مصير المعتصم

ومن سواهم بالسقوط أجدر ... بما أتوا من منكر وما افتروا

بنسبة الحديث للرسول ... من دون ما نقل ولا معقول

بل بعضهم بجرأة الوضع اشتهر ... ليفسد الدين ويضلل البشر

وبعضهم بالفسق حقًّا علمًا ... وجاهل يهذي بِما لَمْ يعلما

والبعض منهم لا يبالي بالغلط ... ورواهم يروي فيأتِي بالشطط

وغيرهم وغيرهم مِمن عدل ... عن سنن الحق وبالإثم قفل

قد حذر الأفذاذ من سبيلهم ... وبينوا حقًّا فساد قيلهم

قال الإمام مالك: عن أربعة ... لا تأخذ العلم ولا أن تسمعه

أولهم مجاهر بالسفه ... اختر سواه عاقلاً وانتبه

ومن دعا الناس ليهووا في هوى ... فذاك أفاك يرد ما روى

وأكذب الناس حديثًا في الورى ... لا تأخذن حديثه إن انبرى

وقال: قد حدثنا مرموق ... عن صادق في حفظه موثوق

والرابع العابد ذو الجهل الجلي ... عنه حديثًا واحدًا لا تقبل

وعن سواهم فالحديث يعتمد — من بعد فحص في المتون والسند
هذا جواب للسؤال الأول — فاحفظ رعاك الله ربك العلي
والحمد لله على السداد — سبحان ربي خالق العباد
ثم الصلاة والسلام أبدًا — على النبي الهاشمي أحمدا
وآله وصحبه الأطهار — وناصري الدين بإذن الباري

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

س٢: ظهر في هذا الزمان من يقول إن علم الجرح والتعديل إنَّما وضع لفترة زمنية معينة وأما الآن فلسنا بحاجة إليه فما رأيكم في ذلك -وفقكم الله-؟

ج٢:

ثم سؤالاً ثانيًا قد صغتمُ — عن قول قوم بالظنون أبرموا
لا جرح لا تعديل باقٍ في الزمن — بل إن هذا قد مضى فليعلمن
وما بنا من حاجة لبحثه — وليس فينا قائم بأخذه
وقبل بدءٍ في الجواب فاعلمن — علم أمور من روائع المنن
أولها الإيضاح والبيان — ومعهما اليقين والإيْمان
بأن علم الشرع كله أتى — بسند متصل قد ثبتا
فلنأخذنه من ثقات كمل — أهل الحديث والسلوك الأمثل
ولنعتزل دومًا رواة الباطل — لنحرس الحق بلا تثاقل
ثانيهما النقاد في كل الزمن — من وصفوا بالعلم والخلق الحسن
في كل جيل ضبطهم قد اشتهر — والعدل فيهم مع ذكائهم ظهر
ثالثهما قلت وجوب التصفية — وهكذا اهتمامنا بالتربية

وهــــذه الـــــثلاثة الأمـــــور ... يعقـــبها جوابـــنا المســـطور

فالعـــلم بالجـــرح وبالـــتعديل ... ســـيبقى دائمًـــا أيـــا خليـــلي

ومـــن يقـــل لفـــترة ثم انـــتهى ... ففهمـــــه ردّ وقولـــــــه وهـــي

فكـــم رجـــال في الزمان الحاضر ... مـــن قـــادة الـــتجريح والعـــباقر

وســـادة المجـــد وخـــير مـــن دعا ... لروضـــة العـــلم وفضـــلها رعى

والـــبعض مـــنهم بإجـــازة روى ... عـــن شيخه العدل رفيع المستوى

ويفـــتح الله العـــلي الأكـــرم ... للاحـــق القـــوم أيـــا مـــن يفهم

والجـــرح جـــارٍ وكـــذا التعديل ... لـــنا قـــل الأخـــبار يـــا نبـــيل

وفي الشـــهود يجـــرح المجـــروح ... ويقـــبل العـــدل وذا صـــريح

فهـــل علمـــت يـــا أخـــا الإيْمان ... فســـاد قـــول ظاهـــر الـــبطلان

بـــأن عـــلم الجـــرح كلـــه انتهى ... وهكـــذا الـــتعديل ركـــنه وهي

وذا جـــواب للســـــؤال الثانـــي ... بذلت فِيـــه الـــجهد للإخـــوان

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

س٣: ما حكم هجر المبتدع والمجاهر بالمعاصي في ميزان الشرع الشريف؟

ج٣:

والهجـــر للعاصـــي وهجـــر المبتدع ... كلاهمـــا حـــق فهـــل مـــن متبع

وبغـــض كـــل مـــنهما قـــد انجلى ... في محكـــم الـــنص وإجمـــاع تـــلا

لكنـــنا لا نرتضـــي الـــتكفيرا ... بـــدون حجـــة فكـــن بصـــيرا

وليعـــلم المســـلم مـــنهاج الســـلف ... في هجـــرهم ووصـــلهم لذي جنف

فكـــم مـــن الغايـــات جاءت ظاهرة ... ينشـــدها الأســـلاف يـــا عـــباقرة

وكم دليل في الكتاب المنزل | وسنة الهادي النبي المرسل
لهجرنا العاصي كذاك المبتدع | قد صرحوا بِهجره لينتفع
وكل وصل ثم هجر نصنع | نريد خيرًا أو لشر ندفع
وكم من الأخبار عن صحب النبي | في الهجر والزجر بلا تقلب
وكم عن الأتباع مثلهم شهر | في محكم الآثار عنهم ذكر
من هجر ذي الأهواء وهجر المنحرف | والهجر للفساق عنهم عرف
حتى يثوب الكل للنهج الجلي | وينعم الجمع بشرع منزل
ويختفي شر وفسق وخطل | ويظهر النور وينتهي الجدل
وقد أتى النهي عن الجلوس | مع ميت القلب أو المنكوس
أو من يخوض في النصوص نائلاً | من ديننا الحق يثير باطلاً
ومثلهم في الحكم أصحاب البدع | احذر لظاها واحترس من الخدع
وذا الجواب للسؤال الثالث | فاحفظه تنج من صنيع العابث
من عارض الحق بنهج قد وفد | ويل لعبد عن سبيل الله صد

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

س٤: ما هي ضوابط العذر بالجهل في نظر علماء السلف وأتباعهم باختصار؟

ج٤: قبل الجواب على هذا السؤال المهم يحسن تدوين مقدمة بين يديه يتضح فيها فضل العلم والعلماء، وذم الجهل والجاهلين: فأقول مستعينًا بالله:

وإن ترد معرفة الدليل | على جلال العلم بالتفصيل
فدونك القرآن فاقرأنه | وهكذا الحديث فافهمنه
فكم من النصوص فيهما أتت | وفي نعوت العلم لفظها ثبت

إقرأ من القرآن أي البقرة تجد نعوتًا للعلوم مسفره
ثم اقرأ الفرقان والمجادلة وسورة الرعد بلا مجادلة
وآل عمران وسورة العلق ففيهما النعت كصبح انفلق
وغيرها من سور القرآن حوت نعوت العلم بالتبيان
وكم حديث من كلام المرسل فيه نعوت العلم باللفظ الجلي
يعلمه قوم كرام كمل من كل قرم بالعلوم يعمل
كنص من يسلك طريقًا يلتمس دربًا قويمًا للعلوم يقتبس
ومثله نص كريم قد أتى في عصبة الميراث حقًّا مثبتًا
والمثل الشامل ميراث النبي افهم رعاك الله لا تكن غبي
والأمر بالفقه صريح في السنن فارجع إليها باحثًا نلت المنن
وما روى الحبر الكبير الماجد من دعوة المعصوم يا أماجد
لحامل الفقه وناقلي الخبر وناشري علم الحديث والأثر
وكم سواها من نصوص ناضرة في شرف العلم نجوم زاهرة
وكم من الآثار من علم السلف منشورة عنهم ليعلم الخلف
فضيلة العلم وفضل العالم وماله في الكون من مكارم
والشعراء كلهم ترنموا بالفضل للعلم ومن تعلموا
من سابق ولاحق كل شدى بحلية العلم وعصبة الهدى
وربنا الأعلى يحب العلماء أودعهم علمًا فكانوا حكما
وهكذا الأملاك حبهم ثبت لحاملي العلم وكل من قنت
والطير والحوت ونمل كلها في حبها نص صحيح ما وهي

لباذل العلم لكل من طلب ... إذ نشره حق وبذله وجب

والحمد لله على ما أنعما ... من نعمة العلم لكل العلما

حمدًا كثيرًا في الحياة دائمًا ... ويملأ الأرض ومثلها السما

والجهل داء يا أخي فلتسأل ... والسؤل حق والجواب فاقبل

والجاهل الغمر غبي غافل ... لا حبذا الجهل وساء الباطل

قد ذم ربي الجاهلين مطلقًا ... في سورة القرآن وحيًا حققا

كسورة الرعد وفي الأعراف ... ما يكسب النفس البيان الشافي

وبعد هذا فاستمع لما يلي ... عما سألت يا أخي لا تكسل

كان السؤال عن جهول يصدر ... منه الخطأ أثم أو يعذر

فالقول فيه ما حكاه العلماء ... من صائب القول وفقه قد سما

فالتمسوا عذرًا لكل جاهل ... قد فاته البيان بالعذر الجلي

كمثل ناءٍ عن ديار مسلمة ... لم يسمع الوحي ولا أن يعلمه

وما درى يومًا عن الإسلام ... ولا عن المبعوث للأنام

فإن هذا في الحياة يعذر ... ويوم حشر للجزاء يؤمر

بطاعة الله الحكيم الأكبر ... فمن يطع ينجو ويشقى المفتري

ومثل هذا في التماس العذر ... أربعة نصّ الحديث فادر

الأول الأحمق والثاني الأصم ... والثالث المعتوه شأنه أهم

ومن في فترة قديمًا قد هلك ... فحكمه كمثلهم بدون شك

والأمر فيهم للإله القادر ... وقابل التوب الحليم الغافر

فيوقفون كلهم في المحشر ... وتبرز النار بسوء المنظر

فيبعث الله إليهم مرسلاً ... أن ادخلوا النار بنص انجلى
فكل من يسعى إليها يكرم ... بجنة الخلد أيا من يفهم
ومن أبى منهم فذاك قد شقي ... يدعُّ فيها مرغمًا فحقق
إذ أنّ ربي كل شيء قد كتب ... مما به الإيمان حقًّا قد وجب
وأي بلدة بِها إسلام ... فتلك حجة بِها إلزام
لمن بِها يعثوا فسادًا غافلاً ... مدعيًا جهلاً وعذرًا باطلاً
لأنه يمكنه أن يعلما ... لكنه أعرض عن وحي السما
هذا جواب يا أخا الإيمان ... للعذر بالجهل بنظم دان

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

س٥: ما رأيكم فيمن يربي الناشئين في الطلب على كتب فيها بدع وضلالات ككتب حسن البنا ؟

ج٥:

والنصح للخلق وجوبه ثبت ... في سنة الهادي ثقات قد روت
كما أتى موضحًا في مسلم ... اقرأ بفهم مخلصًا واستقم
يا من يربي الناشئن في الطلب ... بكتب التضليل لقيت العطب
ماذا تريد بانتشار المنكر؟ ... لتحمل الوزر وتظلم البري
وتبذر السوء جهارًا في الورى ... وتُهلك النسل بخبث وافترى
وتترك النهج القويم والسنن ... وكتب العلم عظيمة الثمن
مستبدل الأدنى بنهج قد سما ... أنزله ربي قويمًا محكمًا
عظمه قوم كرام كمّل ... فجاهدوا فيه وخاب المبطل

وحاربوا الشر وما القلب حوى ... وجاهدوا النفس أسيرة الهوى

يرحمهم ربي تعالى جده ... عز وجل وتسامى مجده

شر الأمور محدثات قد ورد ... في محكم النص بلفظ لا يرد

إذ حذر الرسول منها مطلقًا ... لسوئها وشؤمها حزت التقى

وكل من دعا إليها يهجر ... حتى يفيء صادقًا فيعذر

كعادة الأسلاف مع أهل البدع ... من جانبوا الرشد ووالوا من خدع

إن دعاة الشر يهوون الضرر ... فاحذر همو ياصاح تنج من سقر

واسلك سبيل السائرين في هدى ... ومنهج الحق الشريف والندى

وأمة الهادي كثيرة الفرق ... وكلهم هلكى وللخزي استحق

وفرقة منها يقينًا تنصر ... صفاتُها جلى كذاك تظهر

لأنَّهم كانوا على الحق الجلي ... وشرعه الهادي النبي المرسل

ولم تزغ قلوبُهم عن الهدى ... كمثل من ضل وزاغ واعتدى

بل لازموا هديا وخلقًا للنبي ... ولم يخلوا باتباع فارغب

وبعد هذا إننا لنعلم ... أن رجال العلم بالعلم سمو

لكنهم في علمهم أقسام ... بحسب الفهم أيا إمام

فليحذر الجميع ما فيه هوى ... من كتب الفكر وما الفكر حوى

إذ عندهم من كتب الأسلاف ... ما يكسب النفس البيان الشافي

فمن عليها نفسه قد ربى ... يمنحه ربي تعالى حبًا

ومن لغيره يربي كادحًا ... بكتب الأسلاف يدعى ناصحًا

لا سيما صنف الشباب المسلم ... فإنَّهم بحاجة فلتعلم

ومـن يمجـد كتـب الأهـواء ... فـذاك مغـرورٌ وذو الـتواء
ومـن يقـل عـنها نضـالاً تربـيه ... فـذاك جـاهـلاً بشـرط التزكية
بـل كتـب الأسـلاف كـلها عبر ... والخـير فـيها ظاهـر ومسـتطر
ومـن يقـل للـناس إني سـلفي ... ويـنهج المغـرور نَهـج الخلـف
فـذا تـناقض وسـعي مخـتلف ... لا حـبذا السـعي إذا لَـمْ يأتلف
هـذي قطـوف مـن بحـوث غالية ... صـيـغت جوابًـا لقلوب واعـية
فـاقبلهـا منـي يـا أخـا التكليـف ... يرعـاك ربـي عـز من لطيـف

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

س٦: أ- ما رأيكم في دعوة التقريب إلى الأديان السماوية لتكون كما يقولون صفًا واحدًا في وجه الإلحاد ؟

ب- وكيف يمكن التقريب بين المنهج السلفي والمناهج الوافدة الأخرى من خارج الجزيرة.

ج- وما هي في نظركم أسباب الألفة بين طلاب العلم صغارًا وكبارًا، وما هي أسباب العداوة والفرقة سابقًا ولاحقًا، بينوا لنا -أثابكم الله-؟

ج٦:

يؤسـفنا حقًّـا عظـيم الأسـف ... صـنيع قـوم جـاهلين فاعـرف
قـالوا تعـالوا يـا بـني الإنسان ... نوحـد الصـف مـع النصـراني
ونعلـن الـود صـريْحًا بينـنا ... إن الـيهود صـفهم مـع صفنا
نمضـي جمـيعًا في طـريق واحد ... لـنقهر الإلحـاد بالتعاضـد
ونضـمن العـيش الرغـيد والهني ... في عـزة ووحـدة لا تنـثني

ونـــزع الحقـــد ونبـــذ الجفـــا ... ونـــبذر الحـــب الصـــحيح والوفا
كنيســـة نـــبني ونـــبني معـــبدا ... وهكـــذا مســـاجدًا ومنـــتدى
نـــبني حـــياة والقلـــوب صـــافية ... تعـــايش الســـلم ســـبيل العافـــية
قدســـية الأديـــان بينـــنا حمـــى ... وكـــلها حـــق فمـــا شئت الزما
والـــناس أحـــرار فمن شاء اعتقد ... أي عقـــيدة يرضى فحقًا ما قصد
وهكـــذا الرضـــا بوحدة الأديان ... بـــدون حجـــة تحكـــى ولا برهان
إني أقـــول يـــا أخـــا الإحســـان ... هـــذا هـــراء فـــاقد البـــيان
بـــل ديـــننا الحـــق هـــو الإسلام ... والخلـــط مكـــر ســـنه اللـــئام
فمـــن يـــرد ديـــنًا ســـواه يكفر ... دلـــيله الـــنص الصـــريح الأظهر
كتابـــنا الفـــرقان نـــور أنـــزلا ... وناســـخ مـــا قـــبله لا جـــدلاً
ثم الـــنبي الهـــاشمي الأفضـــل ... لم يـــأت بعـــده نـــبي مرســـل
هـــذا اعـــتقاد العـــالمين النـــبلاء ... فـــدع سواهم واستقم نلت العلا
إن الـــيهود كـــلهم كفـــار ... ثم النصـــارى يـــا أخـــي فجـــار
قـــد رفضـــوا جهـــرًا رسالة النبي ... فـــباؤا بـــالإثم فحقـــق وارهـــب
واســـتثن مـــنهم بالدلـــيل المسلما ... مـــن عـــانق الحـــق وللدين انتما
وبعـــد هـــذا إخـــوة الإيمـــان ... ردوا بعـــنفٍ وحـــدة الأديـــان
ومـــن يـــنادي لـــتقارب الـــنحل ... فـــذاك غمـــر لا يـــبالي بالفشـــل
فالخـــالق الـــرحمن رب واحـــد ... وديـــننا الإســـلام ديـــن خـــالد
وبعـــثة الـــنبي شمولهـــا ظهـــر ... لعـــالم الجـــن وســـائر البشـــر
وكـــم لدعـــوة التقريب من آثار ... يفـــوح نتـــنها إلى الأقطـــار

قد ألغيت من أجلها الفوارق وخطة الكيد يجيد المارق
وألغي الولاء والبراء وشرعة الجهاد والبغضاء
لكل زنديق لئيم ماكر قد حارب الحق بخبث ظاهر
فالويل كل الويل يا إخواني لكل راضٍ وحدة الأديان
ومن إليها بالضلال قد دعا فذاك مرتد فبئس ما سعى
ومن ينادي في العباد جاهدًا ليعمروا كنيسة ومعبدا
ومسجدًا معها بقرب واقع فذاك خبٌّ في ضلال قابع
وفعله هذا اعتراف واضح بوحدة الأديان فاز الناصح
وهكذا الويل لكل من دعا ليطبع الإنجيل فرقان معًا
ومعهما التوراة رأي فاسد قد عارض الحق وخاب الحاسد
وقد أتت فتوى من الأعلام من نشروا العلم بفهم سامي
أعني رجالاً في بلادي حققوا مسائل الفتوى بحزم دققوا
ثم أعلموا يا أمة الإيمان بأن دينكم مدى الأزمان
يجاهد الإلحاد والمآثما وينشئ الأمجاد والمكارما
قد بين الله الكريم فضله في محكم التنزيل أعلى قدره
لم يفتقر قط إلى الأديان لما حوى من كامل البيان
وليحذر الأمجاد من قول عري من روضة الحق وحسن المخبر
من أن ديننا مع الأديان في جبهة الإلحاد والكفران
بل إن ديننا هو الوحيد يفند الإلحاد يا مجيد
وكتب التوراة والإنجيل منها محرف فاسمع لقيلي

ويمكن التقريب بين نَهج ائتلف ... قولاً وفعلاً ذاك منهاج السلف

وبين نَهج جله مردود ... كمنهج الإخوان يا رشيد

وشرطه حقًّا هو التنازل ... من فرقة الإخوان صدقًا يبذل

عن خطأ في منهج وفي عمل ... فاسمع رعاك الله واترك الجدل

وكل فرع من أصوله انفصل ... وطبق النهج وفيرًا في العمل

فحكمه كحكمها مذكور ... وهكذا في فنه مسطور

والقول في التبليغ مثل ما سبق ... في منهج الإخوان في القول الأحق

ومن يقل بفكرة التقارب ... بين ابتداع واتباع للنبي

فرد فكره وبالرب اعتصم ... والسنة الغراء عليها فاستقم

لقد عجبت من رجال غفلوا ... عن منهج الأسلاف يا أماثل

من هجرة العاصي وهجر المبتدع ... والحب للسني المنيب المتبع

وبغض من أحدث في شرع النبي ... كما أتى موضحًا فلترغب

بل قالوا جزمًا كلنا إخوان ... يجمعنا الإسلام والإيمان

لا تكتبوا ردًّا على أهل البدع ... فذاك شر لصفوفكم صدع

ولا تقولوا يا بني الإنسان ... لذاك تبليغي وذا إخواني

وذاك سني يحب من سلف ... وذاك بدعي نصير للخلف

وهكذا تنعكس الأمور ... ويجهل الحق وذا خطير

ثم لماذا لا ينادى المبتدع ... ليترك الشر ومن به خدع

ويرشد المسكين بالقول الحسن ... ليهجر السوء ويحيي السنن

وينصر الحق ويتبع الهدى ... ويرفض الإحداث جالب الردى

فكم من الأجر لكل من كتب ... في رد بدعة بنص قد غلب

أثابه ربي ثواب الشهداء ... وزاده علمًا كثيرًا وهدى

ما أجمل الجد لإحياء السنن ... ومعه السعي الحثيث والحسن

لتذهب الأهواء وكل ما ابتدع ... ويعلو الحق فنعم ما اتبع

ومن ينادي لائتلاف وولا ... بين الجماعات وصنف النبلا

أعني دعاة الحق أتباع السلف ... وقادة الخلق لقمة الشرف

فليبذلوا النصح لسائر الفرق ... بترك محدث وما به التحق

ويأخذوا طرًّا بمنهج عرف ... بمنهج الأسلاف أجلى ما عرف

بالسنة الغراء والجماعة ... أهل الحديث والوفاء بالطاعة

وحينذاك يحصل الوئام ... وتنتهي البغضاء والخصام

وصاحب القول بنهج الاحتوى ... لصاحب الفسق وبدعي سوا

يلزمه شرعًا ولاء وبرا ... وينصح الصنفين هكذا أرى

فإن يكن منهم قبول وانتها ... صح احتواء فلتكن منتبهًا

وإن تمادى فاسق ومبتدع ... في الغي والتضليل فالحق اتبع

في الهجر والزجر وحذر منهم ... كعادة الأسلاف يا أكارم

فهل همت يا أخا الإيمان ... تفصيل نظم واضح البيان

* * * * *

س٧: ما رأيكم في العمل أشرط هو في صحة الإيمان أو في كماله؟

ب- وما هي نصيحتكم لمن يقوم بالتأليف في مثل هذا الموضوع أو غيره من العلوم الشرعية ووسائلها قبل أن يتأهل لذلك؟

ج٧:

حقيقة الإيْمان عند من سلف ... قول وفعل واعتقاد ائتلف
يزيد بالطاعات يا مجيد ... وبالمعاصي نقصه أكيد
وذا هو القول الصواب الأسلم ... فأعلم يقينًا لا تكن كمن عموا
وعند جهم صاحب التضليل ... وصاحب التشبيه والتعطيل
معرفة القلب بريئ من عمل ... كلا ولا نطق وذا عين الخطل
أما ابن كرام ومن له تبع ... من كل غمر جاهل ومبتدع
قد عرفوا الإيْمان بالإقرار ... فافهم وقيت غضب الجبار
فيحرز الإيْمان عندهم لكع ... من كل زنديق بخبثه اضطلع
وذو اعتزال عرف الإيْمانا ... قولاً وأعمالاً بذا قد دانا
لا يقبل التبعيض هكذا نقل ... عن زمرة الشر فبئس ما نقل
مرجئة الإيْمان قولهم حظل ... إذ فصلوا الإيْمان عن ركن العمل
وصاحب العصيان لايخشى الضرر ... إن وجد الإيْمان عندهم وقر
وفرقة قالت عن الإيْمان ... هو اعتقاد القلب يا إخواني
ثم الخلاف بينهم قد اشتهر ... في نطقهم به فمنهم من ذكر
بأنه ركن أصيل قد ثبت ... وفرقة أخرى بعكس قد رأت
وثم إرجاء بأسلوب أتى ... عن قادة الأحناف فافهم يا فتى
إذ فصلوا الأعمال عن إيْمان ... وذا خطير يا أخا الإحسان
ثم نصوص الوعد والوعيد ... قد أثبتوا كسادة التوحيد
ومن بشرع الله أضحى موقنًا ... فلا يكفر بالمعاصي مؤمنًا

مـا لَـمْ يكـن لفعـلها استحلاً ... فـذا كفـور دمـه قـد حـلا
ثم أعـلموا معاشـر الأخـيار ... هـدي نبـيكم رسـول البـاري
إذ قـال في الإيْمـان إنـه شعب ... إيْمانـنا حـق بِهـن قـد وجب
فبعضـها عـال رفـيع المـنْـزلة ... وبعضـها دان جلـيل فاقـبله
مـن فاتـه الأعـلى فـلا إيْمانا ... يـبقى لعـبد قـارن الشـيطانا
أو فاتـه الأدنى فإمـا مسـتحب ... أو واجـب أعلى وقيت من عطب
فـتارك الواجـب شـأنه خطـر ... وضـده المـندوب فوتـه ظهـر
وبـين أعـلى ثم أدنى قـل شعب ... كـثيرة الأنـواع كـلها قـرب
والـناس فـيها ظـالم أو مقتصد ... أو سـابق أزكـى فشمر واجتهد
إيْمانـنا كـالحج ذو أركـان ... فاعـلم هديـت أوضـح البيان
فالـركن في الحـج محـال ينجبر ... بفديـة أو غيرهـا فلتعتـبر
وهكـذا الإيْمـان إن ركن وهى ... قـد ذهـب الكـل فساء المنتهى
ودون هـذا يـنقص الإيْمانـا ... فابحـث بعـزم لا تكـن كسلانا
وإذ علمـت يـا أخـا الإحسان ... تعـددا لشـعب الإيْمـان
وكونـه يقـبل حكـم الـتجزءة ... وهكـذا التبعـيض مثل التجزءة
ثم اجـتماع الكفـر مـع إيْمان ... في الشـخص حاصـل بلا نكران
أعـني بذا الكفر الصغير في الورى ... فـافهم حمـاك الله واتـرك المـرا
فكـم نصـوص قـد أتـت مبينة ... لمـثل هـذا في الكـتاب بيـنه
وفي الصـحاح مثـلها قـد انجلى ... فـاجمع وحقـق يا أخي نلت العلا
ثُـمَّ أمورهـا هـنا تعلقـت ... ببحثـنا هـذا ونفعهـا ثبـت

أولها الأركان للإيمان — وذكر ما فيها من المعاني
فأول الأركان إيمان جلي — بربنا الأعلى العظيم والعلي
أسماؤه حسنى صفاته علي — وقوله فصل وشرعه ابتلا
وهو الإله المؤمن الغفار — رب رحيم واحد قهار
نعبده صدقًا وخوفًا ورجا — وما سواه باطل في النص جا
وهكذا الإيمان يا قوم اعلموا — بعالم الأملاك حقًّا فافهموا
أوجدهم ربي تعالى جده — من قبضة النور تسامى مجده
وثالث الأركان إيمان وجب — بكتب كريمة فيها العجب
أنزلها الله تعالى بالهدى — والنور والحق لمن بها اقتدى
وهكذا الإيمان بالرسل أتى — بالنص والإجماع فافهم يافتى
وخامس الأركان شأنه اتضح — في كتب الله الكريم قد وضح
فكم من الأمور فيه تفزع — وتذهل الخلق فهلا نسمع
والسادس الركن الشهير الأخطر — كم فرقة ضلت ونادت تمكر
تقول لا خيرٌ ولا شرٌ قدر — بل العباد الخالقون قد سبر
وقولهم هذا خطير منكر — وكم سواه من أصول أنكروا
وكل عبد جالس الأحبارا — يقول ربي قدر الأقدار
وأشهد الله العليّ الأعظما — بأن كل شيء قد قضي وأبرما
وأن ذاك في الكتاب مستطر — وثابت حقًّا وذا هو القدر
وذا هو الأمر الكبير الأول — دونته نظمًا لفذ يعقل
أرجو به ذخرًا وغيثًا دائمًا — والعفو من ربي تعالى في السما

والثاني أيضًا إنه التلازم ... بين الأصول هكذا لتفهموا
إن يذكر الإسلام وحده شمل ... إيماننا جزمًا وصدقًا لا جدل
أو يذكر الإيمان مفردًا يضم ... إسلامنا قطعًا وحكمه يعم
والمعنى يأتي في اجتماع مفترق ... فيصح الأصلان حقًّا يتفق
فظاهر الأعمال إسلام أتى ... والباطن الإيْمان فافهم يا فتى
ثم ارتباط حاصل ومعتبر ... بينهما وذا صريح في الأثر
فليس إسلام صحيح يوجد ... بدون إيْمان صريح يرصد
والعكس حق إن فهمت ما سبق ... فاحمد وسبح شاكرًا رب الفلق
وأما الاستثناء في الإيْمان ... فالخلف فيه واضح البيان
فقائل منهم حرام مطلقًا ... وقال: قوم بالوجوب حققا
وآخرون فصلوا تفصيلا ... وأورد لقيلهم دليلا
فباعتبار جوزوه فاقبل ... وباعتبار منعوا فلتعقل
فمن لشك جاء باستثناء ... فذاك ممنوع بلا خفاء
ومن أراد أنه لا يعلم ... عاقبة الأمر فذا لا يأثم
أو قال: إني من عباد وصفوا ... بصفة الإيْمان حقًّا عرفوا
فذاك جائز لكل من أتى ... بلفظ الاستثنا فحقق يا فتى
أو علق الأمر بما الله يشأ ... فذاك سائغ فقله إن تشأ
وعمل التأليف أمره مهم ... وشرطه التأهيل فاعلم يا فهم
ودون تأهيل فيخشى أن يقع ... في منكر القول فضر ما نفع
وربَّما يعزو إلى الرسول ... ما لَمْ يكن من هديه المنقول

فيحمل الإثم ويمسي في خطر ... والنصح منا للبيب قد ظهر

هذي قطوف من غصون دانية ... أودعتها سفرًا تفوق الغانية

إهداؤها طوعًا لحبر عابد ... وطالب للعلم شهم ماجد

فاقبلها مني يا أخا الإيْمان ... تَجزي بخير أوسط الجنان

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

س٨: ما خلاصة اعتقاد أهل الأثر في الجنة والنار هل هما مخلوقتان أم لا؟

وهل قال: أحد بفنائها، أو بفناء النار وحدها؟

وما مدى صحة ما نسب إلى الإمامين ابن تيمية، وابن القيم الجوزية من دعوى ميلهما إلى القول بفناء النار؟

ج٨:

ورب سائل ومستفت أتى ... يرجو جوابًا صائبًا ومثبتًا

هل قائل قال عن النيران ... بأنّها تفنى كذا الجنان

وهل أتى نقل بِهذا يا ترى ... بين ورجح جازمًا ومخبرًا

مدللاً بالنص بالقول الجلي ... وما سواه باطل لا تقبل

وذا سؤال سابق وذو خطر ... والخلف فيه قائم قد اشتهر

قال الإمام العالم الرباني ... من شيخه الأتقى كذا الحراني

أقوالهم ثلاثة يا من سأل ... في كتب معلومة لمن عقل

أولها قول صريح بالفنا ... للجنة العليا ونار أعلنا

والثاني منها صائب وذو نقا ... قد عانق الحق وقال: بالبقاء

وثالث الأقوال حكم بالأبد ... للجنة العليا وللنار الأمد

والراجح الثاني بلا جدال ... فافهم هديت واعقلن مقالي

دليله الأسنى كتاب وأثر ... أتى به الأمي سيد البشر

وكم دليل في الكتاب المنزل ... وسنة الهادي النبي المرسل

على بقاء للجنان العالية ... وهكذا النار فليست فانية

أعني بِها مأوى العنيد الكافر ... من كذب الحق بخبث ظاهر

وصاحب الشرك الكبير مطلقًا ... ومن نفاقًا في الحياة عانقا

والقول بالفناء قول منكر ... والسادة الأخيار هذا أنكروا

ثم الخلاف في دوامها أتت ... به أقاويل وكلها وهت

في سبعة كاملة وجدتَها ... من حادي الأرواح قد نقلتها

وقلت إني يا أخي أدين ... بما أتى المعصوم والأمين

من قيل ربي أو كلام المرسل ... فاعمل وسبح باسم ربك العلي

والدور يا هذا ثلاث قسمت ... لطيب محضٍ وخبث علمت

ثم البقاء لهما قد علما ... دليله نص صريح قد سما

وثم دار بالفناء ميزت ... ومن ذويها كلهم قد فرغت

أعني عصاةً من ذوي التوحيد ... قد أدخلوا فيها بلا تأبيد

حتى إذا نقوا من الأدران ... أخرجهم ربي إلى الجنان

فالحمد لله على الإنعام ... سبحان ربي خالق[١٩] الأنام

وما من النقل صريحًا قد ورد ... عن عالم مجدد قد اجتهد

من أن أهل النار من هم أهلها ... سيخرجون ثم تفنى كلها

ويدخلون جنة النعيم ... بفضل رب راحم رحيم

فقد تضارب النقل فهذا يثبت ... وآخرون قد نفوا ما أثبتوا

وكلهم أدلى بنص قد نقل ... عن الإمام واضح كما حصل

ومثل هذا قد حكى الأماثل ... عن صاحب الحادي فبر الناقل

ومن يرد إيضاح ذا مفصلا ... فليقرأ الحادي كمثل النبلا

ثم الشفاء للعليل فاقرأن ... لتعرف البحث بجد لا وهن

واقرأ كتابًا للأمير حبرا ... أعني اليماني[1] ناصحًا ومخبرا

في رفعه الأستار قد أجادا ... ومعه محدث[2] أفاد

وغيرهم ممن عداهم قد كتب ... في موضع البحث بعلم وأدب

كحافظ العصر عنيت الحكمي ... من ناصر الحق بصدق الكلم

له بحوث في فنون دونت ... نظمًا ونثرًا يا أخي قد بينت

قريبة الأخذ وسهلة العطا ... فارجع إليها لا تكن مفرطًا

فطالب العلم ظريف ذو نَهم ... في جمعه العلم الشريف والحكم

ولجنة البحث أجابت من سأل ... عن بحثنا هذا بفقه لا يمل

فاحفظ ودون ما سمعت شاكرا ... لربك الأعلى دوامًا ذاكرا

ثم أسأل الله العلي الأعظما ... أن ينصر الحق دليل العلما

ويدحر الشر ويقمع البدع ... ويخذل الباغي وكل من خدع

ويكتب الأجر الوفير والحسن ... لصاحب النهج القويم والسنن

والرب صلى دائمًا وأبدا ... على النَّبِي الهاشمي أحمدا

وآله وصحبه الأخيار ... وتابع القوم من الأبرار

---

(١) محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني.

(٢) محمد ناصر الدين الألباني.

س٩: هل الحج والعمرة تكفران صغائر الذنوب وكبائرها وحقوق الآدميين؟ بين لنا ما نأخذ به في هذا الموضوع مدللاً على ما تقول بنصوص الكتاب والسنة بفهم العلماء الربانيين من هذه الأمة؟

ج٩:

إن الذنوب كلها تكفر | بصالح الأعمال برا لمخبر
أعني بها صغائر الذنوب | في حق ربي جل عن عيوب
فعمرة لعمرة جاء الخبر | تكفر الذنب جزاء من شكر
وهكذا الحج البريء من زلل | كفارة الذنب فبشر من عقل
وبالوضوء والصلاة تغفر | ذنوبنا الصغرى ألا فادكروا
وجمعة لجمعة مكفره | فالحمد للمولى كثير المغفرة
وكل حق للإله قد علم | تسامح فيه بنص قد فهم
أما حقوق الخلق فالأمر جلل | فاحذر وحذر لا تكن كمن غفل
فالعرض والمال وهكذا الدما | الكل حظر يا أخي فلتعلما
وإن تصب شيئًا من الدماء | والمال والعرض على السواء
فاذهب تحلل من ضعيف قد ظلم | في دارك الدنيا وبالله اعتصم
من قبل أن تطوى صحيفة العمل | ورحلة المظلوم إذ جاء الأجل
ويوم عرض يا أخا الإيمان | على الإله الملك الرحمن
يتضح المستور مما قد عمل | فذاك مردود وذاك قد قبل
والغيبة احذر لا تكن كمن أكل | لحم أخيه يا أخي بئس العمل
إلا بحق فالملام يرفع | عن قائل نصحًا ألا فلتسمعوا

وارجع لهذا في كلام الحكما — من أحرزوا الفضل وإرث العلما
ولتعرف المشروع مِمَّا يحرم — وتحذر الشر ومنه تسلم

*****

س١٠: ما رأيكم -فتح الله لكم أبواب العلم النافع والعمل الصالح- فيمن يفرق بين العقيدة والمنهج ؟

ج١٠:

ومنهج الأسلاف يا هذا أثر — يحوي اعتقادًا جازما قد استقر
وهكذا التكليف يحويه كما — جاء صريحًا في النصوص محكمًا
وصاحب التفريق في استدلال — بين اعتقادنا ومنهج الأعمال
قد جانب الحق وظل في شطط — فافهم هداك الله واحذر الغلط
فما صح به لنا أن يستدل — في منهج الأعمال حقًّا قد قبل
ومنهج الدين وصدق المعتقد — فكم به نص صريح قد ورد
دليله رسل النبي المصطفى — إلى ملوك الأرض يا ذا فاعرفا
من عرب إذ ذاك منهم أو عجم — جاءتهم الرسل فرادى كالقمم
لدعوة النور سبيل واضح — فاسلكه حتمًا إنني لناصح
وما سواه دع ففيه الهلكة — يجر للفوضى وساءت مهلكه
كدعوة التفجير والتظاهر — ومسلك العنف سبيل الغادر
وخذ سبيل المرسلين ناصحًا — تصبح إمامًا للبلاد فاتحا
بعلمك الشرعي وحلمك الحسن — وزادك التقوى سبيل المؤتمن

الخاتمة

خاتمة البحث جليل قدرها ... مع منهج الحق يطيب نشرها
قواعد البر ونهج من سلف ... لا تقبل الخلط ولا نهج الخلف
لكونه قواعد الأسلاف ... من مصدر النور بلا خلاف
كتاب ربي لا إله غيره ... جل وعز وتعالى جده
والسنة الغراء ميراث النبي ... إرث ثمين يا أخي فلترغب
واسمع لبعض من قواعد الهدى ... واصغ إليها زاجرًا من اعتدى
أولها الرجوع للكتاب ... وسنة الهادي بلا ارتياب
ثم انقياد وخضوع لهما ... وهكذا التسليم فافهم واعلما
والعلم بالحق ونشره وجب ... من عالم به شهير بالأدب
إمامه الهادي وكل من دعا ... بشرعة الرب مثيب من دعا
والنصح عنهم للجميع قد عرف ... بالعلم والحلم فحدث واعترف
دليلهم فيه حديث مسلم ... وعن تميم يا أخي فلتعلم
والدين كل الدين عندهم عمل ... ثم اعتصام صادق نلت الأمل
والحق للوالي عظيم عندهم ... يوفون طوعًا بالحقوق كلهم
ونصحه سرًّا وعونه على ... كل صلاح وفلاح وعلا
ودعوة بالخير والتوفيق ... يرفعها الأسلاف يا صديقي
لكل وال للعباد مسلمًا ... لينشر العدل ويحقن الدما

وحبهم للصحب فرض لازم ... ومن يعادي مؤمنًا فآثم
ثم العلاج للنفوس عندهم ... أمر مهم فلنجد جدهم
بالصبر والصواب واليقين ... صاروا حماة يا أخي للدين
توقيرهم للعلم ثم العلما ... وصف أصيل ورفيع قد سما
والأخذ للعلم عن الأشياخ ... قد عرفوا به كذا التآخي
فرحتهم كبرى بكل مهتد ... والحزن فيهم من ضلال المعتدي
والحب في الله ومنهج الولا ... كلاهما حق وخاب من قلا
أو خالف الأسلاف في اعتقاد ... أو منهج الحق كذا الرشاد
ومن يرى كتب الردود ما حقه ... تفرق الشمل وتدعى حالقه
فذاك مفتون وجهله وضح ... وقوله رد وجرمه اتضح
بل كتب الردود شأنها حسن ... لقمعها الشر ونصرها السنن
فهل يعي الأخيار منهاج السلف ... ويرفض الأبرار منهاج الخلف
والقول في الجرح وفي التعديل ... كمثل هذا فاسلكن سبيلي
والحق عندهم شريف ووسط ... بين غلو وجفاءٍ ذي شطط
ثم الردود يا أخي من عالم ... من منهج الأسلاف ذي المعالم
وكل قول حادث ومبتدع ... يرده السني على أهل البدع
محذرًا ومنذرًا وناصحًا ... وينشر الحق صريحًا واضحًا
والرد عندهم على المخالف ... من مطلب الشرع الظليل الوارف
ومن به محتسبًا يقوم ... فذا مجاهد له التقديم
ومن يرد صفات من يجدد ... في منهج الأسلاف يا أماجد

فليقي السمع وينبذ الهوى ... ويعقل الرشد بكل ما حوى

أولها التزام منهاج السلف ... أعني طريق من على الحق وقف

والصدق والإخلاص والتعاون ... شعارهم حقًّا وفيها عاونوا

لهم بروز في سبيل التصفية ... للسنة الغرا طريق التربية

ثم التزام بالحقوق دائمًا ... لربنا الأعلى تعالى في السما

وحق ذي الحق يؤدون كما ... في الملة السمحا مقيل الكرما

وعمل الخير وبر مثمر ... كلاهما حق ألا فلتصبروا

شرفهم ربي بميراث النبي ... ودعوة النور الوضيئ الأرحب

وليس منهم ذوا ابتداع أبدًا ... فافهم رعاك الله فهمًا جيدًا

ثم الخرافي لا تقل مجددا ... بل فكره اردد جازمًا مفندا

وما لقوم للقبور عظموا ... ثم غلوا في الصالحين منهم

في لقب التجديد من نصيب ... لبعدهم عن سنة الحبيب

محمد الهادي الرسول الأعظم ... وناصر الحق الشريف الأقوم

صلى عليه ربنا وسلما ... والآل والصحب الْهداة الكرما

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الشيخ زيد بن محمد بن هادي المدخلي -حفظه الله-:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... **أما بعد:**

فيسعدنا تهنئتكم بحلول شهر رمضان المبارك لهذا العام نسأل الله أن يتقبل من الجميع صيامه وقيامه.

مع إطلالة شهر رمضان المبارك تعتزم جريدة عكاظ ومن خلال صفحة الفكر الإسلامي إلقاء الضوء على شخصيات إسلامية بارزة ساهمت بجهود وافرة في مجالات الدعوة والتعليم، ومن هذه الشخصيات المميزة الشيخ / عبد الله بن محمد القرعاوي -رحمه الله-، ولذلك نأمل من فضيلتكم التكرم بالإجابة على الأسئلة المرفقة وأي إضافات ترونها تثري هذا الجانب الهام من حياة شيخنا/ القرعاوي -رحمه الله- والتكرم بإرسال الإجابة إلينا مشفوعة بصورة شخصية لفضيلتكم -وفقكم الله-.

مدير مكتب عكاظ بجازان

التوقيع

محمد بن عبد الرحمن الدريبي

١٤١٩/٨/١٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

من زيد بن محمد المدخلي -عفا الله عنه- إلى سعادة مدير مكتب عكاظ بجازان/ عبد الرحمن الدريبي الموقر.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .....

بعد التحية: وصلني طلبكم الشريف ألا وهو الإجابة على أسئلة تتعلق بشأن دعوة الإمام المجدد/ عبد الله بن محمد القرعاوي -رحمه الله- وسيره في التعليم في منطقتنا الحبيبة منطقة جازان وقبل الإجابة المختصرة على أسئلتكم يا محب فإنني أشكر الله الذي رفع قدر العلم والعلماء الربانيين، وحقًّا إن الشخصية التي هديتم لاختيارها لمن العلماء الربانيين والدعاة الحكماء المخلصين، فكثر الله خيركم ورفع قدركم وبشرى نبوية كريمة ازفها لكم ولأمثالكم من محبي العلم والعلماء البارزين ألا وهي: ما ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود ﷺ قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجل أحب قومًا ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله ﷺ: **المرء مع من أحب**». متفق عليه.

فهنيئًا لأهل العلم العاملين وأهل الفقه في الدين لسان الصدق في الآخرين وهنيئًا لمحبيهم الصادقين المخلصين.

وبعد: فإليك يا محب الأجوبة المفيدة المختصرة على أسئلتك الهادفة الموقرة مرتبة بالطريقة الواضحة الميسرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لقد سئلت عن دعوة الشيخ/ عبد الله بن محمد القرعاوي -رحمه الله- في منطقة جازان فأجبت بمنظوم الكلام ومنثوره عن تلك الدعوة المباركة بما يلي في الصفحات التالية -وهو جهد المقل-:

يا سائلاً عن إمام الخير في زمن	قلّ الهداة وداء الجهل منتشر
قد طبق الأرض من سهل ومن جبل	والناس قفر إلى أن جاءهم مطر
من وحي ربي تعالى الله عن همل	بل يرحم الخلق جلّ الرب مقتدر
إذ أرسل الرسل والتبليغ كلفهم	فبلغوا الحق ذاك الحق منتصر
وحاملي العلم بالتبيين ألزمهم	لأنَّهم وارثوا ما الرسل قد نشروا
من أرض نجد أتى المفضال يرشدنا	عبد الإله بحمل العلم يفتخر
من آل قرعا جليل القدر ذو خلق	ومن نجيد وآل الشيخ هم غرر
قد جاء قومًا وأرض الخير موطنهم	أرض الجنوب لصوت الحق تبتدر
إذ قال: يا قوم فلتصغوا لمنهجنا	نَهج الرسول به الأخيار تنتصر
لبوا جميعًا وقالوا الحق رائدنا	ودعوة البر منها النور ينتشر
حقًّا سمعنا ورب العرش يحرسنا	أنت الإمام وأهل البغي قد خسروا
لَم يأل جهدًا وبالبيضاء بصرنا	نعم المجدد "عبد الله" يا بشر
نادى برفق لفقه الدين مع وجل	أمرًا ونهيًا كمثل الغيث ينهمر
فلبت الناس في سهل وفي جبل	لدعوة الخير بالبرهان تزدهر

ما كان يدعوا كذي عنف ولا صلف ... كــلا ألوفًــا ولا المعــروف يحتقر

بــل خاطــب الخلق في بر ومرحمة ... وأظهــر الحــق إن الحــق منتصر

وظــل يدعو وصوت الحق مرتفع ... عشــرين عامًــا ونور العلم ينتشر

وعشــرة بعدهــا بالــبر اتــبعها ... وكــلها غــرر بــل كــلها درر

ودولــة الخــير قــد قامت تؤازره ... بالــنفس والمال والإيواء ما فتروا

فعمــنا الــنور في سهل وفي جبل ... وبُــدد الجهل والأحبار قد كثروا

كــان الإمــام نصير الحق في فرح ... بنشــره العــلم والآفــاق تزدهر

عــبد العزيز ضجيع البر ذو خلق ... وبعده النجل خير الأرض قد عمروا

الكــل يدعو لدعم الحق في بلدي ... والشر يترى وحسن الأجر مدخر

مــن مهبط الوحي دام الدعم في نسق ... وصــيحة الحــق في الأقطار تنتشر

هــذا هــو العــز لا مال ولا ولد ... ونصرة الدين قد جاءت بِها النذر

رضــوان ربي على الأخيار قدوتنا ... من عانقوا الحق والإسلام قد نصروا

هــذا هــو الشــيخ بالقرآن أدبنا ... نعــم الحديــث كلام الله فابتدروا

وذا هــو الشــيخ بالتعليم أنقذنا ... مــن حمــاة الشر بعد الله فاعتبروا

وكــل حــي مــن الأحيا إلى أجل ... ومــالك الملــك قــيوم ومقــتدر

مات الوقور وكم في الناس من حزن ... والأرض تبكي على الأخيار يا بشر

وبــات خل أسيف النفس مع أرق ... والدمع يجري على الوجنات ينهمر

فارحمــه ربي عظــيم الشأن سيدنا ... أنــت الرحــيم إلــه الخلق مقتدر

وصــل فضــلاً على المختار قائدنا ... رســول ربي شفيع الناس فادكروا

وصحبه الغــر من كانــوا أئمتــنا ... وتابعيهم دعاة الــخير قد ظفــروا

س١: الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي داعية معروف ومعلم قدير، عرفته منطقة جازان منذ أن قدم إليها عام (١٣٥٨هـ) نود إعطاءنا نبذة عن بدايات هذا الداعية بالمنطقة ؟

ج١: لا شك أن الشيخ عبد الله بن محمد بن حمد بن محمد بن عثمان ابن علي بن محمد بن نجيد القرعاوي من حملة العلم الشريف، جمع الله فيه خصالاً حميدة لا توجد مجموعة إلا في أماجد الرجال وفضلائهم، وذلك كالعلم والحلم والشجاعة والكرم والتضحية في سبيل نشر الدعوة إلى الله، وصفاء النفس ومحبة طلاب العلم أينما كانوا وممن كانوا، وغير ذلك من صفات الكمال التي تسموا بها الرجال فرحمة الله تغشاه لقد كان علامة جليلاً، ومجددًا نبيلاً، وداعية قديرًا، ومصلحًا بصيرًا، وجهبذًا فذًا، شأنه شأن كل مجدد لما اندرس من معالم الدين عبر تأريخ الزمان والمكان من دنيا البشر.

قدم هذا المجدد إلى منطقة جازان عام (١٣٥٨هـ) بتوفيق من الله الذي يعلم حيث يجعل خيره وفضله، ثم بإشارة من المجدد العظيم مفتي الديار السعودية في زمانه الشيخ/ محمد بن إبراهيم آل الشيخ -طيب الله ثراه- وذلك بعد ما تزود الشيخ المترجم من علوم الشريعة ووسائلها من داخل البلاد وخارجها، وعلى وجه الخصوص بعد أن رجع من المدرسة الكبرى مدرسة أهل الحديث بـــ(دلهي) والتي أخذ منها الشهادة العالية سنة (١٣٥٧هـ) كما هو مدون في مذكراته -رحمه الله-.

نعم؛ لقد وصل إلى منطقتنا هذه منطقة جازان ومعظم الناس يعيشون في ظلام لا أقول بلا شمس ولا قمر، ولكن في ظلام من الجهل خطير،

فكان قدوم الشيخ كغيث هنيء مريء عذق على أرض طيبة مجدبة قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير، إلا من شرد عن الحق شراد البعير من أهله، فكان نزوله في بداية الأمر في مدينة صامطة بالذات استأجر دكانًا صغيرًا من الطين فكان الدكان محلاً للتجارة المتواضعة، وهو في نفس الوقت مدرسة يقتنص فيها من يأوي إليه متفرجًا أو متعلمًا فيرغبه في طلب العلم والفقه في الدين الذي أصبح غريبًا، وأما يوم الجمعة فهو يعتبره فرصة لتذكير الناس بعد الفراغ من أداء الصلاة مبتدأ في دعوته لهم وتذكيره بإيضاح العقيدة الإسلامية وربط الناس بها وتحذيرهم من ضروب الشرك وسائر الرذائل والمحدثات والبدع، واستمر على ذلك بدون ملل ولا فتور وقتًا مديدًا وخيره يتدفق والمنطقة تقول: هل من مزيد؟

حقًا؛ إن الأمور بيد الخلاق العليم، فهو الذي يؤتي فضله من يشاء من خلقه ويودع إحسانه فيمن يختاره من بريته، لقد مر علمنا المترجم إبان سفره إلى أرض الجنوب بمناطق عديدة ومدن وقرى وأودية كثيرة ولَم يضع عصا الترحال عند أي منهم ليقضي الله أمرًا أراده، حتى وصل إلى مدينة صامطة وإليها انتهى وبها حط الرحل بدون أن يكون له فيها صديق من بعيد أو قريب، فنَزل ضيفًا على قاضيها آنذاك فضيلة الشيخ/ عبد الرحمن المحيميد -رحمه الله- ثُمَّ تحول إلى الدكان الصغير الذي سبق ذكره آنفًا، ثم طفق ينشر الدعوة والتعليم بخطى ثابتة وعلى نَهج قويم يحتاج تفصيله إلى سفر عظيم بيد أنه سيتضح المهم منه من خلال الأجوبة على الأسئلة الباقية.

س٢: بحكم معرفتكم الشاملة بفضيلة الشيخ/ عبد الله القرعاوي أين تلقى تعليمه والبلدان الَّتِي زارها لتلقي العلم ؟

ج٢: أما تلقيه التعليم فكان للشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي في أول أمره رحلات جمع فيها بين عمل التجارة والالتقاء ببعض العلماء الأجلاء، فأخذ عنهم نصيبًا من العلم، كما كانت له رحلات في دول الخليج وداخل المملكة طلب فيها العلم على عدد من المشايخ ومن أشهرهم الشيخ العلامة/ عبد الله بن مانع في مدينة عنيزة، والشيخ العلامة/ عبد الله السليم، والشيخ/ عمر بن سليم، والشيخ/ عبد العزيز بن بشر في الأحساء -رحمهم الله جميعًا-، وكان يديم الحضور في حلقاتهم وقد استفاد من علومهم كثيرًا، ثُمَّ فكر بعد ذلك واستشار الأخيار واستخار العزيز الغفار في السفر إلى بلد يكون بعيدًا عن وطنه ومشاغله ليستغل الوقت كاملاً في التحصيل العلمي، فسافر إلى الهند والتحق بالمدرسة الرحمانية عام (١٣٤٤هـ) ونال الشهادة العالمية منها عام (١٣٥٧هـ) وأخذ إجازته منها من شيخه العلامة / أحمد الله بن أمير القرشي الدهلوي -رحمه الله- ومنحها الشيخ كثيرًا من نجباء طلابه في منطقة جازان وعلى رأسهم الشيخ/ أحمد بن يحيى النجمي، والشيخ/ عمر بن أحمد جردي المدخلي وغيرهما كثير ممن رأى الشيخ أهليته لذلك.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

س٣: اختيار منطقة جازان لتكون مقصد دعوته لا زال محل سؤال، كيف كان هذا الاختيار ؟

ج٣: قد ألمحت إلى هذا قريبًا وأفصل هنا باختصار، فأقول: إن سبب اختيار الشيخ عبد الله -رحمه الله- لمنطقة جازان يتلخص حسب علمي في ثلاثة أمور:

الأول: ما نقل له عن الجهل العظيم الذي كان في المنطقة رغم كثافتها السكانية وما نتج عن ذلك الجهل من المخالفات الشركية والبدعية كغيرها آنذاك من معظم المناطق.

الثاني: رؤيا رآها وقصها على الكبار من طلابه، وهي أنه نام ذات ليلة فإذا هو يرى النبي ﷺ يقول له اذهب إلى هذه الناحية وأشار له جهة الجنوب من المملكة العربية السعودية.

الثالث: استشارته للشيخ / محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله- عندما قص عليه تلك الرؤيا فأشار عليه بالسفر إلى جنوب المملكة، وتلك رحمة ساقها الله إلى هذه المنطقة ونعمة أسداها، فكان الشاكرون لها كثيرًا بعد جهاد كبير ودعوة حكيمة مخلصة والحمد لله الذي بنعمته يتم كل عمل صالح مبرور.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

س٤: للشيخ عبد الله القرعاوي صفات تؤهله لمهمة الدعوة فما هي هذه الصفات وكيف كان أسلوبه في المعاملة مع الناس ؟

ج٤: لا شك أن للشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي -رحمه الله- صفات ومزايا ترضي الله والصالحين من عباده أكرمه الله بها، كانت بعد توفيق الله وهدايته سببًا في نجاحه في دعوة الخلق إلى رحاب الحق، وفي

مقدمة تلك الصفات والمزايا العلم النافع والعمل الصالح والحكمة والكرم والشجاعة والرحمة والعزم المستمر في طريق الدعوة بدون ملل ولا فتور ولا ضجر ولا قصور، مصطحبًا الصدق والإخلاص وحسن المعاملة مع الله -جل وعلا- ومع عباد الله على اختلاف طبقاتهم ذكورًا وإناثًا من عرف ومن لَمْ يعرف أسوته في ذلك الرسل الكرام والأنبياء العظام والصالحين من الأنام.

وأما أسلوبه في معاملة الناس أثناء دعوته الكريمة فهو أسلوب العلماء والحكماء ورثة الأنبياء في دعوتهم، حيث كان يعلم الناس صغار العلم قبل كباره وأصوله قبل فروعه، تارة بالخطابة، وتارة بالمجالس الوعظية، والكثير بصنع حلقات التعليم فيعلم فيها بالقول والفعل، وتارة بالرحلات للأماكن النائية وزيارة القرى التي أنشأ فيها المساجد والمدارس لتكون مقرًّا لنشر العلم وإعداد المعلمين، وكان يأخذ العفو من الناس على حد قول الله: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ [الأعراف:١٩٩]. فكان يشجع المحسن ويشكره على إحسانه ويدعو له ويصبر على الجاهل ويعالج داءه بالقول السديد والمال المحبوب إلى النفوس، وكم له من أساليب قيمة اجتذب بها من أراد الله به خيرًا من قضاء حاجة المحتاج بالمال أو الشفاعة في إنجاز الأعمال، وبذل المشورة والرأي الصائب وغير ذلك من خصاله الحميدة التي تأسى فيها برسل الله الكرام وأنبيائه العظام، والدعاة إلى الله بالحكمة والموعظة من الأنام فرحمه الله ورضي عنه.

ولقد وفقني الله سبحانه وله الحمد والمنة فصورت أسلوب دعوته في أبيات ضمن قصيدتي البائية المتعلقة بأئمة التجديد وأهل الحديث

والأثر حيث اعتبرته مجددًا ومحدثًا قلت هناك:

وقد أتانا من الأحبار أنجبهم ... من أرض نجد على اللأواء والسغب
شيخ جليل إلى البيضاء أرشدنا ... نعم المجدد "عبدالله" لَمْ يغب
نادى جهارًا لحمل العلم مع عمل ... بدافع الصدق والإخلاص في سبب
فلبت الناس في سهل وفي جبل ... لدعوة الحق ذات النور والأدب
ما كان يدعو كذي عنف ولا غضب ... ولا التظاهر يرضى ويح كل غبي
بل خاطب الخلق في بر ومرحمة ... مستمسكًا عروة من أوثق السبب
إذ قال يا قوم فلتصغوا لدعوتنا ... لأننا كلنا أتباع خير نبي
نرجو ثوابًا من الرحمن خالقنا ... لا المال نبغي ولا شيئًا من الرتب
فظل يدعو كهطل المزن في وضح ... وتربة الأرض قد غنت من العجب
عشرون عامًا وصوت الحق مرتفع ... بدعوة الخير والإيْمان والقرب
وعشرة بعدها بالبر حافلة ... تلك الثلاثون أمضاها لذي أرب
وبعد هذا فقد دوت منيته ... والكون يبكي على المفقود خير أبِ
وافاه بالأجل المحتوم بارئه ... من بعد ألف بلا شك ولا ريب
كذا ثلاث مئين بعده رسمت ... أضف ثمانين مع تسع من الحقب
فحقق الله آمالاً موقرة ... في ذلك الوقت يا لله من عجب
فارحمه ربي وخلد من مآثره ... أنت الكريم ومن يسألك لَمْ يخب
وامنحه دارًا هي الفردوس يسكنها ... فيها الكمال وكم فيها من الخصب

*** * * * * ***

س٥: كانت الحالة الاجتماعية والاقتصادية في المنطقة في حالة ضعف شديد كيف تغلب الشيخ عبد الله على تلك المصاعب ومن ساعده في هذا السبيل؟

ج٥: نعم كانت الحالات الاجتماعية والاقتصادية في تلك المدة من الزمن في حال ضعف شديد ملموس، يعاني منها الفرد والجماعة معاناة متعبة ألمحت على ذلك بقولي في قصيدتي الميمية، والتي هي بعنوان "من لَمْ يشكر الناس لا يشكر الله" مخاطبًا العقلاء من الناس الذين يعيشون في هذا الرخاء العظيم وهذه النعمة العامة القارة، ليقارنوا بين ذلك الماضي الذي عاش فيه الآباء والأجداد والزمن الحاضر الذي يعيش فيه هذا الجيل رزقهم الله شكره الجميل:

ويا أيها الأحباب هلا ذكرتم ... مصارعة الأجداد فقرا ومأثما
وأنتم بلا شك تعيشون نعمة ... وأمنًا وإيمانا وشرعًا محكمًا
ورزقًا كريمًا لا سبيل لحصره ... بعهد كريم زاده الله مغنمًا
هو الفهد والأفذاذ في الملك قبله ... فكل ينادي بالفلاح مصممًا
وكم من جهود يبذلون وخدمة ... جلائل أنعام بها الله أنعما
وأرض الهدى رغد بأفضل عيشة ... فهلا شكرنا فاطر الأرض والسما
وهلا عرفنا الفضل حقًا لأهله ... وأرجو إلهي أن يمن تكرمًا
فضائل شتى من مياه وصحة ... ودعوة خير من كرام فأكرما
لنا الأمن والإيمان من فيض قادرٍ ... وثم رجال تدحر الخب مرغمًا
فيبطل مكر الماكرين وكيدهم ... بنصر إلهي صاحب الفضل منعمًا

أعود فأقول: إن الله -تبارك وتعالى- هو خير معين لمن ينصر دينه ويجاهد في سبيله كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]. وعلمنا المترجم من أهل التقوى والإحسان ولا

نزكي على الله أحد، ولكن نشهد بما نعلم فكانت تأتيه مساعدات للطلبة من بعض أهل الإحسان وكان هو يملك شيئًا من المال قدم به معه كان ينفق منه على طلابه احتسابًا لوجه الله القائل: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: من الآية٩٦]. وإن نالتهم مسبغة صبروا مستعذبين ذلك في سبيل التفقه في الدين، وهذا كله في سبيل التفقه في الدين وهذا كله في بداية الأمر، أما بعد أن علمت الدولة السعودية بمشروعه الثمين فقد مدت لــه يد العون والمساعدة بدون تحفظ ولا تعقيب على ما تعطيه، وعلى رأسها الإمام المجدد الملك عبد العزيز وولي عهده آنذاك أمير العلماء وعالم الأمراء سعود بن عبد العزيز -طيب الله ثراهما- وأذكر أني قلت في هذا الموضوع في قصيدتي البائية:

ودولــة الحــق قد قامت بنصرته … قــولاً وفعــلاً بلا من ولا صخب

فــزادها الله مــن إفضــاله نعمــا … ترضي الصديق وتنكي فرقة الشغب

أقول: لا غرو إن سادت أو انتصرت … فوعد ربي لــمن يرضيه في الكــتب

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

س٦: أين كانت بدايات دور العلم التي أنشأها في المنطقة وما هي وسائل دعمها ؟

ج٦: أول دار أنشئت لنشر العلم بصفة منتظمة هي المدرسة السلفية في صامطة في دار الشيخ/ ناصر خلوفه طياش في غرة شهر شعبان (١٣٥٨هـ) وذلك بعد رجوعه من فرسان ومزهرة قرية الحكميين، وأقام الشيخ بها معلمًا لأهل صامطة ومن يفدون عليه من القرى المجاورة ثم سافر إلى بلده

عنيزة، ثم عاد في بداية عام (١٣٥٩هـ) وجدد بناء المدرسة السلفية واستمر التعليم بها وكثر المنتظمون والوافدون إليها من جهات متعددة شيئًا فشيئًا فكانت دار الشيخ ناصر بن خلوفه بمنْزلة السكن الجامعي للمغتربين ونحوهم من طلاب العلم المنقطعين للتحصيل. وأما وسائل الدعم فكانت بفضل الله ثم بمساعدة أهل الإحسان الذين وضعوا أيديهم مع يد الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي -رحم الله الجميع- فكان يقدم للطلاب المأكل والمشرب، وبعض الملابس والسكن كما يقدم لهم كتب العلم وورق الكتابة والأقلام والحبر، وكان العون من الله حليفهم وكان الصبر والتقوى زادهم: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: من الآية٢، ٣].

✻ ✻ ✻ ✻ ✻

س٧: عرفت منطقة جازان بأنَّها بيئة علمية وذات عقيدة سلفية صحيحة ولأهلها فطرة سليمة.. هل ساعدت هذه العوامل في تسهيل مهمة الشيخ القرعاوي؟

ج٧:يا أخي كانت منطقة جازان قبل قدوم الشيخ/ عبد الله بن محمد القرعاوي الإمام المجدد كغيرها من مناطق المملكة فيها أهل علم وعقيدة سليمة، بيد أن الجهل بدين الله كان فاشيًا وكثيرًا ولَم يقم أحد من أهل العلم آنذاك بالدعوة إلى الله وتعليم الخلق، كما صنع الشيخ/ عبد الله بن محمد القرعاوي وليس لنشاطهم الأثر على سكان المنطقة كما كان إبان دعوة الشيخ القرعاوي -رحمه الله-، ومن غير شك أن وجود طلاب علم في المنطقة آنذاك قد ساهم في تسهيل مهمة الشيخ/ عبد الله

الدعوية والتعليمية، وذلك لأنَّهم تعلموا من الشيخ علم العقيدة بمعرفة نصوصها كتابًا وسنة وبادروا بمناصرة الشيخ أمرًا ونَهيًا ودعوة وتعليمًا، ولا يخفى على معظم الناس ما واجهه الشيخ من عقبات وما ناله من أذى من ضعفاء العقول والإيْمان، ولكن كان الشيخ ومن معه من الكوكبة الأولى من طلابه صابرين مصابرين مرابطين في سبيل دعوة الخلق إلى رحاب الحق، وعندهم حسن الظن بربِّهم وأحسن اليقين في نجاح مهمتهم التعليمية جاعلين نصب أعينهم قول الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت:٦٩]. فكانت النتائج تسر يومًا بعد يوم وشهرًا بعد شهر وعامًا بعد عام، حتى أصبح الشيخ عبد الله/ هو الرجل الذي يعترف له بالفضل الصغير والكبير والذكر والأنثى من أبناء منطقة جازان والحمد لله على توفيقه.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

س٨: ما هي العوامل التي أسهمت في نشاطات مدارسه حتى شملت المنطقة وما جاورها من المناطق ؟

ج٨:من العوامل التي أسهمت في نشاطات مدارس الشيخ حتى شملت منطقة جازان وما جاورها من المناطق حسب علمي ما يلي:

أولاً: ما كان يتحلى به الشيخ من خلق الصدق والإخلاص والحكمة أثناء عمله الدعوي التربوي وقبل ذلك وبعده حتى أتاه من ربه اليقين وهذا الشيء لمسه الخاص والعام بدون جدل.

ثانيًا: التخطيط السليم لكيفية نشر الدعوة ومحاربة الجهل الذي كان

مخيمًا على المنطقة، وذلك بتعدد أساليب الدعوة إلى الله في محيط الشرع والتي من أشهرها بناء المساجد وفتح المدارس للذكور والإناث واختيار المعلمين والمعلمات الذين يمكن الاستفادة منهم، فقد جعل من كبارهم ومتفوقيهم معلمًا لمن هم دونه، كما راعى في ذلك أصحاب التخصصات ومكنهم من التدريس في الفنون التي يجيدونها أكثر من سواهم، وقد جعل الله في ذلك خيرًا كثيرًا، بالإضافة إلى العناية بالموعظة النافعة التي كان ينتهز بها الفرص الممكنة، ويختار لها التجمعات في الأماكن المناسبة وكان منها العامة ومنها الخاصة بطلاب العلم الشريف ومجالسيهم من عقلاء الناس المستمعين، وإن كانوا غير منتظمين في الطلب.

ثالثًا: العمل الدؤوب المتواصل الموسوم بالجد وحسن الأمل وعظيم الرجاء في الله ﷻ في أن يتم هذا الأمر فحقق الله له ما أمله وأكرمه بما رجاه.

رابعًا: بذل المساعدات المالية من جيبه الخاص فقد كان يعطي لبعض الناس حبة جنيه من الذهب، ويعطي البعض الآخر الريالات الفضية ويعطي صغار السن من فئة القروش للذكور والإناث، فتحول أهل المنطقة من المعارضة والمضادة إلى المساعدة والمعاضدة للشيخ والتعاون معه على أداء المهمة، كما تحولوا من الإعراض إلى الإقبال، ومن التثاقل إلى النشاط، كان هذا في بداية الأمر حتى أتت المكافآت السخية من الدولة السعودية السباقة إلى كل خير المغلاقة لكل باب من أبواب الشر، فعظم الإقبال على المدارس وحلقات العلم وبلغ التعاون من المواطنين مع الشيخ أوجه حيث بلغت المدارس للذكور والإناث ما يقارب الألفين، وبلغ عدد

المعلمين والمعلمات والدارسين والدارسات حسب الإحصائيات التي بلغني خبرها خمسة وسبعين ألفًا في منطقة جازان وما جاورها، مما امتدت إليها أيادي الإصلاح من ذوي العلم والحكمة وفقهم الله.

خامسًا: لين القلوب ورقة الأفئدة التي من الله بها على أهالي المنطقة، إذ بمجرد انكشاف سحب الجهل عن أعينهم وقلوبهم بسبب سطوع نور الحق الذي أتى يحمله الشيخ عبد الله والغيث الهنيء المريء كذلك، وأعني بهما: نور الكتاب والسنة وغيثهما وأكرم بهما من نور وغيث بالفهم الصحيح والحكمة القويمة، أقبلوا على الانتفاع بذلكم النور الوضاء فوضح السبيل وعرفوا مراد الله منهم وارتووا من ذلك الغيث الذي أحيا الله به قلوبًا ميتة، وشفى به نفوسًا مريضة، وازداد أهل العافية به عافية كريمة، ذاقوا حلاوتها وتمتعوا بلذتها ولَم يرضوا بها بديلاً سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولا تحويلاً.

سادسًا: استثمار السنوات المتواصلة بحيث لَمْ تتخللها إجازات صيفية ولا نصف سنوية، إلا ما كان من طوارئ ثم تزول، فقد استغل الوقت كثير من طلاب العلم فتحصلوا على ما أهلهم للأعمال القيادية فأصبح منهم من هو في سلك القضاء، ومنهم من هو في رجال الحسبة ومنهم الأئمة والخطباء ومنهم المدرسون في وزارة المعارف، فيما بعد ومنهم من التحق بوظائف حكومية وذلك كله نتيجة العمل المتواصل واستثمار الأوقات بدون تسويف ولا تثاقل ولا ملل، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

س٩: ما مدى تقبل الناس وإقبالهم على دعوة ومدارس الشيخ القرعاوي بالمنطقة وما جاورها ؟

ج٩: أما مدى تقبل الناس لدعوة الشيخ بكافة أساليبها تدريسًا ووعظًا وإرشادًا وأمرًا بمعروف ونَهيًا عن منكر، فكان في أول الأمر ضعيفًا غير أن ذلك لَمْ يلبث إلا قليلاً ثم انتهى بفضل الله ثم بسلوك خط الحكمة الدعوية والأساليب التربوية التي نَهجها الداعية المترجم، فكان الإقبال بعد ذلك منقطع النظير في الكثرة والرغبة والصدق والوفاء والاحتساب من أهل المدن والقرى والهجر في السهول والجبال، كما هو معلوم لكل من عنده شيء من علم عن هذه الدعوة المباركة التي آتت أكلها طيبة مباركة، وقد أقبل عليها الكثير من إخواننا في القطر اليمني وقاموا بنشرها في بلادهم خير قيام فأثمرت هناك عقيدة سلفية صافية ولكل قوم هاد.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

س١٠: تعددت وسائل الدعم ومؤازرة الدولة وفقها الله في عهد المغفور له بإذن الله الملك عبد العزيز والملك سعود -رحمهما الله-، تعدد هذا الدعم لجهود الشيخ القرعاوي ومدارسه نود أن تحدثونا عن هذا الجانب ؟

ج١٠: لا شك أن وسائل الدعم لدعوة الشيخ / عبد الله القرعاوي -رحمه الله- تعددت وعلى رأس من دعمها حسًّا ومعنى الدولة السعودية آنذاك -وفقها الله- وعلى رأسهم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود وابنه الأكبر الذي كان ولي عهده سعود بن عبد العزيز -رحمهما الله-،

فقد كانت الأخبار عن دعوة الشيخ تبلغهما وتبلغ مفتي المملكة العربية السعودية الشيخ/ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وشقيقه الشيخ/ عبد اللطيف ابن إبراهيم آل الشيخ على غير وجهها، مما جعل الملك عبد العزيز يبعث هيئة من خيار العلماء والحكماء والصادقين المخلصين هما الشيخ/ صالح بن عبد الحميد آل الشيخ والشيخ/ محمد بن عبد العزيز آل الشيخ، ليكشفا الحقيقة عن مدارس الشيخ ومدى جدوى دعوته فمرا على مدارس كثيرة من مدارس المنطقة، فسرهما ما رأيا واجتمعا بكثير من طلاب الشيخ الكبار فوجدوا من خلال مناقشات علمية أخوية أن القوم على منهج سليم وعقيدة سلفية، فازداد فرحهما بذلك وقد شاهدا جموعًا من طلاب العلم المنتظمين في المدارس وكان ذلك عام (١٣٦٥هـ) فرجعا وأخبرا الملك عبد العزيز بما وجدا من خير كثير وعلم غزير وعدد غير قليل من طلاب العلم الكبير منهم والصغير، وأما مدارس البنات فإنَّها لَمْ تفتح إلا في عام (١٣٦٨هـ) وكانت في نمو مطرد وعليها من الإقبال ما يثلج صدور المؤمنين فضلاً من الله ورحمة وهو أرحم الراحمين، فاستبشر الملك عبد العزيز بما نقلا له من الأخبار السارة استبشارًا عظيمًا ودعا للشيخ عبد الله ومن معه بالعون والتوفيق والسداد في الأمور ومد يد العون بالمساعدات السخية والرواتب الرسمية للشيخ عبد الله والكثير من طلابه مما كان له أعظم الآثار الحسنة على الإقبال على التحصيل العلمي والانتعاش الاقتصادي وزيادة الأعداد المنتظمين في طلب العلم، ويذكر أن الملك عبد العزيز -رحمه الله- أكرم الهيئة المذكورة بجائزة عظيمة ودعا لهم بخير

إزاء إيضاح الحقائق الثابتة السارة التي أدحضت ما كان ينقله بعض المغرضين من ضعف المدارس ونحوه بدافع الجهل والحسد -رحم الله أهل الأخطاء من المسلمين وغفر ذنبهم- وأصلح الله حال الأحياء ورحم ضعفهم، والحمد لله الذي جعل العاقبة للمتقين والنصر لعباد الله الصالحين وحزبه المفلحين، وهذا وكم من دعم سخي وتشجيع رضي من أمير العلماء وعالم الأمراء سعود بن عبد العزيز آنذاك لمدارس الشيخ عبد الله نرجو الله أن يكافئه عليه من فضله وإحسانه إنه صاحب الفضل والإحسان.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

س١١: ما هي الثمار التي جنتها المنطقة وكانت محصلة لجهود الشيخ القرعاوي وطلبته منذ تأسيس مدارسه ومعاهده العلمية ؟

ج١١: وأما سؤالك عن الثمار التي جنتها المنطقة من تلك الجهود المبذولة من مؤسس مدارس الجنوب الشيخ/ عبد الله القرعاوي وطلبته وما أعقبها من معاهد علمية في المنطقة فحدث عنها ولا حرج، ذلك لأن تلك النهضة الإصلاحية التي قام بِها الشيخ/ عبد الله ومن أعانه بأي نوع من أنواع العون أثمرت ثمارًا يانعة، وعلى رأس الثمار بل من أجلها وأعلاها انتشار عقيدة التوحيد بالفهم الصحيح والاعتزاز الصريح وخلع ما ينافيها أو ينافي كمالها من شركيات وضلالات وجهالات، فكان الدين كله لله، ثم عمارة المساجد واعتبارها بيوتًا للصلاة والذكر ودورًا لتحصيل العلم ونشره، ثم القضاء على الأخلاق والأعمال الرذيلة لتحل محلها الأعمال الحسنة الجليلة والأخلاق الفاضلة الجميلة.

ولست بناسٍ أن بذرة المعاهد العلمية في هذه المنطقة وما جاورها كانت من إنتاج مدارس الجنوب التي جرى الحديث عنها وتلك ثَمرة لها وزنُها لدى العقلاء.

وقصارى القول: فإن جهود الشيخ/ عبد الله التي بذلت في دعوته الإصلاحية في هذه المنطقة قد أثمرت خيرًا جزيلاً دنيويًّا وأخرويًّا وقد امتد خيرها واتصلت ثمارها بِما بعدها إلى ما شاء الله ويشاء الله وهو بكل شيء عليم.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

س١٢: كلمة أخيرة تود أن تقولها وفاءً بحق هذه الشخصية المميزة في عطاءاتِها وجهودها الموفقة ؟

ج١٢: وكلمة أخيرة أود أن أقولها بيانًا للحق واعترافًا لأهل الفضل بالفضل، وتقديرًا للجميل وهي أن كل خير دنيوي وأخروي تعيشه منطقتنا خصوصًا ومنطقة الجنوب عمومًا فالفضل فيه لله عز شأنه، ثم لدولتنا الرشيدة السابقين منهم واللاحقين ولعلمائنا الأفاضل وعلى رأسهم صاحب النهج السليم والدعوة السلفية المجدد لما اندرس من معالم الدين في منطقة جازان خاصة وفي منطقة الجنوب بقسميها عامة أعني الشيخ / عبد الله القرعاوي رحمه الله وطيب الله ثراه، وجزاه عنا خير الجزاء وأعظم الأجر والثواب إنه هو الكريم الوهاب.

وأذكر أنني قد صورت شعوري بجهدي المقل نحو هذا الشيخ العلامة الجليل والداعية المجدد النبيل في مناسبات كثيرة ومنها قولي في قصيدتي

الميمية مشيدًا بجهوده في دعوته الإصلاحية وتربيته الإسلامية السلفية:

ولست بناسٍ في قريضي جهبذا	وشيخًا جليلاً قد أفاد وقد سما
ونادى بصوت للخليقة مسمعا	وأعلن حقًّا للعباد معلما
أزيحت جهالات فحل محلها	شريعة حق كي تكون هم حمى
فذلك عبد للإله موفق	ومن آل قرعا يا لبيت لتفهما
وآل نجيد من سلالة يعرب	وهم أصله والدين اسما من انتما
لقد قام بالإصلاح طول حياته	فأحيا مواتًا والمكارم تمما
فعشرون عامًا للمكارم ناشر	ويسعى برشد يا منيب لتغنما
وباقي سنين العمر كثف جهده	مساجد يبني للصلاة معظما
عليه من الرحمن أسبغ رحمة	وأعلى نعيم في الجنان معمما
وضع يا إلهي روحه فِي بَهيجة	وكن راضيًا عنه لطيفًا ومنعما

قال ذلك وكتبه الفقير إلى عفو ربه العلي

زيد بن محمد بن هادي المدخلي

٢٢ / ٨ / ١٤١٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الشيخ/ زيد بن محمد بن هادي المدخلي -حفظه الله-.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد:

نرجو منكم الإجابة على السؤالين التاليين وجزاكم الله خيرًا .

السؤال الأول:

سمعنا من بعض أهل العلم الطعن في كتب الفقه ككتاب زاد المستقنع في فقه الحنابلة وكتاب متن أبي شجاع في فقه الشافعية إلى آخرها من كتب الفقه في المذاهب المختلفة، بحجة أنَّها تورث التعصب المذهبي لأنَّها أراء رجال ، وأن دراسة الفقه من كتب الحديث وشروحها هي الطريقة الصحيحة لدراسة الفقه لأنَّها تربط الطالب بالسنة النبوية مباشرة فيتعود الطالب على التمسك بالسنة دون النظر إلى آراء الرجال والتأثر بهم وإذا كان الأمر كما ذكره هؤلاء الأفاضل فلماذا اهتم علماء الإسلام بشرح هذه المتون كما شرح شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله- كتاب العمدة للإمام الموفق ابن قدامة المقدسي، وكما شرح العلامة البهوتي كتاب زاد المستقنع ثم جاء بعدهم الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- ووضع تعليقات مفيدة على كتاب الإنصاف للمرداوي، ثم جاء بعدهم الإمام المحدث الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله تعالى- ووضع حاشية نفيسة على كتاب المقنع لابن قدامة، وتوالت الشروحات على كتب الفقه

خصوصًا زاد المستقنع إلى يومنا هذا، فإذا كان شروحهم وتعليقاتُهم على كتب الفقه من باب العبث فهل هذا يعني أنَّهم قصروا في تعليم الناس الدين الصحيح نرجو منكم توضيح هذه المسألة وجزاكم الله خيرًا.

السؤال الثاني:

ما هي الطريقة الصحيحة لدراسة الفقه الإسلامي بدءا واستمرار، وهل يبدأ الطالب بدراسة متن معين في الفقه كزاد المستقنع مثلاً ثم ينتقل بعدها إلى دراسة المنتقى لابن تيمية الجد وهكذا، أم يبدأ مباشرة بكتاب سبل السلام للصنعاني ثم ينتقل إلى كتب شرح الأحاديث ككتاب فتح الباري للحافظ ابن حجر وكتاب شرح صحيح مسلم للنووي -رحمهما الله-.

أفيدونا مأجورين.

السائل

أبو الحارث طارق بن نعم الله الهاشمي

قطر – الدوحة

ص ب: ١٢٣٧٦ – ت: ٦٤٠٥٧٥

فاكس: ٠٠٩٧٤٤٢٢٥٨٦

عن طريق الأخ الفاضل/ أبو سعد بلال بن سعد الكواري

بسم الله الرحمن الرحيم

من زيد بن محمد بن هادي المدخلي إلى الأخ في الله والمحب فيه أبي الحارث طارق بن نعم الله الهاشمي وفقه الله لما فيه رضاه وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.... **وبعد:**

وصل إلي منكم السؤالان المرفقان بهذا -وصلكم الله بفضله وإحسانه- ولو أنكم أرسلتموها إلى العلماء في الرياض، لكان أولى وهم بالإجابة عليها أحرى، ولكن ما دام قد وقع اختياركم على محبكم فسأجيبكم عليها بما ييسره الله على سبيل الاختصار.

وما ذلك إلا لأن طالب الحق الذكي النقي تكفيه الإشارة عن صريح العبارة فأقول: في جواب السؤال الأول:

إن من كان ذا علم شرعي قويم وقلب يعقل به سليم وعقيدة سلفية صحيحة ثابتة ومنهج علمي مستمد من الوحي الكريم لا يمكن أن يطعن في مصنفات الفقهاء السلفيين المجتهدين، سواء كانوا من الحنفية أو المالكية أو الشافعية أو الحنابلة، بل يشكرهم على ما قدموه من جهد في تقعيد القواعد الفقهية وضوابط الأحكام الشرعية واستنباط المسائل العلمية على اختلاف أنواع ذلك في أبواب العلم والعمل.

والحق الذي لا يجوز أن يغمط أن من جاء بعدهم من طلاب العلم فإنه قد استفاد مما كتبوا وألفوا من المتون والشروح والحواشي

والتعليقات، والذي ينبغي أن يعلم ويقال: إنَّهم علماء غير معصومين فيما دونوا غير أن الغالب على كتبهم الصواب لأنَّهم لَمْ يشرعوا في التأليف إلا بعد النظر في نصوص الكتاب والسنة، فسالت أودية بقدرها لا سيما في مسائل العلم الدقيقة التي لا يستطيع طالب العلم المبتدئ أو المتوسط أن يستنبطها من الكتاب والسنة استقلالاً، حتى يستعين بالله ثم بِما كتب أولئك الأفاضل على اختلاف عصورهم ومذاهبهم، ثم هم قوم يصيبون ويخطئون فما أصابوا فيه من مسائل العلم فإنَّهم قد فازوا بأجرين أجر على اجتهادهم وأجر على صوابِهم، وإن أخطئوا فقد عفا الله عنهم في خطئهم مع ادخار أجر لهم على اجتهادهم فضلاً من الله ورحمة وهو أرحم الراحمين، وإن الكمال في دنيا البشر لعزيز، هذا وإن الواجب على طلاب العلم سواء ممن كانوا في عصرهم أو ممن جاءوا من بعدهم أن يدعوا لهم بالمغفرة والرحمة إزاء ما قدموا من خدمة للعلم وطلابه، كما أن الواجب على كل طالب علم تفقه في الدين بواسطة كتبهم المؤلفة أن يقتصر على ما وافق الكتاب والسنة وإجماع الأمة وما إليها ويدع ما جانبوا فيه الصواب مهما كانت مرتبة الإمام أو المؤلف أو المحدث، وما ذلك لأن الله أمرنا أن نتبع ما أنزل إلينا في قوله سبحانه: ﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف:٣].

والذي أنزله إلينا هو كتابه الكريم وسنة نبيه الصادق الأمين عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى التسليم كما أمرنا سبحانه أن نزن قول كل قائل أو رأي كل عالم بميزان الكتاب والسنة، إذ هما الحاكمان على

غيرهما، وغيرهما محكوم بِهما ولا يجوز لأحد أن يعكس القضية غير أنه لا يستطيع وزن الأقوال والآراء بِهما إلا العلماء الربانيون السائرون على نَهج السلف عقيدة وعملا، هذا ولا يجوز لأحد أن يغره بالله الغرور فيسخر لسانه وقلمه في الطعن في أشخاص الأئمة أو في مؤلفاتِهم بحجج واهية لا يسندها عقل صحيح ولا نقل صريح، سواء كانوا من الأئمة الأربعة أو من أتباعهم على مر العصور، كما لا يجوز لأحد من طلاب العلم أن ينتقد أو يذم من اقتنى شيئًا من كتب المذاهب مما ألفه الفقهاء المجتهدون سواء في العصور الماضية أو العصر الحاضر لتكون له بداية في التفقه والطلب مع الارتباط بالأدلة الشرعية من أصولها المرعية، فإن العلم يؤخذ بالتدرج والمرحلية، وطالب العلم المبتدئ لا يستطيع رأسًا أن يستنبط الأحكام من مصادرها بادئ ذي بدء، فلا تثريب عليه أن يأخذ مبادئ العلم من كتب الفقهاء مع الاقتصار منه على ما صح منها وما لَمْ يصح، فلا يجوز الأخذ به ولا التعصب لقائله كما أسلفت قريبًا، فإذا أحرز الطالب العلم شيئًا من القواعد الفقهية والأحكام التفصيلية من تلكم الكتب فليجعلها وسيلة إلى الترقي إلى استنباط الأحكام من نصوص الكتاب والسنة مع العرض الدائم لكل ما قرأ وحصل على نصوص الوحي.

والذي يوجه إليه اللوم هو الذي يجعل كتب الفقهاء أصولاً ونصوص الكتاب والسنة فروعًا، ليخضع نصوص الوحي لمحض الرأي البشري ولا يفعل ذلك إلا من أعماه التعصب المذهبي أو التسليم لآراء الرجال بدون وزن لها بنصوص الكتاب والسنة، ومن غير شك أن الذي عليه المحققون

من أهل العلم سابقًا ولاحقًا هو اتباع الكتاب والسنة والاعتماد على تفسير الأئمة لهما؛ لأن الأئمة أعلم بكتاب الله وسنة رسوله من غيرهم ومع هذا فإذا اختلفوا في مسائل الفروع فإننا نعرض أقوالهم ونردها إلى كتاب الله جل وعلا وسنة رسوله -عليه الصلاة والسلام- فما كان أقرب إليهما اتبعناه امتثالاً لأمر الله لنا بذلك حيث قال عز من قائل: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: من الآية٥٩]. ومعلوم أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، وأن الرد إلى رسول الله رد إليه أيام حياته وإلى صحيح سنته بعد وفاته كما أثر ذلك عن علماء السلف واتباعهم.

هذا وإن ربط الأمة وبالأخص طلاب العلم المبتدئين المتعلمين بالكتاب والسنة هو المفروض بدون جدل، إذ أن الله لَمْ يوجب على الأمة اتباع شخص معين فيما كلفهم به من الأوامر والنواهي وسائر الأحكام المتعلقة بدين الإسلام غير شخص الرسول ﷺ إلا أن ذلك لا ينافي استفادتهم من كتب الفقهاء والمجتهدين السائرين على طريق السلف، كما لا يمنع أن يقلد عوام المسلمين العلماء الموثوق بعلمهم وحسن اعتقادهم بدون مطالبة بالدليل كما هو حال العوام في كل زمان ومكان، وعليه فإن ما كتبه الفقهاء الأفاضل من المتون الفقهية وشروحها المختصرة والمطولة ليس عبثًا، بل هو نافع ومفيد ومعين على فهم كثير وكثير من مسائل العلم لمن كان ذا عقل سليم وفهم جيد يمكنانه من الرجوع لأهل العلم للاستفادة من توجيهاتِهم السديدة وعلومهم المفيدة، وكم من مصنفات

للمتقدمين والمتأخرين في جميع فنون العلم حوت كتب الأحكام وأبوابَها وفصولها وشتى مسائلها تزخر بِها المكتبات، ولولا الله ﷻ ثم ما دونوا لما استطاع المتأخرون أن يحققوا ما حققوا من مسائل العلم أصولاً وفروعًا، وأما دعوى أن الدراسة في كتب أئمة المذاهب وأتباعهم تورث التعصب للأئمة وكتبهم فهي دعوى غير مسلمة، على عمومها، فإن التعصب موجود عند بعض الناس رغم كثرة المؤلفات المنسوبة إلى أصول أئمة المذاهب الأربعة متونًا وشروحًا وحواشي وتعليقات.

وإذ كان الأمر كذلك فلا يسوغ لأحد أن يقترح تنفير الناس من كتب العلماء والفقهاء التي ألفت في فنون العلم الشرعي المتنوعة بحجة أنَّها تسبب التعصب كما يدعي بعض الناس ذلك بدون حجة قائمة ولا إمام له في ذلك يقتدي به فيما أعلم، علمًا أنه لا يخلوا زمان ولا مكان غالبًا من علماء يرشدون الناس إلى العناية بالكتاب العزيز تلاوة وتفسيرًا علمًا وعملاً وإلى العناية بالسنة الكريمة رواية ودراية وعملاً مع الاستفادة من كتب الفقهاء المجتهدين الذين لهم باع طويل في العناية بالكتاب والسنة، ولهم القدرة التامة على الاستنباط للأحكام منهما ولا يؤخذ عنهم إلا ما كان موافقًا لنصوص الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، أما ما جاء عنه مخالفًا لذلك فإنه يرد مع الاعتذار لصاحبه إذا كان من أهل الاجتهاد والنظر وليس من أهل الأهواء والبدع التي تجلب للعباد الشر وسوء الخطر، كما قرر ذلك العلماء الربانيون الأفاضل في كتبهم ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في كتابه المبارك **"رفع الملام عن الأئمة الأعلام"**.

أكرر فأقول: إنه لا وجه مُرْضٍ لمن يقول: إنه لا حاجة للناس إلى مؤلفات الفقهاء وأن الرجوع إليها والاستفادة مما صح فيها يورث التعصب المقيت الذي له أثره البالغ في تفرق المسلمين وتشتت كلمتهم وتصدع صفهم وتعميق المشاحنات والخلافات بينهم، وغير ذلك مما يقولون ويكررون، ولو كان الأمر كذلك لما ترك العلماء المجددون المبرزون عبر تاريخ الأزمنة والأمكنة هذه القضية بدون حسم لمادتها ودفع للضرر المدعى من قبل أصحاب هذا القول، بل لو كان الأمر كذلك لوجدنا تحذيرًا عامًا من الراسخين في العلم من النظر فيها والرجوع إليها واقتناء العلماء لَها، غير أنه لَمْ يحصل شيء من ذلك ولن يحصل بل إن آراء من يعتد بِهم من أهل العلم السابقين واللاحقين متفقة على الانتفاع بِما فيها من حق وصواب وترك ورد ما فيها من خطأ باعتبار أن أهلها غير معصومين من الخطأ، بل العصمة للكتاب وصحيح السنة.

كما أنه لا وجه مع من يقول بإلزام الناس بمذهب معين أو تقليد إمام بعينه لا يجوز لهم أن يعدلوا عنه ولو خالف نصوص الكتاب والسنة، إذ إن هذا المنهج الفاسد هو الذي يذم معتقده والقائل به وهو الذي يجب أن يطلق عليه التعصب المذهبي المذموم، وعلى ذويه أصحاب التعصب الأعمى والتمذهب المقيت إذ لا تعصب لغير الرسول الكريم المعصوم -صلى الله عليه وعلى آله- وما سواه فالتعصب له جهل وضلال لا يصدر من خيار العلماء وعقلاء الرجال.

قال الإمام بن تيمية -رحمه الله- في الفتاوى المصرية ما نصه: "إذا كان

الرجل -مثلاً- متبعًا لأبي حنيفة أو لمالك أو للشافعي أو لأحمد -رحمهم الله تعالى- ورأى في بعض المسائل أن مذهب غيره أقوى فاتبعه كان قد أحسن في ذلك، ولَم يقدح ذلك في دينه ولا في عدالته بلا نزاع، بل هذا أولى بالحق وأحب إلى الله ورسوله، فمن يتعصب لواحد معين غير النَّبِي ﷺ كمن يتعصب لأبي حنيفة ويرى أن قول هذا الواحد المعين هو الصواب الذي ينبغي اتباعه دون الإمام الذي خالفه، فمن فعل هذا كان جاهلاً بل قد يكون كافرًا ". ا هـ.

وقال في الإقناع وشرحه: "ولزوم التمذهب بمذهب وامتناع الانتقال إلى غيره الأشهر عدمه، والجمهور لا يوجبون على أحد التزام مذهب معين ولا يتبع أحد في مخالفة الله ورسوله، فإن الله تعالى إنَّما فرض على كل أحد -في كل حال- طاعة رسوله محمد ﷺ ". ا هـ.

ومما هو جدير بالعلم به في هذا الموضع أن الأئمة الأربعة -رحمهم الله- نَهوا الناس عن الأخذ بأقوالهم المخالفة للكتاب والسنة، وأرشدهم إلى متابعة نصوص الكتاب والسنة بالفهم السليم، فقد أثر عن الإمام أبي حنيفة -رحمه الله- أنه قال: "لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لَمْ يعلم من أين أخذنا فإننا بشر نقول القول اليوم ونرجع عنه غدًا".

وقال الإمام مالك -رحمه الله-: "كل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ ".

وقال الشافعي -رحمه الله-: " إذا صح الحديث عندكم فاضربوا بقولي الحائط ".

وقال أيضًا: " إذا صح الحديث عندكم فهو مذهبي ".

وقال الإمام أحمد -رحمه الله- لبعض أصحابه: " لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكًا ولا الشافعي وتعلّموا كما تعلمنا ".

وكلامهم -رحمهم الله جميعًا- في هذا المعنى كثير، ولا يفهم منه ترك أقوالهم وعدم الأخذ بِما جاء عنهم أو على أصولهم مما وافق الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

ويطيب لي أن أختم هذا الجواب بالمنظومة التالية التي تعتبر خلاصة للمسائل الجوهرية التي تم زبرها وإيداعها في الوريقات الآنفة الذكر.

والمنظومة بعنوان:

"التقليد وأحكامه، وبيان الموقف الصحيح من أئمة العلم ومؤلفاتهم"

فإلى المنظومة:

ويحرم التقليد في الأصول	على عموم الخلق بالمنقول
وإن ترد أن تعلم الأصولا	فاسمع لما يلي وكن سؤولاً
توحيد ربي لا إله غيره	ثم الصلاة والزكاة مثله
والصوم والحج وغيرها أتى	في محكم النص كثيرًا مثبتًا
كالبعث والجزاء والميزان	وجنة الخلد كذا النيران
وبعثة الهادي بنصها الجلي	ثم الحلال والحرام فاعقل
وماعدا هذا من الأحكام	مما أتى في شرعة الإسلام
فالناس صنفان فصنف عالم	ليس له التقليد يا أكارم
والثاني جاهل له التقليد	لماجد من علمه يفيد
إذ قال: ربي في كتابه اسئلوا	والعالمون بهم قد ابتلوا

في سورة النحل صريحا قد أتى — فارجع إليها قارئًا أو منصتًا
وآل عمران أتى الوعيد — لكاتم العلم وذا أكيد
والطعن بغي في تراث العلما — ومن يقع فيهم سيبلى بالعمى
فاحذر من اللوم لأي مذهب[1] — وكن بريئًا من هوى التعصب
وما جرى في فقههم من الخطا — فاردده حتمًا جازمًا ومقسطا
فمالك والشافعي وأحمد — لهم أصول بالنصوص تسند
وهكذا النعمان فقهه ظهر — وقوله باق ورأيه اشتهر
والبحث منهم عن صواب قد جرى — ليحرزوا الأجر ويرشدوا الورى
فذو الصواب بالأجور قد ظفر — والمخطئ المسكين ذنبه غُفر
وأجره فرد ونصه أتى — في السنة الغراء صريحًا مثبتا
ومن يكن لبعضهم قد لاما — في خطأ فأوله الملاما
وإنما اللوم على من قدما — آراء قوم فوق أخبار السما
ومن لشخص عامدًا تعصبا — غير الرسول ذُمَّهُ محتسبا
ومن يصرح دائمًا لا يستحي — بِهجر كتبهم ففكره امسح
لأنه قد خالف المنقولا — وباين المقبول والمعقول
أما هموا قد أوضحوا المقالا — وأعلنوا جهرًا لمن قد قالا
شيخي إمامي رأيه مقدم — وما سواه أخرن يا مسلم
في كل حال غيره لا أقبل — ولو أتى نص فشيخي أنبل
لا تأخذوا عنا فإننا بشر — نصيب تارة ونخطي في أخر
فهل فهمت يا أخا الإيْمان — خلاصة البحث بنظم دان

(١) أي من المذاهب الأربعة.

أرجـو إلهـي أن يَمـن بالرضى عـنا جميعًا فهـو خير من قضى
وطيـب القـول وصـالح العمل والفقـه في الديـن وأحسن الأمل
ثم الصـلاة والسـلام أبـدا عـلى الـنبي الهـاشمي أحمـدا
وآلـه وصحبـه ومن تبـع لـهم بإحسـان فـنعم الـمتبـع

كما يطيب لي أيضًا أن أرقم ما قاله شيخنا حافظ بن أحمد الحكمي -رحمه الله- في هذا المعنى الهام ليكون للجواب مسك ختام فإلى ما قال:

ولا تقـدم أقـاويل الرجال على نـص الشريعة كالغالين إذ جمدوا
ولا تقلـد وكـن في الحـق متبعًا إن اتـباعك فلتعـلم هـو الرشد
إذ الأئمـة بالتقلـيد مـا أذنـوا لكن رد المورد العذب الذي وردوا
ولتسـتغن بفهـوم القـوم إن لهم بصـائركم بهـا يـنحل مـنعقد
وأعلم الأمة الصحب الأولى حضروا مواقع الشرع والتنـزيل قد شهدوا
أدرى الأنام بتفسير الكتاب وأفـ ـعـال الرسول وأقوال لـه ترد
إجمـاعهم حجـة قطعًا وخلفهمو لَـم يعـده الحـق فليعلمه مجتهد
أردد أقاويـلهم نحو النصوص فما يوافـق الـنص فهو الحق يعتضد
مـا لَـمْ تجـد فيه نصًا قدم الخلفا إذ هـم بنص رسول الله قد رشدوا
فالـتابعون بإحسـان فـتابعهم مـن الأئمـة لـلحق المبين هدوا
كالسـبعة الأنجم الزهر الذين يرى إجمـاعهم مـالك كالـنص يعتمد
وابن المبارك والبصري هو الحسن الـ ـمرضـي حقًا وحمادًا هموا حمدوا
كذاك سفيان مع سفيان ثم فتى الأ وزاعـي فاعلم ومن أقرانهم عدد
ثم الأئمـة نعمـان ومـالكهم والشـافعي أحمـد في ديـنـا عمد

وغيرهم من أولى التقوى الذين لهم ... بصائر بضياء الوحي تتقد
أولئك القوم يحي القلب إن ذكروا ... ويذكر القوم إن ذكراهُمُ ترد
أئمة النقل والتفسير ليس لهم ... سوى الكتاب ونص المصطفى سنن
أحبار ملته أنصار سنته ... لا يعدلون بِها ما قاله أحد
أعلامها نشروا أحكامها نصروا ... أعداءها كسروا نقالها نقدوا
هم الرجوم لسراق الحديث كما ... لكل مسترق شهب السما رصد
بدور تم سوى أن البدور لها ... غيبوبة أبدًا والنقص مطرد
وهم مدى الدهر ما زالت مآثرهم ... في جده والجلاء منذ ما وسدوا
أولئك الملأ الغر الأولى ملأوا ... الأقطار علمًا وغير النص ما اعتقدوا
كل له قدم في الدين راسخة ... وكلهم في بيان الحق مجتهد
فإن أصاب له أجران قد كملا ... والأجر مع خطئه والعفو متعد
والحق ليس بفرد قط منحصرًا ... إلا الرسول هو المعصوم لا أحد
صلى عليه آله العرش فاطره ... مسلمًا ما بأقلام جرى المدد
والآل والصحب ثم التابعين لهم ... والحمد لله لا يحصى له عدد[1]

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

السؤال الثاني: وما هي الطريقة المثلى لدراسة الفقه الإسلامي بدءًا واستمرارًا؟

ج: الطريقة الصحيحة حسب علمي تكاد تنحصر في شيئين اثنين:

الشيء الأول: اختيار المعلم.

حقًّا؛ إن اختيار المعلم أمر مهم وإن شئت أن تزداد معرفة على معرفتك

---

(١) انتهى من الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة (ص ١٨-١٩).

إلى أهميته فتأمل -رعاك الله- في اختيار الله -جل وعلا- للرسل الكرام والأنبياء العظام، الذين اختارهم الله فبعثهم إلى أمم الأرض مبشرين ومنذرين وأمناء ناصحين ومعلمين مخلصين يدلون قومهم إلى الفضائل والخيرات، ويحذرونهم من الرذائل والشرور والمآثم الموبقات، ويحببون إليهم دار التحف والكرامات جنات النعيم نزلهم من الرب الرحيم، كما يحببون إليهم موجبات الرضا من رب العالمين أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، ويبغضون إليهم طرائق أصحاب الجحيم لأنَّها تفضي بهم إلى السخط والمقت من الله العزيز الحكيم قال الله ﷻ: ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ [الحج:٧٥].

وحيث إن العلماء ورثة الأنبياء فعلى طالب العلم الناصح لنفسه والمشفق عليها أن يختار منهم للتفقه على يديه خير آخذ بهذا الميراث، فيأخذ عنه أصول دينه وفروعه وكبار مسائله وصغارها أقوالها وأفعالها ظاهرها وباطنها، ألا وإن خير آخذ لميراث النبوة هو منْ منَّ الله عليه بـــ:

أ- صحة الاعتقاد على نَهج الطائفة الناجية المنصورة أهل السنة والجماعة الأسلاف الصالحين -رضي الله عنهم ورحمهم أجمعين- وذلك فيما يتعلق بذات الله العلي العظيم وأسمائه الحسنى إنه هو البر الرحيم، وصفاته العلى ذات الكمال اللائق بجلال العليم الحليم، بل وفي كل ما يتعلق بما جاءت به رسل الله ونزلت به كتبه جملة وتفصيلا على مراد الله -عز شأنه- ومراد رسله الذين بلغوا رسالاته ونصحوا لكافة بريته، بأفضاله عليهم ونصره لهم ولأتباعهم من خليقته.

ب- وغزارة العلم الشرعي الشريف الذي لا يحرزه ويتمكن من التوسع فيه إلا من بذل نفسه في تحصيله ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، واستفرغ جهده وضحى في سبيل ذلك بجل وقته وتطلعت نفسه الكبيرة وهمته العالية إلى احراز النصيب الوافر تأسيًا بفحول العلماء، الذين حرصوا على التأسي بصفوة الخلق الرسل والأنبياء الذين علمهم الله من لدنه علمًا وبعثهم للخلق معلمين وإليه داعين، فالسعيد من تأسى بهم ودعا بدعوتهم وإنه لحري أن يحشر في زمرتهم فيسعد بأنسهم ومقيلهم.

ت- وخشية الله الَّتي تتجلى بعمارة الباطن والظاهر بطاعة الله -جل وعز- وترك معاصيه والسعي الحثيث وفق مراده سبحانه ومراضيه.

قال الإمام أحمد -رحمه الله-: "أصل العلم خشية الله".

قلت: وكأنه قد تأول قول الحق عز شأنه: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾ [فاطر: من الآية٢٨].

وإذ كان الأمر كذلك فإن سعادة الدارين لتكمن في بذل الجهد في طلب العلم على أشياخه المرضيين مع ملازمة خشية الله في السر والعلن، فإن خير الخليقة على وجه الأرض بعد الرسل والأنبياء هو العالم الرباني الذي تفقه في الدين وعمل به ونشره صابرًا على ما يناله من أذى في الأحوال كلها.

نعم أعود فأقول: إن اختيار المعلم الموصوف بما تقدم ذكره هو رأس الحكمة في الطلب، والإتيان بأسباب الهداية والسلامة من أسباب الزيغ والغواية بل ومن أسباب النبوغ في علوم الشريعة الغراء ووسائلها، وعلى العموم فإن ذلك الاختيار للعالم الرباني لأخذ العلم على يديه من

أسباب سعادة الدنيا ونعيم الآخرة. بخلاف ما إذا تتلمذ الإنسان من ذكر وأنثى على أساتيذ من ذوي الانحراف والبدع في الاعتقاد أو الشعائر التعبدية أو المنهج الدعوي أو غير ذلك من أبواب العلم والعمل فإنه سيتلقى حتمًا ما تنضح به أوعيتهم من الشر والفساد، وهو خال الذهن غالبًا فيضل بِما تلقى عن سواء السبيل وهو في ذلك كله يحسب أنه على شيء تحمد عقباه، ألا وإن التتلمذ على أصحاب البدع والانحرافات يسبب انتشارها ويهيئ حملة لَها، فتظل باقية متزايدة يرثها اللاحق عن السابق بِهذا السبب والدليل على ذلك هو بقاء بدعة القدر والتجهم والاعتزال والجبر والإرجاء والرفض والخوارج والصوفية والتمشعر ونحوها من بقية النحل المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة في دنيا البشر، كما بقيت المذاهب الهدامة من بَهائية وقاديانية وعلمانية ورأسمالية وباطنية وقرامطة ونصيرية ودرزية ونحوها بذلك السبب المذكور، وقانا الله شر البدع وزيغ المبتدعين والحمد لله فإنه ما من بدعة تظهر ويعلنها أصحابُها إلا ويهيئ الله لها من علماء الكتاب والسنة من يردها ويفند شبه من أحدثها وجد في نشرها.

وقد اتخذ علماء السلف وأتباعهم في دحض البدع منهجين:

الأول: منهج الرد: وذلك بعرض شبهات المبتدعين الخادعة وبيان الحق حيالها مدعمًا بالأدلة النقلية من الكتاب العزيز والسنة المطهرة وأقوال الصحابة وأقوال التابعين وغيرهم من أئمة العلم والدين في كل زمان ومكان.

الثاني: منهج العرض: وهو عرض العقيدة الصحيحة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

ويمثل هذين المنهجين اللذين يعتبر كل واحد منهما حسنًا في موضعه، كتب مؤلفه للعلماء القدامى والمعاصرين ليس هذا موضع سردها لكثرتها وقد أوردت نموذجًا منها في رسائل مستقلة منها المطبوع ومنها المخطوط.

أقول: حقًّا أن المعلم الذي ذكرت بعض صفاته آنفًا هو الذي يستطيع أن يرسم لطالب العلم الطريقة الصحيحة المثلى لكيفية الأخذ من كل فن بطرف، وتوجيهه إلى الأهم فالمهم من ذلك ويعلمه صغار العلم قبل كبارها، ورحم الله القائل: "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم". ثم ورحم الله من قال: "من أتاه رجل فشاوره فدله على مبتدع فقد غش الإسلام" وقال: "لا تجلس إلى صاحب بدعة فإني أخاف أن تنْزل عليك اللعنة" وعدلاً ما قال أيوب -رحمه الله-: "إن من سعادة الحدث والأعجمي أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة".

الشيء الثاني اختيار الكتب العلمية:

لا شك أن اختيار الكتب العلمية في شتى الفنون والتدرج في قراءتها أمر مهم، وذلك بمشورة العالم بالله وبأمره سواء كان ذلك في علم التفسير أو في الحديث أو علم التوحيد أو علم الفرائض أو علم الفقه وأصوله أو علم التأريخ والسير أو علوم اللغة العربية أو غير ذلك من فنون علوم الشريعة، فإن الطالب يبدأ في كل فن من الفنون المذكورة

بقراءة متونه ومختصراته ثم ينتقل إلى المطولات متدرجًا وآخذًا بمشورة أهل العلم بتلك الفنون.

• **فمثلاً علم التفسير:** يبدأ بقراءة مختصر ابن كثير للشيخ محمد نسيب الرفاعي، وكتاب التفسير للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وبعد أن يتمكن فإنه ينتقل إلى تفسير ابن جرير وتفسير البغوي وغيرهما بحسب الحاجة.

• **وفي فن التوحيد:** يكون البدأ بالأصول الثلاثة وأدلتها والقواعد الأربع، ثم كشف الشبهات ومسائل الجاهلية فكتاب التوحيد وجميعها لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-، ثُمَّ ينتقل إلى العقيدة الواسطية وشروحها السلفية فالحموية ثم التدمرية ثلاثتها لشيخ الإسلام الإمام بن تيمية -رحمه الله-، ثم ينتقل إلى الطحاوية وشرحها لابن أبي العز ثم النونية لابن القيم مع شرحها القيم لمحمد خليل الهراس -رحمهما الله- ثم بعد ذلك يواصل القراءة في كتب السنة كشرح السنة للبربَهاري، وشرح السنة للإمام أحمد، وشرح السنة لابنه عبد الله، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للحافظ اللالكائي، والسنة للخلال، والسنة لابن أبي عاصم، وكتاب الشريعة للآجري، وكتاب التوحيد لابن خزيمة، وغيرها من كتب العقائد التي ستجر إلى معرفتها هذه الكتب المدونة.

• **وفي الفرائض:** يبدأ الطالب بمتن الرحبية وبعض شروحها المختصره، ثم الفوائد الجليلة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -حفظه الله- ثم النور الفائض لفضيلة الشيخ حافظ الحكمي -رحمه الله-، ثم التحقيقات الفرضية

للشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-، ونحوها من كتب العلم الذي روي في الأثر أنه نصف العلم.

● وفي **كتب الحديث**: يبدأ الطالب بحفظ الأربعين النووية وبعض شروحها المختصرة، ثم عمدة الأحكام فبلوغ المرام ورياض الصالحين، وهذه الكتب تفتح لــه الباب للوصول إلى قراءة متون الصحاح والسنن والمسانيد بحسب القدرة والاستطاعة.

● **ولا يستغني عن أصول علم الحديث** رواية ودراية من كتبها المشهورة المعتبرة كنخبة الفكر مع شرحها نزهة النظر وقصب السكر وغيرها من الكتب المعاصرة.

● وفي **كتب التاريخ والسير**: يبدأ بقراءة مختصر السيرة النبوية للشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-، ثم بأصلها لابن هشام وهكذا يقرأ ما كتبه شيخ الإسلام بن القيم في هذا الفن في زاد المعاد، ثم ينتقل إلى المطولات من كتب التاريخ والسير وأشملها مما هو بين أيدينا البداية والنهاية لابن كثير والكامل لابن الأثير -رحمهما الله-.

● وفي **فن الفقه**: يحسن البدأ بآداب المشي إلى الصلاة إن وجدت وهي للشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-، ثم كتاب العدة شرح العمدة في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل -رحمه الله- تأليف بَهاء الدين عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي -رحمه الله-، ثم الإحكام شرح أصول الأحكام لعبد الرحمن بن محمد قاسم النجدي، ثم الروض مع حاشية المذكور، ثم يتدرج في كتب شروح هذا الفن كالخرقي وشرحه المغني،

ونحو ذلك مما يحتاج إليه من كتب المذاهب الأربعة لا سيما إذا كان أهلاً للبحث والنظر.

• وفي **كتب أصول التفسير** يكتفى بكتاب الإتقان للحافظ السيوطي وكتاب البرهان للعلامة الزركشي والمقدمة لشيخ الإسلام بن تيمية وهناك كتب معاصرة يلتمسها الطالب للاستفادة منها.

• وفي **أصول الفقه** يبدأ بقراءة نظم الورقات للجويني، فروضة الناظر وشرح مختصر الروضة، وإرشاد الفحول، وغيرها من كتب هذا الفن.

• وفي **كتب النحو والصرف** يكون البدأ بالآجرومية، ثم ملحة الإعراب للحريري، فقطر الندى لابن هشام، ثم ألفية ابن مالك مع شرحها لابن عقيل، وهكذا ينتقل إلى المطولات بحسب القدرة والحاجة.

وقبل هذا ومعه العناية بكتاب الله تلاوة وحفظًا حتى يحقق طالب العلم معنى قول الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ﴾ [البقرة: من الآية١٢١]. وقوله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ [فاطر:٢٩].

وفي كل ذلك فإنه يجْمُل بالسالك في طريق الطلب أن تكون علاقته بأشياخه قائمة واستشارته إياهم دائمة، وليحذر أن يكون كتابه هو شيخه فتلك طريق الخطأ والزلل ومظنة فحش الغلط والخطأ، وقديمًا قيل من دخل في العلم وحده خرج وحده، والمعنى أن من دخل في طلب العلم بلا شيخ خرج منه بلا علم، وما ذلك إلا لأن الأصل في طلب

العلم هو تلقيه من أفواه ذويه، إذ العلم بمنزلة الصنعة وحملته بمنزلة الصناع ولابد للجاهل بصنعة ما من عالم بها يعلمه إياها.

ولا يفوتني أن أنبه هنا عن شرف الرحلة في طلب العلم عند الحاجة إلى ذلك، حقًا إن الرحلة في طلب العلم الشرعي الشريف ووسائله طريق مألوف لسلفنا الصالحين وكل من تأسى بهم في محبة العلم وإجلال العلماء، وهي في نفس الوقت عمل جليل كثر فيه تنافس العلماء الأولين طمعًا منهم في الوعد الصادر ممن لا ينطق عن الهوى ﷺ حيث قال: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة**» رواه البخاري وغيره من حديث أبي الدرداء ﷺ، وفي رواية: «**ما سلك عبد طريقًا يقتبس منه علمًا إلا سلك الله به طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا عنه، وإنه ليستغفر للعالم من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر**». وجاء في حديث صفوان بن عسال الذي قال فيه: «أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إني جئت أطلب العلم، فقال: **مرحبًا يا طالب العلم، إن طالب العلم لتحفه الملائكة وتظله بأجنحتها ثم يركب بعضهم بعضا حتى يلمسوا سماء الدنيا من حبهم لما يطلب**». وكم لهذين الحديثين من نظائر تدل على هذا المعنى بمنطوقها، أعني: الترغيب العظيم في الرحلة في طلب العلم والتشويق الكريم الباعث على الصبر على تجشم المصاعب في سبيل نيل أغلى المطالب، ألا وهو العلم الشرعي الشريف الذي تحيا به القلوب وتطمئن به النفوس، ومن ثم تعرف إلهها

العظيم وفاطرها السميع العليم رب السموات والأرض ورب العرش الكريم، فتقدره حق قدره وتفرده بالعبادة وحده دون سواه مخلصة له الدين ترجو ثوابه وتخشى عقابه: ﴿أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: من الآية٦٢]. ولقد عرف أسلافنا الأوائل وأتباعهم من أولياء الله الصالحين قدر الرحلة في طلب العلم فرحلوا رجالاً وركبانًا وبرًّا وبحرًا في طلبه غير مبالين ببعد المكان ومشقة السفر، وذلك دليل على مدى فهمهم لعظم شأن العلم وجلالة قدره، وأن أمم الأرض لا يطيب عيشها ولا تصفو حياتُها ولا تبصر طريق مرضاة خالقها ومولاها إلا بالعلم الشرعي الشريف، وبدونه لا طيب للعيش ولا صفاء للحياة ولا معرفة لطريق الحق الموصلة إلى الله. فهذا جابر بن عبد الله رحل من المدينة إلى الشام ليسمع حديثًا واحدًا من أخيه عبد الله بن أنيس حيث قال جابر: "بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله ﷺ فاشتريت بعيرًا ثم شددت عليه رحلي فسرت إليه شهرًا حتى قدمت عليه الشام، فإذا عبد الله بن أنيس فقلت للبواب قل له جابر على الباب فقال: ابن عبد الله؟ قلت: نعم، فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته فقلت: حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصاص فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه، فقال ابن أنيس سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة أو قال العباد عراة غرلاً بُهمًا**. قال: قلنا: وما بُهمًا؟ قال: **ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان، ولا**

ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه حتى اللطمة قال: قلنا: كيف وإنا إنما نأتي الله ﷻ عراة غرلاً بُهمًا؟ قال: **بالحسنات والسيئات**».

هذا يا أخي الكريم وكم للعلماء الأجلاء قديْمًا وحديثًا من رحلات في الأقطار من أجل طلب العلم والتوسع في فنونه والتدوين لكتبه والبحث عن أوعيته في مشارق الأرض ومغاربها كما تحدثت عن ذلك كتب التأريخ والتراجم بما لا مزيد عليه، فراجعها إن شئت والله يحفظك ويعينك ويتولاك إنه خيرٌ حافظًا وهو أرحم الراحمين وهو مع المؤمنين ويتولى الصالحين.

ويطيب لي أن أختم جواب هذا السؤال بأبيات لها علاقة متينة به وصلة قوية ببعض معانيه فأقول:

يــا سائلاً عن طريق العلم ملتمسا	تبــيانه راغــبًا في فضــله العمم
وباحــثًا جــاهدا لــلخير مقتبسا	يؤويــك ربي عظيم الشأن والنعم
قــدم وجوبًا علوم الشرع إن بها	بــين نَهج العلى من موجب النقم
وبــالأهم المهــم ابــدأ لــتحرزه	والــنص قدم كذا الإجماع فاحترم
وأخــر الــرأي كل الرأي تتركه	إن جــاء نــص من الوحيين فالتزم
مــا العــلم إلا كتاب الله أو أثر	يضــيء دومًا لأهل الأرض كلهم
مــا ثم علم سوى هذا ولا قصص	يــبدد الجهــل والأسواء بالحكم
ومــا اســتمد من الوحيين نعرضه	علــيهًا حكمًــا فــافهم ولا تَهم

ومنهج[1] الخير لا تبغي به بدلا ... إن المناهج[2] قد صالت بلا ندم

وحامل العلم إن تحسن سريرته ... يظفر بذخر ألا طوبى لمقتسم

والرب صلى وأهل الأرض قاطبة ... ورقعة الأرض من فيها من الأمم

على الذي ينشر العلم القويم فقد ... رقى على الكل في دين وفي قيم

يكفيه فضلاً بأن الله يرفعه ... بفضله الجم في الجنات والنعم

والحمد لله في سر وفي علن ... وعز ربي إله اللوح والقلم

ثم الصلاة على الهادي مباركة ... ما رفرف البرق بالأضواء في الظلم

معها سلام كعد الودق أبعثه ... مع الكرام إلى المختار ذي القيم

والآل والصحب نهديهم تحيتنا ... نعم الهداة دعاة الحق والشيم

كتب الجواب: الفقير إلى عفو ربه التواب

زيد بن محمد بن هادي المدخلي

١٠/٨/١٤١٩هـ

(١) أعني به المنهج السلفي.

(٢) أعني بها المناهج الّتي تخالف المنهج السلفي في قليل أو كثير.

فهرس الجزء الرابع

فهرس الجزء الخامس

ويهذا تـم الفهرس وهو الإجمال أقرب.

ولا يخفى على القارئ الأريب ما في الزوايا النظيفة من الخبايا الشريفة.

وعلى الله -وحده- قصد السبيل.

فهرس الجزء السادس

❊ فهرس منظومة الأجوبة السديدة ❊

محتويات الأجوبة المفيدة المتعلقة بشخصية فريدة وسؤالان وجوابهما

المركز الدولي للطباعة I.P.C
012/7930415
012/4179867